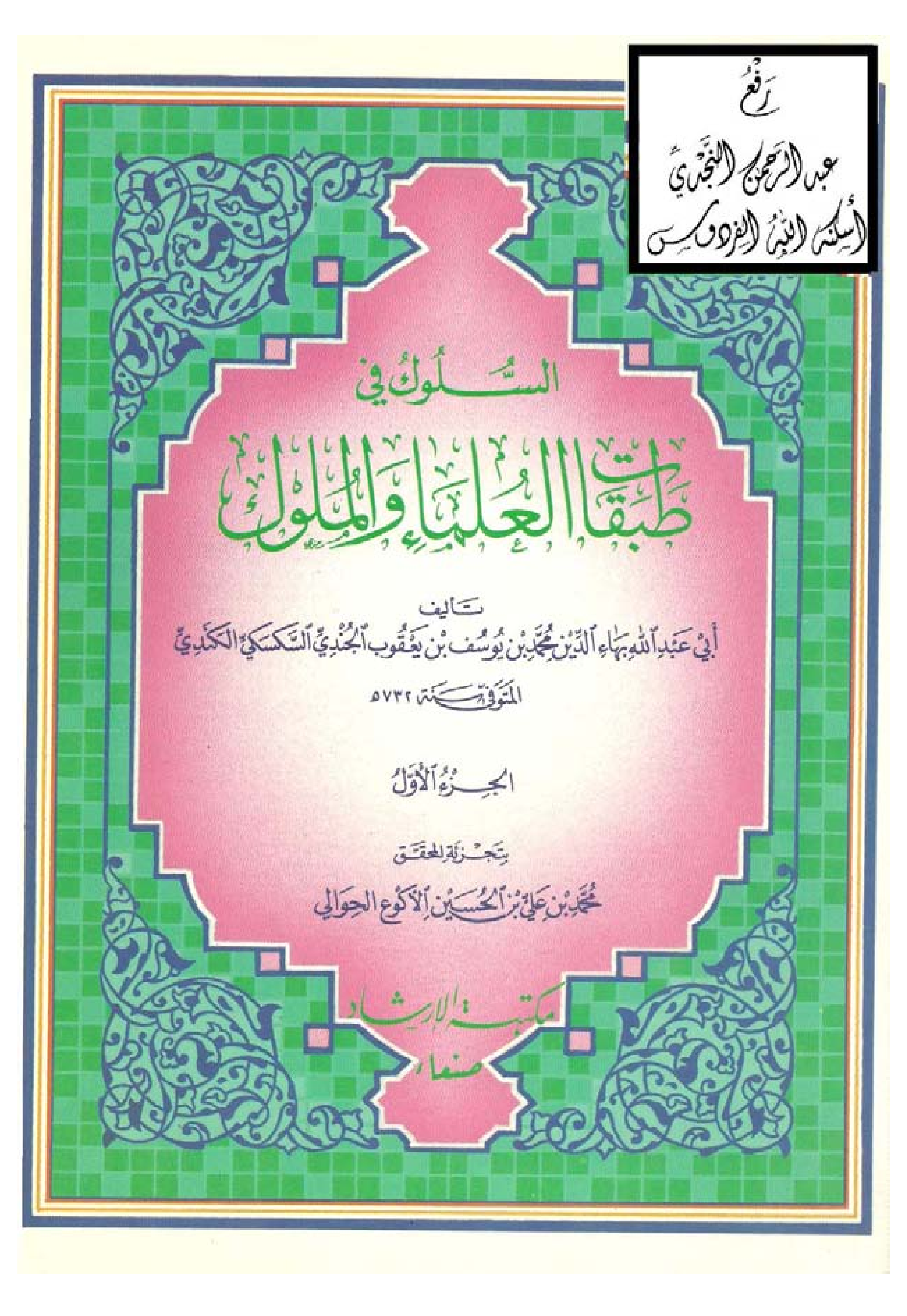


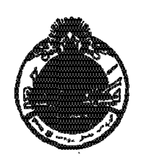
رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
السلوك في
طبقات العلماء والملوك
تأليف
أبي عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي
المتوفى سنة ٧٣٢هـ
الجزء الأول
بتحرير المحقق
محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي
مكتبة الإرشاد
صنعاء

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

السلوك في
طبقات العلماء والملوك

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م



مكتبة الإرشاد

الجمهورية اليمنية - صنعاء - ميدان التحرير
شارع ٢٦ سبتمبر - ص.ب ١٠٠٧٤ - تلفون ٧١٧٧٥

السلوك في طبقات العلماء والملوك

تأليف

أبي عبد الله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي

المتوفى سنة ٧٣٢هـ

الجزء الأول

بتجزئة المحقق

محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي

مكتبة الإرشاد
صنعاء



ليس بإنسان ولا عالم　　من لم يع الأخبار في صدره

ومن درى أخبار من قبله　　أضاف أعماراً إلى عمره

كلمة الإمام

قال الإمام الحجة البالغة المجتهد المطلق محمد بن إبـراهيم الوزيـر الصنعاني رحمه الله والمتوفى سنة ٨٤٠هـ:
في كتابه «العواصم والقواصم في الذبّ عن سنة أبي القاسم»
مخطوط في معرض كلام طويل إلى أن قال: بل ليس
للزيدية وسائر الشيعة نهمة في تدوين أخبار
سادات أهل البيت وعلماء شيعتهم
من أهل مذهبهم دع (عنك غيرهم،
ولا علمت لأحـد في ذلك مصنفاً إلاّ
ما صنفه مسلم اللحجي المطرفي من كتاب
الطبقات ولقد أجاد فيه لو
استوفى ولكنه اقتصر على
أهل مذهبه

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة
الطبعة الثانية
للجزء الأول من السلوك في طبقات العُلماء والملوك

بإلحاح من الطليعة المتنورة المحبين لأوطانهم المتفانين لاقتناء تراث أجدادهم وبعث كنوز أمجادهم، ومن أجل النفع العام لبني جلدتي الذين سادهم الجهل وأعمى أبصارهم دهراً طويلاً، فالعلم خير من الجهل والنور خير من الظلام، ولنفاد الطبعة الأولى بسرعة ما كان يدور بالحسبان، لهذا كله ومثله معه حفزني من داخل نفسي ومن ضميري الحي رغم أني قد بلغت من الكبر عتياً، ومن نفس كريمة مطواعة تحبُّ العلم وأهله ألا وهو الولد البار الأستاذ محمد بن لطف بن غالب السَّامعي المعَافري حفظه الله وزاده علماً فإنه شاركني «وأين الشريك في المُرِّ أينا» مشاركة تقرن بالتقدير والشكران على مقابلة هذا الجزء الأول من السلوك على نسخة باريس المشار إليها بعلامة «ب» وعلى النسخة المطبوعة المقابلة على نسخة باريس وعلى نسخة دار الكتب المشار إليها بعلامة «د» وصححنا ذلك ببالغ الجُهد والطاقة، واستقصينا التحري إلى أوفى غاية، ومن بلغ جهده قبل عذره.

ورحم الله امرأً عَمِل عملاً فأتقنه.

فإلى القرّاء نزفّ السلوك في طبقات العلماء والملوك في طبعته الثانية ببزة قشيبة وحلة سيرآء يمانية سائلاً من الله أن يحسن ختامنا ويكلل أعمالنا بالنجاح والتوفيق.

وشكراً مكرراً للولد البار يطيب ذكره وينشر عطره ويبقى أثره. وسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم.

حرر يوم الاثنين لعشر مضين من ذي القعدة سنة ١٤١٢هـ

الموافق ١٢ مايو سنة ١٩٩٢م

محمد بن علي الأكوع الحوالي

[المكتبة اليمنية الحِواليَّة]
مشروع ثقافي لنشر ذخائر التراث اليمني

صدر منه:

١ - طبقات فقهاء اليمن لابن سمرة الجَندي.
تحقيق الأستاذ فؤاد سيد رحمه الله.

٢ - الجزء الأول من الإكليل للحسن بن أحمد الهَمْداني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحِوالي.

٣ - الجزء الثاني من الإكليل للحسن بن أحمد الهَمْدَاني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحِوالي.

٤ - قرة العيون في أخبار اليمن الميمون لعبدالرحمٰن بن علي الديبع الزَّبيدي.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحِوالي.

٥ - تفسير الدامغة للحسن بن أحمد الهَمْدَاني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحِوالي.

٦ - المفيد في أخبار صنعاء وزبيد لنجم الدين عمارة اليمني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحِوالي.

٧ - صفة جزيرة العرب للحسن بن أحمد الهَمْدَاني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

٨ - الجزء الثامن من الإكليل للحسن بن أحمد الهَمْدَاني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

٩ - نِظام الغريب لعيسى بن إبراهيم الربعي الوحاظي الحميري.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

١٠ ـ المقالة العاشرة من سرائر الحكمة للحسن بن أحمد الهَمْداني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

١١ ـ السلوك في طبقات العلماء والملوك للبهاء الجندي. جزآن
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

١٢ ـ العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لعلي بن الحسن الخزرجي.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

١٣ ـ ديوان ورسائل الشاعر محمد بن حمير الوصابي الهمداني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

١٤ ـ التقصار في جيد عَلاّمة الأمصار لمحمد بن الحسن الشجني الذماري.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحِوالي.

١٥ ـ الجزء العَاشر من الإكليل للحسن بن أحمد الهَمداني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

١٦ ـ نزهة المعتبر في فضائل جبل صبر للمخلافي.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

١٧ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لمحمد بن صالح بن حسن العصامي الصنعاني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

١٨ ـ العسجد المسبوك فيمن تولى اليمن من الملوك لعلي بن الحسن الخزرجي.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

١٩ ـ روضة الأخبار ونزهة الأسمار في حوادث اليمن النيار في الحصون والأمصار لعماد الدين ادريس بن الحسن الأنف.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

٢٠ ـ كشف أسرار الباطنية لمحمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

تحت الطبع

٢١ ـ الاختصاص ذيل تاريخ الرازي للسري بن إبراهيم العرشاني.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

٢٢ ـ المنار لصالح المهدي المقبلي.
تحقيق الأستاذ محمد بن علي الأكوع الحوالي.

وللمؤلف

١ ـ الوثائق السياسية من قبل الإسلام إلى سنة ٣٣٣هـ.

٣ ـ اليمن الخضراء مهد الحضارة ط٣.

٣ ـ الجزء الأول صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي.

٤ ـ الجزء الثاني والثالث صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي.

٥ ـ الجزء الأول حياة عالم وأميره يحي بن محمد الأرياتي وإسماعيل بن محمد باسلامه.

٦ ـ الجزء الثاني حياة عالم وأمير.

٧ ـ لسان اليمن الهمداني من أعلام العرب.



حقيقة لا بد منها

قال المؤرخ الكبير أبو الغَمر مُسَلّم بن محمد بن جعفر اللحجي اليمني المتوفى رحمه الله حوالي سنة خمسين وخمسمئة من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والتسليم:

«إن قلة الرغبة في أهل اليمن في إحياء ما يكون في بلادهم، وفي أهلها من الأخبار والآثار، ولهم الفضائل والمحاسن والعجائب ما قد عرفت.

ومعلوم أنه قد كان في اليمن من المحاسن الحسنة في أخبار الدنيا في الجاهلية، والإسلام، وأخبار الدين في الإسلام وسائر مكارم الأخلاق ونوادر العجائب التي قد دون أهل العراق والحجاز ومصر والشام وخراسان ما هو دونها وأحيوا ما في طبقتها من أخبار ملوكهم وقوادهم وشعرائهم وكتّابهم وخطبائهم وفقهائهم وعُبَّادهم وزهّادهم ووزرائهم وسُوقتهم وعوامهم وغير ذلك.

«ولهذا حيووا وماتوا».

ومَا على القارىء إلا أن يصوب نظره ويصعّده في هذه الجملة ويفسرها أو يتصورها كيف مَا شاء.

ويعلل شيخ الإسلام الحافظ المجتهد محمد بن علي الشوكاني المتوفى رحمه الله سنة ١٢٥٠هـ «خمسين ومئتين وألف» ـ هذه الظاهرة في اليمنيين بأنها بدوافع الحسد ويثبت ذلك بالأدلة كما في كتابه (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) في ترجمة القاضي أحمد بن صالح أبو الرجال وفي ترجمة العلامة النحوي ابن هطيل، وفي ترجمة محمد بن إبراهيم الوزير رحمهم الله جميعاً وذلك في ج ١ ص ٥٩، ٤٩٣، وفي ج ٢ ص ٨١».

وأيم الحق إنها كلمة صدق من رجل صدق فنحن اليوم نعاني ما كان يعانيه

آباؤنا وأجدادنا من داء الحسد والشنآن أعاذنا الله من ذلك وجنّب قومي ما يكرهون.

ويعلم الله والأسف يحزُّ في نفسي وينْحتُ في جسمي أني لم أقصد فيما أوردته هضم قومي أو الانتقاص منهم أو المساس من مشاعرهم أو الشماتة، واللهم لا شماتة «وهم الملأ»، بل لأبعث فيهم روح النشاط للقراءة والمطالعة، والتأليف، والنشر وإحياء التراث اليمني النافع لا سيما العلوم الإنسانية والعلمية التي ليس فيها تقديس لأحد ولأقْدح فيهم زَند العمل وأوري فيهم نور الأمل، وأنتزع من نفوسهم آفة الكسل وأحيي من ذكائهم رميم الجمود وأذكي في وجدانهم روح الطموح وحُبَّ العلوّ والعلوم ليكونوا قدوة حسنة ومثلاً أسمى وحتى يقال: هذا الشبل من ذاك الأسد وعلى حد قول الأول:

فكن رجلاً رجله في الثرى وهَامةُ همته في الثريا

سائلاً من الله أن يوفقنا جميعاً لصالح الأعمال، ويأخذ بأيدينا إلى كريم الفعال وصادق الأقوال، وأن يشرح صدورنا، إنه كريم متعال ومتفضل مَنّان.

* * *

رَفْعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرّحمٰن الرحيم
المقدمة
لتاريخ بهاء الدين الجَندي

عرفت عن طريق المطالعة الممتعة، وطول قراءتي للتواريخ خصوصاً لتواريخ وطني العزيز: اليمن، وبالاستقراء أيضاً ـ أربعة مؤرخين يمنيين متعاصرين أحدهم الأمير الخطير بدرالدين محمد بن حاتم بن عمران بن علي بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفَضْل اليامي الهَمداني الذي قال عنه المؤرخ بهاء الدين الجندي في تاريخه هذا الذي بين أيدينا:

«رأيت محمد بن حاتم بن عمران بن علي بن حاتم معدوداً من الفضلاء له تاريخ في أخبار اليمن لم أقف عليه، وهو من بيت سمعلة في الدين».

والتاريخ الذي أشار إليه «البهاء الجندي» لعله هو «السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغزّ باليمن» الذي تناول فيه حكم بني أيوب في اليمن من تاريخ سنة ٥٦٩هـ ـ ١١٧٣م أي من حين دخلها «توران شاه» أخو صلاح الدين الأيوبي المشهور إلى أن انفصَلت دولتهم عن اليمن في عهد الملك المسعود بن الملك الكامل الأيّوبي وذلك سنة ٦٢٦هـ ـ ١٢٢٩م.

وكانت مدة ملكهم سبعاً وخمسين سنة من سنة دخول سيف الإسلام «طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٤هـ ـ أو تسعاً وستين سنة من سنة دخول «توران شاه» سنة ٥٦٩».

كما تناول كتاب «السمط الغالي الثمن» ـ أول ملوك بني رسول ومؤسسها وهو الملك المنصور عمر بن علي بن رسول الذي أعلن استقلاله باليمن سنة ٦٣٢هـ ـ ١٢٣٥م، وأما قبل هذا التاريخ فإنه كان يُظهر أنه نائب عن الملك المسعود الأيوبي، وتوفي الملك المنصور مقتولاً في قصره بمدينة الجند سنة ٦٤٧هـ.

وثانيهم الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الذي انتهت حياته سنة ٦٩٤هـ ـ ١٢٩٥م «وبوفاة الملك المظفر انصرم كتاب «السمط الغالي الثمن في

أخبار الملوك من الغز باليمن» إذ يتوقف المؤلف بدرالدين عند هذا التاريخ في شهر رمضان سنة ٦٩٤ «أربع وتسعين وستمئة» من الهجرة.

ويلوح لنا من خلال تسمية الكتاب «السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغزّ باليمن» أن بني رسول قد دخلوا ضِمْناً في مسمًّى «الغُزّ» وسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله.

هذا وقد طبع هذا الكتاب «السمط الغالي الثمن، في أخبار الملوك من الغز باليمن» والذي قام بنشره وتحقيقه الأستاذ الدكتور «ركس سمث» الإنكليزي المتخرج من جامعة كمبرج في بريطانيا في شهر ربيع سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م والذي أهداني منه نسخة فله الشكر جزيلاً.

ورغم أن الدكتور المخرج للكتاب كان سبّاقاً لحيازة هذه الفضيلة وأنه بذل مجهوداً يشكر عليه وأبرزه بحلة سيراء مع جودة الورق ونظافته مما أضفى عليه رونقاً وجمالاً - فإنه وهم برفع نسب المؤلف وتسلسله إذ قال في ديباجة الكتاب وعنوانه:

الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي فجعله ابناً للسلطان حاتم بن أحمد، وإنما هو حفيده كما يأتي، ولا يتحمل الدكتور هذا الوهم فلربما أنه عنوان «أصله» الذي وقع بيده، ولكن اللائمة تنصَبُّ على اليمني صَاحب البيت الذي هو أحق به وبأهله كما قيل:

وصَاحب البيت أدرى بالذي فيه

وكيف يتقاعس عن إحياء تراث آبائه وأجداده بل لا يحتفظ بماعون بيته فضلاً عن غيره، وذلك أضعف الإيمان ويظل سادراً في غَلْوائه سَاحباً ذيل جهالاته في غي غفلاته.

والأصح أن اسم المؤلف كما أسلفناه هو الأمير بدرالدين محمد بن حاتم بن عمران بن علي بن حاتم بن أحمد بن الفضل اليامي الهَمْداني حفيد السلطان علي بن حاتم وحفيد السلطان حاتم بن أحمد.

أخذت ذلك من أربعة مصادر أولها وأقدمها كتاب «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب» مخطوط للملك الأشرف عمر بن الملك المظفر يوسف والمتوفى سنة ٦٩٦هـ وذلك عند ذكره لنَسب «السلطان حميد الدولة حاتم بن أحمد وسلسل أولاده وأحفاده وذكر الأمير بدرالدين بنسبه الذي سقناه.

ثانيها: من تاريخ الجندي الذي نحن بصدد إخراجه فإنه ذكره بهذا النسب، أحدهما في ترجمته وثانيهما في موضع آخر.

ثالثها: من «العقود اللؤلؤيّة، في تاريخ الدولة الرسولية» للمؤرخ الخزرجي فإنه ذكر بدرالدين هذا بنسبه الذي سقناه في عدة مواضع أحدها في ص ١٨٧.

ورابعها: من «العسجد المسبوك في تاريخ الملوك» للخزرجي أيضاً وذلك في ص ٢٤٦، وحينئذ فلم يبق عندي شك أن سياقة نسب محمد بن حاتم هو ما أسلفناه وأنه الحق الصراح.

ومما يستدرك على الأستاذ الدكتور «ركس سمث» في صدد مقدمته أنه جعل مدة دولة بني أيوب ٤٦ سنة «ستاً وأربعين» والحال أنها سبع وخمسون سنة إن اعتبرنا ابتداءها من دخول «توران شاه» اليمن سنة ٥٦٩هـ «تسع وستين وخمسمئة» إلى آخر انفصال الملك المسعود سنة ٦٢٦هـ «ست وعشرين وستمئة» لا كما ذكر الدكتور «ركس سمث» أن انفصال الملك المسعود سنة ٦٢٨هـ ثمان وعشرين وستمئة.

وأما إذا اعتبرنا ابتداء دولة الأيوبيين باليمن من تاريخ دخول سيف الإسلام «طغتكين بن أيوب من سنة ٥٧٩هـ «تسع وسبعين وخمسمئة» إلى انصرام أيام الملك المسعود سنة ٦٢٦هـ فتكون مدة حكمهم سبعاً وأربعين سنة لا ستاً وأربعين سنة، فالفرق سنة واحدة وهذا «لا يغيّر صَحَباً» كما قيل في المثل.

وهنالك بعض هفوات بأسماء البقاع الجغرافية والأعلام الشخصية ربما تكون هفوات أو أخطاء في الأصول أو مطبعية، ومهما يكن فهي مغتفرة للدكتور «ركس سمث» بجانب ما تجشّمه من التحقيق العلمي والموضوعي الممتاز ونشره للكتاب مجوّداً فالإنسان محل الخطأ والنسيان..

من الذي ما ساء قط، ومن له الحسنى فقط.

وإنما ذكرنا هذه الملاحظات تنبيهاً للقراء وأداءً لأمانة العلم.

وإنا نأسف كثيراً أنا لم نهتدِ إلى تحديد وفاة الأمير بدرالدين المذكور الذي عاصر الملك المظفر يوسف وأرخ له وسَايره إلى آخر نفس من حياته.

كما أن للأمير المذكور مؤلفاً آخر ألا وهو سيرة الملك المظفر يوسف بن عمر كما يشير إلى ذلك المؤرخ الكبير أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي الأنصاري المتوفى سنة ٨١٢ «اثنتي عشرة وثمانمئة» فإنه ينقل عنه في كتابه العسجد بقوله: قال

في سيرة الملك المظفر، ويسنِد ذلك إلى المؤلف المذكور.

وثاني المؤرخين المعاصرين هو الأمير الكبير إدريس بن علي بن عبدالله الحمزي المتوفى سنة ٧١٤هـ «أربع عشرة وسبعمئة» كما قال الجندي الذي ترجم له في ضمن ترجمة والده علي بن عبدالله كما أثبتنا له ترجمة في «قرة العيون» ج ١ ص ٧، وهي من الخزرجي الذي هو تلميذ الجندي، واسم تاريخه «كنز الأخيار في التواريخ والأخبار» انتهى فيه إلى سنة ٧١٤ «أربع عشرة وسبعمئة»، وتوجد منه «نسخة في المتحف البريطاني» كما نوَّه به المؤرخ «جرجي زيدان» في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ـ ٢٠٤»، وقال: إن الكتاب يشتمل على أربعة مجلدات أرخ فيه لمصر والعراق والشام انتهى لتاريخ هذه الأقطار سنة ٧١٣ «ثلاث عشرة وسبعمئة»، وانتهى في تاريخ اليمن إلى سنة ٧١٤، «أربع عشرة وسبعمئة».

ولم نطلع عليه بعدُ رغم محاولاتنا الكثيرة لتصويره وبيده تعالى الخير كله. ويستفاد من التواريخ التي تنقل عنه أنه اقتصر فيه على التاريخ السياسي كسرد الأحداث وما يتعلق بذلك، وابتدأ به من ظهور الإسلام ونشر رواقه على ربوع اليمن بدون أن يتعرض لذكر العلماء ونحوهم، وعلى منواله نسج المؤرخ الخزرجي في كتابه العسجد.

أما تاريخ بدرالدين محمد بن حاتم فهو محدود المعالم معروف المنهج إذ حصره وقصره على ملوك الغز باليمن، بما فيهم الملك المنصور وابنه الملك المظفر الرسوليين.

ومن عجائب الاتفاق أن المؤرخ عماد الدين إدريس والمؤرخ بدرالدين محمد بن حاتم هما من القسم الأعلى من اليمن.

وبما أن الجندي قد ترجم للمؤرخين المذكورين وأثنى عليهما إلى أن غمز محمد بن حاتم بقوله: وهو من بيت سمعلة في الدين.

كما نبز عمادالدين إدريس بقوله: تفقه بمذهب الزيديّة.

فالسمعلة من الكلمات المنحوتة كالبسملة من بسم الله الرحمٰن الرحيم والحمدلة، من الحمد لله، والحوقلة، من لا حول ولا قوة إلاَّ بالله ونحو ذلك مما هو منصوص عليه في كتب النحو والصرف.

فمعنى السمعلة أنها منحوتة من الفرقة الإسماعيلية المنسوبة إلى إسماعيل بن

جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهذه الفرقة كما تسمى بالإسماعيلية تسمى عند اليمنيين بالباطنيّة وتارة بالقرامطة ولها ألقاب أخرى كما يأتي للمؤلف الجندي ذكر لها.

والطائفة الزيديّة مشهورة ومعروفة، منسوبة إلى الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهي التي تسمى في عرف أهل اليمن «الهادويّة» نسبة إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي العلوي إذ هو يخالف الإمام زيد بن علي في كثير من المسائل.

ومساكن الهادويّة فيما بين صعدة شمالاً ومدينة يريم جنوباً وما بين حراز غرباً وجبال نهم وخولان العالية شرقاً يتخلل ذلك نبذ من الفرقة الباطنية، وعَرَّف بعض عُلماء الهادويّة مذهبهم بقوله: هم حنفية الفروع معتزلية الأصول.

على أن الشريف عماد الدين إدريس لم يسلم من لدغ عقارب أهل مذهبه، فقد رموه بالمروق والخروج عن عقيدتهم بسبب مخالطته لسلاطين بني رسول وقبوله عطاياهم وامتداحه إياهم بقصائده الرنانة وانتظامه في سلكهم وتوليته للأعمال منهم ولكنه لما لم يبال بطنين أجنحة الذباب ولا أثرت لسعات عقاربهم في نفسه عادوا فعفوا عنه معتذرين له، بأنه تاب و«رجع» كذا في «مطلع البدور» لابن أبي الرجال.

والمؤرخ الثالث المعاصر للمؤرخين المذكورين ـ، هو جمال الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني المخزومي المولود بمكة سنة ٦٨٠ «ثمانين وستمئة هـ» الموافق ١٢٣٣م على قول بعض المؤرخين، أما صاحبنا الجندي فإنه ترجم له في كتابه هذا وقال: إن مولده في شهر رجب من سنة ثمانين وستمئة بثغر «عدن»، وتأدب وتخرج بها ثم طلع الجبال وحظي عندالملك المؤيد الرسولي بنصيب وافر من الوظائف الرفيعة ثم وزر للملك الظاهر ابن الملك الأشرف الكبير عمر بن المظفر فلما تغلب الملك المجاهد «علي» ابن الملك «المؤيد» على ابن عمه الملك الظاهر المذكور واستولى على المملكة هرب جمال الدين من اليمن ونجا بجلده، وصودرت أملاكه وتوفي بالشام أو بالقدس نفسها سنة ٧٤٣هـ ـ ١٣٤٣م بعد أن تقلبت به الأحوال وهو آخر المؤرخين الأربعة موتاً.

واسم تاريخ جمال الدين «بهجة الزمن، في تاريخ اليمن» وتوجد منه نسخة كاملة في مكتبة باريس، ونحن بالأشواق للاطلاع عليها ولعل الأيام تسعفنا بذلك فإنا جادون بتحصيلها.

وقد لخّص هذا الكتاب شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري المتوفى سنة ٧٣٢هـ في كتابه المطبوع «نهاية الأرب، في فنون الأدب» ثم جاء الأستاذ الفاضل مصطفى حجازي المصري المعاصر عافاه الله فأخرج الكتاب من نهاية النويري وأراه النور وحقق نصوصه وعلق عليه، ونشره، وقدم له صديقنا الأديب البارع، والشاعر الملهم الأستاذ إبراهيم بن أحمد الحضراني الحميري.

وفي هذا المنتزع يبتدىء بذكر عمال الخلفاء الراشدين باليمن وينتهي به إلى سنة ٧٢٥هـ «خمس وعشرين وسبعمئة» مما يدلنا أن النويري حذف منه أيام البعثة النبويّة، وأخبار الوفود من أهل اليمن ورُسُل النبي ﷺ وبعوثه إليهم، وهذا منا استناد إلى النصوص التي اطلعنا عليها في تاريخ الخزرجي وفي قرة العيون للحافظ الديبع المنشور بتحقيقنا فإنهما ينقلان عن كتابه المذكور بالنص والحرف فارجع إليهما تجد ما قلناه حقيقة ماثلةً.

وهذا المنتزع الذي نشره الأستاذ مصطفى حجازي حفظه الله من خير ما قدمه للمكتبة العربية إذ بعثه من العدم إلى الوجود، وكما يقال: شيء خير من لا شيء، فجزاه الله خيراً وجزى كل العاملين خير الجزاء.

أما المؤرخ الرابع المعاصر للمؤرخين الثلاثة المتقدمين فهو صاحبنا بهاء الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي المتوفى ٧٣٢هـ «اثنتين وثلاثين وسبعمئة».

وتاريخ الجندي هو الكتاب الذي بين أيدينا المسمى: (السلوك، في طبقات العلماء والملوك).

وهو الذي نهذبه وننقحه ونعلق عليه بما يليق به مراعاة لمقتضى الحال ولحجم الكتاب ثم ننشره للجمهور للاستفادة بما في مضامينه.

ومن حسن المصادفة أن المؤرخ جمال الدين، وبهاءالدين الجندي المؤرخين المذكورين من القسم الأسفل من اليمن، وعليه فقد اقتسم اليمنان قسمة سويّة غير ضيزى.

كما أن مذهبهما وعقيدتهما متساويتان لا تختلفان في شيء منهما فهما شافعيان في الفروع أشعريان في الأصول.

مميزات تاريخ الجندي

بيد أن تاريخ الجندي يمتاز عن تاريخ من سلف ذكرهم من المؤرخين المعاصرين له بمميزتين أو بفضيلتين:

١ - الفضيلة الأولى أو الميزة الأولى، أن الجندي جمع في تاريخه بين الأحداث التي تمثل التاريخ السياسي وبين تراجم رجالات العلم والفضل وذكر الرؤساء والأقيال الذين يمثلون كوكبة مضيئة من الهداة والأجداد في سماء الفضيلة والمكرمة، ومزج ذلك مزجاً محكماً متلاحماً وفياً بالمراد بحيث لم يأت من بعده من لحقه أو نسج على منواله، وهذا الامتزاج هو ما يعطينا اسم كتابه المذكور.

٢ - الميزة الثانية أو الفضيلة الثانية هي اهتمامه البالغ بضبط الأعلام الجغرافية والأعلام الشخصية ضبطاً يؤمن معه اللبس ويكشف عنها الغموض إلا ما شذ عنه وعز عنه وجوه الصواب.

وقد اقتدى الجندي بهذا الصنيع وهو ضبط ما ذكرنا بالقاضي الحجة أحمد بن محمد المعروف «بابن خلكان» المتوفى سنة ٦٨١ «إحدى وثمانين وستمئة» في كتابه «وفيات الأعيان» كما نوّه بذلك في صدر كتابه (السلوك). والتشبه بالكرام فلاح.

الطبقات واشتقاقها وأول من صنّف فيها

تأسّى الجندي بتأليف طبقاته بالسلف الصالح من العلماء الذين ألفوا مؤلفاتهم باسم الطبقات.

ولعل اشتقاق الطبقات التي هي جمع طبقة - من المطابقة التي هي الموافقة أي أن طبقة هذا العالم أو الرئيس موافقة في التسلسل الزمني لطبقة فلان العالم وموافقة له في العصر والزمن وإن لم تعرف سنة مولده ولا سنة وفاته وإنما تؤخذ من الذي عاش فيه فليس متقيداً لا بالولادة ولا بالوفاة.

وأول من صنف الطبقات فيما أظنُ هو العالم واصل بن عطاء المشهور بإمام الاعتزال المتوفى سنة ١٣١هـ «إحدى وثلاثين ومئة»، ومؤسس طائفة المعتزلة، واسم كتابه «طبقات أهل العلم والجهل» ثم تتابع العلماء في هذا المضمار.

منهم محمد بن سعد بن مطيع المشهور بكاتب الواقدي المتوفى سنة ٢٣٠هـ «ثلاثين ومئتين» من الهجرة وكتابه (الطبقات) المطبوع سجل حافل بالتراجم والأنساب

والتاريخ منذ فجر التاريخ الإسلامي مبتدئاً بأخبار صاحب الرسالة محمد رسول الله ﷺ وأخبار وتراجم الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى أيامه.

ثم الحافظ الشهير أبو زكريا يحيى بن معين المُرّي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ٢٣٣ «ثلاث وثلاثين ومئتين» من الهجرة، وتوجد منه نسخة في المكتبة الظاهرية بدمشق، وموضوع كتابه في تراجم المحدثين، وتاريخ حياتهم.

ومنهم المؤلف «خليفة الخياط الشيباني المتوفى سنة ٢٤٠ «أربعين ومئتين» وكتابه منشور وقد مزجه بين التراجم والأحداث.

وهكذا تسابق العلماء في كل زمان ومكان باذلين كل جهد في إنارة الطريق وإضاءة معالم العرفان وتوسيع دائرة المعارف. ولو أردنا تعداد مؤلفي أصحاب الطبقات على اختلاف نحلهم ومذاهبهم وهوياتهم كمثل طبقات الشافعية وطبقات الحنفية وطبقات الحنبلية وطبقات القراء وطبقات الأطباء ونحو ذلك لطال الشوط فنقتصر على ما ذكرنا.

وأول من أدلى دلوه بين الدلاء من اليمنيين، وأسهم في تأليف الطبقات وكرع من معين صاف هو المؤرخ الكبير أبو الغمر مُسلّم بن محمد بن جعفر اللحجي المتوفى حوالي سنة ٥٥٠ «خمسين وخمسمئة» فإنه وضع كتاباً في التاريخ أسماه (طبقات المطرفية) تناول فيه علماء المطرفية وبعض الأحداث. والفرقة المطرفية منشقة من الفرقة الزيدية الهادوية، نسبت إلى الإمام الحجة المطرف بن شهاب الشهابي الكِنْدي المتوفى في أوائل القرن الخامس الهجري وخالفت بآرائها ومعتقداتها، الفرقة الزيدية الهادوية المسماة «بالمخترعة» ولسنا بحاجة إلى تحليل مذهب هاتين الفرقتين فقد أفردنا لهما تأليفاً أسميناه «الفرقة المطرفية باليمن» وتعرضنا للفرقة المخترعة تبعاً لذلك والشيخ مُسَلّم المذكور هو من قسم اليمن الأعلى لا كما وهم ياقوت الحموي في معجمه أنه من «لحج» المخلاف المشهور في منتهى جنوب اليمن.

وقد عرّفنا بطبقات مُسَلّم ـ الإمام المجتهد الحجة محمد بن إبراهيم الوزير المتوفى سنة ٨٤٠ «أربعين وثمانمئة» في كتابه (العواصم والقواصم في الذبّ عن سنة أبي القاسم) حيث قال في معرض كلامه عن إجماع العترة وأنه لا ينعقد إجماعهم دون معرفة أقوالهم: «بل ليس للزيدية وسائر الشيعة تهمة في تدوين أخبار سادات أهل البيت وعلماء شيعتهم من أهل مذهبهم دع عنك غيرهم، ولا علمت لأحدٍ في ذلك

مصنفاً إلا ما صنّفه مُسَلّم اللحجي المُطرفي من كتاب «الطبقات» ولقد أجاد فيه لو استوفى لكنه اقتصر على أهل مذهبه».

هذا وقد عثرنا على شطر صالح من «طبقات مُسَلّم» فإن مد الله بالعمر ومتعني بسمعي وبصري وقوتي فسأقوم بتحقيقه ونشره، وما ذاك على الله بعزيز.

وثاني اليمنيين الذين ضربوا بسهم وافر في تأليف الطبقات، هو أبو حفص عمر بن علي بن سمرة الجعدي الجندي المتوفى سنة ٥٨٦ «ست وثمانين وخمسمئة» فزمَنهُ وزمن مُسَلّم متقاربان، وابن سمرة من اليمن الأسفل، وعليه فقد تعادل اليمنان واقتسما الفضيلة، وكانا كفرسي رهان وإن اختلفا في المبادىء والأهداف، فمُسَلّم اقتصر على رجال أصحابه من الفرقة المطرفية، بينما ابن سمرة تناول من أيام البعثة النبويّة ومن وفد إليه من رؤساء اليمن ومن أرسل إليهم من معلمين ومرشدين وقضاة كما تناول أيام الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية وشطراً من الدولة العباسية وسلسل أحاديثه بتراجم من اتسم بالفقه والمعرفة من الصحابة والتابعين وترجم لعلماء وفقهاء القسم الأسفل من شافعية ومالكية وحنابلة وحنفية بإيجاز واختصار.

وقد قام بنشره وتحقيقه الأستاذ البحّاثة صديقنا المفضال فؤاد سيد المصري تغمده الله بواسع رحمته بحسن مساعي الأخ الشهيد الوزير الخطير محمد بن عبدالله العمري رحمه الله، وصار الكتاب في متناول الأيدي خصوصاً في طبعته الثانية إذ تلقاه اليمنيون وغير اليمنيين بترحاب وإقبال وإذاً فلا حاجة لزيادة التعريف بالكتاب المذكور.

على أن في طبقات ابن سمرة لمحات تاريخية على الأحداث السياسية لا يستغنى عنها، وهي بمثابة الشذرات الذهبيّة في القلائد المنظمة بنفائس الأعلاق وكالجواهر اليتيمة في العقد الفريد، وبحيث لا توجد في غيرها مما قد عثرنا عليه من تواريخنا، ويا ليته زودنا من معلوماته القيمة والبالغة في الثقة والدقة والأهمية المكانة القُصوى.

ومن رجالات اليمن المتأخرين ومن القسم التهامي نسج على منوال الجندي - الشيخ العلامة الحسين بن عبدالله الأهدل المتوفى سنة ٨٥٥هـ «خمس وخمسين وثمانمئة» في كتابه (تحفة الزمن، في تاريخ سادات اليمن).

دراسة تاريخ الجندي ومنهجه فيه

اقتفى البهاء الجندي في تاريخه سنن من عول عليه ونهج منهاجه ألا وهو شيخه وأستاذه المؤرخ عمر بن علي بن سمرة فإنه جعله إمامه وقدوته وترسم خطاه إلا أنه لم يقتصر على ما جاء في ابن سمرة بل توسع ما شاء له التوسع وأضاف معلومات قيمة زادت في حجم كتابه، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى أنه ذكر الباعث الذي حداه لتأليف كتابه «السلوك في طبقات العلماء والملوك» ومستهلاً بذلك في خطبة الكتاب وهي بواعث نفسية نبيلة وطموح يقصر عنه همة المتطاول.

إضافة إلى أنه مدح التاريخ وأنه تقييم لحياة السلف من خير وشر ليقتدي الخلف بالخير الصالح بما ورثه من سلفه من القيم المثلى والأخلاق السامية وينبذ ما سواه من أخلاق الرذيلة والأمور الدنيئة بل ينسفها نسفاً ليكون قدوة صالحة وأسوة حسنة فلا يكون لعنة الدهر وسبّة الأجيال ونتن الزمن.

كما أبان أن فائدة التاريخ تُنتزع منه العظمة والعبرة فينتفع بها ويترك ما عداها على أن العمل بالأحسن والأمثل هو الذي يرشد إليه القرآن الكريم الذي قرع أسماع البشر بما قص عليهم من أخبار الأمم الماضية والقرون الخالية.

ويومىء مرشداً إلى ذلك إلى أن الخلود الصادق هو خلود الذكر الحسن في هذه الحياة الفانية مشيراً إلى قوله تعالى على لسان إبراهيم خليل الرحمٰن عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْ لي لِسَانَ صِدْقٍ في الآخرِيْنَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

ويفسِّره بقوله: إن معناه اجعل لي جاهاً وحسن صيتٍ في الدنيا والآخرة فأحبّ أن يكون من هذا الرعيل.

ويجيء في المرتبة الأولى والحافز الملح في تأليف كتابه هو حبه لوطنه منوهاً إلى ذلك بقوله ﷺ: «الإيمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية».

فهو أولى بالاقتداء بالعمل بأخبار النبي ﷺ وآثاره.

ولم يمر بسلام دون أن يستملح قول ابن الرومي في مقطوعته الرقيقة في حب الوطن.

وهو مع ذلك حافظ للعهد ـ وحفظ العهد من الإيمان ـ بالوفاء بحقوق شيخه أبي الحسن الأصبحي فيشيد بذكره في مقدمته بالكلمة المتمثل بها «مَنْ إشارَتُه حكم

وطاعته غنم». وأن شيخه المذكور كان أحد المحبّذين له في كتابة تاريخه والمشجعين له بالتأليف. وحرصاً منه على منهجه التاريخي فإنه رتب تاريخه على قسمين: القسم الأول تراجم العلماء والفقهاء ومن جاء على شاكلتهم من الأعيان والرؤساء معلّلاً وجه تقديمهم على غيرهم بما لهم من المزايا الجمة التي منها امتداح الله جل ثناؤه للعلماء في غير ما آية وكذلك ما جاء في السنّة النبويّة إلى غير ذلك.

ويجد مرتعاً خصباً في تراجم العلماء فيسلسل ذلك إلى من اتسم بالعلم والمعرفة من ذريتهم ليلحق الأواخر بالأوائل مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَأَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَتهم﴾ [الطور: ٢١].

والقسم الثاني، وهو في المرتبة الثانية، ذكر الملوك المرتبط بهم التاريخ السياسي معلّلاً أن بهم نظام الحياة واستقرارها وبوجودهم يستتب الأمن وعلى أيديهم يقمع الفساد ويكف عادية الدعار ويأمن الخائف إلى غير ذلك من«درء»المفاسد وجلب المصالح للأمة إن كان يؤمن بشريعة السماء وبوحي القرآن الذي جاء على لسان صفوة خلقه وخاتم رسله محمد بن عبدالله ﷺ وإن كانوا عكس ذلك فإنهم مصدر الشقاء والفساد ومنهم مظهر الخوف وانتشار الفوضى.

ثم يسوق أحاديث فيهم ومن أقوال الحُكماء والعلماء ومن جملة ذلك بيتان للإمام الحافظ عبدالله بن المبارك المشهور والمتوفى سنة ١٨١ «إحدى وثمانين ومئة». مبتدئاً بمبعث النبي ﷺ ونسبه وقصة حياته بإيجاز وينخرط إلى فقهاء الصحابة ومن دخل اليمن منهم كمثل أبي بكر الصديق في زعمه تبعاً للرازي. وقد فندنا هذا الزعم في تعليقنا على هذه الفقرة في مكانها ومثل علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل الأنصاري وأبي موسى الأشعري وانسجم كلامه إلى فقهاء التابعين وتابعيهم إلى انقضاء الرعيل الأول والصفوة المختارة حسبما أخذ على نفسه بقوله: وبدأت بالعلماء الراشدين الخ وثنيت«ب»ذكر الملوك الخ.

وأول شيء من ذكر الملوك وهو التاريخ السياسي ـ ذكر عمال النبي ﷺ وإرسالهم إلى اليمن، ثم عمال الخلفاء الراشدين مع لمحة وجيزة عن حياتهم وما قاموا به من أعمال وما وقع من أحداث. ثم أتبع ذلك بعمال الدولتين: الأموية والعباسيّة إلى أن ذكر دولة بني زياد بتهامة ناقلاً ذلك عن «مفيد عمارة» الذي ناقشناه في التعليق وحكمنا على أوهامه بالبطلان والسقوط.

ثم ذكر دولة آل يعفر التي بدا اليمن في عهود استقلاله وانسلاخه عن جسم الدولة العباسيّة.

ثم يذكر القرامطة بقيادة علي بن الفضل الحميري وحسن بن فرج القرمطي الملقب بمنصور اليمن وينتهي به الشوط إلى نهاية ابن الفضل وأولاد منصور اليمن ويعيد الكرة إلى ذكر العلماء والفقهاء ومن يستحق الذكر من الأعيان والرؤساء، وهكذا دواليك إلى أن يجيء ذكر دور الملوك.

وهو لم يكلفنا عناء ومشقة البحث وراء مصادر كتابه إذ قد أرسى دعائم مراجعه على كتابين رئيسيين غزيري المادة.

في الطليعة (طبقات ابن سمرة) الذي اتخذ منه مَادة رئيسية لكتابه «السلوك» كما جعله قدوته ليهتدي به واعترافاً من الجندي بجميل ما قدمه ابن سمرة لوطنه فقد ترجم له وأشاد بذكره.

ويليه في الأهمية (تاريخ صنعاء) لأبي العباس أحمد بن عبدالله الرازي المتوفى تقريباً سنة ٤٦٤ «أربع وستين وأربعمئة» الذي حشر في كتابه كل غث وسمين، وقال فيه الجندي في ترجمته: وحقق فيه جماعة من أهل العلم غالبهم من «صنعاء والجند» وأورد لهم من الآثار كثيراً وحقق لهم من أحوالهم بخلاف ما ذكره ابن سمرة وذكر أنه انتفع بتاريخه.

ومن الغريب أن الجندي سها عن عنوان واسم تاريخ الرازي وعنوانه (تاريخ صنعاء) بل ذكره باسم تاريخ أبي العباس الرازي.

وهو عالة في المادة التاريخيّة البحتة على (تاريخ صنعاء) لإسحق بن يحيى بن جرير الصنعاني الزهري المتوفى تقريباً سنة ٤٤٥ «خمس وأربعين وأربعمئة» فهو والرازي متقاربان، ويقول عنه الجندي: وهو كتاب لطيف الحجم، فيه فوائد جمة: «وعندي منه كراريس مبعثرة» استفدنا بها في المراجعة والتعليق.

وجعل من كتاب (كشف أسرار الباطنية) لمحمد بن مالك بن أبي القبائل الحمادي المعافري الذي كان موجوداً في أواسط القرن الخامس الهجري - مادة خصبة في أخبار الباطنية.

واعتمد على تاريخ نجم الدين عمارة اليمني المتوفى سنة ٥٦٩ «تسع وستين وخمسمئة» المسمى كتابه (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) الذي نشرناه في عدة

طبعات ـ في الكلام على دولة بني زياد بتهامة ومواليهم وعلى بعض من ترجم لهم من أعلام الرجال وشعرائهم.

هذه أهم مراجعه التي اعتمد عليها فيما يختص بتاريخ ورجالات اليمن، أما ما عدا ذلك فإنه اعتمد بالدرجة الأولى على ابن خلكان السالف الذكر والذي تحدث عنه بقوله: «ثم تدعو الحاجة إلى ذكر أحد ليس من أهل اليمن فآخذ ذلك في الغالب عن كتاب للقاضي أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان المعروف بوفيات الأعيان.

وما عدا ذلك فينص على المصدر باسمه مثل «صفة الصفوة» لابن الجوزي الآتي ذكره في صلب الكتاب، وطبقات أبي إسحاق الشيرازي الآتي ذكره وغير ذلك.

ولما استهل القرن السابع الهجري ونضب معين مراجعه وأجدبت مراتعه ولم يجد ما يستلهم منه مادته التاريخية خصوصاً ما يهمه ويتعشّقه وهي تراجم الأعلام والأعيان، جرّد من عزمه عزماً وشمّر تشمير من لا يعرف الونى ولا الملل ولا تدركه السآمة فزمّ ركائبه وحجز حقائبه وقام برحلات شاقة ومضنية إلى أصقاع مختلفة من أنحاء اليمن وأماكن بعيدة منه تراه في سجله التاريخي غير مُبالٍ بما يَكتنف رحلاته من مخاوف وأخطار ومهالك ونهب إعمار كما حدثنا عن سفره إلى مخلاف وصاب وغيره.

وقد جاءت رحلاته بثمار يانعة وفوائد نافعة أضفت على تاريخه ألقة لَامعة في جمع كوكبة من الأعلام فاتتْ على ابن سمرة وألقت أضواء كاشفة في حياتهم وتاريخ مواليدهم ووفياتهم، ومقاطيع شعرية ووصف شيّق وخبر طريف وحكايات مستملحة.

ولم يقتصر في رحلاته على جمع المعلومات وتوفير المادة التاريخية بل ضاعف جهوده في زيادة معارفه وتنمية مداركه واقتناء الشوارِد والأوابد، فأخذ قراءة وسماعاً وإجازة عن أساتذة جلّة يحملون علماً جمّاً من كل فن كما حاول أخذ الأسانيد العالية والروايات الصحيحة.

وهو بدوره وفي نفس الرحلات كان يعقد مجالس التدريس ومحافل المذاكرة أينما طاب له المقام وحط عصا التسيار فأفاد واستفاد وصار له مشايخ في تلك البقاع وله تلاميذ وذكر ذائع.

ورغم قساوة الأسفار في ذلك العصر وإلى السبعينات من عصرنا فإن الجندي كان يستصحب كتبه الضنين بها، التي كان يرى مفارقة الحياة ولا مفارقتها، حرصاً منه

على الاستفادة منها وملء أوقات الفراغ بالاشتغال بها.

والخلاصة أن مؤرخنا الجندي بذل المزيد والمزيد من الأتعاب بعرق الجبين وكد اليمين، ولم يقل يوماً ما لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً بل قال: «لقد لقينا من سفرنا هُدى ورِيًّا وشِبْعَاً من زاد المعرفة» ورجع كما قال الشاعر:

ويرجعن من دارين بُجْر الحقائب

وهو يرشدنا إلى أن قيامه بالرحلات كان للاستفادة بالأسفار، وإن الإنسان يجني من ورائه كل خير وفائدة مستشهداً بالأبيات المنسوبة إلى الإمام الشافعي التي أولها:

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسَافر ففي الأسفار خمس فوائد

ولا ريب أن للأسفار فوائد كثيرة ولهذا حضنا الله جل شأنه على السير في الأرض وأرشدنا إلى ذلك في غير ما آية منها: ﴿**الذِيْ جَعَلَ لَكُمْ الأرْضَ ذلولاً فامْشُوا في مَنَاكِبِهَا، وكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وإليه النُّشُور**﴾ [الملك: ١٥].

ولو لم يكن من فوائد أسفار الجندي إلاّ التقاؤه أيضاً (بتاريخ صنعاء) لابن جرير الصنعاني الزهري فهو أول من نوه به فيما أعلم والتقاؤه بتاريخ الرازي وذلك حينما دخل صنعاء سنة ٧٢٤ «أربع وعشرين وسبعمئة».

ومن حرص الجندي على تجميع الفوائد أنه إذا أعجز عن السفر والوصول إلى غايته راسل أهل المناطق النائية ليوافوه بما لديهم من المعلومات عن العلماء وأخبارهم.

ولأمانة العلم التي تحمّلها الجندي واعترافاً منه بالجميل لم يكتم اليد التي أسداها إليه شيخه عثمان بن محمد الشرعبي المترجم له في أثناء كتابه وما قدم له من مادة تاريخية كان له الفضل في الاستعانة بها ألا وهو أن ناوله دفتراً حافلاً بتراجم (علماء تعز) إذ رأى في الجندي العالم النشيط والقوي الأمين وأنه حامل رسالة يؤديها كما ينبغي؛ كما أدرك أنه أعطى القوس باريها والبيت بانيها.

ومما يسترعي الانتباه أن صَاحبنا الجندي لم يهتم بتراجم الأدباء والشعراء إلا ما جاء عفواً أو على طريق القافية كما قيل: ولو اهتم بذلك لجاءنا علم وافر، وكم يترك حسرة في نفس القارىء حينما يذكر مقطوعة شعرية من قصيدة ثم يقول: وهي كبيرة بينما لا نجدها في غيره ويترجم لشخص ويقتصر على قوله: أنه كان شاعراً مفلقاً، ولا يورد من شعره شيئاً وكذلك قال في مصنعة «سير»: وقد قيل فيها أشعار كثيرة لم يورد

منها ولا مقطوعة ولعل له عذراً وأنت تلومه وهو أنه قد قصر كتابه بقوله: «طبقات العلماء والملوك» فإن صاحبنا الجندي مفعم القلب بالفقه والحديث وغيرهما ولم يلتفت إلى بضاعة الشعر وإن كان يستملح منه ما طاب له كما أن والده يجيد الشعر.

ومؤرخنا رحمه الله ولوع بشدة وبشكل جديّ وكبير بذكر كرامات الأولياء والمنامات والمرائي الخلاّبة التي هي أغرب من الخيال وتلحق بقسم المستحيل وبحديث خرافة.

وكان يصدر أحكامه بتلك الكرامات عن عقيدة راسخة لا تقبل الجدل والمناقشة وعن نفس مؤمنة بذلك خصوصاً إذا تلقاها عن الثقات فإنها تصير عنده من القطعيات.

والحق أن أكثرها بالخرافات أشبه وبخرق العادات أعلق وبالبله السذَّج ألصق لأن البعض منها يخرجها عن حد المعقول إلى حيِّز المحَال والتجديف، على أنا لا ننحي باللائمة على مؤرخنا الجندي الذي انساق وراء هذه العاطفة الروحَانية الزايفة لأن الوسط الذي كان يعيش فيه الجندي كان ملغماً بهذه الخرافات ومنغمساً في هذا الجو القدسي في نظرهم كما سبقه إلى هذه غيره وسير الأئمة وغيرهم مليئة بهذه الحكايات.

خدعة الملوك

ومما يستغرب أن الملوك والرؤساء انجرفوا وراء هذه الظاهرة ومع السواد الأعظم وفي هذا المسار كما يحكي لنا الجندي في عدة مواقف عن ملوك عصره ومن قبلهم.

وأعتقد جازماً أن انسياق الملوك والرؤساء وراء هذه الروحانية الزائفة «خدعة سياسيّة» لا تمت إلى عقيدتهم بصلة، كيف لا وبعض الملوك مهزوز العقيدة مضطرب في الإلهيات. وإنما يقصدون من وراء ذلك تضليل العامة وجعلهم في متاهة الجهالات وحتى يبتعدوا عن تتبع مساوىء الحكام والبحث عن كبائر جرائمهم، وقد يكون البعض منهم صادقاً في ذلك والله من وراء العلم.

ويبدو أن هذه الظاهرة وهذه البلوى عمت جميع الأقطار الإسلامية، وما السيد البدوي والدسوقي والسيدة زينب وأضرابهم في القطر المصري والشيخ عبدالقادر الجيلاني والبسطامي وغيرهم في بغداد والنابلسي وابن عربي بالشام وقل في المغرب العربي وإفريقية المسلمة وإيران وغير ذلك إلاّ من هذا القبيل.

أمـا كرامـة أولياء بـلادنا اليمن الأعلى فهم الأوليـاء المسلحون الـذين يحملون السيف والرمح ويجالدون على الإمامة ويقاتلون دونها وذلك مثل الإمام الهادي والإمام أحمـد بن الحسين صاحب ذي بين وسيـل الليل أحمـد حسن وغيـرهم، والعجب أن تخرج من ثنايا هذا الصراع الدموي كرامات وعجائب وغرائب.

وتعليل هذه الظاهرة والموجة العـارمة التي نـزلت في بلاد الإسـلام، هو ابتعـاد المسلمين عن روح الـدين الحنيف الصحيـح الـذي جـاء عن محمـد بن عبـدالله ﷺ وأتبـاعه السلف الصـالـح من الصحـابـة والتـابعين، وبمـا أدخله أعـداء الإسـلام من الشوائب والبدع التي صدأت جوهره الصافي النقي وولـدت مثل هـذه القضايـا وكانت سبباً لتأخر المسلمين كما قيل.

وصدق رسول الله ﷺ: «لتتبعن سُنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه». هذا وليس هنا بسط القول عن هذه المسألة، فمن شاء معـرفة ذلك فعليه بكتب ابن تيميَّـة وكتب تلميذه ابن قيم الجـوزيّة رحمهمـا الله تعالى، وفي كتاب الله جل شأنه ما فيه مقنع، وحسبنا ذلك.

أسلوب الجندي الكتابي

أما أسلوب مؤرخنا الجندي فهو أسلوب العلماء السهل الممتنـع الذي لا تكلف فيـه ولا تقعر ولا صخب فيـه ولا شتـائم، هـادىء البـال، همّـه جمـع الفـوائـد وضم الشوارد. ولسلاستـه فقد كـان حيناً يستعمـل الألفاظ الـدارجة على الألسن حتى يـظن الظانّ أنها من العامية الصرفة، والحال أنها من صميم اللغة العربيـة الفصحى، إلاَّ أن بعضها لم يدون وعلى سبيل المثال.

«يشترغ بالماء إذا غص وشرق به» ومثل «قَذْوه وقِداه» أي قـدامه وأمـامه، ومثله «خزق العرض» أي ثلم عرضه وغير ذلك.

وقد وضعنا لهذه الكلمات فهرساً خاصاً ضمن فهارس الكتاب العَامة لأنهـا تزود الكتاب العربي مادة لغويَةً كبيرة.

ويلاحظ عليه أنه حينما يضبط آخر الكلمة يقول: مثلاً وآخرها عين ساكنة أو راء سـاكنة أو نحـو ذلك، والحـال أن آخر الكلمـة كما هـو معروف على حسب العـوامـل الداخلة عليها، ولعل ذلك منه سهو. وقد نبهنا إلى وهمه في أكثر الأماكن.

ومما هو جدير بالملاحظة أن الجندي سرد بحوث كتابه سرداً متواصـلاً سواء في

ذلك تراجم العلماء أو سير الملوك بدون أن يعقد لذلك أبواباً أو فصولاً كما فعل أستاذه ابن سمرة في طبقاته والرازي في تاريخه.

وقد قيل إن أبواب الكتاب وفصوله أشبه شيءٍ بالمراحل ومحطات السفر فالمسافر عندما ينزل في مرحلة يتزود من الطعام ويشرب الماء ويرتاح من وعثاء السفر ومشقة الحط والترحال ويريح غيره من الماشية كالإبل والخيل والبغال والحمير، والقارىء يتنسم بالقراءة أو المطالعة عند الفصل أو الباب ويعرف أنه قد انصرم من البحث الأول ودخل في موضوع آخر.

ويكفينا شرفاً الاقتداء بالقرآن الكريم حيث فصل مقاطيع السور وافتتاحيّاتها بالبسملة إيذاناً بانتهاء السورة الأولى ودخوله في أخرى، فهي أشبه بالأبواب والفصول. وعلى كلٍ فالكمال لله وحده.

ومن دقة إدراكه أنه حكى لنا الحالة الاجتماعية عند القضاة والوزراء وصور لنا منها صوراً ذات بال كما تعرض لبعض العادات الجارية في عصره بحيث يستغرب من مثله في ذلك العصر.

وأما نقده اللاذع لمن انحرف عن جادة الصواب والسخرية المؤلمة ليكون عبرة للأجيال فإنها في محزها مما يدل أنه لا يرتضي ذلك السلوك الذي يزري بالعلماء في حين يشيد بالملتزمين للطريق السوي والسبيل المرضي.

وهو لا يملك زمام حسن التصرف فيما ينقل عن كتب المؤرخين بل كيف ما اتفق، لهذا تجد الخلل والنقص في ذلك التصرف.

ومن دراستي للجندي استنتجتُ أن المؤلف الجندي بعد أن استقطب إلى كتابه (السلوك) كل المعلومات التي جاءت في تاريخ الرازي الذي انتهت حياته في أواسط القرن الخامس الهجري ما جاء في طبقات ابن سمرة الذي انتهت حياته في النصف الثاني من القرن السادس الهجري ـ وقف صامتاً إزاء رجالات علماء وفقهاء اليمن الأعلى الذي هو من المنحدرات الشرقية من «سمارة» جنوباً حتى منتهى اليمن شمالاً، وطوى عن ذكرهم صفحاً بينما خصّص قلمه في العصور التي بعد ذلك في رجالات علماء وفقهاء اليمن الأسفل الذي هو من قمة سماره شمالاً حتى منتهى اليمن جنوباً بما في ذلك قطر تهامة، وتطرق حديثه عن علماء وفقهاء مخلاف حضرموت.

ولعل مرجع هذا الصمت إلى ما رسخ في أذهان عامة الفقهاء لذلك التاريخ

وتغلغل في عقائدهم أن أغلبيّة القسم الأعلى قد خرج عن مذهب السلف وأهل السُّنّة إلى مذاهب أخرى.

تلك المذاهب هي إما سنيّة كاتمة أمرها في خوف وحذر، وإما باطنية وهي في نظر الجندي ونظر كثير من العلماء كالإمام الغزالي أنها ليست من الفرق الإسلامية فلا يجهد نفسه في غير ما طائل، وفوق ذلك فهي كاتمة أمرها متحفظة عن نشره والبوح به، ولهذا سميت «الباطنية» لأنها تظهر خلاف ما تبطن وإلى يوم الناس هذا، إضافة إلى أن ليس لهم سجّل تاريخي يرجع إليه في التراجم أو في غيرها.

وإما زيدية هادوية وهي محصورة في صعدة وباديتها وهي مناطق بعيدة عن المعترك العلمي والنشاط الفكري وما تسلل منها إلى صنعاء في ظروف غير معروفة فإنما التقت مع الباطنية التي تدعمها السلطة القوية، في ظل التشيع والولاء لأهل البيت في زعمهم.

ولكن نظرة الجندي إلى الطائفة الزيدية نظرة عطف وتقارب لا كنظرته إلى الباطنية نظرة سوء ومقت.

كما أنه يُعتذر للجندي حيث لم يسجل للطائفة الهادوية تراجم وحكايات ونظرات وفيهم الأفاضل والجهابذة والأعلام أنهم ليس لهم سجل حافل ولا غير حافل لرجالات علمائهم وفقهائهم، وقد سمعت فيما سقناه قريباً عن الإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير وما قال في الزيدية. (ص ٢٠، ٢١).

ومما يدل على صحة اعتذارنا للجندي أنه لما دخل صنعاء سنة ٧٢٤ التقى فيها بالفرق الثلاث: أهل السنة والباطنية والهادوية، الزيدية، فنوّه بجماعة من علماء الزيدية الهادوية وأثنى عليهم كما ترى ذلك بأمّ عينك، وإن كانت نظرة عابرة وموجزة فإنها تدل على حسن ظنه بهم وبجميل معتقده فيهم.

إضافة إلى هذا كله أن القسم الأعلى قد صار نهباً مقسماً بين المذاهب والنحل والساسة والسياسة والاقتتال وهو ما نذكره في البحث الذي يلي:

القلق السياسي والعقائدي باليمن

بمناسبة ذكر المذاهب الآنفة الذكر، ولما ذكره مؤرخنا الجندي في صُلْب مؤلفه تبعاً لأستاذه ابن سمرة في ذكر المذاهب، ومتى دخلت إلى اليمن كان من الضروري أن نبحث هذا الموضوع ونتحدث عنه بإسهاب إتماماً للفائدة وكيلا تتكرر المأساة أو

تكاد تصبح على الأبواب «فالتاريخ يعيد نفسه» ولو تحت مسميات أخرى.

لقد نعم اليمن كل اليمن في ظل الإسلام ردحاً من الزمن وعبر قرنين وزيادة وخلت ساحته من الصراع على السلطة، والتناحر القبلي لأسباب ذكرناها في التاريخ الكبير، حتى استهل القرن الثالث الهجري ونشب الخلاف العائلي بين الأمين محمد بن هارون الرشيد وبين أخيه المأمون عبدالله بن هارون الرشيد وأصبح التصدع والانشقاق في البيت المالك العباسي أمراً لا محيص عنه وفي عقر حاضرة الدنيا «بغداد» كما هو معروف.

ونتيجة لذلك التصدع والانشقاق وهت عضد الإسلام واستقلت بعض الأقطار النائية عن مركز الخلافة العباسية لبُعد تناولها كما أعلنت استقلالها كالدولة الساسانية فيما وراء النهر ودولة الأغالبة بإفريقيا ودولة آل يعفر باليمن وغيرها من الدول التي ليس هنا موضع ذكرها، ومن خلالها انتشرت المذاهب والنحل، ولا سيما في العراق إذ كان مبعث الآراء والأفكار ومنبع الألسن وتبلبلها كما قيل وكان مركز إشعاع قديم ومنشأ العقائد والمذاهب، فمنه نشأت الفرق الإسلامية وبه ترعرعت على اختلاف آرائها واتجاهات أفكارها وميول أهوائها ومنه انتشرت في العالم الإسلامي.

وأول الفرق - فيما أظن - هي فرقة الخوارج التي انشقت عن جيش أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكان خروجها من الكوفة وأمرها معروف وأخبارها مدونة ولم يبق منها غير فرقة «الأباضيّة» بعُمان وفي إفريقية.

وفي البصرة ولدت فرقة المعتزلة التي سبق التنويه بها، وقد انقرضت هذه الفرقة، ومنها ظهرت الفرقة الأشعرية على يد مؤسسها أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سالم بن إسماعيل بن عبدالله بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري المتوفى ٣٢٢هـ، وهذه الفرقة هي التي طبقت العالم الإسلامي، والتي لا زالت ظاهرة إلى يوم الناس هذا.

ومن الفرق الإسلامية: الجهمية والمرجئة والحشوية والماتريدية وغير هذه الفرق مما يطول تعدادها، ومن أراد أن يعرف ذلك فليرجع إلى الكتب المؤلفة كالملل والنحل لابن حزم والشهرستاني ورسالة الحور العين لنشوان بن سعيد الحميري، وغيرها.

هذا كله في المسائل العلمية العقائدية.

أما المذاهب العملية الفقهية والتشريعية والوضعية كالحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأوزاعية والظاهرية، فمن العراق وإلى العراق منشؤها ونسبتها ومخرجها وإن كانت المالكية نسبة إلى الإمام مالك بن أنس الأصبحي الحميري إمام دار الهجرة كان مبعثها من المدينة المنورة ولكنها لم تتبلور ولم تظهر كثيراً إلا من بغداد، والأوزاعية نسبة إلى الإمام أبي بكر عبدالرحمٰن بن عمرو الأوزاعي الحميري فإن منشأها بالشام ثم في بيروت، لكن المعترك المذاهبي هو العراق، وقد انقرضت هذه الطائفة كما انقرضت الطائفة الظاهرية المنسوبة إلى محمد بن داود الظاهري البغدادي.

وكذلك القول في نشأة العلوم الإسلامية كالتفسير والحديث والنحو والصرف والفلسفة ونحو ذلك من سائر العلوم فإن غالبها إن لم نقل كلها مبعثها من العراق.

وطبيعي أن الخلافة العباسية كغيرها ممن سبقها كالأمويّة والخلافة الراشدة كانت ترسل إلى الأقطار الإسلامية بما فيها اليمن ـ العمال والقضاة والجيوش وفيهم من يحمل هذه العقائد والمذاهب فيحصل التماسّ والعدوى كما هو طبيعي في لقاح الأفكار وتزاوج الآراء وامتزاج هذا بهذا والإنسان بطبيعته يحب أن يكثر أصحابه ويقوي مذهبه.

ظلت هذه المذاهب والعقائد مختمرة في رؤوس النابهين، والأفكار تتفاعل في ما بينها، ولم تبرز على السطح إلا في القرن الرابع الهجري.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري لم يشعر اليمن إلا بهزة عنيفة وزلزال شديد ألا وهو غزو مسلح بالعقائد من نفس العراق.

الأول من شمال اليمن، ويتمثل في الإمام يحيى بن الحسين العلوي الرسي الذي لقب بالهادي والمتشبع بآراء التشيع والمعتزلة الذي أخذ ذلك عن شيخه أبي القاسم البلخي.

والغزو الثاني في قلب اليمن وجنوبه ويتمثل في حسن بن فرج القرمطي وعلي بن الفضل الجدني القادمين من الكوفة ومن نفس العراق بمبادىء وعقائد هدامة.

وهذان التياران أو الغزوان هما اللذان عبّر عنهما ابن سمرة في طبقاته في ص ٧٥ بقوله:

«ثم لحق اليمن في آخر المئة الثالثة وأكثر الرابعة ـ فتنتان: فتنة القرامطة إلى آخر كلامه، والفتنة الثانية أن الشريف الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين دعا إلى التشيع وهذه الفتنة أهون من الأولى، وكان أهل اليمن صنفين، إمَّا مَفْتُون بهم وإمَّا خائف متمسك بنوع من الشريعة وهو الغالب وإما مالكي»اهـ.

ورغم هذه التيارات المتعاكسة المتضاربة فقد ظل اليمن صامداً أمامها لم تتزعزع عقائده أو يهدم بنيانه المتراص إلا بعد فترة متراخية.

وكان معتمدهم في الدراسة والتشريع والدستور هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه ولا من خلفه وإلا الكتب المعتمدة والمؤلفة في الأحاديث النبويّة، «كمثل جامع معمر بن راشد الصنعاني» المتوفى سنة ١٥٣ «ثلاث وخمسين ومئة» وهو أول من صنف في السنن من أهل اليمن ومثل «مُصَنف الحافظ عبدالرزاق بن همام الحميري الصنعاني» المتوفى سنة ٢١٠ «عشرة ومئتين» ومسند الحافظ عبدالرحمٰن الذماري المقتول ظلماً سنة ٢٠٠ «مئتين» ومثل سنن أبي قرة طارق بن موسى الجندي المتوفى سنة ٢٠٠ «مئتين» وكمسند محمد بن يحيى العدني المتوفى بمكة المكرمة سنة ٢٧٠ «سبعين ومئتين» وبرهان ذلك ما قاله الهمداني في الإكليل جـ ٢ / ١٨٤، في الكلام على الأمير الكبير محمد بن يعفر وابنه إبراهيم:

«وكان أبوه محمد قد خلع الإمارة وتدين وقرّب العلماء وسمع كتب عبدالرازق وغيرها».

هذا هو العمل السائد في العقائد والمقامات في عموم اليمن ما عدا حضرموت فالغالب عليها مذهب الخوارج.

ولما تغلغلت هذه المذاهب في النفوس بطبيعة التفاعل والامتزاج انبثق عنها في القرن الرابع الهجري مذاهب متشعبة فمن حنفية إلى مالكية إلى شافعية إلى هادوية في صعدة، والمذهب السائد هو مذهب السلف الذين لا ينتمون إلى أي إمام من أئمة المذاهب.

وفي مطلع القرن الرابع ظهر مذهب الخوارج في بلد حاشد ثم منها في ظليمة ونواحيها كشظب والشرفا ونحوها.

وفي أواخر القرن الرابع انشقت الفرقة المطرفية التي سبق التعريف بها عن الفرقة الهادويّة المخترعة وسميت بذلك لقولهم «باختراع الله الأعراض في الإسلام»

وقد فصلنا ذلك في كتابنا المذكور.

وفي الربع الأول من القرن الخامس ظهرت الفرقة الباطنية معلنة مذهبها ويدعمها السلطان.

وقبيل هذا بيسير وفي أواخر القرن الرابع ظهرت شرذمة قليلة تدعى «الحسينية» نسبة إلى الحسين بن القاسم العياني المقتول في «عرار» من البون سنة ٤٠٤ «أربع وأربعمئة» من الهجرة ولم تتجاوز بلاد الظاهر وقد اضمحلت منذ زمن.

وفي أوائل القرن السادس ظهرت الفرقة النشوانية المنسوبة إلى الإمام نشوان بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣هـ «ثلاث وسبعين وخمسمئة». كل هذه الفرق ذات المذاهب العقائدية وغيرها ظهرت في القسم الأعلى من اليمن وهي ظاهرة غريبة في هذه الساحة يتبعها ظاهرة الصراع السياسي ومعترك المنايا الذي يدور محوره في هذه المناطق، وقد أبدينا ملاحظاتنا لهذه الظاهرة في كتابنا التاريخ الكبير.

أما اليمن الأسفل والمناطق الأخرى فقد لزم أهله خطّاً مستقيماً لا ترى فيه عوجاً ولا أمتاً هو مذهب أهل السنة من مالكية وحنفية وشافعية وحنبلية في الفروع وحنبلية وأشعرية في الأصول.

كلمة المؤرخ يحيى بن الحسين القاسم

واسمع إلى كلمة المؤرخ المنصف العلاّمة الورع يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة ١١٠٠ «ألف ومئة» في كتابه طبقات الزيدية، لوحة ١٠٩.

«قلت وكان اليمن في هذا التاريخ وهو سنة «أربعمئة إلى خمسمئة» فيه اختلاف شديد في المذاهب واضطراب وفتن وشبه يوردها كل فريق فكان فيه الزيدية فريقان: مخترعة، ومطرفية. وفي اليمن الأسفل حنبلية وشافعية، ولما كان رأس خمسمئة فما بعدها غلب على اليمن الأسفل مذهب الأشعري لما خرج من الشام مع بني أيوب فإنهم أخرجوا معهم «المقالة القدسية» أول إحياء علوم الدين في عقيدة الأشعري فمال إليه أكثر الشافعية في ذلك الوقت لأن الأشعري في ثلاثمئة سنة وكانت وفاته سنة أربع وعشرين وثلاثمئة وبمذهب الأشعري ادعوا أن قد تخلصوا عن مذهب الجبرية لإثبات الأشعري للكسب بعد أن كان فيهم جبرية أولاً ولما ظهر من بطلان القول بالجبر وألزمهم بسائر العلماء مخالفة الضرورة ورد التكاليف الشرعية والأوامر والنواهي فهم أنكروا مقالة المعتزلة ثم أنكروا التجسيم موافقة للمعتزلة.

ثم اختلفت الشافعية باليمن فمنهم من قال بمقالة أحمد بن حنبل بأنَّ المشابهات تمر من غير تأويل مع الاعتقاد أن الله ليس كمثله شيء واحتجوا بقراءة الوقف على قوله: ﴿وَمَا يَعلم تأويله إلاّ اللَّهُ﴾ ومنهم من تأول ذلك كما يقول الأشعري، وجرت بينهم مناظرات في ذلك الزمن لا سيما العمراني الشافعي صاحب البيان» على مذهب الشافعي فإنه بني على أصول أحمد بن حنبل، والأقرب إلي مذهب المعتزلة من أهل السنة مذهبُ الحنفيّة فإن لهم في الأصول مذهباً مستقلاً توسّطوا فيه بين الأشعرية والمعتزلة كما قرره.. ابن الهمام في المسايرة والتنقيح، شرح التوضيح والله أعلم».

إلى أن قال: «فأمّا الزيدية فإنه بعد الاختلاف والافتراق استقر مذهبهم بآخره على أحد الفريقين وهي فرقة المخترعة، وزالت فرقة المطرفيّة، ولم يبق منهم أحد الآن.

وكان في اليمن في هذا التاريخ مذهب الباطنية وصالوا فيه صولة وفي غيره واستبدت شوكتهم وانتموا إلى إمامهم المهدي العبيدي وأولاده أهل المغرب وهم في ذات بينهم فرق».

قال الحوالي: هذا عارض من القول ذكرناه لما فيه من الفائدة، وإرشاداً لبني قومي أن يتجنبوا هذه الخلافات التي تجني عليهم وعلى الوطن العزيز بالويل والثبور، وليتبعوا سبيل محمد بن عبدالله ﷺ وسبيل أصحابه، فإن الخلاف لا يأتي بخير وهيهات أن يفعلوا.

وقد أطلت عليك أيها القارىء فأستميحك المعذرة.

عصر الجندي وملامحه

إذا قلنا غير مبالغين إن العصر الذي عاش فيه مؤرخنا «الجندي» ومنذ قيام الدولة الرسولية سنة ٦٢٦هـ من أحفل فترات التاريخ بالعلماء والفقهاء، والكرماء والأمجاد خصوصاً بالقسم الأسفل من اليمن وبتهامته وملحقاتها وأنه كان مليئاً بالمدارس ودور العلم والخزائن العلمية غاصاً بحلقات التدريس ومجالس العلم والمناظرات، والتأليف وغير ذلك من أسباب العلم والمعرفة والثقافة الواسعة، وأنه لم يشهد لها نظيراً في فتراته السالفة وكانت فترة خِصْب ونماء غلب عليه عنصر الخير والسلامة كما مد رواق العدل وسرادق الأمن على أكناف الجزيرة العربية كما سنرى ذلك في غضون الكتاب.

كما كان من أنضر عصور تاريخ اليمن فقد شهدت توحيد اليمن الطبيعي بأكمله شماله وجنوبه كما وحّدَه من قبلهم الدولة الحوالية اليعفرية والدولة الصليحية. وعلى رأسها الملك الصالح علي بن محمد الصليحي، ومن آل رسول الملك المنصور عمر بن علي وولده الملك المظفر يوسف وقبضا على ناصية الحكم حتى على الحرمين الشريفين وعلى ثالث مدن الحجاز وهي مدينة «الطائف» وثبتوا أقدامهم فيها برهة من الزمن ليست بالقصيرة وعيّنوا فيها الحكام ونصبوا فيها القضاة ونشروا في ربوعها العدل ووضعوا هنالك حامية لدرء خطر المصريين ولمقاومتهم وكبح جماحهم حتى لقد قال الملك الأفضل الرسولي في كتابه «العطايا السنية، والمواهب الهنيّة في المناقب اليمنية» إن جده الملك المنصور عمر مَلك إلى حدود «عَيْذاب» من الممالك المصرية وكذلك قال الفاسي في ترجمة عمر بن علي رسول ج ٦ ص ٣٤٣.

وفي الحرمين الشريفين وفي الطائف وطرقها أنشأوا مشاريع خيرية وعمرانية وثقافية فعمّروا السبل والسقايات للماء وبنوا المدارس لإلقاء الدروس العلمية على شيوخ العلم الذين انتخبوهم لنفس الغرض كما عمروا الرباطات للمهاجرين والوافدين ولأبناء السبيل وهي أشبه بالملجأ والمأوى للمقام بها والمبيت فيها، وأوقفوا لذلك أوقافاً جزيلة تدر بالأرزاق علاوة على ما يمنحونهم نقداً، ونصبوا للإشراف عليها قوّامين وولاة يديرون أحوال تلك المشاريع طبقاً لإرشاداتهم وتوجيهاتهم.

كما أصلحوا ما تشعث من الحرمين الشريفين وكذلك جامع الطائف واسم الملك المظفر فيه لا يزال بارزاً بالكتابة.

وزينوا الكعبة المشرفة بالذهب الإبريز وأهدوا إلى الحرمين الشريفين القناديل المصنوعة من الذهب والفضة لإنارتهما إلى غير ذلك من الحسنات والمبرات.

قال العلامة الفاسي في كتابه «شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام» وفي كتابه الآخر «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين»: «ولآل الرسول مآثر كثيرة بالحرمين الشريفين» وعدّدها فليرجع إلى الكتابين المذكورين إلى أن قال: «وأسماؤهم بارزة مكتوبة في تلك الأماكن الشريفة إلى يومنا هذا».

وفي تاريخ الكعبة المعظمة لحسين بن عبدالله باسلامة الكندي الحضرمي المعاصر ما يفيد أن بعض اللوحات التي هي من عمل ملوك بني رسول لا تزال ماثلة للعيان ونقل منها صوراً فارجع إليه فليس قصدنا الاستقصاء وإنما الإيماء إلى ذلك، هذا ما هو في جهة الحجاز خاصة في الثلاث مدن المذكورة.

أما من جهة داخل اليمن فقد شهدت نهضة شاملة في شتى الميادين من عمرانية وعلمية وثقافية وزراعية، كل ذلك لمّا ساد به الأمن، والاستقرار والرخاء خصوصاً اليمن الأسفل، والقطر التهامي، فإنهم شادوا المدارس في كل مدينة وفي القرى وخصوصاً المدن الأربع: عدن والجند وتعز وزبيد وملحقاتها وجلبوا إلى هذه المدارس العلماء الأعلام للتدريس بها وأغدقوا عليهم الأرزاق الوفيرة فهرع إليها الطلاب من كل حدب وصوب يعلّون وينهلون من مَنْهَلٍ عذب سائغ للشاربين كما أمّنوا لهم لقمة العيش فلا تسمع في تلك المدارس إلا أنها خلية من خلايا النحل لها دويّ كدويها في القفار.

ناهيك أنهم كانوا يبنون المساجد ويعينون فيها مدرساً ومعيداً وإماماً ومؤذناً ومعلماً وأيتاماً يعلمونهم القراءة، ومقرئاً يقرئهم القرآن مجوّداً بالقراءات السبع المشهورة.

ومن دقة ملاحظاتهم وإحسانهم أنهم كلفوا من يتفقد الأيتام الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم أن يُطَهّروهم بالختان، ويقوموا بالإشراف عليهم حتى يبرأوا وأوقفوا على كل ذلك ما يقوم لحاجياتهم وكفايتهم ومرتباتهم» من الأراضي والكروم: الأعناب والمستغلات من البنايات والحوانيت.

ولم تقف حسناتهم عند هذا الحَدّ بل شادوا المساجد المخصصة للعبادة والطاعة بفن معماري جميل وجروا إليها المياه العذبة كما بنوا حولها السقايات لشرب الناس، والأحواض لشرب الحيوانات السائمة وكذلك بنوها في الطرقات المنقطعة عن الحي والتي لا يصل إليها الناس إلا بشق الأنفس. وما زلنا نشاهد بقية السّواقي المقضضة والمجاري في كل منعطف ومنعرج إذ هي أثر من تلك الحضارات والمحاسن.

ورفعوا إلى جانب المساجد ـ المنارات الكبار والحسنة الصنع والمتقنة ورتبوا فيها المؤذنين ذوي الأصوات الحسنة.

ولقد حدثني الأخ العلامة أحمد بن علي بن عبدالكريم المجاهد التعزي سنة ١٣٥٦ «ست وخمسين وثلاثمئة وألف» بروايته عن تاريخ أو عن رواية ثقات «الشك مني» أنه لما أسرَ الملكُ المظفرُ يوسفُ ـ الإمام إبراهيم بن تاج الدين في قرية «أفْق» غربي مدينة ذمار سنة ٦٧٤، ونزل به إلى تعز صادف دخولهم إليها وقت الظهر والمؤذنون يؤذنون بالمنارات وإن أصواتهم غلبت أصوات الطبول: المرافع،

والزوامل، فلما سمع الإمام إبراهيم بن تاج الدين ذلك تعجب وقال: بهذا نصروا.

وقد ضاهى الملوك في هذه المبرات والمكارم مواليهم ،ونساؤهم ورؤساؤهم ومن انتسب إليهم فأسسوا المدارس والمساجد والمعالم: الكتاب وعملوا مثل عمل الملوك وأكثر وعمت هذه الفضيلة الحاضر والبادي وما على القارىء إلا أن يتصفح بإمعان تاريخ الجندي هذا الذي بين أيدينا وتاريخ الخزرجي وتاريخ الفاسي وهؤلاء ممن عاصروا هذه النهضة.

قال الحوالي: وإذا ما تأمل الإنسان بحقٍ إلى هذه الخيرات وإلى هذه الخدمات الإنسانية التي قدمتها الحكومة الرسولية من أعلى القمة. الملوك والرؤساء إلى القاعد: العبيد والموالي والنساء في أرض اليمن والتهائم نجد أن هذه الخصال الكريمة وإلى حد بعيد تشبه ما يسمونه اليوم الضمان الإجتماعي والرعاية الاجتماعية. وكل هذا مستلهم من وحي الدين والتعاليم الإسلامية، وأنه قد سبق العالم المتحضّر اليوم.

ومن الواضح أنه من جرّاء هذه النهضة العلمية ومن هذه الشعلة المتقدة كثر التأليف في أيامهم في شتى الفنون واقتناء الكتب والعناية بضبطها وتصحيحها من الغلط والتصحيف والتحريف. وكما كانت خزائن الكتب في المساجد والجوامع مبذولة للعارية كانت خزائن البيوت لأربابها مبذولة للاستفادة منها.

واشترك الملوك في انتهال العلم وارتشاف الفنون ونزلوا إلى مستوى التلميذ والطالب والعالم. وانظر هذه الحقائق في متن تاريخ الجندي هذا تجد الحقيقة ماثلة كخبر المنصور والمظفر والأشرف، والمؤيد مع تواضع جم وأخلاق عالية.

مؤلفات الملوك

إن الملوك نهجوا في تأليف الكتب منهجاً غير منهج الذين تخصصوا في علوم التشريع والمسائل الفقهية والأصولية والنَّحوية وغيرها من العلماء والفقهاء. وتلك التآليف هي في العلوم الإنسانية وما ينعش المجتمع ويرفه حياته ويُرقّي مداركه ويؤمن معيشته.

الزراعة

فقاموا بالإصلاح الزراعي وطبقوا ذلك عملياً وطلبوا البذور من الهند وغيرها وعملوا تجارب في حقول تهامة والأودية التي فيها الغيول: الأنهار، كعصيفرة والقصيبة

وورزان وغيرها فزرعوا في زبيد البر (القمح) والأرز وجاءت بمردودات نافعة جداً. كما استثمروا الفواكه في ثعبات وغيرها كالعنب والرمان والتين ذي الحجم الكبير وغيرها مما كانُ معروفاً في تلك الأيام.

وألفوا فيها مؤلفات عديدة احتفظ لنا التاريخ منها بكتاب (التفاحة في علم الفلاحة) للملك الأشرف الكبير عمر بن يوسف، وكتاب (بغية الفلاحين في الأشجار المثمرة والرياحين) للملك الأفضل وهو على وشك الظهور بالنشر والطبع، ومنها كتاب (الإرشاد) للملك المجاهد علي المؤيد.

الطب

ومن العلوم الإنسانية التي أولع الملوك المذكورون بالعناية بها والتأليف فيها علم الطب وهو علم الأبدان الذي يقولون عنه «إنه مقدم على علم الأديان» وكذلك كان لهم خبرة في علم النباتات التي تستخرج منها الأدوية والعقاقير.

وكان الملك الأشرف الكبير ووالده الملك المظفر يوسف هما الرأس في هذا الفن ولكليهما مؤلفات، فمن ذلك «المعتمد» المطبوع الذي نسب إلى المظفر وقيل إنه لولده الملك الأشرف عمر.

ومنها كتاب «الجامع» المنسوب للملك الأشرف.

ومما يدل على تفوقهما في الطب أن الملك المظفر يوسف كتب إلى الملك الظاهر «بَيْبَرس» صاحب مصر طلب منه طبيباً للعامة قال فيه:

«ولا يظن المقام العالي أنا نريد الطبيب لأنفسنا فإنا نعرف من الطب ما لا يعرفه غيرنا وقد اشتغلنا فيه من أيام الشبيبة اشتغالاً كثيراً، وولدنا عمر الأشرف من العلماء بالطب، وله كتاب «الجامع» ليس لأحد مثله».

وللملك المظفر كتاب (المخترع في الصنع) يبحث في الكيمياء والصناعات وتوجد منه نسخة في أبنوزيانه، بإيطاليا. وقد أخذ له فيلماً مصوراً الأخ العلامة إسماعيل بن علي الأكوع الحِوالي.

البيطرة

كما عنوا عناية تامة بالبيطرة وهي مداواة ومعالجة الحيوان خاصة «الخيل الجياد»، وممن ألف فيه ـ فيما أعلم ـ الملك المجاهد علي بن المؤيد ومؤلفه (الأقوال

الكافية والفصول الشافية) ومنه نسخة في مكتبة لندن، ذكر ذلك المؤرخ جرجي زيدان في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) ج ٣ ص٢٥٧.

كما ألف الملك المجاهد كتابه في الخيل وجيادها وشياتها وأسمائها وألقابها: وتوجد منه نسخة في خزانة الجامع الكبير بصنعاء الشرقية.

علم الأنساب:

علم الأنساب من العلوم التي اهتم بها علماء الإسلام وقبلهم العرب وعنوا بتدوينها والتأليف فيها لما لها من شأن كبير وخطر عظيم، وآل رسول اهتموا بهذا العلم اهتماماً لا بأس به، فالملك الأشرف الكبير عمر ألف كتابه (طرفة الأصحاب، في معرفة الأنساب) وقد نشر. وللملك الأفضل مؤلف مجموع بخط يده جمع فيه من العلوم الشيء الكثير كعلم النجوم والنحو والأشهر الحميرية القديمة، ومنها (بغية ذوي الهمم في أنساب العرب والعجم).

وللملك الأفضل من المؤلفات (العطايا السنية، والمواهب الهنيّة في المناقب اليمنية)، منه نسخة في دار الكتب المصرية ونسخة في تعز نحاول أخذها ونشرها إن شاء الله، وله (نزهة العيون في تواريخ طوائف القرون). قال في مقدمته: إنه بعد أن ألف العطايا السنية، أراد أن يستوفي الموضوع فألّف (نزهة العيون) في «٣٢» جزءاً ذكر فيه مشاهير الناس على اختلاف الأعصر والأمم ورتبه على حروف المعجم ولا نظنّ أنه استوفي لأن النسخة الموجودة في المكتبة الخديوية منه لا تزيد على خمسين وأربعمئة صفحة.

كذا قاله جرجي زيدان في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) ج ٣ ص ٢٠٥.

علم الفلك

ومما أجادوا في التأليف فيه علم الفلك الذي يقال فيه: «معشوق الملوك» فإن الملك المظفر له كتاب (تيسير المطالب في تسيير الكواكب) وكتاب الزيج المظفري المشهور. وفي الخزانة الظاهرية بدمشق توجد منه نسخة كما بلغ، وألف الملك الأشرف الكبير كتابه (التبصرة) وكذلك للملك الأفضل مؤلف في كتابه المجموع الذي ذكرناه قريباً.

ومما يلحق بعلم الفلك «علم الأسطرلاب» وهو آلة دقيقة محكمة الصنع لرصد

الكواكب وحسابات النجوم وتحولاتها ومنافعها، وكانت تعمل بمدينة «حرّان» من أرض الجزيرة الفراتية واتسعت في الدولة العباسية وزادت في أيام المأمون العباسي بالذات، فإن ملوك هذه الدولة كان لهم إلمام بهذا الشأن.

وكان الملك المؤيد داود بن الملك المظفر يوسف باقعة في حفظ العلوم وجمع الكتب النفيسة حتى بلغ مجموع ما في خزائنه مئة ألف مجلد، على اختلاف أنواعها.

ولا نعلم أن له مؤلفات، غير أنه اختصر كتاب «الجمهرة في البيزرة» وهو في علم الصيد وفنونه.

قرض الشعر

اشتهر في قول الشعر وقرضه من ملوك بني رسول ـ الملك المجاهد علي بن الملك المؤيد، فإنه كان شاعراً بليغاً وأديباً بارعاً له ديوان شعر لم نعثر عليه، ووالده المؤيد كان يعاني الشعر ويقوله.

هذا وقد تشاجر العلماء والمؤرخون فيمن هو أعلم من ملوك بني رسول، فمن قائل إن أعلمهم الملك الأفضل ومن قائل الملك المجاهد ومن قائل الملك الأشرف، هكذا ذكر الفاسي في تاريخه.

ومن حنكتهم السياسية أنهم منحوا القضاة الشرعيين حق استقلال القضاء والبت فيه وأنه هيئة مستقلة وسلطة تشريعية تنفصل عن الهيئة السياسية وهي المنفذة للأحكام ولا يرجع إلى الملوك إلا لدواعي الضرورة القصوى ولهم الإشراف الدقيق على هذه الهيئة فهم يعرفون عنها كل دقيق، وجليلة.

احترام العلماء وتقديرهم

من أبرز سمات هؤلاء الملوك أنهم يكرمون العلماء ويجلون الفقهاء على اختلاف هويتهم وأصنافهم، ويمتثلون أقوالهم ويعملون بنصائحهم وإرشاداتهم وينفذون آراءهم في درء المفاسد وجلب المصالح وما يرون فيه الخير والمعروف، كما كانوا يعطونهم عطاء من لا يخشى الفقر ويسامحون أراضيهم من الخراج أو الزكاة وتتسلسل هذه المسامحة إلى أولادهم وأحفادهم وهلم جَرًّا.

أما الوافدون من العلماء والسياح منهم فلهم معهم طرائق جميلة فينزلونهم منازل العز والكرامة ويغدقون عليهم «النُزُل» طيلة إقامتهم ويحاولون ترغيبهم بالبقاء

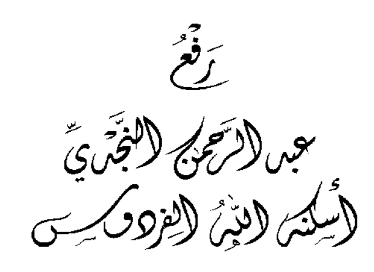
للاستفادة بمعارفهم ويغرونهم بشتى المغريات ويفسحون لهم المجال في الاختيار، كل ذلك بدافع الرغبة الرامية إلى معرفة حقوق العلماء وكسب حسن السمعة ومُضاعفة الأجر ونباهة الذكر بين الملوك العظماء من ملوك الإسلام وربما طلبوهم كمثل المحب الطبري الذي استدعاه الملك المظفر من مكة المكرّمة ليأخذ عنه الحديث فإنه بالغ في إكرامه ورأى من المظفر من التقدير له والاحترام ما أدهشه وأذهله.

وما قصة العلامة الفيروزبادي صاحب القاموس مع الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل التي حكاها لنا الحافظ شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني في كتابه (البدر الطالع، بمحاسن من بعد القرن السابع) ج ٢ ص٢٨٠ وغيره من المؤرخين إلا صورة حية من النماذج التي كانوا يعملونها.

ولما وفد الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٥ على الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل أنزله مقاماً علياً وعظمه وبجّلهُ ولما أراد العودة إلى مصر حباه «بمئة ألف دينار» وغيرها من التحف فلامه بعض خلصائه. فأجابه الملك الأشرف إنه جدير بالإعظام والإجلال لعلمه وفضله وتبحره بالعلم وليعلم ملوك الإسلام أن ملوك اليمن هم أسخى نفساً وأعظم جوداً وأكثر تقديراً واحتراماً للعلماء والأماثل منهم.

هذا قل من كثر وقطرة من مطرة ونغبة من بحر، وتأمل الجندي والخزرجي والفاسي واليافعي والله ولي التوفيق.

* * *



منهج التحقيق

لم أكن أعرف عن تاريخ الجندي شيئاً ولم أسمع عنه ما يرعى انتباهي حتى نزلت مدينة أب سنة ١٣٤١ «إحدى وأربعين وثلاثمئة وألف هجرية» وأنا في عنفوان الشباب وفي مجالس الأمير إسماعيل بن محمد باسلامة الكندي الحضرمي كنت أسمع عن تاريخ الجندي الكثير الطيبِ دون أن أراه أو أشاهده.

وفي الخمسينات من القرن الرابع عشر الهجري اطلعت عليه وشاركت في نقل كراريس منه للوالد العلامة يحيى بن علي الحداد رحمه الله حينما استعار نسخة مكتبة جامع ذي جبلة فعلقت في ذهني منه فكرةً متكاملة ثم طوته وطوتنا معه الأيام إلى منفى حجة وفيها التقينا بالتاريخ المذكور ناقصاً غَير كامل منحنا إياه عارةً أمير حجة المفضال عبدالملك بن عبدالكريم آل المتوكل رحمه الله فنقلت منه ما عنّ لي نقله إلى تعليقنا على «قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون» للحافظ الديبع المتوفى سنة ٩٤٠هـ الذي نشرناه ونفدت طبعته ونأمل من الله أن يسعدنا إلى إعادة طبعه، وقد أعيد طبعه.

وبعد خروجنا من سجن حجة بأعجوبة لم آل جُهْداً في البحث والتنقيب لتاريخ الجندي في الأواسط اليمنية وبين هيئة العلماء الذين يحصل الظن بل واليقين وجوده عندهم، وتحقق لدينا وجود عدة نسخ من التاريخ المذكور عند زمرة من الأصدقاء ومن يعز علينا أن نَسِمهم بميسم الخزي والعار أو نذكر أسماءهم وهم أعز الأصدقاء ومن أقرب ذوي القربى أو نشوه سمعتهم بوصمة تاريخية مدى الزمن على إصرارهم بعدم إعارة الكتاب، وهذا كافٍ في العتب عليهم وإلى الله المُشتكى.

كما رجعت إلى نسخة مكتبة جامع ذي جبلة السّالفة الذكر فقال لي حافظ المكتبة: إن النسخة بيعت، وما أدري ما المسوغ له على بيعها وهي وقف حرام التصرّف به.

ثم رجعت إلى فرعها الذي اشتركت في نسخ كراريس منها فقيل: طوحت بها طوائح الزمن.

هذا ولا غرابة في هذه الظاهرة اليمنية، فقد رماهم بهذه الظاهرة الوزير القفطي في ترجمة «لسان اليمن» للهمداني حيث قال:

«ولما دخل الحسين بن خالويه الهَمْدَاني النحوي إلى اليمن وأقام «بذمار» جمع ديوان شعر الحسن بن أحمد الهمداني وعَرّبه وأعربه، وهذا الديوان بهذا الشرح عند أهل اليمن «وهم به بخلاء».

هذا ولما لم أجد متنفساً في وطني العزيز يممت وجهي نحو قلب العروبة وقبلة العرفان: مصر العزيزة، ملتمساً نسخة من تاريخ الجندي فوجدت ضالتي المنشودة عند أمين مخطوطات دار الكتب المصرية صديقنا الأكرم الأستاذ فؤاد سيد، صاحب الفضيلة والفضل والمعروف الجزل أسبل الله عليه شآبيب رحمته وأغدق عليه وابل رحمته فإنه وايم الحق نعم الخل الوفي والصديق الحميم، زودني بكل ما في جعبته من التراث اليمني كما أسعفني فيما أحب وأرغب فصوّر لي نسخة مكبرة من تاريخ الجندي ثم جلدها تجليداً نفيساً وقدمها كهدية ثمينة، وكأنما أهداني الدنيا بحذافيرها ولم أستطع أمام هذه المكرمة الجليلة ومهما كان إسداء المعروف إلى قدره العالي وتقديم الوسيلة بين يديه والفتحة العاجلة إليه أو النفحة الطيبة لسيادته إذ أنا عاجز عن ذلك فقدره المعتلي أسمى وأجدى فجزاه الله أفضل الجزاء. وقد قال رسول الله ﷺ من قال لأخيه جزاك الله خيراً فقد بالغ في الثناء. ولما أزمعت على تحقيق الكتاب (تاريخ الجندي) دفعته للولد الأديب الكامل النبيل اللبيب يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد بن الحسن الجنيد السَّفالي الكلاعي الحميري ليخرجه بخطه الجميل الواضح لأن خط الصورة الفوتغرافية لم يكن خطاً واضحاً بل مقرمطاً نميماً متقارب الحروف، وفي بعض الصفحات طمس وبعضها أصابه البلل، رغم جمال خطه وقوته، فقام بالمهمة بنشاطه المعروف. وكما عودنا حفظه الله فيما أسلفنا من كتبنا المنشورة والمنوه باسمه الكريم في ديباجة كل كتاب، وفي آخره.

وفي بضعة أشهر قدمه إلينا بحلة قشيبة ووجه حسن وذلك في ثلاثة عشر دفتراً بين صغير وكبير، وفي ثمانمئة صفحة وثمانٍ وتسعين صفحة، وهو جهد مضنٍ وشاق لا يفي الشكر والثناء المشفوعين بكل تقدير لجهوده، ولكن حبه للعلم وشغفه لإحياء التراث اليمني هو الذي شجعه ويشجعه دائماً لمثل هذا العمل المبرور.

وعلى كل فجزاؤه عند الله هو غاية الغايات وخلود ذكره في صفحات الحسنات أمثل وأكمل.

والذكر للإنسان عمرٌ ثانٍ

وتوقفت ردحاً من الزمن لاختيار الطريق الأمثل لتحقيق الكتاب: هل أحققه على علاته وعلى هذه الصورة الفوتغرافية دون أن أرجع إلى نسخة غير ميسورة نابذاً الطريق العلمية المتبعة عند أفاضل العلماء الحاملين أمانة العلم بما فيها من معنى في توثيق الكتاب بعدّة نسخ وكما كان صنيع العلماء القدامى الذين كان دأبهم المقابلة على الأصول أو نحو هذا، أم أنتظر ما تأتي به الأيام رغم معاودتي لأولئك الأصدقاء المزعومين الذين أخفق مسعاي عندهم.

وبينما كنت أطالع مقدمة تاريخ مفيد نجم الدين عمارة اليمني للمستشرق «كاي» تعريب الأستاذ سليمان محمود الجهني المصري إذا وقفت في ص ١٨ منه على ما مثاله أنها توجد نسخة جيدة مخطوطة من تاريخ الجندي بالمكتبة الوطنية في «باريس» في مجلد كبير الحجم يشتمل على ٢٠٧ نسخ سنة ٨٢٠ تحت رقم ٢١٢٧» ووصفها وصفاً دقيقاً استهواني كثيراً ولكن: وأين مصر من ذمار؟

اقتحام العقبة

إن صدق العزيمة وخلوص النية تنفرج بها الأزمات وتذلل لها الصعاب، فقد عزمت أن أكتب لصديقي الأستاذ الفاضل البحاثة «يوسف شلحد» المقيم «بباريس» أن يتكرم بالتقاط صورة مكبرة فوتغرافية لهذه النسخة الباريسية مهما بلغت التكاليف والنفقات، فما هي إلا أيام قلائل حتى كانت النسخة بين يدي في ثلاثة قمطرات، وفي مقدمة الصفحة الأولى من النسخة ـ الإهداء بقلمه، فكدت أطير فرحاً لوصولها بهذه السرعة، كما عجبت لهذه المكرمة السخية، فجزاه الله خيراً.

وعلى هذين الأصلين، اعتمدت في تحقيق تاريخ الجندي «السلوك» مع الرجوع فيما أشكل وللتوثيق إلى المصادر المذكورة في ثبت المراجع وفي مقدمتها مراجع المؤلف الجندي نفسه المذكورة في ديباجة كتابه كتاريخ صنعاء للرازي وما عندي من ملازم وكراريس من تاريخ صنعاء لابن جرير الصنعائي الزهري، وطبقات ابن سمرة وتاريخ عمارة بإخراجنا وتاريخ العسجد للخزرجي مخطوط والعقود اللؤلؤية

في تاريخ الدولة الرسولية وتاريخ الفاسي العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، وشفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام وغير ذلك مضافاً إلى ما لدينا من معلومات ومعارف، وهذا كله في ما يخص تراجم العلماء وسير الملوك.

وأما الأعلام الجغرافية اليمنية التي جاءت في تاريخ الجندي فما كان معروفاً فلم نتكلف لها شططاً. وأما ما كان غير معروف فقد تجشمنا له المشاق بالبحث، والتنقيب ولو بشد الرحال، فعرفنا تلك البقاع تعريفاً كاملاً إلاّ ما شذ وصعب علينا الحصول على معرفته وهو النادر القليل.

التعريف بالنسختين المصورتين

إن التعريف بالنسختين المصورتين اللتين بنينا التحقيق عليهما هو أن إحداهما من دار الكتب المصرية أُخذت صورتها من استنبول كما سلف ذلك وهي التي أشرنا إليها بحرف «د» إشارة إلى دار الكتب المصرية وهي بخط جميل مقرمط الخط متقارب ولا تخلو من بعض هفوات وأخطاء لأنها لم تقابل على أصلها إذ لم يكن الاهتمام لذلك التاريخ بالمقابلة على الأصول، وإنما كانوا يهتمون بالمقابلة على الكتب الحديثة والفقهية التي تدر عليهم الأرزاق وتنهي كتابتها بقوله: انتهى الموجود في النسخة هنا بحمد الملك الوهاب، واتفق الفراغ من زبره وتمامه نهار السبت سابع شهر الحجة الحرام من شهور سنة سبع وسبعين وثمانمئة بحمد الله وكرمه ومنّه وحسن توفيقه على من لا يذكر اسمه معترفاً بذنبه إلى رحمة ربه، العرابي بن أحمد بن علي بن حسين الحلواني غفر له ولوالديه ومالكه ومستكتبه وسائر إخوانه الجميع آمين اللهم آمين».

وبعد هذا ما لفظه: الكتاب لمولانا وسيدنا وبركتنا العالم العامل الفاضل الصالح محب العلم وأهله». وهنا ما يشبه الكشط الدقيق، ثم قال مولانا العالم العلامة ثم كذلك كشط دقيق لا يظهر، ثم قال: نفع الله به وبعلومه وفسح مدّته وتقبل الله من سيدي ذلك وجعله له خالصاً لوجهه الكريم، ومقرباً إلى جنات النعيم ومدخراً إلى جنابه الكريم ومستشفعاً ومجاوراً لنبيّنا الكريم وصلى الله على الصحابة أجمعين (ثم بياض) ثم إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وفي الجانب الأيمن منه إزاء قوله: واتفق الفراغ ختم هذا نصه:

هـذا ما وقفـه الوزيـر أبو العبـاس أحمد إلى الـوزير أبي عبـدالله محمـد عـرف بكـوكبيلي أقال الله عثـارهمـا سنـة ١٠٨٨» ويـوجـد هـذا الختم في غضـون هـوامش صفحات الكتاب.

أما ديباجة هذه المصورة فهي التي عنونّا بها الكتاب فارجع إليه.

وفيه قوله: برسم مولانا أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصـره وهناك تمليك نصه بعد الحمدلة صار هذا الكتاب لمولانا السيد المقام السامي النبوي الإمـامي حـافظ الـدين المـطهـر بن أميـر المؤمنين حفـظهم الله وأصلح بهم أمـور المسلمين.

كما هنالك طوابع وخواتم غـامضة كتـابتها وكتب بجـانبها تمليكـات وكلها دون تاريخ فرجحنا إهمالها.

أما مصورة باريس، وهي التي أشرنا إليها بحرف «ب» إشارة إلى «بـاريس» وقد سلف الإلمـاع إليها، فـالكتابـة المدونـة على الورقـة الأولى التي كالغـلاف لهـا فغيـر واضحة لأنها عند طرف الورقة وطرف الورقة ممزق بعض التمـزيق وهي باليـة نوعـاً ما عليها لاصقات وبعد إمعان قراءتها فإذا هي:

من كتب العبـد الفقيـر أحمـد بن يحيى بن إسمـاعيـل بن العبـاس بن داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول.

فوالد صاحب الكتاب والكتـابة هـو الملك الـظاهـر يحيى بن الملك الأشرف إسماعيل الذي تولى سنة ٨٣١هـ ـ ٨٤٢هـ.

أما آخر نسخة «باريس» فنصها كما يلي:

انتهت نساخته إلى هنا وهو الموجود في النسخة، وكان الفراغ من نساختـه ظهر الاثنين تاسع شهر شعبان المبـارك أحد شهـور سنة عشـرين وثمانمئـة والحمد لله على ذلك كثيراً وسبحان الله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً وصلّى الله على سيدنـا محمد وآله وصحبه وسلم.

وقد دلّنا تـاريخ هـذه النسخة أنهـا أقدم من مصـورة نسخة دار الكتب المصـرية المتقدّمة الـذكر وأنهـا نسخت في أيام مـالكها أحمـد بن الملك الظاهـر يحيى أو أيام أبيه.

وخط نسخة باريس لا بأس به وأوضـح من نسخة دار الكتب وإن لم تقـابل، إلا

أن غالب حروفها مهمل بدون نقط ما كان معجماً، وعلى كل فقد جاءت النسختان المذكورتان إحداهما مكملة للأخرى فإذا وجد في إحداهما خطأ أو نقص وجدناه وافياً وصواباً في الأخرى.

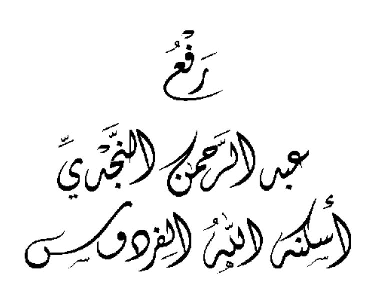
هذا ونحن بحمد الله انتهينا من زبر الكتاب «السلوك في طبقات العلماء والملوك» تأليف القاضي بهاء الدين أبي عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي رحمه الله والتعليق عليه في صبيحة يوم الخميس لسبع وعشرين مضت من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٠١ «الواحدة وأربعمئة وألف» من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم الموافق «٢» اثنين من شهر أبريل سنة ١٩٨١ «إحدى وثمانين وتسعمئة وألف» ميلادية وذلك بمنزلي جوار مشروع المياه وحيّ أحواض الملك الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل الرسولي بحبيل الجحملية، من أرباض مدينة «تعز» من شرقيها.

وقوبل هذا وروجع عدة مرات سائلاً من الله التوفيق والإعانة وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

وسبحان الله وبحمده وسبحان الله العظيم وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحِوالي

* * *



ترجمة بهاء الدين الجندي

اسمه، نسبه، مولده، نشأته، حياته العلمية، وفاته

اسمه

ترجمنا للجندي في تعليقنا على «قرة العيون» ج ١ ص ١٨. وقلنا:

هو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي الملقب بهاء الدين الفقيه الشافعي المؤرخ المشهور.

ومع الأسف فقد وهمت هنالك بالطبعة الأولى ـ ولا أدري من أين تسرب إليّ الوهم ـ باسم أبيه فجعلت والده «يعقوب» والحق أنه يوسف بن يعقوب.

وكان قد وهم قبلي المؤرخ السخاوي في كتابه «التوبيخ» وكذلك صاحب «كشف الظنون».

والصحيح أنه كما صدرناه «محمد بن يوسف بن يعقوب» لأن يوسف جاء مصرّحاً به في غضون كتابه «السلوك» في عدة أماكن كقوله: وتفقه عليه جماعة منهم والدي يوسف بن يعقوب» وأخبرني والدي «يوسف بن يعقوب»، وأنشدني والدي «يوسف بن يعقوب» مما لم يبق للوهم الذي تسرب إلى ذهني وسبقني إليه السخاوي وصاحب كشف الظنون ـ موضعاً للمناقشة ولا محلاً للإعراب كما يقول «النحويون» وكما جاء في ديباجة مصورة دار الكتب المصرية التي عنوناه على غرارها.

واشتهر «بالجندي» نسبة إلى مدينة «الجند» الأثرية كما ينص الجندي نفسه على ذلك في غير ما موضع من كتابه كقوله: وذلك بجامع بلدي «الجند» ونحو ذلك، لا أنه منسوب إلى البطن المشهورة في الأنساب.

«الجند بن شهر بن المعافر»

أما السكسكي فقد منحناه ذلك متصيداً من كلام الجندي نفسه في عدة مواضع

من كتـابه لأن مخـلاف الجند من قبيلة السكـاسك، ولا زالـت قبـائل فيـه تسمى باسم «السكـاسك وبني السكسكي إلى يـوم الناس هـذا وبـإجمـاع النسـاب وعلى رأسهم «لسان اليمن الهَمْداني».

كما خلعنا عليه نسب «الكندي السكسكي» إذ أن السكاسك هي بـطن من كندة كما هو معروف ومشهور.

وخلع عليه أهل زمـانه لقب القـاضي إذ طالمـا تولى القضـاء بالفعـل في مراكـز مهمة كموزع وغيره، كما كان يفض الخصومات ويحل المشكلات الشرعية بالتراضي والرجوع إليه في المعضلات، وحينئـذٍ فهو قـاض بالفعـل لا قاض بـالقوة على حسب تعبير المناطقة.

ولأن والده كان يمـارس منصب القضاء إضـافة إلى أنهـم بيت فقـه وقضاة شـرع كما ترشدنا حكاياته في مضامين كتابه.

كما منحه علماء عصره لقب «بهاء الدين» وهو حقيق بهذا اللقب وأنه قد ارتـدى وتأزر بالتقوى والدين وبهاء المعرفة والزهادة والعفاف وعزة النفس وعلوّ الهمّة وشفـافة الروح وعزوفه عن الدنيا.

أما نسبته إلى الشافعي فهي نسبة إلى مذهب الإمامِ محمـد بنِ إدريس الشافعي الذي ملك شغاف قلبه وأسر لباب لبه ولم يستطع عنه حولاً ولا عنه بديلاً.

وأما أنه مؤرخ فهذا تاريخه بين أيدينا شاهد على جليل أعماله وفضيلة ما جاء به وأنه زينة وجمال وبهاء الدولة الرسولية.

مولده

لم ترشدنـا المصادر إلى تحـديد مـولد صـاحبنا «البهـاء الجندي» لا بـاليوم ولا بـالشهر ولا بـالسنة، بـل أغفل ذكـر ذلك بـالكليّة، إلاّ أن الجنـدي ألقى بصيصـاً من الأضواء في كتابه «السلوك» عن مكان مولده بقوله:

«ولما نزل والدي «زبيد» وعين بمدرسته التي ولـدت بها، وهي مـدرسة الشيـخ عبدالله بن عباس...».

وقال في موضع آخر: إنـه زامل والـده في إحدى رحـلاته، وسنـه ثلاث عشـرة سنة.

من هذا نرى أن مولده في مدينة «الجند»، ويا ليته حدد يوم مولده والشهر والسنة ولكنه أغفل كل ذلك.

كما أرشدنا أنه قام برحلات مع والده مبكراً، مما أهّله فيما بعد لأن يضع كتابه «السلوك» برحلات هي أضنى وأشق.

وهنا ندرك ضعف الإنسان. ذلك أن «الجندي» لحقه الضعف البشري كسائر بني الإنسان فلم يترجم لنفسه سواء كان نسياناً منه أو فراراً من حب الظهور الذي يقال عنه: حب الظهور، قاصم الظهور. أو أنه فضل الخمول على الظهور على حد قولهم: رحم الله قبراً لا يعرف. وقولهم: السعيد من لا يذكره التاريخ.

وقد كان أستاذه «ابن سمرة» أبرع منه إذ ترجم لنفسه في أول مقدمة كتابه «الطبقات».

كما أن الجندي رحمه الله كبا كبوة الجواد ألا وهو أنه أهمل ترجمة والده ومن أعز من الأب وأحنى منه وكيف نسيه وهو بضعة من أبيه، وهو رجل العلم والفضل والزهادة والرواية والدراية والأديب والشاعر الذي يحفظ الشعر ويقرضه ويجيده وكان مدرّساً ومفتياً وقاضياً.

فرحم الله أبا عبدالله البهاء الجندي. لقد ترك في نفوسنا فراغاً كبيراً لمعرفة حياته وتطورها وكذلك حياة والده ولكن: سبحان المتفرد بالكمال، وسبحان ذي العزة والجلال.

دراسته، حياته العلمية، ومشايخه

إن الأبوين والمنزل أو البيت هما في الدرجة الأولى في تربية الطفل وتنشئته، صالحة ليخرج نباته طيباً يعبق بأريج فواح، والعكس بالعكس. وقد أومأ الحديث الشريف إلى ذلك مما لا حاجة لإيراده وقال الشاعر:

وينشأ ناشىء الفتيان فينا ... على ما كان عوَّده أبوه

ويقول حافظ إبراهيم:

الأمُّ مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعباً طيب الأعراق

ويلي ذلك في الدرجة الثانية البيئة والمدرسة فإن البيئة وهي الوسط الذي يعيش فيه الصبي محل لعبه وأطفال حارته وجيرانه له أثر كبير في تكوين طباع الإنسان

وكذلك المدرسة لاختلاطه بأطفال من غير حارته والطباع تسرق الطباعا.

وصاحبنا الجندي قد ولد في مدرسة العلم وتربى في كنف والديه وهما ما هما من التقشف في الحياة والزهادة، كما كان ملازماً لوالده سفراً وحضراً، ومن كان يحمل في طياته معاني العرفان تتجسد فيه روح القرآن وفي ربوة العلم وقرار التقوى والفضيلة وفي مدرسة مليئة بالأخلاق الكريمة فإنه حري أن يقوم على سنن مثلى ونهج مستقيم.

مشايخه

أما مشايخه في العلم فإن أول ما استقى معارفه من والده يوسف فرضع من لبان معارفه وغذي من درٍ عواطفه وحنانه، والأب لا يحب أحداً أن يكون مثله أو أحسن منه غير ولده فهو إذاً المعلم الأول مربي الروح والجسد الذي صار مربياً ومعلماً وأستاذاً ومهذباً.

ثم يأخذ في الصدارة من مشيخته أستاذه العلامة أبو الحسن علي بن أحمد الأصبحي الذي يذكره دائماً وفي مناسبات شتى وبكل تقدير وإكبار.

ومنهم شيخه أبو العباس أحمد بن بكر بن عمر المعروف بالأحنف.

ومنهم إسماعيل الفلهاني وهو من الوافدين.

ومنهم أبو العباس أحمد بن علي الحرازي.

ومنهم عثمان الشرعبي الذي ناوله كراريس من التاريخ الذي كان قد شرع في تأريخه واستفاد منه كثيراً وقد سبق الإلماع إليه كما أن هؤلاء وغيرهم من مشيخته قد ترجم لهم في كتابه هذا.

ومنهم أبو محمد عبدالله بن عمر بن سالم الفائشي وغيرهم كثير يطول تعدادهم وممن أخذ عنهم علماء وصاب والمخلاف، وفي رحلاته المتعددة.

ومن طموحات الجندي أنه متى سمع بقادم من العلماء وعرف هويته بادر سريعاً للأخذ عنه وتتلمذ له فوعى عنهم الشيء الكثير، وما عليك إلّا أن تترسّم خطاه في كتابه هذا لتعرف ما حكيناه عنه.

وإذا قلنا إن بهاء الدين الجندي لم يفارق الدرس والتدريس والإفادة والاستفادة والأخذ والعطاء ولا فارق كتبه الثمينة لا في الحضر ولا في السفر ـ من المهد إلى اللحد لم نكن من المبالغين وإن ذلك حصيلة عمره ونتيجة دهره.

تلاميذه

أما تلاميذه فالظن يغلب أنهم لا يحصرون لأنه درس في مدارس بلده الجند وفي مدارس عدن وتعز وغيرها وفي حطه وترحاله، ولكنه لم يقيد ذلك ولا اهتم بما هنالك شأنه شأن نسيان نفسه وأبيه.

ولاهتمامه بتحصيل العلوم لم يقتصر على تحصيل كتب متقنة الضبط مراجعةً على شيوخ مبرزين معتمد عليهم، ولو لم يكن من ذلك إلّا سنن أبي قرة طارق بن موسى الجندي لكفاه شرفاً.

علمه وزهده وورعه

لمثابرته في أخذ العلوم والفنون فقد صار وعاءً لها والوعاء السليم يحتفظ بما فيه فلا يخرج منها إلا بقدر وعلى حسب ما يريد ولا ينفق إلا طيباً فينفق الزهد والورع والإرشاد والإصلاح والعمل بعلمه حتى صار الزاهد المعروف، والعابد الموصوف، عزوف النفس عالي الهمة ذا أخلاق مثالية لم يمل به حب الحياة لا ذات الشمال ولا ذات اليمين ولا أغرته زخارفها فانغمس في وحلها وزلق في مهاوي ملذاتها بل كان بعيداً كل البعد عن ملاهي الحياة ومغرياتها.

لهذا تجده إذا ترجم لأحد من العلماء الورعين والرؤساء المقسطين والقضاة العادلين كيف يشيد بهم ويكثر الثناء عليهم ويضرب بهم الأمثال.

بينما ينحي باللائمة على من يخالف الخصال الشريفة والخلال الحميدة ويتبع غير سبيل الاتقياء والعلماء العاملين، ويمقتهم ويسجل هفواتهم ويقبح أعمالهم، كل ذلك ليهتدي الخلق إلى طريق السلف الصالح ويقتدي بآثارهم.

المناصب التي شغلها ونيطت به

هواية الجندي هي العلم والعلم وحده، فإذا جاءته مناصب منقادة طيّعة بدون طلب ولا إلحاح ولا وقوف على أبواب الملك قَبِلَها، لا سيما إذا كانت هذه المناصب تتعلق بالعلم، وكان ملوك بني رسول وقضاتهم يضعون ثقتهم بالقاضي بهاء الدين الجندي لما اشتمل بُرداه من التقوى الصادقة والأمانة المتفوقة والاستقامة الحقة.

ورغم قبوله لتلك المناصب التي ربما عدّها من المصائب وعبئاً ثقيلاً حمله ونكبة تجر عليه المحن والويلات فكثيراً ما كان يتأفف منها ويترفع عنها ويبرر قبولها بقوله: «ومحنت بالحسبة لكثرة عول، وعدم طول، مما يدل أنه لم يقبلها إلّا مضطراً

وهكذا دواليك (انظر ص ٥٠١).

فمن تلك الوظائف وظيفة التدريس وتصادف منه قلباً خالياً فدرس بمدارس عدن، وزبيد وتعز وبلده الجند، ومصنعة «سير».

ومنها وظيفة الحسبة وهي وظيفة حساسة فلا تودع إلاّ إلى رجل علم وتقوى وعفاف وأمانة وعدل وإنصاف لأنها تلامس حياة الناس اليومية ومعائشهم وتخالط مشاعرهم وأحاسيسهم.

فصاحب الحسبة يمارس معرفة الموازين والمكاييل والحفاظ عليها من الزيادة والنقص والتطفيف ومن الغش والخداع ومعرفة أسعار الحبوب وتسعير ما أمكن تسعيره على رأي بعض العلماء وكذلك الفواكه وغيرها ومنع تلقي الجلوبة إلى الطرقات والقبض على محتكري الطعام والمغالاة في الأثمان وتتبع اللصوص وأهل الدعارة والفساد وحل المسائل البسيطة التي لا تحتاج إلى ترافع ودرء عادية المظالم وغير ذلك مما يحتاج إليه المجتمع.

وقد عقد علماء الفقه للحسبة باباً في كتب الفروع الفقهية بيّنوا فيه وظائف الحسبة:

والحسبة هي أشبه بما يسمونه اليوم بالبلديات، ولكن شتان بين اليوم، والأمس البعيد.

وفاة الجندي

ذكرنا في ترجمة الجندي بقرة العيون ج ١ ص ١٨ أن وفاته سنة ٧٣٢ «اثنتين وثلاثين وسبعمئة»، ولعلي أخذت ذلك من كتاب «أنباء الغَمْر، في أبناء العُمْر» للحافظ بن حجر، وكذلك أرخ وفاته خيرالدين الزركلي في أعلامه وقال:

«واعتمدت فيه، أي في وفاة الجندي، على ما قيّده «علي خبري بن عمر المصري في ضياء العيون في الخزانة الزكية».

هذا ولقد تتبعت تاريخ الجندي خطوة وصفحة صفحة من أوله إلى آخره عدة مرات فوجدته أنه ألقى عصا تسياره فجأة وبغتة، ووقف وقفة أعياء ومشقة في سنة ٧٣٠ «ثلاثين وسبعمئة» حينما يسرد الحديث في قضايا وأحداث الملك المجاهد بدون أن يذكر نهاية تطوافه أو ينوه بنهاية أعماله الشاقة ولو بكلمة تؤذن بالنهاية وتشير إلى خاتمته بنحو كلمة دعاء أو نحو ذلك.

وعندي مناقش حول وفاته، ذلك أنه ذكر في ترجمة أحمد بن سخيم أنه قتل سنة أربع وثلاثين وسبعمئة، قتلته العوادر ظلماً وقبره بمقبرة «جرانع»، فهذا أمر يثير الشكوك والارتياب في تاريخ وفاة الجندي، وقال في ترجمة الفقيه أبي بكر بن أحمد بن عجيل أنه توفي على رأس الثلاثين وسبعمئة، وكذلك في ترجمة مكبر بن أحمد الوصابي. يقول: «وله أخ اسمه محمد، وهو حاكم بلده الآن باقٍ إلى سنة ثلاثين وسبعمئة ولنا مناقشات تركناها إلى الجزء الثاني إن شاء الله.

ومن الجدير بالذكر أن الخزرجي الذي يعترف بفضل جهود بهاء الدين الجندي ويصرح بقوله: إننا نَهَلْنا من فيض علمه الغزير وأتممنا بهديه ونسجنا على منواله لما جَرُؤنا على التوغل في هذا الخضم ولما قدرنا على أن نجد مكاناً نذكر عليه.

وقد استقريت الخزرجي في كتابه «العقود اللؤلؤية، في تاريخ الدولة الرسولية» الذي يختم آخر كل سنة بالأحداث، ثم يذكر حياة الأعيان والعلماء ولم أقف على جرة قلم منه في ذكر وفاة الجندي لا في سنة ثلاثين وسبعمئة ولا في سنة اثنتين وثلاثين ولا قبلها ولا بعدها وكذلك في كتابه «العسجد المسبوك» لم يمنحنا أي فائدة عن وفاة الجندي مما يدلنا على أنها انسحبت عليها طبيعة ضعف الإنسان كما أننا لا ندري أين كانت وفاة الجندي ولا في أي مكان مثواه ومرقده الأخير. ولم أجد ممن ترجم له إشارة إلى ذلك، إلا أنه يظهر من تسلسل الأحاديث التي كان يسوقها أيام المجاهد أنه كان في «بلده» «الجند» وأن روحه الطاهرة فاضت هنالك وقبر جثمانه في مقابر «الجند» والله أعلم.

هذا ومما نلفت نظر القارىء أننا لمحنا أن مؤرخنا الجندي رحمه الله نسي أو سها أن يجعل لكتابه أبواباً وفصولاً بل سرده سرداً متواصلاً وجعله مجلدة واحدة، الأمر الذي صار الكتاب معه ضخماً وكبيراً ولم يفصل بين تراجم العلماء وسير الملوك اللهم إلا وقفة عابرة غير ملفتة للنظر. لهذا رجحنا أن نجزئه إلى جزءين: الجزء الأول والجزء الثاني ونختم الجزء الأول بكلمة ونبتدىء بالجزء الثاني بكلمة كما نختمه بكلمة ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وإلى هنا انتهى رقم المقدمة وقد طال الكلام ولكنه لا يخلو من فائدة.

تحرر صبيحة يوم السبت ٢١ ذي القعدة سنة ١٤٠١هـ/ الموافق ٢١ سبتمبر سنة ١٩٨١م.

خويدم العلم الشريف

محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي

شكر وتقدير

«لا يشكر الله من لا يشكر الناس»

(حديث شريف)

نكرر الشكر، فالمكرر أحلى للذين سلفت منهم المساعدة بأياديهم البيضاء والمكرمة الجلى، فمنهم الأستاذ الفاضل «فؤاد سيد» رحمه الله الذي تكرم بالتقاط مصورة لنسخة دار الكتب المصرية لتاريخ الجندي، ويليه الولد الأمثل يحيى بن محمد بن محمد الجنيد الذي قام بنقل ونسخ مصورة دار الكتب وإخراجها إلى حيز الوجود.

ثم الأستاذ الصديق «يوسف شلحد» الذي أهداني مصورة باريس.

وهناك مكتب التعاون «بتعز» وفي مقدمته الولد النجيب بن عبد العزيز الحروي المعافري والولد النبيل عبدالله بن عبدالواحد المعافري الذي بذل من جهده وعرقه في طبع تاريخ الجندي بالآلة الكاتبة بتوجيهات محافظ لواء «تعز» الولد محسن اليوسفي عطفاً على توجيهات نائب رئيس الجمهورية السيد الأمثل والولد الكامل عبدالعزيز بن عبدالغني المعافري.

ولا يفوتني الأخوان الكريمان الشيخ أحمد بن عبدالولي الأشول والأخ محمد بن علي الأشول اليحصبيان اللذان ساعداني مساعدة تذكر بكل تقدير على مقابلة مصورة نسخة باريس على مصورة نسخة دار الكتب وتصحيح ذلك. فإلى هؤلاء جميعاً وإلى من غاب عني اسمه أزجي شكري العاطر وثنائي الجزل المستطاب المشفوع بكل تقدير وإكبار.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمٰن الرحيم
وبه نستعين

الحمد لله الملك العظيم، الأوّل الآخر القديم، باعث نبيِّه محمد مبرهناً طريق التحليل، والتحريم، وداعياً إلى الصراط المستقيم، فبلغ ﷺ الرسالة على التعميم، ونهج لمن تبعه الدين القويم، فوجب على الكافة تصديقه والقيام بواجب الصلاة عليه والتسليم، فله الحمد حمداً يخرج عن درك الإحصاء ويُرغم به أنف من جحد وعصى، وصلى الله على نبيه المصطفى صلاة أستأنسُ بها حين وحشة القبور، وأتميّز بها في الدارين عن أهل الويل والثبور وعلى جميع إخوانه من النبيين والمرسلين وآل كلٍّ والصحب أجمعين.

أما بعد لما[1] كان علم التاريخ من العلوم المفيدة والقلائد الفريدة موصلاً علم السلف إلى من خلف، مميزاً لذوي الهداية عن أهل الصلَف[2] يعيد ذكر الأعصار بعد ذهابها وينبه على خطئها من صوابها ويجدد أخبارها وآثارها، ويميز أخيارها من أشرارها، وحالها عن (أحارها)[3] فبه يستفيد الآخر عقول الأول، وبه يتميز أهل الاستقامة عن أهل الزلل، ثم يحمد به الناظر اللبيب قصده، وبه يعرف أبانا آدم ومن بعده، وإن تأخر عنهم وطال عهده ثم لولاه لجهلت الأنساب واندرست الأحساب ولم تفرق بين الجَهلةِ وذوي الألباب، ولَمَا عرف من[4] المتقدمين فضل فاضل على مفضول، ولا ميز بين سائل ومسؤول، ولولاه حقاً ماتت الدول، ولم يصل إلينا من أخبار الماضين غير الأقل، وفي ذكر أخبار المتقدمين من الإفادة ما شهد به نطق القرآن

(١) كذا في الأصلين بدون فاء التي هي جواب الشرط كما هو معروف.
(٢) الصلف: بالتحريك: معروف ومستعمل الوقاحة وقلة الحياء وفي «ب» ذكر الأعصار.
(٣) كذا في الأصلين بالمهملات.
(٤) «من» ساقط من «ب» وبه يعرف أبانا بزيادة الواو. كذا في «د» وفي ـ «ب»، وبه.

في قوله تعالى: ﴿وكُل نقُصّ عَليكَ من أَنْبَاءِ الرُّسلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾[1] ثم قد ذكر بعض أئمة التفسير في قوله تعالى: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾[2] أن معناه اجعل لي جاهاً وحسن صيت في الدنيا والآخرة يبقى أثره إلى يوم الدين، وطريق دوام ذلك إنما يكون من قبل التاريخ.

وذكر بعض العلماء المحققين أن الله أنزل في التوراة سفراً من أسفارها، مفرداً متضمناً أحوال الأمم السالفة ومدد أعمارها وبيان أنسابها، فلما كان كذلك وثبت في ذهني ذلك، ووقفت على ما أورده أعيان الأئمة وعلماء الأمة، مما رووه عن المختار، وقدوة الأطهار، من قوله ﷺ: الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية، أورده أحمد بن حنبل في مسنده والبخاري في صحيحه[3] يقول أتاكم أهل اليمن ألْين قلوباً وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية. وذكر مسلم في صحيحه[4] أنه قال ﷺ: جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، الإيمان يمان، والفقه يمان والحكمة يمانية.

ذكر بعض العلماء أن (الغرض)[5] بالخبر المذكور الثناء على أهل اليمن لإسراعهم إلى الإيمان، وحسن قبولهم له من غير حاجة إلى عسكر ولا قتال.

وذكر ابن أبي الصيف[6] في كتابه الميمون المتضمن لبعض فضل أهل اليمن أن القاضي أبا عبدالله الحسين بن علي الصيمري[7] ذكر في أخبار الإمام أبي حنيفة[8] وفضائله بسند إلى ابن عباس[9] قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاكم[10]أهل اليمن هم أرق قلوباً وألين أفئدة يريد «أقوام» أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم».

وذكر الرازي الآتي ذكره بكتابه[11]عن كعب الأحبار[12]أنه أدرك من عشيرته من

---

(١) هود - ١٢١. (٢) الشعراء - ٨١.

(٣) الإمام أحمد بن حنبل الشيباني والإمام البخاري محمد بن إسماعيل البخاري والإمام مسلم بن الحسين القشيري أشهر من أن يترجم لهم وربما تأتي ترجمتهم للمؤلف.

(٤) في «ب» زيادة أيضاً. (٥) ما بين القوسين ساقط من «د».

(٦) ابن أبي الصيف تأتي ترجمته للمؤلف.

(٧) كذا في الأصلين «الحسين» والذي في معجم البلدان وتاريخ بغداد «الحسن بن علي الصيمري لم يترجم له ابن خلكان وهو من أصحاب أبي حنيفة. وفاته سنة ٤٦٣.

(٨) تأتي ترجمة أبي حنيفة للمؤلف. وأبو حنيفة أحد أئمة المذاهب الأربعة المشهورين.

(٩) ابن عباس واسمه عبدالله أشهر من نار على علم.

(١٠) كذا في «د» وفي «ب» يأتيكم.

(١١) الرازي تأتي ترجمته للمؤلف كما ذكر واسم كتابه تاريخ صنعاء وقد طبع.

(١٢) كعب الأحبار هو ابن ماتع الرعيني تابعي ترجمنا له في الإكليل ج١ ص١٢٤ وقرة العيون ج١ ص٢٦

لقي سطحياً[1] وخبَّره أعقاب من لقي شقاً[2] أنهما سئلا عن كثير من أخبار اليمن فأخبرا بأحداث تكون فيها. منها أنهما قالا: باليمن ثماني بقاع منها أربع مقدسات، أو قالا: مرحومات وأربع محرومات أو قالا: مشئومات، وثمانية كنوز فالبقاع المرحومات مرامعين وبه الكثيب الأبيض وهو رباط يخرج إليه الناس إلى عصرنا هذا والجند، ومأرب وزبيد[3].

والبقاع المحرومات أو المشئومات خُتا: الجبل الأشهب سيد جبال النار قطب اليمن إذا سكن سكنت اليمن يكون فيه زلازل، وفي جوار فوهته دارت ست عشرة وقعة وتظهر فيه النار والخراب وتعوي فيه الذئاب ثم تعمر فيه الدور وتشيد فيه القصور ويؤهل فيكون مصراً من أمصار المنصور، ويسير بين يديه رجل من أهله كأن به راجلاً بين يديه، حافياً متذللاً له مسارعاً إلى طاعته نافذاً في أمره وتذل به الجبال من السهول، ويكون أشهر ما باليمن.

والثانية من المحرومات أزال والثالثة تهامة والرابعة المعافر[4] قال: وقال ابن يعقوب[5] وأما الذي كنت أسمعه[6] من شيوخ[7] الصنعانيين وعلمائهم أن الملعونات نجران وصعده، وأثافت وضهر ويكلا[8] وذكر عجائب كثيرة ليست من ملازم الكتاب فمن أرادها نظرها.

= وتأتي ترجمته للمؤلف وترجمته أيضاً في صفة الصفوة ج٤ ص٢٠٣.

(١) سطيح اسمه ربيع بن ربيعة الأزدي ترجمنا له في قرة العيون ج١ ص٢٧.

(٢) شق هو البجلي: جدّ خالد بن عبدالله القسري أمير العراقين ترجمته في قرة العيون ج١ ص٢٧.

(٣) زبيد كأمير المدينة المشهورة قصبة تهامة ويأتي ذكرٌ لهذه الأماكن وانظر الكلام على مأرب في الإكليل ج٨ ص٩٥.

(٤) أزال هي صنعاء. انظر صفة جزيرة العرب بإخراجنا وتهامة بكسر التاء: مشهورة والمعافر انظر صفة جزيرة العرب ويأتي لها مزيد ذكر وهي ما تسمى اليوم الحجرية، هذا وقد كان تصحيح ما في هذا من قوله: أنه أدرك إلى هنا من الجزء الثامن للهمداني الذي نقل الرازي عنه كما راجعنا تاريخ الرازي. أما في أصولنا للجندي فكان فيهما تحريف وتصحيف كما أنه ينبغي لك أن ترجع للثامن من الإكليل لتعرف الكلمات التي لم نفسرها ص١٩١.

(٥) قال الأولى يعود إلى الرازي، وابن يعقوب هو لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني المتوفى حوالي ٣٥٠ أو ٣٦٩ ترجمته في الإكليل وصفة جزيرة العرب وسرائر الحكمة هكذا في بعض الكتب تنسبه إلى يعقوب.

(٦) كذا في الإكليل وتاريخ صنعاء وفي الأصلين (سمعته).

(٧) كذا في الإكليل ج٨ ص١٩٤ وفي تاريخ صنعاء مشائخ وفي الأصلين ومن علماء الصنعانيين فقط.

(٨) كذا في الأصلين وتاريخ الرازي ص٢٤٠ وفي الإكليل نجران وصعده ويكلى فقط.

وكنت بحمد الله امرءاً «منهم مولداً ومنشأ»[1] «وانضاف إلى ذلك ما هو معلوم من حب الوطن عند الملا، ومتعارف بين الفضلا وله يقول ابن الرومي[2] شعراً:

وما الشوق للأوطان من أجل طيبها ... ولا شرف فيها وفضل مقام

ولكنه في النفس طبع لأجله ... يجادل في تفضيلها ويحامي

ومن ثَمّ يهوى الطفل في النفس أمه ... ويأبى سواها وهي ذات وشام

ومن غربة يبكي الجنين إذا بدا ... وقد كان في ضيق وفرط ظلام

فأحببت حينئذ وضع كتاب أجمع فيه غالب علمائه وأذكر مع ذكر كل ما ثبت من حاله مولداً ونعتاً ووفاة بعد أن أضمَّ إلى ذلك إشارة من اعتقد أن إشارته حكم وطاعته غنم[3] فاعتمدت ذلك متقرباً بالإشارة وراجياً من الله الإعانة. ثم عرض لي أن متى عرض مع ذكر أحد من العلماء ذكر أحد من الأعيان ذكرت من حاله ما لاق ثم أضفت إلى ذلك طرفاً من أخبار الملوك وجعلته مختصراً أريد بذلك جعل الكتاب جامِعاً لذكر الفريقين ورؤساء الدارين.

وبدأت بالعلماء لقوله تعالى: ﴿وَالمَلاَئِكَةُ وَأولـو العِلم﴾[4] وثبت عنه ﷺ (أنه قال)[5]: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[6] وأحببت أن أقدم نبذة من الأخبار دالة على فضل العلماء والملوك. فمن الدليل على فضل العلماء ما رواه أبو داود في سننه[7] بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله عز وجل به طريقاً إلى الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم وأن العالِم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف الماء. ولفضل العالم على العابد كفضل القمر على الكواكب، وأن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر.

قال الخطابي في معالمه[8] في معنى وضع الملائكة أجنحتها لأهل العلم ثلاثة

---

(١) أي أنه من اليمن.

(٢) اسم ابن الرومي علي بن العباس: شاعر مجيد وترجمته في ابن خلكان والأغاني وغيرهما وديوانه مطبوع ووفاته ٢٨٣ هـ ولفظ شعراً من (ب).

(٣) هو شيخه أبو الحسن الأصبحي الآتي ذكره.

(٤) آل عمران - ١ - ٨.

(٥) الزيادة من «ب».

(٦) هذا حديث ثابت في الصحيح ومما يجري على الألسن.

(٧) ترجمة أبي داود يأتي ذكرها للمؤلف.

(٨) تأتي ترجمته للمؤلف.

أقوال: أحدها التواضع والخشوع تعظيماً له وتوقيراً لعلمه كما قال تعـالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[1] وقيل وضع الجناح معناه[2] الكف عن الطيـران وألحق بالعالم جليسه لاستماع الذكر منه كما جاء في خبر آخـر: ما من قـوم يجلسون مجلس ذكر إلا غشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة.

قيل لعطاء بن أبي رباح[3] ما مجالس الذكر فقال: هي التي تعرف بها كيف تأكل وكيف تشرب وكيف تنكح وكيف تبيع وكيف تبتاع وكيف تقيم فرائض الله عليك وسنن نبيه ومتى جوازها ووجوبها ـ ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿فاسْألُوا أَهْلَ الذّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُون﴾[4] إذ لا يسأل الجاهل عن أمره الذي لا يعلمـه غير من يعلمـه فنزلت هـذه الآية على أن أهل الذكر هم العلماء.

والقول الثالث أن معنى فرش الجناح ليحمل الطالب عليه ليبلغه وطـره، ويقرب عليه البعيد من مقصده كما شاهد ذلك جمع من المتقدمين والمتأخـرين ونقل لنـا نقلاً متواتراً كما سنذكر ذلك في ذكر الحافظ العَرشاني إن شاء الله تعالى. وقوله وإنّ العَالِمَ يستغفر له من في السماوات و«من»[5] في الأرض حتى الحيتان في جـوف المـاء فكـان استغفـار أهل السمـاء لما لهم على ألسن العلمـاء من الذكـر بجميل الأفعـال واعتقـاد التفضيل لهم والتبجيل وتمييـز مقربهم[6] عن غيـرهم وأمد الأرض لمـا لهم على ألسن العلمـاء من التحليل والتحـريم والمستحب والمكروه في الآدميين ومن طـريق ذلـك، أمـره لهم بحقوق من ولـوا أمره بملك أو استحقـاق، وكيف صفة ذلـك، وأما الثـواب لفاعله والعقاب لتاركه ثم تعريفهم للمستباح منها أكولاً وحمـولاً وحلوباً وركـوباً، ومـا الذي يجمع ذلك كالإبل وما لا يجمعه ثم تعريفهم بما يحل وبـما لا يحل وكيف بيان تحليله من تحـريمه ومن قبيـل هذه الحيتـان، وذكر الشـارع ذلـك مبـالغـة واستقصـاءً واستغراقاً، إذ هم المرشدون إلى المصلحة في بابها، والموصون بالإحسـان إليها وأن لا تعارض عبثاً ولذلك ألهمت محبتهم والاستغفار لهم كما جـاء في الخبر والأحـاديث الدالة على فضل العلم وأهله يطول ذكرها.

---

(١) الإسراء ـ ٣٤.

(٢) وضع الجناح معناه من «ب» وزيادة والنزول عنه.

(٣) تأتي ترجمته للمؤلف.

(٤) النحل ـ ٤٣.

(٥) ما بين القوسين منا كما سبق الحديث.

(٦) كذا في «ب» وفي «د» معرفتهم.

ويذكر العلماء عن علي كرم الله وجهه[1] أنه قال: العلم ثلاثة أحرف، العين من عليين واللام من اللطف والميم من الملك فيبلغ بصاحبه أعلى الدرجات من العليين[2] والزلفى بها إلى اللطف في الدارين والملك فيهما. وعن بعض العلماء: العلم نزهة القلوب والأدب تحفة الألباب وأحسن ما وَعَى المَرْءُ في عمره علم يلبسه للزينة في العاجل وينتج عنه سعادة الآجل.

وانقضى ذكر ما أسلفته من الآثار في فضل العلم وأهله.

وأريد إتباع ذلك بمثله في فضل الملوك وهو آثار منها قوله ﷺ: السلطان ظل الله في أرضه يأوي إليه كل ملهوف.

قال الحريري في درة الغواص[3] معناه ظِلُّهُ السابغ على عباده المُسْبل على بلاده وقال بعض العلماء: الدين بالمُلك يقوى والملك بالدِّين يبقى، وإلى ذلك أشار عثمان[4] بقوله إن الله ليزعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن[5] ومن قبيل ذلك قول ابن المبارك[6]: الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى.

الله يدفع بالسلطان معضلة ... عن ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الشريعة لم تأمن لنا سبل ... وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

ثم قد ذكر العلماء لذلك أعني فضل العلماء من الملوك آثاراً يطول سردها ويسمج شرحها يعرفها العارف، وليس غرضي بوضع ما وضعت من ذلك إلا التنبيه والإذكار لذوي الأبصار، ثم تعريف الناظر أن ليس غرضي بذكر العلماء أخصّ المحققين منهم والمتسمين من أهل الفهم فيهم إذ ذاك يندر في كل جيل، لكن مرادي غالباً ذكر الفقهاء ومن رأس منهم ودرس وبالصواب أفتى وهدى إذ قال الزمخشري[7] العلم مدينة

---

(١) تأتي ترجمته للمؤلف.

(٢) بالألف واللام في «ب» وفي «د» بدونها.

(٣) الحريري هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري الأديب المستغني عن التعريف صاحب المقامات وملحمة درة الغواص وغيرها توفي سنة ٥١٦ «ستة عشرة وخمسمائة».

(٤) عثمان هو بن عفان الأموي الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين انتخب بإجماع الشورى وقتل سنة ٣٥هـ.

(٥) يزعُ يردع ويمنع.

(٦) ابن المبارك هو عبدالله بن المبارك الحنظلي جمع بين العلم والزهد وترجمته مشهورة وتوفي في شهر رمضان سنة ١٨١ «إحدى وثمانين ومئة».

(٧) الزمخشري هو محمود بن عمرو أبو القاسم جار الله لمجاورته في البيت الحرام الزمخشري المفسر

لها بابان أحدهما للدراية والآخر للرواية، فغرضي أن أذكر أهل البابين: الدراية، والرواية لا من حقق العلم وأكمل شروطه وتميز أهل زمانه وأوانه بل كما فعل ذلك من سبقني من المصنفين لذلك المطيلين منهم والمقصرين، ولو أراد أحد حصر تصنيفه بذكر من أكمل العلم معرفة لعجز. فإن ذلك أمر لاينتهي، والله يقول: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذي عِلْمٍ عَلِيم﴾[1].

قال المفسرون معناه فوق كل عالم أعلم منه[2] حتى ينتهي إلى الله مفيض ما يشاءُ من علمه على من اختص من خلقه، ومن ذلك ما روي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: العلم أكثر من أن يحفظ فخذوا عن كل عالم محاسنه[3].

وما روي عن جعفر بن الأشج[4] أنه قال: العلم كالمال متى كان بيد الإنسان منه شيء سُمي موسراً وكذا من حوى شيئاً من العلم سمي عالماً، وكذلك يحوي الإنسان مالاً كثيراً فلا يزاد على اسم اليسار، كما أن العالم وإن كثر علمه لا يزاد على العالم لكن يتميزان بالأفضلية فيقال أغنى من فلان كما يقال أعلم منه وإلى هذا المعنى أشار القائل بقوله:

من الناس من يُدْعى الإمام حقيقة ... ويُدعى كثير بالإمام مجازا
ولكن متى يخفى الصباح إذا بدا ... وحل عن الليل البهيم طرازا

ثم قد يقول جاهل أو متجاهل ما الفائدة الحاصلة في ذكر من أوردته وقص قصص من توخيته فأجبت الأول بالسلام[5] والآخر أن في ذلك فائدتين إحداهما ما ذكرت أولاً من ذكر القرآن للأنبياء وأممهم والقرون الماضية ومن تبعهم، والأخرى أن المتأخر متى وقف على خبر من تقدمه من الفضلاء أو سمع كيف تشميرهم وإقبالهم على العلم وطلبه تاقت نفسه إلى الاقتداء بهم والانسلاك في سلكهم والتحقيق

اللغوي صاحب التآليف الكثيرة التي قد طبع منها الكثير ترجم له ابن خلكان وغيره وكانت وفاته ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة من الهجرة في بلده زمخشر.

(١) يوسف ٧٦.
(٢) كذا في «ب» وفي «د» وفوق كل ذي علم عليم والصواب ما في «ب».
(٣) كذا في «ب» وفي «د» عن كل علم محاسنه.
(٤) لم أجد لجعفر ترجمة فيما بين يديّ.
(٥) كأنه أشار إلى قوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ الفرقان ـ ٣٦.

لتفضيلهم وتجميلهم وإلى ذلك أشار إمام الطريقتين أبو القاسم الجنيد[1] يقول الأرواح جنود مجندة من جنود الله يخفى بها من قلوب العارفين ويصفو بها أسرار المريدين فقد يحث الصالح الجبان إلى المعركة فرسان الطعان، ويهيج الحادي أشواق القوافل وإن كان عن معنى ما يأتي به غافل.

وذكر في صفة الصفوة[2] عن سفيان الثوري[3] أنه قال: جلست يوماً أُحدث في حلقة فيها سعيد بن السائب الطائفي[4] فجعل يبكي حتى رحمته ثم قلت ما يبكيك فقال ياسفيان: إذا سمعت ذكر أهل الخير، وذكر فعالهم وجدت نفسي عنهم بمعزل، وسئل الجنيد هل على كلامه الأول دليل قال: نعم قول الله تعالى: ﴿**وكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنباءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّت بِهِ فُؤادَكَ**﴾[5] فإذا كان تثبيت فؤاده ﷺ بأخبار الرسل، فكيف بمن عداه؟

ومتى ذكرت الفقهاء والأئمة المتبصرّين أوردت مع كلّ ما صحّ لديّ له من منقبةٍ أو نعت يحسن إيراده وإن لم يكن أهلاً لذلك كان إعراضي عنه كافياً وإليه يَقول:

ولربما كان السكوت عن الجواب جوابا[6]

مع أن المؤرخين قد شحنوا كتبهم بذكر العلماء وتاريخهم حتى قال المسعودي[7] عن جماعة منهم ذكرتهم لنقلهم السنن وحاجة أهل العلم وأصحاب الآثار إلى تحقيق[8] أحوالهم لأخذهم العلم عنهم والاستعانة بهم في دينهم ودنياهم

---

(١) الجنيد بضم الجيم تصغير جند هو أبو القاسم الجنيد محمد القواريري الزاهد الورع يضرب بزهده المثل ترجمته في ابن خلكان ج١ ـ ٣٢٣، وكانت وفاته ٢٧٧هـ وفي . . «ب» الحكايات جنود بدل الأرواح.

(٢) صفة الصفوة لجمال الدين عبدالرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي الحافظ الواعظ المتوفى سنة ٥٩٧هـ وكتاب صفة الصفوة مطبوع في أربعة مجلدات.

(٣) سفيان الثوري تأتي ترجمته للمؤلف.

(٤) سعيد الطائفي ترجمته في صفة الصفوة ج٢ ـ ٨٣هـ.

(٥) هود ـ ١٢.

(٦) كذا في الأصل وهو بعض بيت للشاعر المشهور الناشىء الأصغر وأصل البيت:

أو ليته من السكوت وربما ... كان السكوت عن الجواب جوابا

انظر ابن خلكان ج٣ ـ ٥١.

(٧) المسعودي هو علي بن الحسين ينتهي نسبه إلى عبدالله بن مسعود الصحابي الجليل وهو مؤرخ كبير وصاحب كتاب مروج الذهب وكتاب التنبيه والأشراف كلاهما مطبوع وباقي مؤلفاته ضاعت وكانت وفاته سنة ٣٤٦هـ.

(٨) كذا في «ب» وفي «د» حقيقة.

وأرجو أن الله قد عصمني عن أن أرتكب في كتابي هذا هواءً وأميز أحداً ممن ذكرته إتباع هواء وأعده من جملة الملاء، وليس لذلك أهلاً بل أذكر الفقيه بما ثبت له من تاريخ أبداً في أول ذكره بميلاده وأختم ذلك بوفاته ثم في أثناء ذلك ما صح لي من نعوت[1] ثم متى ولي أحد منهم قضاء وسار السيرة المرضية قلت مُحِنَ هذا بالقضاء، وإن لم أقل ولي القضاء سنة كذا من قبل فلان.

واعلم أني أخذت أخبار المتقدمين غالباً من أحد كتب ثلاثة أكملها في ذكر العلماء وتواريخهم كتاب الفقيه أبي حفص عمر بن علي بن سمرة[2] إذ ذكر غالب الفقهاء باليمن منذ ظهر به الإسلام إلى بضع وثمانين وخمسمئة ثم يقاربه كتاب أبي العباس أحمد بن عبدالله بن محمد الرازي أصلاً والصنعاني بلداً وهو كتاب يوجد كثيراً بأيدي الناس يقول في ترجمة كل نسخة الجزء الثالث من تاريخ الرازي ثم يذكر في غالب نسخه ما لا يوجد في النسخ الأخرى، وبحث جمع كثير من أعيان اليمن عن تحصيل النسخة بكمالها فلم يجدوا غير الجزء المذكور وبلغ فيه إلى ستين وأربعمئة تقريباً وحقق فيه جماعة من أهل اليمن غالبهم من صنعاء والجند وأورد لهم من الآثار كثيراً وحقق من أحوالهم. بخلاف ما ذكره ابن سمرة، ثم إني تتبعت كتابه فرأيت ما يدل على كمال مصنفه ونزاهته عما ينسب إليه أهل ناحيته من الاعتزال والقول[3] بخلاف ما صح عند أهل الطول فقد طالعت كتابه المذكور مراراً ونقلت منه إلى كتابي هذا أخباراً وأخباراً.

ثم يقاربه تاريخ صنعاء لابن جرير الصنعاني الزهري واسمه إسحاق بن يحيى بن جرير ينتسب إلى الأسود بن عوف أخي عبدالرحمٰن بن عوف[4] وهو كتاب لطيف الحجم به فوائد جمة، ثم يقاربه تاريخ عمارة الموسوم بالمفيد (في أخبار صنعاء وزبيد)[5] ثم تدعو الحاجة إلى ذكر أحد ليس من اليمن فأخذه في الغالب عن

---

(١) كذا في الأصلين ولعل هناك سقطاً ولعل العبارة أثناء ذلك أذكر ما صح لي من نعوت وفي «ب» من نعته بالإفراد.

(٢) تأتي ترجمة ابن سمرة للمؤلف وزاد في «ب» الجعدي.

(٣) كذا في الأصلين والاعتزال لم يغز صنعاء إلا في القرن السادس كما نبين ذلك فيما يأتي.

(٤) كذا لمح ابن جرير الصنعاني في تاريخه المذكور إلى أنه من أولاد الأسود بن عوف أخي عبدالرحمن بن عوف وأن للأسود صحبة وشهد مع علي وقعة الجمل، وولده عبدالله كان في اليمن وذلك أن لدي من تاريخه نبذة متناثرة فيها هذا الكلام.

(٥) ما بين القوسين ساقط من الأصلين والزيادة منا وتاريخ عمارة الذي حققناه وهذبناه ونشرناه ثلاث مرات ولله الحمد.

كتاب القاضي أحمد بن محمد بن إبراهيم[1] بن خلكان المعروف بوفيات الأعيان إذ لم يذكر من اليمن غير اليسير[2] وكان قاضي قضاة الشام معظماً عند العزيز[3] ثم عزل في أيام قلاوون الصالحي[4] لحَدث كان منه، وكتابه على الانقطاع نحو ثمانين سنة وستمئة[5] ثم من بضع وثمانين وستمئة[6] إلى وقتي سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة إنما أخذت الغالب عن أهل بيت ممن أدركته أو أدركت من أدركه، مع أني[7] لم أقصد في ذكر أحد رياء ولا أطريته مما يستحق من ثناء والله عليّ في ذلك من أكبر الشهداء، ولم أجبر على جمع ذلك إلا رجاء حصول أجر من الله وثواب، ومن أهل الإسلام دعاء مستجاب أو ثناء مستطاب، ثم تبركاً باقتداء أكابر من سلك من هذا المسلك وذكروا في فضلاء زمانهم ومن تقدمهم أقواماً يغلب على الظن أن في من تأخر جماعة يفضلون عليهم أو على كثير منهم بالعلم وربما تحقق ذلك في كثير ثم قبولاً لإشارة شيخي أبي الحسن الأصبحي وهو الذي ذكرت أولاً أن إشارته في حقي حكم وطاعته غنم، مع تعويلي على أنَّ مطالع كتابي هذا يكون معي عند تحقيقه لزلل كما قال تعالى: ﴿**وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ**﴾[8] وليكن كما قال الأول:

ويغضي عن الأشياء يعلم كنهها ... إلى أن يقول الناس ليس بعالم
وما ذاك من جهل به غير أنه ... يجر على الزلات ذيل المكارم

ثم متى تحقق خللاً فليصلحه بعد تحوط فإني قد أخذت ما أوردت من مظان جيدة ورحلت من الجند في طلب ذلك إلى نواح بعيدة ثم يعرض مع ذكر أحد من العلماء ذكر أحد من الأعيان فأورد من ذكره، ما يشفي النفس ويزيل اللبس على حسب الطاقة ومع ذلك فالأغراض في ذلك تبلغ أغراضاً مختلفة فقد من يريد[9] تاريخ

---

(١) كان في الأصلين عمر بن إبراهيم والتصحيح من المراجع الكثيرة ومن تاريخه وتأتي ترجمته للمؤلف.

(٢) لم يترجم ابن خلكان لرجالات اليمن لغير ثلاثة أبي عبدالله الشيعي الصنعاني صاحب المغرب وللملك الصالح علي بن محمد الصيلحي ولعمارة اليمني.

(٣) كل من ملك مصر لقب العزيز أخذاً من قوله تعالى: ﴿**يا أيها العزيز**﴾ والعزيز هذا لعله العزيز المملوكي.

(٤) قلاوون الصالحي اسمه محمد بن قلاوون الملقب الناصر توفي سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وفي كلام الجندي حول تولية ابن خلكان من محمد بن قلاوون نظر.

(٥) هذا وهم فوفاة ابن خلكان سنة ٦٨١هـ.

(٦) كان في الأصلين وخمسمائة وصححناه من عندنا.

(٧) كذا في «ب» وفي «د» ثم أنى.

(٨) النور ـ ٣٣.

(٩) كذا في الأصلين وهي لغة عامية مستعملة إلى عهدنا.

العلماء وقد يريد الملوك، وقد يريد الأعيان، والميل إلى الاختصار بقدر الاستطاعة.

ثم استفتح ذلك بحمد الله جاعل لحوم العلماء محرمة لأهل السَّفَهِ والشقاء فأعوذ به من حسد الحاسدين واعتراض المعاندين، ثم الصلاة على خير الأنبياء وجميع أخوانه منهم وآل كل والصحب على الاستقصاء.

ورأيت أن أوْلَى ما استفتح به الكتاب ذكره ﷺ إذ هو الموصل عن الله العلم بما أخبر فابتدأت حينئذ بنسبه ثم مولده ثم ما تحققته من أحواله بداية ونهاية على شرط الإيجاز والاختصار فيه ﷺ إذ به سلكنا الطريق، وحصل لكل مسلم التوفيق، ولولاه لم يكن في الأمة عالم استحسن ولا جرى ذكره في كتاب ولا بعده من الصواب.

وهو أبو القاسم، كنيته بولد له من خديجة رضي الله عنها جاءه قبل الإسلام محمد بن عبدالله. محمد اسم عربي يستعمله العرب في المستغرق للمحامد وسمي بذلك لأن أمه رأت في المنام قائلاً يقول لها إنك حملت بسيد هذه الأمة يكون مستغرقاً لجميع المحامد فسميه محمداً، وأما أبوه فقيل: كان اسمه عبدالدار وقيل عبدقصي، فلما فدي من الذبح سماه أبو عبدالله وهو أحد الذبيحين الذي جاء في بعض الأخبار عنه ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»، عنى أباه وجده إسماعيل وهو ابن عبدالمطلب، ويقال له شيبة الحمد أي شيبة الثناء[1] إذ ولد وبرأسه شيبة، ابن هاشم واسمه عمرو، وسمي هاشماً لكثرة ما كان يطعم قومه قال:

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وهو ابن عبدمناف واسمه المغيرة بن قصي سمي قصياً لأن أمه تزوجت في غير أهله فخرجت به معها صغيراً فلما كبر عاد بلده فَرَأس بها، وجمع بيوت قريش ولذلك كان يسمى مجمع بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وهذا النضر هو قريش فمن كان من ولده فهو قرشي وسمي به لأنه كان ذا غلبة وقهر من القرش (حيوان)[2] في البحر لأن له قهراً على غيره وقيل: لتجارته ويساره وتصغيره محبة، وسميت قريش الحُمْسَ أيضاً قيل: لتشددها في الدين خاصة وقيل لتشددها فيه وفي غيره وقيل من الحُمسة، وهي الحرمة فكان يقال لهم أهل

---

(١) كذا في «د» وفي «ب» ويقال له شيبة الثناء.

(٢) ما بين القوسين: ساقط من الأصلين والزيادة منا من المراجع وفي القاموس أو سميت مصغر القرش وهي دابة بحرية تخافها دواب البحر كلها قلت قال الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا

الحمسة أي أهل الحرمة.

وقال الخطابي سئل بعض العلماء: لم كانت قريش أفضل العرب، وهي قبيلة من مضر فقال: لأنّ دارها لم يزل منسكاً لحجّ الناس وموسماً لهم وموردأ لقضاء نسكهم وكانوا لا يزالون يتأملون أحوال الواردين ويراعونها يختارون أحسن ما يشاهدونه ويتكلمون بأحسن ما يسمعونه من لغتهم ويتخلقون بأحسن ما يرون من شمائلهم فبذلك وهو حسن الاختيار الذي هو ثمرة العقل صاروا أفضل العرب ثم قال[1] لما بعث الله نبيه ﷺ منهم تمت لهم به الفضيلة وكملت به السيادة وإنما صار دارهم حَرَماً لأن الله تعالى لما قال للسماوات والأرض ﴿**ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾[2] كان المجيب له بذلك من الأرض موضع الكعبة ومن السماء ما قابله فلذلك جعل فيه البيت المعمور، وهذا كلام دخيل، والحديث شجون.

نعود إلى بقية النسب، وكنانة هو ابن خزيمة بن مدركة واسمه عامر بن اليأس بفتح الهمزة ضد الرجاء، وقيل بخفضها موافقة للنبي ﷺ ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، النسب إلى هنا لا يَمتري فيه أحد، وما جاوز ذلك من النسابين من قال به وهم جماعة ابتدأت منهم بالإمام السهيلي[3] لجلالة قدره وشهرة معرفته فقال: عدنان[4] بن مقوم ـ بفتح الواو وخفضها ـ بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نبت بن إسماعيل الذبيح، الثاني على رأي جماعة كثيرين، واختار السهيلي أن العرب كلها من ولد إسماعيل الذبيح قال: إذ هم بنو نبت وبنو أيمن ابني إسماعيل، فالعدنانية بنو نبت، والقحطانية بنو أيمن. وقيل: قيدر بن نبت بن إسماعيل، ولولا الميل إلى الاختصار لشرحت ما شرحه السهيلي في هذا المكان، وإسماعيل بن إبراهيم ومعناه أب رحيم ولتحقق ذلك فيه جعله وامرأته سارة كافلي أطفال المؤمنين الذين يموتون صغاراً، ابن تارخ وهو أزر بن ناحور بن ساروح بن راغوا بن فالخ وقيل فالغ ومعناه القسّام لأنه قسم الأرض بين أهلها ابن عابر، وقيل عبير بياء مثناة من تحت بدل

---

(١) زيادة قال من «ب».

(٢) فصلت ـ ١٢.

(٣) السهيلي بضم السين المهملة وهو أبو القاسم عبدالرحمٰن بن محمد السهيلي الخثعمي الأندلسي أحد الأعلام له شرح على السيرة النبوية لابن هشام اسمه الروض الأنف طبع عدة طبعات كانت وفاته سنة ٥٨١هـ والسهيلي نسبة إلى جد له، والخثعمي نسبة إلى قبيلة خثعم اليمنية المشهورة، والأندلسي نسبة إلى الأندلس: اسبانيا.

(٤) أو «د» ساقط من «د».

الألف بن سالخ ومعناه الوكيل بن أرفخشد ومعناه مصباح مضيء، ابن سام بن نوح واسمه عبدالغفار وسمي نوحاً لكثرة نواحه على نفسه لتقصيره في طاعة ربه وهو ابن لامك: بفتح الميم وقيل بكسرها ابن متوشلخ بالشين المعجمة وقيل: بالمهملة واللام مفتوحة، وقيل بخفضها والخا معجمة وتفسيره مات الرسول إذ مات أبوه وهو في بطن أمه بن أخنوخ، وقيل خنوخ بحذف الألف وخاءين معجمتين بينهما نون مضمومة ثم واو وهو إدريس النبي ﷺ أول نبي خط بالقلم وأعطي النبوة بن يرد بن مهليل وقيل مهلايل ومعناه الممدوح، وفي أيامه ظهرت عبادة الأصنام ابن قينان بألف بين النونين وقيل: بحذفه ومعناه المستوى ابن نائش وقيل أنوش ومعناه الصادق بن شيث ومعناه عطية الله بن آدم سمي به لأنه خلق من أديم الأرض وكنيته عبدالمليك أبو البشر، وقيل: أبو محمد يعنون به نبينا ﷺ.

قال السهيلي وذكر الطبري[1] بين عابر وشالخ أباً سماه قينان وأن الله لم يذكره في التوراة لأنه كان ساحراً، وانقضى ذكر ما أردناه من النسب ولم يبق غير ذكر الأحوال والنعوت بألفاظ موجزة، فولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وقيل غير ذلك، وكان بعد هلاك أصحاب الفيل بخمسين ليلة ولد ﷺ مختوناً مسروراً فأعجب جده عبدالمطلب ذلك وقال: ليكون لابني هذا شأنٌ عظيم، واختلف هل كان أبوه إذ ذاك باقياً أم لا فقيل لا وقيل: نعم عاش شهرين بعد ولادته ﷺ وقيل: سنة، وأجمع المؤرخون أنه لم يبلغ الثلاث إلّا وقد عدم، وكانت أمه تقول: أتيت حين حملت به فقيل لي إنك حملت بسيد هذه الأمة فمتى وقع على الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمداً قالت فوالله ما رأيت حملاً قط كان أخفّ وأيسر ولادة منه. ولقد وقع واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء فظهر بميلاده ﷺ من العلامات، والبشارات ما يفوق العد كثرة، وتبادرت الكهان إلى مكة واتفقوا مع علماءِ اليهود على إعدامه فأعجزهم الله، ثم أول مرضعةٍ أرضعته ﷺ أمة ثويبة مولاة لعمه أبي لهب[2] وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة[3] ثم أم أيمن الحبشية

---

(١) الطبري هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري المفسر المؤرخ الكبير له ترجمة ضافية في كامل ابن الأثير وابن خلكان ج٣ ـ ٣٣٢ مولده سنة أربع وعشرين ومئتين بطبرستان وتوفي ببغداد سنة ٣١٠ عشر وثلاثمئة وتاريخه مطبوع.

(٢) ثويبة بضم الثاء المثلثة والواو وياء مثناة من تحت ساكنة ثم نون وهاء، ظلت في مكة وكان النبي ﷺ يواسيها وهو بالمدينة ولما فتح مكة سأل عنها وعن قرابتها فلم يجد لها أحداً. وأما أبو لهب فخبثه في الكفر هو وزوجته حمالة الحطب مشهور أنزل فيهما قرآن يتلى.

(٣) حمزة بن عبدالمطلب عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاع أسلم بمكة وبه عز الله الإسلام وقتل يوم أُحد.

وهي أم أسامة بن زيد[1] وكانت مولاة لأبيه عبدالمطلب أعتقها ﷺ وزوجها زيد بن حارثة ثم حليمة[2] وقيل إن حليمة أرضعته قبل أم أيمن، ثم لمّا صار ابن ست سنين ذهبت به أمه إلى يثرب (تزيره)[3] أخوال جده عبدالمطلب من بني النجار ثم لما صارت بالأبواء عائدة توفيت هنالك، وقد زارها النبي ﷺ عام الفتح هنالك، والخبر مذكور في المهذب وغيره[4]. فلما بلغ الخبر جده عبدالمطلب أمر أم أيمن المرضعة له أن تذهب من مكة في طلبه فخرجت وجاءت به فكان يبره ويكرمه حتى أن كان أعمامه ليحسدونه على ذلك فيقول ليكونن له شأن عظيم. فلما صار ابن ثماني سنين توفي جده وقد أوصى به إلى عمه أبي طالب لكونه شقيق أبيه عبدالله. ثم خرج به عمه وهو ابن ت.ع نحو الشام فمروا ببحيرى الراهب وهو بباءين موحدتين مخفوضة ثم مفتوحة ثم حاء مهملة بعدها ياء مثناة من تحت ساكنة ثم راء، ضبطنا ذلك على سماعنا[5] وسمعت جماعة يصحفونه، فأضافهم ولم يكن قبل ذلك يضيفهم وأوصى أبا طالب بحفظه وحذره عليه من اليهود، فدخل ذلك في نفس أبي طالب حتى أنه لم يكد يكمل سفره وعاد به مسرعاً إلى مكة، ولم يزل بها حتى بلغ خمساً وعشرين سنة فتزوج خديجة ابنة خويلد من أبيها وقيل: من عمها، وأصدقها عشرين بكرة فولدت قبل الإسلام القاسم وبه كان يكنى وزينب ورقية وأم كلثوم ورقية الكبرى، وبعد الإسلام عبدالله والطاهر والطيب وفاطمة فهلك البنون صغاراً، وأدركت البنات الإسلام فحسن فيهن ولم يأت له من غيرها ولد غير إبراهيم فإنه من جارية تسمى مارية بنت شمعون أهداها له ﷺ المقوقس، واسمه جريج بن مينا[6] كذا ذكره

---

(١) أم أيمن اسمها بركة خرجت مهاجرةٍ من مكة إلى المدينة ماشية صائمة فأصابها عطش شديد كادت تموت فأغيثت من السماء. شهدت أحداً وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى، وخيبراً وتوفيت في آخر خلافة عثمان، وأسامة بن زيد هو حِبّ رسول الله ﷺ عقد له لواء وهو ابن ثماني عشرة سنة قال: إنه من أحب الناس إليّ، وكان أبوه من أحب الناس إليّ فأوصيكم بأسامة خيراً وتوفي آخر خلافة معاوية. وأبوه زيد بن حارثة من أوائل الرجال الذين سبقوا إلى الإسلام وقتل وهو أمير غزوة مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمانٍ من الهجرة وهما من قبيلة كلب القضاعية وليس مولى بالمعنى المعروف، راجع تفسير الدامغة.

(٢) حليمة ابنة أبي ذؤيب السعدية وقصتها في رضاع رسول الله ﷺ مشهورة وكذا حينما التقى بها في غزوة حنين ولم يذكر في الإصابة تاريخ وفاتها.

(٣) ما بين القوسين من السيرة وفي الأصلين تريه.

(٤) الأبواء: موضع بين مكة والمدينة.

(٥) هذا وهم فالباء الأولى حرف الجر والثانية من أصل الاسم وهي بفتحها وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مقصورة (انظر السيرة النبوية والإصابة).

(٦) مارية: هي القبطية من أقباط مصر والمارية: الملساء وجريج بالتصغير ومينازنة مينا: البحر.

السهيلي، ولم يعش إبراهيم غير سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام.

ثم نرجع إلى ذكر أحواله ﷺ، ولما بلغ خمساً وثلاثين سنة من عمره بنت قريش الكعبة وحكّمته أن يرفع الركن إلى موضعه فلما كملت له أربعون سنة ابتدىء بالوحي مناماً لاثنتي عشرة ليلة وقيل لعشر خلون من ربيع الأول، واستمر الوحي مناماً ستة أشهر، ولما كان في رمضان أتاه جبريل بالوحي يقظة ولذلك قال ﷺ الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وأراد أن أعوام نبوته إذا قسمت على ستة أشهر كانت ستة وأربعين جزءاً إذ هي على الصحيح ثلاث وعشرون سنة، فلما أتاه جبريل يقظة أخبر بذلك خديجة فآمنت وصدقت وهي أول النساء إسلاماً، وكانت امرأة صدق، وصاحبة حق، وكان إذا جاءها مُكذِّباً صدقته أو مؤذى هوّنت عليه، وأسلم أبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، هؤلاء الأربعة أول من آمن من هذه الأمة باتفاق مع اختلاف في السابق منهم ووجه بعض العلماء لذلك بأن خديجة أول النساء إسلاماً وأبو بكر أول الرجال وعلي أول الفتيان، وزيد أول الموالي، ولما أسلم أبو بكر خبر بإسلامه ودعا إليه فأسلم بإسلامه ستة نفر، خمسة من العشرة وهم عثمان والزبير وعبدالرحمٰن، وسعد، وطلحة، والسادس خبّاب بن الأرت[1] وأقام ﷺ وأصحابه مخفون الإسلام مترددون في إظهاره ثلاث سنين حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ الآية فنابَذَ ﷺ قومه وجانبهم فعادوه وقام بنصرته عمه أبو طالب وذب عنه وجعل المشركون يؤذون أصحابه ويعذبون من قدروا عليه منهم ويفتنونه عن دينه. ولما بلغوا ثمانين رجلاً (ورأى رسول الله ﷺ ما هم فيه من أذية المشركين) أمرهم بالهجرة إلى الحبشة فهاجر منهم اثنان وثمانون رجلاً اختلف هل كان عمار بن ياسر فيهم ثم بعد ذلك أسلم حمزة وعمر بن الخطاب فامتنع بهما من بقي بمكة من المسلمين ثم في سنة ست كتبت الصحيفة على بني هاشم ومن دخل معهم من بني المطلب وخرج منهم أبو لهب ثم سلط الله عليها الأرضة فأتلفتها، ثم في سنة عشر توفيت خديجة بنت خويلد وعمرها ست وخمسون سنة برمضان ثم أبو طالب بعدهَا بثلاث وهو ابن ست وثمانين، وقيل تسعين، فكثرت أذيةِ المشركين لرسول الله ﷺ ولم يجد من يصد عنه كأبي طالب ولا من يهون عليه ويسكّنه كخديجة رضي الله عنها

---

(١) خبّاب: بالتشديد بن الأرت من السابقين الأولين الذين عذبهم كفار قريش مات بالكوفة سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث وسبعين سنة وهو أول من دفن بظاهر الكوفة.

فخرج في سنة إحدى عشرة من النبوة إلى الطائف[1] يلتمس النصر من ثقيف فلم يلق بهم خيراً فعاد مكة وبات بوادي نخلة[2] ثم قام أثناء الليل يصلي جهاراً بالقرآن فمر به النفر الذي قص الله خبرهم في سورة ﴿قل أوحي﴾.

قال الرازي وكانوا من قرية باليمن تعرف بنصيبين[3] وفي رجب من سنة اثنتي عشرة كان الأسرى فيه هَدى من هَدى وطرد من طرد.

وكان يعرض نفسه في المواسم، ويقول من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشاً منعتني من تبليغه.

ثم هاجر أبو بكر إلى اليمن فدخل صنعاء[4] فلقي بها ابن الدّغنة وهو يومئذ سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي فأريد أسيح في الأرض وأعبد ربي فقال له إن مثلك لا يخرُج ولا يخرَجُ، بفتح الياء المثناة من تحت وضم الراء في الأولى، وبضم الياء وفتح الراء ما لم يسم فاعله في الثانية، لأنك تكسب المعدوم وتصل الرحمَ وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على النوائب[5] فارجع واعبد ربك ببلدك وأنا جار لك، فعاد وأقام معززاً مكرماً، ثم تقدم ستة نفر من الأنصار يريدون حلف قريش على قومهم فبلغ النبي ﷺ قدومهم فوصلهم وعرض عليهم الإسلام وتلا القرآن فأسلموا وسألوه أن يبعث معهم معلماً فبعث مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف فكان أول من قدم المدينة من المسلمين من مكة ويعدّ أول المهاجرين، ثم إنه جاء الموسم، وقد فشا الإسلام فيهم وأسلم جماعة فلقي النبي ﷺ بالعقبة منهم

---

(١) الطائف ثالث مدن الحجاز تقع على متن جبال السراة شرقي مكة وكانت مصيف أهل مكة، وكانت تسكنها قبيلة ثقيف، من قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهي اليوم غيرها بالأمس.

(٢) وادي نخلة هذا شرقي مكة، على طريق السيل الكبير. وأما وادي نخلة الذي في اليمن فهو شرقي مدينة حيس مشهور.

(٣) نصيبين بالفتح ثم الكسر ثم ياء علامة الجمع الصحيح: مدينة من بلاد الجزيرة الفراتية على جادة القوافل من الموصل إلى الشام، وبينها وبين الموصل ستة أيام بالمراحل القديمة، ولا أصل لهذا الكلام أنها باليمن كما ذكر الرازي ولم نسمع بهذا الاسم في اليمن فهذا وهم من الرازي.

(٤) لم يدخل أبو بكر اليمن فكيف بصنعاء كما في السيرة النبوية والكتب الصحاح ففيها حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدغنة الخ ج١ ـ ٣٧٢ والدغنة بضم الدال والغين وتشديد النون وقيل بفتح الدال وكسر الغين وفتح النون، والقارة في الأصل الأكمة المرتفعة اللهم إلا إذا وصل برك الغماد وهي من أوائل اليمن وقد تبع الجندي بهذا الكلام الرازي وهو واهم في ذلك.

(٥) تكسب المعدوم: أي تكسب غيرك ما هو معدوم عنده، وتحمل الكل: الكل بالفتح الذي هو العبد عالة على غيره وتقري الضيف تنزله عندك وتطعمه، ونوائب الدهر مصائبه.

اثني عشـر رجلاً فـأسلموا وبـايعوه بيعـة النساء وعـادوا فيقال: إنمـا راح مصعب[١] مع هؤلاء والله أعلم، ولما قدم مصعب صار يجمعهم على الصلاة وقـراءة القرآن فـأسلم على يده خلق كثير منهم أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ[٢] وفشا الإسلام بيثرب.

ولما كان الموسم سنة اثنتي عشـرة حج منهم جمـع كثير وواجهـوا النبي ﷺ في العقبـة في أواسط أيام التشـريق، وهم إذ ذاك ثلاثـة وسبعون رجـلاً وامرأتـان فبايعـوه مبايعة الحرب ثم لما عادوا أمر النبي ﷺ من بقي معه بمكة من أصحابه بالهجرة إليهم فهاجروا ولم يبق بمكة غير[٣] أبي بكر وعلي فإن الله حمـاهما بمـا حمى به رسـول الله ﷺ ثم هاجر النبي ﷺ ومعه أبو بكر وعامـر بن فهيرة مولاه بالفاء وابن أريقط[٤] دليلهما فقدما قُباء: ظهيرة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيـع الأول من ثلاث عشـرة من النبوة ومن ذلك جعـل التاريـخ بِسَنَّتِهِ عمـر في خلافتـه[٥] وكان التـاريخ قبله بمـوت الفيل، وهلاك أصحابه ثم قبله بمـوت قصي بن كلاب، ولمـا ولي عمر الخـلافة أمـر الناس بالتاريخ من الهجرة فكانت من أوامره المباركة. ولبث النبي ﷺ بقباء ثلاثة أيـام وخرج في الرابع يوم الجمعـة إلى المدينـة بعد أن أسّسَ مسجـد قباء وقـدم عليه فيهـا عبدالله بن سلام وأسلم وحسن إسلامه وهـو أحد بني قينُقَـاع[٦] بضم النون وفتحهـا مع فتح القاف وسكون الياء المثناة من تحت وفتح القاف بعد النون المختلف فيها ثم ألف ثم عين مهملة، وأدركتـه ﷺ الجمعـة في بني سـالم بن عـوف[٧] فصلى معهم وذلـك بالموضع الذي اتخـذ مسجداً بـوادي رانونـا[٨] ثم ركب ناقتـه حتى أتى دار بني النجار

---

(١) هـذه رواية السيـرة ج١ ـ ٤٣٥ ومصعب يجتمـع بـالنبي ﷺ في عبـد منـاف وكـان من جـلة الصحـابـة وفضلائهم هاجرا إلى الحبشة ثم كان أول المهاجرين وشهد بـدراً وقتل يـوم أحد وبيـده راية رسـول الله ﷺ.

(٢) أسيد بن حضير: بضم أوله وضم حضير وسعد بن معاذ من كبـار الأنصار وزعمـائهم وجلتهم المشهوران انظر الإصابة.

(٣) في «ب» غير مفتون أو محبوس غير أبي بكر وكان مقتضى العبارة وغير أبي بكر.

(٤) عامر بن فهيرة أسلم بمكة وقتِل في بئر معونة المشهورة وابن الأريقط اسمه عبدالله وقُبا بضم أولـه ممدود آخره: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة.

(٥) انظر اليمن الخضرا هـ ـ ١٣.

(٦) بنو قينقاع بطن من يهود راجع السيرة كيف كان مصيرهم وعبدالله بن سلام بن الحارث مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين، انظر الإصابة.

(٧) بنو سالم بن عوف بطن من الأنصار.

(٨) رانونا بفتح الراء وألف وضم النون ثم واو ونون وألف زنة عاشورا معروف.

أخوال جده فبركت ناقته بموضع بالقرب من بيت أبي أيوب[1] فترك رحله في بيته بينما بنى مسجداً حيث بركت ناقته ثم بنيت مساكنه، ودخل بعائشة، وأرئي عبدالله بن زيد[2] مع جماعة الأذان، وهذا نسبة حاله من ميلاده إلى سنته التي هاجر فيها، وبقيَّة أحواله في المدينة معروفة متحققة يُؤخذ كثيراً نقلاً وسطراً، ولما كان في سنة تسع حج حجته المشهورة بحجة الوداع وحجة البلاغ لم يشهد له غيرها بعد الهجرة، ولا يعلم كم حج قبلها.

ثم في مستهل ربيع الأول من سنة عشر بعث ﷺ جيشاً إلى الشام وأمّر عليهم أسامة بن زيد فأخذوا بالتجهيز، ومرض ﷺ مرضه الذي توفي فيه والجيش إذ ذاك لم يخرج. قال الرازي المؤرخ بإسناد أورده عنه ﷺ إنه قال نُصِرت بالرعب، وأُعطيت جوامع الكلام وخيرت بين البقاء وأبصر ما يفتح الله على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل[3] ونزل عقب ذلك سورة الضحى، وإذا جاء نصر الله بكمالهما.

وتوفي ﷺ يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول على تمام عشر من الهجرة ليس له[4] في رأسه عشرون شعرة بيضاء، إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب أي يمشي بقوة، والصبب الحدور[5] ثم بايع بعض الناس وقيل كلهم في ذلك اليوم لأبي بكر ولم يتأخر أحد عن اليوم الثاني[6].

وكان له يوم توفي تسع نسوة: عائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وسودة وزينب وميمونة وجويرية وصفية ابنة حيي. وجملة من تزوج بهن ثلاث عشرة، أولهن خديجة ثم المذكورات، والحادية عشرة زينب بنت خزيمة ماتت في حياته، وكانت تسمى أم المساكين لشفقتها عليهم، وعقد باثنتين ولم يدخل بهما. وقد ذكر في سبب ذلك، وهل كُنّ أكثر من ثلاث عشرة أم لا فيه خلاف يطول شرحه، وغالب أصدَقهن أربعمئة

---

(١) أبو أيوب الأنصاري اسمه خالد بن زيد الأنصاري شهد المشاهد كلها ومات غازياً على باب القسطنطينية وعليه مسجد وقبة وذلك سنة اثنتين وخمسين.

(٢) هو عبدالله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري شهد العقبة والمشاهد كلها مات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة وتفرد برؤيا الأذان انظر سبل السلام، ونيل الأوطار.

(٣) هذا الحديث مذكور في دواوين الإسلام المشهورة المعتمدة التي يصحّ الإسناد والرواية عنهما رواية الرازي ص٣٤٢ نصرت بالرعب وأعطيت جوامع الكلم وأعطيت الخزائن وخيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح الله على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل.

(٤) كذا في الأصلين وفي صفة الصفوة ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء.

(٥) الحدور الانحدار من أعلى إلى أسفل. انظر شمائل المصطفى ﷺ للترمذي.

(٦) انظر اليمن حامل لواء الإسلام وتاريخ ابن جرير الطبري.

درهم[1] إلا خديجة وأم زينب، أصدق خديجة ما ذكرناه عند عقدها، وأم زينب وهي الواهبة نفسها عند بعض المؤرخين[2] وقيل: هي غيرها أصدقها فراشاً حشوه ليف، وقدحاً وصفحة ومجشة، وهي الرحى[3]، وانقضى ذكر ما استحسنته من أحواله.

وأحب تعقيبه بطرف من شمائله ﷺ[4] وكان دائم البشر حسن الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخّاب ولا فحاش، ولا غياب، ولا مزاح[5] يتغافل عما لا يشتهي، قد ترك نفسه من ثلاث: المراء والإكثار وما لا يعنيه. وترك الناس من ثلاث: لا يذم أحداً ولا يغيبه ولا يطلب عورته[6]. ولا يتكلم إلا بما يرجو[7] ثوابه. وكان إذا تكلم أطرق جلساؤه[8]، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده[9] يضحك مما يضحكون ويتعجب مما يتعجبون منه. يصبر على الغريب[10]في منطقه ومساءلته، جمع له العلم والحلم، والصبر. أخذ بأربع: الحق ليقتدى به، وترك القبيح لينهى عنه، واجتهاد الرأي فيما يصلح أمته والقيام بما يجمع له خير الدنيا والآخرة. وكان يبتدىء من لقيه بالسلام ويعود أصحابه كما يعودونه ويشيعهم كما يشيعونه ويعتنقهم كما يعتنقونه، ويقبل وجوههم كما يقبلون وجهه ويفديهم بأبيه وأمه كما يفدونه، وربما، زار عمةً وخالة إفضالاً منه عليهما في كل شيء ويسعى إلى كل مكرمة[11] وكان يتفقد أصحابه ويسأل عن غائبهم. فإن كان مريضاً عاده ودعا له. ومن مات استرجع في حقه وترحم عليه ودعا له. ومن تخوف منه قال لعلّ أبا فلان أخذ علينا في شيءٍ أو رأى منا تقصيراً انطلقوا بنا إليه. ثم يأتيه منزله، ويستطيب قلبه. ومتى دعاه مُسْلِمٌ

---

(١) كذا في الأصلين والعبارة ركيكة.

(٢) الأصح أن التي وهبت نفسها هي أم شريك الأزدية كما في صفة الصفوة وغيرها.

(٣) الليف: قطعة من النخيل والصحفة: الجفنة من المسند وغيره. والقدح: إناء من خشب. معروف ومجنة: بكسر الميم وفتح الجيم والشين المشددة. والرحى: المطحن قوله ما استحسنته كذا صححناه وفي الأصلين خبط. وفي «ب» الزيادة مختصرة.

(٤) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د».

(٥) الصخاب: بالصاد المهملة والسين كثير الصياح. فحاش: بذيء اللسان. والعياب: كثيراً ما يعيب الناس. والمزاح كثير المزح والمجون.

(٦) العورة كل ما كان قبيحاً.

(٧) في صفة الصفوة فيما رجا.

(٨) في صفة الصفوة زيادة كأنما على رؤوسهم الطير.

(٩) في صفة الصفوة ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه.

(١٠)في صفة الصفوة ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه.

(١١) قوله وربما إلى ويسعى إلى كل مكرمة من «ب» وساقط من «د».

قال: لبيك حرّاً كان أو عبداً، صغيراً أو كبيراً، ذكراً كان أو أنثى. وإن دعاه مشرك قال له: ما تشاء نعمة الله، كما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1].

قيل له وهو نازل على قوم يريد حَرْبهم وقد أجهدوه هلاّ لعنتهم فقال إنما بعثت رحمة للعالمين. لم أُبعث لعّاناً. ونحو ذلك ما روي عن خباب بن الأرت أنه قال لما اشتد بنا أذَى المشركين بمكة وكان كثير منا بين مفتون وبين معذب ومؤذى أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد إزاره في ظل الكعبة فشكوت عليه ما نحن فيه وقلت: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ فقعد وهو محمر الوجه وقال: إن من كان قبلكم يمشط بأمشاط الحديد حتى يذهب ما دون عظامه من لحم وعصب ليرجع عن دينه فلا يرجع، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فينشق نصفين ما يصرفه ذلك عن دينه، ولَيُتمَّنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله تعالى أو الذئب على غنمه. أورد هذا الخبر الرازي في تاريخه في باب ما ذكر به النبي ﷺ صنعاء[2].

وكانت غزواته ﷺ سبعاً وعشرين غزوة حصل القتال في تسع منهن: بدر، وأُحد، والخندق وقريظة والمصطلق، وخيبر والفتح وحنين، والطائف[3].

وسراياه ﷺ اثنان وثلاثون سرية[4] وقيل: تسع وثلاثون.

ولما اتفق المسلمون على خلافة أبي بكر وبيعته، كان أول شيء اشتغل به الناس تجهيز رسول الله ﷺ فغسلوه بقميصه يصبون عليه الماء ثم اختلفوا في أين يدفن فقال الصديق: إني سمعت رسول الله يقول: ما قُبض نبي إلا دفن حيث قبض، ثم استدعى أبا طلحة رجل من أهل المدينة، وطوى له الفراش الذي توفي عليه رسول

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) هذا الحديث أخرجه البخاري في الباب الثاني من كتاب الإكراه، وذكره في صفة الصفوة ج١ ـ ٤٢٨. وفيها اختلاف. وفي الرازي متوسد برداً وقد تصرف الجندي بكلام الرازي ص٧٢١ ارجع إليه وإلى ما ذكرنا فهي أثبت وأصح وكذا كتب الحديث.

(٣) كذا في صفة الصفوة إلا أن فيها غزوة المريسيع وإسقاط غزوة بني المصطلق وقد جمع بعض الأدباء الغزوات على غير هذا الترتيب فقال مع ذكر السنين:

لثانية بدر، وأحد لثالث	وذات رقاع بعد ثمة خندق
حديبية في الست خيبر بعدها	وفتح تبوك كل هذا محقق
وحج لعشر عاش من بعد مرها	ثمانين يوماً وهو بالله ملحق

(٤) السرية من خمسة أنفس إلى ثلاثمائة أو أربعمائة.

الله ﷺ، وأمره أن يحفر مكانه كما يحفر لأهل المدينة قبراً ملحوداً، وذلك في الزاوية القريبة من بيت عائشة رضي الله عنها، وكانت قد قالت لأبيها قبل ذلك بمدة إني رأيت ثلاثة أقمار سقطوا في حجرتي وغابوا في أرضها فما تأويل ذلك؟ قال يُدفن في حجرتك ثلاثة أقطاب خير أهل الأرض، فلما دفن النبي ﷺ قال لها أبو بكر هذا أحد أقمارك وهو خيرهم، وهذا آخر ما أسلفته[1] من أخباره ﷺ متبركاً وموجزاً.

ثم لم يبقَ غير الشروع بذكر العلماء باليمن فأحببت تصدير ذلك بمن دخله من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم الذين شهد لهم بالفقه وأثنى عليهم النبي ﷺ منهم أبو بكر الصديق عبدالله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن غالب يجتمع مع رسول الله ﷺ في مرة بن كعب. قال الشيخ أبو إسحاق[2] أجمعت الأمة على تقديمه للخلافة بعد النبي ولا يقدم إلا إمام عالم، وكان يفتي بحضرة النبي ﷺ ولا يقدم على الفتيا بحضرته ﷺ مع عظم القدر وجلالة المحل إلا الموثوق[3] بعلمه، والمتحقق لفضله. وقد ذكرت فيما تقدم دخوله صنعاء[4]، ورجوعه بجوار ابن الدغنة كما مضى، توفي على الحالة المرضية[5] سنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة خلافته سنتان وأشهر.

ثم عليّ بن أبي طالب: واسم أبي طالب عبدمناف بن عبدالمطلب، وبقية النسب محقق في ذكر النبي ﷺ دخل حاكماً ومفقهاً، كان يقول: لمّا بعثني النبي ﷺ اليمن قلت يا رسول الله أتبعثني اليمن وأنا شاب وهم كهول، ولا علم لي بالقضاء، قال: انطلق فإن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك وقيل قال: اللهم اهدِ قلبه، فلما صرت باليمن وحكمت بين أهله لم أتعايا في حكم قط ببركة دعائه ﷺ، وكان نزوله على أم سعيد ابنة بزرج امرأة داذوية أمير الفرس بعد باذان[6] لأنه كان ابن أخيه

---

(١) ما أسلفته في «ب» وفي «د» استطعته من أخباره في «د» ومن أحواله من «ب».

(٢) تأتي ترجمة أبي إسحاق للمؤلف.

(٣) الموثوق بعلمه في «ب» والمتوفر بعلمه في «د».

(٤) سبق لنا أن أبا بكر لم يدخل اليمن ولا صنعاء وأن لا صحة لتعدد الرواية التي تفرد بها الرازي، إلاّ أنه جاء في رواية أنه وصل إلى برك الغماد، وبرك الغماد يعدّها الهمداني في حدود اليمن.

(٥) كذا في «د» وفي «ب» الخلافة المرضية.

(٦) أم سعيد ابنة بزرج، ويقال: ابنة النعمان بن بزرج، وضبط بزرج بضم الباء الموحدة وسكون الزاي ثم راء وجيم: اسم فارسي معناه الكبير، لها ترجمة في الإصابة وداذويه هو الذي تولى بعد شهر بن باذن الذي قتله الأسود العنسي ثم قتل داذويه والذي قتله قيس بن مكشوح المرادي، انظر الوثائق السياسية، وتاريخ ابن جرير الطبري ولَعلّ علي بن أبي طالب لم يدخل صنعاء وهو الأرجح.

فاستخلفه حين نزل به الموت، وقد كان أسلم، وسيأتي إن شاء الله من ذكره في الملوك ما يليق، وكان من وصل من أصحاب رسول الله ﷺ إنما يصل إلى داذويه فينزله عند هذه المرأة فذكر المؤرخون لأخبار اليمن أنها أول من أسلم من أهل صنعاء وقرأ القرآن فيقال إن علياً كرم الله وجهه لبث بصنعاء أربعين يوماً، ودخل أماكن من اليمن، منها عدن، أبين، وعدن لاعة من بلاد حجة[1] قد خربت منذ زمن طويل ومنها ظهر منصور اليمن بالدعوة للعبيديين وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله في موضعه، ودخل عليّ مرة أخرى في أيام أبي بكر وتأمره وكان من أجلّاء فقهاء الصحابة وكفى شاهداً له قوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها». وكان ابن عباس يقول أُعطي عليٌّ تسعة أعشار العلم، وأنه لأعلمُ بالعشر الباقي.

وكانت وفاته جريحاً من جراحة جرحه بها ابن ملجم ليلة الجمعة سحراً لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان الكائن في سنة أربعين وقد بلغ عمره ثماني وخمسين سنة وقيل ثلاثاً وستين سنة.

واختلف في موضع دفنه فذهب كثير إلى أنه دفن بقصر الإمارة بالكوفة، وغيب قبره، وقيل بموضع يقال له الغَرِيّين[2] وقيل إن ابنه الحسن حمله يريد به المدينة ليدفنه هنالك، فلما صار خارج الكوفة ليلاً وأراد نقله سراً أقبلت ريح وظلمة مع رذاذ أذهل الناقة فلم يعلم أين توجهت، وظهر في أثناء المئة السادسة من الهجرة قبر بموضع بالقرب من الكوفة على ما قيل، واسم الموضع النجف[3] فشهر أنه قبره كرم الله وجهه، وتحقق ذلك أنه ما أتاه مبتلى إلا عوفي سواء كان به عاهة أو له حاجة فتزول وتقضى.

ثم أبو عبيدة: عامر بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر

---

(١) انظر الكلام على عدن أبين، وهي الثغر الطبيعي لليمن - الإكليل - ج١ - ٢٧١، واليمن الخضرا ٨٥، وصفة جزيرة العرب - ٧٠، والمعجم، وعدن لاعة خراب كما قال المؤلف وإلى يوم الناس هذا ولاعة مقاطعة خصبة جنوب حجة ومن أعمالها، وحجة بلدة بين جبلي نعمان والقلعة وهي اليوم أشهر منها بالأمس لأنها قرنت بالشهداء الأحرار ومعتقل زعمائهم أيام الطغاة وقد أدخلت إليها جميع المرفهات العصرية انظر وصفها في المعجم.

(٢) الغريين بعد التصحيح بفتح الغين المعجمة وكسر الراء ثم يائين مثنتين من تحت أولاهما مشددة ثم نون آخره ظاهر الكوفة (انظر ياقوت).

(٣) النجف بالتحريك: مدينة جنوب العراق ما بين كربلاء والكوفة وهو إلى الكوفة أقرب وفيه مشهد الإمام علي كرم الله وجهه وللشيعة فيه عجائب.

يجتمع مع رسـول الله ﷺ فيه[1] بعثـه إلى نجران[2] إذ سـأله أهـل نجـران وهم إذ ذاك نصارى أن يبعث معهم بعض أصحابه ليحكم بينهم في أشياء اشتجروا عليها فقال لهم ﷺ(لأبعثن معكم أميناً مأموناً فاستبشر بذلك أكابر الصحابة حتى قـال عمر: مـا أحببت الإمارة إلا يومئذ ثم قال ﷺ[3] قم يـا أبا عبيـدة، فلما قـام قال النبي ﷺ لكـل أمة أمين وهذا أمين هذه الأمـة، ثم أمره بـالمسير معهم والحكم بينهم ففعـل، وخرج في جنـد الشام فتوفي بوادي الأردن في طاعون عمواس[4] سنة ثماني عشرة، ودفن هو ومعـاذ بن جبل بموضع واحد.

وهؤلاء الثلاثة من خواص أصحاب رسـول الله ﷺ وأخيارهم من العشـرة الذين شهـد لهم بالجنة[5] - وقـد دخـل معهم جمـاعـة مـع علي وبعضهم مـع معـاذ أيضـاً ومتفـرقين[6] لكن المراد ذكـر العلماء منهم ثم بعث ﷺ من الأنصـار أبـا عبـدالـرحمٰن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدي بن كعب الأنصاري الخزرجي، كان جميل الوجه براق الثنايا، وجهه ﷺ في ربيع الأول من سنة تسع، وقيـل، غيرذلـك، ثم إن رسـول الله ﷺ كتب إلى ملوك حميـر، وإلى السكـاسـك وهم أهــل مخـلاف الجند[7] وكانت رياستهم إذ ذاك لقوم منهم يقال لهم بنو الأسود ووصاهم بـإعانتـه على بناء مسجد الجند ووعد من أعانه على ذلك خيراً كثيراً. هكذا نقله المعنيـون بذلـك، وكان معاذ يقول لما خرجت من المدينة شيعني رسول الله ﷺ ثم قال يا معاذ إذا قدمت عليهم اليمن فاحتكموا إليك فبم تحكم بينهم؟ قلت: بكتاب الله، قـال فإن لم تجـد؟

---

(١) قوله: فيه أي في فهر.

(٢) نجـران من مخاليف اليمن الشمـالية سمي بنجران بن زيـدان ابن سبأ وهـو اليوم سليب تحت النفـوذ السعودي بجناية الإمام يحيى. أنظر صفة جزيرة العـرب ـ ٣٦، واليمن الخضراء ١٤٩، الإكليـل ج١ - ٩٠٢.

(٣) ما بين القوسين من «ب».

(٤) الأردن ولاية من الشام ما بين سوريـا وفلسطين وجنـوب لبنان وهـو مشهور لا سيمـا في عصرنـا لأحداث فلسطين. وعمواس: بفتح أوله بلدة بين الرملة وبيت المقدس لأن الطاعون ابتدأ منها.

(٥) جـمع العشرة المشهود لهم بالجنـة العلامـة الحجة المجتهـد محمد بن إبـراهيم الوزيـر بقولـه في بيت واحد:

لـلمصـــطفى خيــر صـحب نصّ أنـهم	في جنــة الـخلد نـصّـاً زادهم شـرفـا
هم طلحــةٌ وابن عـوف والــزبيـر معــا	أبـي عـبيــدة والـسـعــدان والـخُـلفـا

(٦) متفرقين في «د» ومنفردين في «ب».

(٧) يطلق مخلاف الجند في الدواوين على ما بين عـدن جنوباً وسمارة شمالاً وعلى منطقة تهامة. والمراد به هنا ناحية الجند وخدير وحمر: ماويه والحشا وناحية الجند هي حقل الجنـد وما يـطلق عليه البـلاد اليوم بالتعزية ويسكن هذا المخلاف قبائل السكاسك وتوجد أسماء إلى اليوم بنو السكسكي.

قلت بسنة رسول الله، قال: فإن لم تجد؟ قلت أجتهد رأيي، فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله، ثم قال يا معاذ إذا قدمت عليهم فزين الإسلام بعدلك وحلمك وصفحك وعفوك، وحسن خلقك فإن الناس ناظرون إليك وقائلون: خيرة رسول الله ﷺ فلا يرى لك سقطة يستريب بها أحد في حلمك وعدلك، وعلمك، فإن الرسل من المرسلين، ويا معاذ أوصيك بتقوى الله عز وجل وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء الأمانة، وترك الخيانة ورحمة اليتيم وحفظ الجار وكظم الغيظ ولين الكلام وبذل السلام ولزوم الإمام والتفقه بالقرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل، وأنهاك أن تشتم مسلماً أو تصدق كاذباً أو تكذّب صادقاً أو تعصي إماماً عادلاً وأن تفسد في الأرض، يا معاذ اذكر الله عند كل شجرٍ وحجرٍ وأحدث لكل ذنب توبةً السر بالسر والعلانية بالعلانية ويسّر ولا تعسر وبَشِّر ولا تنفِّر، وستقدم على قوم أهل كتاب يسألونك عن مفاتيح الجنة: فقل شهادة أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له.

ثم لما ودعني بكيت فقال: ما يبكيك فقلت: أبكي لفراقك بأبي وأُمي أنت فقال لا تبك فإن البكاء فتنة.

فذكروا أن معاذاً قدم الجند في جمادى الآخرة، وأوصل كتاب رسول الله ﷺ إلى بني الأسود وقد كانوا أسلموا ثم إنهم اجتمعوا في أول جمعة من رجب، وخطبهم وفيهم جمع من اليهود فسألوه عن مفاتيح الجنة فقال: صدق رسول الله ﷺ مفاتيحها شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فقالوا عجبنا من إصابتك الجواب وقولك: صدق رسول الله ﷺ، فقال لهم إنّ رسول الله ﷺ أخبرني بسؤالكم هذا، وكان قوله لهم سبباً لإسلام من تأخر من اليهود وكان ذلك في محفل عظيم، قد اجتمع فيه الناس من أماكن شتى، ومن ثم ألف الناس إتيان الجند في أول جمعة من رجب يصلون بها الصلاة المشهورة، ويشاهد في تلك الليلة بركات ولا تكاد تخلو ليلة الجمعة الأولى من رجب أو يوم خميسها من مطر، هذا غالب الزمن.

وكان معاذ يتردد بين مخلافي الجند، وحضرموت، وعنه أخذ جماعة من أهلها وصحبوه، وتفقهوا به وخرجوا معه الحجاز ثم الشام، وكان عمرو بن ميمون الأودي من خواص أصحابه فروى عنه أنه[1] قدم علينا معاذ من عند رسول الله ﷺ طريق الشحر[2]

---

(١) كذا في الأصلين وكان الأنسب لو قال: قدم.

(٢) الشحر: بكسر أوله معروف وهو ساحل حضرموت.

رافعاً صوته بالتهليل والتكبير، وكان حسن الصوت فألقيت عليه محبتي فصحبته[1] ولم أفارقه حتى حثوت عليه التراب بالشام، وقال صلى معاذ بالناس صلاة الصبح وذلك باليمن، وقرأ سورة النساء فلما تلا قوله تعالى ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلاً**﴾[2] قال رجل من خلفه قرت عين أم إبراهيم، وهو معدود من أكابر الصحابة وقال ﷺ في حقه: معاذ أعلم أمتي بالحلال والحرام.

ولما خطب عمر بالجابية[3] قال: من أراد الفقه فليأتِ معاذاً، وكان الصحابة متى تحدثوا وهو فيهم[4] نظروا إليه هيبة له.

ولما حضرت عمر الوفاة قال: لو كان معاذ حيّاً لاستخلفته، فإن سألني الله تعالى عن ذلك[5] قلت سمعت نبيك ﷺ يقول: إن الله يبعثه يوم القيامة له رتوة بين أيدي العلماء[6] ولو لم يكن من فقهه إلا ما رواه الرازي عنه وهو أنه كان بمجلس عمر بن الخطاب من جملة جماعة كثيرين إذ رفع رجل امرأته وقال يا أمير المؤمنين غبت عن هذه زوجتي سنتين ثم جئت وهي حامل، فاستشار عمر برجمها فقال له معاذ إن كان لك عليها سبيل فما لك على ما في بطنها من سبيل دعها حتى تضع فلما وضعت بعد أيام عرف زوجها شبهه بالولد وقال ابني وربِّ الكعبة إذ ولدته جفراً[7] له سنتان فقال عمر حينئذ عجز النساء أن يلدن كمعاذ، لولا معاذ لهلك عمر.

وقال لأهل اليمن: يوشك أن تعرفوا فيكم أهل الجنة من أهل النار ويموت فيكم الميت فيثنى عليه بخير فهو من أهل الجنة، ويموت الميت فيثنى عليه بشر فهو من أهل النار، وكان يقول: السلطان ذئب ابن آدم كذئب الغنم يأخذ الشاردة والناخبة والقاصية[8] فعليكم بالجماعة والمساجد.

---

(١) فصحبته من «ب» وساقط من «د».

(٢) النساء ـ ١٢٥.

(٣) الجابية: موضع بالشام، وباب الجابية موضع بدمشق معروف لهذه الغاية.

(٤) كذا في الأصلين وفي صفة الصفوة ج١ ـ ٤٩٥ إذا تحدثوا وفيهم معاذ.

(٥) ما بين القوسين في «ب».

(٦) عبارة صفة الصفوة ج١ ـ ٤٩٤ يقول إن العلماء إذا حضروا ربهم عز وجل كان بين أيديهم رتوة حجر، والرتوة، بالتشديد: الرمية، أي مقدار رمية حجر.

(٧) الجفر بفتح الجيم وسكون الفاء الصبي إذا انتفخ لحمه.

(٨) الشاردة الهاربة والناخبة غير معجمة في الأصلين وقد ضبطناها: بالنون والخاء المعجمة والباء الموحدة والهاء وهي الهزيلة غير القادرة على المشي، والقاصية البعيدة عن الرعاة.

شهد معاذ بيعة العقبة الكبرى وبدراً وهـو ابن عشرين سنـة[1] وتوفي في طـاعون عمواس سنة ثماني عشرة وقد بلغ عمره ثلاثاً وثلاثين سنة.

ويقال إن عيسى ﷺ رفع إلى السماء وهو بهـذه السن وأخبر الثقـة أنه وجـد بوادي الأردن من أرض الشام قبة فيها قبران له ولأبي عبيدة مكتوب على كل قبـر اسم صاحبـه ونسبه وتاريخه، وكان أصحابه لما توفي دخلوا العراق وصحبوا ابن مسعـود[2] لمواخـاة كـانت بينهما وكـانوا هم المقـدمين بـالكـوفـة على فتـوى الحـلال والحـرام، وتنفيـذ الأحكام، وكان معظمهم من النخع حتى كان بعض أكابـر التابعين يقـول: إني لأعرف سَمْت معاذ في أذواء النخع[3].

فممن صحبـه من أهل اليمن واشتهـر بالعلم والعمل، جماعـة منهم عمـرو بن ميمون الأودي المقدم ذكره فأصله من حضرموت وقيـل من الدثينـة[4] كان معـدوداً من الأولياء والعبّاد ذكـره أبو نعيم في الحليـة[5] وابن الجوزي في صفـة الصفوة، وقـال إنه حج مئة حجة ما بين عمرة وحجة وكان يقول: ما سرني أن أمري يوم القيامة إلى أبوي أسند عن معاذ وعمـر وعلي وابن مسعود وأبي أيـوب، وأبي مسعود، وعقبـة بن عمرو وعبـدالله بن عمر، وأبي هـريرة، وابن عبـاس[6] في آخرين، وكـانت وفاتـه غـالبـاً في الكـوفـة سنـة أربـع وقيـل سنـة خمس وسبعين، ومنهم الأسـود بن يـزيـد بن قيس بن عبدالله[7] وكان يكنى أبا عمرو وقال في «صفة الصفوة» كان يختم القرآن في كل ليلتين

---

(١) في صفة الصفوة ج١ - ٤٨٩ وأسلم وهو ابن ثماني عشـرة سنة وشهـد العقبة وبـدراً والمشاهـد كلها مـع رسول الله ﷺ.

(٢) ابن مسعود هو عبـدالله بن مسعود الهـذلي أسلم بمكة وكـان سادسـاً في الإسلام، وهـاجر إلى الحبشـة الهجرتين وشهد المشاهد كلهـا، وكان صـاحب سر رسـول الله ﷺ وآخى بينه وبين معـاذ. وكان قصيـر القامة لا يتجاوز الذراع ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين.

(٣) السمت: الهيئة الحسنة والأذواء: جمع ذو، وهو دون القيل وهذه الأسمـاء اختص بها اليمن. والنخـع: قبيل كبير من اليمن نسب إلى النخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مـذحج وإنمـا لقب النخع لأنـه انتخع عن قومه: أي بعد عنهم وللقبيلة المذكورة بقية مشهورة إلى يوم الناس هذا في الجنوب اليمني.

(٤) الدثينة ويقال لها دثينـة: بكسر الـدال المهملة وكسر المثلثـة، وسكون المثنـاة من تحت ثم نون وهـاء: مقـاطعة معـروفة شـرقي أبين وقبائلهـا من مـذحـج أهـل نجـدة وجلد، والأودي نسبـة إلى قبيلة أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج ومساكنها دثينة وغيرها.

(٥) أبو نعيم هو أحمد بن عبدالله الأصفهاني الحافظ المشهور صاحب الحلية وفاته سنة ثلاثين وأربعمائة عن مئة سنة. ابن خلكان ج١ ص٧٥.

(٦) لهؤلاء تراجم كبيرة في كتب الرجال كصفة الصفوة وغيرها.

(٧) هو النخعي وزيادة قيس من صفة الصفوة ج٣ ص٢٣.

من رمضان ويختمه في كل ست من غيره وحج ثمانين حجة ما بين عُمْـرة وحجة وكـان يجهـد نفسه بـالصوم حتى يخضـر جسده ويصفـر فيقول لـه عمه علقمـة بن قيس: لم تعذب هذا الجسد؟ فيقول إن الأمر جد، إن الأمر جدّ. وكـان يقال: انتهى الـزهد إلى ثمانية[1] فيعد هذا منهم فلما احتضر بكى، فقيل له مم تجزع؟ فقال: ومن أحق بـذلك مني، والله لـو أتيت بالمغفـرة من الله عز وجـل لأهمني الحياء منـه مما قـد صنعت إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفـو عنه فـلا يزال مستحيـاً منه[2] هـذا فعل من ذهبت إحدى عينيه من الصوم ومـا كان إلا راهبـاً من الرهبـان، وكان لا يـزال صائماً.

أسنـد عن معاذ وأبي بكـر وعمـر وعلي وابن مسعـود، وأبي مـوسى، وسلمـان الفارسي، وعائشة ولم يرو عن عثمان شيئاً، وفاته كانت بالكوفة سنة خمسة وسبعين.

ومنهم عمرو بن شرحبيل كنيته أبو ميسرة، ونسبه في همدان[3] قال بعض السلف ما رأيت همدانيّاً أحب إليّ أن أكون في مسـلاخه من أبي ميسـرة قيل ولا مسـروق قال ولا مسروق وكان يقول: ليت أني لم أكن شيئاً قط.

أسنـد عن معـاذ وعمـر وابن مسعـود وخبـاب بن الأرت وغيـرهم ولم أجـد لـه تـاريخاً[4] ومنهم شـريح بن الحـارث بن قيس[5] القاضي، كنيتـه أبو أميـة وهو بـالشين المعجمة مضمومة والراء مفتوحة ثم الياء المثناة من تحت سـاكنة ثم حـاء مهملة، كان كبير القدر معدوداً في علماء التـابعين ولاه عمر قضـاء الكوفـة فلم يزل على ذلـك إلى زمن زياد بن أبيه[6] ثم استقاله عنه فأقاله بعد أن استشاره بمن يحـل مكانـه فأشـار بأبي

---

(١) في صفة الصفوة زيادة من التابعين.

(٢) منه زيادة من صفة الصفوة وتوفي الأسود بن يزيد سنة خمس وسبعين: طبقات ابن سعد ج٦ ـ ٥٠.

(٣) همـدان بفتح الهـاء وسكون الميم ثم فتـح الـدال المهملة ثم ألف ونـون القبيلة المشهـورة التي تجمـع حاشد، وبكيل، انظر الجزء العاشر من الإكليل، وصفة جزيرة العرب.

(٤) قوله لم أجد له تاريخاً أي تاريخاً لـوفاتـه. قال الحـوالي: في طبقات ابن سعـد ج٦ ـ ٦١ أنه تـوفي أيام عبدالله بن زياد.

(٥) هو الكندي وكندة قبيلة ضخمة من القبائل اليمنية، انظر الجـزء الأول والثاني من الإكليـل وصفة جـزيرة العرب.

(٦) زياد بن أبيه هو الذي يسمى زيـاد بن سمية: نسبـة إلى أمه وهـو الذي استلحقـه معاويـة وهو أحـد دهاة العرب وساستها وخطبائها توفي بالكوفة سنة ثلاث وخمسين.

بردة بن أبي موسى[1] وكان يقول: سيعلم الظالمون حظ من يعصوا[2] إن الظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر. قال ابن سيرين[3] سمعت شريحاً يحلف بالله ما ترك عنده شيئاً لله فوجد فَقْدَه ثم قال: ولا أراه حلف إلا على علم، وقضى على رجل بإقراره فقال: قضيت عليّ بغير بينة، فقال أخبرني بذلك ابن أخت خالك، وقال له ابن له إن بيني وبين قوم خصومة فانظر في قصتي فإن كان الحق لي خاصمتهم وإلا تركتهم. ثم قص عليه القصة فقال له انطلق فخاصمهم فانطلق وخاصمهم ورافعهم إلى أبيه فقضى عليه، فلما صار بالبيت عاتبه ابنه وقال لو لم أتقدم إليك لم أَلُمْك لقد فضحتني. فقال له والله يا بني لأنت أحب إليّ من ملك الأرض[4] ومنهم والله أعز عليّ منك إنني خشيت إن أخبرتك أن القضاء عليك فتذهب فتصالحهم ويذهب بعض حقهم.

وقال الشعبي[5] شهدت شريحاً وقد أتته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها بالبكاء فقلت يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة فقال يا شعبي إن أخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون[6] وافتقد يوماً آبناً له فبعث في طلبه فجيء به فقال لموصله أين أصبْتَهُ فقال: يهارش الكلاب فقال لابنه: صليت فقال لا فأرسله إلى المؤدب وقال لرسوله قل للمؤدب شعراً:

ترك الصلاة لأكلب يسعى لها ... طلب الهراش مع الغواة النّحّسِ
فإذا أتاك فعرضنه بملامة ... وعظه موعظة الصبي الكيس

---

(١) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري اسمه عامر له مكارم حسنة ومآثر مشهورة ولبث قاضياً إلى أن توفي سنة سبع ومئة وسمي أبو بردة لأنه كسي بردتين، ابن خلكان ج٢ ـ ٢٢٤.

(٢) رواية ابن سعد حظ من نقص.

(٣) محمد بن سيرين يكنى أبا بكر مولى أنس بن مالك ثم كاتبه، المكاتب سيرين وكان اسمه شيرين بالشين المعجمة فعرب بالسين المهملة ـ ترجمته في صفة الصفوة ج٣ ـ ٢٤١ وشهرته ذائعة ووفاته سنة عشر ومئة.

(٤) كذا في «د» وفي «ب» ملك الأرض.

(٥) الشعبي اسمه عامر بن شراحيل الرعيني الحميري من شعب ذي رعين، وقيل من شعب همدان أحد أركان العلم الأربعة في الإسلام سعيد بن المسيب بالمدينة والحسن بن أبي الحسن بالبصرة والشعبي بالكوفة ومكحول بالشام وبلغ من علم الشعبي أن عبدالله بن عمر مر بحلقته وهو يحدث بمغازي رسول الله ﷺ فأعجب به وقال لقد شهدت ما يتحدث عنه وأنه لأعلم به مني أدرك الشعبي خمسمائة من الصحابة وله أخبار كثيرة. توفي أوائل القرن الثاني للهجرة عن نحو ثمانين سنة.

(٦) يوسف ـ ١٦.

وإذا هممت بضـربـه فـبـدرّة[1] وإذا ضربت بها ثلاثاً فـاحبس[2]
واعلم بـأنـك مـا أتيت فنفسـه مـع مـا تَجـرّعني أعـز الأنفس

وحكى أنه خرج يوماً من عند زياد بن أبي فلقيه رجل وقـال له: كبـر سنك ودق عظمك، وارتشى ابنك فرجع إلى زياد فـأخبره فسـأله عن قـائل ذلـك، قال لا أعـرفه فاعفني، قال لا أعفيك حتى تشير علي برجل أجعله مكـانك فقـال: عليك بـأبي بردة فاستدعاه زيـاد وولاه القضاء وتوفي سنة ست وقيل ثمان وسبعين بعد أن بلغ عمـره مئة سنة وثماني سنين. أسند عن معاذ وعلي، وعمر وغيرهم.

ومنهم مسروق بن الأجدع[3] بن مالك يكنى أبا عائشة همداني سُرِقَ وهو صغيـر ثم وجد فسمي مسروقاً أسلم أبوه ولقي مسروق عمر بن الخطاب، فقال له ما اسمك؟ قال مسروق بن الأجدع. ووجدته مضبوطاً، بالذال المعجمة بخط من يعتمـد ضبطه[4] فقال له عمر إن الأجدع شيطان، أنت عبدالرحمٰن فثبت عليه، وكان مسروق من أكـابر التـابعين، وأفراد الـزاهدين كـان يقول: بحسب المـرء من الجهـل أن يعجب بعمله، وحسب المؤمن من العلم أن يخشى الله وقال إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله عز وجل، وحج فلم ينم إلا ساجداً حتى رجع قلت فـإن قال قـائل بـأخذ قـول الشافعي إنه لم ينم لم يكن به بأس فإن على قول الشافعي القديم من نام في شيء من أحوال الصلاة كان بمنزلة من لم ينم فلا ينتقض وضوؤه، ولما وجد منه شـدة الاجتهاد في العبادة، قيل له لو أنك قصرت عن الكلام على بعض ما تصنع فقال: والله لو أتاني آتٍ فأخبرني أن الله لا يعذبني لاجتهدت في العبادة، قيل له فكيف ذلك قـال: حتى

---

(١) الدرة: بالكسر عصا صغيرة يضرب بها.

(٢) روايـة ابن الجوزي ج ـ ٣٨ فـإذا أتاك فعـظانه بمـلامة وعـظنـه مـوعـظة الأديب الكيس كـان يهـارش بالكلاب. لأنت أحب إلي من ملاء أرض مثلهم ولكن الله هو أعز علي منك وفي ابن سعـد ج٦ ـ ٦٥ يا بني والله لأنت أحب إليّ من مـلاء الأرض مثلهم ولكن الله عز الله عليّ منـك، ورواية ثمـار القلوب في المضاف والمنسوب ص٢١٧.

تـرك الـصـلاة لأكـلب يـسعـى لـهـا نـحـو الهـراش مـع الـغـواة النـحس
فـلـيـأتيـنـك غـاديـاً بـصـحـيـفـة نـكـداء مـثـل صـحـيفـة الـمـتـلمس
فـإذا أتـاك فـحـضـه بـمـلامـة وأنـلـه مـوعـظة الـلبـيـب الـكـيِّس

فإذا هممت ألخ..

واعـلـم بـأنـك مـا فـعـلت فـنـفـسـه مـع مـا تـجـرعـنـي أعـز الأنـفس

(٣) الأجدع بن مالك الوادعي: هو الذي قاد همدان كلها يوم الرزم في الجوف انظر الإكليل ج١٠ ـ ٧٦.

(٤) لا يعرف هذا في الكتب المعول عليها.

تعذرني نفسي إن دخلت جهنم لا ألومها أما بلغك قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[1] إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم واعتنقتهم[2] الزبانية، وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانقطعت عنهم الأماني ورفعت عنهم الرحمة وأقبل كل امرىء منهم يلوم نفسه قال: إني أحسن ما أكون ظناً حين يقول الخادم: ليس في (قلب) البيت قفيز ولا درهم[3] وقال إن المرءَ لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها ويتذكر ذنوبه، ويستغفر منها، مات بالكوفة سنة ثلاث وستين، إسناده عن معاذ وعمر وعلي وابن مسعود وخباب وأبّي، وزيد بن ثابت والمغيرة وعبدالله بن عمر، وعائشة.

وقد صحب معاذاً غير هؤلاء من أهل اليمن غير أن هؤلاء جماهيرهم، والمفتون منهم وصحبه منبه بن كامل، والد وهب، وقد أطلت الكلام في ذكر معاذ وأصحابه اليمنيين وحينئذ أشرع بذكر أهل طبقته أيضاً، فهم جماعة منهم أبو موسى عبدالله بن قيس الأشعري معدوداً في فقهاء الصحابة، أصله من اليمن من وادي زبيد وفي الوادي أرض تعرف به إلى الآن.

وهو أحد من بعثه النبي ﷺ مفقهاً لأهل اليمن ولمّا خدعه عمرو بن العاص[4] نزل شِعباً بمكة فيه شيء من القبور يعرف بشعب أبي الدر[5] وقال أجاور قوماً لا يغدرون ولم يزل حتى توفي في سنة أربع وأربعين وقيل: سنة خمسين وقيل: توفي بالكوفة، وانقضى ذكر الفقهاء من الصَّحابة الذين دخلوا اليمن، ومن طبقتهم جماعة أدركوا زمن النبي ﷺ ولم يجتمعوا به وأسلموا وصاروا علماء بأخذهم عن الصحابة،وعاملين. منهم أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو بن سعد بن عمرو بن حوران بن عصوان بن قرن بن ردمان بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عَريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير، وفي اسم أبيه ونسبه اختلاف، هذا أصحه عند أهل اليمن[6] وجده قرن بفتح القاف والراء: بطن من مراد وهو قرن بن ردمان بن ناجية[7]

---

(١) القيامة ـ ٢.

(٢) وأعتقبتهم الزبانية: حبستهم وكان في الأصلين أعتنقتهم والتصحيح من صفة الصفوة والزبانية أشبه شيء بالشرطة.

(٣) قلب البيت كذا في الأصلين وغير موجود في صفة الصفوة. والقفيز: مكيال، وقد صححنا ما بين القوسين من صفة الصفوة.

(٤) عمرو بن العاص أحد الدهاة المشهورين وترجمته معروفة ووفاته سنة ٤٣هـ.

(٥) هو أحد شعوب مكة.

(٦) كذا ساق نسبه الهمداني في الإكليل ج٢ ص٤٢.

(٧) هذا وهم كيف ينسب إلى حمير ثم إلى مراد، إذ ناجية هو ابن مراد، وإنما سكن بينهم لا سوى بقرن

ويقال إن مراد اسمه زيد بن مالك بن أدد بن يشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبأ هكذا ذكره النواوي في شرح مسلم[1] وهذا وإن لم يكن من أصل شرطنا ممن رأس ودرس فهو ممن رأس بمعرفة الله وقدس، وكان يقصده الصحابة لكنه يكره الشهرة ولم يمنعه من الوصول إلى رسول الله ﷺ في الحياة غير أنه كانت له والدة هو برٌّ بها وكان يكره فراقها خشية أن يَعُقّها.

ثبت بأسانيد متواترة في الكتب الصحاح أن عمر بن الخطاب كان إذا أتت عليه أمداد أهل اليمن قال لهم: هل فيكم أويس بن عامر حتى أتى عليه. قال أنت أويس؟ قال: نعم. قال: هل لك والدة؟ قال نعم. قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتي إليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله عز وجل لأبره فإن استطعت يا عمر أن يستغفر لك فافعل فاسْتغفر لي، فاستغفر له[2] ثم قال له أين تريد؟، قال الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها أستوصيه بك قال لأن أكون في غُبر الناس[3] أحب إليّ ثم سافر فلما كان في العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافقه عمر فسأله عن أويس كيف تركه قال: رث الثياب قليل المتاع فقال عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول: يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرىء منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل، فلما قدم الرجل الكوفة أتى أويساً، وقال: استغفر لي فقال له أنت أحدث عهدٍ بسفر صالح فاستغفر لي، ألَقيت عمر؟ نعم. فاستغفر له ثم فطن له الناس فصار يكثر التواري منهم والتغيب، وكساه بعضهم كساء فكان إذا رآه إنسان قال من أين لأويس هذا الكساء؟

قال ابن الجوزي في صفة الصفوة انْفَرد بإخراج هذا الحديث مسلم، وأورد ابن

سمي جبل قرن من مراد انظر صفة جزيرة العرب والإكليل ج٢ - ٤١.

(١) مراد هو يحابر وإنما سمي مراداً لأنه مرد عن أهله وقد وهم النووي وإنما هو مذحج واسمه مالك بن أدد بن عمرو بن زيد بن عريب بن زيد بن كهلان بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب الخ واسم الإمام النووي يحيى بن شرف الدين عالم ضليع صاحب تواليف كثيرة وفاته سنة ٦٧٦هـ انظر ترجمته في طبقات الشافعيّة.

(٢) الزيادة من صفة الصفوة.

(٣) غُبّر: بضم الغين المعجمة وفتح الباء المشددة ثم راء أي أغبر اللون لا يعرف وكان في الأصلين بياء مثناة من تحت.

الجوزي فيها من مناقبه كثيراً، من ذلك قصتـه مع هِـرم بن حيان وهي طـويلة، غير أن منها أن هرم لمّا بلغه قول النبي ﷺ يدخل الجنة بشفاعة أويس مثل ربيعة ومضـر قال: قدمت الكوفة في طلبه فوجدته جالساً على شاطىء الفرات نصف النهار يتوضأ فعـرفته بـالنعت الذي نعت لي وإذا بـه رجل نحيـل آدم شديـد الأدمة[1] محلوق الـرأس مهيب المنظر فسلمت عليه فرد ونظر إليّ فمـددت يدي لأصـافحه فـأبى فقلت رحمك الله يـا أويس وغفر لك كيف أنت؟ ثم خنقتني العبرة من حبي له، ورقتي لمـا رأيْت من حالـه حتى بكيت وبكى. ثم قـال وأنت حياك الله يـا هرم بن حيـان كيف أنت يـا أخي، من دلك عليًّ؟ قلت الله. قال لا إلـه إلا الله سبحان الله ربنـا إن كان وعـد ربنا لمفعـولاً، فقلت من أين عرفت اسمي واسم أبي، وما رأيتـك قبل اليـوم ولا رأيتني قال: أنبأني العليم الخبيـر عـرّف روحي روحـك حين كلمت نفسي نفسـك، إن المؤمنين يعـرف بعضهم بعضاً ويتحابـون بروح الله وإن لم يلتقـوا، وإن نَاءتْ بهم الـدار وتفرقت بهم المنـازل، فقلت لِمَ لَم تحـدثني رحمـك الله عن رسـول الله ﷺ قـال: إني لم أدرك رسول الله ولم يكن لي معه صحبة بأبي هـو وأمي، ولكني قد رأيت رجـالاً رأوه ولست أحب أن أفتح على نفسي هذا الباب لا أكون محدثاً ولا مفتياً ولا قاصاً في نفسي شغل عن الناس، ثم كان بينهما حديث يطول شرحه من جملته أنه أخبر هـرم بموت عمـر. قال له هرم إن عمر لم يمت قال بلى نعاه إليّ ربي عز وجل ونعى إليّ نفسي ثم دعاني وأوصـاني أن لا أفـارق الجماعـة وقال: إن فـارقتهم فـارقت دينـك وأنت لا تعلم، ودخلت النار ثم قال: لا أراك بعد اليوم فـإني أكره الشهـرة، والوحـدة أحبُّ إليّ لأني كثير الغم ما دمت مع هؤلاء الناس حتى لا يسأل عني ولا يطلبني أحد وأعلم أنك مني على بال، وإن لم أرك وترني واذكرني، وادع لي فإني سأدعو لـك وأذكرك إن شـاء الله فانطلق أنت هاهنا حتى آخذ أنا هاهنا فحـرصت على أن أمشي معه سـاعة فـأبى عليّ ففارقته أبكي ويبكي وجعلت أنظر إليه حتى دخـل بعض السكـك ثم كنت أسأل عنـه بعد ذلك فلم أجد مخبراً، ومـا أتت عليّ جمعة إلا ورأيتـه في منامي ـ مـرة أو مرتين. وأسند ابن الجوزي بكتاب الصفوة إلى أسير بن جابر[2] أنه قـال كان أويس إذا حـدث

---

(١) الأدمة بالضم لون مشرب بالسواد والبيـاض وهرم بن حيـان السعدي لـه ترجمـة في صفة الصفـوة ج٣ ـ ٢١٣.

(٢) أسير بن جابـر: بتصغير أسيـر ذكره في تهـذيب التهذيب ج١ ـ ٣٤٩ ـ كـوفي من كنده مـات سنة خمس وثمانين.

يقع حديثه في قلوبنا موقعاً ما يقع حديث غيره مثله، وأسند أيضاً عن الشعبي أنه قال مَرّ رجل من مراد على أويس القرني فقال له كيف أصبَحت قال: أحمد الله عز وجل قال: كيف الزمان عليك قال: كيف هو على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسي، وإن أمسى ظن أنه لا يصبح فمبشر[1] بالجنة أو بالنار يا أخا مراد إن الموت وذكره لم يترك لمؤمن فرحاً وإن علمه بحقوق الله لم يترك له فضة ولا ذهباً، وان قيامه لله بالحق لم يترك له صديقاً.

وأسند أيضاً إلى عمر بن الأصبغ[2] أنه قال: لم يمنع أويساً عن القدوم إلى رسول الله ﷺ إلا ما كان من بره بأمّه فقد بان لك بما ذكرناه هنا صحة ما تقدم من أنه لم يتأخر عن الالتقاء بالنبي ﷺ إلا ما كان من بره بأمّه.

ثم إنه كان عالماً غير أنه كان كما قال لهرم: لا أحب أن أكون قاصاً ولا محدثاً ولا مفتياً رغبة في الخمول، وميلاً عن الشهرة.

وأسند ابن الجوزي أيضاً عن النضر بن إسماعيل[3] أنه قال: كان أويس يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها ويأكل بعضها ويتصدق ببعضها، ويقول: اللهم إني أبرىء إليك من كل كبد جائع، ولما همَّ بالفراق لهرم قال له أوصني قال يا هرم توسد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينك متى قمت وادع الله أن يصلح قلبك ونيتك ولن تعالج شيئاً أشد عليك منهما بَيْنَا قلبك مقبل إذ هو مدبر وبينَا هو مدبر إذ هو مقبل ولا تنظر في صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة غضب الله.

وقال ابن الجوزي كان أويس مشغولاً بالعبادة عن الرواية غير أنه قد أرسل الحديث عن النبي ﷺ[4] احفظوني في أصحابي فإن من أشراط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها، وعند ذلك يقع المقت على الأرض وأهلها فمن أدرك ذلك فليضع سيفه على عاتقه ثم ليلق ربه عز وجل شهيداً، فإن لم يفعل فلا يلومنّ إلا نفسه.

وكانت وفاته على الشهادة يوم صفين[5] في أصحاب علي كرم الله وجهه في

---

(١) زيادة فمبشر الثانية من صفة الصفوة.

(٢) عمر بن الأصبغ لم نعثر له على ترجمة.

(٣) النضر بن إسماعيل هو ابن حازم البجلي أبو المغيرة القاص الكوفي إمام مسجد الكوفة مات سنة اثنتين وثمانين ومئة. تهذيب التهذيب ج١٠ ـ ٤٣٤.

(٤) الذي في صفة الصفوة ج٣ ـ ٥٥ حميد بن صالح قال سمعت أويساً القرني يقول قال رسول الله ﷺ إلخ.

(٥) صفين موضع قرب الرقة على شط الفرات وهو اليوم خراب.

شهور سبع وثلاثين وقال الحافظ عبدالحق[1] في مشتبه النسبة: إنه أخبر النبي ﷺ قبل وجوده وشهد مع علي صفين[2] وكان من خيار الناس، وقيل إنه توفي في زمن عمر والأول أصح بدليل يوم هرم أنه نعى إلي ربي عمر.

ومنهم كعب بن ماتع عرف بكعب الأحبار من حمير نسباً وفي الدين يهودياً قال نشوان في شمس العلوم[3] كان من علماء التابعين من حمير ثم من آل ذي رعين، وهو من المخضرمين: بخاء معجمة مفتوحة وضاد معجمة ساكنة ثم راء مخفوضة ثم ميم بعدها ياء ونون، قال ابن خلكان وقد سمع بالحاء المهملة وفتح الراء، وأصل ذلك يطلق على من أدرك الجاهلية والإسلام، ثم كثر استعماله فيمن أدرك دولتين، خرج كعب من اليمن يريد المدينة ويتحقق أحوال الإسلام فقدمها زمن عمر فعلم صحة الإسلام بعلامات يعرفها وأسلم ثم خرج إلى الشام في إسلامه خلاف ما ذكرناه، وهو وهم منه إذ حدث ما ذكرته هنا من كتب الحافظ المقبول نقلهم كأبي نُعْيم صاحب الحلية، وابن الجوزي في صفة الصفوة والواقدي[4] مطعون في روايته.

ومنهم منبه بن كامل والد وهب الآتي ذكره صحب معاذاً وقد عددته من أصحابه.

ومنهم عبدالرحمٰن بن بزرج كان كبير القدر شهير الذكر كان من توفيقه أيام الجاهلية أنه كان يدخل في جماعة من فتيان صنعاء على ابنة باذام رئيس الفرس[5] وكلهم يسجد لها دونه فكانت تضربه لذلك، ثم لما جاء الإسلام كان من أحسنهم له تعرفاً وأقرئهم لكتاب الله وأقومهم بحقوقه، ولقد كان أهل صنعاء يعجبون منه ومن اجتهاده وأخته أم سعيد ابنة بزرج التي كان ينزل عندها أصحاب رسول الله ﷺ وهو

---

(١) عبدالحق هو ابن عبدالرحمٰن الأزدي الإشبيلي الأندلسي المعروف بابن الخراط مولده سنة ٥١٠ ووفاته سنة ٥٨١ كان حافظاً عالماً بالحديث ورجاله الأعلام ج٤ ـ ٥٢.

(٢) انظر الإكليل ج٢ ـ ٣٥٦.

(٣) نشوان هو ابن سعيد الحميري المتوفى ٥٧٣هـ ثلاث وسبعين وخمسمائة: انظر مفيد عمارة بإخراجنا ص٢٩٧ فترجمته هنالك مستوفاة.

(٤) الواقدي اسمه محمد بن عمر وفاته سنة ٢٠٧ سبع ومئتين له مؤلفات كما له تراجم في ابن خلكان وغيره. وتأتي ترجمته مكررة.

(٥) باذام هو الذي كتب إليه رسول الله ﷺ وأقره على ولاية اليمن، انظر الوثائق السياسية ٣٧ ويقال فيه باذان، وص١٢٢ وعبارة الرازي كُنّا ندخل على ابنة باذان ونحن غلمان فلا يدخل عليها إلا كفراً إلا عبدالرحمٰن فكانت تضربه بحجارٍ لها فما فعل لها ذلك حتى دخل الإسلام فكان أحسننا إسلاماً وأقرأنا لكتاب الله عز وجل ـ ص٤٣٩.

جد قوم بصنعاء يعرفون ببني الشيعي قاله الرازي منهم صاحب الدعوة للفاطميين بالمغرب[١] وأخوه النعمان[٢] أسلم وهو ابن ثلاثين سنة وعمر طويلاً تسعين سنة في الإسلام[٣] سأله عبدالملك[٤] قال: أيْنَ كنت يوم قتل الكذاب[٥] قال احتملت أمي على عنقي حتى أدخلتها قصر غمدان[٦] مع المتفرجين فقال عبدالملك حينئذ لرجل[٧].

ثم صار العلم إلى طبقة ثانية من علماء اليمن.

منهم أبو عبدالرحمن طاووس بن أبي (حنيفة)[٨] كيسان وقيل ذكوان ولقب بطاووس لأنه كان طاووس قراء وفتيا من أصحاب علي وابن عباس وأجمع الحفاظ كابن الجوزي والحافظ أبي نعيم، والرازي وغيرهم أنه كان مسكنه الجند حتى قال بعضهم: الجند بفتح الجيم والنون من مخاليف اليمن، مولده في خلافة أبي بكر.

قال الرازي سئل ابنه عبدالله ممن أنتم، فإنه بلغنا أنكم إلى همدان فقال: لا ولكن إلى خولان، وإنما تزوج جدّ طاووس مولاة لآل هوذة الحميريين[٩] فسموا موالي لهم[١٠]وليسوا بموالٍ، وقد أورد جماعة من الفضلاء من أخبار طاووس نبذاً ولكن عولت من ذلك على ما رواه الرازي فإنه أخبر بأهل اليمن إذ هو منهم مولداً ومنشأ وقد تقدم ذكره.

---

(١) صاحب الدعوة هو أبو عبدالله الحسين بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي الصنعاني، انظر ترجمته في مفيد عمارة وابن خلكان ص ٦٣ والفاطميون هم العبيديون، انظر ابن الأثير وقرة العيون ص ١٨٠ والمغرب هو تونس والجزائر ومراكش ج١ ـ ٤٤.

(٢) قوله وأخوه أي عبدالرحمن بن بزرج.

(٣) في الرازي ص٢٩٥ وكان النعمان قد عاش مئة وعشرين سنة ثلاثين في الجاهلية وتسعين سنة في الإسلام.

(٤) كذا في «ب» وفي «د» سأله عبدالملك بن سالم ولا نعرف عن هذا شيئاً وصح لدينا أنه عبدالملك بن مروان الخليفة لأن النعمان بن بزرج دخل الشام.

(٥) كذا في «ب» وفي «د» الطفران ولا معنى له وربما الكلمة (الطفلان) إشارة إلى طفلي عبيدالله بن عباس اللذين قتلهما (بسر بن أبي أرطأة) والكذاب: الأسود العنسي.

(٦) كذا في «ب» وفي «د» بإسقاط قصر وانظرالكلام على غمدان الإكليل ج٨ ـ ص١.

(٧) كذا في «ب» وفي «د» لرجل حينئذ.

(٨) كذا في الأصلين وهذه الزيادة لم ترد في الكتب المترجم بها لطاووس حتى في الرازي.

(٩) هوذة بالذال المعجمة والهاء آخر الحروف وكان في الأصل بالدال المهملة بدون هاء والتصحيح من صفة الصفوة والعاشر من الإكليل وقال ابن خلكان في ترجمة طاووس ج٢ ـ ١٩٤ قال أبو الفرج ابن الجوزي في كتاب الألقاب إن اسمه ذكوان وطاووس لقبه.

(١٠)في «ب» زيادة: وليسوا بموال.

قال: كان طاووس فقيهاً زاهداً ورعاً محدثاً عابداً ناسكاً أدرك خمسين من أصحاب رسول الله ﷺ بحيث صحبهم وأخذ عنهم، منهم علي وابن عباس وابن عمر ومعاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح[1] وزيد بن ثابت، وأبو هريرة ومعظم أخذه عن الأولين. قيل لعبيدالله بن أبي زيد: مع من كنت تدخل على ابن عباس فقال: مع عطا والغامة، قيل له فطاووس، قال أيهات[2] كان ذلك يدخل مع الخواص، وكان عمرو بن دينار الآتي ذكره إذا ذكر عنده طاووس يقول: ما رأيت مثله.

وروى عنه جماعة من التابعين كمجاهد وعطاء وعمرو بن دينار، وابن الزبير، وابن المنكدر، وابن منبه، والزهري[3] مع جمع غيرهم لا يحصون كثرة.

ومن روايته المستحسنة ما قاله الرازي بإسناده عنه أنه كان يقول: سمعت جابر بن عبدالله[4] ومعاذ بن جبل وأبا عبيدة بن الجراح يقولون: قال رسول الله ﷺ: لأن يخرج الرجل من بيته صلاة الغداة فيجلس في مجلسه يعلم الغلمان السكينة والوقار وحسن الأدب أحب إلى الله من أن يعبده مئتي خريف لا يسخط الله عليه، وعرضت هذا الخبر على بعض الفقهاء فقال لي: انظر إلى أدب النبي ﷺ في هذا الخبر كيف لم ينسب إلى المعلم غير تعليم السكينة والوقار وحسن الأدب تأدباً مع الله إذ قال الله ﴿الرَّحمٰن عَلَّمَ القُرآنَ﴾ قام[5] طاووس بقضاء مخلافي الجند وصنعاء، وكان يختلف بينهما وله في صنعاء مسجد يعرف به[6] وهو الذي كان يقيم به أيام لبثه بصنعاء ولذلك يتوهم جماعة أن بلده صنعاء، وكان ابن عباس إذا سئل عنه قال ذلك عالم اليمن. وكان ولاة اليمن يعولون في أمورهم الدينية على قوله، وذلك عن وصاة من مواليهم غالباً فإنه قد كان شهر في البلد أنه إمام وقته وفقيه مصره وكان متى قيل له

---

(١) انظر الرازي ص٣٢٣.

(٢) أيهات لغة في هيهات أي بُعداً.

(٣) هؤلاء الأعلام ذكروا في كتب التراجم فمجاهد هو ابن جبر مات سنة أربع ومئة وعمرو بن دينار وعطاء وابن الزبير يأتي ذكرهم للمؤلف وابن المنكدر واسمه محمد بن المنكدر وكانت وفاته سنة ثلاثين ومئة وابن منبه هو وهب بن منبه يأتي ذكره للمؤلف والزهري هو محمد بن مسلم بن شهاب بن الزهري المشهور ووفاته سنة عشرين ومئة، كل هذا من صفة الصفوة ج٢، وكان في الأصل لا يخرج والتصحيح من الرازي ص٣٥٩.

(٤) هو الأنصاري من شهد العقبة مع السبعين وهو صغير وأراد شهود بدر فخلفه أبوه توفي سنة ثمان وسبعين بعد أن ذهب بصره.

(٥) في «ب» محن.

(٦) مسجد طاووس معروف إلى يوم الناس بقرب قبة طلحة من شمالها بغرب بينهما الطريق العامة.

أمؤمن أنت؟ يقول: آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا يزيد، وكان يقول اجتنبوا القول في القدر فإن المتكلمَيْنِ فيه لا بد من بيان ما يقولان بما يتكلمان بغير علم. خرج ذات يوم من مدينة الجند يريد أرضاً له فمشى معه رجل يريد البركة فنعق غراب فقال الرجل على طريق العادة والزجر: خير خير، فغضب طاووس وقال: أي خير عند هذا أو شرٍ يا جاهل لا تصحبني ولا تسر معي.

وذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة أنه صلى الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة، وقال لقي عيسى ابن مريم إبليس فقال: يا عيسى أما تعلم أنه لن يصيبك إلا ما قد قدر عليك؟ قال نعم، قال ارْقَ ذروة هذا الجبل فتردّ منه ثم انظر هل تعيش أم لا؟ فقال عيسى: أوما علمت أن الله تعالى يقول لا يجربني عبدي فإني أفعل ما أشاء وكان يقول: من السنة أن يُوَقَّر أربعة: الوالد، والعالم وذو شيبة، والسلطان. وكان يكره البقاء على القبور والتغوط عندها ويقول: لا تتخذوا قبور إخوانكم حُشّاناً، قلت الحشان جمع حش كحش وحشان[1] وقال معنى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[2] التثبيت في الدنيا لا إله إلا الله، وفي الآخرة عند المساءلة في القبر، وقال: أهل الجنة ينكحون ولا يمنون ليس بها مني. وقال أعطي النبي ﷺ في الجماع قوة خمسة وأربعين، وقال لعطاء بن أبي رباح يا عطاء لا تتركن حاجتك لمن يغلق دونك أبوابه، ويجعل عليها حجابه ولكن أنزلها بمن بابه لك مفتوح إلى يوم القيامة، أمرك أن تدعو له بدعوة، ضمن لك أن يستجيب لك. وذكر ابنه عبدُ الله وهو أحد أئمة اليمن أيضاً أن أباه تصدق بأرضه أو ببعضها على فقراء أهله، وإن لم يكن فيهم فقير فعلى المساكين من غيرهم، ثم شك في حسن ذلك فاجتمع بحجر المدري وكان عالماً من أصحاب علي كرم الله وجهه وسيأتي ذكره وسأله فقال فعلت حسناً إن رسول الله ﷺ أمر أن تصرف صدقته على فقراء أهله، وقال كان أبي إذا سئل عن صحابي أورد من فضله حتى يقول سامعه هذا لا يعرف إلّا هذا.

وله مسانيد ومراسيل، فمن مراسيله قال ﷺ: «إياكم والخروج بعد هدأة الليل، فإن لله دواباً يبثها في الأرض تفعل ما تؤمر فإذا سمع أحدكم نهاق الحمير أو نباح الكلاب فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم فإنهم يرون ما لا ترون». ومنها: «إذا ذكر

---

(١) لم يفسره المؤلف وهو الكنيف: المستراح.
(٢) إبراهيم - ٢٧.

أصحابي فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا وإذا ذكر النجوم فأمسكوا»، ومنها: قال ﷺ: «لو كان لديّ مثل أحدٍ ذهباً لأحببت أن لا تمر بي ثلاث وعندي منه إلا ما أرصده لدين». ومنها: قال ﷺ: «الرحم شعبة من الرحمان تجيء يوم القيامة تتكلم بلسان طلق، فمن أشارت إليه بوصل وصله الله، ومن أشارت إليه بقطع قطعه الله».

وقال: كان ابن عباس متى سئل عن رجل طلق امرأته ثلاثاً يقول: لو اتقى فاعل ذلك لكان جعل الله له مخرجاً. قال: وسئل أيضاً عن إتيان المرأة من الدبر فقال هذا سؤال عن الكفر، وكان معظماً في أهل زمانه. حكى أنه اجتمع بمكة بجماعة من العلماء كالحسن البصري وعمرو بن دينار ومكحول الشامي[1] (وسليمان بن محمد الضحاك)[2] وكانوا حينئذ بمسجد الخيف بمنى فتذاكروا، القدر حتى ارتفعت أصواتهم، وكثر لغطهم فقال طاووس وكان فيهم رضياً[3] وقال أنصتوا أخبركم ما سمعت فأنصتوا فقال: سمعت أبا الدرداء[4] يخبر عن رسول الله ﷺ قال: إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدوداً فلا تعتدوها ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء من غير نسيان فلا تتكلفوها رحمة بكم من ربكم فاقبلوها تقول ما قال ربنا عز وجل ونبينا ﷺ الأمور كلها بيد الله، ومن عند الله مصدرها، وإليه مرجعها ليس للعبد فيها تفويض ولا مشيئة فقام القوم وهم راضون بكلامه.

وقعد إليه أيوب بن سليمان بن عبدالملك وأبوه إذ ذاك خليفة فلم يحتفل به بل قام نافراً فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه، فقال أردت أن أعلمه أن لله عباداً يزهدون به وبأبيه وبما في أيديهم.

وكان من أشد الناس ورعاً وتنزهاً عن ما في أيدي الملوك وغيرهم. وكان يكره الأمراء ويحذر صحبتهم، ولا يرى بجواز الصلاة خلفهم، ولا يقبل لهم عطاء ولا

---

(١) الحسن البصري هو أبو سعيد الحسن بن الحسن البصري مشهور بالزهد والعلم والفصاحة وكانت وفاته سنة عشر ومئة، ومكحول الشامي هو ابن عبدالله بن كابل لم يكن في زمانه أبصر منه في الفقه وكانت وفاة مكحول سنة ثمان ومئة وقيل غير ذلك انظر ابن خلكان ج ٤ ـ ٣٦٨ وربما تأتي ترجمة الحسن للمؤلف.

(٢) كذا في الأصلين والذي في الرازي ص٣٥٦ وجدت بخط سليمان بن محمد الضحاك بن مزاحم قال اجتمعت أنا وطاووس الخ.

(٣) في الأصلين رئيساً والتصحيح من الرازي.

(٤) أبو الدرداء اسمه عويمر بن زيد الأنصاري شهد مع رسول الله المشاهد كلها وولاه عمر بن الخطاب القضاء بدمشق وله ترجمة ضافية توفي بدمشق في خلافة عثمان سنة إحدى وثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين وقوله فانصتوا قال سمعت، هذا ساقط من الرازي.

يشرب من المياه التي أحدثتها الملوك بمكة وطرقاتها، حتى أن بغلته هوت للشرب من بعضها فمنعها وكبحها باللجام. وقد أورد الغزالي في الإحياء[1] والرازي قصة عجيبة له مع هشام بن عبدالملك[2] شهرتها تغني عن ذكرها وقال[3] في صفة الصفوة دخل طاووس ووهب على محمد بن يوسف أخي الحجاج[4] وهو إذ ذاك أمير أمير المؤمنين فأجلّ طاووساً وبجله وأقعده على كرسي ثم قال يا غلام هَلُمّ بالطيلسان[5] فألْقِه على أبي عبدالرحمٰن فجاء به فألقاه عليه فجعل يحرك كتفيه حتى ألقاه، فتبين الغضب في وجه الأمير ثم لما خرجا قال له وهب والله (إن كنت لغنيّاً أن تغضبه علينا) لو أخذت الطيلسان فبعته وأعطيت ثمنه المساكين فقال: نعم لولا أخاف أن يقال من بعدي: (أخذه طاووس فلا يصنع فيه ما أصنع لفعلت)[6].

وأمر له محمد أيضاً بشيء من المال[7] وقال للرسول إن أخذه منك فلك مني كذا[8] فلما وصل الرسول إليه قال: يا أبا عبدالرحمٰن إن الأمير قد وصلك بمال وخصك[9] بجعلة من وجه حلال فقال: لا حاجة لي[10] به أعده إليه. فغافله الرجل ثم تركه بكوة في البيت من غير علم منه ولا من غيره؛ ثم عاد الرسول فأخبر الأمير أن المال صار إلى طاووس فأعطاه ما شرط[11]. ثم بعد ذلك بمدة بلغ الأمير أن طاووس تكلم في حقه كلاماً غير مرضي، فغاظه ذلك فطلب الرسول الذي بعثه بالمال وقال اذهب إلى طاووس واطلب منه المال الذي بعثتك به إليه، فوصل إليه وسأله فقال لا علم لي أين تركته قال: بهذه الكوّة. قال: انظر بها فنظر وإذا بالعنكبوت قد بنت عليه

---

(١) الغزالي هو محمد بن محمد أشهر من نار على علم وفاته سنة خمس وخمسمائة هجرية.
(٢) انظر هذه القصة في الرازي ص٣٢٤.
(٣) (قول) في الأصلين.
(٤) يأتي ذكر محمد بن يوسف وأخيه الحجاج والتصحيح من صفة الصفوة وعبارتها وكان عاملاً علينا في غداة باردة.
(٥) الطيلسان: كساء أخضر يلبسه الخواص وهو من لباس العجم.
(٦) ما بين القوسين من صفة الصفوة ج٢ ـ ٢٨٤. والمؤلف يتصرف في عبارة ما ينقل بدون تحَرٍ إذ في الأصلين خبط عشواء.
(٧) في صفة الصفوة بخمسمائة دينار.
(٨) في صفة الصفوة فإن الأمين يكسوك ويحسن إليك.
(٩) في الصفة نفقة بعث بها إليك الأمير وفي «ب» وصلك بمال وخصك.
(١٠) في الصفة: ما لي بها من حاجة. والخلاصة أن المؤلف يتصرف في عبارة الذي ينقل عنهم تصرفاً غير كامل.
(١١) هذه الزيادة من «ب».

لم يشعر به أحد فأخذه وأعاده للأمير[1]. وكان إذا صلى العصر مع أصحابه استقبلوا جميعاً القبلة وابتهلوا بالدعاء والذكر، ولم يكلموا أحداً. ودخل يوماً على مريض يعوده فقال له المريض ادعُ لي قال: ادع أنت لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه. وقال إن الموتى يلبثون في قبورهم سبعاً ولذلك كانوا يستحبون أن يطعم عن الميت تلك الأيام، وكان كثير الحج حتى كان يقال إنه حج أربعين سنة.

وكانت وفاته بمكة يوم التروية عقب خروجه من عند[2] هشام سنة ست ومئة وحضر هشام جنازته والصلاة عليه، ولما حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه فقال متى وضعتني في اللحد ونصبت علي اللّبِن، ولم يبقَ غير يسير انظرني فإن وجدتني فإنا لله وإنا إليه راجعون وإن لم تجدني[3] فاحمد الله. ففعل ابنه ذلك فلم يعرف الحال إلا بتهلل وجهه، وبلغ عمره بضعاً وتسعين سنة.

ومنهم أبو عبدالله وهب بن منبه بن كامل بن سَنْسَخ بسينين مهملتين مفتوحتين بينهما نون ساكنة ثم خاء معجمة بعد السين الآخرة ومعناه، بلغة الفرس الأسوارى أي الأمير كالبطريق عند الروم، والقيل عند العرب، وقد ذكر الرازي نسبه إلى ملوك الفرس المتقدمين[4]. ثم قال: هو أحد أبناء الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن، وكان جده أحد الأكاسرة؛ وأما أبوه فهو من أصحاب معاذ وقد ذكرته وكانت أمه من ذي الخليل الحميري[5] وكانت تقول كلاماً بالحميرية معناه رأيت في المنام كأني ولدت ابناً من ذهب فأوله أبوه وعبّره أنها تلد ولداً عظيم الشأن، ومولده ومنشأه صنعاء وقد نسب إلى ذمار[6] وهو خطأ وميلاده سنة أربع وثلاثين وقيل سنة ثلاثين وأورد الرازي في كتابه بسنده أن النبي ﷺ اضطجع ذات يوم بحجرة عائشة فمرت به سحابة فقال: يا عائشة أتدرين أين تريد هذه السحابة؟ فقالت الله ورسوله أعلم. قال موضعاً باليمن يقال له صنعاء يكون فيه وهب يهب الله له الحكمة. وفي رواية يؤتيه الله

---

(١) إن المؤلف الجندي كثيراً ما يتصرف في عبارات المؤلفين فيقع اللبس والخلط فارجع إلى صفة الصفوة وإلى الرازي الذي اعتمد عليهما.

(٢) عبارة صفة الصفوة: توفي طاووس قبل يوم التروية بيوم وكان هشام قد حج. وزيادة (عند) منا.

(٣) في الأصلين: وإن لم فقط وزيادة (تجدني) منا ثم وجدتها نصاً في الرازي.

(٤) انظر الرازي ص٣٦٧.

(٥) انظر ج٢ ـ من الإكليل ٣٣.

(٦) انظر الكلام على ذمار صفة جزيرة العرب ص٧٩، ٢٢٤ وقرة العيون ج٢ ـ ١٤٨. والمعجم والإكليل ج٢.

الحكمة وفي أخرى ثلث الحكمة. قال الرازي وروى عبادة بن الصامت[1] عنه ﷺ أنه قال: يكون في أمتي رجلان يقال لأحدهما وهب يهب الله له الحكمة، والآخر غيلان فتنة على أمتي أشد من فتنة الشيطان فكان غيلان أول من تكلم بالقدر[2]. وكان وهب فقيهاً فصيحاً مصقعاً بليغاً في الخطابة والفصاحة والموعظة لا يبارى ولا يجارى، لقي عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ كابن عمر وابن عباس وأخذ عن جابر والنعمان الأنصاريين وأبي هريرة، وأخذ عن طاووس ومحمد بن الحنفية[3] وعبدالله بن الزبير، وغالب أخذه عن ابن عباس، وكان يقول: صحبت ابن عباس قبل أن يصاب ببصره ثلاث عشرة سنة وبعد أن أصيب به وإنّي معه ذات يوم بمكة إذ قال لي يا ابن منبه قدني إلى مجلس المراء[4] كان قوم يجلسون بين باب بني جمح إلى الباب الذي يليه يتكلمون بالجبر والقدر فقدته إليهم[5] فلما وقف عليهم سلم فردوا عليه السلام ثم قالوا ألا تجلس رحمك الله فقال: والله ما أنا بجالس إليكم أما تعلمون أن لله عباداً أسكتتهم خشية الله من غير عيّ وأنهم لهم الفصحاء واللطفاء[6] والنجباء الأولياء إذا ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم[7] وإذا أشفقوا بما دروا إلى الله الأعمال الزاكية ثم سكت[8] فقلت لهم إني قرأت شيئاً من السنة لعد كتب من كتب الله التي أنزلها الله على أنبيائه من السماء اثنين وتسعين كتاباً منها اثنان وسبعون من الكنائس، وعشرون في أيدي الناس لا يعلمها إلا القليل ووجدت في جميعها[9] أن من أضاف إلى نفسه شيئاً من المشيئة

---

(١) عبادة بن الصامت الأنصاري أحد النقباء الذين شهدوا العقبة وشهد بدر والمشاهد كلها وولي قضاء بيت المقدس وغزا قبرس مع زوجته الصحابية وتوفي أيام عثمان.

(٢) الحديثان المذكوران عن فضل ابن منبه من الأحاديث الموضوعة بدون شك ولا ارتياب.

(٣) محمد بن الحنفية نسبته إلى أمه التي من سبي بني حنيفة أيام الردة واسمها خولة بنت جعفر، مات في سنة إحدى وثمانين وله خمس وستون سنة ودفن بالبقيع.

(٤) كان في الأصلين خبط والتصحيح من الرازي ص٣١ والمرا بالكسر المماراة معروف.

(٥) قوله فقدته إليهم فلما ساقط من الرازي وقوله فردوا كذا في الأصلين وزيادة عليه السلام من الرازي.

(٦) كان في الأصلين الطلقا بالقاف والتصحيح من الرازي.

(٧) في الرازي ص٣٨ طاشت حلومهم وفي ص٣٨٧ عقولهم والأحلام والعقول بمعنى.

(٨) كذا في الرازي وفي الأصلين سكت فقلت لهم الخ.

(٩) في ص٣٨١ من الرازي فقلت إني قرأت اثنين وسبعين كتاباً نزلت من السماء وشاركت الناس في علمهم وعلمت كثيراً مما لم يعلم الناس الخ. وفي ص٣٨٣ يقول وهب: لقد قرأت اثنين وسبعين كتاباً كلها نزلت من السماء اثنين وسبعين منها في الكنائس وعشرين في أيدي الناس لا يعلمها إلا قليل وجدت في كلها أن من أضاف إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر فما هذا خلط وجمع بين الروايتين وأشياء وما بعده غير موجود.

فقد كفر ولقد شاركت الناس في علمهم، وعلمت كثيراً مما لم يعلموا ووجدت أعلم الناس بهذا الأمر الذي تمترون به أسكتهم عنه، ورأيت أجهلهم به أنطقهم ووجدت الناظر فيه كالناظر في شعاع الشمس كلما ازداد فيها تأملاً ازداد فيها تحيراً وكان الناس إذ ذاك قد أفاضوا في ذكر القدر، وقد قرأت كتب عبدالله بن سلام وكتب كعب الأحبار «وقرأت التوراة»[1] فوجدت فيها أنا الله خالق الخير ومقدره وطوبى لمن قدرته على يديه وأنا خالق الشر ومقدره فويل لمن قدرته على يديه من خلقي، وقرأت الإنجيل فوجدته كذلك: حج سنة مئة وحج فيها جمع من العلماء فيهم الحسن البصري وعطاء بن أبي رباح وغيرهما فاجتمعوا جميعاً إلى موضع بالحرم وتذاكروا العلم ثم أرادوا ذكر القدر فقطع عليهم وهب الكلام واستفتح في ذكر الحمد والثناء ولم يزل متكلماً بذلك حتى طلع الفجر وافترقوا، ولم يخوضوا في شيء. وحج مرة فلما صار بمكة وقد اجتمع في الحجيج جماعة من العلماء فصنع لهم عطاء بن أبي رباح طعاماً في منزله ودعاهم إليه فلما أمسوا وكان فيهم الحسن أيضاً وعكرمة مولى ابن عباس فتكلم الحسن وغيره في وصف الله وعظمته وجلاله ثم قال لوهب: تكلم فأخذ يتكلم في تعظيم الرب[2] وتنزيهه ثم لم يزل كذلك حتى قاموا لصلاة الصبح ولم يحل وهب حبوته[3] فقال له عكرمة يا أبا عبدالله كان لنا (في أنفسنا)[4] قَدْر فصغّرته عندنا[5] وجاء رجل فقال إني سمعت فلاناً يشتمك فغضب وقال ما وجد الشيطان إليّ رسولاً غيرك، ثم إن الرجل المنقول عنه أتى عقب ذلك وسلم عليه وأكرمه ومد يده وصافحه وأجلسه إلى جنبه وقال الإيمان عريان لباسه التقوى وزينته الحيا وجماله الفقه.

وكان يَؤمُّ الناسَ بقيام رمضان[6] ويوتر بهم فإذا رفع رأسه قنت فيقول: اللهم ربنا لك الحمد الدائم السرمد حمداً لا يحصيه العدد، ولا يقطعه الأبد كما ينبغي لك أن تحمد وكما أنت له أهل وكما هو لك علينا، ثم يرفع الناس أصواتهم بالدعاء فلا يسمع ما يقول وكان يرفع يديه حين التكبير للركوع وحين الرفع منه ولا يفعل ذلك في

---

(١) وقرأت التوراة زيادة من الرازي وساقط من الأصلين.
(٢) عبارة الرازي ثم قالوا لوهب تكلم فاختبأ في ردائه وأخذ في تعظيم الرب تعالى.
(٣) عبارة الرازي: فما زال فيه حتى حل حبوته لصلاة الصبح.
(٤) ما بين القوسين من الرازي.
(٥) في الرازي فصغرتها إلينا وهو الصواب.
(٦) عبارة الرازي وكان وهب يؤمُّ الناس في شهر رمضان ويصلي بهم التراويح.

السجود[1] وكان القراء من أهل صنعاء إنما يقرأون عليه وكانوا حين ينصرفون عن الجامع بعد عصر الجمعة يقصدونه إلى داره وهي بالقرب من الجامع، وكان الخشوع عليهم ظاهراً وأثر السجود في وجوههم فإذا أتوا داره وجدوه قاعداً فيسلمون عليه ويقعدون إلى جنبه.

ولما وصل كتاب الحجاج إلى أخيه يأمره فيه أن يقرأ العلم على أعلم من يجده في صنعاء سأل عن ذلك فقيل له وهب فأرسل إليه فلما أتاه أعلمه بكتاب أخيه ثم شرع يقرأ عليه وقال له: افتقد الناس بالموعظة وخوِّفهم سطوة الله ونقمته فكان يفعل ذلك[2] ثم إن محمد بن يوسف أشرك معه عبدالرحمٰن بن يزيد[3] فكانا يتعاقبان ذلك من وعظ صباحاً أعقبه الآخر عشاء، ثم إن وهب استعفى من ذلك فأُعفي. وكان مع علمه عابداً يقال أقام أربعين سنة أو عشرين يصلي الصبح بوضوء العِشاء، ولقي عطاء الخراساني فقال: يا عطاء أخبرت عنك أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبناء الدنيا، ويحك يا عطاء تأتي باب من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه ويظهر لك غناه ويقول: ادعني استجب لك ويحك يا عطاء ارض بالدون من الدنيا مع الحكمة ولا ترض بالدون من الحكمة مع الدنيا، ويحك يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك، ويحك يا عطاء إنما بطنك بحر من البحور، ووادٍ من الأودية وليس يملأه إلّا التراب. وقال إن في الألواح التي قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَه في الألْواحِ مِنْ كلّ شَيء﴾[4] يا موسى اعبدني ولا تشرك معي شيئا من أهل السماء ولا من أهل الأرض فإنهم خلقي كلهم وإني إذا أشركت بي غضبت وإذا غضبت لعنت واللعنة مني تدرك الولد الرابع وإذا أطعت رضيت وإذا رضيت باركت والبركة تدرك الأمة بعد الأمة[5] وقال: الصدقة تدفع مِيْتة السوء، وتزيد في العمر وتزيد في المال[6] وذكر أهل النجوم يوماً وقال: إن

---

(١) عبارة الرازي يرفع يديه في الصلاة إذا كبر وإذا ركع رفع يديه وإذا رفع رأسه من الركوع رفع يديه.

(٢) عبارة الرازي وقيل إن الحجاج أمر أخاه محمد بن يوسف وهو يومئذ والي صنعاء ،ووالي اليمن أن يقرأ على أفضل من يقرأ عليه فقرأ محمد بن يوسف على وهب بن منبه ثم إن محمد بن يوسف أمر وهباً أن يقص ويعظ أهل بلده، ويذكرهم آلاء الله ونعمه ويخبرهم بأخذه نكاله ويخوفهم ويرقبهم فكان وهب على قصص الجماعة ثم أضاف إليه عبدالرحمٰن بن يزيد القاص.

(٣) في «ب» بعد هذا وقيل يزيدونه.

(٤) الأعراف ـ ١٤٥.

(٥) في الرازي زيادة تركها المؤلف، وهي في ص٣٨٨.

(٦) لفظ «وتزيد في المال» من الرازي.

ضلالتهم لقديمة أوحى الله إلى نبي اسمه شعيب كان قومه يتعاطون[1] معرفة النجوم وإدراك المغيبات مُرْ قومك فيسألوا كهّانهم وأهل النجوم فيهم عن أمر أريد إحداثه فليخبروني ما هو فسألهم شعيب عن ذلك فلم يأتوه بعلم فقال: يا رب أنت أعلم أنّهم لم يهتدوا إلى ما أمرتني به فتصدق عليّ بتعريفه فقال: إني أريد أن أحول الملك في الأذلاء والحكمة في أهل الجفاء وأحوّل الأحلام في الفدادين[2] وأبعث أعمى في عميان وأمياً في أميين وأنزل عليه السكينة وأؤيده بالحكمة بحيث لو يمر[3] سراج لم يطفئه أو على قصب الرعراع لم يسمع له[4] صوت وقال: الإيمان قائد، والعمل سائق والنفس بينهما حرون[5] فإذا قاد القائد ولم يسق السائق اتبعته النفس طوعاً وكرهاً وطاب العمل، وسُئِل عما يقول بعد الطعام فقال: الحمد لله الذي أكرمنا وحملنا في البر والبحر ورزقنا من الطّيبات وفضّلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، وقال: مكتوب في التوراة من لم يدار عيشه مات قبل أجله، وقال في التوراة: الأعمى ميت والفقير ميت، واستشاره رجل في رجلين خطبا ابنته وقال: إن أحدهما من الموالي وهو ذو مال، والآخر من همدان لكنه فقير فقال له وهب زوج الهمداني فإن الأموال عوارٍ تذهب وتجيء والأحساب لا تذهب، فانطلق الرجل وأزوج الهمداني[6] وكان يقول في قوله تعالى: ﴿إلا قليل منهم﴾ ما كان أقل من العشرة فهو قليل، وكان إذا دخل مكة أيام ابن الزبير يكرمه ويبّجله ويجلّه، وإذا دخل عليه في مجلسه قام له وأجلسه معه على سريره لا يفعل ذلك لأحد غيره حتى كان رؤساء قريش ومن يحضره يحسدونه على ذلك، ثم إن بعض أعيان قريش طمع بتخجيل وهب بأن يكلمه بشيء في مجلس ابن الزبير لا يطيق الجواب عنه فقال له: أين أمكم، وكان وهب لا لحية له، ومعنى السؤال إنما أنت شبيه بالنساء، فتساءل عما يسأل عنه النساء فأجابه وهب مسرعاً: أمُّنا هاجرت وأسلمت مع سليمان، لله رب العالمين، ولكن أخبرنا أين أمكم؟ فسكت القرشي فقال: قل في جيدها حبل من مسد، فقال ابن الزبير للقرشي: هذا وهب بن منبه سيد

---

(١) كذا في «ب»، وفي «د» يتعاملون، وغير موجود في الرازي من قوله «وذكر أهل النجوم» إلى «معرفة النجوم» مع نقص في الأصل.

(٢) في الرازي «في الغلاة» والأحلام: العقول، الفدادون: الجمّالون والرعيان.

(٣) في الرازي لويمر إلى حيث السراج وصوابه بسراج أو على سراج.

(٤) في الرازي لم يستمع صوته والرعراع: اليراع والقصب الطويل.

(٥) الحرون بالفتح الدابة التي لا تمشي عندما يراد منها ذلك والكلمة مستعملة.

(٦) في الرازي سمّى الرجلين وهما شداد بن حابان من الموالي وسالم ذو لعوة الهمداني.

قومه ما كان لك بكلامه من حاجة[1].

وامتحن وهب بالقضاء فكان أصحابه يقولون له كنت تخبرنا أبا عبدالله بالرؤيا تراها فلا تلبث أن تكون كما أخبرتنا، ولم نجدك اليوم كذلك، فقال وهب ذهب عني ذلك منذ وليت القضاء[2] وكان نقش خاتمه: «آصمت تسلم، وأحسن تغنم».

وأما حكاياته فكثيرة لا تكاد تحصى، وكانت وفاته بصنعاء سنة عشر وقيل أربع عشرة ومئة وهو ابن ثمانين سنة، وله ولدان ذكرهما الرازي يرويان عنه (وعن غيره)[3] وهما عبدالله وعبدالرحمٰن وقال الرازي وجدت بخط القاضي هشام بن يوسف[4] حدثنا عبدالرحمٰن بن وهب بن منبه عن أبيه قال: كتب عمر بن عبدالعزيز في رجل من أهل صنعاء بلغه أنه انتفى[5] من ولده أن يلحق به، وأن يسجن حتى يكون هو الذي يخرجه، يعني الولد، وأن يذكر به في الاشتهار[6] وكتب أيضاً في رجل قتل عبداً أن يُغرَّم ثمنه، ويسجن فلا يرسل حتى يأمر بإطلاقه، وأن يذكر به، قلت كأنه يشير في الأولى أن يُكنى بالولد الذي انتفى منه، والثانية يسمّى بقاتل العبد ونحوه والله أعلم، قال وكتب أيضاً في رجل أغار مع قوم فقتلوا رجلاً وعقروا دواباً أن يضمن[7] الحديد حتى يحكم الله فيه، وأن يقضي منه أموالهم أثمان ما أصابوا من عقر تلك الدواب.

وأما رواية عبدالله فإنه قال: سافرت إلى مكة أول حجة حججتُها فأمرني أبي بالمتعة فلما قدمت مكة اجتمعت بعطاء بن أبي رباح فذكرت ذلك له فقال: أصاب أبوك، وروايته عن أبي خليفة ومعقل أغزرهم حديثاً سيأتي مع ذكره إن شاء الله تعالى، وكان له ثلاثة إخوة هم همام ثم معقل ثم غيلان المعدودين في رواة الصحيحين.

---

(١) رواية الرازي أنه كان إذا قدم مكة على ابن الزبير أجلسه معه على سريره فقال رجل وقد دخل على ابن الزبير: من هذا الذي أجلسته معك على سريرك؟ فأومأ إليه أن اسكت. قال: وكان وهب لم يكن عليه لحية فقال الرجل ولم يصبر: أين أمكم، أي أنه امرأة ليس عليك لحية، فقال وهب مجيباً هاجرت وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين، وأمكم في جيدها حبل من مسد فخجل الرجل، فقال له ابن الزبير ألم أنهك قال: ومن هذا الخ تصرف المؤلف.

(٢) في هذه الحكاية كسابقتها تصرّف الجندي.

(٣) ما بين القوسين من «ب».

(٤) تأتي ترجمة هشام بن يوسف الأبناوي.

(٥) عبارة الرازي كان انتفى.

(٦) عبارة الرازي حتى يكون هو مخرجه وأن يذكر في الأشهر.

(٧) معنى يضمن الحديد أي يسجن ويقيد.

همام كنيته أبو قدامة وكان يقـال: إنه أكبـر من وهب، صحب الزهـري وله عنـه روايات جمة، منها قال: سمعت أبا هريرة[1] يقول ليس أحد أكثر حـديثاً مني عن النبي ﷺ غير ابن عمر لأنـه كان يكتب وأنـا لا أكتب، وذكر عنـه القاضي هشـام بن يوسف الآتي ذكره قال: حدثنا معقل بن هِمام بن منبه قال: كانت حُجُرات النبي ﷺ مـطلات (على مسجده)[2] فبينا عمر أيام خـلافته في المسجـد إذ دخل أعـرابي، والناس حـول عمر وحفصة أم المؤمنين تنظر من حُجْرتها من وراء ستر، فرأت الأعرابي قد عمد إلى الحلقـة وسلم على عبدالـرحمٰن بن عوف بـإمرة المؤمنين، وذلـك لمـا رأى من تميّـزه بالبِزّة على سائر من حضر، فقال له ابن عوف: هـذا أمير المؤمنين، وأشـار إلى عمر، ثم كان من العادة أن عمر إذا صلّى العشاء وأراد الانصراف إلى بيته يمرّ بأبواب أمهات المؤمنين ويسلّم عليهن، فلمـا مر تلك الليلة ببـاب حفصـة ابنتـه وسلم قـالت يـا أبتِ رأيت أن أذكر لك شيئاً فلا تضعه إلا على النصح قال: وما ذاك يـا بنية؟ قـالت: رأيت أعـرابياً دخـل المسجد وشهـر ابن عـوف بـالسـلام، وإني رأيت النبي ﷺ كـان يلبس أحسن ما يقدر عليه، وإن الله قد فتح عليك فإن رأيت أن تلبس لباسـاً حسناً فـإنه أبهى لك فقال: يا بنية ما في قولـك بأس ولكن كنت أنـا وصاحبـاي على طريق ووعـدتهما المنزل وأخشى إن سلكت غير طريقهما أن لا أوافي منزلهما.

وكان قوم من أهـل صنعاء لهم أرض في البـادية يـزدرعونهـا ثم إنهم انتقلوا عن صنعاء مَيْلاً إلى خفة المؤونة في البادية فبلغ معقلاً ذلك فكرهه، ثم إنهم مرّوا به يـوماً وهو على باب داره قاعداً فناداهم فأتوه فقال: سكنتم البادية فقالوا: نعم يا أبا قُـدامة، قال قلتم لبيتنا وماشيتنا وحطبنا ومـا نحتاج عليـه سهلاً قـالوا: نعم، قـال لا تفعلوا، لا تـدعوا القـرار، فإني سمعت أبـا هريـرة يخبر عن رسـول الله ﷺ أنه قـال: «من سكن القرار ساق الله إليه رزق القرار، ومن سكن البادية ساق الله إليه رزق البادية». وقـال: لقيت ابن عمرفسألته عن النبيذ قلت يا أبا عبدالرحمٰن هذا الشراب ما تقول فيـه؟ قال: كـل مسكر حـرام، قلت فإن شـربت[3] الخمر فلم أسكـر قال أفٍ أفٍ مـا بال الخمـر؟ وغضب فتـركته حتى انبسط، وأسفر وجهه وحـدّث من كان حـوله ثم قلت لـه يـا أبـا عبدالرحمٰن إنك بقية من قـد عرفت، وقد يأتي الراكب فيسألك عن الشيء ويأخـذ من

---

(١) في الرازي ص٤١٥ وأما همام فكان يروي عن أبي هريرة وله عنه رواية كثيرة مستفيضة.
(٢) ما بين القوسين من «ب» ولا يتم الكلام إلاّ به.
(٣) في «ب» من الخمر وكذا ومئة وكذا أبو محمد.

قبلك بتلك الكلمة يضرب بها في الآفاق يقول: قال ابن عمر كذا وكذا فقال أعراقيّ أنت؟ قلت: لا، قال: فممن؟ قلت: من اليمن؛ قال أما الخمر فحرام لا سبيل إليها، وأما ما سواها من الأشربة فكل مسكر حرام.

وكانت وفاته بصنعاء أيضاً سنة اثنتين وثلاثين ومئة[1] وهو آخر إخوته موتاً إذ أولهم وهب ثم معقل ثم غيلان.

ومنهم أبو محمد[1] عطاء بن أبي رباح ضبطه بفتح الراء والباء الموحدة ثم ألف وحاء مهملة، واسمه طاهر من موالي بني جمح[2] مولده بالجند سنة سبع وعشرين، ونشأ بمكة وتفقّه بها، قال ابن جريج: كان المسجد لعطاء فراشاً عشرين سنة، وتفقّه بجماعة من الصحابة أشهرهم ابن عباس، وقد ذكرت قوله: كنت أدخل على ابن عباس مع العامة وكان لمعقل ولد اسمه عبدالصمد، كثير الرواية عن عمه وهب، من ذلك أنه قال: سمعت عمي وهباً يقول: قال الله في بعض كتبه إن مني الخير وأقدره لخير عبادي فطوبى لمن قدرته له، وإن مني الشر وأنا أقدره لشرّ عبادي فويل لمن قدرته له، وقد جمعت وهباً وأهله في مكان واحد[3].

وقدّمه الرازي على وهب وكان به شلل وعرج ثم عمى، وكان من أعلم الناس بالمناسك، وكان جليل القدر شهير الذكر، حج سليمان بن عبدالملك ومعه ابنان له فلما قدما مكة أتوه في بعض الأيام فوجدوه قائماً يصلي فقعدوا في انتظاره حتى فرغ من صلاته ثم جعلوا يسألونه عن المناسك وهو يجيبهم غير مختلف[4] ولا هائب فلما فرغ سؤالهم حوّل وجهه عنهم فقام سليمان وأمر ابنيه بالقيام فلما ولوا عنه قال لابنيه يا ابنيّ لا تنيا في طلب العلم فإني[5] لا أنْسَى ذلنّا بين يدي هذا العبد الأسود.

وإليه انتهت الفتيا في مكة بعد ابن عباس بحيث كان في زمن بني أمية يأمرون

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) كذا في الأصلين وعبارة ابن سمرة ص٥٨ واسم أبي رباح أسلم وكذا في الرازي ص٣٦٠، وزاد فيه الجندي اليماني، وفي تاريخ مكة للفاسي ج٦ ـ ٨٤ مثل ما في ابن سمرة والرازي فما هنا وهم من أن اسمه «طاهر» وبنو جمح بطن من قريش.

(٣) كذا في الأصلين، وكان الأنسب تقديم هذه الجملة قبل ترجمة عطاء بعد قوله ثم غَيْلان.

(٤) كذا في الأصلين وصوابه غير مختفٍ أو متخوّف.

(٥) لا أنسى ذلنا، التصحيح من صفة الصفوة ج٢ ـ ٢١١ وفي الأصلين غير واضحة وتنيان تفتران.

في الحجيج ألا يفتي الناس إلا عطاء فإن لم فعبدالله بن أبي نجيح[1] ولما بلغه قول الشاعر:

سل المفتيَ المكّيَ هل في تَزاورٍ وضمّة مشتاق الفؤاد جناح
فقال معاذ الله أن يُذهب التقى تلاصقُ أكبادٍ بهنّ جراح

قال والله ما قلت ذلك، وكان يحب الصلاة مع الجماعة على كل حال ويقول: بلغني عن ابن مسعود قال سيكون عمّال لا يصلون الصلاة لمواقيتها فإذا فعلوا ذلك فصلّوها لمواقيتها فقيل له هل لا تنتهي[2] إلى قول ابن مسعود قال الجماعة أحبّ إليّ ما لم يفت الوقت، وكان بعدما كَبُر إذا قام إلى الصلاة قرأ فيها بقدر مئتي آية وما تزول قدماه عن موضعهما بحركة ولا غيرها.

وسئل عن قوم يشهدون على الناس بالشرك والكفر فأنكر ذلك وقال للسائل: أنا أقرأ عليك نعت المؤمنين ثم نعت الكافرين ثم نعت المنافقين ثم قرأ: **بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿آلم ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيْهِ هُدَىً لِلْمُتَّقِيْن﴾** حتى بلغ قوله: **﴿عَذَابٌ أَلِيْم﴾**[3].

وقال: إن من كان قبلكم كان يكره فضول الكلام ومتى تكلم بغير كتاب الله أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو حاجة في إصلاح دينه ودنياه[4] مما لا بد له منها عدّ ذلك فضولاً أتنكرون[5] **﴿إنّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِيْنَ كراماً كاتِبِينَ﴾**[6] **﴿وإنَّ عَنِ اليَمِينْ وَعَنِ الشّمَالِ قَعِيد مَا يَلْفِظ مِن قَوْلٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِيْبٌ عتيد﴾**[7] أما يستحي أحدكم (وقد نشرت عليه صحيفته التي قد أملى صدر نهاره أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه)[8].

---

(١) عبدالله بن أبي نجيح الثقفي مفتي مكة، ترجمته في «تاريخ مكة» للفاسي ج٥ ص٣٠٠، وترجمته أيضاً في «تهذيب التهذيب» ج٦ ص٥٤، توفي بمكة سنة إحدى وثلاثين ومئة وعبارة المرجعين المذكورين فإن لم يكن عطاء الخ.

(٢) هلا تنتهي في الرازي فما لك لا تنتهي.

(٣) أول سورة البقرة.

(٤) زيادة «كان» الثانية ودنياه من «ب».

(٥) انظر الرازي ص٣٦٣ فإن الجندي تصرف، كما هي عادته تصرفاً غير سديد.

(٦) الانفطار - ١٠.

(٧) ق - ١٧ و١٨ بحذف (أن) عن الخ.

(٨) صححنا ما بين القوسين من الرازي ص٣٦٤ وفي الأصلين اختلاف كثير.

وذكر الرازي بسند متصل إلى محمد بن المحترم[1] أنه قال: سمعت الحسن البصري يقول قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم[2] (من) إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان» قال ابن المحترم: فقلت للحسن يا أبا سعيد لو كان عليّ لِرَجل دين وسألته[3] وخفت أن يحبسني به فأهلك[4] فوعدته به إلى أجل ولم أقضه به أفأكون بذلك منافقاً أم لا؟ قال: هكذا جاء الحديث[5] أن ابن عمر[6] ذكر أن أباه لما حضرته الوفاة قال زوجوا فلاناً فإني وعدته أن أزوجه لا ألقى الله بثلث النفاق قلت (يا أبا سعيد)[7] ويكون ثلث الرجل منافقاً وثلثاه مؤمناً؟ قال: هكذا جاء الحديث[8] قال ابن المحترم: فلما حججتُ لقيت عطاء بن أبي رباح فأخبرته بما سمعت من الحسن وما راجعته به فقال[9] لي عطاء؛ أعجزت أن تقول له: أخبرني عن أخوة يوسف ألم يَعِدوا أباهم فخلفوه وحدثوه فكذبوا وءأتمنهم فخانوه[10] أفمنافقون هم؟ ألم يكونوا أنبياء وأبوهم نبي وجدهم نبي؟ قلت له: يا أبا محمد حدثني بأصل هذا الخبر[11] خاصة[12] الذين حدثوه فكذبوه وءأتمنهم فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه. (خرج أبو سفيان[13] من مكة فنزل[14] جبريل إلى النبي ﷺ وقال: إن أبا سفيان قد جاء من موضع كذا فاخرجوا إليه واكتموا فسمع ذلك بعض المنافقين فبعث إلى أبي سفيان يخبره ويحذره[15] فإذا أتيت الحسن فأقرئه

---

(١) لم أجد لمحمد بن المحترم ترجمة في ما بين يدي من الكتب.

(٢) لفظ «من» في الأصلين وساقطة من الرازي.

(٣) عبارة الرازي: ولقيني وتقاضاني وليس عندي.

(٤) في الرازي ويهلكني.

(٥) عبارة الرازي فوعدته أن أقضيه رأس الهلال فلم أفعل وفي الرازي أيضاً هكذا جاء الحديث وكذا في «ب».

(٦) في الرازي ثم حدث عن عبدالرزاق عن ابن عمر أن أباه الخ وهو أثبت.

(٧) ما بين القوسين من الرازي.

(٨) في الرازي قال فقلت يا أبا سعيد.

(٩) عبارة الرازي: فأخبرته الحديث بالذي سمعته من الحسن وبالذي قلت له وبالذي قال لي.

(١٠) في «ب» خبط.

(١١) في الرازي حدثني بأصل النفاق وبأصل هذا الحديث.

(١٢) في الرازي قال حدثني جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ إنما قال هذا الحديث في المنافقين خاصة.

(١٣) في الرازي: وخرج أبو سفيان.

(١٤) في الرازي فجاء جبريل فقال: إن أبا سفيان من مكان كذا وكذا.

(١٥) في الرازي فكتب له رجل من المنافقين أن محمداً يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله تعالى في المنافقين **﴿ومنهم من عاهد الله﴾** إلى قوله: **﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾**.

مني السلام وأخبره بأصل الحديث[1] وبما قلت لك قال ابن المحترم: فلما قدمت على الحسن أخبرته الخبر وقلت له إن أخاك عطاء يقرئك السلام ويقول لك كذا وكذا فأخذ بيدي وشالها وقال: يا أهل العراق أعجزتم أن تكونوا مثل هذا سمع مني حديثاً فلم يقبله حتى استنبط أصله. صدق عطاء، هكذا الحديث هو في المنافقين خاصة[2]» قلت وفي قول الحسن صدق عطاء هكذا الحديث دليل على أن الحسن كان عالماً أن الخبر كما قال عطاء في المنافقين خاصة. ويحمل كلام الحسن في الأولى على أنه أراد التنفير عن الخصال وقد فعل ذلك جماعة من العلماء في الصحابة وغيرهم.

ومما يؤيد ذلك أيضاً ما ذكره الثعلبي[3] في تفسيره بسنده إلى مقاتل[4] أنه قال: كنت بسمرقند[5] فقرأت حديث المقرىء يعني هذا الخبر المذكور فنازعني عزمي فيه وخفت على نفسي وعلى جميع الناس فأتيت بخارى[6] وسألت جميع علمائها فلم أجد فرجاً فأتيت مرو[7] فسألت كذلك فلم أجد فرجاً فأتيت نيسابور[8] وسألت فلم أجد فرجاً ثم بلغني أن شهر بن حوشب بجرجان[9] فأتيته وعرضت عليه قصتي فقال لي أنا منذ سمعت هذا الخبر كالحبة على المقلى فعليك بابن جبير فإنه بالريّ[10] فأتيت الري وعرضت على سعيد الخبر فقال: أنا كذلك منذ سمعت هذا الخبر كالحبة على

---

(١) في الرازي بأصل هذا الحديث.

(٢) في الرازي وهذا في المنافقين خاصة.

(٣) الثعلبي هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي المفسر أوحد زمانه، كانت وفاته سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

(٤) مقاتل هو ابن سليمان بن بشر الأزدي المحدث المفسر المشهور توفي سنة خمس ومئة بالبصرة.

(٥) سمرقند مدينة مشهورة في ما وراء النهر وهي اليوم تحت نفوذ الاتحاد السوفياتي أعادها الله إلى حظيرة الإسلام فإن الإسلام هناك مضطهد.

(٦) بخارى بضم أوله من أكبر مدن ما وراء النهر خرج منها عدد لا يحصى من العلماء.

(٧) مرو يأتي ذكرها للمؤلف.

(٨) نيسابور: قال ياقوت بفتح أوله وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة معدن الفضلاء ومنبع العلماء الخ وهي من ممالك إيران.

(٩) شهر بن حوشب هو الأشعري، كان من أعلام التابعين ووفاته سنة واحد ومئة من الهجرة، وجرجان بضم الجيم مدينة مشهورة وإقليم بين طبرستان وخراسان وهو اليوم من إيران في شمالها.

(١٠) ابن جبير: بالتصغير هو سعيد بن جبير التابعي الجليل وأحد القراء، خرج مع ابن الأشعث وشهد دير الجماجم فلما انهزم ابن الأشعث هرب إلى مكة فأتي به وقتله الحجاج سنة أربع وتسعين انظر «صفة الصفوة» ج٣ ـ ٧٧. والري: مدينة مشهورة كانت عاصمة خراسان وهي اليوم قد دخلت في عاصمة إيران المسماة طهران وقد عرفتها.

المقلى فعليك بالحسن البصري فارتحلت البصرة[1] وأتيت الحسن وقصصت عليه الخبر وما جرى لي مع من تقدم من العلماء فقال رحم الله شهراً وسعيداً، بلغهما نصفُ الخبر ولم يبلغهما النصف الآخر، وذلك أن رسول الله ﷺ لما قال: هذا الخبر شغل قلوب الناس أصحابه وهابوا أن يسألوه فأتوا فاطمة ابنتَه وذكروا لها شغل قلوبهم بالخبر فأتت فاطمة رضي الله عنها النبي ﷺ، وأخبرته بذلك فأمر سلمان[2] فنادى الصلاة جامعة وصعد المنبر ثم قال: «أيها الناس إني كنت قلت لكم: ثلاث من كنّ فيه فهو منافق، الخبر، ولم أعنكم له إنما عنيت بها[3] المنافقين أما قولي: إذا حدّث كذب، فإن المنافقين أتوني وقالوا والله إن إيماننا كإيمانك وتصديق قلوبنا كتصديق قلبك فأنزل الله في ذلك ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ إلى ﴿الكاذبون﴾ وأما قولي: إذا أؤتمن خان فإن الأمانة ـ الصلاة والدين كله أمانة، قال الله: **﴿إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يُراءون النّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ الله إلاّ قليلاً﴾**[4] وفيهم قال الله تعالى: **﴿فَويلٌ للمصلّين﴾**[5] وأما قولي: إذا وعد أخلف فإنّ ثعلبة بن حاطب[6] أتاني وقال إني مولع بالسائمة ولي غنيمات فادع الله أن يبارك لي فيهن فعليّ عهد الله لئن بارك لي فيهن لأصدقن ولأكونن من الصالحين، فدعوت الله فَنَمت وزادت حتى ضاقت عنها الفجاج، فسألْتُه الصدقة فأبى عليّ وبخل بها فأنزل الله فيه: **﴿وَمِنْهُم منْ عَاهَدَ الله﴾** الآية، إلى قوله: **﴿بِمَا أَخْلَفُوا الله مَا وَعَدُوه وَبِمَا كَانُوا يَكذِبون﴾**[7]» فسُرّي[8] عن أصحاب رسول الله ﷺ، وتصدقوا بمال عظيم، وهذا الخبر في الكتاب من قبيل كون الحديث شجون[9] وفيه فرج لمن كان وقف على الخبر أو سمعه ولم يعرف السبب.

---

(١) البصرة مشهورة، إحدى أمهات مدن العراق أُسست أيام عمر بن الخطاب.

(٢) سلمان الفارسي إسلامه مشهور وقصته معروفة وكان من المعمرين إذ عاش مئة وخمسين سنة ومات بالمدائن ـ في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين «صفة الصفوة» ج١ ص٥٢٣.

(٣) في «ب» به.

(٤) النساء ١٤٢.

(٥) الماعون الخ.

(٦) هذا ثعلبة بن أبي حاطب هو غير ثعلبة بن حاطب الأنصاري الذي استشهد بأحد وأما هذا فإن رسول الله ﷺ مات ولم يورد زكاة غنمه ولا إلى أبي بكر ولا إلى عمر، كذا في «الإصابة» ج١ ص٢٠٦.

(٧) التوبة ـ ٧٥ و٧٦ و٧٧.

(٨) فَسُرّي مبني للمجهول: أي ذهب عنهم الحزن.

(٩) أي أن الخبر هذا دخيل عن الموضوع وهذا مثل بمعنى أن الحديث يجر بعضه بعضاً.

وقال عطاء: سمعت ابن عباس يقول: في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاس حُسْناً﴾[1] دخل في ذلك اليهودي والنصراني، وكان لعطاء مصحف لطيف إذا قرأ به حمله على يديه ولا يضعه على فخذيه وكانت وفاته بمكة سنة أربع عشرة وقيل: خمس عشرة ومئة وقد بلغ عمره ثمانياً وثمانين سنة.

ومنهم حجر بن قيس المدري[2] نسبة إلى قرية مدرات وهي على نصف مرحلة من الجند من جهة قبليّها[3] وهي بفتح الميم والدال المهملة والراء ثم ألف ثم تاء مثناة من فوق، صَحِب حجر هذا علياً كرم الله وجهه، وعرف بصحبته وله عنه روايات ولا يعرف إلا بصحبة عليّ إذ تفقّه به وصحبه غالب زمانه، وكان طاووس يراجعه في المسائل التي يتشكك بها. وقد ذكرت قول ابنه في الوقف الذي وقفه، وأنه لم يطب نفساً به حتى أفتاه بحبسه.

وذكر الحافظ أبو نعيم بسند إليه أن علياً قال له يوماً: كنت بك يا حجر إذا أمرتَ بلَعْني فقال: أو كائن ذلك قال: نعم قلت: فكيف أصنع قال: العنّي ولا تبرأ مني، فلما كانت ولاية محمد بن يوسف لمخلافي الجند وصنعاء، وحجر إذ ذاك خطيب بإحدى البلدين، صعد في بعض الجمع المنبر ثم خطب، فلما فرغ من الخطبة، ومحمد بن يوسف إذ ذاك حاضر، ناداه لا تنزل حتى تلعن علياً، فتلكأ لحظةً، وذكر قول علي فرفع صوته: وقال إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله (وتفرق أهل المسجد وتفرقوا شغر بغر كراهية لذلك، إلا ما كان من شيخ فإنه فهمها وقال: لعنه الله)[4] وكان ذلك على منبر صنعاء وقيل على منبر الجند وهو الذي

---

(١) البقرة - ٨٣.

(٢) وقيل إنه منسوب إلى مدر موضع الآثار الحميرية في أرحب شمال صنعاء وهذا قول ابن سعد في طبقاته، وحجر: بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم.

(٣) مدرات لا زالت حية وعلى القَبْر قبة ودائماً يزار والقرية المذكورة من أعمال مدينة ذي السفال زرته غير مرة وتقع في الجنوب الغربي من مدينة ذي السفال بمسافة ساعتين على طريق وادي شظة حبير اليوم.

(٤) هذا من التخلص في المواقف الحرجة التي تنبىء عن ذكاء صاحبها ونبله، وكثيراً ما يقع للأذكياء مثل هذا الموقف. وعلى سبيل المثال ما وقع لابن الجوزي وهو في مجلس وعظه، وفيه جم غفير من أهل السنة ومن الشيعة فسأله بعض الشيعة أيّ أفضل: علي بن أبي طالب أم أبو بكر، فإن قال علي أغضب أهل السنة، وإن قال أبو بكر أغضب الشيعة وربما تكون فتنة، فقال من ابنته تحته فتخلص بها لمحنة (وذلك أن فاطمة بنت النبي ﷺ تحت علي وابنة أبي بكر عائشة تحت النبي ﷺ وهكذا قوله يحتمل الأمرين) فالعنوه أي الأمير وهو الذي أراد حجراً ونعوذ بالله من ذلك أنه عنى علياً فتخلص بها من الحرج وما بين القوسين من «ب» وقوله تفرقوا شغر بغر مثل يضرب لتفرّق الناس في كل وجه.

حققه الحافظ العرشاني رحمه الله. والقول الأول أحب إليّ لكراهة أن يكون الجند شُهر بها أحد من السلف، مع أن اليمن أجمع لم يشهر بها، ذلك منذ أول الإسلام إلى عصرنا سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة، إذ برّأ الله اليمن ونزّهها عن أمر غلب على كثير من بلاد الإسلام وهو الرّدة.

لما توفي رسول الله ﷺ ارتدّت العرب إلا ما كان من أهل مكة[1] والمدينة وصنعاء والجند وغالب اليمن وارتد قوم من أهل السواد حوالي المدينة[2] وهم الذين قاتلهم الصديق وبعض طغام نواحي صنعاء، وعادوا من غير قتال ولم يذكر عن أحد منهم أنه أحوج إلى قتال ولا كلّف والي مصره شيئاً مما كلفه عرب الحجاز[3] بل إنه قد ذكر أن قوماً من كندة في طرف حضرموت ارتدّوا وتحصّنوا بحصن يقال له النجير[4] وكان واليهم لبيد بن زياد البياضي ثم الأنصاري[5] من عند رسول الله ﷺ فحصل بينه وبينهم شقاق وخرجوا به عن حد طاعته فكتب إلى أبي بكر ينتصره فأمده بجماعة منهم عكرمة بن أبي جهل[6] وأبو سفيان بن حرب[7] وجماعة غيرهم.

وأمّا اليمن فكان بها معاذ بن جبل[8] توفي رسول الله ﷺ، ولم يحك عنه خلاف بينه وبين أهلها ولا جميع مخاليفها، ولو كان لظهر كما في غيرها.

وأمّا صنعاء فكان بها يعلى بن أميّة، فحصل بينه وبين عرب السواد[9] تنازع ثم عادوا إلى طاعته كما هو مشهور في كتب التاريخ، وليس هذا موضعه بل أردت تنزيه هذين المخلافين، صنعاء والجند، عن الردّة، واحتياج الولاة فيها إلى حروب

---

(١) الفضل في عدم ردة أهل مكة يرجع إلى سهيل بن عمرو من مسلمة الفتح انظر «أخبار الردة».

(٢) السواد حوالي المدينة هم من بني سليم وبني فزارة.

(٣) لم يرتدّ من عرب الحجاز أحد، وإنما المرتدّون عرب نجد واليمامة والعروض، انظر «أخبار الردة».

(٤) النجير بالتصغير لكندة هو اليوم خراب. قال أعشى قيس:

يا حبّذا وادي النجير وحبذا قيس الفعال

(٥) انظر ترجمة لبيد في «قرة العيون» ص١٩ و«الإصابة».

(٦) عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح إلى نجران فأعادته زوجته وشفعها فيه رسول الله ﷺ فأسلم وحسن إسلامه، كما كان له غناء في حرب الردة، وقتل يوم اليرموك سنة خمس عشرة.

(٧) هذا وَهْم، فأبو سفيان بن حرب لم يخرج اليمن بتاتاً وإنما خرج الشام تطوعاً وأحب أن يرى ولده ثم قدم المدينة سنة إحدى وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة، فمات بها وقيل مات بالشام وهو من مسلمة الفتح.

(٨) في «ب» يوم توفي.

(٩) قد بسطنا أخبار الردّة في كتابنا «اليمن حامل لواء الإسلام».

وعساكر، ولم يُحْكَ حدوثُ شيء في هذين المخلافين من ذلك، إلا ما كان في بعض نواحي صنعاء كما قدّمنا ذكره.

وأمّا سبُّ السلف فلم يعرف إلا ما كان في بعض نواحي صنعاء على زمن الصليحيين في موضع اختطّوه كجبلة ومواضع حراز[1] لا صنعاء والجند وما يشابههما كزبيد وعدن، إذ تغلّب على أهلها عدم السبّ، والمبتدع يضيع بينهم ولا يطيق إظهار بدعته. وكان السبّ على عهد بني أمية لعليّ وآله، وقد استعمل على منابر الشام والعراق ومصر عدة سنين حتى كانت خلافة عمر بن عبدالعزيز فأسقطه، وجعل مكانه ﴿إن الله يَأمُرُ بِالْعَدلِ وَالإحْسَانِ وَإيتَاءِ ذِي القُرْبَى﴾[2] فلم يزل مستعملاً إلى عصرنا، ونعم السنّة سنّ، فهذا ما كان من حال اليمن في ذكر السلف الصالح نفع الله بهم. وهذا الكلام كله دخيل ليس من غرضنا، بل هو ذكر فضيلة أهل اليمن وتنزيه لهم مما هو قدح في من فعل ذلك.

ونرجع إلى تتمة ذكر حجر. ذكر المزني في مختصره[3] أن الشافعي قال: عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاووس عن حجر المدري ـ يعني هذا ـ عن زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ أنه جعل العُمْرى للوارث[4] فسألت شيخي أبا الحسن الأصبحي عن حجر فأخبرني أنه المذكور أولاً وأنه ممن صحب علياً، ولم أتحقق له تاريخاً، ولا وقفت عليه، بل أوردت ما ذكرته من أحواله من كتب شتى، فيعلم أنه كان موجوداً زمن محمد بن يوسف الثقفي.

ومنهم المغيرة بن حكيم الصنعاني الأبناوي[5] معدود في فضلاء صنعاء، أخذ عن جماعة من الصحابة منهم عمر وأبو هريرة وغيرهما، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة[6].

---

(١) لم يرو لنا التاريخ أن الصليحيين أشهروا سبّ السلف على المنابر حتى في كتب خصومهم، وحراز مخلاف كبير غربي صنعاء، انظر صفة جزيرة العرب، ص٢٢٨.

(٢) النحل ـ ٩٠.

(٣) تأتي ترجمة المزني للمؤلف.

(٤) العمرى بضم العين مهملة وسكون الميم ثم راء وآخره ألف مقصورة وهي أن يقول الرجل لرجل آخر أعمرتك البيت الفلاني تسكن فيه أو القطعة الفلانية تستغلّها، مدة حياتك أو حياتي، فإذا انقضى عمر أحدهما المقيّد به رجعت لمالكها أو ورثته. وهذه المسألة معقود لها باب في كتب الشافعية.

(٥) ترجمته في الرازي ص٤٤٠.

(٦) ج٢ ـ ٢٩٦ وله ترجمة في غير هذه الكتب المذكورة.

وقال سافر المغيرة من صنعاء إلى مكة خمسين سفراً حافياً محرماً صائماً لا يترك التهجّد وقت السحر بل كان إذا هو سائر في القافلة فارقها وأقبل يصلّي حتى يطلع الفجر ثم يصلي الصبح ثم يلحق بالقافلة حيث كانت، وكان يختم في كل يوم القرآن يقرأ بعد صلاة الصبح من البقرة إلى هود، ثم من قبل الزوال إلى العصر يقرأ من هود إلى الحج، ثم يتم الختمة من المغرب إلى العشاء.

ومنهم أبو رشدين حنش بن عبدالله الصنعاني بلداً، يقال: أصله من بكر وائل وأمه من الأبناء، ولذلك يظن أنه أبناوي، وليس كذلك، عدّه مسلم في تابعي الجند، وعدّه البخاري في أهل صنعاء وكذلك عبدالغني نسبه إلى صنعاء فقال: الصنعاني المصري لأنه صار إلى مصر في آخر عمره، لأنه كان نائباً لابن الزبير على صنعاء فأسر فيها وأتي به الحجاج إلى مكة مقيّداً فوجّه به إلى عبدالملك فلما وصله أطلقه فانتجع مصر ولم يزل بها حتى توفي.

قال الواقدي[1] وقيل إنه انتقل من مصر إلى الأندلس فنزل منها مدينة سرقسطة[2] وأسس جامعها ومات فيها فقيراً عند بابها الغربي المعروف بباب اليهود، صحب عليّاً وابن عباس وأقام مع عليّ في الكوفة[3] ثم ولاه ابن الزبير مخلاف صنعاء فأقام والياً أربعة أشهر، وقتل ابن الزبير، ووصل نواب الحجاج فكان منهم إليه ما قدّمنا.

ومنهم أبو محمد عمرو بن دينار مولى باذان الفارسي أمير الفرس، وقد ذكرت طرفاً من حاله وسيأتي بيانه في الملوك إن شاء الله، مولده صنعاء لبضع وأربعين من الهجرة، ثم نشأ بمكة وتفقّه بها على ابن عمر وابن عباس وجابر بن عبدالله وجابر بن زيد[4] ومن التابعين بطاووس والزهري وابن جبير، وعنه أخذ ابن عيينة وابن جريج وغيرهما، قيل لعطاء بن أبي رباح بمن تأمرنا بعدك قال: بعمرو بن دينار، وقال طاووس لابنه إذا قدمت مكة فجالس عمرو بن دينار فإن أُذْنَهُ قِمْعٌ للعلماء[5] وقيل

---

(١) الواقدي هو محمد بن عمر الواقدي سبقت ترجمته في ص١٠٧.
(٢) سرقسطة مدينة في الأندلس (اسبانيا) وله مسجد بها، ومات هنالك كما ذكر عن الواقدي.
(٣) الكوفة عاصمة الإسلام أيام الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكان اختطاطها سنة ١٨هـ وقد شاهدتها وقد تناقص عمرانها إلى حدّ بعيد.
(٤) هؤلاء لهم تراجم مبسوطة في الإصابة وغيرها.
(٥) في ابن سمرة فإن أذنيه بالتثنية القمع بالفتح والكسر آلة توضع في فم الإناء فيصب فيه الدهن وغيره وهو معروف ومستعمل.

لإياس بن معاوية[1] أيّ أهل مكة رأيت أفقه؟ قال: أسوأهم خلقاً عمرو بن دينار.

توفي غالباً بمكة سنة ست وعشرين، وقيل سنة سبع، وقيل سنة أربع وعشرين ومئة، بلغ عمره ثمانين سنة. ثم صار العلم إلى طبقة أخرى:

منهم عبدالرحمٰن بن يزيد الصنعاني ويقال له الأبناوي لأنه كان من أهل فارس القادمين مع سيف بن ذي يزن، ذكره الرازي وأثنى عليه[2] فقال: كان فاضلاً زاهداً وهو الذي ذكرت أولاً أن محمد بن يوسف جعله مع وهب واعظاً، وكان إذا غاب إمام الجامع خلفه على الصلاة بالناس.

أسند عن ابن عمر وأورد الترمذي[3] عنه في سننه عدة أحاديث منها ما رواه الرازي بسنده إلى الترمذي وبسند الترمذي إلى هذا عبدالرحمٰن عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة[4] فليقرأ ﴿**إذا الشمس كُوِّرت**﴾ و﴿**إذا السماء انشقت**﴾ و﴿**إذا السماء انفطرت**﴾»، وقال أيضاً قال لي ابن عمر يا أخا الأبناء إن سورة الجمعة نزلت فينا وفيكم في قتلكم الكذاب ثم قرأ منها إلى قوله: ﴿**وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمّا يَلْحَقُوا بِهِمْ**﴾، وأخذ عنه القاضي هشام الآتي ذكره وغيره من أهل صنعاء وغيرهم.

ومنهم عثمان بن يزدويه[5] أدرك أنس بن مالك وكان يقول: قدمت المدينة وعمر بن عبدالعزيز واليها فصلّيت الصبح خلفه ومعنا أنس بن مالك فيمن صلّى خلفه، فلما انقضت الصلاة قال أنس ما رأيت أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الفتى، وأشار إلى عمر، قال ورأيت أنساً عليه ثوبان ممشقان وبه وَضَح[6] وكان القاضي هشام يقول: حدّثني عثمان بن يزدويه قال: قدمت المدينة وعمر واليها وذكر الحديث الأول برمته، فقيل للقاضي هشام: كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ قال نحو

---

(١) إياس بن معاوية هو المزني يكنى أبا وائلة، قاضي البصرة، غزير العقل والدين والذكاء، له أخبار في الذكاء نادرة وفاته سنة اثنتين وعشرين ومئة.

(٢) ذكره الرازي في ص٤٢٢.

(٣) الترمذي اسمه عيسى بن سورة الحافظ صاحب السنن وغيرها وكانت وفاته سنة سبع وستين ومائتين وربما يذكره المؤلف.

(٤) في الرازي: «ان ينظر يوم القيامة».

(٥) يزدويه كذا في الرازي وفي الأصلين غلط.

(٦) الممشق الرقيق المصبوغ، والوَضَح البَرص.

من صلاتي فَحزرنا[1] ركوعه وسجوده فوجد من فعل القاضي، وأحَدٌ بقدر عشر تسبيحات[2].

ومنهم محمد بن ماجان، حجّ مع أبيه وهو غلام فرأى ابن عمر وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك وقال حجت أمّ سلمة زوج رسول الله ﷺ بهذا الهودج، وكنا معاشر الصغار ندور حوله، وهي فيه[3].

ومنهم مرثد بن شرحبيل أدرك ابن عمر وابن الزبير وحضر عمارة بن الزبير الكعبة، فقيل له ما حمل ابن الزبير على خراب الكعبة وعمارتها؟ فقال لما جاء الحصين بن نمير[4] من وقعة الحرّة بالمدينة إلى مكة، وبها ابن الزبير عائذاً، وقال أصانع[5] فرمى الحصين مكة بالمنجنيق وكانت تقع بالكعبة حتى أضعفت البناء، وجاء خبر يزيد وموته فارتفع الحصين بعسكره، وقد أثّر المنجنيق بالكعبة تأثيراً ظاهراً ثم خَلَتْ مكة لابن الزبير عن المعارضة فعزم على عمارتها عمارةً مقتنةً، وقال أدخل الحجر فيها حين أبنيها، ثم لما جدّ عزمه أحضر سبعين مكبراً من قريش واستشهدهم فشهدوا أنهم سمعوا عائشة رضي الله عنها تحدث أن رسول الله ﷺ قال لولا حداثة عهد قومك بالشرك لأعدت هذا البيت على قواعد إبراهيم وإسماعيل هل تدرين لم قصروا عنها؟ قلت: لا قال: قصرت عليهم النفقة: قلتُ وسبب قصرها عدم الحلال، إذ لما عزموا على بنائها قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين[6] وقد صار ابن خمس وثلاثين سنة كما قدمنا في ذكره ﷺ تعاهدوا أن لا يدخلوا في عمارتها مهر بغيّ ولا

---

(١) الحزر التقدير حزره نظر إليه بدقة وقدره: انظر الرازي.

(٢) عبارة الرازي: فحزرنا ركوعه عشر تسبيحات وفي سجوده عشر تسبيحات لا غير.

(٣) في الرازي ص٤٤٦ مع تصرف.

(٤) هو الكندي كان قائداً عظيماً وعاش إلى أيام عبدالملك بن مروان وله أخبار، ووقعة الحرة مشهورة، قال ابن حزم رحمه الله: خروم الإسلام أربعة: قتل عثمان، وقتل الحسين ويوم الحرة وقتل ابن الزبير في المسجد الحرام، والمنجنيق آلة كان يوضع عليها الحجارة المكوّرة ويرمى الدور والحصون (انظر صورته في المنجد) والحجر بكسر الحاء حجر إسماعيل عليه السلام، وقد جمع بعض الأدباء معاني الحجر بقوله:

ركبتُ حِجراً وطفت البيت خلف الحِجر ... وجزت حجراً عظيماً ما دخلت الحِجر

لله حجر منعني من دخول الحجر ... ما قلت حجراً ولو أعطيت ملء الحجر

الحجر الأول الفرس، والثاني حجر الكعبة، والثالث العقل، والرابع حجر ثمود، والخامس المنع، والسادس، ما قلت حجراً أي كذباً، والسابع حجر الثوب معروف ومستعمل.

(٥) كذا في الأصلين وفي العبارة نظر، ولعلها دخيلة وليست موجودة في الرازي.

(٦) كان في «د» خمسين سنة وهو غلط فأصلحنا ذلك من «ب».

زنى[1] فلذلك عدموا ما يتمّمونها بـه، ولولا خشيـة الإطالـة لذكـرت من ذلك الحقيقـة وأصله[2] وليس هو أيضاً من مـلازم الكتاب فنـورده، ولكن الحديث شجـون. ثم أخذ ابن الزبير في إخرابها[3] والكشف عن أساسها حتى وقع على قواعـد إبراهيم وأظهـرها للناس فكانت عجبـاً من العجب مشتبكةً بعضهـا في بعض، وتركهـا ابن الزبيـر أيامـاً مكشوفة ليشهدها الناس ويتعجبوا منها، وكان الرجل إذا حـرك من ناحيـة ركناً اهتـزت ناحية الركن الآخر، ثم قال: اطلبوا من العـرب من يبنيه فلم يـوجد ثم قـال: استعينوا بـأهل فـارس، فإنهم ولـد إبراهيم ولن يـرفعه إلا ولـده، ثم بنى الكعبة على القـواعد وجعل لها بابين لاصقين بالأرض شـرقياً وغـربياً فكـانت كذلـك حتى غزاهـا الحجاج وأخربها، وقتل ابن الزبير ثم أعادها على ما كانت قريش بنتها أولاً.

ومنهم كثير بن أبي الزفاف[4] أدرك ابن عمر، كان عبدالـرزاق الفقيه الآتي ذكـره يقول: سمعت حماد بن سعيد يحدث عن كثيـر أنه قـال: كنت وصاحبـاً لي بمنى يوم النفر فجاءنا رجل وقال رأيت الآن ابن عمر يرمي الجمرة فقلت لصاحبي اذهب بنا إليه نسأله فانطلقنا فوجـدناه قـد فرغ من رمي الجمـرة وأنيخت له راحلتـه وقد وضـع رجله بالغرز[5] وأخذ بوسط الرّحل ليركب فقال لـه صاحبي، واسمـه قيس: إنا أخبـرنا عنـك فجئنا لننظر إليك ونسألك فإنك قد رأيت النبي ﷺ ورجـونا بـركتك ولـو كنت على غير هذا الحال لسألناك فنزع رجله من الغرز ويده من الرحل، وقال سل عما شئت قال: ما تقول في رجل اختلف إلى هذا البيت نحواً من أربعين سنة وإذا قدم على أهله وجدهم قد صنعوا له من هذا النبيذ شيئاً فإن شرب منه سكر وإن مزجه بالماء لم يضره، فقال له ابن عمر أُدْنُ مني فلما دنا منه دفع في صدره حتى وقـع في الأرض وقال: أنت[6] ممن لا حجّ لك ولا كرامة فقال: ما سألتك إلا عن نفسي، والله لا أذوق منه قطرة أبداً.

(واعلم أن مِنْ ذكر حجر المدري إلى هذا أخذته من كتاب الرازي خاصة، ومن هنا إلى آخر الكتاب من المئة الخامسة إنما أخذته عن الجميع أهل الكتب المذكورين أولاً).

---

(١) البَغي معروف وهي التي جعلت نفسها للفساد والزنى معروف.
(٢) انظر تواريخ مكة للأزرقي والفاكهي والمفضل الشعبي والفاسي وغيرها. (٣) في «ب» بإخرابها.
(٤) في الرازي ص٤٣٤، وهو بالزاي وفائين، راجع تاريخ البخاري وغيره.
(٥) يوم النفر يوم تفرّق الحجاج من منى، والغرز ركاب من جلد أو حديد يُدخل فيها الراكب رجليه ويقـال له عند العامة الركب بضمتين، والرحل: كالسرج والوطاف ونحوه وفي «ب» فانطلقنا مسرعين.
(٦) عبارة الرازي (أنت هو).

ومنهم أبو خليفة القارىء[1] أخذ القرآن عن علي كرم الله وجهه، وأسند عنه أخباراً منها قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»، وعن هذا أخذ جماعة بصنعاء القرآن.

ومنهم عبدالله بن وهب المقدم ذكره مع أبيه[2].

ومنهم هاني (الدويري)[3] مولى عثمان بن عفان وله عنه رواية[4].

ومنهم الضحاك بن فيروز الديلمي[5] أول من ولي لمعاوية اليمن، وكان مجتهداً، قال مؤذنه راشد بن أبي الحُريش: ما أتيت الضحاك أؤذنه الصلاة في الناس إلا وجدته مستعداً[6]. أسند عن أبي هريرة وغيره، وأبوه قدم على النبي ﷺ وأسلم وحسن إسلامه.

ومنهم صفوان بن يعلى بن أبي عبيد يعرف أبوه بيعلى بن أمية، أحد ولاة صنعاء صدر الإسلام وسيأتي ذكره إن شاء الله في الولاة، وله ولأبيه روايات دخلت في الصحيحين وغيرهما. أسند عن أبيه وغيره وقد أخذ عنه أيضاً عطاء بن أبي رباح.

ومنهم سعيد بن عبدالله بن عاقل عرف بالأعرج[7] كان معيناً ليعلى بإشارة عمر. وحكي أنه قدم على عمر فلما سلّم سأله عمر: أين تريد؟ قال العراق. قال: ارجع إلى صاحبك يعلى، فإن عملاً صالحاً بحقّ جهادٌ، وإذا صدقتم الماشية فلا تعينوا الحسنة ولا ترزأوا[8] بها صاحبها، واقسموها أثلاثاً، ويختار صاحب الغنم ثلثاً واختاروا الصدقة من الثلثين الباقيين، قال: فقبلت من عمر وعدت إلى صنعاء وبعثت إلى معونة يعلى واعتمدنا ما قال عمر، ومتى اجتمع معنا شيء فرّقناه في موضعه على فقرائه ثم نرجع وليس معنا إلا أسواطنا[9].

---

(١) ترجمته في الرازي ص٤٣٠، وفيها طول. وهو أبو خليفة الطائي من التابعين، نزل البصرة توفي بعد المئة من الهجرة وكان كوفياً وقدم صنعاء.

(٢) في ص٤١٣ من الرازي وذكر ما سبق.

(٣) ما بين القوسين في الأصلين ولم تظهر إذ هي مهملة وساقطة من الرازي، ولم يزد على قوله هاني مولى عثمان، وفي فهارس الرازي: هاني بن سعيد البربري الدمشقي مولى عثمان بن عفان من تابعي اليمن، وفي ابن سمرة: هاني البربري، وهذا هو الأصح.

(٤) ذكر الرواية الرازي ص٤٢٧.

(٥) ترجمته في ص٤٣٢ ـ ٤٣٣ من الرازي وقوله «أول من ولي لمعاوية اليمن» من كلام الجندي.

(٦) لفظ «مستعداً» ساقط من تاريخ الرازي.

(٧) هو الكندي كان عاملاً في حفاش وملحان من مخاليف اليمن ومغارب صنعاء.

(٨) ترزأوا من الرزء وهو المصيبة والنقص. (٩) أسواطنا جمع سوط معروف

ومنهم الوليد بن السوري[1] أدرك أنس بن مالك وقال: قدمت المدينة وصلّيت خلف عمر بن عبدالعزيز، وهو إذ ذاك واليها، فصلّى صلاة خفيفة فلما فرغ قال لي رجل إلى جنبي: ما أشبه صلاة هذا بصلاة رسول الله ﷺ، فأخذت بثوبه وقلت من[2] أنت الذي أدركت رسول الله ﷺ، قال أنس بن مالك قال: فحزرت لبث عمر في الركوع والسجود، فوجدته بقدر ما يسبّح كل واحد منا عشر تسبيحات[3] قلت وهذا موافق لما رواه عثمان بن يزدويه لأن مخرجهما واحد ونهايتهما متفقة.

ومنهم زياد بن جيل[4]، أدرك ابن الزبير وقال: سمعته يقول: سمعت خالتي عائشة تقول: قال لي رسول الله ﷺ لولا حديث عهد قومك بالشرك لرددت الكعبة على أساس إبراهيم، فإن للحجر من الكعبة أذرعاً، (فلما كان العام الذي أخربها فيه الحصين وجند الشام ثم لما عادوا وجد ابن الزبير إلى بنائها سبيلاً ظاهراً)[5] فأمر بكشف القواعد[6] فوجد ربض الكعبة صخراً مثل البُخت[7] فحركوا صخرة فبرقت بارقة فقال: دعوها كما هي ثم وُجد لوح مكتوب بالعبراني فاستحضر له جماعة من أحبار اليهود[8] وأحلفهم بالله ليصدّقنه ولا يكتمونه مما فيه شيئاً، ثم ناولهم إياه فقالوا إن فيه مكتوباً أنا الله ذو بكة صنعتها بيدي يوم صنعت الشمس والقمر، حففتها بسبعة أملاك حقاً وجعلت رزقها يأتيها من طرق شتى باركت لهم في الماء واللحم، أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وجعلت فيها سبعة من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها أبتته[9] خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت الخير على يديه وويل لمن خلقت الشر على يديه.

وقال زياد: سمعت ابن الزبير قرأ فاتحة الكتاب فقال: اهدنا الصراط المستقيم صراط من أنعمت عليهم.

وزياد هذا هو الذي ذكر أصيل القتيل - في خلافة عمر بصنعاء على ما سيأتي بيانه في ذكر الخلفاء وما لاق من الحوادث في أيامهم إن شاء الله.

---

(١) كذا في الأصلين والرازي.
(٢) في الرازي ومن بزيادة الواو. (٣) انظر الرازي.
(٤) ذكره الرازي في ص٤٥٠ وجيل بالجيم والياء المثناة من تحت ثم لام.
(٥) ما بين القوسين ساقط من الرازي. (٦) في الرازي «فحفر ابن الزبير فوجد» الخ.
(٧) البُخت: بضم الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة، وهي الإبل الضخام التي لها سنامان.
(٨) انظر تاريخ الفاكهي ففيه صورة ما وُجد مكتوباً.
(٩) ما بين القوسين من «ب» ومن الرازي.

ومنهم فُنج بن دحرج ـ بضم الفاء وفتح النون وسكون الجيم[1] ثم فتح الدال وسكون الحاء المهملة وفتح الراء ثم جيم ـ الفارسي من الأبناء، ذكره الحافظ عبدالغني في المؤتلف والمختلف[2] قال: ولا نظير له في الأسماء. أسند الحافظ في كتابه إلى عبدالله بن وهب بن منبه مقدم الذكر أنه أخبر عن أبيه عن فنج هذا أنه قال: كنت أعمل بالدينباذ[3] وأعالج فيها، فلما قدم يعلى بن منبه أميراً على صنعاء جاء معه رجال، فجاءني ذات يوم رجل منهم وأنا أصرف الماء في الزرع، وكان في كمّه جوز فجلس على ساقية من الماء وهو يكسر من ذلك الجوز، وجعل يخرج الجوز من كمه ويأكله حبة فحبة بعد كسرها، ثم ناداني يا فارسي هلمّ، فدنوت منه فقال: يا فُنج، أتأذن لي أن أغرس من هذا الجوز على هذا الماء؟ فقلت: وما نفعي بذلك قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نصب شجرة وصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر كان له بكل ما يصاب من ثمرها صدقة عند الله» فقلت له أنت سمعت ذلك عن رسول الله ﷺ قال: نعم يا فنج، أنا أضمنها لله عز وجل ثم غرس جوزة وسار. وقال الراوي لما أورد الخبر أن الغارس المخبر هو وبر بن يحنس، قال فنج: أول من غرس الجوز بصنعاء[4].

قال الحافظ وأخبرني الراوي أنها تؤكل إلى الآن بصنعاء، وقد أخرت هذا، وهو من أعيان الطبقة الأولى ولكنه غير ذي شهرة بالعلم والإسناد، إنما يعرف له هذا الخبر.

ثم صار العلم في طبقةٍ غير من تقدم ذكره.

منهم[5] عبدالله بن الفقيه طاووس المقدم ذكره أول طبقة التابعين، كان إماماً كبيراً وقصده الناس للعلم.

---

(١) قوله سكون الجيم لا لزوم له لأن آخر كل كلمة تعرب على حسب العوامل الداخلة عليها من عامل الرفع والنصب والجر، وهكذا يردد الجندي رحمه الله هذه العبارة.

(٢) الحافظ عبدالغني هو ابن سعيد الأزدي شيخ حفاظ الحديث، مولده سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ووفاته سنة أربع وأربعمائة كان مصري المولد والوفاة، وكتابه المذكور قد طبع ترجمته في وفيات الأعيان ج٢ ـ ٣٦٠ وغيرها.

(٣) الدينباذ بالدال المهملة ثم ياء مثناة من تحت ثم نون ثم باء موحدة وألف وذال معجمة كأنه اسم موضع أو بستان، وذكر الرازي أنه موضع يؤخذ منه الطين لعمل كيزان لماء الشرب ص٢٠٢، كما ذكر أيضاً أنه بستان لباذان بن ساسان بصنعاء، وذكره في «معجم ما استعجم» للوزير البكري.

(٤) هذه الزيادة من «ب» وما يقاربها في الرازي ص١٤١.

(٥) في «ب» ومنهم أبو محمد.

قال معمر الآتي ذكره: لما عزمت على دخول اليمن متجرّداً لطلب العلم، قال لي أيوب السختياني إن كنت راحلاً فإلى عبدالله بن طاووس، أو فالزم تجارتك، وكان مع فقهه عالي الهمة كبير القدر، لما توفي أبوه وعليه دين، فبادر إلى بيع تركته بثمن وغير ثمن على غرض القضاء عن أبيه بعجل، فقيل له: لو انتظرت الغرماء حتى تبيع الأشياء بأثمانها وربما حصلت الزيادة، فقال: لا أفعل، وأبو عبدالله محبوس عن منزله في الجنة.

قال الرازي[1]: ولم أرَ فقيهاً كابن طاووس قيل ولا هشام بن عروة؟ قال: لم يكن مثله، وتوفي سنة ست وثلاثين ومئة. وكان له ابنان فقيهان هما طاووس ومحمد، لم أقف على شيءٍ من أحوالهما، غير أنهما كانا يذكران بالفقه، وقد عرض مع ذكر أبيهما ذكر رجلين من الفضلاء هما معمر وأيوب فمعمر يأتي ذكره، وأيوب هو أيوب بن أبي تميمة[2] السختياني، لقبه أبو بكر من موالي قضاعة كان الحسن البصري يقول في حقه: أيوب سيد شباب البصرة وقال هشام بن عروة[3] ما رأيت في البصرة مثل السختياني، وقال شعبة[4] أيوب سيد الفقهاء، أخذ عنه مالك والثوري، توفي سنة ١٣١هـ، إحدى وثلاثين ومئة.

ومنهم حنظلة بن أبي سفيان[5] تفقه بطاووس، ومنهم عبدالله بن عيسى عدّه الحافظ في أهل الجند، ومن الجند: عمر بن مسلم الجندي.

ومنهم سماك بن الفضل الخولاني وقيل الشهابي[6] وهو الذي تصدّى لجواب فُتيا الوليد بن يزيد بن عبدالملك[7] حين وردت اليمن، وهو أن الوليد لما كان ولي

---

(١) كذا في الأصلين والذي في الرازي ص٣٤٩، قال معمر: ما رأيت ابن فقيه مثل ابن طاووس، قال عبدالرزاق، قلت لمعمر: ولا هشام، فقال حسبك بهشام، ولكني لم أرِ مثل ابن طاووس، قال كان من أعلم الناس بالعربية، وأحسنهم خلقاً، مع الصبي صبياً ومع الكهل كهلاً، وكان فيه مزاحة إذا خلا، فما في الأصلين غلط.

(٢) كان في الأصلين «ابن أبي تميم» والتصحيح من «صفة الصفوة» ج٣ ـ ٢٩١، واسم أبي تميمة كيسان والسختياني نسبته إلى بيع السختيان معروف، وتوفي في الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومئة.

(٣) هشام تأتي ترجمته للمؤلف.

(٤) شعبة بن الحجاج بن ورد الأزدي: أحد العباد المجتهدين والحفاظ الثقات، ترجمته في «صفة الصفوة» ج٣ ـ ٣٤٩ وغيرها، توفي بالبصرة سنة ستين ومئة وهو ابن سبع وسبعين سنة.

(٥) حنظلة بن أبي سفيان بن عبدالرحمٰن بن صفوان بن أمية الجمحي القرشي المكي، ترجمته في «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي ج٤ ـ ٢٥٠ توفي سنة إحدى وخمسين ومئة وفي غيره.

(٦) الخولاني نسبة إلى خولان قضاعة والشهابي نسبة إلى بني شهاب، انظر الإكليل ج١ ص٢٧٤. و٤٤٣، و٤٥٥ طبعة ثانية.

(٧) الوليد بن يزيد هو الخليع يأتي ذكره.

عهد أبيه بعد عمه هشام قال لامرأته، وكانت ابنة خالد بن أسيد[1] ما رأيت أحسن منك، قالت لو رأيت أختي لرأيت أحسن مني، فقال: أرينيها[2] قالت أخاف تتركني وتتزوجها فقال: إن تزوّجتها فهي طالق، فظنت أنها تحرم بذلك، وأرته إياها، فلما رآها شغف بها فخطبها من أبيها بعد أن طلّق أختها فقال: أتريد أن تكون فحلاً لبناتي؟ فلما صار الأمر إلى الوليد رغب خالد في زواجته واستعمل مَنْ فاتحه في ذلك فكتب الوليد إلى عامله في اليمن، وهو إذ ذاك خاله مروان بن محمد بن يوسف ابن أخي الحجاج، يخبره بيمينه ويأمره باستفتاء الفقهاء باليمن، فحين وصل الكتاب جمع المفتين من أهل اليمن منهم هذا سماك وعبدالله بن طاووس وإسماعيل بن سروس الصنعاني وخلاد بن عبدالرحمٰن وعبدالله بن سعيد، ثم أخبرهم بكتاب الوليد وسؤاله، فابتدر سماك وقال: أيّها الأمير إنما النكاح عقد يعقد ثم يحل بالطلاق، وإنّ هذا حلف قبل أن يعقد، فلا يتعلق بذلك تحريم، وأجمع معه الفقهاء الباقون على ذلك فأعجب مروان ذلك وقال لسماك: قد ولّيتك القضاء، ثم كتبَ إلى الوليد يخبره أن القاضي قبلي قال كذا وكذا فحين وصل كتابه إلى الوليد استدعى خالد بن أسيد وأوقفه عليه فأجابه وأزوجه، ولم أتحقق له ولا لفقهاء الملّة المذكورين تاريخاً وأما ابن طاووس فقد ذكرته أولاً، بل تعرف نهايتهم بزمان الوليد بن يزيد إذا كان في بعض سنة خمس وعشرين إلى بعض سنة ست وعشرين ومئة إذ كانت ولايته سنة وشهرين.

ومنهم عمرو بن عبيد بن حَيرِد[3] إمام أهل صنعاء[4] أدرك ابن الزبير وصلى خلفه[5] ولما قدم ابن جريج صنعاء أخذ عنه[6] وكان من أصحابه إبراهيم[7] بن خالد

---

(١) في «د» اسيد وفي «ب» ابن أسير فخالد بن أسيد قد تم وفاته يوم وفاة أبي بكر الصديق، وأما خالد بن أسير فلا أعرف عنه شيئاً.

(٢) عبارة الرازي ص٣٠٠، روي أن الوليد قال لابنة خالد زوجته ما رأيت مثلك حسناً فقالت: كيف لو رأيت أختي فقال لها: أرينها قالت: أخشى . . .

(٣) في الأصلين عمر بدون واو وفي «ب» حيره، وفي «ج» حرْد. والتصحيح من الرازي.

(٤) في الرازي ص٣٠١ زيادة: في مسجد نقم والمؤذن فيه.

(٥) في الرازي وكان من أصحاب وهب وزياد بن الشيخ وكان زياد قد صلى صلاة الصبح خلف ابن الزبير فسمعه يقرأ ﴿إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم﴾.

(٦) في الرازي روى ابن جريج: لما قدم على ابن الشيخ وما هنا وما في الرازي مشكل إذ قدوم ابن جريج صنعاء في إمارة معن بن زائدة في سنة ١٤٠ وابن الزبير وفاته سنة ٧٣هـ.

(٧) هنا سقط من كلا الأصلين والذي في الرازي: وكان بها عمر بن درية يروي عن وهب قال أبو محمد بن يوسف الحذافي قال إبراهيم بن خالد إلى آخر ما في الدار بوضوء العتمة فجعله رجل بالا فلما أصبح أخبره فقال: وجعلتني بالا وعجبت مني قال نعم قال: فإني رمقت ابن درية صلى العتمة ثم أوتر فرفع

أحد عباد صنعاء ومؤذنها. حُكيَ أنه صلّى العشاء وأخذ في العبادة حتى طلع الفجر وصلّى الصبح بوضوء العشاء ورجل يرمقه من أول الليل فلما طلعت الشمس جاء الرجل الذي بات يرمقه فسلم عليه وقال: لمَ لا نمت البارحة قال وجعلتني بالاً قال: نعم قال: فإني رمقت ابن دريه صلى العتمة ثم أوتر فرفع يديه نحو السماء وشخص ببصره فلم يزل كذلك حتى طلع الصبح بوضوء العتمة وكان له ولد اسمه علي يأتي ذكره في أصحاب معمر، ومنهم محمد بن سميع عدهُ الإمام أحمد في تابعي اليمن ولم ينسبه إلى مخلاف منها.

ومنهم سليمان بن داود بن قيس، أخذ العلم عن القاسم بن عبدالواحد المكي وطلحة بن عمرو[1]، وهو أحد أشياخ الفقيه عبدالرزاق الآتي ذكره.

وكان يفضل بمعرفة الكتب على وهب وهو عند أهل صنعاء بمنزلة وهب وهمام بن نافع.

ومنهم عريف بن إبراهيم الصنعاني، والنضر بن كثير، يروى عن طاووس وسماك بن الوليد الجيشاني[2] قال ابن سمرة وممن عده الدارقطني[3] (من أهل اليمن)[4] طاووس وزمعة بن صالح وعبدالله بن عيسى مقدم الذكر[5] وعبيد بن بحير بن ريسان[6] الآتي ذكره بأبيه في الولاة[7] وسلام ابن وهب وتلميذه زيد بن المبارك الصنعاني وعلي بن عبدالحميد[8] أخذ عن طاووس وأخذ عنه ابن جريج وقال: ممن

= يديه شاخصاً بصره نحو السماء حتى صلى الصبح بوضوئه وهو على ذلك الحال، وانظر ما في هذا الخلط والخبط، والعتمة ثلث الليل الأول.

(١) القاسم بن عبدالواحد بن أيمن القرشي ترجمته في تاريخ مكة ج٧ - ٢٦، روى له الترمذي والنسائي وابن ماجه، قال الذهبي مات شاباً، وطلحة بن عمرو وهو الحضرمي المكي ترجمته في تاريخ مكة ج٥ - ٧٠ روى عن ماجن سعيد بن جبير وعطاء بن رباح. وغيرهما ومات سنة اثنتين وخمسين ومئة.

(٢) لم أجد لسماك بن يزيد الجيشاني ترجمة فيما بين يدي من المراجع، والجيشاني نسبة إلى مدينة جيشان من المدن النجدية اليمنية خربت منذ زمان، انظر «صفة جزيرة العرب» ٧ - ٨، ١٩.

(٣) الدارقطني: اسمه علي بن عمر بن أحمد أبو الحسن الشافعي: إمام عصره في الحديث ولد بدار قطن من بغداد سنة ٣٠٦، وكانت وفاته بها سنة ٣٨٥هـ ويأتي ذكره للمؤلف.

(٤) في «ب» من أهل الجند.

(٥) زمعة بن صالح الجندي اليماني سكن مكة روى عن عبدالله بن كثير وعمه، وعن دينار والزهري وجماعته.

(٦) وفي الأصلين «ابن يحيى» وهو غلط.

(٧) يعني بحير بن ريسان الحميري.

(٨) زيد بن المبارك الصنعاني اليماني: محدث صدوق عابد سكن الرملة من فلسطين ومات بعد المئتين من

نقل عنه الفقه والحديث قبل ظهور مذهب الشافعي محمد بن يوسف الجذامي روى عنه أبو سعيد الجندي ما رواه عن محمد بن عمران البصري ما رواه عن محمد بن الحسن[1] من فقه أبي حنيفة.

وانقضى ذكر من حقّقه الرازي وابن سمرة من فقهاء اليمن في الطبقة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة، ثم صار العلم في درجة رابعة إمام أهلها: أبو عروة معمر بن راشد مولده البصرة سنة ثلاث وتسعين، وبتاريخه ولد مالك والثوري، وكان تاجراً وهو يرى الناس يعظمون الحسن البصري. ولما توفي الحسن عظم أسف الناس عليه فغبطه معمر على ذلك وسأل عن سببه فقيل: كونه عالماً، فانتدب لطلب العلم وجدّ فيه وترك التجارة، وكان العلم في اليمن أشهر من سواه وقد ذكرت قول أيوب السختياني له في ذكر ابن طاووس.

فلما قدم اليمن أخذ عن ابن طاووس وغيره كهشام بن عروة[2] وقتادة وإليه قدم السفيانان الثوري وابن عيينة، وابن المبارك وغيرهم وعنه أخذ جماعة من العلماء منهم عبدالرزاق والقاضي هشام، وله كتاب في السنن مفيد[3] يقرب مأخذه ووضعه من الموطأ ومن سنن أبي قرة وهو أقدم منهما، وكان سفيان الثوري يقول فقهاء العرب ستة، أفقه الستة ثلاثة: أفقه الثلاثة معمر.

وكان معمر لزوماً للسنة نَفوراً عن البدعة لا يرى السيف على أهل القبلة، وذكر الرازي بإسناده إلى ابن يوسف بن زياد أنه قال لعبدالرزاق: من القائل لمعمر وأنتم في صرح المسجد[4] يا أبا عروة إن الناس يقولون إنك تصلّي خلف هذا الظالم، يعنون ابن زائدة[5] ولا تعتدّ بها، فقال: أنت رجل صنعاني ينبغي لك أولاً[6] أن تعرف مذهبي

= الهجرة، وعلي بن عبدالحميد لم أجد له ترجمة.

(١) يأتي ذكر بعض هؤلاء وفي «ب» الحسين.

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أحد تابعي المدينة المشهورين المكثرين، ولادته سنة إحدى وستين للهجرة وتوفي سنة ست وأربعين ومئة، ابن خلكان ج٥ ـ ٢٩، وقتادة هو ابن دعامة السدوسي البصري: محدث ثقة توفي بالطاعون في واسط من العراق سنة ١١٧، «طبقات خليفة الخياط» ص٥١١.

(٣) يوجد منه نسخة في الأستانة وعندي منه أجزاء مصوّرة.

(٤) كذا في الأصلين، وفي الرازي ص٢١٣ وأنتم جلوس في صرح المسجد، والصوح: لغة أهل صنعاء والصرح لغة ذمار والجند وغيرهما: وهو فناء المسجد معروف.

(٥) في الرازي: خلف هذا يعني ابن زائدة أمير صنعاء قال له معمر الخ.

(٦) في الرازي كان ينبغي لك أن تعرف رأيي.

إني مـا أحب أن لي ملء هـذا المسجـد ذهباً يخـرج من شـرفـاتـه، وتفـوتني صـلاة الجماعة[1] قال مؤلفه غفر الله له قـوله أنت رجـل صنعاني خـرج من معمر على طـريق الإنكار، كما قالت أم المؤمنين عائشة لامرأة سألتها ما بال الحائض تؤمر بقضاء الصوم ولا تؤمر بقضاء الصـلاة: أحرورية[2] أنتِ؟ نسبَتها إلى بلد ظهـر منها الخـوارج، ومن عاداتهم الصدق في السؤال والإيغال في المقال، وكذلك صنعاء، أول بلد في اليمن، أنكر أهلها الصـلاة خلف الظَلَمـة، وأنّ من صلّى خلف أحدٍ منهم أعـاد ثانيـة[3] وذلك الغالب فيها وفي نواحيها منذ أول الإسلام إلى عصرنا سنة اثنتين وعشرين وسبعمئـة، وذلك أنهم في الغالب لا يحضرون للصلاة ولا يـأتّمون إلا بمن يتحققـون نزاهتـه عن المعاصي والنجاسات.

والمذهب الحق الذي عليه أئّمة الإسلام أن المسلم له معرفة الأحكام في جواز الصلاة خلف من قال: لا إله إلا الله، إلا ما حكي عن طاووس وقد مضى ووافقه على ذلك أئمة الزيدية[4] ومن قال بقولهم وهو قول غالب أهـل صنعاء ونـواحيها وقـد يخرج من البلد قليـل[5] أما الشـافعية وهم الـذين يجتمعون للصـلاة بالجـامع وإسمـاعيلية[6] وكانوا يقولون: لكل عالم هفوة، وهفوة طاووس عدم استجازة الصلاة خلف الظلمة.

وكانت مدة إقامة معمـر بصنعاء عشـرين سنة، وتـوفي فيها بـرمضان سنـة ثلاث وخمسين ومئة، بذلك أخبر إبراهيم بن خالد المؤذن بجامع صنعاء[7] وقال صليت عليه وله ثمان وخمسون سنة. قال الكاشْغري[8]: قال محمد بن بسـطام، وكان من أفـاضل

(١) في الرازي ما أحب أني تركت الجماعة معه متعمداً وأن لي ملء هذا المسجد ذهباً يخرج من شرفاته قال قال: قلت لعبدالرزاق أليس برأيك يا أبا بكر فقال: بلى وأنه لرأيي قال أبـو عبدالله سفيـان بن زياد: هـو رأيي.

(٢) حرورية نسبة إلى حروراً: بفتحتين: قرية بظاهر الكوفة وقيل على ميلين منها نـزلت بها الخـوارج الذين خالفوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فنسبوا إلى الموضع.

(٣) كذا في الأصلين وصوابه أعادها ثانية.

(٤) كذا في كتبهم، ولكنهم يخالفون ذلك لا سيما إذا كان إماماً منهم إلّا ما شذّ وهم أندر من النادر.

(٥) أي من الذين يرون ترك الصلاة خلف الظَلَمة.

(٦) هـذا يدل على أنـه في عصر الجنـدي كان لا يـزال بصنعاء فـرقة من الشـافعية وطـائفة من الإسمـاعيلية الباطنية وهو كذلك كما في التواريخ الأخرى.

(٧) إبراهيم بن خالد بن عبيد أبو محمد القرشي الصنعاني مؤذن صنعاء محدث من أصحاب معمر.

(٨) الكاشغري: نسبة إلى كاشغـر بالكـاف والشين والغين معجمتين: وهي مدينـة وبساتين يسـافر إليهـا من سمـرقند، وهي وسط بـلاد الترك وأهلهـا مسلمون، وكـذا في معجم ياقـوت، وذكر منهـا ثلاثـة حفـاظ ووعاظ، وتقع اليوم في ممالك الصين ويأتي اسم الكاشغري للجندي.

الناس: رأيت معمراً وشهدت جنازته وأعرف قبره في الحقل بخزيمة مقبرة صنعاء[1] وهو أول من قبر هناك فسألته أن يذهب معي ليرينيه فذهب وأنا معه وأوقفني بمكان دارس على قرب من مسجد علي بن أبي بكر الذي يصلى فيه على الموتى المقبورين في المقبرة.

وأهل العراق يزعمون أن معمراً مفقود وليس كذلك، وقد عرض ذكر الحسن البصري والسفيانان. والحسن هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري بالولاء، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر وكانت أمه خادمة لأم سلمة زوج رسول الله ﷺ فلما ولد عندها أخرجته إلى عمر فدعا له وقال: اللهم فقّهه في الدين وحبّبه إلى الناس، وكانت أمه متى راحت تقضي لسيدتها حاجة وبكى جعلت ثديها في فمه تشغله بذلك حتى تأتي أمه وربما درت عليه، وكان الناس يرون أن سبب بركته من ذلك وكان أنس كثيراً ما يسأل عن أمر فيقول: اسألوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا، وحفظ ونسينا، وكان قتادة العدوي يقول: الزموا هذا الشيخ، ويشير إليه فما رأيت أحداً أشبه رأياً بعمر منه، وقال أبو بردة الأشعري وقد ذكرت أصحاب عمر فما رأيت أحداً أشبههم كهذا الشيخ، يعني الحسن، وقال علي بن زيد أدركت عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب ويحيى بن جعدة، والقاسم بن محمد وسالماً وآخرين[2] فلم أر مثله فيهم، ولو أن الحسن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ وهو رجل[3] لاحتاجوا إلى رأيه، رأى ابن سيرين كأن الجوزاء تقدمت الثريا فقال يموت الحسن، وأموت بعده وهو أشرف مني، فكان كما قال[4]، وكانت وفاته بالبصرة سنة عشر ومئة وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وسيأتي ذكر السفيانان[5] ومنهم أبو خليد محمد بن ماجان[6] ويعرف

---

(١) الحقل هو ما يسمى اليوم بئر العزب وقبر معمر كان قرب مسجد النزيلي جنوب الصنائع التي استعملت في الجمهورية بوزارة الداخلية وفي شارع التحرير، وخزيمة بضم الخاء وفتح الزاي المعجمتين ثم ياء مثناة من تحت وميم وهاء وإليها كان ينسب باب خزيمة ومقبرة خزيمة وكانت من الحقل وهي اليوم مبان وطرقات وحجزت مقبرة بالقوة في دائرة ضيقة، وقد غيرت الثورة معالم الباب وجزءاً كبيراً من المقبرة، ويعرف منه اليوم بشارع علي عبدالمغني، أحد الأحرار الشهداء في أول الثورة، قبل أن يتلوّث بوضر النهب والسلب والقتل واللصوصية.

(٢) يأتي للمذكورين تراجم للمؤلف وتقدمت ترجمة عروة.

(٣) أي قد بلغ مبلغ الرجال.

(٤) والحسن وابن سيرين أولاد خالة وكان بينهما ما يحصل بين الأقران وكانت وفاة ابن سيرين بعد الحسن البصري بمئة يوم.

(٥) كذا في الأصلين وصوابه السفيانين إلاّ إذا أراد الحكاية.

(٦) محمد بن ماجان بالنون آخر الحروف ذكره الرازي ص٤٤٦، ولعله ماهان، أخذ عن ابن عمر وجابر بن

بصاحب معمر وصهره إذ تزوج معمر أخته، أخذ القراءة عن أبي عمرو بن العلاء حين قدم صنعاء فاراً من الحجاج، وأحب إيراد نبذة من أحوال أبي عمرو فهو أبو عمرو إختلف في اسمه[1] فقيل زبّان وقيل العريان وقيل يحيى وقيل كنيته أبو عمار بن عبدالله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعى التميمي[2] نسباً، كان عمه عاملاً للحجاج فصادره فهرب ودخل صنعاء وعدن وقال: كنت ليلة مفكراً في حالي مع الحجاج إذ سمعت منشداً[3]:

ربما تجزع النفوس من الأمر له فرجةٌ كحلّ العقال

ثم توفي عقيب ذلك بالكوفة سنة أربع وخمسين ومئة.

ومنهم عبدالله بن كثير المقري مولى عبدالله بن السائب المخزومي[4] وكانت قراءته على مجاهد بن جبير أبي الحجاج بأخذه عن ابن عباس وهو أقدم القراء السبعة، وكانت وفاته بمكة بعد أن قام بها دهراً، وقراءته الغالبة على أهلها[5] - وذلك سنة ست وعشرة وقيل بعد عشرين ومئة[6].

ومنهم رباح بن زيد، كان ذا فضل ودين ومعرفة للقراءة، سجن[7] بصره آخر عمره، فكان لا يزال واضعاً رأسه على ركبتيه فإذا دخل عليه أحد وسلّم رفع رأسه إليه وفتح عينيه وردّ عليه ثم أعاد رأسه إلى ركبتيه[8].

=عبدالله وأنس بن مالك وأم سلمة زوج النبي ﷺ وقد مضى ذكره.

(١) قال السيوطي في «بغية الوعاة» ص٣٦٧ اختلف في اسمه على واحد وعشرين قولاً ثم سردها وسبب الاختلاف في اسمه أنه كان لجلالته لا يسأل.

(٢) في السيوطي المازني وكذا في دول الإسلام للذهبي وفي ابن خلكان المازني ثم الشيباني.

(٣) في ابن خلكان وأخباره كثيرة منها قال طلب الحجاج أبي فخرج منه هارباً إلى اليمن فإنّا لنسير في صحراء باليمن إذ لحقنا لاحق ينشد (ربما تكره النفوس من الأمر، فقال أبي ما الخبر قال مات الحجاج، قال أبو عمرو فأنا بقوله، له فرجة) أشد سروراً مني بموت الحجاج ثم انصرفوا إلى البصرة، ابن خلكان ج٣ - ٣٦.

(٤) لقد وهم الجندي في أن عبدالله بن كثير مولىً لعبدالله بن السائب المخزومي وإنما هو مجاهد بن جبير أبو الحجاج مولى عبدالله بن السائب المخزومي بدليل ما في تاريخ مكة ج٥ - ص٣٦ وفي ج٧ ص١٣٢، وفي الرازي ص٢٩٨.

(٥) عبارة الرازي: والغالب على قراءة أهل مكة وأهل المدينة قراءة زيد بن ثابت.

(٦) قول ثالث حكاه في تاريخ مكة أن وفاة عبدالله بن كثير سنة اثنتين وعشرين ومئة وجزم الذهبي أن وفاته سنة عشرين ومئة.

(٧) في الرازي وكان ذا فضل ودين وقراءة للقرآن ومعرفة بالعلم وسجن: حبس أي عمي أو ضعف.

(٨) في الرازي ص٣٠٣ ثم أعاده.

ومنهم محمد بن عمر بن مقسم[1]، أدرك أصحاب وهب وأخذ عنهم، وكان إماماً في القراءة[2].

ومنهم أبو الأشعث شراحيل بن شرحبيل بن كليب بن أزدشير من الأبناء، نزل أخيراً دمشق ومات بها (وعدّه الحاكم في تابعي اليمن من نقله الآثار)[3].

ومنهم عطاء بن مركيوذ، وضبط مركيوذ بفتح الميم، وقيل بخفضها وسكون الراء وضم الكاف والياء المثناة من تحت وسكون الواو ثم ذال معجمة أيضاً[4].

قال الشيخ أبو إسحاق في طبقاته هو أول من جمع القرآن[5] يعني من أهل اليمن، وأما الرازي فقال أول من جمع القرآن بصنعاء أبو شريف العابد واسمه عبدالله بن بريد، كان عابداً محققاً، وكان معاصراً لوهب بن منبه، روى الرازي بإسناده عنه أنه قال رأيت ليلة القدر مرتين، مرة بمسجد صنعاء، وأخرى بمكة. فقيل له أيّ ليلة رأيتها فقال: ليلة ثلاث وعشرين من العام الأول[6] وفي الثاني ليلة أربع وعشرين[7] فقيل أيّ ساعة من الليل فقال في الثلث الأوسط قيل كيف رأيتها قال: رأيت السماء منفرجة[8] ودخل عليه سامك[9] ولم يكن بدونه في العبادة في مرضه الذي مات فيه، فقال له أبو شريف أحدثك بشيء إن قمت من مرضي هذا فلا أحب أن تذكره وإن متّ فافعل ما شئت، خطر ببالي ذكر الحور العين وسألت الله أن يزوّجني منهن وكنت مغطياً رأسي فكشفت عنه فإذا عند وسادتي منهن واحدة فكلمتني وكلمتها.

---

(١) المعلم في «ب».

(٢) في الرازي ص٣٠٥ زيادة وقرأ على السلام ابن يزيد الصنعاني وكان السلام له جلالةٌ عند أهل صنعاء.

(٣) قوله: وعدّه الحاكم الخ من كلام الجندي لا من كلام الرازي إذ لم نجده فيه، والحاكم هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري المعروف بابن البيع ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ومات سنة خمس وأربعمائة وهو صاحب المستدرك وقد طبع، وتاريخ نيسابور، وهو أشهر الحكام الأربعة، وهذه الزيادة من «ب».

(٤) هذا الضبط من الجندي لا من الرازي وفي «ب» زيادة من الأبناء.

(٥) وكذا قال الرازي: وكان أول من جمع القرآن بصنعاء فيما يقال.

(٦) عبارة الرازي: في عام وفي العام الثاني.

(٧) في الرازي: زيادة وأخرج إلى حوض صنعاء فشربت منه ماءً عذباً فقلنا له في أيّ ساعة الخ.

(٨) في الرازي: كانت السماء تنفرج.

(٩) سامك اسم شخص، وسامك قرية شمال وعلان صنعاء ذمار، وسامك أيضاً جبل في السر، سرّ بني الروية.

قال الرازي: ورأى رجل من أهل صنعاء ملكين قد نزلا من السماء على صنعاء خاصة فقال أحدهما للآخر: أريد أخسف بهذه البلدة، فقال وكيف تخسف بها وبها أبو شريف ووهب بن منبه؟

ومنهم زياد سميركوش: أي قصير الأذن، عدّه مسلم في تابعي اليمن[١].

ومنهم إسماعيل بن شروس لقي أصحاب ابن عباس كوهب وعطاء وعكرمة، ثم صار العلم إلى طبقة خامسة ينبغي أن نبدأ من أهلها بالإمام المرحول إليه من الآفاق، وهو أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري بالولاء، قال الرازي هو مولى المغيثيين[٢] وهم قوم يسكنون بلداً يقال لها دروان[٣] من مخلاف ذمار[٤] ينسبون إلى ذي مغيث بن ذي الشوجم الأوزاعي ثم الهمداني[٥] مولده سنة ست وعشرين ومئة، تفقّه بمعمر، وأخذ عن همام بن منبه وعن عبدالله بن عيسى الجندي مقدم الذكر وسفيان الثوري وابن جريج وأدرك ابن طاووس وهو ابن عشر سنين، فيقال إنه أخذ عنه، وإليه قدم ابن راهويه وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين[٦] قال الحافظ[٧] في حقه لم يُرحل إلى أحد بعد رسول الله ﷺ في طلب العلم كما رُحل إلى عبدالرزاق، وله تصنيف[٨] أخذه عنه الإمام[٩] أيضاً وأحمد وهو موجود ببغداد من

(١) في الرازي زيادة: وقرأ القرآن على عبدالله بن كثير الداري وكان إسماعيل من الفقهاء وقال قرأت القرآن على الداري فقال لي الداري: إنما تقرأ القرآن بالسنة، وقد روى معمر عن إسماعيل غير حديث.

(٢) انظر الإكليل ج٢ - ٢٥٢، و٢٥٣ ولا يُعرف المغيثيون اليوم.

(٣) دروان بالتحريك، كانت عامرة وهي اليوم من أخبار كان، ودروان حصن وبلدة في يحصب قرب منكث تذكر في الأحداث ودروان: بلدة قريب حجه وكان يقال لها ادران.

(٤) هو ما يسمى اليوم مغرب عنس، وهو غربي مدينة ذمار وكان قديماً مخلاف مقرى، انظر «الإكليل» ج٢ ص٥٢.

(٥) ذو مغيث بفتح الميم ثم غين معجمة وياء مثناة من تحت وثاء مثلثة بن ذي الثوجم بالثاء المثلثة بعده راء وواو وجيم، كذا صححناه من الإكليل وفي الأصلين ذي مغيب بن الرحم والأوزاعي نسبة إلى المغيثيين وهم من حمير لا من همدان، انظر «الإكليل» ج٢ - ٢٨٢.

(٦) تأتي تراجم المذكورين للمؤلف ومن لم يذكره نذكره بإيجاز، منهم يحيى بن معين، تأتي ترجمته.

(٧) لعل المراد بالحافظ هو عبدالغني بن سعيد الأزدي مقدم الذكر.

(٨) تصنيف عبدالرزاق في الحديث هو المسمى «مصنف عبدالرزاق» وكان موجوداً قديماً في خزانة جامع صنعاء، ثم اختفى ووجد بمكتبة الأستانة، استنبول، وأخذت له صورة وقد طُبع في لبنان في أحد عشر مجلداً وهو منشور وعندي منه نسخة، ولله الحمد.

(٩) كأنه يعني بالإمام أحمد بن حنبل أو الشافعي، فإنهما خرجا إلى اليمن وأخذ عن عبدالرزاق كما يأتي ذلك.

الحنابلة، وله تاريخ[1] أيضاً أخذه عنه الإمام أيضاً وأخذه غيره (عدة مفرقات)[2] وهو أحد أئمة الأمصار المعدودين، توفي بصنعاء غالباً سنة اثنتي عشرة ومئتين وقد عرض مع ذكره ذكر جماعة من أعيان الناس العلماء، فأذكر من أحوالهم بعض ما صحّ مع ذكر تواريخهم فمنهم همام وسفيان وابن جريج أحد من أخذ عنهم.

فسفيان: هو أبو عبدالله سفيان بن شعبة بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن موهبة بن منقذ بن نصر بن الحكم بن الحويرث بن مالك بن ملكان بن ثور بن عبدمناة، الثوري نسبة إلى جده هذا ثور.

مولده سنة خمس وقيل سبع وستين من الهجرة، معدود من أكابر الأئمة من أهل الأمصار على العموم ومن أهل الكوفة على الخصوص ويقال له: الكوفي أيضاً لأنها بلاده[3] ومنشأه، أجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته، وهو أحد الأئمة المجتهدين. قال ابن عيينة: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان، ويقال إن الشيخ الجُنَيْد كان على مذهبه، والأصح أنه كان على مذهب أبي ثور[4] وقال ابن المبارك: لا نعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري وكان رأس الناس في زمانه وقبله الشعبي، وقبله ابن عباس وقبله عمر. ومسنده عن أبي إسحاق السبيعي والأعمش ومن في طبقتهما، وسمع منه الأوزاعي وابن جريج ومحمد بن إسحاق ومالك. وتلك الطبقة[5] وكانت وفاته بالبصرة متوارياً عن السلطان[6] وذلك سنة إحدى

---

(١) تاريخه مفقود فيما أعلم.

(٢) كذا هذه العبارة في الأصلين وفيها بعض غموض، وله تفسير القرآن الكريم في مجلد توجد منه نسخة في دار الكتب المصرية اطلعت عليها ونسخة في إيران، وإنا نأسف كل الأسف على العالِم اليمني حيث لم يهتم بالسعي لاقتناء ذخائره وتراثه. أما الحكومة فلا يعنيها من الأمر شيء وربما ييسر طبعه. وقبر عبدالرزاق وعليه مسجد في أكمة «عَلَب شَمال شرقي صنعاء» وقد زحف إليها البنيان.

(٣) كذا في الأصلين وصواب العبارة لأن بها ميلاده.

(٤) الجنيد هو المتقدم الذكر، وأبو ثور هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه البغدادي صاحب الشافعي، توفي سنة ست وأربعين ومئتين.

(٥) هؤلاء علماء أعلام نلمح إليهم. فأبو إسحاق السبيعي: اسمه عمرو بن عبدالله السبيعي الهمداني وابنه يونس وحفيده إسرائيل أحد الذين حملوا أمانة العلم والفقه، وكان أبو إسحاق من أعلام الناس توفي سنة سبع وعشرين ومئة، والأعمش: هو سليمان بن مهران الأسدي، أحد الأعلام الحفاظ والنسّاك، مات سنة ثمان وأربعين عن ثمان وثمانين سنة، والأوزاعي هو ابن عبدالرحمن بن محمد الأوزاعي الحميري إمام الشام لم يكن أعلم منه، توفي ببيروت سنة سبع وخمسين ومئة وله هناك مسجد ومقام محمود، وابن جريج تأتي ترجمته، ومحمد بن إسحاق هو المطلبي أمير المؤمنين في السير والمغازي، توفي ببغداد سنة إحدى وخمسين ومئة، ومالك تأتي ترجمته.

(٦) هو أبو جعفر المنصور عبدالله بن محمد العباسي.

وستين ومئة في خلافة المهدي[1] دخل في أيام تواريه على جعفر بن محمد الصَّادق[2] فقال له يا سفيان أين تدخل والسلطان يطلبك ونحن نتوقاه قال: «حدثني حتى أخرج عنك، قال حدثني أبي عن جدي قال قال النبي ﷺ: «من أنعم الله عليه فليشكر الله ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن أحزنه أمر فليكثر من لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم» ودفن عشاء رحمه الله، ولم يعقب، والثوري: بفتح الثاء المثلثة وبعدها واو ساكنة ثم راء ثم ياء نسبة إلى بطن من تميم، وثَمَّ ثوري آخر إلى بطن من بطون همدان[3].

وأما ابن جريج: فهو أبو الوليد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج القرشي بالولاء المكي، وجريج: بضم الجيم وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحت ثم جيم أيضاً، وكان عبداً لآل أم حبيب بنت جبير. مولده سنة ثمانين للهجرة وكان معدوداً في أعيان علماء مكة، ويقال إنه أول من صنّف الكتب في الإسلام[4] قال الشيخ أبو إسحاق: ابن جريج مَا دَوَّن هذا العلم تدويني أحد، جالست عمرو بن دينار بعدما فرغت من عطاء سبع سنين وقال: لم يغلبني أحد على يسار عطاء عشرين سنة، قيل: فما منعك من يمينه قال: كانت قريش تغلبني عليه، ودخل أيضاً اليمن كسفيان ووفد على ابن زائدة[5] فأكرمه، وأحسن إليه وكانت وفاته سنة خمس وخمسين ومئة.

وأما همام فقد سبق ذكره في أول طبقته.

---

(١) والمهدي هو ابنه محمد بن المنصور مات ١٦٩هـ.

(٢) جعفر الصادق هو ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وفاته سنة ثمان وأربعين ومئة للهجرة.

(٣) انظر الإكليل ١٠ ـ ٢٤.

(٤) من أهل الحجاز كما أن ابن أبي عروبة أول من دونها بالعراق.

(٥) هو معن بن زائدة وانظر ترجمته في «قرة العيون» ج٢ ـ ١٢٢ و«الإكليل» ج٢ ـ ٣٦٦ و«تفسير الدامغة»، وابن خلكان. قدم ابن جريج على معن وهو والٍ على اليمن لدين ارتكبه فأقام عنده حتى إذا كان عاشر ذي القعدة مرّ بقوم وجارية تغني لهم بشِعر عمر بن أبي ربيعة:

هيهات من أمة الوهّاب منزلنا ... إذا حللنا بسيف البحر من عدن
واحتل أهلك أجْيَاداً فليس لنا ... إلا التذكر أو حَظّ من الحزن
بالله قولي له في غير معتبة ... ماذا أردت بطول المكث باليمن
إن كنت حاولت ديناً أو ظفرت بها ... فما أخذت بِترك الحج من ثمن

فبكى ابن جريج بكاء شديداً واستأذن معناً وقال: إن أردت بي خيراً فردني إلى مكة ولست أريد منك شيئاً، فاستأجر له أدِلّاء وأعطاهم خمسمائة دينار ودفع لابن جريج ألفاً وخمسمائة دينار فسار به الأدلاء حتى وافوا به عرفات يوم عرفة.

وممن أخذ عنه[1] وقصده إلى صنعاء جماعة، منهم أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان ـ بفتح الحاء المهملة والياء المثناة من تحت مشدودة ثم ألف ثم نون ـ بن عبدالله بن سنان الشيباني نسبة إلى جده هذا المروي الأصل، خرجت به أمه حاملاً به من مرو فولدته ببغداد في أحد الربيعين من سنة أربع وستين ومئة، وبلغه عن إبراهيم بن أبان الآتي ذكره في عدن ـ فَضْلٌ[2] فقصده فلم يجده كما قيل، فقال: في سبيل الله الدريهمات التي أنفقناها في السفر إلى إبراهيم، ثم قدم إلى عبدالرزاق في صنعاء فأخذ عنه وأقام عنده مدة، وسئل عنه عبدالرزاق فقال ما رأيت أفقه منه ولا أورع منه، بلغني أن نفقته نفدت وأنه أكرى نفسه من الحمّالين حتى قدم صنعاء فأخذت عشرة دنانير، وخلوت به وقلت له إنه لا يجتمع عندنا الدنانير وقد وجدت مع النساء عشرة دنانير فخذها أنفقها فإني أرجو أن لا تنفد حتى قد تهيأ غيرها، فتبسّم وقال: يا أبا بكر لو قبلت شيئاً من الناس قبلت منك.

وأخذ عن عبدالملك الذماري وقال: سألته أين بلد طاووس، فقال هو من (أهل)[3] الجند، وكان ذا علمٍ شهير وفقه كثير، أحد أعيان الإسلام، وفضلاء الأنام، وكتابه «المسند» وما جمع فيه من الأحاديث التي لم تتفق لغيره يدلّان[4] على تميزه على سائر الفقهاء والمحدثين، وذكروا أنه يحفظ ألف ألف حديث.

ولما قدم الشافعي بغداد صحبه واختص به، ولما خرج من بغداد سئل عن من خلفه فيها فقال ما خلفت بها أتقى ولا أفقه من ابن حنبل.

ودعي إلى القول بخلق القرآن فامتنع وحُبس وضرب لا يزيده ذلك إلا ثبوتاً على نفي الخلق عنه، وكان حسن الوجه، ربعةً يختضب بالحنّاء خضاباً ليس بالقاني، في لحيته شعرات سود. أخذ عنه جماعة من أمثال محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم، ولم يكن له في آخر عمره نظير في سعة العلم ودقة العمل، إلى أن توفي نهار الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومئتين.

---

(١) قوله ومِمن أخذ عنه أي عبدالرزاق.

(٢) فضلٌ: فاعل لبلغه، أي معرفة.

(٣) ما بين القوسين من «ب».

(٤) يدلّان بلفظ التثنية، كذا في الأصلين، ولعله يريد بذلك كتابه المسند وفقهه وما جمع فيه من علمه، وإن أراد المسند فكان من حقه الإفراد.

ولما قبض صاح الناس وعلت أصواتهم بالبكاء حتى كأن الدنيا ارتجّت، ولم يبق أحد في جانبي بغداد إلاّ حضر قبرانه غير أهل مسجد الحارث بن أسد المحاسبي[1] فهجروه على ذلك دهراً وحزر من حضر جنازته للصلاة من الرجال فكانوا ثمانمئة ألف ومن النساء ستين ألفاً وأسلم إذ ذاك عشرون ألفاً من يهوديّ ونصراني ومجوسي، ورآه بعد ذلك من كان يصحبه وعليه حلّتان خضراوان وعلى رأسه تاج من نور وهو يتبختر في مشيته فقال: يا سيدي ما هذه المشية التي لم أكن أعرفها فيك فقال الإمام: مشية الخدام في دار السلام، إن ربي حاسبني يسيراً، وحباني وقرّبني وأبلغني النظر وتوّجني بهذا التاج وقال: يا أحمد هذا تاج الوقار توجتك به لقولك بالقرآن كلامي غير مخلوق.

ومنهم ابن راهويه أبو يعقوب إسحاق بن أبي الحسن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي، مولده أحد شهور سنة إحدى وستين، وقيل سنة ست وستين ومئة. وراهويه لقب لأبيه، إذ ولد بطريق مكة والطريق بالفارسية «راه وويه» بمعنى وجد بالطريق، وضبطه: بفتح الراء ثم ألف ثم هاء ساكنة وواو مفتوحة ثم ياء مثناة من تحت ثم هاء ساكنة، وقيل: غيره، وهذا أشهر، ومخلد بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام، وبعدها دال مهملة، والحنظلي نسبة إلى حنظلة بن مالك إلى فخذ من تميم، والمروزي نسبة إلى مدينة عظيمة بخراسان تعرف بمرو الشاهجان، إذ هناك مدينة أخرى تسمى مرورود، إذ بنيت على نهر، فإن النهر بلغة الفرس الروذ، والشاهجان زوج الملك لأن الملك الذي بناها كان مغرماً بها فسميت به، خرج من هاتين المدينتين جماعة من أعيان العلماء فلذلك أحببت[2] بيانهما، وقدر

---

(١) الحارث بن أسد المحاسبي، كذا في ابن خلكان ج١ ـ ٢٤٨، وفي «ب» الحارث بن راشد، وفي «د» الحارث المحاسبي، والتصحيح من ابن خلكان ويقال له البصري ولقب بالمحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه وكان قد استخفى من العامة فلما مات لم يصلِّ عليه إلا أربعة أنفار، وكانت وفاته سنة ثلاث وأربعين ومئتين. ولعل المؤلف ترجم له فيما يأتي.

(٢) وأنا أتحف القراء بما قاله ياقوت الحموي في «معجم البلدان» عن مرو بإيجاز: لقد تكلم عن مرو الروذ ومرو الشاهجان وأوسع الكلام فيهما، إلى أن قال: وأقمت بها ثلاثة أعوام فلم أجد بها عيباً إلا ما يعتري أهلها من العِرْق المديني فإنهم منه في شدة، ولولا ما عرا من وروده التتر إلى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها إلى الممات، لما في أهلها من الرفد ولين الجانب وحسن العشرة وكثرة كتب الأصول المتقنة بها، فإني فارقتها وفيها عشر خزائن لم أر في الدنيا مثلها كثرةً وجودة، منها خزانتان في الجامع إحداهما يقال لها العزيزية وقفها رجل يقال له عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني، وكان فيها اثنا عشر ألف مجلد أو ما يقاربها، والأخرى يقال لها الكمالية، وبها خزانة شرف الملك المستوفي أبي سعد محمد بن

المسافة بينهما أربعون فرسخاً، فالنسبة إلى مرو الشاهجان مروزي وإلى مرو الروذ مرورودي لغرض الفرق فإذا اجتمعتا قيل المروان، وذكر في الشعر كثيراً، من ذلك قول الأخطل[1] حين دخل على يزيد بن المهلب[2] وهو في أسر الحجاج:

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم ... وقال ذوو الحاجات أين يزيدُ
فلا قطرتْ بالمرو بعدك قطرةٌ ... ولا اخضرّ بالمروين بعدك عودُ
فما لسرير بعد ملكك بهجةٌ ... ولا لجوادٍ بعد جودك جُودُ

منصور في مدرسته، وخزانة نظام الملك الحسن بن إسحاق في مدرسته وخزانتان للسمعانيين وخزانة أخرى في المدرسة العميدية وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء والخزائن الخاتونية في مدرستها. وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مئتا مجلد وأكثرها بغير رهن، تكون قيمتها مئتي دينار، فكنت أرتع فيها وأقبس من فوائدها وأنساني حبها كل بلد وألهاني عن الأهل والولد وأكثر فوائد هذا الكتاب وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن وكثيراً ما كنت أترنم عند كوني بمرو بقول بعض الأعراب:

أقمرية الوادي الذي خان إلفها ... من الدهر أحداث أتت وخطوبُ
تعالي أطارحك البكاء فإننا ... كلانا بمرو الشاهجان غريبُ

ثم أضيف إليها قول أبي الحسين مسعود بن الحسن الدمشقي الحافظ وكان قدم مرو فمات بها سنة ٥١٣:

أخلّاي إن أصبحتُم في دياركم ... فإني بمرو الشاهجان غريب
أموت اشتياقاً ثم أحيا تَذَكّراً ... وبين التراقي والضلوع لهيب
فواعجبا موت الغريب صبابة ... ولكن بقاه في الحياة غريب

إلى أن خرجت عنها مفارقاً، وإلى تلك المواطن متلفّتاً وامقاً، فجعلت أترنم بقول بعضهم:

ولما تزايلنا عن الشعب وانثنى ... مشرِّقُ ركبٍ مُصعِدٌ عن مُغَرِّب
تيقنت أن لا دار من بعد عالج ... تسرّ وأن لا خلّة بعد زينب

وقال الآخر:

ليال، بمرو الشاهجان وشملنا ... جميعٌ، سقاك الله صوب عهاد
سرقناك من ريب الزمان وصرفه ... وعين النوى مكحولة برقاد
تَنَبَّهَ صرف الدهر فاستحدث النوى ... وصيّرنا شتى بكل بلاد

انتهى باختصار. ومرو الروذ ومرو الشاهجان في شمال إيران. ولعلّ بعضها تحت النفوذ السوفياتي.

(١) الأخطل هو غوث بن غياث الثعلبي وكان نصرانياً من العرب المتنصرة، وكان شاعراً فحلاً من شعراء الدولة الأموية واختصّ بمدح عبدالملك بن مروان وهو أحد من تسمّى بالأخطل وهم أربعة، وكانت وفاته سنة تسعين هـ وديوانه مطبوع.

(٢) يزيد بن المهلب هو أبو خالد ينتهي نسبه إلى الأزد، ووصف يزيد بن المهلب ونعوته جل أن تحصى وإنه لجدير أن يخرج باسمه كتاب، وقد أعطى الأخطل وهو في الحبس مئة ألف، وله حكايات وأخبار في الجود والشجاعة يطول ذكرها، رام الخلافة ونبذ طاعة الأمويين فجرت بينه وبين مسلمة بن عبدالملك الأموي معارك شرسة استنصف من الأموية حتى قتل في المعركة سنة اثنتين ومئة، وهو ابن تسع وأربعين سنة رحمه الله، فقد كان من النجباء الكرماء العظماء الفرسان وإلى ذلك أشار ابن دريد في مقصورته بقوله:

وقد سما قبلي يزيد طالباً ... شاوُ العلا فما وهى ولا ونى

قال ابن خلكان: كان ابن راهويه أحد أئمة الإسلام، عدّه الدارقطني فيمن روى عن الشافعي وعدّه البيهقي في أصحابه[1] وكان قد ناظر الشافعي ثم اعترف بفضله فنسخ كتبه وَجَمَعَ مصنفاته بمصر، وكان من أعرف الناس بالحديث حتى قيل كان يحفظ سبعين ألف حديث وما سمع شيئاً قط إلا حفظه ولا حفظ شيئاً قط فنسيه. سكن بنيسابور في آخر عمره فتوفي بها ليلة النصف من شعبان سنة ثمان وثلاثين ومئتين.

ومنهم علي بن عبدالله بن جعفر المديني وهو معدود في أصحاب الإمام الشافعي، كتب عن الشافعي كتاب «الرسالة» وحمله إلى عبدالرحمٰن بن المهدي[2] فأعجب به.

نرجع حينئذ إلى ذكر علماء اليمن الموجودين في طبقة عبدالرزاق، فمن أهل الجند محمد بن خالد، وهو أحد شيوخ الشافعي، وروى عنه ما رواه عن أبان بن صالح عن الحسن عن النبي ﷺ: «لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدباراً ولا الناس إلا شحّاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدي إلاّ عيسى بن مريم».

قال ابن سمرة روى هذا الخبر عن الشافعي يونس بن عبدالأعلى أحد أصحابه ولهذا خرجه القضاعي[3] في كتاب الشهاب، وكان بعض الفقهاء يستدل على أن الشافعي دخل الجند كما دخل صنعاء بروايته عن هذا محمد بن خالد.

ومنهم يحيى بن وثاب الجندي[4] أدرك طاووس وحنظلة وغيرهما، ومن صنعاء

---

(١) البيهقي: هو الحافظ شيخ خراسان أحمد بن الحسين نسبة إلى بيهق، قرى مجتمعة من نيسابور، كانت وفاته سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، ترجمته في ابن خلكان ج٢ ص٥٧ وغيره.

(٢) هو عبدالرحمٰن بن المهدي الأزدي بالولاء أبو سعيد، محدث ثقة، خليفة الخياط ج٢ ص٧١ أحد الحفاظ المشهورين توفي بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومئة «صفة الصفوة» ج٤ ص٥ ووفاة على ابن المديني سنة ٢٣٤هـ.

(٣) يونس بن عبدالأعلى بن موسى الصدفي الكندي المصري أحد المكثرين في الرواية عن الشافعي، وكان كثير الورع متين الدين وأفضل أهل زمانه، كامل العقل وافر الحرمة، وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثمائة، والصدفي نسبة إلى الصدف بفتحتين، بطن من كندة، انظر ابن خلكان ج٦ ص٢٤٧. والقضاعي هو أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر، ينتهي نسبه إلى قضاعة ثم إلى مالك بن حمير: علاّمة له عدة مؤلفات منها كتاب «الشهاب في الأحاديث» وتولى القضاء بمصر بالنيابة، وكان متفنّناً في عدة علوم، وفاته سنة أربع وخمسين وأربعمائة (وفيات الأعيان) ج٤ ص٣٤٩.

(٤) وثاب بالثاء المثلثة ثاني الحروف مشدّدة، والباء الموحدة آخره: محدث ثقة.

عبدالله بن صالح بن أبي غسان الكوفي[1] سكن صنعاء إلى أن توفي بها وعُدّ من فضلائها، وكان مُجيداً للقراءة بحرف حمزةٍ[2] ليس بينه وبينه غير رجلين، وكان يقرأ أيضاً بحرف عاصم[3] وكان نسيج وحده عبادةً وفضلاً وتعليماً للخير. خرج من صنعاء إلى سعوان[4] لبعض حوائجه فرصده راصد فإذا به لم يتوضأ في اليوم والليلة غير مرة وقت الظهر، وكان يقرىء الناس سنة أربع ومئتين، وروى عن عبدالحميد بن مروان بن سالم عن عبدالملك بن أبي سليمان عن عطاء عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «أول ما يجازى به العبد المؤمن بعد موته أن يغفر لجميع من شيّع جنازته» وكان يجيد القراءة بالطريقين المذكورين.

ومن أهل عدن جماعة، منهم أبو مروان[5] الحكم بن أبان بن عفان بن الحكم بن عثمان العدني، أدرك ابن طاووس بالجند فأخذ عنه وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» وقال: كان مشيخة يعتبر قولهم يقولون: كان الحكم بن أبان سيد أهل اليمن، وكان يصلي بالليل، فإذا غلبه النوم ألقى بنفسه في البحر وقال: أسبح لله عز وجل مع الحيتان، وأسند عن عكرمة وغيره وامتحن بقضاء عدن وكان مشهوراً بالكرم. ومسجده الذي كان يقف فيه من عدن هو مسجد أبيه الذي يعرف عند أهل عدن بمسجد أبان[6] وهو أحد مساجد عدن المشهورة بالبركة واستجابة الدعاء في نجاح الحوائج، وبه أقام الإمام أحمد بن حنبل حين قدم للأخذ عن ولد هذا الآتي ذكره.

ومنهم أخوه المكبر[7] بن أبان، وكان حال قدوم الإمام أحمد إلى عدن موجوداً، فلما لم يجد إبراهيم ابن أخيه كما بلغه قال: لهذا في سبيل الله الدريهمات التي أنفقناها إلى ابن أخيك.

ومنهم ابن أخيه إبراهيم بن الفقيه الحكم مقدم الذكر، وهو الذي قدم إليه

---

(١) كان أحد قراء صنعاء، نسيج وحده وفريد دهره، وكان موجوداً سنة أربع ومئتين من الهجرة.

(٢) حمزة هو ابن حبيب الزيات أحد القراء السبعة، توفي سنة ست وخمسين ومئة.

(٣) عاصم هو ابن أبي النجود أحد القراء السبعة مات سنة سبع وعشرين ومئة.

(٤) سعوان ضاحية شرقي شعوب من صنعاء، وقد امتد عمران صنعاء إليها وسعوان أيضاً بلدة من عزلة دلال ببعدان.

(٥) في «صفة الصفوة» أبو عيسى، وكانت وفاته سنة أربع وخمسين ومئة، ج٢ ص٢٩٧.

(٦) لا يزال مسجد أبان قائماً تقام فيه الصلوات ومشهوراً إلى هذا اليوم.

(٧) لم يضبطه الجندي المكبر: هل بالباء الموحدة أم بالمثلثة أم بالمثناة من تحت أو فوق، ولا ذكره ابن سمرة ولا الرازي.

الإمـام أحمد على السمـاع فلم يجده كمـا قيل، وقـد ذكرت ذلـك فيما مضى، وكـان قدومه إليه لبضع وتسعين ومئة.

ومنهم محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني[1] كان إماماً فاضلاً كثيـر الحج حـج ستين حجة ماشياً على قدميـه[2]. أخذ عنـه مسلم بن الحجاج والتـرمذي والـدارقطني وخرج عنه مسلم عدة أحاديث في صحيحه، وهو أجلّ شيوخ المفضـل الجندي الآتي ذكره مع جمع من اليمن وغيرهم.

وهذا ذكر من عرض ذكره مـع هذا الفقيـه: أولهم مسلم فهو مسلم بن الحجـاج القشيري، كان إماماً في الحديث شيخه البخـاري، ولـم يثبت معه فـي المحنـة غيره، توفي يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومئتين وقد بَلغ عمره خمساً وخمسين سنة.

وأمّا الترمذي فكانت وفاته بـرجب سنة سبـع وسبعين ومئتين، وقيل سنـة خمس وسبعين ومئتين، ولـم يذكر الشيخ أبو إسحاق غيره، والدارقطني ببغداد[3] توفي بهـا في ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومئتين ومولده سنة اثنتين وثلاثين[4].

ومنهم أيمن بن نـابـل، عـدّه الحـاكم[5] في أهـل اليمن سكن مكـة وأدرك القاسم بن محمد أحد فقهاء الإسلام السبعة الذين يقول فيهم[6].

---

(١) ذكره الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» المنقـطع النظيـر ص٧١. ونقلنا هنـالك من تـرجم له من الحفاظ الذين نعتوه بقولهم: هـو الحافظ المسنـد وصنف المسند، ولم يعثر عليه اليـوم، وكانت وفـاته بمكة المشرفة لإحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين ومئتين من الهجرة.

(٢) في تاريخ مكة ج٤ ـ ٣٨٧: حج سبعاً وسبعين سنة.

(٣) في (أ) بعدان وفي (ب) بعداد بالمهملات، والتصحيح منا ومن الـوفيات، وربمـا أن بعدان هي بغـدان فهي لغة في بغداد.

(٤) هذه الوفاة والمولد للدارقطني وَهَم فيـه الجندي، ففي الـوفيات ج٢ ص٤٥٩ أن ولادة الـدارقطني سنـة ست وثلاثمائة وتوفي يوم الأربعاء لثمان خلون قيل: الثاني من ذي القعدة وقيـل ذي الحجة سنـة خمس وثمانين وثلاثمائة، وقد وصف بأنه كان عالماً حافظاً فقيهاً على مذهب الشافعي متفنناً في علوم شتى وله مصنفات منها السنن والمختلف والمؤتلف وغيرهما، والدارقطني بفتح الدال وضم القـاف نسبة إلى دار القطن، كانت محلة كبيرة ببغداد وقد سبقت ترجمته منا.

(٥) أيمن بن نابل أهمل ضبطه الجنـدي ففي أصلينا «ب» بـالثاء المثلثـة أوله ثـالثه مهمـل وفي «د» بإهمـال الحرفين وقد صححناه من تاريخ مكة للفـاسي ج٣ ص٣٤٤، حيث قال أيمن بن نـابل ببـاء موحـدة بعد الألف، الحبشي المكي، ثم ذكر عمن أخذ ومن روى عنه إلى أن قال: كان سودان مكـة فصيحاً عـابداً فاضلاً، مات في بضع وخمسين ومئة، وله ترجمة في «تهذيب التهذيب» ج١ ص٣٩٤.

(٦) ذكر الأبيات في الوفيات في ترجمة أبي بكـر بن عبدالـرحمٰن ولم ينسب الأبيات لأحـد وفيه وقد جمعهم بعض العلماء وهذه العبارة أوفى من قول الجندي «يقول فيهم» بدون فاعل.

ألا كـلّ من لا يَقْتَـدِيْ بـأئمـة | فقسمته ضيزى عن الحق خـارجه
فخـذهم عبيـد الله عـروة قـاسمـاً | سعيـداً سليمانـاً أبا بكـر خـارجـه

وقد تطلّع نفس المطالع إلى مـا شرطنـاه في غالب الكتـاب من ذكر من عـرض ذكره من الأعيان فأذكرهم على ترتيب البيت الأول فأولهم:

عبيدالله، كنيته أبو عبدالله واسمه عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعـود الهذلي (عبدالله بن مسعود الصحابي عم أبيه عبـدالله[1]) كان إمـاماً كبيـراً ذا فنون كثيـرة، قال بعضهم أعلم من رأيت سعيد بن المسيب، وأغزرهم عروة ولا تعجز من عبيدالله بحراً إلّا وجدته، كانت وفاته سنة اثنتين ومئة وقيل غير ذلك.

وأما عروة فهو أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العـوام مولـده سنة ست وعشـرين، قـال عمر بن عبـدالعزيـز ما أحـد أعلم من عروة وقـال الزهـري: عروة بحـر لا تكدره الدلاء، توفي سنة أربع وتسعين[2].

وأما القاسم فهو أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق خليفة رسـول الله ﷺ. قال مالك كان القاسم من فقهاء هـذه الأمة، تـوفي سنة إحـدى أو اثنتين ومئة وقيل سنة ثماني ومئة وقد بلغ عمره سبعين سنة أو اثنتين وسبعين.

وأما سعيد فهو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حـزن بن أبي وهب المخزومي، ولد لسنتين مضتا من خـلافة عمـر، أخذ عن زيـد بن ثابت وجـالس ابن عباس، وابن عـمـرو سعد بن أبي وقاص، ودخل على عائشة وأم سلمة وسمع عثمان وعلياً، وأخـذ روايتـه المسندة عن أبي هـريرة إذ تـزوّج ابنته، وقـال القاسم مقـدّم الذكـر هو أعلمنـا وسيدنا، وتوفي بالمدينة سنـة إحدى أو اثنتين أو أربـع وتسعين وكان يقـال لهذه السنـة سنة الفقهاء لكثرة من مات بها منهم.

وأما سليمان فهو أبو أيـوب سليمان بن يسـار، مولى ميمـونة بنت الحـارث زوج رسـول الله ﷺ، أسند عن ابن عبـاس، وأبي هريـرة وأم سلمة، وروى عنـه الـزهـري وجمـاعة من الأكـابر، وكـان المستفتي متى أتى سعيد بن المسيب قـال لـه اذهب إلى سليمان بن يسار فإنه أعلم من بقي اليوم. كانت وفاته سنـة مئة، وقيـل سنة سبـع ومئة

---

(١) في هذه العبارة ركاكة والمعنى أن عبدالله بن مسعود الصحابي المشهور هو عم عبدالله بن عتبة.
(٢) كان في الأصلين وسبعين فصححنا من ابن خلكان والأعلام «تسعين» بتقديم التاء المثنـاة من تحت على السين المهملة.

وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

وأما أبو بكر فهو أبو بكر بن عبدالرحمٰن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، واسمه كنيته، ولد في خلافة عمر، وكان يسمى براهب قريش لعظم عبادته ونظافة هيئته، وكانت وفاته سنة أربع وسبعين.

وأما خارجة فهو أبو زيد خارجة بن زيد بن ثابت الأنصاري الصحابي، أعني أباه، وكان خارجة جليل القدر أدْرك زمن عثمان بن عفان، ولد في السنة التي مات فيها، وقال: رأيت في المنام كأني بنيت سبعين درجة فلما فرغت منها تدهورت، وهذه السنة لي سبعون سنة قد أكملتها قال: فمات فيها. وروى عنه الزهري، ووفاته سنة تسع وتسعين وقيل، سنة مئة.

هؤلاء جملة الفقهاء، ولولا كثرة حاجة فقهاء الأمة إلى معرفتهم لما ذكرتهم، وحينئذٍ نرجع إلى ذكر فقهاء اليمن:

فمنهم أبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن داذويه الأبناوي، ولي قضاء صنعاء من قبل المنصور، وكان فقيهاً فاضلاً توفي سنة ثلاث وخمسين وقيل إحدى وخمسين ومئة.

ومنهم عبدالملك بن عبدالرحمٰن الأبناوي ثم الذماري[1] نسبة إلى ذمار مدينة على بعد مرحلتين من صنعاء، وهي بفتح الذال المعجمة والميم ثم ألف ثم راء، ولي القضاء من إبراهيم بن موسى بن جعفر الطالبي[2] حين غلب على صنعاء، ثم لما قدم ابن ماهان من قبل المأمون نقل إليه أن هذا عبدالملك يكرهه ويميل إلى الطالبي فقتله يوم الجمعة في شهر رمضان سنة مئتين، وألقاه قتيلاً على وجه الأرض ثلاثة أيام لم يدفن ثم دفن بعد ذلك، وقد أخذ عنه الإمام أحمد، وهو الذي سأله عن بلد طاووس وقد مضى ذكر ذلك.

ومنهم هشام بن يوسف الأبناوي، يعرف بالقاضي، أدرك معمراً وأخذ عن عبدالرزاق وعن ابن جريج مقدم الذكر، وأخذ عن عبدالله بن وهب بن منبه وهو أحد

---

(١) ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص٧٩. من علماء ذمار ومحدثيها، وله مسند لم نعثر عليه وضبط ذمار كما ذكره الجندي هو الذي ينطق به اليوم وفي تاريخ البخاري ومعجم ياقوت بكسر الذال.

(٢) في «ب» موسى بن جعفر بإسقاط إبراهيم وفي «د» أسقط موسى فأصلحناه من لدينا، وإبراهيم هذا هو الذي لقبه التاريخ الجزار لكثرة ما سفك من الدماء. انظر «قرة العيون» ج١ ص١٤٤ و«الإكليل» ج٢ ص٣٥.

شيوخ الإمام الشافعي في اليمن، وله في الصحيحين عدة أحاديث، وأخذ عنه يحيى بن معين، ولي قضاء صنعاء لمحمد بن خالد حين قدم نائباً من قبل الرشيد، وذلك لنيف وثمانين ومئة، ولم أجد له تاريخاً بل زمانه مأخوذ من زمن البرمكي[1] وكان له ابن إسمه عبدالرحمٰن يُعدّ في أهل الاجتهاد، ذكره ابن حزم المغربي[2] وكان أبوه هشام يؤم الناس مع القضاء أيضاً، ومؤذنه علي بن إبراهيم[3] بن خالد المذكور أقام مؤذناً سبعين سنة.

فمن عجيب ما جرى أن الناس بصنعاء أقاموا شهرين فاقدين للشمس لا يعرفون الأوقات إلا بأذان هذا علي بن إبراهيم، وكان يعرفها بالوظائف حتى كان هشام يقول: ما أحد بصنعاء إلا ولهذا عليه فضل، إذ هو السبب لسقوط الفرض عمن سمعه[4] ومن عجيب ما جرى له أنه لما حضرته الوفاة أوصى أن يُبنى لحده بلبن قد أعدّه في البيت فخلا به بعض أصحابه وسأله فقال: كنت إذا عدت من الخدمة للجامع بسطت نطعاً ونفضت[5] ثيابي عليه، فما اجتمع من تراب جمعته حتى كثر فضربت منه هذا اللبن، وصحب مع هذا معمراً ويقال له صاحب معمر.

ومنهم أبو أيوب مُطرف بن مازن الكناني[6] بالولاء وقيل: القيسي أيضاً بالولاء، وضبطه بضم الميم وفتح الطاء المهملة وخفض الراء مع التشديد ثم فاء بعدها. حدث عن ابن جريج المقدم ذكره وغيره (وروى عنه الإمام الشافعي حيث قال رأيت بعض حكام الآفاق يُحَلِّف على المصحف وقال حاجب سليمان[7] كان مطرف رجلاً

---

(١) يأتي ذكر البرمكي في الولاة ولهشام بن يوسف الأبناوي والصنعاني ترجمة في كتب رجال الحديث، وكانت وفاته في سنة سبع وتسعين ومئة كما في «تذكرة الحفّاظ» للذهبي.

(٢) ابن حزم المغربي هو أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الفقيه المحدث الظاهري، مولده بقرطبة عاصمة الأندلس سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ووفاته سنة ست وخمسين وأربعمائة، وكان علامة من أعلام الإسلام، وكان لا يترك أحداً من العلماء الذين سبقوه من النقد والمناقشة حتى قال فيه أبو العباس بن العريف: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج الثقفي شقيقين، ترجمته في «الوفيات» ج٣ - ١٣.

(٣) كذا في الأصلين وهو خطأ، بل هو إبراهيم بن خالد كما تقدم وكما في الرازي وابن سمرة.

(٤) كذا في «ب» وفي «د» هو المسبب في سقوط الفرض، انظر الرازي ص٣٠٢، ولعل العبارة لمن لم يسمعه.

(٥) كان في الأصلين نقطت مهملاً بألف أي بالظاء، والتصحيح منا بالضاد والنطع معروف.

(٦) له ترجمة في كتاب «صفة جزيرة العرب» ص٨٣.

(٧) لا نعرف عن هذا حاجب سليمان شيئاً، ولا ندري من هو سليمان ولعلّه أحد صاحبي الإمام الشافعي.

صالحاً وله غَنَى بقوله: قد كان من حكام الآفاق يستحلف على المصحف، وذلك عندي حسن)، وولايته للقضاء أول مرة من قبل رجل يقال له: ابن إسحاق، كان نائباً لعلي بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس[1] وذلك لنيف وستين ومئة ثم عزل بهشام ثم أعاده حماد[2] ثم عزله وأعاد هشاماً وتوفي المطرف بمنبج[3] وقيل بالرقة، في آخر أيام الرشيد سنة إحدى وتسعين ومئة.

ومنهم أبو قرّة موسى بن طارق الزَّبيدي[4] نسبة إلى المدينة المشهورة في اليمن، كان إماماً كاملاً لمعرفة السنن والآثار، وكتابه فيها يدلّ على ذلك، وهو يروي عن مالك، وأبي حنيفة والسفيانين ومعمر وابن جريج، ولم يكن أهل اليمن يعوّلون في معرفة الآثار إلّا عليه، وذلك قبل دخول الكتب المشهورة، وعلى سنن معمر. وحصل لي من سنن أبي قرة كتاب[5] يعجب لضبطه وتحقيقه قد قرىء على ابن أبي ميسرة بجامع بلدي: الجند، وله عدّة مصنّفات غير السنن المذكورة، منها كتاب في الفقه انتزعه من فقه مالك وأبي حنيفة ومعمر وابن جريج.

وكان يكثر التردّد بين بلده وعدن، والجند ولحج، وله بكل منها أصحاب نقلوا عنه السنن وشهروا بصحبته يأتي ذكر من تحققته.

ومن مسنداته عن النبي ﷺ أنه قال: «من سرّه أن ينجيه الله من كربات يوم القيامة فلينفس عن معسر أو ليدع» أدرك نافعاً القارىء[6] فأخذ عنه القراءة، وكان صاحبه علي بن زياد الآتي ذكره يقول: رأيت أبا قرة طول ما صحبته يصلّي الضحى[7] أربع ركعات، وقد ينسب إلى الجند، والأول أصح.

وكانت وفاته بزبيد سنة ثلاث ومئتين، وقد عرض مع ذكره ذكر جماعة من أعيان

---

(١) يأتي ذكر المذكورين في «أخبار الخلفاء والملوك».
(٢) يأتي ذكر حماد البربري في «أخبار الخلفاء والملوك».
(٣) منبج بفتح الميم وسكون النون ثم باء موحدة مكسورة وجيم: بلدة كبيرة من جزيرة ابن عمر والتي يقال لها الجزيرة الفراتية، وهي اليوم تابعة لمحافظة حلب من سوريا وكذلك الرقة.
(٤) أبو قرّة ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص٨٠، وعدّه من علماء الجند، ويأتي ذكر مدينة زبيد.
(٥) وذكر وجود سنن أبي قرة الحافظ ابن حجر، وهو متأخر عن الجندي بنحو مئة وخمسين سنة، ولا زلت أوالي البحث عنه بدون جدوى وربّنا كثير الخير.
(٦) نافع هو أبو رويم بن عبدالرحمٰن المقرىء المدني أحد القراء السبعة المشهورين. وفاته سنة تسع وستين ومئة للهجرة.
(٧) كذا في «ب» وكما يأتي في ترجمة علي بن زياد وفي «د» الصبح وهو غلط.

العلماء منهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه[1] مولى تيم الله بن ثعلبة، مولده سنة ثمانين، تفقه بحماد بن أبي سليمان الأشعري بالولاء، قال الشافعي سُئِلَ مالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية وأراد أن يجعلها ذهباً لقام بحجته. وقال الشافعي من أراد التبحّر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، ولوزم على القضاء فامتنع مراراً حتى قيل: إنه مات في الحبس بعد الضرب وهو شديد الامتناع[2] ووفاته ببغداد سنة خمسين ومئة بعد أن بلغ عمره سبعين سنة.

ومنهم أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن جثيل[3] بن عمرو بن الحارث وهو ذو أصبح الذي ينسب إليه الأصابح[4] ولولا خشية الإطالة لذكرت الآباء أكثر من ذلك، لكن قد حقق ابن أبي الصيف في مختصر مجموع أنساب الأئمة فليبحث عنه من أراده (الأصبحي)[5] مولده سنة خمس وتسعين من الهجرة، أخذ العلم عن ربيعة الرأي[6] قال مالك قلّ رجل أخذت عنه العلم مات حتى جاءني واستفتاني.

قال الشافعي: قال لي محمد بن الحسن[7] أيهم أعلم صاحبنا أم صاحبكم (يعني أبا حنيفة ومالك)[8] فقلت: اللهم صاحبكم، فقلت: (ناشدتك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أو صاحبكم؟ فقال: اللهم صاحبكم، فقلت: ناشدتك الله من أعلم

---

(١) كذا صححناه من «الوفيات» وفي الأصلين ارتباك، وقال ابن خلكان زُوطى بضم الزاي.

(٢) انظر «الوفيات» ج٥ ص٣٩.

(٣) في الوفيات ابن غيمان بغين معجمة وياء تحتها نقطتان، ويقال عثمان بعين مهملة وثاء مثلثة، بن جثيل بجيم وثاء مثلثة وياء ساكنة تحتها نقطتان. وقال ابن سعد هو خثيل بخاء معجمة.

(٤) انظر «الإكليل» ج٢ ص١٤٣ على الأصابح وقد ذكرناها فيما يأتي.

(٥) هكذا في الأصلين، وكان الأنسب تقديم الأصبحي بعد لفظ الأصابح ليتساوق الكلام. أما على ما في الأصلين، فلبعد الفاصل كانت الهوة سحيقة.

(٦) ربيعة الرأي هو أبو عثمان ربيعة بن أبي عبدالرحمٰن فرّوخ القرشي بالولاء: فقيه أهل المدينة، أدرك جماعة من الصحابة، وعنه أخذ مالك قال بكر بن عبدالله الصنعاني أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي، وكنا نستزيده عن حديث ربيعة الرأي فقال لنا ذات يوم ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذلك الطاق فأتينا ربيعة فأنبهناه وقلنا له أنت ربيعة؟ قال: نعم، قلنا أنت الذي يحدث عنك مالك؟ قال: نعم. قلنا كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك؟ قال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم؟ وكانت وفاته بالهاشمية قرب الأنبار من العراق سنة ست وثلاثين ومئة هجرية.

٧) هو محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، وفاته سنة تسع وثمانين ومئة، وفي السؤال بعض غموض: فهنا السائل للشافعي هو محمد بن الحسن بينا الجوابات تشيد بمالك أستاذ الشافعي.

(٨) ما بين القوسين ساقط من «د».

بالسنة صاحبنا أم صاحبكم فقال: اللهم صاحبكم)[1] قال: قلت: لم يبق إلا القياس وهو لا يكون إلا على هذه الأشياء، وفاته سنة تسع وسبعين ومئة. قال في علوم الحديث قبل الثمانين سنة، ذكر ذلك لتحقيق الآحاد والأعشار لئلا يشتبه بالسبع[2].

ولَمَّا كان هذا أبو قرة من أئمة الحديث في الطبقة المتقدمة منهم، أحببت إيراد من لم يكن عرض ذكره منهم، فقد مضى ذكر مسلم والترمذي في ذكر محمد بن يحيى العدني وإمام الجميع أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، مولده يوم الجمعة بين الظهر والعصر، وذلك لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومئة، وظهر منه القول بخلق القرآن وكونه (عبارة)[3] فانقلب عنه الناس وهمّوا به حتى هرب عن البلد ومات بقرية من قرى سمرقند، تعرف بخرتنك بالخاء المعجمة المضمومة[4] ثم راء ساكنة وفتح التاء المثناة من فوق وسكون النون ثم كاف، وذلك يوم السبت مستهل شوال سنة ست وخمسين ومئتين، واشتمل صحيحه على سبعة آلاف حديث وستمئة ونيف.

وأما النسائي فتوفي سنة ثلاث وثلاثمئة[5].

وأما أبو داود فهو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو بن عمران الأزدي السجستاني. مولده سنة اثنتين ومئتين أحد حفاظ الحديث، ولما جمع كتابه المشهور بسننه، وفيه أربعة آلاف حديث وثمانمئة، عرضه على الإمام أحمد فاستجاده، واستحسنه وعدّه الشيخ أبو إسحاق في أصحاب الإمام أحمد من جملة الفقهاء. وكانت وفاته بالبصرة في شوال سنة خمس وسبعين ومئتين وقيل له السجستاني نسبة[6] بكسر السين المهملة والجيم وسكون السين الثانية وفتح التاء المثناة من فوق وبعد الألف نسبة إلى سجستان: الإقليم الكبير[7] وقيل إلى سجستان أوْ

---

(١) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د».

(٢) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د».

(٣) كذا في الأصلين ولعل ثم سقطاً ولم نجد هذا الكلام في الوفيات.

(٤) كذا في «د» وفي «ب» مضمومة والذي في «الوفيات» ج٣ ص٣٣١ بفتح الخاء المعجمة. وهو الأصح وبقية الضبط كما في الأصلين وكذا في ياقوت وما هنا خطأ.

(٥) واسم الإمام النسائي أحمد بن شعيب الخراساني، مولده سنة خمس عشرة ومئتين ووفاته بالرملة، ودفن ببيت المقدس في السنة التي ذكرها المؤلف وكتابه «السنن» مطبوع عدة طبعات.

(٦) كذا في الأصلين وكان الأولى أن يقول: نسبة إلى سجستان بكسر السين الخ..

(٧) تقع سجستان (الإقليم المذكور) شمال إيران، ومن ممالكها وجنوب مدينة هراة. قال الشاعر في طلحة الخزاعي وكان من الأجواد:
=

سِجستانة[1] قرية بالبصرة، قاله ابن خلكان، وقد بينت لك في هذا المكان ذكر الغالب من أئمة الحديث.

وقد رأيت بعض المتعصبين على الشافعي يقول: لم يأخذ أحد من أئمة الحديث عن الشافعي مع كونهم أدركوه، وذلك منه سهو ظاهر، فإن البخاري كان يوم موت الشافعي في العاشرة من السنين فكيف يمكن مثل هذا الخروج عن بلده لا سيما لطلب العلم؟ ومسلم تابع له، وأبو داوود ابن سنتين[2]. ولذلك رووا جميعاً عن الإمام أحمد إذ أدركوا كثيراً من زمانه.

وحينئذ أرجع إلى ذكر علماء اليمن:

ومنهم محمد بن كثير الصنعاني[3] قال أبو داوود: حدّثنا أحمد بن إبراهيم عن محمد بن كثير، يعني هذا عن الأوزاعي، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا وطىء أحدكم الأذى بخفّه فإن التراب له طهور».

ثم صار العلم إلى طبقة أخرى في جماعة:

منهم أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد بن سمعان الدبري، نسبة إلى قرية تعرف بدبرة: بفتح الدال المهملة والباء الموحدة والراء[4] وسكون الهاء وهي على نصف مرحلة من صنعاء[5] وله كان يعني الحادي في طريقها:

لا بد من صنعا وإن طال السفر ... لطيبها والشيخ فيها من دبر[6]

أخذ عن عبدالرزاق جامع معمر، وكان موجوداً سنة اثنتين وسبعين ومئتين

= رحم الله أعْظُماً دفنوها ... بسجستان طلحة الطلحات

(١) كذا في الوفيات وياقوت.

(٢) أبو داوود المتقدم الذكر قريباً.

(٣) في الرازي ص٤٢، وص٣٠٨ أنه أبو محمد بن كثير بن عبيد بن كثير بن جرجرة وذكر له روايات وفي «تهذيب التهذيب» ج ٩ ـ ص٤١٥ محمد بن كثير بن أبي عطاء الثقفي مولاهم أبو أيوب وفاته سنة ٢١٦.

(٤) الدبري عده الحافظ الذهبي في تذكرته من الحفاظ وهو راوي كتب الحافظ عبدالرزاق بن همام الصنعاني وعنه أخذ الحافظ الطبراني، ويروى له في معاجمه الثلاثة، وكانت وفاته بدبرة سنة ٢٨٧ سبع وثمانين ومئتين، وقرية دبرة اليوم وما قبله خراب، وكانت تقع في جنوب قرية ظبر خيرة الواقعة على طريق صنعاء ـ ذمار بمسافة يسيرة، وقبره مشهور يزار، وقد زرته.

(٥) في «ب» الزيادة: سكن صنعاء.

(٦) انظر رواية هذا البيت «صفة جزيرة العرب» ص٨٣، وهذا البيت من الأبيات الجارية على الألسن المتمثّل بها.

ويقال: إنه عمّر حتى عاش طويلاً، وكان بعضهم يقول: هو الذي حكى الشافعي أنه كان يقرأ الحديث على شيخ باليمن فدخل عليه خمسة كهول، الخبر المشهور بين الفقهاء المتداول في كتبهم[1] ولم أتحقق تاريخه.

ومنهم أبو حنيفة ابن الفقيه سماك بن الفضل الشهابي مقدم الذكر وأنه صاحب الفتيا للوليد بن يزيد على لسان خاله مروان كما قدمنا. كان هذا أبو حنيفة من أعيان العلماء، روى عنه الشافعي فقال أبو حنيفة بن سماك بن الفضل الشهابي حدَّثنا ابن أبي ذيب عن المقبري عن ابن أبي شريح الكعبي أن رسول الله ﷺ قال عام الفتح: «من قُتل له قتيل فهو بخير النظرين، إن أحب فله العقل وإن أحب فله القَود»[2] قال أبو حنيفة فقلت لابن أبي ذيب أتأخذ بهذا يا أبا الحرث؟ فضرب على صدري وصاح عليّ صياحاً كثيراً ونال مني، ثم قال أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول لي (أتأخذ به)[3] نعم آخذ به وذلك الفرض عليّ[4] وعلى من سمعه إن الله تبارك وتعالى اختار محمداً من الناس فهداهم به وعلى يديه واختار لهم ما اختار له وعلى لسانه فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين[5] لا مخرج لمسلم عن ذلك[6] الرسالة الجديدة في باب قبول خبر الواحد[7].

ومنهم محمد بن عبدالأعلى الصنعاني، روى عنه الترمذي حديث عائشة وأن

---

(١) والقصة هي ما رواه الشافعي عن نفسه قال: دخلت على شيخ باليمن لأسمع منه الحديث فجاء خمسة كهول فسلموا عليه وقبلوا رأسه ثم جاء خمسة صبيان فسلموا عليه وقبلوا رأسه فقلت من هؤلاء؟ فقال: أولادي كل خمسة منهم في بطن، وفي المهد خمسة أطفال، قيل والشيخ الذي عناه هو أبو يعقوب بن سمعان بن إبراهيم بن عباد بن سمعان الدبري الحافظ المشهور «مفيد العلوم» للقزويني قال الحوالي: والدبري متأخر عن زمن الشافعي اللهم إلا إذا عمر طويلاً.

(٢) كذا في «د» والعقل بفتح العين المهملة تسليم الدية والقَوَد بالتحريك قتل القاتل وفي «ب» إن أحب فله العقل وإن أحب فله الدية، وهذا وهم، ورواية الرسالة إن أحب أخذ العقل وباقي الحديث كما في «د» وابن أبي شريح الكعبي صحابي، انظر «الرسالة» ص ٤٥٠.

(٣) ما بين القوسين من الرسالة وساقط من الأصلين.

(٤) في الأصلين وتقول لي وساقط «تأخذ به نعم آخذ به» من ذلك الفرض، والتصحيح من الرسالة والمقبري وابن أبي ذيب لهما تراجم في مظانّها.

(٥) داخرين: أذلاء صاغرين.

(٦) في الرسالة: من ذلك، وتمام الكلام قال: وما سكت حتى تمنيت أن يسكت.

(٧) «الرسالة» للإمام الشافعي قد طبعت عدة طبعات وأحسن طبعة ـ بتحقيق وإخراج العلامة أحمد بن محمد شاكر المصري رحمه الله.

النبي لم ينزل الأبطح إلّا لأنه كان أسمح لخروجه، وعدّه الترمذي بصرياً إذ كان يرتحل إلى البصرة.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله الصنعاني[1] روى عنه الترمذي ما أسنده إلى جابر أن النبي ﷺ سئل عن العمرة أهي واجبة فقال: لا وإن تعتمر فهو أفضل.

وممن ذكرهم الأندلسيون جماعة، منهم موسى بن محمد الكشي[2] قاضي زبيد، ويحيى بن عبدالله بن كليب قاضي صنعاء أيام بني يعفر، توفي بالمحرم سنة إحدى وأربعين وثلثمئة[3] وأبو القاسم عبدالأعلى بن محمد بن عباد بن الحسن البوسي من بيت بوس[4] يروي عن الدبري وهارون بن أحمد بن محمد من علقان القرية المشهورة ذات السوق من وادي السّحول بفتح العين المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون على وزن تَثْنِيَة فعل مفتوح الفاء والعين[5] خرج منها جماعة من الفضلاء يأتي إن شاء الله ذكر المتحقق منهم، وربيع بن سليمان من الجند[6].

ومن عدن قاضيها شيبان بن عبدالله، وأبو الحسن المغيرة بن عمرو بن الوليد التاجر، أخذ[7] عن أبي سعيد الجندي سنن أبي قرة.

ثم صار العلم إلى طبقة أخرى في صدر المئة الثالثة.

---

(١) لعله محمد بن عبدالله بن مهل بن المثنى الصنعاني، محدّث مات ببغداد سنة مئتين من الهجرة.

(٢) كان في الأصلين خبط، والتصحيح من طبقات ابن سمرة: الكشي بالكاف والشين المعجمة.

(٣) يحيى بن عبدالله بن إسماعيل بن كليب الحميري، محدّث اليمن وقاضيها وفقيهها، انظر «الإكليل» ج٢ ص١٥٦، «والوثائق السياسية» ص٢٥٦، وما بعدها و«صفة جزيرة العرب» ص١٥٣، وكانت وفاة يحيى بن عبدالله بن كليب بصنعاء وقبره بزقاق الغول في المحرم، كما قال الجندي.

(٤) أبو القاسم المذكور عالم محدث تولى القضاء في أيام ملك اليمن أبي حسان أسعد بن أبي يعفر، انظر «الوثائق السياسية» ص٢٥٦ وما بعدها، وبيت بوس جنوب غربي صنعاء بمسافة أربعة أميال، انظر «الإكليل» ج٢ ص٣٢١ «وصفة جزيرة العرب» ص١٥٤.

(٥) علقان كما ضبطها المؤلف، وقد عرفتها، وهي سوق في الخمسينات، وقد قام بدلاً عنها ما يسمى اليوم بالدليل. وتقع علقان غربي الدليل بنحو ميل واحد، وهي من السحول وهو بفتح السين وقد يضم. انظر «صفة جزيرة العرب» ص٢١٠ والإكليل ج٢ ص٢٦٣، ٢٦٥.

(٦) الربيع بن سليمان ذكره ابن سمرة ذكراً مطلقاً، وليس هو الربيع بن سليمان المرادي صاحب الشافعي الآتي ذكره.

(٧) شيبان بن عبدالله، كذا في الأصلين غير منقوط، فيه خبط، فيما تحت يدي وفي ابن سمرة شيبان بن عبدالله قاضي عدن، حمل عنه الفقه والحديث في نيّف وأربعين وثلثمائة وعليه أصلحناه، وأبو الحسن المغيرة بن عمرو بن الوليد التاجر كذا في الأصلين ولم أجد له ترجمة وفي ابن سمرة ص٧٤ مغيرة بن عمرو بن الوليد ولم يزد على ذلك.

منهم أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الرعرعي اللحجي، فالرعرعي نسبة إلى قرية تعرف بالرعارع[1] بفتح الراء بعد الألف ولام ثم العين المهملة ثم ألف ثم خفض الراء ثم عين مهملة أيضاً: إحدى قرى مخلاف لحج، بفتح اللام وسكون الحاء المهملة، ثم جيم خرج منها ومن مخلافها جماعة من الأعيان يأتي ذكر المتحقق منهم إن شاء الله.

كان هذا إبراهيم تِرْباً لأبي قرة[2] لكنه دونه شهرة، وكان له ابن يذكر بالعلم والورع ولكن أباه أشهر منه وكلاهما معدود في الأخيار الأبرار وكانا معظمين عند أهل مخلافهما وغيره، لم يكد يعرف لأحدهما صبوة، ولقد ذكر أن امرأة من الحسان تعرّضت لأحدهما فحدرت[3] درعها تريد فتنته فأعرض عنها وقال:

لا تَحدري درعك إني رعرعي   إن كنتِ من أجلي حَدَرْتِ فادرعي

وعن أحمد بن إبراهيم المقدم ذكره أخذ على ابن زياد الآتي ذكره.

ومنهم علي بن زياد الكناني والمعروف بصحبة أبي قرة المقدم الذكر، بحيث كان لا يعرف حتى يقال علي بن زِياد صاحب أبي قرة، مولده على رأس ستين ومئة، ومسكنه قرية من مخلاف لحج تُعرف (بالهذابي)[4] بفتح الهاء والذال المعجمة ثم ألف ثم باء موحدة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة أخذ عن أبي قرة وعن أحمد الرعرعي، وهو الذي قال رأيت أبا قرّة طول ما صحبته يصلي الضحى أربع ركعات، وكان صاحب كرامات شهيرة، ذكر أن وادي لحج انقطع في بعض السنين، وللفقيه أرض في عليّة[5] وإذا بسحابة أقبلت فصبّت على أرض الفقيه ما أرواها كعادة الوادي مختصّاً بها ثم في عقيب ذلك قدم رجل غريب يسأل عن الفقيه فأرشد إليه فجعل يبالغ في التبرّك به وسؤال الدعاء حتى أنكر عليه ذلك فسئل عن السبب فقال: إني في البلد الفلانية وإذْ بي أنظر سحابة تسير وخلفها قائلاً[6] يقول اذهبي إلى لحج من أرض اليمن فاسقي منها أرض الفقيه الزيادي، فعلم أن سبب شرب أرض الفقيه ذلك، وهي أرض

---

(١) الرعارع ذكرها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص١٣٩ وانظر عمارة ص١٨٢، و١٨٥ ففيها الحادثة المشهورة بين آل زريع وهي اليوم خراب.

(٢) الترب بكسر التاء المثناة من فوق وهو السنيف جمعه أسناف وهو المساوي لك في السنّ ويقال لِدة.

(٣) وحدرت أي أسرعت في خلع ثوبها.

(٤) الهذابي هو ما يسمى اليوم الزيادي بعد البحث.

(٥) في عليّة: أي في أعلاه.

(٦) كذا في الأصلين بالنصب وصوابه قائل.

تعـرف إلى عصرنـا بالجـرب[1] ولم تزل محـررة عن الخراج حتى كـان في أيام الملك المظفر حصل من المتصرفين[2] عناد فعمل عليها خراج ففرّ بعض ذرية هـذا الفقيه إلى الإمـام ابن عجيل الآتي ذكـره، فأخبـره بما جـرى فكتب إلى المظفـر يفيده عن ذلـك ويخبره أن هذه الأرض لم تزل محررةً لـرجل كبيـر القدر من أكـابر العلمـاء والصلحاء وكان مقبول القـول عند غـالب المسلمين، فأمـر المظفـر أن تكتب لهم مسامحـة فهي بأيدي ذريته إلى عصرنـا، ما جـاء ملك ووقف عليها إلا أجـازها، وذلـك ببركـة إشارة الإمام ابن عجيل، وكانت إشارتـه لمعرفتـه بفضل هـذا الرجـل ولا يعرف الفضـل إلا أهله.

ولقد كان بعض الفقهاء من أهل لحج ممن قرأ على الإمام ابن عجيل، نفـع الله به، يسكن بناء أبَّه العلياء، وكان مشهوداً له بالفقـه والصلاح يعـرف (يسير)[3] وسيـأتي ذكره إن شاء الله تعالى في المتأخرين إذا حصل عليه كرب آلَمه يقول لأصحابه اذهبـوا بنا نحرث أرض الفقيه الزيادي فيخرج معه من يوافقـه، وهي مُنْتَزِحـة[4] عن قريتـه في صعيد البلد تعرف بالجرب، بخفض الجيم بعـد الألف ولام ثم راء ساكنـة بعد الجيم ثم باء موحدة، وكانت وفاة علي بن زياد بقريته المـذكورة سنـة خمس وثلاثين وقيـل: أربعين ومئتين بعد أن جاوز ثمانين سنة.

ومنهم علي بن محمد بن أحمد يرجع إلى ذي تبَّع ثم إلى ذي همدان أحد أذواء حمير، والتباعيون[5] كذلك، وقد يغلط بهم من يغلط وينسبهم (إلى ذي همـدان وليس بشيء)[6] وإنما كان جدهم ملكاً على همـدان فقيل لـه: ذو همدان لصـاحب ملكهم، وكان هذا علي ممن أدرك الإمام مالك بن أنس وأخذ عنه وعنه انتشر مذهبـه في اليمن على ما قيل، ومن ذريته فقهاء وصاب الذين يعرفون بـالتباعيين منهم جمـاعة (بـوادي قِيْعـةَ من أعمال السّـانة)[7] ثم ببـلاد ظُفْران منهم جمـاعة عـدوا في أصحـاب الشيـخ

(١) غير مضبوطة الحروف ثم ضبطها المؤلف فيما يأتي قريباً.
(٢) في «ب» وفي «د» المشرفين.
(٣) غير معروف الضبط.
(٤) مَنْتزحة أي بعيدة.
(٥) انظر التباعيين «الإكليل» ج٢ ص٢٣٤ والعاشر ص٢٩، والتباعيون الحميريون لهم بقية في عزلة الشرف من مخلاف السحول وفي وصاب ولهم مآثر صالحات ذكرناها في غير هذا ويأتي مزيد تحقيق.
(٦) ما بين القوسين من «ب» وفي «د» تبع بتقديم التاء المثناة من فوق على الموحدة وفي «ب» تباع وإلى ذي همدان في «ب» وفي «د» ثم ذي همدان.
(٧) وصـاب: بضم الواو وكسـرها ويقـال فيه أصاب، بالهمـزة، مخلاف واسـع جداً نسب إلى وصـاب بن

يحيى[1] ومنهم مؤلف شرح اللمع المعروف بموسى الوصابي.

ومنهم أبو حُمة[2] محمد بن يوسف الزَّبيدي، شهر بصحبة أبي قرّة، في زبيد المدينةالمذكورة باليمن وعنه أخذ الحافظ أبو سعيد الجندي الآتي ذكره سنن شيخه أبي قرة، وقد ذكره الحافظ عبدالغني وذكر شيخه ونسبتهما تارة إلى زبيد وتارة إلى الجند ومن الجند جماعة منهم صامت بن معاذ وعمر بن مسلم.

ومنهم أبو سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم بن المفضل بن سعيد بن الفقيه عامر بن شراحيل الشعبي رأس تابعي الكوفة، وكان هذا أبو سعيد معدوداً في الحفاظ والثقات، وذكره ابن أبي الصيف أيضاً في باب من باليمن من الأئمة الثقات المشهورين من التابعين وأبنائهم ممن يجمع حديثهم للحفظ والمذاكرة والتبرك بهم وبذكرهم شرقاً وغرباً، ممن ذكرهم الحاكم النيسابوري في كتاب «معرفة علوم الحديث»[3] عدّ جماعة منهم حجر بن قيس المدري، والضحاك بن فيروز الديلمي، ثم قال، ومن غير هذا الكتاب المفضل الجندي صاحب فضائل مكة وأبو حُمة محمد بن يوسف (من سفرحه)[4].

وللفضل مصنفات في الآثار منها «فضائل مكة»، وروايته عن محمد بن يحيى العدني، وعن إبراهيم بن محمد بن العباس ابن عم الإمام الشافعي، وروى عنه محمد بن الحسين الآجري[5] عدة أحاديث ضمنها مصنفاته، وهو راوي الخبر عن النبي ﷺ في كون مسجد الجند رابعاً[6] وطريقه في ذلك. قال حدثنا صامت بن معاذ

= سهل بن زيد الجمهور، انظر «الإكليل» ج٢ ص١٠٥ وتاريخ وصاب للعلامة عبدالرحمن بن محمد الحبشي الوصابي الذي طبع على علاته بدون تحقيق واسمه «كتاب الاعتبار، في التواريخ والأخبار». ووادي قِبْعة هنالك والسّانة بفتح السين المهملة والنون المشددة آخره هاء: حصن هو اليوم خراب وبلدة من مخلاف نقذ من وصاب ونسب إلى السانة محمد بن عبدالله السانة، له مؤلف على غرار مؤلف المقري المسمى «عنوان الشرف الوافي»، وزاد فيه علمين أو ثلاثة علوم، وظفران يأتي ذكره.

(١) الشيخ يحيى هو ابن أبي الخير العمراني، يأتي ذكره.

(٢) أبو حُمة بضم الحاء وتخفيف الميم الزبيدي مشهور، كذا ضبطه ابن حجر في «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» ج١ ص٤٦٢، وذكره ياقوت الحموي في ذكره لمدينة زبيد.

(٣) هذا الكتاب مطبوع.

(٤) كان في الأصلين وابن حمه والتصحيح ما سبق وقوله (من سفرحه) لم تظهر الكلمة ولم تكن من الحكمة في علوم الحديث للحاكم.

(٥) تأتي ترجمة الآجري.

(٦) كذا في الأصلين: أي رابع المساجد المرحول إليها، ففي العبارة تقصير.

الجندي عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص عن أبيه عن جده (عبدالله بن عمرو)[1] أن النبي ﷺ قال: «تشد الرحال إلى أربعة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى ومسجد الجند» قال الحافظ عبدالملك بن أبي ميسرة[2] ليس في رواته كذاب ولا متروك وبعض الفقهاء يقول لا ينبغي رد الخبر لوجوه منها أنه من خبر الواحد، ومذهبنا القول به، قال الأصحاب: لا يرد يعنون خبر الواحد لانفراده بما أرسله غيره أو رفع ما وقفه غيره أو لإيراد زيادة لم ينقلها غيره[3] ومن رده لذلك فقد أخطأ، وقد صرح بذلك الشيخ أبو إسحاق بذلك في لمعهِ[4] ثم إن الغزالي قال: لا يجوز منع مريد الارتحال إلى غير المساجد الثلاثة على الأصح. ولولا خشية الإطالة لذكرت بعض فضائل المسجد التي شاهدتها أو شاهدها الثقات، ولم أقف لأبي سعيد على تاريخ بداية ولا نهاية، بل غالب ظني وجوده كان في صدر المئة الثالثة[5] وممن قدم اليمن بهذا التاريخ، وعد من أهلها وأعقب فيها عقباً مباركاً أبو عبدالله محمد بن هارون التغلبي، قدم لقضاء اليمن صحبة ابن زياد حين قدم من قبل المأمون، ولم تزل ذريته يتوارثون القضاء حتى أزالهم ابن مهدي، أثنى عليهم عمارة[6] وقال: لم يزل فيهم فقيه مبرز وخطيب مصقع وشاعر مفلق وسيأتي إن شاء الله ذكر المتحقق استحقاقه للذكر.

وفي المئة الثالثة ظهر مذهب الإمام الشافعي في اليمن، وغالب من سيأتي ذكره إنما هم أهل مذهبه.

---

(١) ما بين القوسين من «د» وهي زيادة تكرير لا معنى لها، وعمرو بن شعيب محدث روى عن أبيه وعن جده: عمرو بن العاص، توفي سنة ثماني عشرة ومئة هجرية وقد تقول في عمرو بن شعيب.

(٢) يأتي ذكره.

(٣) يريد بهذا الكلام أن خبر الواحد مقبول بخلاف ما أرسله غيره كما أن الحديث المرفوع مقبول بخلاف الخبر الموقوف على الراوي وأن الزيادة من العدل مقبولة، انظر «مصطلح الحديث».

(٤) لمعه، إشارة إلى كتاب «اللمع» المذكور.

(٥) ترجم له الفاسي في تاريخ مكة ج٧ ص٢٦٦ وأثنى عليه إلى أن قال: وقال الذهبي توفي سنة ثمان وثلثمائة ويأتي للجندي مزيد كلام، وقد سبق ذكر المفضل أيضاً.

(٦) كل المؤرخين الذين جاؤوا بعد عمارة قفوا أثره في أخبار بني زياد وبني أبي عقامة الذين منهم أبو عبدالله محمد بن هارون التغلبي، ولم يلتفتوا إلى التواريخ المتقدمة على عمارة رغم أن بعضهم مثل الجندي وقف عليها كتاريخ ابن جرير الصنعاني الذي تحدث عنه سابقاً، وكل ما ذكره عمارة في مفيده لا يمت إلى الحقيقة بصلة، وأن أخباره فيهم أغرب من نسج الخيال كما نبّه على ذلك في أخبار بني زياد فيما يأتي، كما أنّا ألمعنا في مقدمتنا على تاريخ عمارة وتعليقنا عليه بما يرشد القارىء إلى الحقيقة وكما بسطنا القول في كتابنا «اليمن حامل لواء الإسلام».

ولمّا كان كذلك رأيت أن الأولى البداية بذكره: وهو أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبدمناف، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبدمناف، وذكر أن شافعاً لقي النبي ﷺ وهو غلام مترعرع والسائب كان حامل راية بني هاشم يوم بدر وأسر يومئذ ثم فدى نفسه ثم أسلم، فقيل له هلاّ أسلمت قبل الفداء لتسلم منه فقال: ما كنت لأحرم المسلمين رزقاً ساقه الله إليهم[١] وأما نسبه من قبل أمه فإنها فاطمة بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٢] ولم يدرك الشافعي أباه، إنما تولى كفالته جده أبو أمه وهو الذي حضّه على طلب العلم فارتحل به البلاد لذلك، مع أنه معدود في أهل اليمن لوجوه منها ما أجمع الفقهاء عليه من عدّهِ في المكيين ومكة يمنية بلا خلاف ثم ذكر أنه ولد باليمن كما سيأتي.

قال البيهقي: وإن شُهر ميلاده بغزة[٣] فهي يمنية لنزول بطون اليمن فيها حين افتتحها المسلمون، وقال في معرفة السنن والآثار: الشافعي أولى الناس لقوله ﷺ الفقه يمان والحكمة يمانية.

ومولده غزة وإن كانت من الأرض المقدسة فعدادها في اليمن لنزول بطون أهل اليمن بها، ومنشأه بمكة والمدينة، وهما يمنيتان.

قال ابن خلكان: يقال إن أم الشافعي لما حملت به رأت كأن المشتري خرج من فرجها وارتفع ثم وقع بمصر ثم تشظت فوقع في كل بلدة شظية[٤] فأوّل المعبرون ذلك بأنه يخرج منها ولد عالم يختص علمه[٥] بمصر أوّلاً ثم يتفرق في البلدان، مولده سنة خمسين ومئة فلبث مع أمه حيث ولد على الخلاف في أي موضع هو[٦] ثم أقدمته (مكة لئلا يضيع نسبه)[٧] واختلف في موضع ميلاده فقيل: غزة وهو الأصح، وبه قطع

---

(١) انظر «الوفيات» ج٣ ص٣٠٥ وفي بعض الكلمات اختلاف، وتاريخ الفاسي.

(٢) عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: هو الذي قبض عليه المنصور الداونيقي بسبب ولديه عبدالله وإبراهيم، اللذين قتلا في المعارك التي دارت بينهما وبين المنصور وظل سجيناً إلى أن مات.

(٣) غزة: مدينة من أرض فلسطين السليبة وما أكثر الإذاعات عنها اليوم بدون جدوى.

(٤) عبارة ابن خلكان: رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه شظيّة فتأوّل أصحاب الرؤيا ألخ . . .

(٥) في الوفيات أهل مصر ثم تتفرق في سائر البلدان.

(٦) كذا في «د» وفي «ب» كما هو، وكل هذا تكرير لا طائل تحته.

(٧) ما بين القوسين من «ب».

ابن الصباغ في شامله[1] ونقل إلى عسقلان[2] وهو صغير، لذلك توهم بعض من عني بجمع أخباره أنه ولد بعسقلان، وقيل ولد باليمن وذلك أن لغته كانت تناسب لغة اليمن لأنه ولد بغزة وأهل اليمن إذ ذاك نزول بها، ولما بلغ عمره سنتين وصلت به أمه مكة فقرأ بها القرآن وحفظه لسبع سنين من عمره وحفظ الموطأ[3] لعشر.

أخذ القرآن عن أصحاب عبدالله بن كثير المقدم الذكر، هكذا ذكره في «صفة الصفوة» وذكر فيها أيضاً عن الإمام أحمد أنه جاء في الخبر عن النبي ﷺ أن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يصحح في هذه الأمة دينها فكان في المئة الأولى عمر بن عبدالعزيز وتلاه في الثانية الشافعي.

وكان تفقهه في مكة بجماعة هم سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي ثم ارتحل إلى مالك بيثرب[4] فأخذ عنه الموطأ حفظاً محققاً، وكان يقول أقمت مع مالك ثمانية أشهر ما يعلم أجانب الناس أيّنا الضيف لشدة ما كان يظهر من الأنس.

وعبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي[5] ثم دخل اليمن لأول مرة مع جده عبدالله بن الحسن لا غرض له غير طلب العلم، أخذ عن هشام بن يوسف الأبناوي وأبي حنيفة بن الفقيه سماك مقدم الذكر ومطرف بن مازن، والدبري على إحدى الروايتين.

ثم ارتحل إلى العراق فأخذ عن محمد بن الحسن واستعار منه كتب أبي حنيفة وهو إذ ذاك يسكن الكوفة، ثم دخل بغداد فولى الرشيد قضاء اليمن لمصعب بن عبدالله[6] فكان الشافعي بصحبته فسأله أن يخرج إلى اليمن لما يتحقق من فقره وانقطاعه فخرج معه فلما صار باليمن اسْتَنَابَه على قضاء نجران فحكم أحكاماً محررة وصار له ذكر باليمن، حسده مطرف بن مازن المذكور أولاً فكتب إلى الرشيد إن أردت

---

(١) ابن الصباغ: هو عبد السيد بن محمد بن عبدالواحد المعروف بابن الصبّاغ الفقيه الشافعي، ترجمته في «الوفيات» ج٢ ص٣٨٥، وكانت ولادته سنة أربعمائة ووفاته سنة سبع وسبعين وأربعمائة وربما تأتي ترجمته للمؤلف.

(٢) عسقلان من مدن فلسطين.

(٣) هو موطأ الإمام مالك بن أنس الأصبحي المتقدم ذكره.

(٤) يثرب: المدينة المنورة.

(٥) هو أبو محمد البصري مات سنة أربع وتسعين ومئة «تهذيب التهذيب» ج٦ ص٤٤٩، وكذا في ابن سمرة ص١٤١.

(٦) مصعب بن عبدالله بن ثابت بن الزبير يأتي ذكره في الولاة، وانظر «قرة العيون» ج٢ ص١٢٩.

اليمن يثبت[1] لك فأخرج عنه محمد بن إدريس فكتب الرشيد إلى نائبه حماد البربري أن يصدره إليه فصدره وبعث به فلما (قدم بلغه أنه قد غلط عليه في الأمر إلى الرشيد)[2]، وقيل له هذا من أصحاب عبدالله بن الحسن لا يرى الخلافة إلا في الطالبيين وهو القائل:

يا راكباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بقاصد خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كما ٱلْتَطم الفرات الفائض
وإذا جرت بطحاؤها بهضابها ... جاءت[3] بأخرى مثلها كالعارض
قم ثم ناد يا بني لمحمد ... ووصيه وابنيه لست بباغض
إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

قال الشافعي ووافق قُدُومي إلى الرشيد استيلاء محمد بن الحسن وأبي يوسف[4] عليه فلما ذكرت عنده بحضرتهما ربما لامني لمعرفتهما المتقدمة وذلك حسداً على ما تحققاه مني، فلما أدخلت على الرشيد وأنا مثقل بالحديد وهما عنده كلّمني فقلت لا يتأتّى لي الكلام مع شغل باطني بثقل الحديد، فأمر بفكّه ثم كان لي معه ومعهما أقوال كثيرة واجتهادي على النجاة واجتهدا على إسقاطي وتحقيري في عين الرشيد عن معرفة شيء من العلم[5] وسألني محمد بن الحسن عن عدة مسائل ووفقني الله في جوابها وسألته عن عشر مسائل أجاب بخمس وانقطع عن الباقي فأمر الرشيد بجرّ رجله فذكرت ما كان بيني وبينه من الأنس في الكوفة فقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت سجيناً أفقه منه ثم جعلت أُثني عليه، فعلم الرشيد مرادي، فأمر بتخليته، وخلع علينا جميعاً، وحمل كلًّا منا على مركوب، وخصّني بخمسين ألف درهم. وقال نَقَلَةُ سيرته: فلم يصل منزله بشيء منها، إذ فرّقها في طريقه، فلما بلغ الرشيد عَظُمَ عنده،

---

(١) عبارة ابن سمرة ص١٣٩، إن أردت اليمن أن لا يفسد عليك ولا يخرج من يدك.

(٢) عبارة ما بين القوسين فيها نظر ولم نجد فيما بين أيدينا ما نصحّح عليه إذ لم يذكره ابن سمرة بهذا اللفظ.

(٣) كان في الأصلين: جازت، والتصحيح من لدينا، وهذا البيت والذي بعده غير موجودين في ديوانه المطبوع باسم المرغني.

(٤) تقدمت ترجمة محمد بن الحسن الشيباني، وأما أبو يوسف فهو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري له في «الوفيات» ج٥ ص٤٢١ ترجمة ضافية وكان يلقب صاحب أبي حنيفة وهو أول من دعي بقاضي القضاة وكانت وفاته يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين ومئة ببغداد وهو على القضاء رحمه الله وقيل سنة اثنتين وتسعين ومئة.

(٥) كذا في الأصلين والعبارة فيها قلق.

وأمر له بالإعاضة عنها ثم أقام ببغداد مدة فقيّد بها كتبه القديمة، وكان كثير الذكر للسفر فعوتب في ذلك فقال لمعاتِبه:

تغرَّب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرُّج همٍّ واكتساب معيشة وعلمٌ وآداب وصحبة ماجد
فإن قيل في الأسفارِ قِلٌ وغربةٌ وقطع فيافٍ وارتكاب شدائد
فموت الفتى خيرٌ له من مقامِه بدار هوانٍ بين واشٍ وحاسد

وعوتب على كثرة التنقُّل في البلدان فقال شعراً[1]:

رزقي تشتّت في البلاد وإنني أسعى لجمع شتاته وأطوفُ
فكأنني قلم بأنمل كاتب وكأنَّ رزقي في البلاد حروف

(ثم عزم على الترحُّل إلى مصر فقال في ذلك)[2]:

أرى نفسي تتوق إلى مصر ومن دونها أرض المهامه والقفر
فلا أدري أَلِلْفوز والغنى أُساق إليها أم أساق إلى القبر[3]

وكان يقال: الشافعي شاعر غلب عليه الفقه، قلت: بل شرفت نفسه عليه وإلى ذلك أشار بشيء من شعره يقول:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد[4]

ثم سافر فدخل مصر سنة تسع وتسعين ومئة فأدرك بها الست نفيسة والناس إذ ذاك يحضرون منها مجلساً ويروون عنها الحديث من وراء ستر فحضر الشافعي مجلسها وأخذ عنها، فهي معدودة في شيوخه وسيأتي ذكرها فيهم إن شاء الله.

قال ابن خلكان: قد اتفق العلماء قاطبة من أهل الفقه والأصول والنحو واللغة وغير ذلك على ثقة الشافعي وأمانته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عرضه وعفّة نسبه وصحّة حسبه وحسن سيرته وعلوّ قدره، أخذ عنه الأصمعي مع جلالة قدره شعر

---

(١) شعراً في «د» وساقط من «ب».
(٢) ما بين القوسين من «د» وساقط من «ب» وبدلها شعر.
(٣) رواية الديوان وهي أمثل ولأنّ في البيت الأول زحافاً.
لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر ومن دونها أرض المهامه والقفر
فوالله لا أدري الفوز والغنى أساق إليها أم أساق إلى القبر
(٤) لبيد هو ابن ربيعة الشاعر المشهور أحد شعراء المعلقات السبع أدرك الإسلام فأسلم وعمره مئة وخمسون سنة كما قيل، وديوان شعره مطبوع وترجمته مثبتة في كتب الأدب.

الهذليين[1] وقال له شيخه مسلم بن خالد أول اختلاطه وقراءته عليه: من أين أنت يا فتى؟ قال من أهل مكة قال: أين منزلك بها؟ قال: شعب الخيف. قال: من أي قبيلة أنت؟ قال من ولد عبد مناف، قال بخ بخ[2] لقد شرّفك الله في الدنيا والآخرة.

وقال: لما قدمت إلى مالك وحفظت الموطأ قال: إن يكن أحد يفلح فهذا الغلام. وقال الحميدي سمعت مسلم بن خالد الزنجي[3] يقول للشافعي: وأنت يا أبا عبدالله، فقد آن لك والله أن تفتي، والشافعي إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي. وقال: ما حمل أحدٌ محبرة إلا وكان للشافعي عليه فضل ومنّة.

قال ابن خلّكان وغيره: كان الشافعي أوّل من تكلّم في أصول الفقه، وهو الذي استنبطه.

وقال الزعفراني[4] كان أهل الحديث نياماً حتى جاء الشافعي أيقظهم فتيقّظوا. وقال الإمام أحمد ما رأيت أحداً أتبع للسنّة من الشافعي، ولقد قال له بعض حاضري مجلسه يوماً، وقد روى عن النبي ﷺ أتأخذ به يا أبا عبدالله فغضب وقال: أتقول لي آخذ به، وذلك الفرض عليّ وعلى كل مسلم، أترى في وسطي زناراً أترى فيّ مشركاً؟ ثم قال: ما أتى عن الله ورسوله قبلناه وما أتت به الصقاعبة[5] ضربنا به أقفيتهم[6] ولقد قال له إبراهيم الحجبي[7] يوماً، وكان من أعيان دولة الرشيد، ما رأيت مطلبياً يقدم أبا بكر وعمر على عليّ غيرك، فقال له الشافعي: يا هذا إن علياً ابن عمي وأبو جدّ خالي، وأنا من عبد مناف، وأنت من عبدالدار، ولو كان هذا المعتقد صواباً أو مكرمة لسبقتك إليه.

قال ابن خلكان: وللشافعي مناقب كثيرة وضع العلماء منها مجلدات، واشتهر

---

(١) شعر الهذليين مطبوع في ثلاث مجلدات ضخمة مع الفهارس.

(٢) بخ بخ الأولى منونة والثانية ساكنة أي أعظم الأمر وفخّمه.

(٣) الحميدي صاحب الشافعي واسمه عبدالله بن الزبير بن عيسى القرشي المكي، روى عنه البخاري وأهل السنن وغيرهم وكان ثقة إماماً ووفاته بمكة سنة ٢١٩هـ تسع عشرة ومئتين (انظر تاريخ مكة للفاسي).

(٤) الزعفراني هو أبو علي الحسن بن أحمد بن الصباح الزعفراني صاحب الشافعي، ترجمته في «الوفيات» ج١ ص٣٥٦ ووفاته سنة مئتين وستين من الهجرة.

(٥) لم تظهر هذه الكلمة وهل هي بالصاد المهملة أو بالضاد المعجمة.

(٦) أقفيتهم جمع قفا معروف وهو ظاهر العنق.

(٧) لم أقف له على ترجمة.

من المصنّفات في مناقبه وأحواله نحو ثلاثة عشر مصنّفاً من ذلك لداود الظاهري[١] مصنف هو مجلدان قلت: ورأيت للفخر الرازي[٢] مجلداً ضمنه ذلك أيضاً وللزمخشري جار الله مصنف اختص بشرح ألفاظ صدرت عنه سماه «شافي العِيّ من كلام الشافعي».

وذكر الشيخ أبو إسحاق: أن رجلاً وقف على مجلس أبي ثور وقال له أصلحك الله سمعت[٣] يقول قولاً عظيماً قال أبو ثور ما هو قال: إن الشافعي أفقه من الثوري فقال أبو ثور: أنت سمعته يقول ذلك؟ قال: نعم ثم ولّى الرجل فقال أبو ثور هذا استنكر أن يقول الشافعي أفقه من الثوري وهو عندي أفقه من الثوري والنخعي، ولم يكن محمد بن الحسن يعظم أحداً من أهل العلم تعظيمه للشافعي، وقد جاءه يوماً فوافاه قد ركب فحين رآه محمد نزل واستقبله وأخذ بيده ودخلا المنزل ولم يفترقا غالب يومهما ولم يكد يأذن لأحد في الدخول عليهما وقال أحد أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رأيت أحمد في الحرم عند الشافعي فقلت له يا أبا عبدالله هذا سفيان بن عُيينة في ناحية المسجد يحدث فقال إن هذا يفوت وذاك لا يفوت قال وقلت له مرة يا أبا عبدالله تترك حديث سفيان وعلوّه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى؟ وقد سمع منه فقال لو عرفت لقعدت من الجانب الآخر إن علم سفيان إن فاتني بعلوّ أدركته بنزول، وإن عقل هذا الشاب[٤] إن فاتني لم أدركه لعلوّ ولا نزول، وقال الكرابيسي[٥] ما كنا ندري ما الكتاب ولا السنة، والأولون كذلك حتى سمع من الشافعي الكتاب والسنة والإجماع فجزاه الله عن المسلمين خيراً، وقال يونس كان الشافعي يضع كتاباً من غدوة إلى الظهر من حفظه من غير أن يكون بيده أصل، وقال الربيع[٦] كان الشافعي إذا حدث كأنما يقرأ سورة من القرآن.

---

(١) داود: هو ابن علي بن خلف الأصبهاني الإمام الفقيه، وكان صاحب مذهب مستقل وتبعه جمع كثير يعرفون بالظاهرية ووفاته سنة سبعين ومئتين، الوفيات ج٢ ص٢٦.

(٢) الفخر الرازي، هو أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسين المعروف بابن الخطيب (المشهور بالرازي، ولادته سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ووفاته سنة ثمان وستمائة: الوفيات ج٣ ـ ٣٨١ والزمخشري سبقت ترجمته.

(٣) كذا في «د» وفي «ب» فلاناً وهو أثبت.

(٤) في «د» وفي «ب» الشاب.

(٥) الكرابيسي هو أبو علي الحسن بن علي بن زيد الكرابيسي البغدادي صاحب الإمام الشافعي ترجمته في «الوفيات» ج١ ـ ٣٩٩ ووفاته سنة خمس ـ وقيل ثمان ـ وأربعين ومئتين والكرابيسي نسبة إلى الكرابيس: وهي الثياب الغليظة.

(٦) تأتي ترجمة الربيع للمؤلف.

وكان أول من تكلم في الأصول وفتح على الناس بابه، وكان يكره الخوض في علم الكلام ويقول: رأيي في أصحاب الكلام أن يُضربوا بالحديد ويُطاف بهم على الجمال في العشائر والبلدان ويُصاح عليهم هذا جزاء من ترك كتاب الله وسنة نبيّه. وعدل إلى آراء الرجال وقال لابنه أبي عثمان يوماً: يا بني والله لو علمت أن الماء البارد يثلم من ديني شيئاً لما شربت إلا الحارّ، وقال للربيع: عليك بالزهد فإن الزهد على الزهد[1] أحسن من الحلي على الناهد. وقال حرملة[2] سمعت الشافعي يقول: رأيت أبا حنيفة في المنام يقول مالي ولك يا شافعي مالي ولك يا شافعي؟ وكان مع كماله في علم الكتاب، والسنة والإجماع، والقياس، والفقه إماماً في علم الأدب وناهيك بأخذ الأصمعي عنه شاهداً، وله شعر رائق غالبه حكمة، من ذلك ما أنشدنيه الصدر الرئيس محي الدين يحيى بن عبداللطيف الرّبعي التكريتي بثغر عدن سنة ثماني عشرة وسبعمئة وقد مُحنت بحسبة الثغر في هذه السنة لعول وعدم طول، وما كان كذلك أحسن الله العاقبة وله الحمد على ذلك، قال من الشعر المنسوب إلى الإمام الشافعي:

قيمة المرء فضلُه عند ذي الفضل ... وما في يديه عند الرعاع
فإذا ما حويت مالاً وعلماً ... كنت عين الزمان بالإجماع
وإذا منهما غدوت خليّاً ... رحت في الناس من أخسّ المتاع

ومن ذلك ما أنشدنيه في المعتقد له أيضاً يناسب الأبيات المتقدمة:

أنا شيعيّ لآل المصطفى ... غير أني لا أرى سبّ السلف
مذهبي الإجماع في الدين ومن ... حفظ الإجماع لا يخشى التلف

وأخبرني والدي يوسف بن يعقوب رحمه الله قال: قدم علينا بعض الفقهاء المعتبرين وذكره لي غير أن النسيان طرأ. قال: رأى الشافعي من بعض أهل زمانه احتقاراً له على رثة ملبسه فأنشده:

عليّ ثياب دون قيمتها الفلس ... وفيهن نفس دون قيمتها الأنس

---

(١) في «ب» على الزاهد ولعله أصوب من أجل السجعة في قوله على الناهد.

(٢) حرملة هو ابن يحيى بن عبدالله أبو عبدالله التجيبي الزميلي صاحب الإمام الشافعي، كان أكثر أصحابه اختلافاً إليه، وكان حافظاً للحديث وصنّف المبسوط والمختصر وروى عنه مسلم بن الحجاج فأكثر في صحيحه من ذكره، ومولده سنة ست وستين ومئة وتوفي ليلة الخميس لتسع بقين من شوال سنة ثلاث وأربعين ومئتين بمصر، والزُميلي نسبة إلى زميل: بطن من تجيب التجيبي نسبة إلى تُجيب بطن من كندة.

فثوبك شمس تحت أذياله الدُّجى | وثوبيَ ليلٌ تحت أذيالـه الشمس

ومن ذلك ما أنشدنيه شيخي أبو الحسن علي بن أحمد الأصبحي الآتي ذكره قال: ثبت عنه بطريق صحيح بيتان في المنع عن أكل التراب هما:

لا تأكل الطين معتقداً مذهبي | فقد صدّ عنه حديث النبي
من الطين ربي برا آدماً | وآكِله آكِلٌ للأب

ومنه أيضاً ما قاله يخاطب والدته حين عزم على الارتحال في طلب العلم:

أقول لها والعيس تحدج للنوى | أعدّي لفقدي ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبيبة آنفاً | على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخُسْران أن لياليا | تمر بلا نفع وتُحسب من عمري

ومنه ما وجدته بخط الفقيه سليمان الجندي[1] الآتي ذكره أنه قال: قال الشافعي:

إذا المرء أولاكَ الهوان فأَوْلِهِ | هواناً وإن كانت قريباً أواصرُه
وإن كنت لم تقدر على أن تُهينه | فدعه إلى اليوم الذي أنت قادره[2]

ومن الشعر المنسوب إليه في النفس:

كِدْكِد النفس إن أحببت أن تصبح حرا
واقطع الآمال عن جود بني آدم طرا
لا تقل ذا مكسب يزري ففضل الناس أزرى
أنت ما استغنيتِ عن غيرك أعلى الناس قَدرا

ومن شعره في الزهد:

أأنعم عيشاً بعدما حلّ عارضي | طوالع شيب ليس يغني خضابُها
إذا اسودّ لون المرء وابيضّ شعرُه | تنغّص من أيامه مستطابُها
وغرّةُ عُمْرِ المرء قبل مشيبه | وقد فنيت نفسٌ تولّى شبابُها
فدع فضلات للأمور فإنّها | حرامٌ على نفس التقيّ ارتكابُها
ولا تمشِيَنّ في منكب الأرض فاخراً | فعما قليل يحتويك ترابُها
وآتِ زكاة الجَاه واعلم بأنها | كمثل زكاة المال تمّ نصابُها

---

(١) في «د» الجندي كما في الأصل وفي «ب» الجدني.

(٢) في ذهني أن هذين البيتين لغير الشافعي.

وأحسن إلى الأحـرار تملك رقـابهم — فخيـر تجارات الكـرام اكتسـابُهـا
ومن يـذق الـدنيـا فـإني طعمتُهـا — وسيق إلـينـا عـذبُهـا وعـذابهـا
ولـم أرهـا إلا غـروراً وبـاطـلاً — كمـا لاح في ظهـر الفـلاة سـرابُهـا
ومـا هـي إلّا جيفـة مسـتـحيـلة — عليهـا كـلاب همّهن اجتـذابُـهـا
فـإن تجتنبهـا كنت سِلْمـاً لأهلهـا — وإن تجتـذبهـا نـازعتك كـلابُهـا
فـطوبى لنفسى أوطنت قعـر دارهـا — مغلّقـة الأبـواب مُـرخى حجـابُهـا

وللزمخشري كتاب ذكر فيه أنه قيل للشـافعي في صبيحة كيف أصبحت؟ قـال: مـا حال من أصبح يطلبـه ثمانيـة: الرّب بكتـابه، والنبي بسنّتـه وأهل بيتـه بالقـوت، والنفس بالشهوات والشيطان بالمعـاصي، وملك الموت بقبض الـروح، والحفظة بمـا ينطق والدهر بصروفه؟

وذكر صاحب الأربعين الطائية بإسناده إلى المـزني[1] قال دخلت على الشـافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ قال: أصبحت من الدنيـا راحلاً، ولإخواني مفارقاً ولسوء أفعالي ملاقياً ولكأس المنية شـارباً وعلى الله عـز وجل وارداً، فوالله ما أدري أروحي إلى الجنة تصير فـأهَنيها أم إلى النـار فأعـزّيها، ثم بكى وأنشد شعراً:

ولمـا قسا قلبي وضـاقت مذاهبي — جعلت رجـائي نحو عفـوك سلّما
تعـاظمني ذنبي فـلمـا قـرنتـه — بعفـوك ربّي كان عفـوك أعـظمـا
فما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل — تجـود بعفــو مِنّـةً، وتكـرّمـا
فلولاك لم يُغْـوَ بـإبليس عـالم — فكيف وقـد أغَـوى صفيّكَ آدمـا

وكانت وفاتـه بمصر ليلة الجمعـة بعد أن صلى العشـاء آخر ليلة من رجب سنـة أربـع ومئتين ودفن يوم الجمعـة بعد العصـر بعد أن دخلت جنـازته على الست نفيسـة فصلت عليه بنفسها، وإنما أُخّر دفنـه لأنه أوصى أن لا يـدفن حتى تبرأ ذمتـه من الدين الذي عليه ففعل ذلك به ولم يدخل قبره وعليه درهم يعلم.

وحكي في «صفة الصفوة» عن الربيع بن سليمان أنه قال: كنا جلوسـاً في حلقة الشـافعي قريب دفنـه[2] فوقف بنـا أعـرابي وسلم ثم قـال: أين قمر هـذه الحلقـة بـل

(١) لا أعرف مؤلف الأربعين الطائية، والمزني تأتي ترجمته.

(٢) عبارة صفة الصفوة ج٢ ص٢٥٩ قال: كنا جلوساً في حلقة الشافعي بعد موته بيسير.

شمسها؟ قلنا توفي فبكى بكاء شديداً وقال: رحمه الله وغفر له فلقد كان يفتح ببيانه منغلِق الحجة ويسدّ على خصمه واضح المحجّة ويغسل من العار وجوهاً مسوّدة، ويوسع بالرأي أبواباً منسدّة، ثم مضى وتركنا نعجب من حسن ألفاظه. وقال الربيع المرادي بالولاء الآتي ذكره إن شاء الله: رأيت الشافعي بعد موته فقلت ما فعل الله بك؟ فقال: أنا في الفردوس الأعلى قلت بِمَ ذاك؟ قال: بكتاب صنّفته وسميته «الرسالة الجديدة»، قال: ورأيته مرة ثانية فقلت: ما صنع الله بك؟ قال: أجلسني على كرسيّ من ذهب ونثر عليّ اللؤلؤ الرطب.

ووصل بعض أهل المعالي تربته فاستعمل صورة مركب من النحاس علّقها عند رأس القبر فكان كثير من الناس يعجب لذلك ويسأل عن فائدة ذلك حتى وصل بعض نظرائه فسئل عن المعنى فقال شعراً:

أتينا لقبر الشافعيّ نزوره وجدنا به فُلكاً[1] وليس به بحر
فقلنا تعالى الله هذا إشارة تنبّيء أن البحر قد ضمّه القبر

ووصل أصحابه البغداديون لزيارة تربته والعزاء به إلى أصحابه المصريين ثم لما أرادوا الانصراف وقفوا على تربته وقال بعضهم بيتين في المعنى:

قد أتيناك يا ابن إدريس وزرناك من بلاد العراق
وقرأنا عليك ما قد حفظنا من كلام المهيمن الخلّاق

وقد انقضى ذكر اللائق من أحوال الإمام الشافعي رضي الله عنه لم يبق إلاّ ذكر من عرض ذكره معه من[2] الأعيان فابدأ حينئذ بذكر شيوخه: أولهم المكيون، منهم أبو محمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي بالولاء، قال ابن خلكان: وإنما كان مولى لامرأة من بني هلال رهط ميمونة زوج النبي ﷺ (يعني ميمونة)[3] قال: وكان من عمال خالد بن عبدالله القسري[4] فلما عزل وطلب عماله هرب ابن عمران[5] إلى

---

(١) الفلك بالضم والسكون المركب ومنه قوله تعالى ﴿في الفلك المشحون﴾.

(٢) ما بين القوسين من «ب».

(٣) هذا زيادة بيان من الجندي رحمه الله وإن كان به تكرار.

(٤) خالد بن عبدالله القسري: من عظماء قحطان جوداً وكرماً ومكارم، أمير العراقيين، ترجمته في «الوفيات» ج٢ ص٦ و«قرة العيون» ج١ ص١٣٩ والأغاني وكامل المبرد وابن الأثير وابن جرير ووفاته سنة ست وعشرين ومئة، انظر كتابنا «اليمن حامل لواء الإسلام».

(٥) كذا في الأصلين وصوابه: ابن أبي عمران ويعني به سفيان، ولفظ هرب ساقط من «ب».

مكة فنزلها وهو من أهل الكوفة، ومولد سفيان بها منتصف شعبان سنة سبع ومئة وعُدّ من أهل مكة لنشوئه بها كما فعل بعطاء بن أبي رباح، وقد ذكره الشيخ أبو إسحاق الرازي في بعض نسخ طبقاته ولم يؤرخه بل قال: قال الشافعي: ما رأيت أفقه من سفيان، وأسكت عن الفتيا منه.

وقال ابن خلكان: وكان إماماً عالماً ثبتاً حجة زاهداً ورعاً مجمعاً على صحة حديثه وروايته حج سبعين حجة وروى عن الزهري وأبي إسحاق السبيعي.

ومن غريب ما جرى له أنه خرج إلى جمع من طلبة العلم يريدون الأخذ عنه وهو إذ ذاك متضجّر لأمر عرض له فقال لهم: أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس أبا سعيد الخدري[1] وجالست عمرو بن دينار[2] وجالس ابن عمر، وجالست الزهري وجالس أنس بن مالك، وعدّد على هذا جمعاً ثم قال: وأنا أجالسكم الآن؟ فقال له حَدَثٌ في المجلس انتصفت يا أبا محمد قال: إن شاء الله تعالى فقال: والله لشقاء أصحاب[3] رسول الله بك أشد من شقائك بنا فأطرق قليلاً ثم أنشد[4]:

خلّ جنبيْك لرامي وامض عنه بسلام
مُتْ بداء الصمت خيرٌ لك من داء الكلام

ثم تفرّق الناس وهم يتحدّثون برجاحة الحَدَثِ وهو يحيى بن الأكثم الآتي ذكره إن شاء الله تعالى، ولم يزل بمكة حتى توفي بها آخر يوم من جمادى الآخرة وقيل مستهل رجب سنة ثمانٍ وتسعين ومئة، ودفن بالحجون: جبل بأعلى مكة قبر فيه عدة من الناس: وهو بفتح الحاء المهملة وضم الجيم وسكون الواو ثم نون.

ومنهم مسلم بن خالد بن سعيد الزنجي، قيل له ذلك لحمرة كانت فيه، تفقّه بابن جريج، وإليه انتهت رياسة الفتيا، وكانت وفاته سنة تسع وسبعين ومئة[5] وقيل: سنة ثمانين، وأما شيخه ابن جريج فقد مضى ذكره مع عبدالرزاق فلينظره من أراده،

(١) هؤلاء لهم تراجم في الإصابة وغيرها وبعضهم قد سبقت لهم تراجم.
(٢) في «ب» وجالست عبيد بن دينار وهو خطأ.
(٣) كذا في «د» وفي «ب» أصحاب رسول الله ﷺ وأسقط الأولى.
(٤) البيتان لأبي نواس بن هاني الشاعر المشهور.
(٥) له ترجمة في «تاريخ مكة» ج٧ ص١٨٧ وذكر اختلاف لقبه بالزنجي كثيراً وقيل وفاته سنة ثمانين، عن ثمانين سنة.

وأما شيوخه بالمدينة فأوّلهم أبو عبدالله مالك بن أنس وقد مضى ذكره عقب ذكر أبي حنيفة وأبي قرة، ثم أبو عبدالله عبدالوهاب بن عبدالمجيد الثقفي، أخذ عن المكيين والمدنيين ولم أتحقق من نعته شيئاً.

وأما شيوخه باليمن فقد ذكرت منهم عند ذكره فيما مضى كمحمد بن خالد الجندي والقاضي هشام وغيرهما، وأما بمصر فالست الطاهرة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

قال ابن خلكان: قدِمت الست مصر مع السيد إسحاق بن جعفر الصادق، وقيل قدمت مع أبيها ولأهل مصر بها اعتقاد عظيم، وكانت وفاتها بشهر رمضان من سنة ثمان ومئتين وأراد زوجها أن ينقلها إلى مدينة يثرب فتعلّق به المصريون وتضرّعوا إليه أن يقبرها معهم للتبرك، فأجابهم ودفنها بالدار التي كانت تسكنها عند المشاهد بين القاهرة ومصر، وقبرها مشهور يزار كثيراً[1] ويستجاب عنده الدعاء.

انقضى ذكر شيوخ الإمام ولم يبق إلا البداية بذكر التاريخ وهو الأصل: أهل المئة الثالثة بالمتأخرين[2] إلى مضي الكتاب كما هو شرطنا، وأجعل بدايتهم بأصحاب الإمام فأختم بعد مضي الفقهاء بذكر الولاة إلى عصرنا اختصاراً وتيسيراً[3].

فاعلم أطال الله بقاك أن جميع اليمن قد أسلم أهله وهو إذ ذاك على عهد رسول الله ﷺ أربعة مخاليف[4] مخلاف عك وهي تهامة خاصة[5] ثم الجند، ثم صنعاء ثم حضرموت، ما مخلاف منهن إلا لم يمت رسول الله ﷺ حتى قد أسلم أهله وقد صار عليهم من قبله ولاةً وعمالاً فارتد بعض أهل حضرموت كان عليهم زياد بن لبيد البياضي كما قد مضى بيان ذلك. وأما سائر المخاليف فلم يذكر عن أحد منهم ردّة وكذلك أقام كل واحد من العمال في عمله ما شاء الله ثم قدم من قدم على أبي بكر اختياراً كمعاذ بن جبل، وكان ملك صنعاء بيد الفرس وحمير[6] بن سيف بن ذي يزن إذ

---

(١) ولا يزال الاعتقاد عند المصريين بالسيدة نفيسة إلى الآن.

(٢) في «ب» للمهاجرين وهو غلط.

(٤) في «ب» وتسييراً لعله وهم.

(٣) المخاليف جمع مخلاف، وهو بمعنى القضاء، أو الناحية اليوم، انظر «صفة جزيرة العرب» و«اليمن الخضراء» والمعجم.

(٥) تهامة تشتمل على قبائل الأشاعر ثم يليها قبائل عك ثم مخلاف الحكم بن سعد العشيرة الذي قيل له فيما بعد المخلاف السليماني نسبة إلى سليمان بن طرف الحكمي.

(٦) كذا في الأصلين ولعلّ هنا سقطاً ولم نجدها في كتاب الرازي، فالذي تولى بعد سيف بن ذي يزن هو أخوه شرحبيل بن ذي يزن كما في «الإكليل» ج٢ ص٢٥٨ ودليل الوهم ما جاء في آخر السطر.

كان قد هلك فالفرس الملوك وحمير المدبرون للبلاد والسائقون للخراج، والدافعون للفساد، وكان بين الفرس وبين همدان عهود ومواثيق «وكان بينهم في ذلك مكتب»[1].

قال الرازي: كانت العرب تكتب في صدر كتبها باسمك اللّهم، وتكتب فارس باسم ولي الرحمة والهدى[2] فلما أرادوا كتب كتاب الحلف جمعوا فقال: باسمك اللهم ولي الرحمة والهدى. هذا كتاب ما أجمعت عليه همدان وفارس باليمن بمحضر المرزبان باذان بن ساسان ومشاهدة للرئيسين عمرو بن الحارث، وعمرو بن يزيد من بكيل وحاشد ورضي من حضر وكفالة بعضهم لبعض عمن غاب من الحيين جميعاً: إنّا تحالفنا جميعاً على عهد الله وميثاقه واجتماع الهوى واتفاقه وقتال المخالف وفراقه، على أن كلّ واحد من الحيّين جميعاً فيما عقد وحالف إن نكث أو خالف عما عقد وشد ووكد فعليه العهد من الله المكرر الوثيق المؤكد الشديد أبدُ الأبد لأبد لا يبيد ما دام والد وولد[3] لا يزال عهداً مؤكداً ما أظلت السماء وأقلت الغبراء وجرى الماء ونزل المطر واخضر الشجر وأكل الثمر وبقي البشر وما بقي في البحار رنق وفي الأشجار ورق وفي الأيام رمق[4] وما ثبتت الرواسي الشامخات في مواضعها وظهرت النجوم السابحات في مطالعها[5] عهداً تؤكده العهود بعقد محكم مبرم شديد[6] لا يضمحل أمره ولا ينبذ خبره.

ثم جعل ذلك نسختين واحدة مع همدان والأخرى مع فارس، ولم تزل الفرس مؤالفة لهمدان حتى لو قيل إن ذلك مستمر إلى عصرنا لم يكد العقل ينكره.

فلما قام الإسلام وبعث[7] رسول الله ﷺ نوّابه إلى اليمن فلم يَختلف أن المبعوث إلى مخلاف الجند هو معاذ بن جبل الأنصاري ولم يزل في الجند حتى كانت خلافة أبي بكر فكتب إليه يستأذنه بالقدوم عليه وكذلك سائر العمال كتبوا، فكتب إليهم الصدّيق أن رسول الله ﷺ بعثكم لما بعثكم له من شأنه فمن أحب أن

---

(١) ما بين القوسين زيادة من (ب).

(٢) في هذه الفقرة بعض تصرف الرازي ص٣٨ وزيادة وكتبوا نسخة بالعربية ونسخة بالفارسية وذكرها الجندي أخيراً.

(٣) في الرازي زيادة، أبداً وساقط منه، لا يزال.

(٤) الرمق بعض الحياة.

(٥) في الرازي زيادة: وسرحت الأنعام المسخرة إلى مراتعها.

(٦) في الرازي زيادة وحلفاً تشدده العقود.

(٧) في «ب» وبعث بزيادة الواو وهو غلط.

يقف في عمله فليقف ومن أحب أن يعود فليعد بعد أن يخلف صالحاً، فاستخلف معاذ على الجند عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي[1] واختلف المؤرخون فيمن كان نائباً لرسول الله ﷺ على صنعاء، فالذي ذهب إليه ابن جرير الصنعاني أنه أَبَانَ بن سعيد بن العاص بن أميّة بن عبد شمس[2] وهو أحد من قيل إنه بنى جامع صنعاء، وقد قيل أقوال غير ذلك[3] فلما قدم كتاب الصدّيق إلى أبان يخيره بين الوقوف وبين الاستخلاف والعود فاستخلف يعلى بن[4] أبي عبيد بن الحارث بن بكر بن زيد التميمي ويقال له: يعلى بن منية[5] نسبة إلى أمه كان مع أبان في ولايته وكان من حلفاء قريش ثم من حلفاء بني نوفل بن عبدمناف، فلم يزل يعلى على صنعاء ومخاليفها حتى قتل عثمان وسيأتي ذكر ما كان منه في خلافة عمر.

وبعث رسول الله ﷺ إلى خولان (خالد بن عامر) من بني أمية[6] فلم يسلموا فقاتلهم وسبى منهم ثم سار إلى حضور[7] فأسلموا فبنى لهم مسجداً وهو مسجد مشهور من المساجد المعدودة باليمن[8].

وبعث خالد بن الوليد[9] إلى تهامة وبعث إلى حضرموت المهاجر بن أبي أميّة[10] وزياد بن لبيد فارتدّ جمع من أهل تهامة، وخرج عنهم خالد بن الوليد بعد أنْ

---

(١) انظر ترجمة عبدالله بن أبي ربيعة في «قرة العيون» ج١ ص٧٠ و«الإصابة».

(٢) انظر ترجمة أبان بن سعيد في «قرة العيون» ج٢ ص٦٨.

(٣) انظر «قرة العيون» ج١ ص٦٥.

(٤) هنا سقط في الأصلين، فيعلى هو بن أمنية بن أبي عبيد، ولهذا قابله بقوله ويقال يعلى بن منية.

(٥) كان في الأصلين (ابن أمية) وهو غلط، فأمية بضم الهمزة ثم ميم وياء مثناة من تحت ثم هاء ومنية بضم الميم وسكون النون ثم ياء مثناة من تحت ثم هاء، وهي اسم أمه، انظر ترجمته في «قرة العيون» ج١ ص٨١ و«الإصابة».

(٦) كذا في «د» وفي «ب» خالد بن العامر الخ، وفي ابن جرير الصنعاني وسار خالد بن سعيد بن العاص إلى خولان سخيم فقتلهم وغلبهم، هذا أصح كما في التواريخ ويؤيده قوله «من بني أمية» وخولان سخيم: هي خولان العالية: الطيال والموضوع وصوابه حولان: بالحاء المهملة كما في «الإكليل» ج٢ ص٣٨٣.

(٧) انظر الكلام على حضور في «صفة جزيرة العرب» ص٢٣٠، والإكليل ج٢ ص٢٨٣.

(٨) مسجد حضور مسجد جاهلي قديم، انظر «الإكليل» ج٢ ص١٣٢، وج٣ ص٢٨٩.

(٩) هو المخزومي حامل لواء حرب الرِّدة في نجد والعروض، مات سنة ٢١ وقبره في حمص من الشام، انظر «الإصابة» وغيرها ولم يبعثه رسول الله إلا إلى نجران انظر «الوثائق السياسية» ص٩٠، و«قرة العيون» ج١ ص٦٠.

(١٠) المهاجر بن أبي أمية هو أيضاً المخزومي، ولم يطق الذهاب إلى حضرموت لمرضه وكانت وفاته سنة ١٣هـ.

أصلحوا[1] فغزا اليمامة الغزوة المشهورة التي قتل بها مسيلمة[2] الكذاب وسائر العمال لم يبرحوا من عملهم حتى توفوا عليه وبه كان مبدأ خلافة الصديق يوم توفي رسول الله ﷺ من الاثنين ثاني شهر ربيع الأول وعلى وفاة عشر من الهجرة وقد مضى بيان بيعة المسلمين له وأنها كانت في اليوم الأول.

ومن عجيب ما حدث أيام خلافة الصديق باليمن أنه حصل مطر عظيم فأبرز عن باب مغلق، وظن الناس أنه كنز، وهابوا فتحه دون مشاورة الخليفة، فكتبوا إلى أبي بكر يعلمونه بذلك فعاد جوابه إلى عامل البلد أن لا يترك أحداً يقرب الموضع حتى يقدم أمناؤه ثم لما قدم الأمناء فتحوا الباب فإذا هو على مغارة، فدخلوها وإذا بها سرير عليه رجل فوقه سبعون حلة منسوجة بالذهب وبيده اليمنى لوح فيه مكتوب:

إذا خان الأمير وكاتباهُ ... وقاضي الأرض داهَنَ بالقضاء

فويلٌ ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

وفي كفه الأيسر خاتم عليه مكتوب **﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنَ عَهْدٍ وإنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهم لَفَاسِقِيْنَ﴾**[3].

وعند رأسه مكتوب:

يا لائمي في هجرهم جاهلاً[4] ... عذري منقوش على خاتمي

ثم سيف أشد خضرة من البقلة[5] مكتوب عليه:

«هذا سيف هود بن عاد بن إرم».

وهذا أعجب ما جرى في اليمن أيام أبي بكر ولم يزل اليمن بيد الأمراء المتقدمين مذ خلافته حتى كانت وفاته يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وكان آخر كلام سمع منه:

﴿رَبِّ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وألْحِقْنِي بِالْصَّالِحِيْنَ﴾[6]. وكان رزقه من بيت المال كل

---

(١) في الأصلين بعد أن انصلحوا، والإصلاح منا والنسخة المنقطعة، وخرج عنهم صوابه وخرج عليهم: وخروج خالد إلى تهامة محتاج إلى البحث واليمامة كانت عاصمة نجد، وقد دخلت اليوم فيما يسمى الرياض.

(٢) مسيلمة ساقط من الأصلين والزيادة منا ومن النسخة المنقطعة، انظر أخبار مسيلمة الكذاب في ابن جرير الطبري.

(٣) الأعراف ـ ١٠٢.

(٤) كان في الأصلين جهلاً والتصحيح من «قرة العيون» ج١ ص٧٩.

(٥) البقل، والبقلة كل ما أنبت الربيع.

(٦) يوسف ـ ١٠١.

عام ثلاثمئة دينار بعد أن بلغ عمره ثلاثاً وستين سنة، وخلافته سنتان وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً وغسلته امرأته أسماء بنت عميس[1] بوصيّة منه ثم دفن مع النبي ﷺ بحجرة عائشة. وجعل رأسه بإزاء كتف رسول الله ﷺ وكان القمر الثاني المدفون تصديقاً لرؤيا أم المؤمنين المتقدم ذكرها[2].

ثم ولي أمر الأمة بعده أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزّى بن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب يجتمع مع النبي ﷺ وأبي بكر في كعب بن لؤي، استخلفه أبو بكر فقام بأمر الأمة أتم قيام، وكان رضي الله عنه أول من سمي أمير المؤمنين، فأبقى عمّال اليمن على حالهم لم يغيّر على أحد منهم غير يعلى بن أمية صاحب صنعاء فإنه أشخصه عن صنعاء مرتين ووصل المدينة. سبب الأولى: أن أخاً ليعلى أو بعض أهله اشترى فرساً لرجل باثني عشر ألف درهم، ولم يوفه الثمن فذهب إلى عمر وشكا ذلك فاستدعاه وحاقق بينهما، ثم عاد من فوره إذ لم يتوجه عليه حق. والثانية أن رجلاً من أهل حفاش[3] قتل ابناً لآخر فوصل إلى يعلى فأخبره فاستدعى القاتل، وسأله هل قتل ولد الشاكي فاعترف بذلك فأخذ يعلى سيفاً وسلمه إلى أبي المقتول، وقال اذهب فاقتله كما قتل ولدك، ثم إنه ضَرَبَه ضربات متعددة فوقع مغشياً عليه، ولم يشك أنه مات فأخذه أهله وأرادوا دفنه فوجدوا فيه عرقاً يتحرك فذهبوا به البيت ولاطفوه بالأدوية فتعافى[4] فبينا هو ذات يوم يرعى الغنم إذ مرّ به أبو المقتول فعرفه فذهب إلى يعلى فأخبره فاستدعاه يعلى فاستخبره فوجد فيه جراحات كثيرة فأمر يعلى من قدر أروشها فبلغت الدية فقال يعلى لأبي المقتول: إما أن تدفع الدية ونقتله أو تخليصه، فقال أريد قتله وما فعلته به يكون هدراً، فلم يساعده يعلى على ذلك، فقدم إلى عمر وشكا إليه من يعلى وقال حال بيني وبين قاتل ولدي، فبعث عمر المغيرة بن شعبة[5] على صنعاء واستدعى يعلى،

---

(١) هي الخثعمية وهي أم محمد بن أبي بكر ثم استخلفها علي بن أبي طالب وأولدت له أولاداً ووفاتها سنة أربعين، وفي «ب» بعد قوله: ودفن مع النبي ﷺ زيادة في حجرة عائشة وجعل رأسه بإزاء كتف رسول الله ﷺ.

(٢) هي عائشة الصديقية.

(٣) حفاش: بضم الحاء المهملة آخره شين معجمة مخلاف من مخاليف حمير غربي صنعاء، انظر «صفة جزيرة العرب» ص١١٠ وما جاء بعدها و«الإكليل» ج٢ ص٢٣٧.

(٤) في الرواية خلاف في تاريخ ابن جرير الصنعاني الذي ينقل عنه الجندي.

(٥) المغيرة بن شعبة هو الثقفي من ثقيف الطائف، وهو أحد الدهاة الخمسة وهم معاوية بن أبي سفيان،

فلما دخل المغيرة صنعاء أساء إلى يعلى وأخرجه إلى عمر بوجه لا يليق، فلما قدم يعلى والمقتول ولده أن يتحاققا فقال علي كرم الله وجهه إن يعلى لفقيه، وقال عمر: إنك لقاض[1] ثم لبث بالمدينة سنتين.

وسأل[2] عمر عن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وقلت قد أمنا فقال عمر: عجبت مما عجبت منه، فسألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»، ثم إن عُمَرَ أعاد يعلى على عمله فلما قدم صنعاء أحسن إلى المغيرة وجهزه إلى عمر أحسن جهاز فكان المغيرة يقول عند ذكره يعلى: خير مني حين ولي، وحين عُزل»[3].

وفي أيام يعلى كانت قصة أصيل، وهي ما أورده الرازي بكتابه[4] بسند حذفته اختصاراً، وذلك أن رجلاً من أهل صنعاء غاب عن امرأةٍ له اسمها زينب وترك معها ابناً له من غيرها اسمه أصيل صبيّ في سن التمييز، وكانت فاسقة ولها سبعة أخلاء فصارت تتبرّم من الصبي أن يفضحهم، وقالت لخلّانها إن هذا الصبي فاضحنا لا محالة، ولست آمنة أن يفضحني وإياكم ثم حسّنت لهم قتله، ولم تزل بهم حتى دخلوا عليه وهو نائم فخنقوه حتى مات، ثم حملوه فألقوه ببئر الديبانادى وهي بوسط غمدان خلف بئر سام بن نوح«[4] قال الرازي، وهي في عصرنا خراب، وعصره في المئة الخامسة، ثم إن المرأة أظهرت بعد ذلك فقد الصبي وجعلت تدور شوارع صنعاء راكبة على حمار وهي تقول: اللهم لا تُخْفِ عليّ مَنْ قتل أصيلاً، ثم اتصل العلم بيعلى وأن صبياً فُقد لا يُعلم خبره فشقّ به ذلك وساءه، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: انظروا هل تحسّون لهذا الصبي خبراً أو يذكر لكم؟ فلم يجبه أحد بشيء، ثم بعد أيام مرّ رجل من أهل صنعاء بالبئر فظهر له منها ريح مُنْتِنَة، وذباب أخضر يطلع من البئر ويرجع فيها فغلب على ظنّه وجود الغلام بالبئر فذهب إلى يعلى وقال: أظنني قد قدرت على طلبتك أيها الأمير، ثم أخبره بما وجد في البئر فبادر يعلى وركب من فوره حتى وقف برأس البئر ومعه جمع من الحفدة وأهل البلد ومن جملتهم

= وعمرو بن العاص، والمغيرة هذا، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وسعيد بن قيس الهمداني، وكانت وفاة المغيرة سنة خمسين من الهجرة، انظر «الإصابة».

(١) انظر الرازي ص١٦٣.

(٢) السائل يعلى بن أمية.

(٣) انظر عبارة الرازي ص١٦٤ وعبارة ابن جرير الصنعاني: ليعلى خير مني الخ.

(٤) انظر الرازي ص٤٥١، ففي العبارات هنا تصرّف.

بعض القتلة فقال: أدْلوني أنظر ما في البئر وأكشف الخبر، فربط بحبال وأنزل فلما صار بالقرب من الماء وجد الصبي قد نبذه الماء وهو على وجه الماء فغيّبه في جرف من جروف البئر[1] ثم صاح أطلعوني فإني لم أجد شيئاً فأطلع، فقال الناس له إنك لما ضربت الماء وحركته اشتدت الرائحة وكثر صعود الذباب فقال رجل آخر أدْلوني مكانه فحين قال ذلك أخذت الأول رعدة شديدة فاستوثقوا به فأدلوا الثاني فلما صار بالماء تبع الرائحة فوجد الصبي بغار وعليه أثر التقليب فشدّه بالحبل وأمر بجرّه فأُطلع أولاً وطلع الصبي الهالك فلما ظهر الصبي ورآه المنزل الأول اشتدّت رعدته، وهذا من قبيل قولهم في المثل (كاد المريب أن يقول خذوني) فأخذ يعلى عليه بالتهديد فاعترف أنه قتله من جملة سبعة، وأن سبب ذلك زوجة أبيه فطلبوا جميعاً فلما حصلوا سجنوا وجعلت المرأة بمعزل عنهم، وكتب يعلى إلى عمر يسأله الحكم فيهم فحين وصل الكتاب إلى عمر استحضر جماعة من فقهاء الصحابة وعرض عليهم كتاب يعلى، واستشارهم وقال: إني أرى بقتل الرجال والمرأة، غير أني أردت لا ينفذ ذلك إلاّ بعد مشورة منكم، فصوّبوا رأيه حتى قال عليّ كرم الله وجهه رأيت صواباً يا أمير المؤمنين، أرأيت لو أن جماعة اشتركوا في سرقة جزور سرق كل واحد منهم عضواً أكنت قاطعهم بذلك قال: نعم قال: فهؤلاء كذلك، فقوي عزم عمر وكتب إلى يعلى بذلك ثم قال[2] لو تمالأ أهل صنعاء على قتله لقتلتهم به، فحين وصل الكتاب إلى يعلى بادر فقتل الرجال والمرأة، وقد استشهد كثير من مصنفي الفقه على جواز قتل الجماعة بالواحد لهذا الخبر.

ثم بعد ذلك أن موالي ليعلى ضربوا رجلاً حتى أحدث في ثيابه فذهب الرجل إلى عمر واشتكى إليه فكتب عمر إلى يعلى أن يأتيه ماشياً على قدميه فخرج من صنعاء كذلك حتى إذا صار على مراحل منها لقيه كتاب عثمان بن عفان يبقيه على عمله ويخبره بوفاة عمر فعاد يعلى إلى صنعاء وعمل فرحة[3].

وأما ابن أبي ربيعة فلم أسمع له خبراً يستظرف غير ما ذكر الرازي، فذكر[4] بعض الفقهاء أنه بعث إلى عمر ظرفاً به شيء من الغالية[5] فوصل إلى عمر وعنده

(١) الجرف بالفتح والسكون: الكهف والغار.
(٢) القائل عمر بن الخطاب.
(٣) انظر الرازي ص١٦٤ ـ ١٦٥، فما هنا مخالف لذلك.
(٤) انظر الرازي ص١٨٧، ولابن أبي ربيعة حادثة ذكرناها في «التاريخ الكبير».
(٥) في الرازي غالية في شكوة، والغالية طيبٌ مجموع من أطايب، والشكوة وعاء من أدم جلد.

جماعة من الصحابة فاستخرج ما فيه وضمخ به من حضره من المهاجرين والأنصار وقيل دهنهم به.

قال الرازي فذكر بعض الفقهاء أن في فعل عمر ذلك ثلاث فوائد، منها قبول الهدية والادّهان بالغالية، وطهارة المسك إذ هو الغالب في جوانحها[1] ومن محاسن عمر رضي الله عنه ما ذكر طاووس أنه قال للناس وهم حوله: أرأيتم إذا استعملت عليكم خير من أعلمه ثم أوصيته بالعدل فيكم أترون قضيت ما عليّ؟ قالوا نعم، قال: لا حتى أطالعه وأفتقده في عمله هل هو كما أمرته أم لا. وقال له حذيفة بن اليمان[2] استعملت الفجّار على رقاب أمة محمد ﷺ ولم يفعل ذلك (من قبلك)[3] فقال أستعين بجلد الفاجر وإن عرفت فجوره، ثم أباشر عمله بنفسي، فقال حذيفة أخشى أن يوليهم من يأتي بعدك احتجاجاً بك ثم لا يباشرهم، وفِعْلُ عمر مع يعلى دليل على ما ذكره من الافتقاد.

وكان عمر أول من سمي أمير المؤمنين[4] سماه به عمرو بن العاص[5] فاشْمَأَزّ منه، فقال له ألسنا المؤمنين وأنت أميرنا قال: بلى، ثم سكت فمن هنالك سمي كل قائم بالأمر أمير المؤمنين، وكان أول من دوّن الدواوين، وجند الأجناد وعرّف العرفاء ووضع الجزية ونفى المشركين عن جزيرة العرب. ولما أراد وضع الديوان جمع أكابر الصحابة واستشارهم فوافقوه ثم سألهم بمن تكون البداية فقالوا: بك يا أمير المؤمنين فقال: لا، الأمر لرسول الله ونحن نوابه في أمته، أبْدأ (برهطه)[6] الأقرب فالأقرب، ثم فرض للعباس[7] في كل عام ستة آلاف درهم ثم لعلي نحوه وفرض للحسن والحسين[8] خمسة آلاف درهم وقال: ألحقهما بأبيهما لمكانهما من رسول الله ﷺ، ثم فرض لكل مهاجريّ خمسة آلاف، ولكل أنصاريّ أربعة آلاف درهم، ثم جعل

---

(١) كذا في الأصلين ولم تكن مذكورة في الرازي وقال لأن بعضهم يقول هو دم قلت قال المتنبي: «فإن المسك بعض دم الغزال».

(٢) حذيفة بن اليمان: حليف الأنصار وهو صحابي جليل توفي سنة ست وثلاثين.

(٣) في «د» ساقط ما بين القوسين وأثبتناه من «ب».

(٤) انظر «الأوائل» للعسكري و«تاريخ الخلفاء» للسيوطي.

(٥) عمرو بن العاص السهمي القرشي أحد الدهاة المشهورين وفاتح مصر توفي بها سنة ثلاث وخمسين.

(٦) ما بين القوسين ساقط من «د».

(٧) العباس بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ وفاته سنة ٣٢ من الهجرة، انظر «الإصابة» وغيرها.

(٨) الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ترجمة الحسين في «قرة العيون» ج٢ ص١٧٩. وأما الحسن فإنه توفي سنة تسع وأربعين من الهجرة وقيل: غير ذلك، على أنهما أشهر من نار على علم.

نفسه وأهله في البيت الثامن، وكان إذا أخذ أحد[1] منه رزقاً قال لـه بارك الله لـك فيه، هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادّخـر لك في الآخـرة أفضل، ثم يتلو ﴿والـذين آمَنوا وَعمِلوا الصَّالِحَاتِ لنُبوِّئنّهم في الدّنْيا حَسَنَةً ولأجر الآخِرَةِ أكْبَرُ لَوْ كـانُوا يَعْلَمـون﴾[2] وفرض لكل امرأة من أمهات المؤمنين اثني عشـر ألف درهم[3] ما خـلا صفية ابنـة حي النضرية[4] وجويرية ابنة الحارث المصطلقية[5] فإنه جعل لكل واحدة منهما ستـة آلاف، وكان متى قيل له جزاك الله عن الإسلام خيراً قال: بل جزى الله عني الإسلام خيراً.

وكان طعامـه من أقرب الأطعمـة لا يغالي فيـه، وقد يُعـاتَب على ذلك فيقـول: أخشى أن أكون من الذين قال الله فيهم: ﴿أذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ في حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾[6] ولولا ذلك لأمرت بِجَدْي سمين فيطبخ باللبن، وكـان في آخر عمـره كثير الـرغبة عن الـدنيا يدعو بالوفاة قبل انصرام أمره، وخروج الخوارج عليه[7].

ومن ذلك ما روي عن ابن المسيب[8] أنـه حج في آخـر سنة. فلمـا نزل بـطحاء مكة جمع شيئاً من بطائحها شبه الدكة ثم بسط عليها رداءه ثم اضـطجع ورفـع يديـه[9] وقـال: اللهم كبـر سني ورقّ عـظمي وضعفت قـوتي، وخشيت الانتشـار من رعيتي، فاقبضني إليك غير عاجز ولا مضيع ثم قدم المدينة فما انقضى الشهر حتى توفي.

قال ابن عباس لما تكرر عليّ سماع عمر بطلب الوفاة قلت له: يـا أمير المؤمنين قد أكثرت الدعاء بالموت حتى حسبت أن يكون ذلك أسهل عند نزوله فمـاذا مللت من قومك وهم معك إما تعين صالحاً أو تقيم مائلاً، فقال: إني قائل لك قـولاً وهو إليـك، فقلت له يعدوني قـال: كيف لا أحب فراقهم وفيهم نـاس كلٌّ فـاتحٌ فاهاً للهوة[10] من

(١) أحد ساقط من «د» ولا يتم الكلام إلا بها.

(٢) ما بين القوسين في الأصلين وفيه غلط فاحش، وإنمـا الآية ﴿والذين هاجـروا في الله من بعد مـا ظلموا لنبوئنهم﴾ . . . الخ ـ النحل ٤١.

(٣) في الأصلين واثنا عشر ألف درهم والإصلاح منا.

(٤) النضرية: نسبة إلى بني النضير من اليهود سباها رسول الله ﷺ وأعتقها وتزوّجها وتوفيت سنة خمسين من الهجرة.

(٥) المصطلقية من بني المطلق من اليهود سبـاها رسـول الله ﷺ وأعتقها وتـزوّجها وتـوفيت سنة خمسين من الهجرة.

(٦) الأحقاف ـ ٢٠.

(٧) المراد هنا بالخوارج الخارجون عن الطاعة لا الخوارج المشهورون بفرقة الخوارج.

(٨) هو سعيد بن المسيب المتقدم الذكر.

(٩) في «د» يده بالإفراد.

(١٠) اللهوة بالفتح وسكون الهاء آخره هو في الأصل المرة الواحدة التي تلقى إلى فم الرحاء المطحن، والمراد هنا العطية.

الدنيا إمّا بحق لا يتوجه أو بباطل لا يناله ولولا أن أسأل عنكم لهربت منكم وأصبحت الأرض مني بلاقع ومضيت لشأني. ولما جرحه العلج[1] وأدخل إلى منزله اجتمع الناس عنده، وجعلوا يثنون عليه بالخير فقال: هؤلاء بين راغب وراهب ولما قيل له استخلف قال: لا أتحمل أمركم حيّاً وميتاً وددت الكفاف لا عليّ ولا لي، ولما قال له الطبيب أوْصِ، أمر ابنته حفصة إلى عائشة تسألها الإذن[2] في دفنه مع رسول الله ﷺ وصاحبه فأذنت، ثم لما أيقن بالموت أمر ابنه عبدالله أيضاً إلى عائشة يستوثق منها بالإذن فأذنت ثم جعل أمر المسلمين شورى في ستة نفر من العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمٰن بن عوف، وأخرج ابن عمه سعيداً[3] رضي الله عنهم، ولم يكن بقي من العشرة غيرهم وأمر صهيباً الرومي[4] أن يصلي بالناس إلى أن يتفقوا على إمام لهم ثم توفي سلخ الحجة سنة ثلاث وعشرين، وعمره خمس وخمسون سنة، وقيل ثلاث وستون سنة، ومدة خلافته عشر سنين وستة أشهر وسبعة أيام ثم دفن مع صاحبيه، وجعل رأسه بإزاء كتف أبي بكر، وكان هو القمر الثالث في رؤيا عائشة رضي الله عنها. وفي اجتماعهم قال حسان بن ثابت[5]:

ثلاثة برزوا لسبقهم	في نصرهم لربّهم إذا بروا
عاشوا بلا فرقة حياتهم	ثم التقوا في الممات إذ قبروا
فليس من مسلم له بصر	ينكر فضلاً لهم إذا ذكروا

ثم اتفقت كلمة أهل الشورى على استخلاف عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف فأبقى العمال على حالهم ولم يزل عمال اليمن خصوصاً يعلى وابن أبي ربيعة بمخلافي الجند وصنعاء.

---

(١) العلج بكسر العين المهملة آخره جيم: الرجل من كفار العجم.

(٢) حفصة أحد أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين، كانت وفاتها في سنة خمس وأربعين من الهجرة ووفاة عائشة سنة ثلاث وخمسين.

(٣) سعيد هو ابن زيد بن عمرو بن نفيل، وكانت وفاته سنة خمسين أو إحدى وخمسين من الهجرة وفي «د» رضي الله عنهم.

(٤) صهيب هو ابن سنان بن النمر بن ثولب سبي صغيراً فنشأ بالروم فابتاعته قبيلة كلب وأسلم قديماً وعُذب في ذات الله وتوفي سنة ثمان وثلاثين من الهجرة.

(٥) حسان بن ثابت هو الأنصاري شاعر الإسلام ولسانه ترجمنا له في «الإكليل» ج١ ص١٧٠ وفي الثاني وفاته سنة اثنتين وخمسين.

فكان أول شيء فعله مما ينكره الناس[1] بخلاف ما كان الشيخان عليه[1] صعوده من المنبر وقعوده فيه على المرقاة التي كان يقعد عليها رسول الله ﷺ، وذلك أن منبر رسول الله ﷺ كان ثلاث درج يقف رسول الله ﷺ[2] على الثالثة منهن فلما قام أبو بكر وقف على الثانية وقال لا يراني الله واقفاً موقف نبيّه، ثم لما ولي عمر وقف على الأولى، وقال لا يراني أهلاً لموقف أبي بكر، فلما ولي عثمان صعد على الثالثة وقال ما بهذا من بأس، فحدقه الناس بأبصارهم فارتج عليه الكلام فقال إنكم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوّال.

وكان طلوعه ذلك عقيب مبايعة المسلمين له ثالث المحرم وقيل رابعه سنة أربع وعشرين واستمر إلى سنة ست[3] وثلاثين لم يسلك هو ولا أحد من نوابه[4] غير طريق الشيخين، ثم حصل من عماله في مصر والعراق ما أوجب الطعن عليه وخروج الخوارج إليه من أنحاء شتى، ولم يزالوا كذلك إلى أن قتل يوم الجمعة صابراً محتسباً صائماً بعد أن حوصر أربعين يوماً لم يبد منه كلمة يكون فيها لمبتدع حجة، ولقد قيل له وهو محصور ما الذي تأمرنا به إن كان بك كون[5] فقال: انظروا ما اجتمعت عليه أمة محمد[6] فكونوا عليه فإنها لا تجتمع على ضلالة حتى قتل قتلة[7] كابن آدم حين قال لأخيه ﴿**لئن بَسَطتَ إليّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالِمِين**﴾[8] وقد كان رأى النبي ﷺ تلك الليلة فقال يا عثمان أفطر عندنا فلما أصبح قال لعبيده المحيطين ببيته: من أغمد سيفه فهو حرّ، فأغمدوا سيوفهم فجدّ الخوارج عليه فقتلوه لثلاث خلون من الحجة سنة خمس وثلاثين[9] وقيل كان قتله أيام التشريق بعد أن حوصر أربعين يوماً.

واختُلف في عمره فقيل اثنتان وثمانون سنة وأشهر وقيل: ثماني وثمانون سنة وقيل تسع وثمانون وقيل تسعون سنة.

---

(١) في «د» وفي «ب» النفوس والشيخين في «د» وفي «ب» الشيخان.
(٢) ما بين القوسين من «ب» وفي «د» كان له ثلاث درج يقعد الخ وفي هامشه تكرار.
(٣) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د».
(٤) كذا في «ب» وفي «د» يسلك لا هو ولا أحد من أصحابه.
(٥) أي شيء كائن فيك.
(٦) كذا في «د» وفي «ب» الأمة.
(٧) قتلة بكسر القاف وسكون التاء المثناة من فوق ثم لام وهي الهيئة من القتل وبالفتح: المرّة.
(٨) المائدة ـ ٢٨.
(٩) هذا هو الصحيح فما سبق قريباً وَهْمٌ.

ثم اسْتُخلف خاتم الخلفاء أبـو الحسن علي بن أبي طالب بن عبـدالمطلب (بن هاشم بن عبدمناف)[1] فحين سمع عاملا اليمن يعلى وابن أبي ربيعة بقتل عثمان خافا على نفسيهما فخرجا مجتمعين حتى قَدِمَا مَكة سالمين فوجدا بها عائشة وطلحة والزبير وقد اتفقوا على خروج العراق للطلب بدم عثمان فأهدى يعلى لعـائشة جمـلاً يقال لـه عسكر[2] وبه يعرف اليوم المشهور بيوم الجمل[3].

وبعث عليّ على اليمن عبيـدالله بن العباس على صنعـاء وسعيـد بن سعـد الأنصـاري[4] على الجند فلبث ابن عبـاس بصنعاء أربعين شهـراً ثم إن معـاويـة وجـه بشـر بن أرطأة العـامري[5] اليمن بـألف فارس وأمـره بطلب دم عثمـان فحين بلغ ذلك العلم إلى صنعاء جمع ابن عباس أهل صنعاء وخطبهم وحضهم على القتال وهو يـريد الأبناء[6] إذِ هم حينئذ رأس الناس فقال له فيروز الديلمي : ما عندنا قتال فآسترْ شأنك[7] فحينئذ أيس من نصرهم واستخلف عمـرو بن أراكة الثقفي[8] ثم تـرك ولدين لـه مع أم سعيد ابنة بزرج التي تقدم ذكرها أن أصحـاب رسول الله ﷺ كـان كل قـادم منهم إلى صنعاء ينزل بيتها إذ كانت امرأة داذويه[9] أمير الفرس يومئذ وهي أول امرأة قرأت القرآن بصنعاء وصلّت الصلاة وهي أخت الرجلين المذكورين أولاً النعمان، وعبدالرحمٰن.

فلما قدم ابن أرطأة صنعاء، وقـد خرج عنهـا ابن عباس لاحقـاً بعلي، استدعى بالولدين وكان الكبير ابن عشر سنين والصغيـر ابن ثمان، وفي اسمهمـا خلاف فقيـل: الحسن والحسين، وقيل عبدالرحمٰن وقثم بضم القاف وفتح الثاء المثلثة ثم ميم، فلما حضرا إلى بسر أمر بقتلهما فقـالا له يـا عم وما ذنبنـا؟ فقال الخبيث: ذكـوا ابني أخي فاخرج إلى باب المصرع[10] وذبحـا وقتل عمـرو بـن أراكة الثـالث، وقتل اثنين وسبعين

---

(١) في «د» ساقط ما بين القوسين وفي «ب» (ابن هاشم).
(٢) انظر الإكليل ج٢ ـ ١٠٢.
(٣) يوم الجمل مشهور ذهب ضحيته أزيد من عشرة آلاف نفس أكثرهم من أزد اليمن.
(٤) انظر «قرة العيون» ج١ ص٨٣. (٥) انظر «قرة العيون» ج١.
(٦) انظر الكلام على الأبناء في «قرة العيون» ج١ ص٨٧.
(٧) قوله «فآستر» في الأصلين منها بالشين المعجمة ومنها بـالمهملة وفي «قرة العيـون» فاحتـرز لنفسك وفي ابن سمرة فاستر شأنك بـالسين المهملة والتاء المثناة من فوق ثم راء.
(٨) انظر «قرة العيون» ج١ ٨٦.
(٩) وهو الذي قتله قيس بن مكشوح المرادي.
(١٠) المصرع بكسر الميم وفيها يقول الرازي عنه أنه على طريق علب تحت غمدان ولا يعرف اليوم موضعه، انظر «الاكليل» ج٨ ص١٧٣.

من الأبناء كانوا قد شفعوا إليه في الطفلين فحصل للأبناء في ذلك ما قال ﷺ: «من سلّ سيف البغي ضُرب به[1] ومن أعان ظالماً أغري به» فإنهم أعانوا بشراً على ظلمه.

وكان بشر يقال له بسر[2] بن أرطأة العامري نسبة إلى عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك أول جبّار دخل اليمن وعسف أهله واستحل الحرام، ولاقى من ذلك قتل الشهيدين كثير[3] وقد قتل من ذلك أمماً لا تحصر، وعاث في اليمن حتى بلغ البحر بحر عدن، وقبر الطفلين مشهور بصنعاء في مسجد يعرف بمسجد الشهيدين يزار، ويستنجح من الله فيه الحاجات[4] ولما بلغ عليّاً كرم الله وجهه دخول بسر اليمن جهّز ألفي فارس من الكوفة ومثلها من البصرة وجعل على الجميع جارية بن قدامة السعدي[5] وأمره بدخول اليمن ومتابعة بسر حيث كان ومطالبته بما أحدث في اليمن من قتل أو فساد، فلما دخل جارية اليمن تهرب بسر وتفرق أصحابه، ثم إن جماعة من اليمن وغيره كانوا قد وافقوا بشراً على رأيه فلزمهم ونكّل بهم وقتل من استحق القتل منهم ثم عاد مكة فحين دخلها بلغه موت عليّ كرم الله وجهه فأخذ البيعة على أصحابه وأهل مكة بالبيعة لمن بايع له أصحاب علي، ولم يمت عليّ حتى قد سمع منه الكراهة للبقاء كما سمع عن عمر.

قال الخطابي في كتاب «العزلة» بسند إلى ابن سيرين قال: قال عبيدة[6] سمعت عليّاً كرم الله وجهه يقول في خطبته «اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملّوني، فأرحني منهم وأرحهم مني ما يمنع أشقاها[7] أن يخضبها بدم» ووضع يده على لحيته، ومعنى قوله كرم الله وجهه ما يمنع أشقاها، الكلام إلى آخره، فيه بيان قول النبي ﷺ أن أشقى لأخربنّ من يخضب هذه وأشار إلى لحية عليٍّ من هذه وأشار إلى قرينته، وكان اليمن والعراق والحجاز وخراسان تحت طوع علي يستخلف عليهم من يشاء.

---

(١) المحفوظ قتل به.

(٢) أي بالسين المهملة وبالشين المعجمة.

(٣) كذا هذه العبارة في الأصلين.

(٤) وفي «ب» الحوائج ومسجد الشهيدين معروف إلى هذا التاريخ.

(٥) جارية بالجيم ثم راء وياء مثناة من تحت بعد الراء والألف ثم هاء وكان في الأصلين حارثة بالحاء المهملة والثاء المثلثة وهو وهم، وكثيراً ما يغلط المؤرخون بهذا، ترجمنا له في «قرة العيون» ج١ ص٨٧.

(٦) غير معروف عبيد عندي ولعله عبيدالله بن العباس: بدون هاء.

(٧) في «د» أشقاهم وفي «ب» أشقاهم وأصلحناها كما في المتن من عندنا والضمير إلى الأمة ثم وجدته نصاً في «صفة الصفوة» ج١ ص٣٣٣.

وكانت وفاته كرم الله وجهه شهيداً من ضربة، ضربه ابن ملجم وهو في الصلاة محرم[1] بجامع الكوفة وذلك لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين من الهجرة وبلغ عمره ثلاثاً وستين سنة وقيل ثمانياً وخمسين سنة، وصلى عليه ابنه الحسن، وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وقد ذكرت موضع دفنه فيما مضى، وختم الله به الخلافة كما ختم النبوّة بمحمد.

ومن ذلك قول النبي ﷺ: «الخلافة ثلاثون عاماً» فكان آخر قيام علي آخر الثلاثين، وقيل بقي منها أشهر أخذها الحسن كرّم الله وجهه ثم خلع نفسه مَيْلاً إلى حقن دماء المسلمين.

وكيفيةُ ذلك أن معاوية لما قصده إلى الكوفة بجيش عظيم من الشام ومصر وخرج إليه الحسن بجيش لم يكن بدون جيشه، فلما رأى الحسن كثرة الجيشين خشي على المسلمين أن يتفانوا فنادى بأعلى صوته: «يا معاوية الله الله بأمّة محمد لا تُفْنِهم على طلب الدنيا. إن كان هذا الأمر لك فما ينبغي لي أن أنازعك فيه وإن كان لي فقد آثرتك به، إبقاءً على المسلمين وحقناً لدمائهم» فقال المغيرة حينئذ لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن ابني هذا سيّد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المؤمنين». فخلع الحسن نفسه وبايع لمعاوية وذلك بعد أن أقام سبعة أشهر واثني عشر يوماً، وكانت هذه المدة هي البقية من الثلاثين التي عناها النبي ﷺ بقوله: «الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك»[2].

وقد عرض مع ذكر علي كرم الله وجهه ذكر عُبيد الله بن العباس وهو ابن عمه وأحد الصحابة وله عن رسول الله ﷺ روايات، وكان أكبر من أخيه عبدالله المفسّر بسنتين، كانت وفاته بالمدينة سنة سبع وثمانين.

ثم صار الأمر إلى معاوية فاستناب عثمان بن عفان الثقفي[3] فلبث مدة ثم عزله بأخيه عتبة بن أبي سفيان[4] وجمع له ولاية المخلافين: صنعاء والجند، فلبث في اليمن سنتين ولحق بأخيه فاستخلف فيروز الديلمي بصنعاء وبالجند قيس الكاتب[5]

---

(١) لم يقتل عليّ إلا خارج الصلاة، انظر «مروج الذهب» ج٢ ص٤٢٣ و«تاريخ الخلفاء» ص١٧٥.
(٢) المحفوظ ثم يكون بعد ذلك ملكاً عضوضاً.
(٣) انظر «قرة العيون» ج١ ص٩١.
(٤) انظر «قرة العيون» ج١ ص٩١.
(٥) كذا في تاريخ ابن جرير الصنعاني ولا أعرف عنه شيئاً.

وبتلك المدة مات فيروز على العمل ثم بعث معاوية مكان أخيه النعمان بن بشير الأنصاري[1] فأقام باليمن سنة ثم عزله ببشير بن سعيد الأعرج[2] الذي تقدّم ذكر انتصابه. كان[3] معيناً ليعلى زمن عمر، ثم عزله برجل من أهل الجند يقال له: سعيد بن داذويه[4] فأقام والياً تسعة أشهر ومات عقبها، فبعث معاوية على صنعاء الضحاك بن فيروز المقدم ذكره في عداد الفقهاء، ولم أعلم من كان نائبه على مخلاف الجند.

ثم كانت وفاة معاوية والضحاك والٍ على المخلافين برجب الكائن في سنة ستين وقد بلغ عمره ثمانياً وسبعين سنة.

وكان ألزم الناس للبيعة لابنه يزيد فبايعوا طوعاً وكرهاً، فبعث على اليمن بحير بن ريسان الحميري[5] أحد كرام الولاة، وكانت ولايته ضماناً ضمنها من يزيد بمال يحمله في كل سنة ما بقيت ليزيد ولاية، وكان رجلاً جواداً يأنف أن يُسأل شيئاً قليلاً وربما عاقب سائله، حتى أن رجلاً قصده من الحجاز وامتدحه بشعر منه:

بحير بن ريسان الذي ساد حميرا ... ونائله مثل الفرات غزير
وإني لأرجو من بحير وليدة ... وذاك من الحر الكريم كثير

فغضب عليه بحير وقال: ترحل إليّ من الحجاز لا ترجو إلا وليدة لأؤدّبنك ثم أمر به فضرب أسواطاً وبعث له بعشر ولائد وأحسن جائزته.

ثم إن الحسين استدعاه أهل الكوفة من المدينة فلما صار بالقرب منها قدمها عبيدالله بن زياد[6] بجيش وغلب على المدينة[7] وأخرج العسكر في طلبه فقتل الحسين في عاشر المحرم سنة أربع وستين، وقصته ثانية مصائب المسلمين[8] إذ أولها قتل عثمان، وذلك أن المسلمين استضيموا في قتلهما علانية. قاله ابن حزم: «وقام[9] ابن

---

(١) انظر قرة العيون ج١ ص٩١.
(٢) كذا في ابن جرير الصنعاني والذي تقدم هو سعيد بن عبدالله بن عاقل الكندي وبشير هذا ولده.
(٣) في الأصلين وكان معقباً ليعلى، وفيما تقدم وكان معيناً وهذا هو الأصح.
(٤) كذا في ابن جرير الصنعاني.
(٥) انظر ترجمة يزيد بن معاوية وبحير بن ريسان في «قرة العيون» ج١ ص٩٤ وترجمنا ليزيد في الإكليل ج١.
(٦) كذا في «ب» وفي «د» ابن زياد عبيدالله.
(٧) أي الكوفة.
(٨) كذا في الأصلين وفي «ب» الإسلام وخرومه.
(٩) في الأصلين وقال وهو غلط وفي «ب» استدعاه أهل مكة وهو غلط.

الزبير في سنة أربع وستين لمضي ثلاثة أشهر منها واسمه عبدالله وكنيته أبو بكر، وكان في أيام يزيد تخليط كثير، ولم يكن من الحسين ولا من ابن الزبير هذا بيعة، فقتل الحسين كما قدمنا وغزا المدينة فقتل بها خلقاً كثير[1] من المهاجرين والأنصار حتى لم يكد يبقى بها أحد منهم وهي تسمى غزوة يوم الحرة[2] وكانت ثالثة من وقائع الإسلام وخرومه لأن أفاضل المسلمين وبقية الصحابة وأخيار التابعين رضي الله عنهم قتلوا ذلك اليوم في الحرب صبراً وظلماً وعدواناً، وجالت الخيل في مسجد رسول الله ﷺ وراثت وبالت في الروضة بين القبر والمنبر ولم تُصَلّ جماعة في مسجد رسول الله ﷺ تلك الأيام ولا كان به أحد حاشا ابن المسيب، فإنه لم يفارق المسجد ولولا شهادة مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان له أنه مجنون عند مقدم الجيش وهو مجرم بن عقبة لقتله وبايع مجرم المسمى مسلم الناس ليزيد على أنهم عبيد له إن شاء باع وإن شاء أعتق، وذكر له بعضهم أنه يبايع على كتاب الله وسنة رسوله[3] فأمر بقتله صبراً ونهبت المدينة ثلاثة أيام ومات مجرم بعد أن خرج من المدينة بأيام ومات يزيد بعد ذلك بأقل من ثلاثة أشهر، وأزيد من شهرين، وذلك في نصف ربيع الأول سنة أربع وستين، مدته ثلاث سنين وثلاثة أشهر.

وقد صار الأمر لابن الزبير بالحجاز واليمن وخراسان على بيعة ابن الزبير حاشا شرذمة من الأعراب بالأردن فوجّه إليهم ابن الزبير مروان[4] بن الحكم. فلما ورد الأردن خلع ابن الزبير فكان أول من شق عَصا المسلمين بلا تأويل ولا شبهة، وبايعه أهل الأردن، وخرج على ابن الزبير وقتل النعمان بن بشير أول مولود في الإسلام من الأنصار صاحب رسول الله ﷺ بحمص[5] وتغلب على مصر والشام فمات بعد عشرة أشهر من ولايته فقام ابنه عبدالملك مقامه وبقيت فتنة حتى قوي أمره، وبعث الحجاج لابن الزبير فحاصره ورمى البيت بالحجارة والمنجنيق[6] فقتل ابن الزبير بالمسجد

(١) كثيراً من «ب».

(٢) الحرة: الحجارة السوداء انظر «الإكليل» ج١، وليست وقعة الحرة غزوة وإنما هي جريمة.

(٣) في «ب» وسنة نبيه.

(٤) في عبارة الأصلين تشويش وأصلحنا ذلك من النسخة المنقطعة في «ب» زيادة ليأخذ بيعتهم وذلك بعد أن بايعه مروان فلما الخ انظر «قرة العيون» ج١ - ٩٥.

(٥) حمص: مدينة كبيرة في شمال الشام انظر «صفة جزيرة العرب» ص٢٧٥، و«معجم البلدان» والذي قتل النعمان بن بشير الأنصاري هم من أهل حمص وكانوا مائلين مع مروان.

(٦) صواب العبارة بحجار المنجنيق.

الحرام، وكان ذلك رابع خرم في الإسلام ومصائبه، لأن المسلمين استضيموا بقتله وصلبه منكّساً، وكانت ولايته تسعة أعوام وشهرين ونصفاً.

وقد ذكرت من كان والياً لليمن أيام يزيد، ولما صار الأمر لابن الزبير كان أول والٍ ولّاه أن بعث بعهده للضحاك بن فيروز مقدم الذكر فلبث سنة ثم عزله بعبدالله بن عبدالرحمٰن بن خالد بن الوليد، فلبث مدة، ثم عزله بعبدالله بن المطلب بن أبي وداعة السهمي[1] فلبث سنة وثمانية أشهر ثم عزله بأخيه خالد بن الزبير[2] فلبث مدة ثم عزله بمغيث بن ذي الثوجم الأوزاعي الذي تقدم ذكره أنه قيل: أنه مولى لوالد عبدالرزاق الفقيه فلبث خمسة أشهر ثم عزل بحنش بن عبدالله الفقيه المقدم الذكر فلبث مدة ثم عزل بقيس بن يزيد السعدي التميمي فلبث سبعة أشهر ثم عزله بأبي النجود مولى عثمان بن عفان فمكث خمسة أشهر ثم أعيد الضحاك الذي ذكرت أولاً ولايته فمكث ستة أشهر ثم عزل بخلاد بن السائب الأنصاري ثم عزل بأبي النجود وفي أيامه قدمت الحرورية[3] إلى صنعاء وذلك سنة إحدى وسبعين (فاضطرب أمر اليمن ولم يزل مضطرباً حتى قتل ابن الزبير كما قدمنا) سنة ثلاث وسبعين.

ثم استقل عبدالملك بالملك، وحين استولى الحجاج على مكة بقتل ابن الزبير بعث على صنعاء أخاه محمد بن يوسف وعلى الجند واقد بن سلمة الثقفي، وعلى حضرموت الحكم بن أيوب الثقفي[4] فأقاموا جميعاً على ذلك سنة ثم عزل واقد وجمع المخلافين لأخيه فلم يزل عليهما إلى أن توفي، ثم توفي عبدالملك في شوال سنة ست وثمانين وكانت مدة استيلائه على اليمن ثلاث عشرة[5] سنة وأربعة أشهر، في غالبها نائبه عليها أخو الحجاج[6].

ثم قام بعد ذلك ابنه الوليد وذلك بعهدٍ له من أبيه، وكان يقظاً في أمور دينه ودنياه، وهو الذي بنى جامع دمشق الذي أجمع أهل المعرفة أنه لم يعرف له نظير في المشرق ولا في المغرب[7] ونسبته إلى بني أمية.

---

(١) كان في الأصلين ابن عبدالمطلب والتصحيح من تاريخ ابن جرير الصنعاني «وقرة العيون».
(٢) في «قرة العيون» والخزرجي عبيدالله بن الزبير.
(٣) الحرورية الخوارج نسبة إلى حروراء موضع بظاهر الكوفة كما تقدم وما بين القوسين من «ب».
(٤) انظر الكلام على هؤلاء عمال عبدالملك وعمال ابن الزبير في «قرة العيون» ج١ ص٩٤، وما بعدها.
(٥) في «د» ساقط لفظ (سنة).
(٦) في «ب» ساقط لفظ (أخو).
(٧) كذا في «ب» وفي «د» من المشرق إلى المغرب.

وكان يصوم يوم الاثنين والخميس وهو أول من صامهما من ملوك الإسلام، وأول من أحدث المارستانات[1] وأول من أجرى الطعام في المساجد لاسيما في رمضان وهو الذي فسح بالحرمين وفي أيامه هلك الحجاج[2] فعلى هذه له مناقب تُعدّ في أيامه رحمه الله وغفر له.

وتوفي الوليد منتصف جمادى الأولى من سنة ست وتسعين، مدته تسع سنين وستة أشهر.

وقام بأمر الناس بعده أخوه سليمان[3] بطريق الوصية من أبيه أيضاً فاستعمل على اليمن عروة بن محمد السعدي فلبث مدة بقاء سليمان في الملك وهو عامان وتسعة أشهر وخمسة أيام ثم استخلف ابن عمه عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم المذكور أولاً، وأمه ابنة عاصم بن عمر بن الخطاب ولي باستخلاف سليمان وهو أحد ملوك الإسلام المعدودين المقتدى بهم في العدل وحُسن السيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواضع والعلم. قال الإمام الشافعي: سئل عن أهل صفين ما تقول فيهم: فقال تلك دماء طهّر الله يدي منها فلا أخضب لسَاني بها، وكان ملكه قوياً من غير عنف، ليّناً من غير ضعف فلم يغيّر على عروة ولايَته باليمن.

ومن عجيب ما حكي أنه قدم عليه نعيم بن سلامة الحميري، وكان أحد أعيان اليمن، فقال له يا نعيم قومك الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾[4] فقال يا أمير المؤمنين قومك أشدّ جهلاً بعث الله إليهم نبيّاً قد عرفوا صدقه وأمانته فقالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[5] هلا قالوا فاهدنا له؟ فتبسّم عمر.

قال ابن حزم: وفضل عمر بن عبدالعزيز أشهر من أن يتكلف ذكره، وتوفي عمر نهار الجمعة لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومئة، مدة ملكه سنتان وأربعة أشهر وخمسة أيام (وسنّه تسع وثلاثون سنة)[6] ولم يكن نائب في اليمن غير عروة كما

---

(١) المارستانات: المستشفيات.

(٢) وفاة الحجاج سنة أربع وتسعين، انظر «قرة العيون» ج١ ص١٠٠.

(٣) ترجمنا للوليد وسليمان وعمر بن عبدالعزيز في «قرة العيون» وكذلك لعبدالملك ومحمد بن يوسف الثقفي، فارجع إلى ذلك أو إلى «مروج الذهب» وغيره.

(٤) سبأ - ١٩.

(٥) الأنفال - ٣٢.

(٦) ما بين القوسين من «د» وساقط من «ب» إلا أنه كان وثلاثين والتصحيح من لدينا.

قدمنا أنه كان نائب سليمان[1] ثم قام بالأمر يزيد بن عبدالملك[2] بعهد سليمان لـه بعد عمر فاستناب يزيد على اليمن مسعود بن عوف الكلبي فلم يزل إلى أن توفي يزيد ليلة الجمعة لأربع بقين من شعبان سنة خمس ومئة، مدة ولايته أربع سنين وشهر واحد.

ثم قام بالأمر بعده أخوه هشام فأمّر مسعوداً على اليمن سنة من ولايته ثم عزله بيوسف بن عمر الثقفي[3] فلبث على المخاليف الثلاثة حضرموت وصنعاء والجند ثلاث عشرة سنة واستقضى على صنعاء الغطريف بن الضحاك بن فيروز الديلمي المقدم ذكر أبيه في الفقهاء والعمال، وجده في العمال.

ثم لما كان في سنة عشرين ومئة وصله كتاب هشام يأمره بأن يستخلف ولده على اليمن ويتقدم العراق لقبض خالد بن عبدالله القسري أمير العراق يومئذٍ ويكون مكانه حتى يأتيه أمره ففعل يوسف ذلك وترك ابنه الصلت مكانه فلبث خمس سنين إلى أن توفي هشام لسبع خلون من ربيع الأول الكائن في سنة خمس وعشرين ومئة ومدة ملكه تسعة عشر عاماً[4].

ثم ولي بعده ابن أخيه الوليد بن يزيد باستخلاف له من أبيه بعد عمه فبعث على اليمن خاله مروان بن محمد بن يوسف الثقفي ابن[5] أخي الحجاج فلم يزل باليمن مدة الوليد وإليه قدمت الفتيا المذكورة أولاً المجموع لها الفقهاء، وكان من أشد بني أمية جبروتاً وعسفاً وظلماً.

وذكر أنه تفاءل يوماً بالمصحف فخرج فأله ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[6] فأخذه وجعله برأس رمح ثم رماه بالنشاب وأنشد شعراً منه قوله:

أتوعد كل جبار عنيد ... فها أنا ذاك، جبار عنيد
إذا وافيت ربك يوم حشر ... فقل يا رب حرقني الوليد[7]

ثم لما تفرق ورق المصحف من شدة الرمي جمعها وأحرقها، وله مخازٍ يطول

---

(١) لفظ أنه كان ساقط من «د» وأثبت ذلك من «ب».
(٢) الكلام على يزيد بن عبدالملك في «قرة العيون» ج١ ص١٥٠.
(٣) انظر ترجمة هشام في «قرة العيون» ج١ ص١٠٦ ويوسف بن عمر الثقفي ج١ ص١٠٧.
(٤) كان في الأصلين تسع عشرة والتصحيح منا ثم وجدته نصاً في النسخة المنقطعة.
(٥) كان في الأصلين (أخا) الحجاج والتصحيح منا وكذا وجدناه في النسخة المنقطعة.
(٦) إبراهيم ـ ١٥.
(٧) المحفوظ (مزقني).

شرحها، ذكر ما أوردناه يدل على أنه فوق ما حكي عنه.

وكانت وفاته مقتولاً لأجل المنكرات التي كان يأتيها، قتله ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبدالملك يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومئة[1] مدته سنة وشهران.

ثم قام بالأمر بعده قاتله يزيد بن الوليد[2] أثنى عليه ابن حزم[3] قال: كان فاضلاً قام مُنْكِراً للمنكر غير أنه نقص الجند عطاءهُم فسُمّي يزيد الناقص، ولما قام استخلف على اليمن الضحاكَ بن وائل السكسكي، واستقضى يحيى بن شرحبيل بن أبرهة[4].

وذكر أنه كان أول ملك في الإسلام نفى القضاء والقدر على المعتزلة[5] وكانت وفاته بالحجة سنة ست وعشرين ومئة، مدته ستة أشهر.

ثم قام بالأمر من بعده أخوه إبراهيم بن الوليد فلبث ثلاثة أشهر ولم يتم له أمر فخلع نفسه وبايع لمروان بن محمد بن مروان بن الحكم المقدم ذكره، فبعث مروان مكان الضحاك عروة[6] فأقام تسعة أشهر بتمامها.

ثم انقضت[7] دولة بني أُمية وذلك بقتل مروان ببوصير من أرض مصر ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومئة مدته خمس سنين وشهر. قال ابن حزم: (وكانت دولة بني أمية على علاتها)[8] دولة عربية لم يتخذوا منها قاعدة ولا أكثروا من احتجان الأموال ولا بناء القصور ولا اسْتَعْلَوْا على المسلمين[9] أن

---

(١) انظر «الإكليل» ج١٠ ص٩٩ من قتل الوليد بن يزيد.

(٢) هو ابن عبدالملك.

(٣) قد تقدمت ترجمة ابن حزم.

(٤) هو الحميري وكذا في ابن جرير الصنعاني.

(٥) كذا في الأصلين ولعل العبارة على رأي المعتزلة إذ لم تظهر المعتزلة بَعدُ.

(٦) في «د» مكانه عروة وزيادة «الضحاك» من «ب» والذي في «قرة العيون» ج١ ص١١١ واستعمل على اليمن القاسم بن عمر الثقفي، وكذلك في الخزرجي وابن جرير الصنعاني، وهذا اضطراب فيمن بعث مروان بن محمد بن مروان إلى اليمن بعد القاسم بن عمر الثقفي فقيل الوليد بن عروة السعدي وقيل عبدالملك السعدي.

(٧) زيادة «وثم» من «ب».

(٨) علاتها أي على الجملة.

(٩) كان في الأصل مع المسلمين والتصحيح من «جمهرة الأنساب» لابن حزم المذكور وقوله احتجان كذا في «ب» وفي «ب» اختزال المعنيان متقاربان.

يخاطبوهم أو يكاتبوهم بالعبودية والمولوية ولا بتقبيل الأرض والأرجل والأيدي، إنما كان غرضهم الطاعة الصحيحة من التولية والعزل في أقاصي البلاد وأدانيها.

ثم انتقل الأمر إلى بني العباس بن عبدالمطلب، كانت دولتهم أعجمية سقطت منها دواوين العرب وغلبت عجم خراسان[1] على الأمر وعاد ملكاً محققاً كسروياً غير أنهم لم يعلنوا سب الصحابة[2] بخلاف ما فعل بنو أمية إذ كانوا يستعملون لعن عليّ حتى جاء عمر بن عبدالعزيز فقطع ذلك وأكّده يزيد بن الوليد.

وأول قائم من العباسيين أبو العباس[3] السفاح واسمه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب وكانت بيعته إلى يده بالكوفة في شهر الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومئة فبعث على الحجاز واليمن عمه داود بن علي بن عبدالله بن العباس (فأقام بمكة وبعث)[4] على اليمن عمر بن عبدالمجيد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي وهو أول من قدم اليمن نائباً للعباسيين، ولما أقام بصنعاء بوّب جامعها ولم يكن له باب.

وكان السفاح كريماً حليماً باراً بأهله وصولاً لرحمه ثم توفي عمه داود بعد مضي خمسة أشهر من قدوم ابن عبدالمجيد صنعاء فبعث أبو العباس السّفاح على اليمن محمد بن عبدالله بن يزيد بن عبدالمدان[5] فقدمها في رجب سنة ثلاث وثلاثين ومئة فأقام بصنعاء وبعث أخاه إلى ثغر عدن فساءت سيرة الكل منهم[6] فأحدث بصنعاء قبائح كثيرة، منها أنه همّ بإحراق المجذومين وأمر أن يجمع لهم الحطب وقال: لو كان بهم خير ما أوقع الله بهم الجذام فمرض أياماً يسيرة ومات قبل أن يحدث بهم شيئاً، ومات أخوه بعدن، يقال كان موتهما بيوم واحد، فكتب أهل صنعاء إلى أخيه بعدن يعلمونه وكَتب أهل عدن إلى أخيه بصنعاء يخبرونه وسار الرسولان فالتقيا وتحادثا وخبّر كل واحد صاحبه بما جاء من العلم فناول رسول صنعاء رسول عدن كتبَه وأخذ منه كتبه

---

(١) تكرر اسم خراسان ولم نذكرها بشيء وضبطها معروف: بفتح الخاء المعجمة والراء آخرها نون ومعناه مطلع الشمس، وهي بلاد واسعة من إيران، وهي اليوم كما قيل تتقاسمها إيران وأفغانستان والاتحاد السوفياتي.

(٢) هذه العبارات من كلام ابن حزم وكان في الأصلين «بسب الصحابة» والتصحيح من «قرة العيون».

(٣) زيادة أبو العباس من «ب» وساقط من «د» انظر ترجمة السفاح في «قرة العيون» ج١ - ١١٨.

(٤) هذه الزيادة من «ب».

(٥) في «قرة العيون» عبدالله بن يزيد الحارثي، وفي ابن جرير الصنعاني كما هنا.

(٦) صوابه منهما.

التي جاء بها ثم قفل كل واحد منهما بكتب صاحبه فحين علم خبرهما السفاح[1] بعث مكانهما عبدالله بن مالك الحارثي فمكث أربعة أشهر ثم عزله بعلي بن الربيع بن عبدالله بن عبدالمدان ابن أخي المذكور[2] أوّلاً فلبث إلى أن توفي السفاح بأحد أيام التشريق من سنة ست وثلاثين ومئة، مدته أربع سنين وثمانية أشهر.

ثم قام بالأمر أخوه أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي بوصية من أخيه، ونازعه عمه عبدالله بن علي[3] منازعة أفضت إلى حروب كبيرة وبايعه على ذلك جمع كثير، وشهد له جماعة أن السفاح شرط له ولاية الأمر بعده إن خرج لقتال مروان، وأنه خرج وتولى قتل مروان ثم لم يزل المنصور يُخادعه ويلاطفه حتى حصل بيده على ذمام وعهود مكينة، فلما حصل بيده سجنه في بيت بني أساسه على ملح وأطلق الماء حوله فسقط فمات هديماً، وقتل أبا مسلم الخراساني[4] القائم بالدولة العباسية.

وكان بخيلاً مبخلاً فظاً غليظاً على الأمة وعلى أهله أشد، وهو أول من أوقع الشر بين الطالبيين والعباسيين، وقتل من الطالبيين جمعاً كثيراً وكان حسوداً، وهو أول من ولي القضاء بنفسه لم يَكِلْهُ إلى أحد غيره، وأول من قرب المنجّمين[5] وأول من ترجمت له الكتب من الفارسية إلى العربية ككتاب كليلة ودمنة وكتاب السند هند[6] وكتب أرسطا طاليس[7] وسائر كتب الفلسفة من اليونانية والرومية والفارسية والسريانية[8]، وفي أيامه وضع محمد بن إسحاق المكي كتب المغازي والسير وأخبار مبتدأ الخلق ولم تكن قبل ذلك مجموعة، وبنى بغداد وجعلها دار ملك، ولم يصر إليه الأمر إلا وقد نظر في العلوم وتتبع المذاهب وارتاض في الآراء وكتب الحديث، وفي أيامه كثرت روايات الناس واتسعت علومهم.

هذا جملة ما لاق ذكره من أحواله ملخصاً منقولاً من التواريخ.

---

(١) كذا في «ب» وفي «د» خبريهما السفاح، وقفل رجع.
(٢) كذا بالإفراد في «د» وفي النسخة المنقطعة وفي «ب» المذكورين بلفظ التثنية.
(٣) ترجمنا له في مفيد عمارة ص٢٩، وكانت وفاة عبدالله بن علي سنة سبع وأربعين ومئة.
(٤) أبو مسلم اسمه عبدالرحمٰن بن مسلم وكان يقال له: صاحب الدولة ترجمته في «الوفيات» ج٢ ـ ٣٢٤ وكان قتله سنة سبع وثلاثين ومئة وأخباره في ابن جرير الطبري وتاريخ الموصل وغيرهما.
(٥) في «ب» زيادة: وعمل بأحكام النجوم وأول من استنتاب مواليه وقدمهم على العرب.
(٦) هذه كتب مشهورة معروفة ومطبوع بعضها.
(٧) عالم يوناني مشهور مترجم له في فهرست ابن النديم.
(٨) السريانية لا زالت محتفظة عند أهلها في العراق كتابة ونطقاً وفيها مؤلفات.

ثم نرجع حينئذ إلى ذكر ولايته باليمن فقام بالأمر واليه من أخيه علي بن الربيع عزله بأخيه عبدالله[1] فمكث أربع سنين ونصفاً ثم عاد العراق واستخلف ابنه فمكث سنة وثلث سنة ثم عزل بمعن بن زائدة. ولما كان من أعيان الكرام أحببت رفع نسبه وإيراد بعض ما لاق من أحواله: فهو معن بن زائدة بن مطر بن شريك بن عامر بن همام بن مرّة الربعي الشيباني[2] قدم صنعاء والياً لمخلافها ومخلاف الجند فبعث أخاه، وقيل: ابن عمه، والياً على الجند فسكن قرية من قراها الخارجية قد صارت خراباً وكانت تعرف بالزريبة قبلي الذنبتين[3] قرية هي على ربع مرحلة من الجند من جهة القبلة، وضبط الزريبة بزاي مفتوحة مشددة بعد الألف واللام ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ثم هاء، والذنبتين[4] منها جماعة من أعيان الفقهاء ـ فساءت سيرة خليفة معن على أهل مخلاف الجند بحيث شاء منهم الحليلة[5] واحتقرهم وصار مولعاً بإذلالهم.

من جملة ما ذكر عنه أنه كانت لا تُزفّ امرأة إلى بعلها حتى تُعرض عليه وربما وقع بها فأوقعه الله مع من يقول بقول ابن كلثوم[6]:

متى كنا لأمك مقتوينا

يخاطب عمرو بن هند، فقتله[7].

فحين بلغ معن ذلك غزا الجند ونواحيها، وأخرب القرية المذكورة التي قتل بها، وهي على ذلك خراب إلى عصرنا، وقتل من أهل القرية نحو الألفين، وكان إذا

---

(١) كذا في الأصلين، ومعناه أن المنصور أبا جعفر أقرّ على ولاية اليمن عليّ بن الربيع الذي كان والياً من أخيه السفاح، وفي النسخة المنقطعة «فترك المنصور عليّ بن الربيع على اليمن مدة ثم عزله بأخيه عبدالله فمكث أربع سنين ونصفاً»، وهذه العبارة أوضح، وفي ابن جرير الصنعاني: «فبعث أبو جعفر المنصور عبدالله بن الربيع بن عبيدالله بن عبدالله بن عبدالمدان الحارثي على اليمن فأقام بها وقتاً ثم خرج ويقال: إنه أقام أربع سنين ونصفاً». انظر «قرة العيون» ج١ ص١٢٠.

(٢) تقدم ذكر معن.

(٣) الذنبتين لا زالت عامرة ويأتي ضبطها ووصفها، وأمَّا الزريبة فهي خراب اليوم.

(٤) كان القياس والذنبتان إلا إذا أراد الحكاية.

(٥) بعد مغاناة لفهم الكلمتين أخرجناها كما ترى: شاء منهم الحليلة: الزوجة.

(٦) هو عمرو بن كلثوم التغلبي أحد شعراء المعلقات التسع: جاهلي قديم ونصف البيت هذا من قصيدته المعلقة وأول البيت «تهددنا وتوعدنا رويداً» والمقتوون: الخدم، وقوله مع من تقول بقول كذا في الأصلين.

(٧) كذا في «ب» وفي «د» فقتلوه والأول أصح أي أن عمرو بن كلثوم قتل عمرو بن هند، وعمرو بن هند هو من ملوك لخم، نسب إلى أمه هند بنت حجر الكندية انظر «الأغاني» وغيره.

خوطب بالكفّ عن القتل قال: «لا أكفّ حتى أقتل ألفين» ثم ينشد:

إذا تـمت الألـفــان كــادت حــرارة على الصدر من ذكرى سليمان تبرد[1]

ولم يكن له ما يذم به غير هذه الغزاة وقتل من قتل بها ولم يقنعْ بذلك حتى غوّر مياهاً كانت بقاع الجند منها الماء الموجود في محارث اليهاقر وغيره ومنها أنه ألزم الناس لبس الثياب المصبغة بالنيل[2] وترك شعورهم منشورة فصار ذلك لهم عادة حتى صاروا يعدونه جمالاً وزينة لعدم عهدهم بذلك ومعرفتهم له، وكان أحد شجعان العرب وفتّاكيها، ويُعدّ من المخضرمين، أدرك الدولة الأموية وقاتل ورأس فيها، ثم أدرك الدولة العباسية فقاتل فيها قتالاً عظيماً[3].

ويحكى من كرمه أخبار يطول شرحها ما خيّب أملَ من أمله[4] ولا علم بدخول أحد من الأعيان صنعاء ولم يقصده إلا أنف من ذلك، وربما عاقب فاعله، ودخل سفيان الثوري صنعاء في أيامه فوجده خارجاً عن صنعاء وقد علم حاله وأنه علم قصد دخول اليمن دون قصده فساءه ذلك فسلّم عليه وسأله أين تريد فقال له: دين أثقلني فقصدتك فأسف أن لا يكون أدركه بصنعاء ثم كتب له إلى ابنه زائدة بألف دينار فأخذ سفيان الصك ودخل صنعاء وقضى حاجته بها ثم خرج ولم يجتمع بزائدة، (ولا قدم معن من سفره حتى قد خرج سفيان عن[5] صنعاء) وحين دخل سأل ولده عنه فقال لم أره ولا الخط الذي كتبت له، فقال معن خدعني سفيان.

وبعد ست سنين من إقامته باليمن كتب إليه المنصور باستخلاف ولده باليمن والوصول إليه ففعل ذلك، وحين قدم عليه وجّهه إلى خراسان لقتال الخوارج بها، فلبث فيها ثلاث سنين وابنه باليمن كذلك، ثم قتل بخراسان سنة أربع وخمسين ومئة فحينئذ بعث المنصور الحجاج بن منصور على اليمن فأقام مُدَيْدة ثم عُزل بالفرات بن سالم العبسي فلبث ثلاث سنين، ثم عزل بيزيد بن منصور[6] فلبث خمس سنين ومات المنصور قاصداً الحج في شهر ذي الحجة الكائن في سنة ثمان وخمسين ومئة في بئر

---

(١) كان أخو معن أو ابن عمه اسمه سليمان كما في هذا البيت، وفي ابن جرير الصنعاني نصّاً باسمه.

(٢) كانت موجودة وإلى حدود السبعينات وما بعدها وقد ذكرناه في التاريخ الاجتماعي.

(٣) وذلك يوم الهاشمية انظر «الوفيات» ج٤ ص٣٣١.

(٤) ما خيب أمل من أمله «زيادة أمل» من النسخة المنقطعة ومن الأصلين ساقط.

(٥) ما بين القوسين من الأصلين وفيه ارتباك أما النسخة المنقطعة فغير موجودة هذه الجمل.

(٦) انظر ترجمته في «قرة العيون» ج١ ص١٢٣ وانظر ترجمة المهدي ص١٢٤ وغيرها.

ميمون[1] على مقربة من مكة ودفن هنالك. ومدته اثنتان وعشرون سنة.

ثم ولي الأمر بعده ابنه أبو عبدالله محمد بن عبدالله الملقب بالمهدي باستخلاف أبيه له فأقرّ خاله يزيد بن منصور سنة، ثم كتب إليه أن يستنيب عن اليمن ويقدم مكة ليقيم الحج للناس فاستخلف عبدالخالق بن محمد الشهابي[2] وخرج إلى مكة في شوال سنة تسع وخمسين ومئة فأقام الحج ثم توفي في منتصف الحجة فبعث المهدي مكانه رجا بن سلام بن روح بن زنباع الجذامي[3] فلبث باليمن سنة ثم عزل بعلي بن سليمان[4] فلبث سنة وخمسة أشهر واستناب واسع بن عصمة وقفل إلى بغداد فلبث نائبه أحد عشر شهراً ثم عزل بعبدالله بن سليمان[5] فلبث سبعة أشهر ثم عزل بمنصور بن يزيد بن منصور الحميري فمكث سنة ثم عزل بسليمان بن يزيد بن عبيدالله بن عبدالله[6] بن عبدالمدان الحارثي فمكث سنة وعشرة أشهر ثم توفي المهدي في المحرم أول سنة تسع وستين ومئة بعد أن استخلف ابنه الهادي[7] وكانت ولايته عشر سنين وشهراً فقام الهادي واستخلف على اليمن عبدالله بن محمد بن إبراهيم الزينبي[8] فمكث سنة ثم عزل بإبراهيم[9] فلبث أربعة أشهر، وتوفي الهادي فجأةً منتصف ربيع الأول سنة سبعين ومئة ومدته عام وشهران.

ثم قام بعده أخوه هارون الملقب الرشيد[10] باستخلاف أبيه له كما قدمنا فبعث على اليمن الغطريف بن عطاء وكان ابن خاله[11] فلبث بها ثلاث سنين وسبعة أشهر ثم خرج منها بعد أن استخلف عباد بن محمد الشهابي فبعث الرشيد مكانه الربيع بن

---

(١) انظر الكلام على بئر ميمون ووفاة المنصور في «الإكليل» ج٢ ص٣٣.

(٢) عبدالخالق بن محمد الشهابي، لم أجد له ترجمة ولم يذكره الهمداني في الجزء الأول في نسب بني شهاب، وإنما الموجود عبد الخالق بن أبي الطلح الشهابي الشاعر المشهور.

(٣) انظر «قرة العيون» ج١ ص١٢٥.

(٤) راجع «قرة العيون» ج١ - ١٢٥.

(٥) أي أخي علي بن سليمان العباسي.

(٦) في تاريخ ابن جرير الصنعاني تقديم عبيدالله وعليه صححنا، على أن في ابن جرير قبل سليمان بن يزيد - عبدالله بن سليمان الموصلي على اليمن سنة ست وستين ومئة ومكث سنة.

(٧) ترجمنا لموسى الهادي في «قرة العيون» ج١ ص١٢٦.

(٨) عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن محمد الزينبي وهو ابن بنت سليمان بن علي.

(٩) هو إبراهيم بن سليمان الباهلي من ولد قتيبة بن مسلم الباهلي المشهور.

(١٠) ترجمنا له في «قرة العيون» ج١ ص١٢٧.

(١١) انظر «قرة العيون» ج١ ص١٢٨ وأنه خال الرشيد لا ابن خاله كما هنا ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د».

عبدالله بن عبدالمدان الحارثي فمكث سنة.

وفي أيامه حصل الثلج بصنعاء ولم يكن حصل من قبل ذلك، ثم عزل بعاصم بن عيينة الغساني فلبث فيه سنة ثم عزل بأيوب بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس فلبث سنة ثم ولي الربيع المذكور أولاً وجعل معه العباس بن سعيد فلبثا سنتين، ثم عُزلا بمحمد بن إبراهيم الهاشمي، ثم عزل بولده العباس بن محمد فساءت سيرته وقبحت آثاره فشكاه الناس، وحج الرشيد تلك السنة فشكاه أهل اليمن إليه بمكة فعزله بعد ستة أشهر، بعبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام[1] فلبث سنة ثم عزل بأحمد بن إسماعيل بن علي بن عبدالله بن طلحة بن أبي طلحة فلبث سنة كان فيها تخليط عظيم باليمن، ثم عزل بمحمد بن خالد بن برمك أخي يحيى بن خالد بن برمك[2] فقدم صنعاء في جمادى سنة ثلاث وثمانين وكان يسكن منكث[3] أيام جباية الخراج وإليه مخلاف صنعاء والجند، فكان من أخير الولاة القادمين اليمن عدلاً ورفقاً وحسن سيرة وعدالة في الرعية مرضيّة، وكان يحب بقاء الذكر والثناء على طريق أهله، ولأجل فعلهم فقال فيهم الشاعر[4]:

إن البرامكة الذين تعلموا كرم النفوس وعلّموه الناسا

وببركة أفعالهم تلك ختم لهم بالشهادة، وأحدث هذا محمد في صنعاء ان جر الغيل إليها الذي يعرف بالبرمكي[5] قَدّم ميمه على بائه مجاز له من باب التقديم والتأخير[6] ثم لما فرغ من عمارته جمع أهل صنعاء وأقسم لهم الإيمان المغلظة أنه لم

---

(١) انظر «قرة العيون» ج٢ ص١٢٩ وكذا الخزرجي.

(٢) كذا في ابن جرير الصنعاني والنسخة المنقطعة، وفي «قرة العيون» ج١ ص١٢٩ والخزرجي محمد بن برمك.

(٣) منكث كانت إحدى مدن اليمن النجدية ذكرها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص٧٩ و«الإكليل» ج٢ ص٦٥.

(٤) في هامش «د» هو الحسن بن هاني، وهذه الأبيات الثلاثة قال ابن خلكان: والحسن المذكور مرّ بديارهم خالية بعد النكبة فكتب الأبيات على بعض الحيطان:

كانوا إذا غرسوا سقوا وإذا بنوا لا يهدمون لما بنوه أساسا
وإذا همو وضعوا الصنيعة في امرىء جعلوا لها طول البقاء غراسا

(٥) انظر «قرة العيون» ج١ ص١٢٩ - ١٣٠.

(٦) في «ب» المبركي ولعله أراد أن الغيل مبارك.

يصرف في جرّه شيئاً من مال السلطان ولا من مال حرام ولا شبهة ثم وقفه على المسلمين وببركة ذلك هو مستمر إلى عصرنا سنة أربع وعشرين وسبعمئة[1].

وبنى مسجداً بصنعاء عند سوق اللسانين[2] قال الرازي: أدركته خراباً قال كان هذا محمد بن خالد كثير الصدقة في جميع أحواله بحيث أنه كان إذا ركب حمل الدراهم في كمه وكل من سأل شيئاً أناله، وكان في إصلاح الطريق إلى مكة أمان وعمارة وكان شديد التفقّد على الرعيّة. يحكى أنه خرج يوماً إلى سواد صنعاء[3] فوافى أهله[4] وعليهم ثياب الصوف الأسود التي تسمى شمالاً[5] وظنهم سؤّالاً فقال لخدمه[6] تصدقوا على هؤلاء المساكين فقيل له: هؤلاء الرعيّة الذين تأخذ منهم الأموال فقال: ما ينبغي أن يؤخذ منهم شيء ثم إنهم بطروا، وأرادوا الخروج عليه.

وأما أهل تهامة خصوصاً عك فخرجوا عن طاعته فكتب إلى الرشيد يشكوهم فبعث مكانه مولاه حماد البربري[7] وقال له أسمعني أصوات أهل اليمن فلما قدم عاملَهم بالعسف والجبروت وقتل من رؤسائهم جماعة وشرد جمعاً في البلاد حتى دانوا وأطاعوا بالخراج المعتاد وزيادة عليه ما أراده، وأمنت الطرق في أيامه أماناً لم يكد يعهد مثله، حتى أن الجلب كان يسير من اليمامة إلى صنعاء لا يخشون عاسفاً ومن جملتهم يصلون بالأغنام في عنق كل شاة مخلاة مملوءة تمراً فتبتاع بالرخص، وأخصب اليمن في أيامه خصباً لم يعهد، ورخصت الأسعار غير أن الناس تعبت منه من شدة العسف فلما حجّ منهم من حج شكوه إلى الرشيد في بعض حجّاته فلم يشكهم وأغلظوا على الرشيد الكلام فلم يجبهم حتى أنهم قالوا إن كان لك بحماد طاقة فاعزله عنّا فلم يلتفت ولم يزل حماد على اليمن حتى توفي الرشيد وذلك مستهل جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومئة.

فقام بالأمر بعده ابنه الأمين محمد[8] باستخلافه له فلبث حماد على اليمن سنة

---

(١) واليوم قد انقطع بتاتاً، وانظر «الإكليل» ج١ ص٥٢٧.
(٢) اللساسين بسينين ثاني الحروف ورابعها ويقال أن المسجد قرب مسجد الخراز.
(٣) هو ما يسمى اليوم سواد حزيز جنوب صنعاء.
(٤) كذا في «ب» وفي «د».
(٥) الشمال بكسر الشين المعجمة: جمع شملة معروفة وهو إزار ينسج من صوف الغنم أو وبر الإبل.
(٦) في الرازي لحفدته.
(٧) انظر الكلام على البربري في «قرة العيون» ج١ ص١٣١ و«الوثائق السياسية» ص٢١٩.
(٨) انظر ترجمته في «قرة العيون» ج١ ص١٣٦.

بعد موت الرشيد ثم عزله الأمين، بمحمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي[1] فلما قدم اليمن صادر عمال حماد وأخذ منهم أموالاً وحسنت سيرته بالرعية وأحبّه أهل اليمن وبعد سنة عزله الأمين بمحمد بن سعيد بن السرح[2] فلبث ثلاث سنين ثم عُزل بجرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي الصحابي[3] وفي أيامه قدم طاهر بن الحسين[4] بغداد من المأمون فقتل الأمين في المحرم سنة ثمانٍ وتسعين ومئة، ووجه إلى اليمن نائباً عن المأمون[5] يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبدالله القسري[6] فقبحت سيرته باليمن فبلغ ذلك المأمون[7] فكتب إلى عمر بن إبراهيم بن واقد بن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب[8] بولاية اليمن وهو إذ ذاك يسكن مع أخواله بني أرحب بظاهر بلد همدان وهم بطن منهم[9].

قال ابن جرير[10] وهم يعرفون بالسلمانيين فحين بلغه الكتاب دخل صنعاء وقبض على يزيد وصادره بمال جزيل وسجنه فمات في السجن عقيب ذلك[11].

ولما تمت له سنة في الولاية عزله المأمون بإسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس فلبث سنة ثم استناب ابن عم له اسمه القاسم بن إسماعيل وسار إلى مكة حين بلغه خروج المبيضة قائدهم إبراهيم بن موسَى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[12] وهو أول طالبي أقام الحج سنة اثنتين ومئتين، وتغلب على مكة وكان سفاكاً للدماء، قتل خلقاً

---

(١) انظر «قرة العيون» ج١ ص١٣٦.
(٢) هو الكناني من الأردن.
(٣) الصحابي هو جرير بن عبدالله البجلي الصحابي المشهور. وراوي حديث المسح على الخفين.
(٤) ترجمنا لطاهر بن الحسين الخزاعي في «قرة العيون» ج١ ص١٣٨ وكتب الأدب مملوءة بأخباره.
(٥) انظر الكلام على المأمون في «قرة العيون» ج١ ص١٣٧.
(٦) ترجمنا ليزيد هذا في «قرة العيون» ج١ ص١٣٩ وفي «الإكليل» ج٢ ص١٥٢، ولم يكن أقبح سيرة منه وإنما هو الغش والخديعة وقد بيّنا ذلك فيما ذكرنا.
(٧) في النسخة المنقطعة فاستقل أخوه المأمون.
(٨) زيادة إبراهيم من تاريخ ابن جرير الصنعاني ومن جمهرة ابن حزم ص١٥٤، وكذا في «قرة العيون» ج١ ص١٤١ والخزرجي.
(٩) كذا في الأصلين وعبارة ابن جرير الصنعاني الذي ينقل عنه الجندي «وأخواله أرحب من همدان بطن يقال لهم السلمانيون».
(١٠) هو الصنعاني والسلمانيون من سفيان، انظر «الإكليل» ج١٠ ص٢١٨.
(١١) هذه رواية بن جرير الصنعاني، وفي الخزرجي بخلاف هذه الرواية وقد حققنا هذا في تاريخنا.
(١٢) المبيضة هم الذين يلبسون البياض شعار العلويين، والمسودة الذين يلبسون السواد وهو شعار العباسيين، انظر «قرة العيون» ج١ ص١٤٤ الكلام على الجزار و«الإكليل» ج٢ ص١٣١.

من المكيين وغيرهم حتى قال المسعودي: كان إبراهيم هذا ممن سعى في الأرض الفساد، وكانت إقامته بمكة على شبه اللائذ، وكل ما قدم سفر من بلد بايعهم لنفسه ومن أبى قتله فتخشى المأمون منه تخشياً كثيراً فخادعه باستخلافه على اليمن (فقدم اليمن)[1] ونائب المأمون يومئذ محمد بن ماهان المقدم ذكره أنه قتل عبدالملك الفقيه الذماري فحاربه إبراهيم حروباً كثيرة كانت العاقبة فيها لإبراهيم بحيث أسر ابن ماهان[2] قال ابن جرير[3] وكان مبلغ ولاية ابن ماهان لليمن سنتين وسبعة أشهر وستة أيام وأقام باليمن ولم يزل به يخطب للمأمون ويظهر الطاعة حتى كان سنة ثلاث عشرة ومئتين[4] قدم أحمد بن عبدالحميد مولى المأمون[5] فلبث سنة بصنعاء ثم نزل الجند، وكان إبراهيم بن أبي جعفر ذي المثلة المناخي قد تغلب على جبل ثومان[6] وهو رجل من أولاد ذي المثلة الحميري ثم من ولد ذي مناخ[7] ومن ذريته قوم تقاة إلى عصرنا يعرفون بالسلاطين سلاطين «قياض» بيت عز قديم وكرم عميم وتغلب مع ثومان على جبل ريمة المعروف بريمة المناخي[8] نسبة إلى جده وهو بفتح الثاء المثلثة وسكون الواو وفتح الميم ثم ألف ونون، كأنه تثنية ثوم، وتغلب على غالب مخلاف جعفر، وكان هذا يذكر بالجبروت والعسف، فلما قدم ابن عبدالحميد صنعاء ودانت له وكان إليه مخلاف الجند نزل الجند[9] وعزم على حرب المناخي فقصده إلى بلده بعسكر

---

(١) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د».

(٢) كان قدوم الجزار إبراهيم بن موسى اليمن يوم السبت لثلاث بقين من صفر سنة مئتين ونائب المأمون هو إسحق بن موسى العباسي الذي فر وهرب قبل وصول الجزار ولم يكن محمد بن ماهان نائباً عند وصول الجزار وإنما جاء بعده والهزيمة حلت بإبراهيم الجزار وأصحابه لا بابن ماهان ولا أسر ابن ماهان ولا شيء من ذلك كما في الخزرجي و«قرة العيون» وابن واضح ج٤ ص١٥١ فما هنا وهمٌ وخطأ.

(٣) هو الصنعاني.

(٤) طوى المؤلف كثيراً من ولاة اليمن بعد ابن ماهان. انظر «قرّة العيون» ج١ ص١٤٦ وص ١٤٧، ولا أصل أن إبراهيم كان يخطب للمأمون، وفي ابن واضح ج٤ ص١٥٥ أن هذه الحادثة التي حكاها المؤلف مع أحمد بن عبدالحميد كانت سنة اثنتي عشرة.

(٥) كان يلقب أبا الرازي.

(٦) يفقد الجندي ملكة تساوق الكلام ونظامه فبينما كان من حقه أن يضبط جبل الثومان عقب ذلك إذ يؤخره إلى ما بعده حتى يظن القارىء أنه ضبطٌ لذي المناخ، وجبل الثومان لا زال يحتفظ باسمه إلى يوم الناس هذا، وهو غرب مدينة ذي السفال بمسافة خمس ساعات ومن أعمالها.

(٧) وذي مناخ بضم الميم آخره خاء معجمة وقياض تقدم ذكره وضبطه.

(٨) ريمة المناخي يحتفظ باسمها لهذه الغاية وهو حصن منيع فيه آثار عظيمة كما بلغني ويقع غربي المذيخر بينهما مزارع وقرى.

(٩) انظر إلى عدم السبك.

جرار فحين تورطوا بلاده وهي وعرة باغتهم الحرب فكسرهم وقتله مع عدة من عسكره وذلك لستٍ بقين من شعبان سنة أربع عشرة ومئتين ثم هرب ابن أخت لـه إلى صنعاء فيمن سلم من العسكر ولبث هذا إبراهيم إلى أن دخل رمضان وغزا الجند فنهبها وأخرب غالبها واحترم الجامع ومن دخله لم يتعرض له كما فعل ابن مهدي على ما سيأتي إن شاء الله.

فذكر الرازي[1] أنه استضاف إلى المسجد قوم عميان وضعف[2] وأغلقوا عليهم أبوابه ومعهم منيحة عنز[3] فلما كان ذات ليلة إذ رأوا رجلاً مستضيئاً فلما أخذ العنز ومسح ظهرها وقربها من حوض ماء فسقاها فحملت ثم وضعت توأمين ثم صارت إلى السلف[4] فهي أفضل البلاد معزى إلى وقتنا، وحين بلغ الخبر المأمون بعث إلى اليمن إسحاق بن موسى المذكور أولاً فقدم صنعاء سنة خمس عشرة ومئتين فأقام بها سنة وتوفي بعد أن استخلف ولده فلم يكد يصفو لهاليمن وحصل بينه وبين أهل صنعاء شقاق أفضى إلى قتال قتل به جماعة من أهل صنعاء ثم انهزم إلى ذمار فعزله المأمون بعبدالله بن عبيدالله بن العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب[5] فقدم في المحرم سنة سبع عشرة فلم يزل به إلى ثماني عشرة ومئتين في رجب منها فمات المأمون فيه واستمر عبدالله إلى شوال.

وقد قام بالأمر بعد المأمون أخوه المعتصم[6] وذلك بالعهد من أبيهم الرشيد ثم استخلف على اليمن عباد بن الغمر بن عباد الشهابي[7] فلبث سنة عشرين ومئتين ثم عزله بعبدالرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس فلبث إلى سنة خمس وعشرين ومئتين ثم عُزل بجعفر بن دينار مولى المعتصم ثم عزل بإيتاخ مولاه[8]

---

(١) في الرازي ص٢١١ واستضافوا من الضيافة.

(٢) كذا في الأصلين.

(٣) المنيحة: هي الشاة أو العنز أو غيرهما تترك للحلب تمنح أهل البيت، وفي أمثال مدينة إب «منيحة ولا ذبيحة».

(٤) السلف ينطق به أهله بفتح السين المهملة وسكون اللام آخره فاء، وهو عدة أماكن أشهرها لذلك التاريخ هو الواقع في مخلاف حمر ماوية ثم في الصرادف: سورق الواقع شرقي تعز.

(٥) صححنا نسبة هذا العباس من «الإكليل» ج١ ص٤٧٢ ومن «صفة جزيرة العرب» ص ٤٤٠. وكان الهمداني يسميه صاحب الزيمة «ومن جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ٢٣، أما في الأصول و«قرة العيون» والخزرجي فغلط.

(٦) انظر «قرة العيون» ج٢ ص١٤٩.

(٧) انظر الكلام على عباد بن الغمر في «الإكليل» ج١ ص٤٤٧.

(٨) ترجمة المذكور في «قرة العيون» ج١ ص١٥١ وما بعدها.

أيضاً فلبث يسيراً ثم كانت وفاة المعتصم بربيع الأول سنة ست وعشرين ومئتين ومدته ثماني سنين ثم قام ابنه الواثق[١] فتظاهر بالقول بخلق القرآن[٢] ودعا الناس إليه وكان القائم بالحِجَاج فيه والدعاء إليه ابن أبي دؤاد[٣] وعاقب الواثق على القول بعدم خلق القرآن جمعاً كثيراً فعزل إيتاخ بجعفر بن دينار مولى المعتصم فقدم صنعاء وقد ظهر يعفر بن عبدالرحمن[٤] في أيام إيتاخ فحاربه مراراً[٥] وحصل الصلح بينهما ثم وصل خبر الواثق[٦] وكانت وفاته لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، مدته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً. واختلف هل مات على القول بخلق القرآن أم لا، فالذي ذهب إليه الأكثر أنه مات على ذلك.

ثم قام بالأمر بعده أخوه المتوكل أبو الفضل جعفر بن محمد فنهى الناس عن الخوض في علم الكلام وترك الكلام في خلق القرآن وتعدّى ذلك إلى النهي عن الخُلف[٧] والجدل حتى في النحو حَسْماً للمادة، وأقرّ اليمن مع جعفر مولى أبيه أياماً ثم بعث حمير بن الحارث[٨] فلم يتم له أمر مع يعفر بل حاربه وقوي عليه حتى عاد العراق هارباً واستولى يعفر على صنعاء والجند ومخاليفهما.

هذا ذكر ما كان في مخلافي صنعاء والجند دون مخلاف تهامة فإنه في سنة أربع ومئتين استولى عليه[٩] آل زياد وكان من خبرهم فيما ذكر عمارة الفرضي المذكور[١٠] أنه

---

(١) اسم الواثق هارون بن المعتصم محمد بن هارون الرشيد، انظر «قرة العيون» ج١ ص١٥٣.

(٢) أول من قال بخلق القرآن وعذّب الناس هو الخليفة المأمون عبدالله، انظر ابن جرير الطبري وسواه.

(٣) ابن أبي داود هو أحمد بن أبي دؤاد ينتهي نسبه إلى إياد بن نزار أحد رجال الدولة العباسية وكان فصيحاً بليغاً منطقياً واشتغل بعلم الكلام فبرز فيه واتصل بالخليفة المأمون والمعتصم وبولده الواثق وكانت وفاته سنة أربعين ومئتين وكان قد طال عمره. انظر «الوفيات» ج١ ص٦٣، فقد أطال في ترجمته وأجاد.

(٤) قد تقدم ضبط كلمة يعفر، وكان ظهور يعفر بن عبدالرحمن في سنة أربع عشرة ومئتين في قول الهمداني ج٢ ص٧٢. وفي سنة عشرين في قول ابن سعد، انظر «الإكليل» ج٢ ص٧١ ـ ٧٢، و«صفة جزيرة العرب» ص٢٣١.

(٥) إيتاخ لم يخرج اليمن وإنما أرسل نوابه وهو بكسر الهمزة وسكون الياء المثناة من تحت ثم تاء مثناة من فوق والواو وخاء معجمة انظر ترجمته في «قرة العيون».

(٦) كذا في الأصلين وهو وفاة الواثق وفي الخزرجي: وعاد إلى صنعاء فأقام بها إلى أن توفي الواثق، وفي النسخة المنقطعة ثم تصالحا ثم توفي الواثق وليس في ابن جرير هذا.

(٧) الخلف يعني الخلاف.

(٨) في ابن جرير الصنعاني «حميرورة» بن الحارث ولعله غلط من الكاتب.

(٩) استولى عليه أي القطر التهامي.

(١٠) لقب عمارة بالفرضي لأنه حل مسألة فرضية استعصت على فقهاء عصره، انظر مقدمة عمارة بإخراجنا ص٢٧ وص٢٢٤ من المتن.

قدم على المأمون كتاب من عامله[1] باليمن وذلك سنة اثنتين ومئتين يخبره بخروج الأشاعر وعك في تهامة[2] فقال المأمون لوزيره الفضل بن سهل[3] انظر لنا من نوجِّه إلى اليمن يَسدّ خِلَلَهَا فأثنى على ثلاثة رجال قد وشي إليه بهم وهمّ بقتلهم ثم عفا عنهم. وبيان ذلك أنهم لما حضروا مجلسه[4] بتاريخ سنة تسع وتسعين ومئة استخبر كلاً عن اسمه ونسبه فانتسب أحدهم إلى عبيدالله بن زياد بن أبيه[5] والآخر إلى سليمان بن هشام بن عبدالملك والثالث إلى تغلب وقال: اسمي محمد بن هارون، فبكى المأمون وقال: وأنّى لي[6] بمحمد بن هارون يعني أخاه الأمين، وقال للمنتسب إلى سليمان بن هشام بن عبدالملك: يا هذا إن عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس ضرب عنق سليمان وأعناق ولديه في ساعة واحدة، فقال: يا أمير المؤمنين أنا من ولد سليمان، كان جدي صغيراً يومئذ لم يدرك، ومنّا قوم في أفناء الناس بالبصرة فقال المأمون: يُقتل الأمويّان ويُعفى عن التغلبي برّاً لاسمه واسم أبيه[7] فقال ابن زياد ما أكذب الناس يا أمير المؤمنين! قال له: وكيف ذلك؟ قال يزعمون أنك حليم كثير العفو متورّع عن سفك الدماء، فإن كنت تقتلنا على ذنوبنا فلم نخرج لك عن طاعة ولم نفارق عن بيعتك رأي الجماعة، وإن كنت تقتلنا على جنايات بني أمية فيكم فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[8] فاستحسن المأمون كلامه وعفا عنهم جميعاً وأمر وزيره بضمّهم إليه حتى يطلبهم منه.

فلما ورد كتاب عامل اليمن المقدم ذكره[9] فأمر المأمون[10] وزيره بما قدمناه من

---

(١) لا يعرف من كان عامله على تهامة في هذه الفترة، وتهامة كانت تابعة في دواوين الدولة إلى مخلاف الجند.

(٢) الأشاعر قبيلة يمنية نسبت إلى الأشعر واسمه نبت بن أدد بن زيد بن عمرو بن زيد بن كهلان بن حمير بن سبأ، وعكّ: بفتح العين المهملة وتشديد الكاف قبيلة يمنية نسبت إلى عك بن عدثان بالمثلثة ثالث الحروف بن عبدالله بن الأزد بن الغوث بن النبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن حمير بن سبأ، انظر «عمارة» بإخراجنا ص ٤٤.

(٣) ترجمنا للفضل بن سهل في عمارة ص٤١.

(٤) الضمير في مجلسه يرجع إلى المأمون.

(٥) في بعض النسخ وعمارة عبيدالله بن زيادة وفي «قرة العيون» ج١ ص٣٢٠ انتسب أحدهم إلى يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وكذا في الخزرجي، وانظر عمارة فهو مصدر الجميع.

(٦) زيادة الواو من عمارة.

(٧) في «ب» رعاية، وكذا في «قرة العيون» وفي عمارة نفسه وفي «د» زيادة عليه.

(٨) فاطر - ١٨.

(٩) لم ينص الجندي ولا عمارة على اسم العامل الذي كتب للمأمون وكتب إليه كما سبق لنا ذلك.

(١٠) كان في الأصلين وأبو فحذفنا الواو ليستقيم الكلام.

طلب سداد خلل اليمن وأشار عليه بالثلاثة المذكورين وقال: يكون ابن زياد أميراً وابن هشام وزيراً والتغلبي قاضياً[1] فالتفت المأمون إلى قوله واعتمده فاستحضرهم المأمون وكتب بما ذكر له الوزير.

فابن زياد جد بني زياد الملوك وابن هشام جد الوزراء الذين منهم الوزير خلف بن أبي الطاهر أحد وزراء الحبشة موالي بني زياد وسيأتي ذكره والتغلبي جد القضاة المعروفين ببني عقامة سيأتي ذكرهم إن شاء الله.

وكان من جملة وصايا المأمون لابن زياد أن أمره بإحداث مدينة باليمن تكون في بلاد الأشاعر بوادي زبيد[2] فقدم اليمن بعد الحج في سنة ثلاث ومئتين وأطاعته عرب اليمن كافة سهلهم وجبلهم واختط مدينة زبيد في سنة أربع ومئتين امتثالاً لأمر المأمون وكان يغلب على وادي زبيد ورمع[3] العرب الذين يعرفون بالأشاعر قوم أبي موسى الأشعري الصحابي.

ولهذين الواديين بركة ظاهرة ذكر أن سببها دعوة من رسول الله ﷺ.

قال ابن الجون في شرح الخمر طاشية[4] زبيد بفتح الزاي وخفض الباء الموحدة ثم ياء ساكنة مثناة ثم دال مهملة: اسم واد باليمن للأشعريين، إليه تنسب المدينة فيقال: مدينة زبيد لأنها من أراضيه.

قال في كتاب ابن الكلبي[5] قال: حدث إسحاق بن إبراهيم الدبري عن عبدالرزاق عن معمر قال بلغني أن النبي ﷺ لما قدم عليه الأشعريون قال لهم: من

---

(١) في عمارة زيادة (ومفتيا) وينبغي للقارىء مطالعة تاريخ عمارة ليعرف تصرّف الجندي وغيره.

(٢) وادي زبيد مشهور، وكان يقال له الحصيب انظر «الإكليل» ج٢ ص٤٤ ومدينة زبيد قديمة الاختطاط جاء ذكرها في خبر الكاهنين سطيح وشق، كما تقدم ذلك وهما جاهليان، انظر «الإكليل» ج٨، فما هنا وهم ويؤيد منها ما جاء دعوة رسول الله ﷺ كما ساقه المؤلف.

(٣) رمع بكسر الواو وفتح الميم آخره عين مهملة من أودية اليمن المشهورة بشمال وادي زبيد، انظر «صفة جزيرة العرب» ص١٢٣.

(٤) ابن الجون هو الأشعري، تأتي ترجمته، وابن خمرطاش: هو الحميري وتأتي ترجمته للمؤلف.

(٥) كذا في الأصلين، وابن الكلبي هو هشام بن محمد بن السائب النسابة العظيم والمؤرخ الكبير وكل العلماء عالة عليه، ترجمته في «الوفيات» ج٥ ص١٣١، الجزء الأول من «الإكليل» ووفاته سنة سبع ومئتين، وتدلنا وفاة ابن الكلبي بهذا التاريخ أن الجندي واهم بالنقل عن الدَّبري الذي وفاته ٢٧٨ ثمان وسبعين ومئتين، وقد تقدم ذكره ص٢٠١ والغلط واضح، وفي «قرة العيون» ج١ ص٣٨. وروى البيهقي في «دلائل النبوة» وأتى بالحديث فلعله تصحّف على النسّاخ الكلبي بالبيهقي وفي النسخة المنقطعة «حدث إسحاق بن إبراهيم الدَّبري» وكل ذلك وهم والصحيح ما في قرة العيون.

أين جئتم قالوا: من زبيد قال: بارك الله في زبيد، قالوا وفي رمع قال: بارك الله في زبيد، قالوا: وفي رمع قال: بارك الله في زبيد قالها في زبيد ثلاثاً وفي رمع مرّة واحدة. فهذه بركة عظيمة في زبيد، وقد تقدم في خطبة الكتاب ما ذكره الرازي وأنها إحدى البقاع المرحومات والمقدسات في اليمن.

ولما استقر أمر ابن زياد وهابه أهل اليمن وأطاعوه بعد حروب جرت بينه وبينهم وكان هو الغالب في جميعها، دخل بطاعته بنو يعفر أهل صنعاء وحملوا إليه الخراج، وقد ذكرت ما كان في الجبال حتى قدم حمير[1] وأنه لم يتم له أمر[2] من جهة المتوكل،

---

(١) هو حمير بن الحارث الذي ذكره ابن جرير الصنعاني «حميروة» وتقدم خبره.

(٢) هنا نلفت نظر القراء إلى موضوع مهم نحلّي به جيد تعليقنا هذا كيلا تمرّ الفرصة بدون انتهازها، ألا وهو ما وقع لعمارة الفرضي من الغلط في مفيده، وتسلسل الغلط أو الخطأ إلى كل المؤرخين الذين أتوا بعده رغم أن بعضهم قد اطلع على تواريخ أقدم من تاريخ صاحبنا عمارة اليمني الفرضي (المفيد) في أخبار صنعاء وزبيد كمثل تاريخ ابن جرير الذي يحدثنا عنه صاحبنا الجندي في كثير من المواضع، ولم يعقبوا على عمارة ولا التفتوا إلى غيره بل صبّوا محور حديثهم عن دولة آل زياد على مفيد عمارة الذي نسج أخبارهم بخيط من الخيال. وينحصر هذا الخطأ والغلط أو ما شئت سميته في أربع نقاط:

أولاً ـ أن عمارة ومن نقل عنه يقول: إن محمد بن عبدالله بن زياد أو محمد بن عبدالله بن فلان بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان والثاني إلى سليمان بن هشام والثالث التغلبي واسمه محمد بن هارون ونسب إلى تغلب أرسلهم المأمون إلى القطر التهامي لسدّ الفتوق هنالك على رأس جيش ضخم بمقتضى رسائل من عامله المجهول باليمن كما يدل صراحة أنهم غير يمنيين.

ثانياً ـ وصول ثلاثتهم إلى القطر التهامي بعد حجهم سنة ثلاث ومئتين من الهجرة أحدهم أمير وهو ابن زياد وابن سليمان بن هشام وزير والتغلبي قاض ومفتٍ.

ثالثاً ـ أن آل زياد ملكوا التهائم وامتد نفوذهم إلى نجران وحضرموت وبيجان.

رابعاً ـ أن ملوك الجبال والرأس فيهم آل يعفر ـ دانوا بالطاعة لآل زياد ودفعوا إليهم الأتاوة. وإليك دحض هذه النقاط أو المزاعم أو الخطأ ونقض عراها واحدة واحدة مدعوماً بالبراهين والأدلّة، حفاظاً على نسق التاريخ اليمني وللحقيقة التي تعثّر فيها عمارة.

الأولى أن مزعوم ثلاثة هؤلاء أرسلهم المأمون مع الجيش الذي جهزه لحرب أخيه محمد الأمين، فإن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة ولا تمت إلى الحقيقة حتى بأوهى أو أوهن سبب لأن أحداثاً كهذه لم يحدثنا عنها أحد من مؤرخي الدولة العباسية، ولم يذكروا هذا الحدث الجلل بتاتاً ولو بجرّة قلم، وبين أيدينا أقدم ما وصلنا من التواريخ مطبوعاً ألا وهو طبقات محمد بن سعد المتوفى سنة ثلاثين ومئتين من الهجرة، فإنه يحدثنا عن بعض لمحات عن أحداث اليمن كمثل تغلّب يعفر بن عبدالرحمٰن الحوالي على صنعاء سنة ٢٢٠ عشرين ومئتين، في حين لا يذكر هذا الحادث الجلل حدث آل زياد وهم يمرون على بغداد عاصمة الدنيا وعاصمة الرشيد التي ينشر فيها الخبر كسرعة البرق ليستفتحوا تهامة بالجيش الجرار في حين يمرون على مكة المكرمة في موسم الحج ويؤدون الفريضة والعالم الإسلامي فيها ولا يذكر المؤرخون هذا الحدث العظيم وهنا طبقات خليفة الخياط المتوفى سنة ٢٤٠ أربعين ومئتين، فبينما يطرفنا بذكر ولاة اليمن وعماله لا يذكر آل زياد بحرف واحد، وبين أيدينا تاريخ أحمد بن يعقوب المشهور بابن واضح المتوفى سنة سبع وثمانين ومئتين، وقيل غير ذلك وهو يهتم بقضايا اليمن وأحداثه =

= ويذكر أبسط الأشياء ولم ينبس ببنت شفة عن دولة بني زياد ولا عن رفاقهم.
ومنهم أبو حنيفة الدّينوري المتوفى سنة اثنتين وثمانين في كتابه الأخبار الطوال، لم يحدثنا عن بني زياد لا من قريب ولا من بعيد.
وتوّج هذا التراث محمد بن جرير الطبري المؤرخ والمفسر العظيم الثقة العدل المتوفى سنة ٣١٠ بكتابه «أخبار الأمم والملوك» الذي جمع فأوعى وعنه يصدر المؤرخون ويوردون منهله العذب فإنه يحدثنا مثلاً في ج٧ ص٤٦ عن حوادث سنة ١٩٦ عن حادث ليس بالأمر الجلل الا وهو أن طاهر بن الحسين الخزاعي عقد على ولاية اليمن ليزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبدالله القسري المذكور هنا والذي ذكره الجندي وضمن له أن يستميل قومه وعشيرته من ملوك اليمن وأشرافهم ليخلعوا طاعة محمد الأمين ويبايعوا عبدالله المأمون، إلى آخر ما ذكر، كما يذكر في أحداث سنة ٢٠٠ وما بعدها عن إبراهيم الجزار وابن ماهان والجلودي والصراع الواقع بين هؤلاء باليمن، في حين أنه لم يذكر آل زياد ومن انضم إليه لا بحلوه ولا مره. والحال أن هذه الأحداث مقارنة لما زعمه عمارة رحمه الله عن آل زياد ويجيء المؤرخ الكبير علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ ويدخل اليمن فيحدثنا في ج١ ص١٩٧ بقوله فمنها وادي نخلة وهو ما بين الجند وبلاد زبيد الذي أميرها في هذا الوقت وهو سنة ٣٣٢ إبراهيم بن زياد صاحب الحزملي ولم يزد على ذلك ولا ذكر أوليات بني زياد.
ويجمع أبو الحسن علي بن الكرم المشهور بابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ في أحشاء كتابه «الكامل» كل متفرقات التواريخ ويعرف عمارة عن كثب لأنهما متعاصران ويترجم لعمارة في ج٩ ص١٣٤ ويتحدث عن ولاة اليمن وماجرياته ولم ينوه بآل زياد، ناهيك أنه تحدث عن حسين بن سلامة وأثنى عليه وهو من موالي آل زياد.
هذا من ناحية التواريخ العامة والتي لا تهتم باليمن كثيراً لبعده عن الأحداث.
أما التواريخ الخاصة، ونعني بذلك تواريخ اليمن لأهل اليمن التي سبقت عمارة، فمن الأسف الشديد والألم الممض أن تواريخ اليمن المتقدمة ضائعة مفقودة ولم تصل إلى أيدينا إلا جذاذة كراريس مبعثرة من تاريخ ابن جرير الصنعاني ساقط منه حلقات وحلقات، منها أوليات دولة آل زياد، وأوليات دولة آل يعفر إلى غير ذلك مما ننوه به في غضون تعليقنا. ومما وقع تحت أيدينا سيرة الهادي يحيى بن الحسين العلوي مخطوطاً ومطبوعاً، فإن مؤلفها يذكر أحداث سنة ٢٩٢ في ص٢٨٩ وما بعدها عن إبراهيم بن محمد بن علي صاحب زبيد وأخيه محمد بن أحمد بن علي دون أن يرفع نسبهما إلى زياد أو إلى غيره.
هذا ولعلك قد عرفت من سرد هذه الأدلة والبراهين أن عمارة رحمه الله نسج من الخيال هذه الرواية سواء أملاها من ذاكرته وهو في القاهرة المُعِزيّة أو من تاريخ جياش بن نجاح الحبشي كما يقول في ص٣٨ من مفيده.
ونزيدك أيضاً علماً أن القطر التهامي في تلك الفترة بيد الملوك الشراحيين ملوك مدينة عركبة في وصاب. واسمع إلى كلام حجة المؤرخين لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمداني المتوفى فيما بين سنة ٣٥٠ أو ٣٦٠هـ يحدثنا في كتابه «صفة جزيرة العرب» ص٢٢٢: وساكن عركبة الشراحيون منهم آل يوسف ملوك تهامة من عهد المعتصم إلى أيام المعتمد. وقال في «الإكليل» ج٢ ص٣٤٦: والشراحيون الذين في وصاب آل يوسف ملوك زبيد وجبلان.
قال الحوالي: وبين المعتصم والمعتمد قرابة ستين عاماً.
ومن أوضح الأدلة ما حكاه مؤرخ وصاب العلامة عبدالرحمٰن بن محمد الحبيشي الوصابي المذحجي في كتابه (الاعتبار في التواريخ والأخبار) فهو يحدثنا في الفصل الأول من القسم الثالث قال: قال الكلاعي في شرح القصيدة المفحمة: اعلم أن ملوك وصاب المتقدمين هم بنو سلمة الشراحيون ملوك مدينة عركبة، من آل ذي حرث ثم من ولد ذي رعين: يزيد بن سهل الجمهور وهم بنو عم الوصابيين. =

وبنو سلمة من الملوك المتقدمين من حمير وهم أحد البيوت السبعة من حمير التي يقتل بعضهم بعضاً على الملك، يقتل الرجل أباه وأخاه منهم الأمير الجليل عبدالله بن يوسف الشراحي ملك مدينة (زبيد) وسورها ومدينة المعقر بوادي ذؤال ومدينة الكدري بوادي سهام ومدينة المهجم بوادي سردد ومدينة بلجة بوادي مور ومدينة الفريضة بوادي العقبة، وجعل في كل مدينة منها جامعاً وقاضياً ولم يعط المأمون خليفة بني العباس من الطاعة أكثر من الدعوة والسكّة واجتمع له تهامة ومخلاف وصاب ثم لابنه وابن ابنه ثم خرجت تهامة من أيديهم قلت إلى بني زياد. هـ.

قال الحوالي: «والكلاعي هو محمد بن الحسن الكلاعي الوحاظي الحميري المتوفى بحصن كحلان خبان سنة ٤٠٤ أربع وأربعمائة».

ومما ينافي كلام عمارة من ظهور بني زياد في سنة ٢٠٣هـ ما رواه المؤرخ الكبير محمد بن جرير الطبري في تاريخه ٧ ص١٦٨ «أنه خرج في عك عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب سنة ٢٠٧هـ فبعث إليه المأمون دينار بن عبدالله الملقب بالخياط، في عسكر كثيف وكتب معه بأمانه فحضر دينار الموسم وحج فلما فرغ من حجه سار إلى اليمن حتى أتى عبدالرحمن فبعث إليه بأمان المأمون، فقبل ذلك ووضع يده في يد دينار فخرج به إلى المأمون.

فلو كان بنو زياد ولاة على تهامة وموجودين لهذا التاريخ لأمرهم المأمون بالقبض على هذا الثائر ولمَا احتاج إلى تجهيز وبعث هذا الجيش الكثيف وأنت خبير بما يحتاج هذا الجيش من مؤونة وعتاد وتكاليف ونفقات من بغداد إلى اليمن، وكان يستكفي برسالة لابن زياد وهو في أبان عظمته وسلطانه، وذكر هذه القصة ابن الأثير في تاريخه ج٥ ص٢٠٤، هذا من جهة ومن جهة أخرى فالتاريخ يحدثنا أن المأمون ومن بعده من الخلفاء العباسيين إلى أيام المعتمد العباسي المتوفى سنة ٢٧٩ لا زالوا يبعثون الولاة إلى صنعاء وهم بدورهم يرسلون العمال إلى المخاليف بما في ذلك (قطر تهامة) وحضرموت، ولو كانت دولة بني زياد قائمة لاستغنوا بها وكانت تهامة مربوطة بمخلاف الجند.

ومما يدحض قول عمارة أن التواريخ تنبئنا أن الأمير محمد بن يعفر وأخاه أحمد فتحا حضرموت حوالي الخمسين والمئتين من الهجرة، وملكا ما بين عدن وطلحة الملك وما بين حضرموت وحلي بن يعقوب أي ملكوا اليمن الطبيعي. فلو كانت دولة بني زياد موجودة مالكة لحضرموت وتهامة لما سنحت الفرصة للأميرين المذكورين أن يملكا هذه الأصقاع ولكن خيال عمارة كان أوسع من كل ذلك. وانظر الجندي قبل كلامه على بني زياد. وأمر آخر جدير بتسجيله وهو ما يقوله ابن خلدون في تاريخ العبر بما لفظه:

«ولما وفد وجوه أهل اليمن على المأمون كان فيهم محمد بن زياد، من ولد عبيدالله بن زياد بن أبي سفيان، فاستعطف المأمون وضمن له حياطة اليمن من العلويين فوصله وولّاه على اليمن سنة ٢٠٣ ثم ساق ما يشبه كلام عمارة فأنت ترى أنه خالف عمارة في مادة واحدة، وهي أن بني زياد جاؤوا من اليمن لا من بغداد، ولا ندري من أين استقى ذلك، وكل ذلك وهم.

بينما يقول الأستاذ صلاح البكري اليافعي الحميري في كتابه «حضرموت وعدن» ص٦٠ تحت عنوان: **«دخول حضرموت تحت طاعة العباسيين»**:

«في سنة ٢١٣ انتشرت دعوة العلويين باليمن واتسع نطاقها وخاف اليمنيون عاقبة تلك الدعوة فأرسلوا وفداً من صفوة قومهم إلى الخليفة المأمون وكان على رأس هذا الوفد محمد بن زياد بن عبدالله بن أبي سفيان، استعطف الوفد وضمن له صيانة اليمن» الخ... وهذا من ذاك فقد خالف ابن خلدون في السنة ٢١٣ وربما أنها سنة ٢٠٣، وأن ذلك هفوة مطبعية. وعلى كل حال فلن يخرج هذا الكلام عن نطاق غلطة عمارة وخطئه ولكنه يدل على اضطراب التواريخ.

ومما يدحض قول عمارة ما في «قرة العيون» ج٢ ص١٧٥ والخزرجي وسيرة الهادي من أن المعتضد استعمل على اليمن عج بن حاج، والمراد باليمن تهامة، وكان عج بن حاج والياً على مكة فأرسل

وهـرويه وأن المتـوكل قتـل عقب ذلك وهـو لثلاث خلون من شوال سنـة سبع وأربعين

= أخاه، مظفر بن حاج، أميراً على تهامة. وفي هذا العصـر ظهر اسم ابن زيـاد كما أني أقـطع قطعـاً باتـاً وأحكم جازماً أن الثلاثة المذكورين آنفاً هم يمنيون من جذم قحطان وطينة اليمن، ولا صحة لانتسـابهم إلى ما زعمه عمارة. ونستأنس لقولنا هذا بقول الرحالة البشاري المتوفى في حدود سنـة ٣٦٠ في كتابـه أحسن التقـاسيم في معرفـة الأقـاليم» ص١٠٤: «واليمن لآل زيـاد وأصلهم من همـدان» وعنى بقـولـه واليمن الخ زبيد وأعمالها. . .

وأنا شخصياً أرفض هذا القول، وليس آل زياد من همدان لأنهم لو كانوا كذلـك لنوّه الهمـداني في كتبه وأثنى على همدانيتهم، وكيف لا وقد أهدوا إليه صنـائعهم، فهم الذين سعـوا في خلاصـه وإطلاقـه من سجن أبي حسـان أسعد بن أبي يعفر، إذ يحدّثنا في «الإكليل» ج١ ص٤٢٨ وبقـوله: «حتى صـح له أن إطلاق الهمداني من جهة ابن زياد» والـذي أراه أن بني زياد من قبيلة خـولان قضاعـة كما بيّنـا ذلك في كتابنا (اليمن في عهود استقلاله).

هذا في شأن آل زياد. أما ما يخص محمد بن هارون التغلبي فالذي أراه أنه من مـدينة «مـوزع» ثم من قبيلة الفرسان الذين يزعمـون أنهم من قبيلة تغلب كما نـوّه بذلـك الهمداني في «صفـة جزيـرة العرب» ص٧٢ و«الإكليـل» ج٢ ص١٩٣، وأنهم انتقلوا إلى زبيد وأخـذوا بـأسبـاب العلم حتى ارتقى منهم من ارتقى إلى منصب القضاء وصاروا يعرفون ببني عقامة ولو كان لهم رئاسة من قبل كما زعم (عمـارة) لنوّه بأحدهم، وإنما أجمل ذلك إلى ظهور دولة بني نجاح الحبشيين وفي أيام جياش بالذات.

وأما الذي من ولد سليمان بن هشام الأموي والذي لم يسمّه إطـلاقاً ومن أولاده (قسيم الملك خلف بن أبي الـطاهر) فـالذي أراه أنـه يمنيّ بحت وخالص عن الشبـه، ولهذا لم يـظهر إلا في أيـام جياش. ولا املك من الأدلة في هذا الوقت شيئاً أستند به، وقد أشبعنا المـوضوع في هـذا البحث في كتابنـا «اليمن في عهود استقلاله» مع الحجج والبراهين. بهذا انتهت مناقشتنا عن النقطة الأولى.

وأمـا النقطة الثـانية، وهي أن وصـولهم، أي المذكـورين، إلى القطر التهـامي بعد فـريضة الحـج سنة ٢٠٣، فليس لهذا الزعم أثارة من علم، فظاهره السقوط تلقائياً لما أسبقناه من الأدلة القطعيـة عن أعلام المؤرخين المعتمدة تواريخهم. وأمر آخر أن موسم الحج تأتي إليه الناس من كل حدب وصوب وتنتشـر أخبار الموسم دقيقها وجليلها، ولم ينقل لنا أحد عن هذه القضية غير عمارة فقط وبعد ثلاثمائة عام.

أما النقطة الثالثة، وهي أن نفوذ آل زياد امتد إلى نجران وحضرموت وبيجان، فهذا من ذاك، أي أنه من نسج خيال عمارة، إذ هذه الأقطار داخلة تحت نفوذ ولاة اليمن للعبـاسيين، حتى إذا بزغ نجم آل يعفـر الحواليين صارت من ممالكهم. واسمع إلى كلام الإمام نشـوان بن سعيد الحميـري: أن مملكة آل ذي حـوال امتدّ ظلهـا الوارف على اليمن الـطبيعي من حلي بن يعقوب في الغـرب الشمـالي من اليمن إلى حضرموت في الزاوية الشرقية الجنوبية، ومن طلحة الملك بما في ذلك نجران شمالاً إلى عدن جنـوباً» وانظر «قرة العيون» ج١ ص١٦٢ والخزرجي مخطوط.

وأما النقطة الرابعة وهي أن آل يعفـر كانـوا يدينـون بالـطاعة لآل زيـاد ويعطونهم الأتـاوة، فهذا خـلاف المعقول والسائد في أدوار التاريخ اليمني، وإنما هو العكس أي أن دول زبيد وتهامة هم الـذين يدينـون بالولاء والـطاعة لملوك الجبـال ويعطون الأتـاوة، والأمثلة كثيرة، وانـظر «قرة العيـون» ج١ ص٢١٨ في فصل المتغلبين ومفيد عمارة ص٢٠٤.

وإليك نصّ البشاري في كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ص١٠٤ وابن طرف له (عثر) وعلى صنعاء أمير غير أن ابن زياد يحمل إليه أه والاً ليخطب إليـه، وربما أخـرجت (عدن) عن أيـديهم، وآل قحطان في الجبال وهم أقدم ملوك اليمن. «هذا وقد إدخرنا ما لدينا من الأدلّة والتنسيق الزمني في كتابنا المذكور آنفاً».

ومئتين مدته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر، وأنه قدم من جهة المتوكل[1] وهروبه وأن المتوكل قتل عقب ذلك، وهو لثلاث خلون من شوال سنة تسع وأربعين ومئتين، مدته أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيام، ثم قام بالأمر ابنه محمد المنتصر[2] وهو الذي دسّ على قتل أبيه فلم تطل مدته، بل توفي بعد ستة أشهر من قيامه بربيع الأول سنة ثماني وأربعين ومئتين، ثم قام بالأمر ابن عمه أحمد بن محمد بن المعتصم الملقّب بالمستعين[3] فولي ثلاث سنين إلى أن قتل في شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين، مدته ثلاث سنين وسبعة أشهر.

ثم قام بالأمر بعده خير العباسيين أبو عبدالله محمد المهتدي بن الواثق المذكور أولاً[4]، فكان خير خلفاء بني العباس سيرة حتى أن كثيراً من العلماء يعدّونه خليفة لحسن سيرته وجميل طريقته، وكان كثير الاقتداء بسيرة عمر بن عبدالعزيز، ويقول لأهله وخواصه: «دعوني يا بني العباس أكون فيكم كعمر بن عبدالعزيز في بني أمية»، ولم يسكن بغداد بل مدينة سر من رأى[5].

وأخرج عنها المغنين والمغنيات وقال لا يجاورني فيها من تحققت[6] فيه معصية لله، ثم باع ما في خزائن الملوك من آلات اللهو والطرب، وكان لا يأخذ من بيت المال إلا ما لا بدّ له منه ولولدين له، وأخباره مستقصاة في التواريخ ولم تطل مدته بل قتل بالشهر الحادي عشر من خلافته وذلك في رجب سنة ست وخمسين ومئتين.

وفي أيامه ظهر صاحب الزنج، وكان من فسّاق الخوارج يدّعي أنه علوي[7] ولم يوجد لذلك صحة بل ثبت أنه عجميّ من صنّاع الريّ[8] ذكر ذلك صاحب زهر الآداب[9].

---

(١) اسم المتوكل على الله جعفر وكنيته أبو الفضل، ترجمنا له في «قرة العيون» ج١ ص١٥٥.

(٢) انظر «قرة العيون» ج١ ص١٥٧.

(٣) ترجمنا له في «قرة انعيون» ج١ ص١٥٨.

(٤) ترجمنا له في «قرة العيون» ج١ - ١٥٩.

(٥) سُرّ من رأى بضم أوله هي التي تسمى اليوم سامراء، وفيها عدة لغات. انظر ياقوت الحموي، وهي المدينة التي بناها المعتصم سنة عشرين ومئتين وتقع شمال بغداد بمسافة ومن معارفها جامعها المتهدّم ومنارته الضخمة العجيبة.

(٦) كذا في الأصلين.

(٧) انظر تاريخ ابن جرير الطبري ج٧ ص٥٤٣ وما بعدها عن أخبار علوي البصرة.

(٨) تقدم ذكر الري.

(٩) «زهر الآداب وثمر الألباب» لأبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم المعروف بالحصري القيرواني، =

ثم لما قتل المهتدي قام بالأمر بعده المعتمد على الله أبو العباس أحمد بن المتوكل[1] فلبث ثلاثاً وعشرين سنة في أثنائها جرّد أخاه الموفق[2] لقتال صاحب الزنج.

قال المؤرخون: وكان من أخبث الخوارج[3] مشتّتاً للمسلمين واستحل دماءهم، وكان ينادي على المرأة في محطته باسمها ونسبها وربما كانت شريفة فتباع بالبخس، وبهذا بان عدم شرفه وبحث عن نسبه فلم يوجد له في العلويين صحة، وكانت فتنته مختصة بالبصرة، ولم يزل الموفق يحاربه حتى قتله في صفر سنة سبعين ومئتين، مدته أربع عشرة سنة وهو من أشد مدد الخوارج، ولولا أن خبره دخيل لذكرت منه كثيراً لكنه ليس خارجاً باليمن، فلم أجد إدخاله في أخباره حسناً، وإنما ذكرت ما ذكرت ليعلم زمانه ومكانه وقبح ما جبل عليه.

وحين اتصل قيام المعتمد باليمن قام ابن يعفر[4] وأخذ البيعة له وأخرج ولاة الملوك قبله[5] من صنعاء وتابع الخطبة للمعتمد، (فحين بلغ المعتمد ذلك كتب إليه بنيابته على صنعاء فغلب على صنعاء والجند وحضرموت)[6] وهو مع ذلك يوالي ابن زياد ويحمل إليه الخراج (ويوجد) أنه نائب عنه[7] لعلمه بعجزه عن مقاومته.

وكان قدوم كتاب المعتمد عليه سنة تسع وخمسين ومئتين في المحرم وفي أيامه

= ترجمته في «الوفيات» ج١ ص٣٧ ووفاته سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، وكتابه «زهر الآداب» قد طبع عدة طبعات وهو كتاب نفيس.

(١) انظر ترجمة المعتمد في «قرة العيون» ج١ ص١٦٠.

(٢) الموفق: اسمه طلحة، ترجمنا له في «قرة العيون» ج١ ص١٦٢ وانظر «الإكليل» ج٢ ص١٨٢ وانظر خبر الزنج في ابن جرير الطبري وابن الأثير

(٣) الخوارج هؤلاء هم الذين خرجوا على الدولة وليسوا من فرقة الخوارج المشهورين.

(٤) ابن يعفر هو محمد بن يعفر بضم الياء المثناة من تحت وسكون العين المهملة وكسر الفاء كذا ضبطه الهمداني في «الإكليل» ج٢ ـ ٧١.

(٥) ولاة الملوك: هم ولاة العباسية.

(٦) عبارة ابن جرير الصنعاني: ووجّه عماله إلى المخاليف وإلى حضرموت وكانت ممتنعة فجباها، ولم يذكر «ابن زياد» مما يدل أنه لا يعبأ به ولا وجود له في هذا التاريخ.

(٧) ما بين القوسين لم تكن في عمارة ولعلها من الجندي وقوله (يوجد) كذا في الأصلين مهملة ولم تظهر الكلمة، وفي هامش الخزرجي المحفوظ بقلمي ما لفظه وفي الجندي ما لفظه: ويخبره أنه نائب عنه إلخ، هذا ومن غير المعقول أن تصبح اليمن الطبيعي بقبضة محمد بن يعفر بما في ذلك عدن وحضرموت ونجران، وبيحان، ويخشى ابن زياد الذي يملك رقعة بسيطة من تهامة في زعم عمارة إذ لم يظهر ابن زياد بعد في القول الأصح.

حصل بصنعاء سيل عظيم يعرف بسيل «يعمد»[1] وأخرب فيها دوراً كثيرة، واحتمل أموالاً وعالماً لا تكاد تحصى، وخرج محمد بن يعفر عقيب ذلك إلى مكة حاجاً[2] بعد أن استخلف ابنه إبراهيم ثم لما عاد من مكة بنى جامع صنعاء على الحال الذي هو عليه الآن وأن ذلك سنة خمس وستين ومئتين هكذا ذكره القاضي سَري بن إبراهيم الآتي ذكره في الفقهاء إن شاء الله أن هذا وجد مكتوباً بألواح قريبة من سقف الجامع بنجر النجّار وأن بعض الولاة حسد ابن يعفر على بقاء ذكره وأراد محوه وعني به فلم يقدر على ذلك لصلابة الخشب الذي نقر به[3].

ثم كانت وفاة المعتمد[4]، وقتل محمد بن يعفر (قتله ابنه إبراهيم)[5]، وقال ابن الجوزي في تاريخه[6] قتل إبراهيم أباه وعمه وابن عمه وجدته أم أبيه[7] فقيل: كانت وفاة المعتمد قبل قتله بستة أشهر وقيل: بل كان موافقاً لتاريخ واحد، والأصح أن المعتمد توفي بعد قتله بستة أشهر[8] وكان قتله ليلة الجمعة لإحدى عشرة ليلة (بقيت من المحرم سنة تسع وسبعين ومئتين)[9] ووفاة المعتمد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين مدته[10] ثلاث وعشرين سنة.

ثم قام بالأمر المعتضد وهو ابن أخي المعتمد[11] اسمه أحمد بن أبي أحمد بن

---

(١) في ابن جرير الصنعاني أن حصول السيل لثلاث خلون من ذي الحجة سنة اثنتين وستين ويقال أنه ثاني سيل في الإسلام، وقوله «يعمد» في الجندي وابن جرير بدون نقط أول الحروف أو لا يعرف اليوم هذا الاسم وإنما المعروف «عمد» بفتح العين المهملة والميم وآخره دال قرية وجبل جنوب قرية» حزيز جنوب صنعاء، وقوله سنة تسع وخمسين ومئتين فيها إشكال كما في الخزرجي.

(٢) كان حج محمد بن يعفر في سنة اثنتين وستين ومئتين.

(٣) يقال: إن الذي حاول طمس آثار ابن يعفر الإمام عبدالله بن حمزة وانظر الأحجار البيضاء في جدار الجامع المذكور في شرقيه وشماله كيف شوه بها ومحيت آثار الكتابة.

(٤) وفاة المعتمد سنة تسع وسبعين ومئتين وقتل محمد بن يعفر سنة سبعين ومئتين.

(٥) كان في الأصلين قتل بدون هاء الضمير والتصحيح منا.

(٦) لعل تاريخ ابن الجوزي هو المنتظم.

(٧) الذي في «الإكليل» ج٢ ص١٨٣: «وحمله الإدمان على الشرب أن قتل أباه وعمه».

(٨) الضمير في قتله يعود إلى إبراهيم بن محمد بن يعفر.

(٩) ما بين القوسين من «ب» ومن ابن جرير الصنعاني من «د» ولا يتم الكلام إلا بذلك.

(١٠) مدته الضمير يعود إلى المعتمد والخلاصة أن في كلام الجندي رحمه الله بعض تعقيد، وأن المعنى أن قتل محمد بن يعفر كان سنة تسع وسبعين ومئتين، وقاتله إبنه إبراهيم وأن وفاة المعتمد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومئتين ولم يقتل، وقتل إبراهيم بن محمد بن يعفر لإحدى عشرة ليلة بقيت من محرم سنة تسع وسبعين ومئتين.

(١١) أخو المعتمد هو الموفق طلحة المتقدم الذكر، وانظر ترجمة المعتضد في «قرة العيون» ج١ ص١٦٤ وغيرها.

المتوكل، لقبه أبو العباس وكان يغلب عليه الجبروت، ومال إلى التشيع، وأظهر محبة الطالبيين وإكرامهم فسئل عن ذلك فقال: كنت مرة في مجلس أبي، فرأيت في المنام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فسألته عن حالي فبشرني بالخروج ثم قال: أيا أحمد إن هذا الأمر صائر إليك فاستوصِ بأولادي خيراً فقلت سمعاً وطاعة لك يا أمير المؤمنين.

ولم تزل صنعاء[1] مع إبراهيم بن محمد يعفر[2] وهو يهادن ابن زياد، وابن زياد قد اتخذ مدينة زبيد دار ملك، ولم تطل مدة إبراهيم ثم هلك[3] وقام بعده ابنه أسعد ولم يكن فيهم شيء من البدعة، أعني آل يعفر. وفي أيامه[4] ظهرت القرامطة علي بن الفضل ببلد يافع[5] ومنصور بن حسن يعرف بمنصور اليمن[6] فحينئذ أذكر نبذة من أحوالهما على ما ذكره الفقيه أبو عبدالله محمد بن مالك بن أبي القبائل أحد فقهاء اليمن وعلماء السنة[7] وكان ممن دخل في مذهبهما أيام الصليحي وتحقق أصل مذهبهما فلما تحقق فساده رجع عنه وعمل رسالة مشهورة[8] يخبر بأصل مذهبهم ويبين عوارهم ويحذر من الاغترار بهم فقال: كان علي بن الفضل من عرب يقال لهم الأجدون ينسبون إلى ذي جدن[9] وكان شيعياً على مذهب الاثني عشرية[10] فحج مكة ثم خرج مع ركب العراق يريد زيارة مشهد الحسين فلما وصله جعل يولول، ويصيح يقول ليت من حضرك يا ابن رسول الله حين جاءك جيش الفجرة، وميمون القداح

(١) كان في الأصلين ثم نزل والتصحيح منا.

(٢) في الأصلين إبراهيم بن يعفر، والتصحيح منا، وعبارة الخزرجي و«قرة العيون» ولم يزل إبراهيم بن محمد على صنعاء ومخاليفها.

(٣) لم يهادن إبراهيم بن محمد آل زياد إذ لم يظهروا بعد، وكان هلاك إبراهيم بن محمد بالقتل سنة تسع وسبعين ومئتين.

(٤) قوله وفي أيامه أي أيام أسعد بن إبراهيم.

(٥) يأتي ذكر يافع، وانظر «الإكليل» ج٢ ص٣٤٣.

(٦) منصور لقب له واسمه حسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي، وكان الأنسب أن يُزاد في العبارة (بلاعة).

(٧) هو المشهور بالحمادي المعافري وترجمته في الجندي كما يأتي.

(٨) الرسالة هي كشف أسرار الباطنية السالفة الذكر وقد طبعت ونقوم بإعادة طبعها إن شاء الله.

(٩) انظر «الإكليل» ج٢ ص٢٩٣ في نسب ذي جدن.

(١٠) الاثنا عشرية فرقة من الشيعة يقولون بإمامة اثني عشر إماماً وهم علي بن أبي طالب والحسن والحسين وباقيهم من أولاد الحسين، وأكثرية هذه الفرقة في العراق وإيران، انظر «شرح رسالة الحور العين» للإمام نشوان ص١٧٨ وما بعدها.

ملازم للضريح ومعه ولده عبيد يخدمه، فحين رأيا ابن الفضل على تلك الحال طمعا[1] في اصطياده ثم خلا به ميمون وعرفه أنه لا بد لولده عبيد[2] من دولة تقوم ويتوارثها بنوه لكن لا تكون حتى يكون بدايتها في اليمن على يد بعض دعاته فقال له ابن فضل ذلك يمكن في اليمن والناموس جائز عليهم فأمره بالتثبت والوقوف حتى ينظر في الأمر وكان ميمون في الأصل يهوديّاً قد حسد الإسلام واغتار على دينه فلم يجد حيلة غير العكوف على تربة الحسين بكربلاء[3] وإظهار الإسلام وأصله من سلمية[4] مدينة في الشام وانتسب إلى العلويين وأكثرهم ينكر صحة نسبه والله أعلم.

وقطع ابن مالك بأنه يهودي وصحبه رجل من كربلاء يعرف بمنصور بن حسن بن زاذان بن حوشب بن الفرج بن المبارك من ولد عقيل بن أبي طالب. كان جدّه زاذان اثني عشري المذاهب[5] أحد أعيان الكوفة وسكن أولاده على تربة الحسين، فحين قدم ميمون تفرّس بمنصور النجابة والرياسة فاستماله وصحبه، وكانت له دنيا يستمدّ بها، وكان ذا علم بالفلك، فأدرك أن له دولةً وأنه يكون أحد الدعاة إلى ولده، فلما قدم ابن الفضل وصحبه رأى أنه قد تم له المراد، وأن ابن الفضل من أهل اليمن خبير به وبأهله، فقال ميمون لمنصور: يا أبا القاسم، إن الدين يمان والكعبة يمانيّة، والركن يمان، وكل أمر يكون مبتدأه من اليمن فهو ثابت لثبوت نجمه، وقد رأيت أن تخرج أنت وصاحبنا علي بن فضل إلى اليمن وتدعوا لولدي فسيكون لكما بها شأن وسلطان، وكان منصور قد عرف من ميمون إصابات كثيرة فأجابه إلى ما دعا، فجمع بينه وبين علي بن فضل وعاهد بينهما، وأوصى كلا منهما بصاحبه خيراً قال منصور: لما عزم ميمون على إرسالنا إلى اليمن أوصاني بوصايا منها أنني متى دخلت اليمن سترت أمري حتى أبلغ غَرَضي، وقال لي: الله الله مرتين صاحبك، يعني علي بن فضل احفظه وأحسن إليه وأمره بحسن السيرة، فإنه شاب ولا آمن عليه، ثم قال لابن فضل: الله الله أوصيك بصاحبك خيراً وَقِّرْه واعرف حقّه ولا تخرج عن أمره فإنه أعرف منك ومني، وإن عصيته لم ترشد، ثم ودّعنا وخرجنا مع الحاج حتى أتينا

---

(١) بلفظ التثنية في الأصلين.

(٢) عبيد بدون لفظ الجلالة في الأصلين وكذا في كشف أسرار الباطنية.

(٣) كربلاء معروفة الضبط مشهورة وتقع في الشمال الغربي من النجف وفي الجنوب الغربي من بغداد.

(٤) سلمية: بفتح السين المهملة واللام وتشديد الياء المثناة من تحت وتخفيفها بلدة عامرة من أعمال حمص بالشام.

(٥) قوله اثني عشري المذهب كذا في «ب» وهو الأصح وفي «د» اثنا عشري المذهب وهو وهم.

مكة فحججنا ثم سرنا مع حاج اليمن حتى جئنا إلى غلافقة[1] ثم تواصينا بأن لا ينسى أحد منّا صاحبه ولا ينقطع خبره عنه ثم سرت حتى قَدِمْتُ الجَند وهي إذ ذاك بيد الجَعْفري[2] قد تغلب عليها وانتزعها من ابن يعفر[3] وكان الشيخ قد قال لي: إياك أن تبتدىء بشيءٍ من أمرك إلاّ في بلد يقال لها: عدن لاعة[4] فإنها البلد الذي يتم به ناموسك وتنال غرضك فيها فلم أعرفها، فقصدت عدن أبين[5] وسألت عن عدن لاعة فقيل: إنها بجهة حجَّة فسألت عن من يقدم من أهلها فأرشدت إلى جماعة قدموا لغرض التجارة واجتمعت بهم وصحبتهم وتطلعت عليهم حتى أحبوني وقلت: أنا رجل من أهل العلم بلغني أن لكم بلداً جبلاً وأريد صحبتكم إليه فرحبوا وأهّلوا[6] ثم لما أرادوا السفر خرجت من جملتهم وكنت في أثناء الطريق أتحفهم بالأخبار وأحثهم على الصلاة وكانوا يأتّمون بي، فحين دخلت لاعة سئلت عن المدينة فيها فأرشدت إليها فأتيتها ولزمت بعض مساجدها وأقبلت على العبادة حتى مال إليّ جمع من الناس فلما علمت أن قد استحكمت محبتي في قلوبهم أخبرتهم أني قدمت عليهم داعياً للمهدي الذي بشر به النبي ﷺ[7] فحالفت جمعاً منهم على القيام وصار يؤتى لي بالزكاة فلما اجتمع عندي منها شيء كثير قلت إنه ينبغي أن يكون لي معقل تحفظ به هذه الزكاة ويكون بيت مال المسلمين فبنيت عين محرم، وهو حِصنٌ كان لقوم يُعرفون ببني العرجاء[8] ونقلت إليه ما كان تحصّل عندي من طعام ودراهم فحين صرت إليه بما معي وقد عاهدني خمسمئة رجل على النصرة صعدوا معي الحصن بما معهم من مال وأولاد فأظهرت حينئذ الدعوة إلى عبيدالله المهدي بن الشيخ ميمون،

---

(١) غلافقة: بضم الغين المعجمة آخره هاء وتسمى اليوم غليفقة، وكانت ميناء مشهورة مذكورة في التواريخ وتقع بين الحديدة وزبيد، وهي إلى الحديدة أقرب، انظر «صفة جزيرة العرب» ص٦٨.

(٢) الجعفري هو جعفر بن إبراهيم المناخي الحميري.

(٣) ابن يعفر هو أبو يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر الحوالي، وهذا يُظهر أن منصور وابن فضل قَدِما بعد قتل محمد بن يعفر سنة (٢٧٠) والمشهور أن قدومهما ثمان وستون ومئتان ولم يظهر أمرهما إلا بعد ذلك.

(٤) عدن لاعة هي اليوم خراب، ولاعة مقاطعة من أعمال حجة في جنوبها، انظر «قرة العيون» ج١ ص١٨٣ و«صفة جزيرة العرب» ص١١١.

(٥) عدن ابين: هو الثغر المشهور، وأبين: مخلاف شرق عدن انظر «الإكليل» ج٢ ص٤٧، «وقرة العيون» ج١ ص٣٧.

(٦) أي قالوا مرحباً وأهلاً وسهلاً.

(٧) انظر «قرة العيون» ج١ ص١٨٤ على كلمة المهدي.

(٨) عين محرم: جبل تحت مسور من الغرب وقوله ببني العرجاء وكان في الأصلين بني الفدعاء والتصحيح من كشف أسرار الباطنية ص٢٠٥ «وقرة العيون» ج١.

ومال إلى موافقتي خلق (ناشر)[1] ثم لما أخذ جبل مسور[2] واستعمل الطبول والرايات بحيث كان له ثلاثون طبلاً إذا أقبل إلى مكان سمعت إلى مسافة بعيدة وكان للحوالي[3] حصن بجبل مسور له به والٍ انتزعه منه[4] ثم حين علم استقامة أمره كتب إلى ميمون يخبره بقيام أمره وظهوره على من عانده وبعث له بهدايا وتحف جليلة وذلك سنة تسعين ومئتين فحين بلغه الأمر ووصلت الهدايا[5] قال لولده عبيد هذه دولتك قد قامت لكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب ثم بعث أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي الصنعاني[6] إلى المغرب وأمره بدخول إفريقية[7] وسياسة أهلها واستمالتهم إلى طاعة ولده عبيد، فقدم المغرب حسب أمره وكان من رجال العالم الذي يضرب بهم المثل في السياسة، فلم يستحكم أمره إلا في سنة ست وتسعين ومئتين فكتب إلى المهدي يخبره بقيام الأمر وطاعة الناس له ويأمره بالقدوم إليه فبادر عبيد الملقب بالمهدي وقدم إفريقية وقد كان الشيعي غلب على ملكها وصار بيده فحين قدم المهدي سلّمه إليه[8] فندّمه وذمّه أخوه[9] وقال له: بئس ما صنعت! بيدك ملك تسلمه لغيرك؟ وجعل يكرر عليه ذلك حتى أثر عنده وهمّ أن يغدر بالمهدي وبلغه ذلك فاستشعر منه[10] ودس عليه من قتله وقتل أخاه في ساعة واحدة منتصف جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين ومئتين[11].

وهذا عبيدالله الملقب بالمهدي هو جد ملوك المغرب ثم مصر فابن خلكان يقول في نسبهم العبيديين نسبة إلى هذا عبيد، وناس يسمونهم العلويين على صحة

---

(١) كذا في الأصلين ولعل معناها (كثير) ولم تكن موجودة في كشف أسرار الباطنية.

(٢) مسور: بفتح أوله وسكون ثانيه، وهو ما يسمى مسور المنتاب وكان يسمى «تخلى» انظر «صفة جزيرة العرب» ص٢٤٥ و«الإكليل» ج٢ ص٨٠.

(٣) الحوالي هو أبو يعفر إبراهيم بن محمد.

(٤) الحصن هو بيت فائس: بالفاء أوله والسين آخره ويقال له: بيت فائز بالفاء أوله والزاي آخره ومسور أعلاه حصون ولكن هذا بيت فائس مقر الحكومة.

(٥) كذا في «ب» وفي «د» ووصله الهدايا وفي كشف أسرار الباطنية فلما وصلت هديته.

(٦) وقد تقدم ذكره.

(٧) إفريقية كانت تطلق قديماً على ما يشمل الجزائر وتونس وطرابلس وأصبحت اليوم تطلق على قارة إفريقيا بما فيها مصر والسودان والحبشة وغيرها.

(٨) لعل الضمير يعود إلى الأمر.

(٩) أخوه اسمه أبو العباس أحمد وكان أكبر من أخيه أبي عبدالله الحسين الشيعي.

(١٠) وفي ابن خلكان واستشعر منهما: أي المهدي أي من الأخوين.

(١١) وكان قتلهما بمدينة رقادة بين القصرين.

دعواهم والله أعلم بالصواب.

فهذه نبذة ثبت فيها بداية[1] حال مذهب القرامطة في اليمن وحال منصور الذي دعا إليه وكان منصور ملكاً مسدداً.

وأما ابن فضل فسيأتي من ذكره ما يبين حاله، فقد مضى نسبه وأصل بلده[2] فقد ذكر من نقل سيرته أنه لما فارق منصوراً من غلافقة كما قدمنا ذكره طلع الجبل[3] ودخل الجند ثم خرج عنها إلى أبين وهي إذ ذاك بيد رجل من الأصابح يقال له محمد بن أبي العلا[4] ثم خرج عنها إلى بلد يافع فلقيهم رعاعاً فجعل يتعبّد في بطون الأودية ويأتونه بالطعام فلا يأكل منه إلا اليسير لمن تحقق حاله فأعجبوا به وهم يسكنون برؤوس الجبال فسألوه أن يسكن معهم فلم يكد يجيبهم إلّا بعد مدة حتى ألحوا عليه فذكر لهم أنه ما يمنعه من مساكنتهم إلّا عدم امتثالهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وشرب الخمور، والتظاهر بالفجور، فحلفوا له على الطاعة وأن لا يخالفوه بما أمر فوعدهم خيراً وصاروا يجمعون له زكواتهم حتى اجتمع له شيء جيد، ثم إنه قصد أبين فقتل صاحبها واستباحها[5] وأخذ أموالاً جليلة ثم قصد المذيخرة بلد الجعفري وكانت مدينة عظيمة بجبل ريمة[6] فحاربه مراراً وكانت الدائرة له فقتله واستباح بلده وسبى الحريم، وقد ذكر ابن مالك ذلك برسالته على أكمل وجه[7] وليس هو من ملازم الكتاب فنأتي به، ولما صار بالمذيخرة أعجبته فأظهر بها مذهبه وجعلها دار ملكه ثم ادّعى النبوة وأحلّ لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات[8] ثم دخل الجند في موسمها

---

(١) بداية من «د» وساقط من «ب».

(٢) لم يتقدم ذكر بلده فبلده مدينة جيشان من ذي رعين، انظر «جزيرة العرب» ص٧٩ وص٢١٩.

(٣) أي بلاد الجبال.

(٤) هو محمد بن أبي العلا الأصبحي الحميري ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص١٨٤ وفي «قرة العيون» ج١ ص١٧٩، وكان يومئذ بلحج وأبين، وكذا في الخزرجي.

(٥) طوى المؤلف هنا حوادث، انظر «كشف أسرار الباطنية» و«قرة العيون» ج١ ص١٨٩ والتي استباحها هي لحج، انظر الكشف.

(٦) المذيخرة بضم الميم وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحت ثم كسر الخاء المعجمة ثم راء وهاء وهي بلدة نزهة كثيرة الينابيع والعيون وتقع في سفح جبل قرعد المشهور، وريمة المناخي في غربي المذيخرة وينسب بجبل ريمه، انظر «صفة جزيرة العرب» ص١١٢، و«مفيد عمارة» ص٤٨، و«قرة العيون» ج١ ص١٩٠.

(٧) انظر «كشف أسرار الباطنية».

(٨) انظر «قرة العيون» ج١ ص١٨٨.

أول خميس من رجب فصعد المنبر وقال الأبيات المشهورة[1]:

خـذي الـدف يـا هـذه والعبي	وغنّي هـزاريـك ثـم اطـربـي
تـولّـى نـبـي بـنـي هـاشـم	وهـذا نـبـيّ بـنـي يـعـرب
لـكـل نبيّ مضى[2] شـرعـة	وهـاتي شـريعـة هـذا النبي[3]
فقـد حطّ عنـا فـروض الصلاة	وحطّ الـصـيـام فـلـم نـتـعـب
إذا النـاس صلّوا فـلا تـنهضي	وإن صـوّمـوا[4] فكلي واشـربي
ولا تـطلبي السعي عنـد الصفا	ولا زورة الـقـبـر فـي يـثـرب
ولا تمنعي نفسـك المعـرسين	مـن الأقـربـين مـع الأجـنـبـي
فبم[5] ذا حللت لهـذا الغـريب	وصـرت مـحـرّمـة لـلأب
ألـيس الـغـراس لـمـن ربّـه	وأسقـاه في الـزمن المجـدب
ومـا الخمـر إلا كمـاء السمـاء	محـل فقـدّست من مـذهـب

ثم لما استقام أمره وغلب على مخلاف جعفر والجند عزم على غزو صنعاء وبها يومئذ أسعد بن إبراهيم بن محمد[6] بن يعفر فمر بذمار وأخذ حصن هران[7] ودخل واليه[8] وغالب من معه فيه[9] بالمذهب ولحق بقيتهم بأسعد (ابن أبي)[10] يعفر.

ولما سمع أسعد بكثرة جيوشه خرج من صنعاء هارباً ودخلها ابن فضل يوم الخميس لثلاث مضين من رمضان سنة سبع وتسعين ومئتين[11] فنزل الجامع، وحصل

---

(١) في «كشف أسرار الباطنية» ص٢٩٠، وفي ذلك يقول شاعرهم على منبر الجامع بالجند، وانظر «قرة العيون» ج١ ص١٩٥.

(٢) كذا في «الكشف» وفي «قرة العيون» والخزرجي و«ب» وفي «د».

(٣) في الكشف «وهذي شرايع هذا النبي».

(٤) في «د» وإن أمسكوا.

(٥) كذا في الأصلين و«في قرة العيون» والخزرجي (فلم ذا) وفي الكشف فكيف تخلى هذا الغريب الخ.

(٦) ما بين القوسين منا لأن إبراهيم هو ابن لمحمد لا ابن يعفر.

(٧) هران: بكسر الهاء آخره نون: حصن منيع وأماكن شمال ذمار بمسافة ميلين تقريباً، وكان يسكن هذه الأماكن قبائل جنب العاتية.

(٨) الوالي هو عيسى بن معان اليافعي وفي رواية أنه قاوم.

(٩) كذا في الأصلين والعبارة ركيكة جداً والذين لحقوا بأسعد مئة وخمسون فارساً.

(١٠) ما بين القوسين منا لأن أسعد هو ابن لأبي يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر.

(١١) هذا وهم إذ لم يذكر السنة ابن أبي القبائل في كتابه «كشف أسرار الباطنة»، ومما يبطل هذا الذي قاله الجندي أن في تاريخ ابن جرير الصنعاني ما لفظه: «وصار الأمر إلى أسعد وقت دخول علي بن فضل القرمطي إلى صنعاء وذلك يوم السبت لعشر ليال ماضية من المحرم سنة ٢٩٣ ثلاث وتسعين ومئتين»

بقدومه مطر عظيم فأمر بسدّ الميازيب التي للجامع وأطلع النساء اللّاتي[1] سُبِيْن من صنعاء وغيرها وطلع المنارة وجعلوا يلقونهن إلى الماء متكشفات عاريات فمن أعجبته اجتذبها إلى المنارة وافتضّها حتى قيل: إنه افتضّ عدّة من البكور وأثر ذلك الماء وتحقّنه على السقف حتى يوجد أثر ذلك إلى اليوم[2] ذكره القاضي السري الآتي ذكره.

ثم إنه حلق رأسه فحلق معه موافقة مئة ألف نفس وأمر بإخراب دار ابن عنبسة ظنّ أنه يجد بها دفيناً فلم يجد غير عشرة آلاف دينار، وكان ابن عنبسة من أعيان أهل صنعاء[3] خرج مع أسعد حين خرج فلما بلغه إخراب بيته أخذته بطنه ومات، وحين بلغ منصوراً دخول ابن فضل صنعاء سرّه ذلك وتجهّز حتى جاءه واجتمعا وفرح كل بصاحبه.

ثم خرج ابن فضل إلى حراز ثم نزل المهجم فأخذها وسار إلى الكدرى فأخذها أيضاً[4] ثم قصد زبيد فهرب صاحبها[5] وهي يومئذ بيد أبي الجيش إسحق بن

= ويؤيده ما في سيرة الهادي ومؤلفها معاصر لابن فضل أو قريب منه في ص٣٩٠، وذلك ليوم الثلاثاء لست ليال خلت من المحرم سنة ثلاث وتسعين ومئتين، فأنت ترى أن المؤرخين المذكورين قد اتفقا في تعيين الشهر والسنة وإن اختلفا في تعيين اليوم وعدده كما أن صاحب سيرة الهادي تحدث عن قتال دار بين ابن فضل وبين أسعد، وأن أسعد لاذ بالفرار بعد مقتلة من أصحاب ابن فضل الذي كان جيشه نيفاً وأربعين ألفاً، انظر ص٣٩٨ و٣٩٠ من «قرة العيون» ج١.

(١) كذا صححنا اللاتي وفي الأصلين خبط.

(٢) ما بين القوسين عبارة ركيكة جداً، وكأن المراد أن الدم بقي عند الماء المتحقّن بالسقف إلى أن جفّ وأثره ظاهر. وهذه الحادثة لا يتصورها ولا يقبلها العقل وأنها من الدعايات المغرضة لعدة وجوه: الأول أن هذه الحادثة لم يذكرها ابن أبي القبائل في كتابه المذكور، وهو من ألدّ خصوم القرامطة، ولا ذكرها أيضاً صاحب سيرة الهادي، وهو أيضاً من أعظم أعداء هذه الطائفة. ولو كانت واقعة وحقيقة لشنّعا عليه بذكرها، ثم إذا ناقشنا الحادثة بالمنطق، فهل من المعقول أن ينزل ابن فضل في المنارة ويترك القصور والعلالي والفراش الوثير؟ إن هذا من سخف العقل وسذاجة الواضع لهذه الرواية، ثم بربّك كم قوة باءة ابن فضل وأي مكان في المنارة يتسع لافتراش المرأة وضيق درج المنارة؟ إن المجنون بالسلطان والشيوعي اليوم ليربأ بنفسه عن مثل هذه القبائل فكيف برجل عربي مسلم قريب عهد بعبادة وصوم؟.

(٣) لا يزال لآل عنبسة بقية في صنعاء.

(٤) المهجم كانت مدينة على شط وادي سردد، انظر «قرة العيون» ج١ ص١٩٨ و«مفيد عمارة» ص٤٤، و«صفة جزيرة العرب» ص٧٥، والكدري كانت مدينة على شط وادي سهام، انظر الكتب المذكورة.

(٥) كذا في الخزرجي، و«قرة العيون» ج١ ص١٩٩ بدون أبي الجيش كما يكنيه المؤرخون، وكل هذا وهم ومن نسج الخيال، واسمع ابن أبي القبائل الذي ينقل عنه الجندي، في كتابه «كشف أسرار الباطنية»، في ص٢١١ «وسرى بالليل إلى زبيد وفيها المظفر بن حاج ومعه ستمائة فارس وهجم عليه في أربعين ألفاً فأحاط بعسكره فقتل المظفر بن حاج وكان مأموراً لصاحب بغداد» وهذا القول مؤيّد بما في سيرة

إبراهيم بن محمد الواصل من بغداد، فقيل: هرب وقيل قاتل فقتله ابن الفضل[1] واستباح زبيد وسبى الحريم.

وذكر نقلة الأخبار أنه أخذ منها نحو أربعة آلاف بكر (سوى الجواري)[2] ثم خرج منها يريد المذيخرة (على طريق الميزاب: جبل شرقي زبيد)[3] فلما صار بعسكره في موضع يسمى الملاحيط أو المناحض[4] أمر صائحه فصاح على العسكر بالنزول فلما نزلوا ناداهم بالاجتماع فاجتمعوا إليه وحضروا لديه فقال لهم: لقد علمتم إنما خرجتم للجهاد في سبيل الله وقد غنمتم من نساء الحصيب ما لا يخفى ولست آمنهن عليكم أن يفتنكم ويشغلنكم عن الجهاد فليذبح كل رجل منكم من صار معه منهن ففعلوا ذلك فصار الدم في ذلك أثره سنين كثيرة ولذلك سمي الملاحيط المشاحيط[5].

ثم توجه إلى المذيخرة فلما صار بها أمر بقطع الطرق، لا سيما طريق الحج[6]، وقال حجّوا الجَرِف موضعاً بالقرب من المذيخرة واعتمروا التالبي[7] وهو وادٍ بالقرب من الجَرِف.

= الهادي ص٣٩٤، فلما كان في صفر سنة سبع وتسعين ومئتين نهض القرمطي من المذيخرة ونهض ابن ذي الطوق يريدون إلى زبيد فظفروا بابن حاج وانهزم عنهم إلى المهجم الخ . . . فأنت ترى ما في هذين المصدرين اللذين ينافيان ما في الجندي، وقد حققنا الموضوع في كتابنا (اليمن في عهود استقلاله).

(١) لم يقاتل إسحاق ولم يقتل ولا كان له وجود في هذا التاريخ وإنما المقتول إبراهيم بن علي العكي في غير زبيد.

(٢) ما بين القوسين من لدينا وليس لها وجود في الكشف ولا في الخزرجي ولا في «قرة العيون» إذ لم يظهر في الأصلين، وفي الكشف «عذراء» بدل «بكر».

(٣) ما بين القوسين غير موجود في الكشف ولا في الخزرجي ولا الديبع.

(٤) كذا في الأصلين وهو خبط ولوث، إنما هي السلاخيط قبل ذبح النساء ثم المشاحيط بعد قتلهن.

(٥) قوله فصار الدم الخ لم تكن هذه العبارة موجودة في الكشف. وبالله قف وقفة تأمّل هنا وقارن بين فضائح منارة جامع صنعاء وبين ما هنا من التزمّت المبالغ به، على أن الفاحشة أهون عند الله من قتل النفس المحرمة فتدبّر واحكم، وإن كان الكل جريمة وإن كان البعض أهون من بعض.

(٦) هذا يكاد يلحق بتلك الأباطيل فما ذنب قطع الطرقات التي تلحق عليه بالضرر أكثر، وقطع طريق الحج لا يتأتى له، ولا يُمكّن من ذلك، ولو كان قطع طريق الحاج ربما يكون مقبولاً، ولكن لا يستطيع إلى ذلك سبيلاً. قال ابن سمرة ص٧٧ مع أن الحج لم ينقطع إلا في عامين أو ثلاثة بعد دخول أبي سعيد الجنابي من القرامطة مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة الخ.

(٧) الجرف: بكسر الجيم آخره فاء عرفته، وهو غرب جنوب المذيخرة بمسافة نصف ميل صعوداً وفي نفس سفح جبل قرعد والتالبي عرفته أيضاً، وهو أعلى المذيخرة جنوباً يُصعد عليه، وفيه شجر التالب =

ولما علم ابن فضل أنه قد استحكم له أمر اليمن خلع طاعة عبيد بن ميمون الذي كان يظهر أنه داعٍ إليه ثم كاتب صاحبه منصوراً بذلك، فعاد جوابه إليه يعاتبه ويقول له: «كيف تخلعُ من لم تنل خيراً إلّا به وببركة الدعاء إليه فما تذكر ما بينك وبينه من عهود وما أخذ علينا جميعاً من الوصية على الاتفاق وعدم الافتراق؟» فلم يلتفت إليه بل كتب إليه ثانياً يخبره ويقول له: «إن لي بأبي سعيد الجنابي[1] أسوة إذ قد دعا إلى نفسه وأنت إذا لم تنزل إلى طاعتي وتدخل بإجابتي نابذتك الحرب، فلما ورد كتابه إلى منصور بذلك غلب على ظنه صحته وطلع جبل مسور وأخذ بتحصينه وقال إنما حصنت هذا الجبل من هذا الطاغية وأمثاله. ولقد عرفت الشر بوجهه حين اجتمعنا بصنعاء، ثم إن ابن فضل بعد مُدَيْدةٍ من تصديره الكتاب تجهّز إلى غزو منصور وانتدب لذلك عشرة آلاف رجل من المعدودين في عسكره وسار من المذيخرة حتى دخل شبام[2] فحصل بينه وبين عسكر منصور حرب وتكرر ذلك ودخل ابن فضل بلد لاعة وصعد جبل الجميمة بالجيم المفتوحة، وهو جبل فائش على القرب من مسور وهو لقوم يقال لهم بنو المنتاب[3] فأقام به ثمانية أشهر يحاصر منصوراً فلم يدرك منه طائلاً، وشقّ به الوقوف وعلم منصور بذلك فراسله بالصلح فقال ابن فضل: لا أفعل إلا أن ترسل إليّ ولدك يقف معي على الطاعة وإلا فلا يسمع بأني رحتُ بغير قضاء حاجة ويشيع عند العالم أني تركته تفضلاً لا عجزاً، ففعل منصور ذلك وتقدّم معه بعض أولاد منصور، ثم إن ابن فضل طوّقه بطوقٍ من ذهب وانهمك بالمذيخرة على تحليل محرّمات الشريعة وإباحة محظوراتها وعمل بها داراً واسعة يجمع فيها

= المعروف المشهور والمذكور في كتب اللّغة، وهذه المواضيع ليس فيها ما يغري الإنسان وإلا ما يتفكر فيها، فهي أيضاً ضيقة لا تسع أن تكون مقراً للملوك. وفي الكشف «وأمر بقطع الحج» وهذه العبارة معقولة وإن لم تكن صحيحة.

(١) اسمه الحسن بن بهرام الجنابي كبير القرامطة وأحد من أفسد في الأرض، والجنابي نسبة إلى جنابة بفتح الجيم وتشديد النون وألف وباء موحدة وهاء: بلدة على ساحل فارس وقتل أبو سعيد المذكور سنة واحد وثلاثمائة، انظر «قرة العيون» ج١ ص٢٠٣.

(٢) شبام بكسر الشين المهملة وفتح الباء الموحدة آخره ميم، هو ما يسمى شبام كوكبان شمال غرب صنعاء بنحو ساعة ونصف بالسيارة بل أقل من ذلك، انظر «قرة العيون» ج١ ص٨٦ و«صفة جزيرة العرب» ص٢٣١ وعمارة اليمني ص٦٣.

(٣) الجميمة: بالجيم ثم ميم مكسورة ثم ياء مثناة من تحت ثم ميم وهاء، وهي أيضاً هضبة غرب مسور من بلد لاعة، والجميمة أيضاً من كحلان عفار شرقي حجة والجميمة أيضاً من نيسة شمال حجة، وقوله فائش أي لا عمارة فيها، وبنو المنتاب من حمير، انظر «الإكليل» ج٢ ص٨٠ وهم ملوك مسور وغيره ولهم بقية إلى يوم الناس هذا.

غالب أهل مذهبه نساءً ورجالاً متزينين متطيّبين، ويوقد بينهم الشمع ساعة ويتحادثون فيها بأطيب الحديث وأطربه، ثم يُطفأ الشمع ويضع كل منهم يده على امرأة فلا يترك الوقوع عليها وإن كانت من ذوات محارمه. وقد تقع مع أحدهم ما لا تعجبه إمّا بعجوز أو غيرها فيريد التفلّت منها فلا تكاد تعذره.

فقد حكى ابن مالك أن رجلاً من القوم وقعت يده على عجوز كبيرة محدودبة فحين تحقق حالها أراد التفلّت منها فقالت له: دوبدّ من ذي حكم الأمير، ودو بالدال المهملة في لغة بعض اليمنيين بمعنى (لا)[١] فكأنها قالت: لا بد من ذي حكم الأمير وذو: بالذال المعجمة بمعنى الذي[٢] كأنها قالت لا بد من الذي حكم به الأمير، يعني ابن فضل، وهذه مخزية عظيمة شاعت عنه وحتى عمّت جميع من انتسب إلى السمعلة[٣] وهو شيء لم يتحقق عن أحد غيره، ولقد سألت جمعاً من الذين يتحقق منهم المذهب فأنكروا ذلك[٤] ورأيتهم مجمعين على أن ابن فضل زنديق وأن منصور من أعيان مذهبهم وأخيارهم وذلك هو الذي تقرّر في ذهني.

وكان ابن فضل لما طابت له المذيخرة وجعلها دار إقامة استناب على صنعاء أسعد بن (أبي) يعفر[٥] المقدم ذكره استنابه مكانه، إلّا أنه لم يثبت أن أسعد اجتمع به بل كان حذراً من غدره فأقام أسعد بصنعاء نائباً له وهو يود أن يأخذ بثأر المسلمين منه وهو أيضاً حذر متيقظ، وكان لا يكاد يستقر بصنعاء خشية غازية من ابن فضل أو هجمة.

قال ابن جرير[٦] وكان عنوان كتب ابن فضل إلى أسعد: من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده أسعد بن (أبي) يعفر، وكفى بهذا الكلام دليلاً على كفره فنسأل الله العصمة.

---

(١) لا تزال دو بمعنى (لا) مستعملة إلى يوم الناس هذا، خصوصاً في بلد الكلاع وغيرها وفي تهامة.

(٢) وذو بمعنى الذي لغة فصيحة نص عليها النّحويّون وقالوا إنها لغة طي. وطي من اليمن واستشهدوا لذلك بأشعار، انظر «قطر الندى». ولا زال اليمنيون يحتفظون بهذه اللغة.

(٣) قد تكلمنا على السمعلة في صدر المقدمة.

(٤) وأنا أيضاً سمعت الكثير من أهل هذه النحلة ينفون ذلك. انظر الكشف.

(٥) زيادة ما بين القوسين منا لأن أسعد هو ابن أبي يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر لا ابن ليعفر واستنابه الثانية تكرار.

(٦) ابن جرير هو الصنعاني وهذا الكلام مفقود من الكراريس التي معنا. وأنا أستبعد هذه الرسالة فلم يذكرها صاحب سيرة الهادي المعاصر الذي هو شديد الحملات على ابن فضل ولا صاحب الكشف. وتفرّد ابن جرير بهذه الرواية يحتاج إلى تمحيص وتحقيق.

وفي أثناء نيابة أسعد قدم غريب يزعم أنه شريف بغدادي فصحب أسعد وأنس به وقيل أن قدومه كان بإرسال من صاحب بغداد[1] لما بلغه (من قوم)[2] ابن فضل ليعمل الحيلة في قتله فلبث عند أسعد مدة وكان جراحياً ماهراً بصناعة الأدوية بصيراً بفتح العروق ومداواة الأجرحة وسقي الأشربة النافعة، ولما رأى شدة خوف أسعد لابن فضل قال: إني عَزمت على أن أهب بنفسي لله تَصَدّقاً على المسلمين، لأريحهم من هذا الطاغية فعاهدني إنْ أنا عدت إليك على أن تقاسمني ما يصير إليك من الملك فأجابه أسعد إلى ما سأل فتجهز الغريب وخرج من عند أسعد وهو إذ ذاك مقيم بالجوف ببلد همدان[3] على تخوف من ابن فضل فسار الغريب حتى قدم المذيخرة فخالط وجوه الدولة وكبراءها وفتح لهم العروق وسقاهم الأدوية النافعة وأعطاهم المعجونات فرفعوا ذكره إلى ابن فضل وأثنوا عليه عنده ووصفوه بما فيه من الصنعة وقيل له: إنه لا يصلح إلا لمثلك فلما كان ذات يوم أحب الافتصاد فبحث عنه وطلبه فجيء له به فحين وصله الطالب عمد إلى سمّ فعمله بشعره في مقدم رأسه وكان ذا شعر كثير، ثم لما دخل عليه أمره أن يتجرد من ثيابه ويلبس غيرها من ثياب كانت عند ابن فضل ثم أمره)[4] بالدنّو منه ليفصده ففعل وقعد بين يديه ثم أخرج المفصد[5] وأمتصّه تنزيهاً له من السم ثم مسحه برأسه في موضع السم فعلق به بعض السم ثم فصده بالأكحلِ وربطه وخرج من فوره وحمل هداده[6] على حمار له وخرج من المذيخرة مبادراً إلى أسعد بن (أبي)[7] يعفر، ولما قعد ابن فضل ساعة أحس بالسم وعلم أنه قد أكيد على يد الفاصد، فأمر بطلبه فلم يوجد فازداد تيقّناً وأمر أن يلحق حيث كان ويؤتى به فخرج العساكر في طلبه بنواح شتى[8] حتى أدركه بعضهم بوادي

---

(١) صاحب بغداد هو الخليفة المقتدر بالله المقتول سنة عشرين وثلاثمائة وتأمل كتاب الصليحيون فقد نسب قتل ابن فضل إلى شريف من أهل مذهبهم، وانظر «قرة العيون» ج١ ص٢٠٦.

(٢) ما بين القوسين في الأصلين ولا معنى لها وأيضاً مهملة الحروف، وليست في الكشف، وعبارة النسخة المنقطعة أرسله صاحب بغداد ليحتال في قتله ولعل تلك اللفظة «تقوى».

(٣) الجوف جوف مراد ثم جوف همدان، انظر الكلام عليه في «الإكليل» ج١ ص٩٠ و«صفة جزيرة العرب» ص٣١٤ والمراد بهمدان في كتب المؤرخين القدامى حي حاشد وبكيل.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «د».

(٥) المفصد بكسر الميم وسكون الفاء آلةُ الفصاد كالمشرط.

(٦) هداده بكسر الهاء آخرها هاء: ثيابه ومتاعه وهي لغة بعض أعراب اليمن وفي النسخة المنقطعة متاعة.

(٧) الزيادة منا كما سبق.

(٨) لفظ شتى ساقط من «د».

السحول عند المسجد المعروف بقينان[1] فلم يلتزم بل مانع على نفسه حتى قتل، وقبره هنالك وهو مسجد جامع له منارة يزار ويتبرك به دخلته في المحرم أول سنة ست وتسعين وستمئة.

وتوفي ابنُ فضل عقب ذلك ليلة الخميس منتصف ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمئة وكانت مدة امتحان المسلمين بملكه سبع عشرة سنة.

ولما علم أسعد بوفاته فرح وكذلك جميع أهل اليمن فرحوا فرحاً شديداً، ثم كاتبوا أسعد أن يغزو المذيخرة ويستأصل شأفة القرامطة[2] فأجابهم إلى ذلك وتجهز بعسكر جرار من صنعاء ونواحيها ثم لما صار بمخلاف جعفر اجتمع إليه أهله ثم أهل الجند والمعافر والتقت العساكر إلى المذيخرة وكان قد خلف ابن فضل ولد له يعرف بالفأفاء لفأفأة كانت به[3] فحصر أسعد المذيخرة بمن معه من الناس وكانت محطته بجبل ثومان الذي تقدم ذكره عند ذكر الجعفري الذي يعرف الآن بجبل خولان[4] لأن به عرباً منهم يعرفون ببني البعم فلم يزل العساكر فيه وكل ما خرج لهم عسكر من المذيخرة كسرهم المسلمون وتتابع ذلك مرة على مرة حتى ذلوا وخضعوا، ثم نصب أسعد على المدينة المنجنيقات فهدم غالب دورهم ودخلها قهراً، ثم قتل ابن فضل وجميع من ظفر به من خواصه وأهله ومن دخل مذهبه وسبى بناته وكن ثلاثاً اصطفى أسعد منهن واحدة اسمها معاذة، ثم وهبها لابن أخيه قحطان[5] فولدت له عبدالله بن قحطان الآتي ذكره والاثنتان صارتا إلى رعين[6].

وكانت مدة حصار المسلمين وأسعد للمذيخرة سنة كاملة قيل إنه لم ينزع فيها أسعد درعه ولم يزل متقلداً لسيفه، وانقطعت دولة القرامطة من مخلاف جعفر ولم تزل

---

(١) قينان بفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحت ثم نون وألف ونون آخره، ذكرها الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» وأنها من يحصب السفلى ص١٠٤، وهي تسمى اليوم قرية (المنارة) من رفود شمال مركز المخادر، وقد عرفتها ودخلتها، والقبر لا يزال موجوداً. وهذه القصة ظاهر عليها الصنعة والوضع، ومحتاجة إلى مناقشة وانظر «قرة العيون» ج١ ص٢٠٦.

(٢) شأفة الشيء: أصله، وقطع الله شأفته أذهبه بالكلية.

(٣) الفأفاء: مردّد الفاء ويكثرة في كلامه.

(٤) عزلة خولان الآن تحت جبل الثومان من الغرب وعائدة إلى أعمال المذيخرة، ولا يعرف الآن بنو البعم.

(٥) قحطان هو ابن عبدالله بن أبي يعفر إبراهيم بن محمد بن يعفر، وكان عبدالله أخو أسعد نائبه على صنعاء بعد استقلاله بالملك.

(٦) إحداهما صارت إلى السخطيين أهل منكث من يحصب العلو والأخرى إلى ذي رعين.

المذيخرة خراباً منذ ذلك إلى عصرنا[1].

وأما منصور فهو على الحال المتقدم لكنه كان رئيساً لبيباً يحب المباقاة لم يبرح في جهة لاعة[2] حتى توفي قبل ابن فضل سنة اثنتين وثلثمئة بعد أن أوصى ولداً له اسمه الحسن ورجلاً آخر من أصحابه اسمه عبدالله بن العباس الشاوري كان خصيصاً به، وكان قد أرسله إلى المهدي برسالة وهدية وصار عند المهدي منه صورة ومعرفة، وذلك أن منصوراً لمّا أحسّ بالموت جمع بينهما وقال: أوصيكما بهذا الأمر فاحفظاه ولا تقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون فنحن غرس من غروسهم ولولا ما دعونا إليه من طاعتهم لم يتم لنا مراد و(عليكم بمكاتبة إمامنا المهدي فلا تقطعا أمراً في مشاورته فإن هذا)[3] الأمر لم آخذه بكثرة مال ولا رجال ولم أصل هذه البلاد إلا بعصا وبلغت ما لم يخف ببركة المهدي الذي بشّر به النبي ﷺ وكثيراً ما كان يقول ذلك في ملأ من الناس ثم لما توفي منصور كتب وصيه الشاوري إلى المهدي وهو مقيم بالمهدية[4] (لم يبرح)[5] يخبره بوفاة منصور، وترك أمر الدعوة مرجى[6] حتى يرد أمره وأعلم المهدي بأنه يقوم بأمر الدعوة قياماً شافياً وافياً دون أولاد منصور، وبعث بالكتاب مع بعض أولاد منصور فسار به حتى قدم المهديّة ودفع الكتاب إلى المهدي فلما قرأه وكان قد عرف الشاوري من وقت قدم عليه برسالة منصور وأنه مكمل الدعوة وخشي عجز أولاد منصور عنها، ولم يكن ابن منصور قد علم بما في كتاب الشاوري فأجاب المهدي للشاوري بالاستقلال[7] وعاد ولد منصور خائباً فعاد البلاد وهو مضمر الشر، فأوصل جواب المهدي إلى الشاوري وصار هو وأخوته يواصلونه وهو يكرمهم ويبجلهم ولا يحجب أحداً منهم بل يدخلون متى شاءوا من غير حاجب، ثم إن الذي وصل من المهدي دخل عليه في بعض الغفلات فقتله واستولى على البلاد.

ولما صار مستولياً جمع الرعايا من أنحاء بلده وأشهدهم أنه قد خرج إلى مذهب

---

(١) لا يمكن أن تبقى خراباً، لأن فيها أرضاً خصبة وينابيع مياه كثيرة، وهي اليوم أعمر ما تكون.

(٢) صوابه في مسور، ولاعة من مناطق نفوذه.

(٣) ما بين القوسين من «ب».

(٤) المهدية نسبة إلى المهدي عبيدالله بن ميمون بدلاً عن القيروان وهي اليوم خراب.

(٥) ما بين القوسين من «د».

(٦) قوله مرجى كذا في الأصلين ولم يكن في الكشف ولعل المعنى أي مؤخراً حتى تبدي رأيك.

(٧) هذا خلاف ما في الكشف وأن رسالة الشاوري كانت مع رجل من خلصائه إلى المهدي، وهذا هو المعقول وأن ابن منصور خرج لوحده إلى المهدية يسأل المهدي الولاية بعد أبيه فلم يصل إلا وقد قضي الأمر، انظر «الكشف» ص٢١٧ و«قرة العيون» ج١ ص٢١٣.

السنّة وترك مذهب أبيه، فأعجب الناس ذلك وأحبّوا ودانوا له فدخل عليه أخ له اسمه جعفر[1] فنهاه عما فعل وقبحه عليه فلم يلتفت إليه وخرج عنه مغضباً وقصد المهدي إلى القيروان[2] فوجده قد توفي وقام بعده ابنه القائم[3] وذلك سنة اثنتين وعشرين وثلثمئة أعني موت المهدي وقيام القائم فلبث ابن منصور عنده ثم إن أخاه قتل أهل مذهب أبيه وشردهم حتى لم يبق حوله إلا من لا يعرف، وبقي في البلد جماعة قليلون يكاتبون بني عبيد بن ميمون إلى القيروان، ثم إن ابن منصور خرج من مسور إلى عين محرم، المذكورة أولاً، وكاتبه[4] رجل من بني العرجى سلاطين تلك الناحية واستخلف على مسور رجلاً يقال له: إبراهيم بن عبدالحميد السباعي[5] وهو جد بني المنتاب الذي ينسب مسور إليه فيقال: مسور المنتاب، فلما صار بعين محرم وثب عليه ابن العرجي فقتله وحين سمع ابن عبدالحميد ذلك أخرج من بقي معه بمسور من أهل منصور وحرمه إلى جبل أعشب[6] فوثب الناس عليهم ينهبون ويسلبون ويقتلون ثم حصل بين ابن العرجى وابن عبدالحميد اتفاق واقتسما البلاد، ورجع ابن عبدالحميد عن مذهب منصور وابتنى جامعاً وعمل منبراً وتابع الخطبة لبني العباس وجعل يتتبع القرامطة حيث سمع بهم حتى أفناهم ولم يبق منهم غير شريذمة قليلة بناحية مسور كاتمين أمرهم مقيمين ناموسهم برجل يقال له ابن رحيم ومات ابن عبدالحميد وقام بعده ابنه المنتاب، وكان ابن رحيم حازماً لا يكاد يعرف أين قراره خوفاً أن يغتاله المنتاب أو غيره من أهل السنّة وهو مع ذلك يكاتب أولاد المهدي إلى القيروان، وإلى مصر.

---

(١) جعفر المذكور حظي عند القائم العبيدي وصار صدرا من الصدور، وكان له شأن عظيم.

(٢) القيروان: بفتح أوله وسكون ثانيه، وآخره ألف ونون: مدينة بإفريقية أول من اختطّها المجاهد الكبير عقبة بن نافع بن عبدالقيس الفهري المشهور سنة خمسين من الهجرة ولا تزال قائمة.

(٣) كنيته القائم أبو القاسم واسمه محمد بن المهدي عبدالله بن ميمون ولقبه القائم تولّى بعد أبيه في التاريخ المذكور، وتوفي سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة الوفيات ج ٤ ص١١١.

(٤) كذا في «د» وكاتبه وكان الأحسن حذفها وفي «ب» وكان به وفي الكشف وفيه يومئذ رجل من بني العرجي، وفي «قرة العيون» ج١ ص٢١٥ وفيه نائب له يقال له ابن العرجي.

(٥) كان في الأصل السعي بمهملات والتصحيح من الكشف ص٢١٨ انظر «الإكليل» ج٢ ص٧٧، ونسبة مسور المنتاب إلى المنتاب الأكبر وهو منتاب بن غالب، لا إلى هذا، انظر «الإكليل» ج٢ ص٧٦.

(٦) جبل أعشب هو ما يسمى جبل بني عشب، وهو شرق شمال مسور، نسب إلى أعشب بن قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد.

وفي أيامه قدم المعز بن القائم[1] بن المهدي من القيروان إلى مصرٍ وابتنى القاهرة[2] وجعلها دار إقامته، ثم لما دنت وفاته استخلف على أهل مذهبه رجلاً منهم يقال له يوسف بن الأشج، ثم توفي وولي الأمر يومئذ الحاكم[3] فكان ابن الأشج يدعو إليه ويبايع له سراً حتى دنت وفاته، واستخلف رجلاً يقال له سليمان بن عبدالله الزواحي[4] من ضلع شبام[5] وكان ذا مال جزيل يداري به ويدفع عن أهل مذهبه، وكلما همّ أحد من الناس بقتله يقول له أنا رجل من المسلمين أقول لا إله إلا الله كيف يحل لكم سفك دمي وأخذ مالي؟ فيمسكون عنه ولما دنت وفاته استخلف علي بن محمد الصليحي وأصله من الأخروج سبع من أسباع حراز[6].

هذا ما لاق ذكره من الملوك من أول الإسلام إلى نيف وثلثمائة.

ثم بعد ذلك نعود إلى أخبار الفقهاء ما قدمنا من المئتين والثلاث الماضية، وكان معظم ما ذكرت أهل عناية وتوفر على طلب علم الأحكام وفقه كلام رسول الله ﷺ وإجماع العلماء واختلافهم والاحتياط لأنفسهم فيما يدينون الله ربّهم، وقلّ ما فاتني من أهل هذه الصفة (كان موجوداً باليمن في المدة الماضية وفي المستقبلة بحمد الله وأنتهي بذلك إلى فقهاء زماننا وأستوعبهم)[7].

ثم أذكر بعد ذلك الملوك المتأخرين من ذلك إلى عصرنا، كما ذكرت من كان في المئتين والثلاث المتقدمة.

واعلم أن المئة الرابعة كانت فقهاؤها أعياناً.

---

(١) كذا في الأصلين، وهو خطل، فالمعزّ هو ابن المنصور بن إسماعيل القائم محمد بن المهدي عبيدالله بن ميمون، لا ابن للقائم، واسم المعز معد بن إسماعيل، بويع بولاية العهد في عهد أبيه المنصور وفتح مصر على يد قائده جوهر الصقلي، ودخل الإسكندرية سنة اثنتين وستين وثلثمائة وتوفي سنة خمس وستين وثلثمائة بالقاهرة المعزية المنسوبة إليه.

(٢) المؤسس للقاهرة خادم المعز جوهر الصقلي ولكنها نسبت إلى المعزّ، وكذا الجامع الأزهر.

(٣) هذا أيضاً وهم، فالمتولي بعد المعز ولده الملقب العزيز بالله نزار بن معد المعز. وأما الحاكم فإنما هو ابن العزيز نزار لا ابن المعز واسم الحاكم منصور وكنيته أبو علي ولقبه الحاكم، وتولى بعد أبيه العزيز وهو صغير السن وله غرائب وعجائب وقتل سنة إحدى عشرة وأربعمائة، انظر «الوفيات» ج٤ ص٣٧٩.

(٤) بنو الزواحي من حمير لعبوا دوراً هاماً في سياسة الدولة الصليحية.

(٥) ضلع شبام هو الجبل الممتد من حصن كوكبان إلى الطويلة غرباً، وفيه مزارع وقرى وغير ذلك، وهو من بلاد حمير، وما يحمل اسم ضلع ذكرناه في المعجم، ومنها ضلع مأذن: همدان اليوم قرب صنعاء.

(٦) الأخروج: مخلاف بذاته وهو ما يسمى اليوم الحيمة الداخلية والخارجية، نسب إلى الأخروج بن سعد بن عوف، انظر «الإكليل» ج٢ ص٢٤٥.

(٧) ما بين القوسين ساقط من «د» وأثبتناه من «ب».

منهم أبو سعيد المفضل بن محمد الجندي المقدم ذكره لأنه كان موجوداً في آخر المئة الثالثة وصدر المئة الرابعة وذلك سنة سبع وثلاثين وثلثمائة[1] ولأجل وجوده في آخر المئة الثالثة وعدم تحققي لوجوده في المئة الرابعة ذكرته أولاً ثم رأيت بخط الفقيه ابن أبي ميسرة ما تحقق وجوده بالتاريخ الذي ذكرته آنفاً.

ومنهم أبو الحسن المغيرة بن عمرو بن الوليد العدني أخذ بمكة سنن أبي قرة عن أبي سعيد المفضل الجندي مقدم الذكر، وذلك سنة خمس وستين وثلثمائة، وكان هذا يعرف بالتاجر فيقال المغيرة العدني التاجر[2].

وفي هذه المئة، أعني الرابعة، دخل مذهب الشافعي اليمن وانتشر، فأبدأ بمن ذكر أنه نشره في الجبال، ومنهم[3] موسى بن عمران بن محمد الخداشي ثم السكسكي[4] أصله من المعافر ثم كان يختلف إلى الجند ومخلاف جعفر، وربما أقام بقرية الملحمة الآتي ضبطها عند ذكر ولده، وفقهاؤها المعروفون ببني مضمون من ذريته، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى وعنه أخذ جماعة من المعافر والجند ومخلاف جعفر، ولم أكد أقف له على تحقيق تاريخه[5].

ثم صار العلم يؤخذ عن جماعة أهل طبقة متأخرة.

منهم[6] أبو الخطاب عبدالوهاب بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله العدني لأنه ولي قضاء عدن وإلاّ فأصله من أبين من قرية الطريّة بها وجدّه عنبسة النون فيه ساكنة مقدمة على الباء الموحدة[7] بقضاء عدن وكان من الرواة المعدودين.

وجدت فيما قرأته بخط ابن أبي ميسرة سنداً متصلاً إلى هذا أبي الخطاب أنه قال رأيت رسول الله ﷺ في النوم وأنا بقرية الطريّة من أبين ليلة الخميس سابع رمضان

---

(١) قد تقدم كلام الذهبي، وانظر «تاريخ مكة» للفاسي فعبارته أليق».
(٢) لعله قد تقدم ذكره.
(٣) كذا في «د» ابن وفي «ب» أبو عمران موسى بن عمران الخ وعليه أثبتناه والذي في ابن سمرة كما هنا، ولم يرفع نسبه كما هنا.
(٤) لم يضبط المؤلف الخداشي وهو فتح الخاء المعجمة والشين المعجمة آخره مع ياء النسب، والسكسكي نسبه إلى السكاسك، وقد ذكرنا ذلك والمعافر صقع كبير وهو ما يسمّى اليوم الحجرية، انظر «صفة جزيرة العرب» و«الإكليل» ج٢ ص٢٧٩ و«قرة العيون» ج١ ص٥١.
(٥) وكذا لم نكلف أنفسنا بتحقيق ذلك وربنا ييسر الخير.
(٦) في «د» (ومنهم) بزيادة الواو، ولا معنى لزيادتها.
(٧) الذي في ابن سمرة ص٧٠ أبو الخطاب عبدالله بن عنبسة العدني، فلينظر وفي ص٧٤ ابن أبي عنبسة.

سنة خمس عشرة وأربعمئة كأنه جالس في بيت لا أعرفه على شيء مرتفع شبه الدكة وناس جلوس دونه قليلاً فدخلت عليه ودنوت منه وفلت له يا رسول الله صلى الله عليك إنه قد اقترب أجلي وأريد منك أن تلبس قميصي هذا لآمُرَ بتكفيني فيه بعد الموت فعسى الله أن يقيني بـه حرّ جهنم، فرأيت القميص على رسول الله ﷺ ثم لم أره ثم قام رسول الله إلى موضع آخر ورأيت صدره مكشوفاً لا قميص عليه فدنوت منه وعانقته وعانقني وألزقت صدري إلى صدره حتى حسست خشونة شعر صدره بصدري وجعلت فمي إلى فمه وهممت أسأله يبزق في فمي[1] وقلت له: سل الله أن يجمع بيني وبينك في الرفيق الأعلى وهو مع ذلك يضمّني إلى صدره ويجيبني إلى ما أسأله ويدعو لي وأنا أضمّه إلى صدري ثم قام ﷺ إلى موضع آخر وقعدت بين يديه وأقبل ﷺ عليّ يعرض لي بشيء أهبه لامرأة كانت بين يديه وقت دخولي عليه فنظرت إليها وفتحت صراراً[2] كانت بثوبي فقلت له والله يا رسول الله ما معي إلّا هذا ووجدت بالصِرار دينارين مطوقين[3] ودريهمات نحو عشرين لم أعدّها وسلمت ذلك إليه، وانتهيت. وكنتُ قد رأيته ﷺ عند القيام الأول ولبس القميص قد تناول من موضع آخر منديلاً (مدرحاد)[4] منقشاً مطرزاً بأحمر فقلت في نفسي كأنه يريد أن يردّ عليّ القميص ويهب لي المنديل، ثم مضى إلى الموضع الثاني ﷺ رزقني الله شفاعته ولا حرمني النظر إليه في الآخرة بمنّه وكرمه، وقد تركت القميص وأوصيتهم يكفنوني به.

قال الشيرازي[5] وهو الذي روى الخبر عن هذا أبي الخطاب: وقد سألناه إخراج القميص فأخرجه ولبسناه وأعطانا منه شيئاً.

قال الشيرازي: وسمعت منه أيضاً أنه قال: رأيت كأني دخلت داراً فلقيت النبي ﷺ قائماً (تحت الدار بين ثاني حانوت)[6] ومعه جماعة أعرف بعضهم وهم قيام لقيامه ﷺ وكان بالموضع سراج موقد فقلت: يا رسول الله قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ نُكَفِّر عَنْكُم سَيِّئاتِكُم**﴾[7] وروينا عنك أنك قلت ادخرت

---

(١) بزق بالباء والزاي والقاف كبصق بمعنى واحد، وألزقت: كألصقت.

(٢) الصرار بالكسر: جمع صُرة بالضم الشيء المصرور أي المربوط.

(٣) المطوقة دنانير معروفة ثمنها عال وغال.

(٤) كذا في الأصلين ولم تظهر الكلمة وقوله منقشاً أصلحناه وفي الأصلين غير مفهوم.

(٥) في «ب» الرازي وهو غلط. أما الثاني فصحيح فيهما، وفي ابن سمرة ص٧٠، وروى عنه أبو الخطاب محمد بن علي الشيرازي.

(٦) كذا في «ب» وفي «د» ساقط «تحت» وبدلها (في). (٧) النساء ـ ٣١.

شفاعتي لمن يعمل الكبائر من أمتي، فإذا كان الله قد سامحنا في الصغيرة وشفعت لنا أنت في الكبيرة فنحن إذاً نرجو من الله الرحمة فقال لي: كذا هو، قال الشيرازي أيضاً وسمعته يقول مرّة رأيت في تفسير النقاش[1] عن حميد عن أنس[2] قال قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة تحت العرش في ظل الله يوم لا ظل إلاّ ظله» قلت: من هم يا رسول الله؟ قال: «من فرّج عن مكروب من أمتي وأحيا سنّتي وأكثر الصلاة عليّ».

وأخذه لسنن أبي قرة عن المغيرة العدني مقدم الذكر، وكانت وفاته تقريباً نحو العشرين وأربعمئة.

ومن ناحية الجند قرية تسمى الصردف هي شرقيها، تحت الجبل المعروف بسورق بفتح السين المهملة وإسكان الواو بعدها راء مفتوحة وقاف، والصردف[3] بفتح الصاد المهملة المشددة وسكون الرّاء وفتح الدال المهملة ثم فاء (موحدة) وهي إحدى القرى المباركة بكثرة الفقهاء فيما تقدم، وبها إلى الآن مسجد جامع مشهود له بالبركة وفي جنبه الشرقي من خارجه قبر الفقيه عبدالله بن زيد العريقي صاحب المهذب الذي صنفه في الفقه صرف عنه القولين والوجهين ويقاربه قبر الفقيه إسحاق الصردفي الآتي ذكرهما إن شاء الله تعالى غربي المسجد المذكور في الجبل المقابل للقرية والمسجد.

قال ابن سمرة: وكان بالقرية المذكورة ـ وهي على ثلث مرحلة من مدينة الجند ـ جماعة فقهاء متقدمون يعرفون بآل زرقان وزرقان بطن من مراد[4] من مشهورهم أبو محمد عبدالله بن علي الزرقاني، كان فقيهاً كبيراً رحالاً في طلب العلم وكانت له أراض كثيرة منها في قريته المذكورة ومنها في معشار الجند[5] ومنها في

---

(١) النقاش هو أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد المقرىء المعروف بالنقاش الموصلي الأصل البغدادي المولد والمنشأ واسم تفسيره شفاء الصدور وفاته سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة الوفيات ج٣ ص٣٢٥.

(٢) هو أنس بن مالك الصحابي المتقدم الذكر.

(٣) الصردف كما ضبطها المؤلف كانت قرية عامرة ثم اندرست واليوم بدأت الحياة تدبّ إليها، وسورق كما ضبطه المؤلف وكان يسمى جبل الصردف ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص١٣٤ و١٣٥ والصرادف من حمير انظر «الإكليل» ج٢ ص٣٣٣ وتقع الصردف شرقي الجند وتعز ويرى منهما وقوله ثم فاء موحدة كذا في الأصلين.

(٤) مراد هو ابن مذحج واسمه يحابر.

(٥) المعشار بكسر الميم آخره راء وهو أكبر من العزلة وهي لغة يمانية مستعملة إلى هذا الحين قال الحارث بن عمرو الخولاني من خولان قضاعة:

الشعبانية وهي عزلة كبيرة ضبطها بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وفتح الباء الموحدة ثم ألف وخفض النون وفتح الياء المثناة من تحت ثم هاء ساكنة وهو صقع كبير ينسب الآن إلى حصن تعز[1].

وارتحل هذا الفقيه إلى مكة سنة ثلاث وخمسين فسمع فيها عن الأسيوطي عن الطحاوي عن المزني عن الشافعي وسمع في رحلته أيضاً عن أبي العباس الكندي[2] ولما قدم أبو زيد المروزي إلى ذمار من أرض اليمن ارتحل هذا الفقيه إليه فأخذ عنه صحيح البخاري وأخذ عن هذا جماعة، أعني الفقيه عبدالله، فممن أخذ عنه القاسم بن محمد القرشي الآتي ذكره، وكان من الأئمة المعدودين في اليمن وهو من المتقدّمين في نشر مذهب الشافعي، وهذا جملة ما استطعته من ذكر أحواله.

وقد عرض مع ذكره جماعة من الأعيان أحببت بيان اللّائق مما صح لديّ من أخبارهم.

أمّا أبو زيد المروزي (فلم يعرف بذلك أعني الإسلام غير محمد بن أحمد عبدالله المروزي)[3] صاحب أبي إسحاق، ذكره الشيخ أبو إسحاق في طبقاته وقال كان حافظاً للمذهب حسن النظر فيه مشهوراً بالزهد وعنه أخذ فقهاء مرو.

ومنهم القفال[4] وكانت وفاته بمرو سنة إحدى وسبعين وثلثمئة برجب[5].

= ويسنم دار العز من دمنتي دفا ... إلى أسفل المعشار فرع التهائم

وأما العزلة فبضم العين المهملة وسكون الزاي ثم لام وهاء، وهي قطعة من المخلاف محدود المعالم ولا زالت مستعملة إلى هذه الغاية، انظر المعجم.

(١) الشعبانية تحمل هذا الاسم إلى يومنا وذكرها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ج٢ ص١٢٩، ولا زالت مربوطة إدارياً بمركز تعز وهي الشعبانية العليا والشعبانية السفلى، ومنها ما هو في الجبل ومنها ما هو في الوطا.

(٢) الكندي ترجمته في ابن خلكان.

(٣) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د» ورأيت في الوفيات ترجمة إبراهيم بن أحمد بن أحمد بن إسحاق المروزي وفاته سنة ثماني عشرة وأربعمائة، والحسين بن محمد المروزي وفاته سنة اثنتين وستين وأربعمائة.

(٤) وترجم له في الوفيات ج٣ ص٣٣٥.

(٥) القفال هو أبو بكر عبدالله بن أحمد الفقيه الشافعي المعروف بالقفال المروزي وفاته سنة ٤١٧هـ وكان ماهراً في عمل الأقفال، ترجمته في «الوفيات» ج٢ ص٢٤٩ وهو القفال الصغير، وثَمَّ قفّال آخر واسمه أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفال الشاشي وفاته سنة ست وثلاثين وثلثمائة ترجمته في «الوفيات» ج٣ ص٣٣٨، ولعله المراد هنا، ووفاته بالشاش لا بمرو، وقيل: إنّ وفاته سنة ست وستين أو خمس وستين، انظر ابن خلكان ج٣ ص٣٣٩، فما هنا وهم أو غير الاثنين المذكورين.

ومنهم الأسيوطي وهو أبو علي الحسن بن الخضر الأسيوطي بلداً تفقّه بالطحاوي.

ومنهم أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك الأزدي نسباً الطحاوي بلداً نسبة إلى بلد اسمها طحا: بفتح الطاء والحاء المهملتين[1] وهي بلد بصعيد مصر، مولده سنة ثمان وثلاثين وقيل سنة سبع وعشرين ومئتين، وهو ابن أخت المزني وكان قد تفقّه عليه بمذهب الشافعي، فذكروا أنه غضب عليه يوماً فقال له: والله لا أفلحت أو لا جاء منك (شيء)[2] فغضب لذلك وانتقل إلى صحبة أبي جعفر بن أبي عِمْرَان الحنفي، واشتغل عليه بمذهبه وصار صدراً فيه ورأساً ودرس وإليه انتهت رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر وصنَّف في مذهبهم كتباً مفيدة، ومع ذلك كان له شعر رائق منه ما كتبه جواباً لأبيات وردت إليه وهي:

أبا جعفر ماذا تقول فإنّه ... إذا نابنا خطب عليك نعول
ولا تنكرنْ قولي وأبشر برحمةٍ ... من اللّهِ في الأمر الذي عنه نسأل
أفي الحُبِّ عارٌ لا بل العار تركه ... وهل من لَحَا أهل الصبابة يجهل
وهل (من)[3] مباح فيه قتل متيّم ... يهاجره أحبابه ويواصل
فرأيك في ردّ الجواب فإنني ... بما فيه يقضى أيّها الشيخ أفعل

فأجاب عنه في ظهر الرقعة الواصلة:

سأقضي قضاءً في الذي عنه تسأل ... وأحْكم بين العاشقِين فأعدل
فديتك ما في الحب عار علمتُه ... ولا العار ترك الحب إن كنت تعقل
ولكنه إن مات في الحبّ لم يكن ... له قَوَدٌ عندي ولا منه[4] يعقل
ومهما لحا في الحبّ لاحٍ فإنه ... لعمرك عندي من ذوي الجهل أجهل
ووصلك من تهوى وإن صدّ واجب ... عليك كذا حكم المتيّم يفعل
فهذا جواب فيه عندي قناعة ... لما جئت عنه أيها الشيخ تسأل[5]

وأخذ عنه جماعة مذهب الشافعي بأخذه له عن خاله وإن كان قد شهر عنه

---

(١) زاد المؤلف وألف مقصورة.
(٢) زيادة شيء (من) الوفيات وليس فيه لا أفلحت.
(٣) زيادة (من) من لدينا لأنه لا يتم مصراع البيت إلا به وفي الأصلين ساقط.
(٤) في ب ولا عقل.
(٥) هذه الأبيات الابتداء والجواب ليست في الوفيات ولعلها من طبقات أبي إسحاق.

الخروج فقد ثبت لنا عن جماعة من الصدور أنه كان يدرس المذهبين مع غلبة أحدهما عليه.

ولما صار صدراً لمذهب أبي حنيفة كان يقول: رحم الله أبا إبراهيم، يعني خاله، لو كان حيّاً لكفر عن يمينه، يعني قوله: والله لا أفلحت، وقد مضى. قال شيخنا رحمه الله: ما أراه كان يكفر عنها لأنه لم يفلح، إذ المعتقد أنه انتقل من الصواب إلى الخطأ، فمن يعتقد فيه ذلك لم تجب الكفارة على عدم فلاحه[1] وكانت وفاته، يعني الطحاوي، بأحد شهور سنة إحدى وعشرين وثلثمئة.

وأمّا شيخ الطحاوي في المذهب[2] فهو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن[3] عمرو بن إسحاق المزني، نسبة إلى قبيلة من العرب تسمى مُزينة: بضم الميم وفتح الزاي وسكون الياء مثناة من تحت وفتح النون ثم هاء، وهم جمع كثير، وأصل بلده مصر، وكان إمام الشافعية وأعرفهم بمذهبه وأنقلهم لأقواله، وكان زاهداً ورعاً محجاجاً مجتهداً غوّاصاً على دقائق الفقه عالماً بجلائله.

قال الأنماطي[4] قال المزني: أنا منذ خمسين سنة أنظر في كتاب الرسالة للشافعي ما نظرت فيه مرة إلّا استفدت منه فائدة لم أستفدها قبل ذلك، وكان كثير العبادة لزوماً للسنّة، من أعرف الناس بإرادة الشافعي، وفيّاً بحيث يقدم نقله عنه على كل نقل، وذلك لعدالته وتحقيقه لمذهبه، وعنه وبه انتشر مذهبه انتشاراً كاملاً، قال الشافعي في حق المزني: «ناصر مذهبي»، وله عدة مصنفات، منها الجامعان الصغير والكبير، ومختصر المختصر، والمنثور، والمسائل المعتبرة، والترغيب في العلم، وكتاب الوثائق، وكان في أثناء تصنيفه في كتابه المختصر كلما فرغ مسألة[5] قام إلى المحراب، وصلى ركعتين شكراً لله؛ وانتفع الناس بهذا المختصر انتفاعاً لم يكن له نظير، وأقام أهل مذهب الشافعي عليه عاكفين وله دارسين وبه مطالعين دهراً، ثم كانوا بين شارح مطوّل ومختصر مُقَلِّل والجميع منهم مُعْترف أنه لم يدرك من حقائقه غير

---

(١) هذا القول من التعصب المذهبي أعاذنا الله منه وحمل الناس على السلامة وحسن الظن بهم، من إيمان الرجل وعقله، وكل المذاهب على هدى إلا من شذ وخالف السنة والكتاب.

(٢) في «ب» مذهب الشافعي.

(٣) في «ب» زيادة ابن يحيى بن إسماعيل.

(٤) الأنماطي: هو أبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار الأحول الفقيه الشافعي، وتوفي في شوال سنة ثمان وثمانين ومئتين ببغداد. الوفيات ج٢ ص٤٠٦ وتأتي ترجمته للمؤلف.

(٥) كذا في الأصلين، ولعل العبارة (كلما فرغ من مسألة).

اليسير، حتى قال الإمام أبو العباس بن سريج الآتي ذكره: «يخرج مختصر المزني من الدنيا بكراً لم يفتض» لأنه كان من أعرف الناس به وكان لا يفارق حمله وإلى ذلك أشار بقوله:

صديق فؤادي منذ عشرين حجة وصيقل ذهني والمفرِّج عن همّي

وهما بيتان يأتيان في ترجمة ابن سريج.

وكان هذا المختصر أول مصنف صنف في مذهب الشافعي، وكان المزني شديد الورع، ذكروا أنه أقام دهراً لا يشرب إلا بكوز من نحاس، وسئل عن سببه فقال: بلغني أنهم يخلطون بالطين سرجيناً فلم تطب نفسي بالشرب منه، لأن النار لا تطهّره[1] وكان متى فاتته صلاة الجماعة صلّى منفرداً خمساً وعشرين صلاة مستدركاً لفضل الجماعة ومستشهداً بقوله ﷺ: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم بخمس وعشرين درجة»، ومناقب المزني أجَلّ من أن تحصى، وكانت وفاته بمصر سنة أربع وستين ومئتين ودفن على قرب من تربة الشافعي.

وقد انتهى بيان اتصال هذا الفقيه بإمام المذهب ولم يبق إلا العود إلى تتمة الفقهاء.

ثم صار العلم إلى طبقة أخرى، منهم أبو عبدالله محمد بن يحيى بن سراقة العامري نسباً، المعافري بلداً. ارتحل إلى العراق[2] وأخذ بها عمن أخذ عن ابن اللبان الفرائض وكان إماماً فيها، وله فيها مصنفات وأدرك الشيخ أبا حامد الإسفرائيني وأخذ عنه وله مصنفات في الفقه، منها مختصر سماه بما لا يسع المكلف جهله، وآخر سماه «آداب الشاهد وما يثبت به الحق على الجاحد» وبه تفقّه جماعة من أهل اليمن.

منهم أبو الفتوح بن ملامس الآتي ذكره، ولم يكن يذكر الشيخ أبو إسحاق في طبقاته من متأخري اليمن غيره أعني ابن سراقة.

وقد عرض مع ذكره رجلان من الأعيان هما ابن اللبان والشيخ أبو حامد، فأمّا ابن اللبان فهو أبو الحسن بن اللبان[3] قال الشيخ أبو إسحاق في حقه: كان إماماً في

---

(٢) السرجين الذبل: الدمال: على اختلاف اللغة. والحق أن النار مطهرة وأنها تستحيل الشيء إلى آخر، ولكن من الورع ما يمقته الله، ورحم الله المزني وغيره من الأعلام.

(٢) في طبقات السبكي ج٣ ص٦٤ أبو الحسين محمد بن عبدالله بن الحسين البصري توفي سنة ٤٠٢هـ.

(٣) ترجمته عند الشيرازي ص١٠٣. والسبكي ج٣ ص٦٤، ووفاته سنة ٤٠٦هـ.

الفـرائض والفقه ولـه مصنفـات كثيـرة غـالبهـا في الفـرائض، وعنـه أخـذ النـاس في الفـرائض، فممن أخذ عنـه أبو حـامد بن أبي مسلم الفـرضي شيخ الفقيـه أبي حامـد الإسفرائيني في الفرائض خاصة وابن سراقة، وأبو الحسن أحمد بن محمـد بن يوسف الكـازروني[1] الذي لم يكن في عصـره أفرض منـه ولا أحسب منه، وكـان الشيـخ ابن اللبان يقول ليس في الأرض فرضيّ إلاّ من أصحابي أو أصحاب أصحابي أو لا يحسن شيئاً، ولم يذكر الشيخ أبو إسحاق له تاريخاً[2] ولا تحققت من غيره ذلك.

وأما الشيخ أبـو حامـد فهو أحمـد بن أبي الطاهـر محمد بن أحمـد الإسفرائيني مولده بأحد شهور سنة أربع وأربعين وثلاثمئة بإسفرائين: بلدة من خراسـان من نواحي نيسابور[3] وإسفرائين بكسر الهمزة، وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء وألف ثم خفض الياء المثناة من تحت ثم نون.

قدم بغداد في سنة ثلاث وستين، وتفقّـه بها تفقهـاً جيداً وفي سنـة سبعين رأس ودرّس وأفتى، وإليه انتهت رئاسة أصحاب الشافعي، وكان إمام عصره وأوحد مصره.

قال الشيخ أبو إسحاق في حقه: إليه انتهت رئاسة الدين والدنيا ببغداد، وكـانت حلقتـه تجمع أكثـر من ثلثمئة متفقّـه، وله على المختصـر تعاليق يحسن نـظرها وطبق الأرض بـالأصحاب ولـه عدة مصنفـات، منها التعليقـة الكبرى، ثم البستـان والرونق مختصران.

قال ابن خلكان: أجمع أهل عصره على تقديمـه وتفضيله لجودة النـظر الفقهي حتى قال القدوري[4] أحـد أصحاب أبي حنيفـة المتأخـرين فيما يـراجع بـه هو وبعض الفقهاء: الشيخ أبو حامد عندي أفقه وأنظر من الشـافعي. قال جمـاعة من الأصحـاب الـذين بلغهم قول القـدوري إنما قـال القدوري مـا قال تعصّبـاً على الشـافعي وحسن اعتقاده في الشيخ أبي حامد، فإن أبا حـامد ومن نـاظره من الشـافعي بمنزلـة كما قـال الأول:

نـزلـوا بمكـة في قبـائـل نـوفـل ونـزلتُ في البيـداء أبعــد منـزل

---

(١) لم أجد له ترجمة، والكازروني نسبة إلى كازرون: بلدة بفارس قرب شيراز.

(٢) قد ذكرنا وفاته قريبا عن السبكي.

(٣) مضى الكلام على خراسان ونيسابور.

(٤) القدوري اسمه أبو الحسين أحمد بن محمد القدوري حنفي المذهب وفاته سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ببغداد والقدوري بضم القاف. الوفيات ج١ ص٤٠.

وكانت وفاته ببغداد ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وأربعمئة، فدفن بداره ثم نقل إلى مقبرة باب جرب[1] سنة عشر وأربعمئة.

ومنهم أبو بكر بن المضرّب سكن مدينة زبيد وكان بها فقهاء كثيرون، إليه ارتحل القاسم بن محمد القرشي من سهفنة، كما سيأتي، وأخذ الفقه عن رجل يقال له ابن المثنى بحق أخذه عن المروزي بأخذه عن أبي إسحاق المروزي عن ابن سريج عن الأنماطي عن المزني والربيع كلاهما عن الشافعي.

ولما كان ابن المضرب شيخ الطبقة هو[2] والقاسم القرشي أحببت ذكر المحقق من أحواله وبيان اتصاله بالإمام كما تقدم. وأمّا ابن المثنى[3] فلم أتحقق من أحواله شيئاً. وأمّا المروزي (فشيخه هو أبو حامد أحمد بن عامر بن بشر بن حامد المروزي)[4] أحد علماء الشافعية، صنّف الجامع في المذهب وشرح المختصر، وصنّف فى أصول الفقه وسكن البصرة، وعنه أخذ فقهاؤها، ونسبته إلى مرو الروذ البلد التي تقدم ذكرها عند ذكر ابن راهويه حين ذكرته في من قدم على عبدالرزاق، وكانت وفاته بالبصرة سنة اثنتين وستين وثلثمئة.

وأمّا شيخه أبو إسحاق فهو إبراهيم بن أحمد بن إسحاق المروزي كان إمام عصره في الفتوى والتدريس، وتفقّه بابن سريج كما مضى وبرع في الفقه.

قال ابن خلكان في حقه: إليه انتهت رئاسة الفقه بالعراق بعد ابن سريج وصنف كتباً كثيرة وشرح مختصر المزني ببغداد[5] وصنف في الأصول وعنه أخذ الأئمة وانتشر الفقه عن أصحابه في البلاد، ومن أحسن ما ذكر عنه من الشعر أنه سمع منه من يقول[6]:

لا يغلونّ عليك الحمد في ثمنٍ ... فليس حمداً وإن أثمنت بالغالي
الحمد يبقى على الأيام ما بقيت ... ويذهب الدهر بالأيام والمال

---

(١) باب جرب مقبرة مشهورة ببغداد إلى يوم الناس هذا، وفيها عظماء العلماء وأكابر الرؤساء.
(٢) كذا في الأصلين ولعله هو وأبو إسحاق. بزيادة واو العطف.
(٣) كذا في «ب» وفي «د» العين.
(٤) ما بين القوسين ساقط (من ب).
(٥) في «ب» زيادة: بالعراق بعد ابن سريج وصنف كتباً كثيرة وشرح مختصر المزني وقال الشيخ أبو إسحاق في حقه انتهت رئاسة الفقه ببغداد.
(٦) والزيادة من «د» والعبارة فيها ركاكة ولم يذكر البيتين ابن خلكان في ترجمة أبي إسحاق ج١ ص٧.

وخـرج إلى مصر في آخـر عمره فتـوفي بها لسبـع خلون من رجب سنـة أربعين وثلثمئة ودفن على قرب من تربة الشافعي.

وأمَّا شيخه ابن سريج (فهـو أشهر أئمـة الشافعيـة، ميلاده سنـة ثمانٍ وقيـل سبع وأربعين ومئتين)[1] قـال الشيخ أبـو إسحاق في حقـه كان من عـظماء الشـافعيين وأئمة المسلمين حتى كان يقال لـه: الباز الأشهب، ولي القضـاء بشيراز[2] وهـو أول من وليه من أصحاب الشافعي حتى كانوا يعاتبونه ويقولون له: لم يكن هذا يعرف في أصحاب الشـافعي إنما كـان القضاء في غيـرهم وكان يفضـل على أكابـر الأصحاب حتى على المزني، وكان لا يزال حاملاً لمختصر المزني في كمه وفيه يقول:

صـديق فؤادي منذ عشـرين حجةً ... وصيقل ذهني والمفرِّج عن هَمي
عـزيـز على مثلي إعـارة مثـله ... لمـا فيه من علم لـطيف ومن فهم
جمـوع لأصناف العلوم بـأسرهـا ... حقيق على أن لا يفـارقـه كمِّي

(واشتملت)[3] فهـرست مصنفاتـه (تزيـد)[4] على أربعمئـة مصنف وقـام بنصـرة مذهب الشافعي قياماً مرضياً، وردّ على مخالفيه ونـاظرهم وبـالغ في ذلـك وفرّع على كتب محمد بن الحسن، وكان معظم مناظرته لأبي بكـر بن داود الظاهـري[5] حكي أنه قال له يوماً وهما في المناظرة: أبلعني ريقي، فقال أبو العباس: أبلعـتك دجلة[6]، وقال له يوماً: أكلّمك من الرِّجلِ فتجيبني من الرأس فقال له: هكذا البقر إذا حفيت أظلافها دُهِنت قرونها. وقال له يوماً: أمهلني ساعة فقال: أمهلتك إلى يوم الساعة[7].

وكـان الشيخ أبـو حامـد المقدم ذكـره يقول: نحن نجـري مع أبي العبـاس في ظواهر الفقه دون دقائقه، وعن ابن سريج أخذ فقهاء الإسلام وانتشـر مذهب الشـافعي

---

(١) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د» واسمه أحمد بن عمر بن سريج إذ لم يذكره الجندي.

(٢) شيـراز بكسر الشين المعجمـة وسكون اليـاء المثناة من تحت ثم راء وألف وزاي: مـدينة كبيـرة من بلاد فارس، وتسمى مدينة الزهـور لكثرة الـزهور فيهـا، خرج منهـا عالم لا يحصى من العلمـاء والعظمـاء، عرفتها سنة ١٣٩٥هـ عندما دعيت لحضور مؤتمر ذكرى إمام النحويين (سيبويه) رحمه الله تعالى.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «د».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٥) أبو بكر هو محمد بن داود بن علي بن خلف الأصفهاني المعروف بالظاهري كان فقيهاً أديباً شاعراً ظريفاً مستقل الرأي يعمل بالظاهر بدون تأويل، وكانت وفاته سنـة سبع وتسعين ومئتين وعمـره اثنتان وأربعـون سنة «الوفيات» ج٣ ص٣٩٠.

(٦) دجلة بالكسر والفتح أحد نهري العراق.

(٧) في ابن خلكان ج١ ص٤٩: «أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم الساعة».

في جميع الآفاق وافتقد قوله ﷺ: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة من يجدد لها معالم دينها».

قال ابن خلكان: «فكان يقال في عصره إن الله بعث عمر بن عبدالعزيز على رأس المئة من الهجرة، فأظهر كل سنّة وأمات كل بدعة ومنّ الله على رأس المئتين بالإمام الشافعي فأظهر السنّة وأخفى البدعة، ومنّ الله تعالى على رأس الثلاثمائة بأبي العباس بن سريج فقويت به كل سنّة وضعفت به كل بدعة[1]» وذلك من ابن خلكان إشارة إلى الخبر المتقدم.

وكان له مع فضائله نظم حسن، هكذا قال ابن خلكان، وكانت وفاته لخمس بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلثمئة ببغداد ودفن بسويقة غالب، بالجانب الغربي، بالقرب من محلة الكرخ[2] وعمره سبعة وخمسون سنة[3] وستة أشهر. وحكي أن سبب البركة فيه أن جده سريج كان رجلاً صالحاً اشتهر بالصلاح الوافر وكان رجلاً أعجمياً لا يعرف من العربية شيئاً، فرأى الباري سبحانه وتعالى في منامه وكان له منه خطاب قال له في الأخير: يا سريج طلب كن فقال: يا خداي سر بسر قالها ثلاثاً وهذا لفظ أعجمي معناه بالعربية يا سريج اطلب فقال: يا رب رأس برأس، كما يقال رضيت أن أخلص رأساً برأس.

وأما شيخه الأنماطي فهو أبو القاسم عثمان بن سعيد بن بشار الأنماطي، نسبة إلى الأنماط وبيعها، وهي البسط التي تفرش وقيل اسمه عبيدالله بن أحمد بن بشار، قاله ابن خلكان عن أبي حفص عمر بن علي المطوعي في كتابه (المُهَذب) في ذكر أئمة المذهب، بعد أن صدر كلامه بتسميته بعثمان تفقّه بمصر على المزني والمرادي.

قال الشيخ أبو إسحاق: كان هو سبب نشاط الناس ببغداد لتحفظ كتب مذهب الشافعي والمثابرة عليها، وبه تفقّه ابن سريج، وكان إماماً مباركاً كبيراً، وكانت وفاته ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومئتين.

---

(١) في «ب» أضعفت وفي «د» ساقط به.

(٢) سويقة غالب، تصغير ساق: محلة في الجانب الغربي من بغداد. والكرخ: بفتح الكاف وسكون الراء وآخره خاء معجماً: حيّ كبير من أحياء بغداد يفصل نهر دجلة بينه وبين حي الرصافة. وأما الكرج الذي آخره جيم ومحرك أول الحروف وثانيه فبلاد بين أذربيجان والعراق.

(٣) في ابن خلكان سبع وخمسون وهو الصحيح.

وأمّا شيخاه المزني والربيع فالمزني قد تقدم ذكره في طبقة الزرقاني، وأما الربيع فهو أبو محمد الربيع بن سليمان بن عبدالجبار بن كامل المرادي بالولاء، المؤذن المصري صاحب الإمام الشافعي وراوي أكثر كتبه، قال الشافعي في حقه: الربيع راويتي، وقال: ما أخذ مني أحد ما أخذ مني الربيع. وكان يقول: يا ربيع لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك، وقال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه وعنده البويطي والمزني وابن عبدالحكم[1] فنظر إلينا ثم قال: أما أنت يا أبا يعقوب، يعني البويطي، فتموت في حديدك، وأما أنت يا مزني فسيكون لك في مصر هنات، وهنات، لتذكرنّ زماناً تكون فيه أقيس أهل زمانك، وأما أنت يا ابن عبدالحكم فسترجع إلى مذهب مالك[2] وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم لي في نشر الكتب» فلمّا مات صار كل منهم إلى ما قاله الشافعي حتى كأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق. توفي الربيع هذا بمصر يوم الاثنين لعشر بقين من شوال سنة سبعين ومئتين، وقد شرك هذا في الاسمية وصحبة الشافعي ـ ربيعٌ آخر هو أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود الأعرج الأزدي بالولاء نسباً، الجيزي بلداً، فاتفقا في الكنية والاسميّة والأبوة واختلفا[3] بالأجداد تسميةً ونسبةً كما هو مشاهد، فالجيزي نسبة إلى الجيزة: بكسر الجيم وسكون الياء المثناة من تحت، وبعدها زاي ثم هاء بلدة قبالة مصر، يفصل بينهما عرض النيل والأهرام البناء المشهور في حدها[4] وكان الربيع هذا قليل الرواية عن الشافعي، وجل روايته عن عبدالله بن عبدالحكم، وكان ثقة روى عنه أبو داود والنسائي، وكانت وفاته بمصر في ذي الحجة سنة ست وخمسين

---

(١) البويطي لم يترجم له المؤلف، هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي المصري امتحن بالقول في خلق القرآن حتى مات في سجن بغداد والقيد في رجله وزنه أربعون رطلاً، مات في رجب سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، «الوفيات» ج٦ ص٦٠. وأما المزني فقد تقدّمت ترجمته وابن عبدالحكم هو أبو محمد عبدالله بن عبدالحكم بن أعين، كان أعلم أصحاب مالك وأفضت إليه رئاسة المالكية ووفاته في شهر رمضان سنة أربع عشرة ومئتين بمصر وقبره إلى جانب قبر الشافعي وله كتاب (فتوح مصر) مطبوع غزير الفائدة وابنه أبو عبدالله محمد بن عبدالله شافعي بحت، توفي سنة ثمان وستين ومئتين بمصر وقبره إلى جانب قبر أبيه.

(٢) كذا في «ب» وفي «د» فسترجع زماناً تكون إلى مذهب مالك.

(٣) كذا في «د» وفي «ب» واختلف بالإفراد.

(٤) سميت الجيزة بذلك لأن اليمنيين الفاتحين لمصر اجتازوا من ضفة النيل الشرقية إلى الضفة الغربية فسكنوها في خبر طويل وهي اليوم حي كبير من حديقة الحيوان شمالاً إلى الأهرامات جنوباً وهي من الأحياء الراقية.

ومئتين ولم أورد ذكره إلا لأنه كثيراً ما يشتبه[1] بالربيع المرادي، وكنت ممن يقع عليه ذلك، وقد انتهى اللائق من الطبقة الثانية من أهل اليمن أعني من الذين انتشر عنهم مذهب الإمام الشافعي.

وممن قدم زبيد وصار لهم ذكر في العلم وذرية يشهرون به في طبقة ابن المضرّب وقبله القضاة بنو أبي عقامة، فأمّا جدهم القادم فهو أبو عبدالله محمد بن هارون وقد مضى بيان حاله قبل ذكر الشافعي، ولا أعلم ما كان مذهبه وإن كنت قدّمت ذكره في الطبقة، ولم أتحقق من كان في طبقة ابن المضرّب، منهم من تحققت ذكر الحسن وجماعة يأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى، فإن طبقة الحسن متأخرة إذ كان وجوده في آخر المئة الخامسة كما سيأتي إن شاء الله تعالى[2].

ومن المعافر عبدالعزيز بن (الربحي من حرازة[3] قرية بالمعافر بضم الحاء وفتح الراء المهملتين ثم ألف وفتح الزاي ثم هاء ساكنة)[4] صحب أبا عمران المذكور أولاً وتفقه به وهو أحد شيوخ القاسم أخذ عنه كتاب المنتقى في سنة تسعين وثلثمئة.

وقد انقضى ذكر من تحققته أهلاً للذكر لم يبق إلا الطبقة الثالثة من أهل مذهب الإمام الشافعي.

فأبدأ بالإمام المشتهر البركة وهو الذي عمت بركته واشتهرت رئاسته، أبو محمد القاسم ابن محمد بن عبدالله الجمحي القرشي ثم السهفني والنسبة الأولى ظاهرة. وأما الثانية فنسبة إلى قرية (السهفنة)[5] قبليّ الجَنَد على ثلث مرحلة منها: بفتح السين المهملة وسكون الهاء وفتح الفاء والنون ثم هاء ساكنة[6] وفي الناس من يحذف

---

(١) في كلا الأصلين لبس فأصلحناه كما تراه.

(٢) قد تقدم البحث عن بني زياد ومحمد بن هارون التغلبي وعن الأموي وأن ظهور تلك الشخصيات خيالية في وقت بني زياد لا تمت إلى الحقيقة بأدنى سبب وأن بني عقامة هؤلاء أصلهم من موزع، من الفرسانيين الذي يزعمون أنهم من تغلب هاجر منهم جماعة إلى زبيد فظهر منهم الحسن الآتي ذكره مع مزيد من الايضاحات في دولة آل نجاح ولو كانوا كما قال عمارة وتبعه الجندي وغيره أنهم جاؤوا من العراق للمع منهم شخصيات في بحر ثلاثة قرون تقريباً ولكن لم يظهر منهم إلا في أواخر القرن الخامس أو السادس.

(٣) حرازه: كما ضبطها المؤلف، وتقع قرية حرازة في عزلة الأيفوع المجاورة للأخمور من المعافر: الحجرية ولا زالت عامرة، وذكرها الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» ص٢٠٩.

(٤) ما كان يحتاج إلى قوله ساكنة لأنها تابعة لعوامل الإعراب.

(٥) ساقط من «ب» وسهفنة شمال القاعدة بنحو ثلاثة أميال.

(٦) ما بين قوسين من «ب» وربحي غير معروف الضبط وكذا في ابن سمرة ص٨١ وفي ص٨٩ ابن يحيى=

الهاء الأولى وهي مولد. الفقيه المذكور إذ خرج أهله من مكة لاختلاف وقع بين ملوكهم فسكنوا القرية المذكورة أخذ في بدايته عن عبدالله بن علي الزرقاني ثم انتقل إلى زبيد فأخذ عن ابن المضرب وعاد الجبل فأخذ عن ابن ربحي صاحب حرازة المقدم ذكره وتدير قريته سهفنة وهي إحدى قرى الجبال المقصودة لطلب العلم من عصر هذا الرجل إلى عصرنا لم تكد تخلو عن فقيه مدرس وطلبة مجتهدين حتى استولى عليها بعض الصعبيين فصرف وقفها في غير وجهه فصرف الله عنه البركة ولم يبق بها فقيه من أهلها ولا غيرهم لاستيلاء من لا نظر له على ما وقف لمدرّس ودرسة، فلما صار القاسم يدرس اشتهر ذكره وعلا قدره وقصده طلبة العلم من جميع أنحاء اليمن.

قال ابن سمرة قصده الطلبة من صنعاء ونواحيها والجند ونواحيها وعدن وأبين ولحج ونواحيها، ومن المعافر والسحول وأحاظة وجماعة من ناحية بلده من مخلاف جعفر كوادي ظبا وشقب وبحرانه[1] ونواحي هذه الأماكن.

وكان هذا القاسم من علماء اليمن وعظمائهم انتشر عنه المذهب انتشاراً كاملاً وطبق الأرض[2] بالأصحاب لم يكن لأحد في المتقدمين من أهل اليمن أصحاب كأصحابه كثرةً وفضلاً.

من أعيانهم إسحاق العشاري وعبدالملك بن أبي ميسرة المعافريان وجعفر بن عبدالرحيم من الظرافة[3] وعمر بن المصوع وولده عبدالله وأبو الموت من ذي السفال وأيوب بن محمد بن كديس من ظبأ، وإبراهيم بن أبي عمران من الملحمة وأسعد بن خلاد ومحمد بن سالم الأشرقيان.

ولما أراد ابن سمرة إفراد ذكره قال: ينبغي أن أبدأ بطبقة الإمام الذي أيد الله به

= وقوله بحذف الهاء الأولى: «أي سفنه» وهي التي ينطق بها اليوم واللغة الجارية على الألسن اليوم ولا زالت عامرة بالجهل والعماء وقوله: وتدير الخ أي ترأس.

(١) هذه أماكن منها ما سبق ذكره، ومنها ما هو آت. وأحاظة بضم الهمزة والظاء المشالة وفي الأصلين بالضاد المعجمة وهو وهم، ويقال فيها وحاظة ويأتي التعريف بموقعه، وظبا: بضم الظاء المشالة وكأنه جمع ظبية ويأتي تعريفه، وشقب بفتح الشين المعجمة والقاف ثم ياء موحدة؛ بلدة في وادي الحاجب شمال تعز ومن ملحقاتها، وقد وهم الحجري في معجمه وجعلها شقب التي من بلد عنس ثم من ظاهر حقل شرعه، وبحرانه: بالباء الموحدة ثم حاء مهملة ساكنة وراء وألف ونون وهاء: حصن خراب وقرية عامرة أعلى عزلة السيف من أعمال ذي السفال التي كان يطلق عليها قديماً بلاد بحرانه.

(٢) في «ب» اليمن.

(٣) الظرافة بالضم أوله يأتي ذكرها.

المسلمين وعضد به الدين الإمام العارف أبي محمد القاسم بن محمد، وحجّ القاسم سنة ثمان وثمانين وثلثمئة فرافقه في سفره ذلك أحمد بن عبدالله الصعبي جدّ قضاة سهفنة فلقي بها أحد المراوزة[1] فأخذ عنه وعن الحسين بن جعفر المراغي ثم سألاه القدوم معهما إلى اليمن وبذلا له القيام بما يحتاجه فأجابهما إلى ذلك وأخذا عنه مختصر المزني وسننه وسنن الربيع، وثم تواليف ألفها الحسين في علم الكلام منها كتاب سماه السبعة الأحرف وغيره، وكانت وفاته بالقرية المذكورة سنة سبع وثلاثين وأربعمئة وقبر بمقبرتها الشرقية تحت أكمة حمراء، هنالك، وهنالك قبور كثيرة بحيث لا يكاد يعرف قبره لتقادم الزمان، والمسجد الذي على المخلف من سهفنة إلى غيلها ويعرف مسجد قاسم نسبة إليه، هكذا سمعت جماعة من قدماء القرية[2].

ومنها أحمد بن عبدالله الصعبي رفيق القاسم في طريق مكة المقدم ذكره توفي تقريباً على رأس أربعمئة.

ومن مخلاف جعفر ثم من المشيرق جماعة منهم بعزلة القرانات[3] بنو ملامس أولهم أبو الفتح يحيى بن عيسى بن إسماعيل بن محمد بن ملامس، كان من أعيان العلماء وأكابر الفضلاء، تفقّه بابن سراقة، وبالمراغي المذكورين أولاً، ثم حج وأقام بمكة أربع سنين أو نحوها، شرح مختصر المزني في إقامته بذلك، ذكر الأصحاب أنه شرح مفيد وهو يوجد باليمن، وكان ذا مال كثير[4] تزوج في إقامته بمكة ستين امرأة، ولما عزم ابنه علي الحج استأذنه في المجاورة فقال له: بشرط أنك متى أردت النكاح لا تتزوج إلّا بكراً فإنني لا آمن أن تتزّوج من كنت قد تزوجتها.

حكى ابن سمرة أنه قال: رأيت بمكة الشيخ أبا حامدالإسفرائيني وعليه ثياب[5]

---

(١) أي المنسوبين إلى مرو.

(٢) أي أن القاسم المذكور توفي في السهفنة اليوم والأكمة الحمراء معروفة، ولا يعرف القبر، والمسجد المذكور خراب والمخلف: بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام وآخره فاء هو الطريق الضيق بين عرمين، لغة دارجة إلى يوم الناس هذا، وتقول الأعراب في أمثالها: (من تزوج من الجبل كان ابن عمه المخلف) أي من لا يختار الحسيب النسيب فقد ضاع.

(٣) والمشيرق كما ضبط المؤلف فيما يأتي قريباً: يحمل هذا الاسم إلى عهدنا هذا هو عزلة في أسافل حبيش مقابل للمخادر من مغربها، وكذلك القرانات كما ضبطها المؤلف من العزلة المذكورة ولا زالت عامرة بالأهل والسكن. أما العلم فلا نقطة بل جهل مركب، والقرانات أيضاً بلدة في عزلة الشرف التابعة لمخلاف بعدان سابقاً، وهي اليوم من أعمال المخادر، وقوله أبو الفتح يحيى (كذا في «ب») وابن سمرة وفي «د» أبو الفتح بن علي هو غلط.

(٤) كذا في الأصلين وفي ابن سمرة: وكان ذا مال نكّاحاً وهو الأصوب.

(٥) في ابن سمرة زيادة مثمنة.

من ثياب الملوك وله مركب من مراكبهم والناس تعظمه فبينما هو في الطواف إذ سمع قارئاً يقرأ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِيْنَ لاَ يُرِيْدُونَ عُلُوّاً فِي الأرض وَلاَ فَسَاداً﴾[١] الآية فبكى عند ذلك وقال: اللهمَّ أما العلوّ فقد أردناه وأما الفساد فلم نرده[٢] قال ثم حضرت معه مجلس مذاكرته فألقى عليّ ستين مسألة فأجبته عن الجميع (غير مكترث ولا مخيب)[٣] بقولين عن وجهين ولا بوجهين عن قولين[٤] ثم استأذنته بالإلقاء عليه فأذن لي فكان كثيراً ما يجيبني بمسألة القولين بوجهين وتارة بالنصّ وتارة بالنظر[٥] ثم لما علم أني استقصرت حفظه قال لي: ما أنت إلا ذكي فطن فاهم[٦] تصلح لطلب العلم، فهل لك أن تروح معي بغداد وأجعلك ملقى مدرستي وأعزّ أصحابي[٧] عندي فلم أزد على شكره في تحسين قوله إجلالاً للعلم وأهله، واعتذرت بأني لم أخرج عن بلدي بهذه النيَّة[٨]، وكانت وفاة هذا الرجل ببلده المذكور بعد عشرين وأربعمئة تقريباً وتوَارث ذريته العلم مدة، ولم يكدْ يعلم منهم أحد في عصرنا سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة، ولقد بحثت عن ذلك وقت دخلت بلده سنة عشر وسبعمئة فلم أجد ولا وجدت من يحقق لي تربته لقدم العهد به وبذريته وكتبهم يوجد البعض بأيدي ذرية الهيثم والبعض مع غيرهم.

والمشيرق : على زنة مفيعل: تصغير مشرق بالشين المعجمة، والقرانات، صقع منه بضم القاف وفتح الراء ثم ألف ثم نون مفتوحة ثم ألف ثم تاء مثناة من فوق، ومن قرية السحيّ وهي أيضاً من المشيرق بفتح السين[٩] وخفض الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحت.

ومنهم جماعة أولهم أبو سعيد الهيثم بن محمد بن الحسين بن محمد بن المشيع عبدالله بن ناكور الكلاعي ثم الحميري من ولد أحاظة[١٠] والمشيع: بضم

---

(١) القصص ـ ٨٣.

(٢) تروى هذه المقولة لعمر بن الخطاب وربما أن أبا حامد استشهد به.

(٣) ما بين القوسين غير موجود في ابن سمرة وقوله (مخيب) كذا في الأصلين، ولعله ولا مهيب بمعنى هياب.

(٤) في ابن سمرة: ما أخطأت القولين من الوجهين ولا الوجهين إلى قولين.

(٥) في ابن سمرة فصار يجيبني بأحد القولين أو بأحد الوجهين تارة بنص وتارة بنظر.

(٦) في ابن سمرة ما أنت إلاّ ذكي فاهم فطن.

(٧) في ابن سمرة وأكبر أصحابي.

(٨) في ابن سمرة على هذه النية.

(٩) أي بالمهملة وقرية السحيّ كما ضبطها المؤلف لا تزال عامرة وبالجهل تعيش.

(١٠) بالنون أول الحروف والراء آخره، والكلاعي بالفتح: قبيلة من حمير، انظر «الإكليل» ج٢ ص٢٦٥،

الميم وفتح الشين المعجمة وفتح الياء المثناة من تحت ثم عين مهملة وناكور وزن فاعول، مولده لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم سنة سبع وستين وثلثمئة وتفقّه بالمراغي وكان فقيهاً مشهوراً بالعلم وله ذرية بورك بها ما لم يبارك في غيرها من ذراري الفقهاء لا تكاد تخلو من فقيه يفتي وحاكم يقضي ومدرّس يقرىء وهم حكام بلدهم يتوارثون ذلك بطناً بعد بطن، وخلت القرية المذكورة عنهم من دهر طويل لاختلاف عرب الناحية فيما بينهم، فانتقلوا إلى قرية تعرف بالحجفة ثم سار بعضهم إلى موضع آخر ابتنى فيه مسكناً وسماه (الجُرَينة) فالأولى: بضم الحاء المهملة وسكون الجيم وفتح الفاء ثم هاء ساكنة[1]، والأخرى بضم الجيم وفتح الراء وسكون الياء المثناة من تحت وفتح النون ثم هاء ولم أقف له على تاريخ وفاته.

وممن ورد اليمن وانتفع به فيها (وعدّ من أهلها)[2] أبو عبدالله الحسين بن جعفر بن محمدالمراغي الذي ذكرت أولاً أنه قدم مع القاسم بسؤال منه إلى سهفنة وأخذ عنه جماعة من الأصحاب وانتفعوا به وحصل بينه وبين ابن سراقة منافرة لكلام نقل بينهما، وكان متضلعّاً بالفقه والأصولين وله كتاب في الفقه سماه الحروف السبعة ضمّنه الردّ على المعتزلة[3] وغيرهم من أهل البدع وله كتاب في الفقه سماه «التكليف» وآخر مختصر سماه «ما لم يسع المكلف جهله من علم الصلاة» ومختصر آخر يتضمن المعتقد، وجدته وعلقته فوجدته موافق لمعتقد السنة إلاّ مسألة راجعت فيها بعض الأكابر لعلها أدخلت عليه فقد فعل أهل الضلال وأعداء السنة ذلك معه ومع كثير من الفضلاء في مصنفاتهم كما فعل الشيطان في شيء من الوحي حين نزلت

= واحاظة كوحاظة نسب إلى وحاظة بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة بن حمير الأصغر، انظر «الاكليل» ج٢ ص٢٦٤ و«صفة جزيرة العرب».

(١) الحجفة كما ضبطها المؤلف وتحمل اسمها إلى هذه الغاية في المشيرق، والحجفة أيضاً قرية في عزلة وادي المعقاب من غربي جبل حبيش والحجفة أيضاً فى عزلة حرد من الكلاع، والحجفة أيضاً قرية من عزلة شعب يافع من مخلاف الشوافي، والحجفة أيضاً: بلدة من عزلة الفودعية: شظة قديماً من حبير أخيراً من أعمال ذي السفال، والحجفة أيضاً قرية من أعلى عزلة جبل معود من مخلاف الشوافي والجرينة كما ذكرها المؤلف كادت اليوم تندرس وهي أيضاً في المشيرق، وأما جرانه بإبدال الياء ألفاً فعزلة من مخلاف بعدان.

(٢) ما بين القوسين: ساقط من «د».

(٣) المعتزلة فرقة من فرق المسلمين من أحرار الفكر، انظر «شرح رسالة الحور العين» لنشوان الحميزي وكتاب الفرق. وقد تكرر على المؤلف ذكر المراغي.

سورة ﴿النجم إذا هوى﴾[1] وسكن آخر عمره بالوادي المعروف بوادي الحاجب[2] وتوفي بإحدى قريتين: السرة أو الفهنة[3] وكان قد اشترى بها أرضاً كثيرة، ولم أتحقق له تاريخاً بل زمنه مأخوذ من زمن القاسم وابن ملامس والهيثم فإنهم تلاميذه فاعلم ذلك.

ومن تهامة ثم من قرية المعقر وهي قرية على وادي ذؤال أحدثها الحسين بن سلامة[4] كما سيأتي ذكره، وهي بفتح الميم وسكون العين المهملة وفتح القاف ثم راء كان فيها جماعة فقهاء يعرفون بآل أبي الطلق ذكرهم عمارة في مفيده، وأثنى عليهم وقال هم بيت علم وصلاح وروي عن رجل منهم اسمه إبراهيم وقال: (وكان وجودهم في آخر المئة الثالثة وصدر الرابعة) ولم أتحقق منهم من ينبغي أمر آخره بل ذكر عمارة جماعة ممن ذكرته لاغير، ثم صار العلم في طبقة أخرى وغالبها أصحاب المذكورين فيمن مضى فأعلاهم رتبة وأكثرهم نشراً للعلم أصحاب القاسم.

منهم أبو عبدالله جعفر بن عبدالرحيم المحابي[5] وقيل جعفر بن أحمد بن

---

(١) خلاصة ما جاء في سورة النجم أن النبي ﷺ لما كثرت أذيّة قريش له ولأصحابه أمرهم بالهجرة إلى الحبشة وتمنى فقال: ليته لا ينزل عليّ شيء ينفرهم مني. وقارب قومه ودنا منهم ودنوا منه فجلس يوماً في نادٍ من تلك الأندية حول الكعبة فقرأ عليهم سورة النجم حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ فقرأ بعد ذلك ﴿تلك الغرانيق الأُلى وإن شفاعتهن لترجى﴾ وسجد في آخرها وسجدوا في خبر طويل ففرحوا لذلك فقال رواة هذا الخبر ذلك من قبل الشيطان ألقاه على لسان رسول الله ﷺ ولكن الحق ما رواه محمد بن إسحاق صاحب السيرة حين سئل عن هذا الحديث فقال: إنه من وضع الزنادقة وأيّده في هذا الأستاذ الكبير محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) ص١٦٠ وساق على كذب الحديث ما فيه مقنع فارجع إليه فإنه مفيد جداً.

(٢) وادي الحاجب: معروف لهذه الغاية وعرفته بالذات وهو واد مغيول في الشمال الشرقي من تعز ومن أعمالها.

(٣) السرة بالضم لا يزال عامراً أعلى وادي الحاجب قريباً من قرية الزواقر أما الفهنة بكسر الفاء وسكون الهاء وفتح النون آخره هاء فخراب وعرفتها أيضاً.

(٤) المعقر لم يحدثها الحسين بن سلامة بدليل أن الخزرجي قال: وروي أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه جاوز أرض عك من تهامة وأن قبائل عك قاتلوه في حدّ بلادهم ومن ذؤال وعقروا بغلته فلذلك سمى الموضع المعقر (ذكره ابن خرداذبه في كتابه «المسالك والممالك» وفي «صفة جزيرة العرب» ص٧٤. وقال ياقوت الحموي والصحيح معقر: بفتح الميم وسكون العين والقاف المكسورة ينسب إليه أبو عبدالله أحمد بن جعفر المعقري، يروي عنه مسلم بن الحجاج وهي اليوم خراب، ووادي ذؤال: قبال مدينة القحمة وقوله وذكرهم عمارة في مفيده انظر ص٨٢، تجد النص بنصه وفي «اللّباب» ج٣ ص١٥٩، مثل ما في ياقوت، وقيل بضم الميم وفتح العين وتشديد القاف والأول أصح.

(٥) المحابي بفتح الميم والحاء المهملة ثم ألف وباء موحدة وياء مثناة من تحت وإنما ضبطته لأن من يتعاطى التاريخ بدون دراية يكتبونه بالميم والخاء المعجمة ثم همزة وياء نسبة إلى المخاء الميناء المعروفة وهو خطأ وغلط وبنو المحابي ذكر الهمداني أعلاماً منهم في «الإكليل» ج٢ ص٢٩٤ ونسب إليهم بلدة المحابية من الكلاع ثم من الجعاشن من أعمال ذي السفال وهم من حمير ثم من الكلاع =

محمد بن عبدالـرحيم المحابي ثم الكـلاعي، تفقّه بـالقاسم غـالباً ثم بـابن ملامس، وغالب شهرته بالأخذ عن القاسم، وكان فقيهاً عارفاً محققاً مبرهنـاً للنصوص نقّـالاً لها محققاً مدققاً مسكنه قرية الظرافة، قرية هي في شـرقي القريـة التي تعرف بسهفنـة المقدم ذكرها، وهي بضم الظاء المعجمة القائمة وفتح الراء ثم ألف وفتح الفاء ثم هاء[1] وكان مع سعة علمه عابداً مشهوراً بالصلاح والعلم وشدة الورع مـذكور، وكـان كثير التـردد من بلده إلى مـدينة الجنـد رغبة في زيـارة مسجدهـا ومراجعـة علمائهـا والجند يـومئذ بـأيدي الكـرنديين ملوك يـأتي ذكرهم، وكـان النائب لهم فيهـا رجل فيـه خيـر وعبـادة يصحب الفقهاء ويحبهم وكان له بالفقه عقيدة جيدة فلم يزل يتلطف بالفقيه ويسـأله أن يسكن معه في الجند ويحسّن له ذلك بالقرب للنـاس بالفتـوى والتدريس، والجنـد إذ ذاك أعمر مدينة بالجبـال وأكثرهـا أهلاً، ولم يكن للفقيـه إذ ذاك أهل، ولـم يكن لـه إذ ذاك نـظر في العلم وهو رأس الفقهـاء حينئذ إليـه تنتهي الفتوى، فلمـا كثر من الـوالي ملازمة الفقيه أجابه بشرط أن لا يكلفه الحكم وشرط أن لا يدعوه إلى منـزله وإن دعـاه لم يكلفه إلى أكل الطعام فالتزم الوالي ذلك فنزل الفقيه إلى الجنـد وسكنها فـذكر أنـه حدث للوالي حادث أوجب دعوة الناس إلى منزله فاستدعاهم والفقيه في جملتهم فلما صـاروا على الطعـام والفقيه ممسـك يده نـاوله الـوالي موزة أو قـال اثنتين، وقال: يـا سيدي الفقيه هذا موز أهداه إليّ فلان لرجل يعـرف بالحـل وتطيب نفس الفقيـه بأكـل طعامه فاستحياه الفقيه وأخذ الحبة فجعل ما أمكن في فيه ثم خـرج مبادراً (مـوحداً)[2] أن ثم عذراً يوجب الخروج، ولما صار في الدهليز أخرج الحبة من باطنـه ثم صار إلى بيتـه ولم يـزل مقيمـاً بـالجنـد إلى أن قـدم الصليحي سنـــة أربـع أو خمس وخمسين وأربعمئـة، فلما صـار بدار الملك فيهـا دخل فقهـاء الجند للسـلام عليه، والفقيـه من جملتهم وكان قد استخبر عنهم استخباراً محققـاً وعرف حـال الفقيه وعلمـه وصلاحـه وأنه رأس الفقهاء وبه يقتدون وإليه ينتهون، فلمـا صار الفقهـاء عنده بحث عن الفقيـه فلما تحقق أمره قال: يا فقيه القضاء متعيّن عليك ونريـد منك أن تقبـل فقال الفقيـه لا أصلح لـه ولا يصلح لي أو كما قـال فأعـرض عنه مغضبـاً حيث لم يقبل منه واشتغـل

= وقال ابن سمرة: وللمحابيين رئاسة قديمة.

(١) الظرافة كما ضبطها المؤلف قرية نزهة جميلة مطلة على وادي خنوة في نخلان قال الشاعر فيها:

أمن الـظرافـة أن تـقـيـمـوا بـرهـة ... حـول الـظرافـة والسهـاد ضجيـعي
لـم أتـرك التـوديـع عنـد وداعكـم ... إلا مـخـافـة لـوعـة الـتـوديـع

(٢) كذا في الأصلين وبإهمال الحروف ولم تكن في ابن سمرة ولعلها: موهماً.

بالحديث مع بعض حاضري مجلسه فبادر الفقيه وخرج مبادراً ولم يعرج على شيءٍ وأخذ طريق قريته مجدّاً في السير، ثم إن الصليحي سأل عنه فقيل: إنه خرج فأمر بطلبه فلم يوجد في المدينة فأمر جماعة يلحقونه إلى بلده وأن يقعوا به فخرج جماعة من السرعان[1] فأدركوه على قرب القرية وجدلوه بسيوفهم[2] وضربوه بها فلم تقطع به شيئاً غير أنه من شدة ألم الضرب وتكرره وقع على الأرض مغشياً عليه فبادروا العود لئلا يلحقهم أو يراهم أحد، وظنوا موته وأخذوا شيئاً من ثيابه ليتوهم أنهم (حرب-.)[3] ولما وصلوا إلى الصليحي أخبروه بما فعلوا وأن سيوفهم لم تقطع به وأنهم فارقوه ميتاً فأمرهم بكتم ذلك، ولم يزل الصليحي مدة حياته يعظم أمره ويحترمه ويقول ليس في أهل السنة مثله، ويشفعه فيمن يشفع ويحترم أصحابه ويعفي أراضيهم من الخراج إحساناً وتألّفاً لباطن الفقيه ولسائر الفقهاء وليظنوا به خيراً، ثم إن بعض من حسب[4] وجد الفقيه مغشياً عليه فاصطاح بالناس فأسرعوا إجابته فوجدوا الفقيه مغشياً عليه لما به فحملوه إلى منزله ورشوه بالماء فأفاق فسألوه عن قضيته فقال وما هو الخبر[5] فقيل له إنهم ضربوك بسيوفهم فلم تقطع فما الذي كنت تقرأ، فقال: كنت أقرأ سورة ياسين، وقيل إن بعض من يختص بالفقيه قال له سألتك بالله إلا ما أخبرتني كيف لم تقطع سيوفهم بك ولم تألم[6] فقال جاءوني وقد أحرمت بالصلاة فلم أشعر بفعلهم ومنّ الله عليّ بالعافية والسلامة.

وكان لهذا الفقيه مصنف يسمى «الجامع» وهو من الكتب المعدودة من الخلاف وآخر يسمى «التقريب» وكانت وفاته تقريباً على رأس ستين وأربعمئة[7].

ومنهم أبو يعقوب إسحاق العشاري أسمي بذلك لأنه كان يحقق عشرة علوم وهو معدود في أصحاب القاسم أيضاً، وقد مضى وكان يعرف بالمعافري إذ هي بلده وإليه انتهت رئاسة الفقه بها وعنه أخذ فقهاؤها.

---

(١) سرعان الناس أوائلهم.

(٢) وحدثوا كذا في «ب» وفي «د» الكلمة مهملة الحروف فأصلحناها من عندنا وفي ابن سمرة أدركه جلاوزة الشرطة. (راجع طبقات ابن سمرة ص٩٤).

(٣) كذا في الأصلين لم تظهر الكلمة لإهمالها وربما أنها ضرب.

(٤) كذا في الأصلين مهملة الحروف وراجع ابن سمرة ص٩٤ لتعرف تصرف مؤرّخنا كما نوّهنا في المقدمة.

(٥) كذا في «د» وفي «ب» فسألوه عن قصته فأخبرهم الخبر وما في «د» أصح، راجع ابن سمرة.

(٦) أي تتألم.

(٧) في ابن سمرة: ومات رحمه الله سنة ستين وأربعمائة.

ومنهم أبو حفص عمر بن إسحاق بن المصوع من قرية تعرف بذي السّفال على مرحلة من قبلي الجند وعلى نصفها من قبلي سهفنة القرية المذكورة أولاً وهي إحدى القرى المذكورات بالفقه خرج منها جماعة شهروا بالفقه المحقق والصلاح الكامل يأتي ذكر المتحقق منهم، وضبطها بذال معجمة مخفوضة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم سين مشددة مهملة مضمومة قبلها ألف ولام ثم فتح الفاء ثم ألف ولام[1] وقد يحذف بعضهم لفظ ذي، كان هذا كبير القدر شهير الذكر معروفاً بالعلم والصلاح وكان ذا دنيا متسعة أملاك أراضٍ وغيرها وذكروا أن غالب الصوافي القديمة بذي السفال له، وإنما صارت صوافي لما قتل ولده أخا المفضل[2] وللفقيه هذا مصنف في فروع الفقه سماه «المذهب»: بضم الميم وسكون الذال المعجمة وفتح الهاء وسكون الباء الموحدة، نقل عنه شيخي أبو الحسن الأصبحي في تصحيحه، وأخبر الثقة أن الفقيه الإمام أحمد بن موسى بن عجيل كان قلّ أن يأتيه أحد من أهل الجبال إلّا وسئل عن الكتاب ووجوده وله مصنف آخر سمّاه الجامع.

ولما كان في سنة ثلاث عشرة وسبعمئة قدمت قريته وأنا إذ ذاك أبالغ في البحث عن أخبار الفقهاء وأعلق ما صح لي منها ولم يكن ابن سمرة ذكر لهذا تاريخاً بداية ولا نهاية فبحثت عن ذلك فقيل لي إنه توفي متقدماً ولا يعرف له علم فسألت فقيه القرية عن قبره لعلّي أتبارك بزيارته فسار بي إلى موضع شبيه السدر، وقال ذكر لنا المتقدمون من أهل البلد عن أمْثالهم أن قبره[3] بهذا المكان فقرأنا بعض ما يقرأه الزائرون ثم جعلنا ثوابه له ودعونا لأنفسنا ولم يذكر ابن سمرة له ولا للفقيه جعفر تاريخاً بل ذكرت تاريخه من وجوده أيام قدوم الصليحي الجند[4] وهذا الفقيه من أترابه.

---

(١) ذو السفال كما ضبطها المؤلف وينطقون بها إلى يوم الناس هذا وقد ينطق بها بكسر السين المهملة، وفي معجم البلدان ذو سفال: بفتح أوله وآخره لام: مشتقّ من السفل ويجوز أن يكون مبنياً مثل قطام وذو السفال من قرى اليمن، وقد نسب إليها بعض أهل العلم منهم أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالوهاب بن سعد السفالي روى عنه أبو القاسم هبة بن عبدالوارث الشيرازي وروى السمعاني: سفال: بكسر أوله، قال الحوالي والحق ما حققه الجندي وينطق به إلى يوم الناس هذا فصاحب البيت أدرى بالذي فيه.

(٢) اسم أخي المفضل خالد بن أبي البركات الحميري.

(٣) مقبرة بني المصوع معروفة إلى هذه الغاية وهي في أسفل بلدة ذي السفال قرب قبة العلامة الشهير يحيى بن أبي الخير العمراني الآتي ذكره في الشرق الشمالي بينهما بعض خطوات وشاهدتها وزرت من بها وفوق حول ذي الخولي ولعلها قد صارت هذه الأيام بنايات وعمارات لتهافت الناس على الحرام والحلال.

(٤) أما جعفر المحابي فقد ذكره المؤلف وذكره ابن سمرة كما سلف قريباً وقوله: موضع شبيه السدر أي

ومنهم أبو الخير[1] أيوب بن محمد بن كديس: بضم الكاف وفتح الدال وسكون الياء المثناة من تحت ثم سين مهملة، مسكنه قرية ظباء[2] وهي ما بين ذي السفال وسهفنة القريتين المذكورتين أولاً، وهي إلى ذي سفال أقرب وهي من القرى المعدودات في بلاد الجبال بكثرة الفقهاء وهي باقية إلى الآن بها جماعة يسكنونها غير فقهاء، وبها جامع يقصد للتبرك يقال: إنه بني على زمن عمر بن الخطاب وبأمره وفيه جُب للماء من ذلك الزمن من رغبة أهل القرية فيه ومحبتهم له بنوا عليه وقضضوه وهو مسجد معتدل به منبر لطيف أيضاً دخلته مراراً لغرض الزيادة والتبرك وإجماع أهل الناحية على بركته[3] وكان هذا الفقيه رجلاً صالحاً مباركاً ذا إسناد عال وله على من قصده من الطلبة إفضال وتفقّه بالقاسم، وقد ذكر وكان يقرأ العلم ويقري الطعام[4].

ولما حج أدرك بمكة الحافظ عبد بن أحمد الهروي فأخذ عنه كثيراً من مسموعاته وذلك سنة سبع وأربعمئة[5] وكان ينادي في الموسم له من أراد الوَرَق والوَرِق الأول بفتح الراء والثاني بخفضها[6] والسماع العالي فعليه بأيوب بن محمد بن كديس إلى قلعة ظباء من أرض اليمن، ولعل الفقيه كان يسكن القلعة وهي بقرب قرية ظباء: بضم الظاء القائمة المعجمة وفتح الباء الموحدة[7] وذلك أنهما بمكان واحد ومحارثهما واحدة.

وكانت وفاته تقريباً على رأس عشر وأربعمئة، ولم يحقق ابن سمرة ذلك ولا غيره ومنهم أبو الموت لم أتحقق من حاله شيئاً ولا تسميته لأن ابن سمرة لم يسمه غير بأبي الموت وذكر أنه لم يتحقق من نعته شيئاً، وذكر بعض من رأيته قد علق شيئاً من

= كثير الأشجار التي منها السدر.

(١) في «د» ومنهم أيوب أبو الخير، أي بالتقديم والتأخير.

(٢) هي التي تسمى اليوم قرية (الجامع) وهي عامرة وقبر ابن كديس موجود يزار وقوله وسين مهملة: مسكنة وهم بل على حسب العوامل.

(٣) وأنا دخلته مراراً وقد تبدلت الأشياء والأرض والجامع قد أعيد مراراً والشهرة أنه من أيام عمر بن الخطاب لا زالت على السنة العامة إلى ذا الحين وقبر ابن كديس قبلي الجامع بمسافة يسيرة.

(٤) الأول من قرأ مهموز الآخر والثاني من قرى بدون همز من قرى الضيف إذا أكرمه وأطعمه.

(٥) والهروي هو الإمام الحافظ أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن عفير الأنصاري المالكي شيخ الحرم ولد سنة ٣٥٥ وتوفي سنة ٤٣٤هـ تذكرة الحفاظ وكان في الأصلين عبيد والتصحيح مما ذكرنا.

(٦) الأول البياض الذي يكتب فيه، والثاني الفضة ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ﴾ الكهف ـ ١٩.

(٧) قلعة ظباء لا زالت تسمى بهذا الإسم إلى التاريخ وتروى فيها خرافات لا حاجة لنا بذكرها هنا.

أحواله أنه كان فقيهاً محدثاً، وقد عددته في أصحاب القاسم، ومما وجدته في شيءٍ من كتب الفقهاء بني مقبل الآتي ذكرهم إن شاء الله وفي نسخة بلغ منها ما مثاله روى الشيخ سالم بن مهرام عن أحمد بن عبدالعزيز عن الفقيه أبي الموت يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: إن الله تعالى يستوفي حقوقه على يد من لا يستحق الاستيفاء للحقوق عند عدم الأئمة.

قال الفقيه أبو الموت: ودليل صحة الخبر أن أهل المشرق[1] لما تركوا الصلاة سلط الله عليهم القتل فيما بينهم وهو حدّ تارك الصلاة بدليل قوله ﷺ من ترك الصلاة حل قتله، وأن أهل جبال تهامة واليمن[2] لما تركوا الزكاة سلط الله عليهم سلاطين الجور يأخذون أموالهم وذلك حد تارك الزكاة لقوله ﷺ في من غل الزكاة فإنّا نأخذها وشطراً من ماله، قال الفقيه: فإن قيل إنّما يترك الصلاة والزكاة بعض الناس فَلِمَ عمّ العقاب؟ قيل للسائل عن ذلك قد سئل ﷺ عنه فقال الرحمة تعم والسخط يعم[3] ألا ترى أنّ عاقر الناقة واحد والهالك بذنبه أمم؟

ومنهم أبو محمد عبدالله بن الفقيه عمر بن المصوّع المقدم الذكر كان فقيهاً فاضلاً تفقهه بأبيه وذكره ابن سمرة مع أبيه وكان ذا دنيا واسعة مال ونشب[4] وكان يواصل والي التعكر لكونه الحاكم على بلده ذي السفال وهو إذ ذاك أخو المفضل بن أبي البركات المسمى المنصور[5] وكانت فيه، أعني هذا الفقيه، بلاهة وسلامة صدر وكان الوالي يأتمنه ويأمر البوابين لا يمنعونه[6] عن الطلوع متى شاء ولا يحتجب عنه لما اعتقد فيه من الخير فطوّعت له نفسه أن يقتل الوالي استبداداً واستحلالاً لكونه على مذهب الرفض ولم يشاور بذلك أحداً بل خيّلت له نفسه أنه متى وجد المرتبون

---

(١) يطلق لفظ (المشرق) في عرف أهل اليمن الأسفل حتى إلى عهدنا هذا ـ على أهل الشمال من شمال منحدر نقيل صيد: سمارة إلى أقصى حدود اليمن الطبيعي

(٢) اليمن: هو اليمن الأسفل من صيد: سمارة وجبال تهامة هي المطل عليها من الشرق وما ذكره أبو الموت هو كذلك ولنا حول هذه الحكاية فذلكة ذكرناها في التاريخ الكبير.

(٣) المعروف أن الرحمة تخص والسخط يعم وهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِين ظَلَمُوا منكم خَاصَةً﴾ الأنفال ـ ٢٥ وكما استشهد بعاقر الناقة.

(٤) في ابن سمرة وكان ذا مال وجاه والنشب: المال الأصيل.

(٥) تقدم اسمه وهو خالد بن أبي البركات ولقبه المنصور وكانت الحادثة في أيام الملك المكرم كما في ابن سمرة.

(٦) كذا في «د» وفي «ب» لا يمنعوه.

منه المال للجوامك[1] أطاعوه على ما يريد فعامل سلاّطاً من عادته أن يطلع الحصن بالسليط ويبيعه على من فيه أن يطلع في بطاطه[2] مكان السليط ذهباً وفضة مسكوكين فلما صار الفقيه بالحصن والسلاط كذلك خلى الفقيه بالأمير فقتله، وصاح من طاق الدار بالسلاّط يأكل كما يأكل[3] بانزعاج فارتاب أهل الحصن من ذلك ودخلوا الدار فوجدوا الأمير مقتولاً فبادروا إلى قتل الفقيه وإعلام المكرم[4] بما جرى فجعل مكانه أخاه المفضل فغصب أموال الفقيه وبساتينه[5] وخرج بعض الفقهاء من ظباء ونخلان بسبب تلك النوّبة[6] وكان ذلك تقريباً على رأس ثمانين وأربعمئة.

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن الفقيه أبي عمران موسى بن عمران الخداشي[7] المقدم ذكره، وأنه أحد من نشر مذهب الشافعي أول ظهوره وسكن إباً والسحول ثم تديّر الملحمة وهي قرية بوادي السحول تحت الحصن المعروف بشواحط[8] وضبطها: بفتح الميم بعد ألف ولام وفتح الحاء المهملة والميم ثم هاء، والشواحط: بفتح الشين المعجمة والواو ثم ألف وخفض الحاء ثم طاء مهملتين ولم يزل بها حتى توفي، وله بها عقب، ولم يزل فيهم الفقهاء والأخيار غالباً يأتي ذكر المتحقق منهم إن شاء الله، وقَدِمتُ هذه القرية سنة ثلاث عشرة وسبعمئة لا غرض لي إلاّ زيارة تربة هذا

---

(١) في ابن سمرة ويقال كان يروم الامارة في التعكر والخروج على المكرم أحمد بن علي بن محمد الصليحي والجوامك: جمع جامكية: المرتب الشهري ولعلها لغة هندية.

(٢) البطاط بكسر الباء الموحدة: جمع بطة بفتحها وهو وعاء مصنوع من الجلد فيه قساوة وهو أنواع ولا زال معروفاً ومستعملاً.

(٣) كذا في «ب» وفي «د» يأكل ما يأكل وهذه الحادثة لم يذكرها ابن سمرة بهذا التفصيل.

(٤) يأتي ذكر المكرم.

(٥) في قرية الأكمة أعلى وادي ظبا ضيعة تسمى البساتين أرض رغبة كانت أملاك بني المصوع ثم صارت صوافي وهي اليوم أملاك للناس.

(٦) نخلان هو الوادي المشهور من وادي خنوة إلى أعلاه وهو يشكل عزلة على حافته قرى كبيرة تنسب إلى نخلان بن مثوى بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ، والنوبة هي الحالة التي اعترت ذلك العالم إلى قتل الأمير المنصور بن أبي البركات الحميري.

(٧) في ابن سمرة السكسكي فليراجع.

(٨) إب: بكسر الهمزة بعدها باء موحدة، هي اليوم ومن الخمسينات مركز الإقليم الأخضر مخلاف ذي الكلاع الأخضر لواء إب، وهي من أنظر مدن اليمن وأحسنها مرافق، وهي معدودة من مخلاف السحول ومخلاف جعفر في القديم، والسحول تقدم ذكره، والملحمة كما ضبطها المؤلف وهي في شعب من عزلة السحول شمال مدينة إب بمسافة ساعة ونصف تقريباً قد شقّ إليها الطريق وهي قرية مغيولة فيها البنّ وغيره وشواحط لا يزال عامراً وهو فرد ولا وصول إليه إلاّ على أخشاب منصوبة على هوّة سحيقة ويسكنه اليوم آل الغرباني، وقد دخلته وشاهدت الملحمة.

الفقيه ومن قد بلغني من أهله، فاجتمعت ببعضهم حين صرت إلى القرية وسألته أن يريني شيئاً من كتبهم لعلّي أجد فيها شيئاً من أخبارهم وآثارهم، وأخبرني أن غالبها قد فات بالعارة والنهب وتقاسم الورثة، وأن الباقي يسير فسألته أن يخرج إليّ الموجود فأخرج لي كتاباً وجدت به ورقة قديمة قد اضمحلّت كتابتها وكادت تذهب فتأملت ذلك وإذا به قد عد جماعة من علماء اليمن المتكلّمين[1] المتقدمين وعُدّ فيهم وأكدّ هذا عمران: فقال فقيه من أعلى شيوخ اليمن الذين ظهر عنهم مذهب الشافعي في[2] ابن عمران المعافري. قال: وعنه أخذ ابنه إبراهيم، قلت وهذا محمول على أن الشيخ الحافظ موسى طال عمره وأدرك ولده إبراهيم وتفقّه به وبالقاسم الذي حقق ابن سمرة أنه من أصحابه، ولما حجّ إبراهيم سمع بمكة مختصر المزني على أبي رجاء محمد بن حامد البغدادي[3] وقد تفقه بإبراهيم هذا جماعة، منهم يعقوب البعداني وأسعد بن الهيثم وغيرهما.

ومنهم أبو الوليد عبدالملك بن محمد بن أبي ميسرة اليافعي سكن جبل الصلو[4] وتفقه بالقاسم، وكان إماماً في الحديث وثبتاً في النقل عارفاً بطرق الحديث ورواته[5] يعرف بالشيخ الحافظ حج مكة سنة إحدى وخمسين وأربعمئة فأدرك بها الشيخ العارف سعد الريحباني[6] وأخذ عنه وعن أبي عبدالله محمد بن الوليد المالكي العكي[7] ثم عاد اليمن، وكان قد دخل عدن فلقي بها أبا بكر أحمد بن محمد البردي[8] فأخذ عنه الرسالة الجديدة للإمام الشافعي وإليه ينتهي سماعنا لها[9] وذلك سنة سبع وثلاثين وأربعمئة[10] وكان كثير الترحل إلى العلماء وقد أخذ عن أيوب بن محمد بن كديس الظبائي أيضاً كتاب الرقائق لعبدالله بن المبارك ودخل عدن مرة ثانية

---

(١) المتكلمين من «د» ساقط من «ب».
(٢) كذا في الأصلين.
(٣) أبو رجاء محمد بن حامد البغدادي نزيل مكة سنة ٢٤٥ وتوفي سنة ٣٤٠ الفاسي ج١ ص١١٨.
(٤) جبل الصلو: بضم الصاد المهملة وقد تُكسر، ثم لام ساكنة وواو وهو جبل مبارك عداده من المعافر جنوب تعز ويشكل مخلاف ناحية.
(٥) كذا في «ب» وفي «د» وروايته.
(٦) تأتي ترجمته للمؤلف.
(٧) كذا في الأصلين وفي ابن سمرة المالقي العكي وعند بامخرمة محمد بن الوليد والمالكي والعكي.
(٨) كذا في الأصلين وانظر ترجمته بثغر عدن ٢، ٧.
(٩) لها في «د» وساقطة من «ب».
(١٠) أي أخذ الحافظ عبدالملك من أبي بكر أحمد بن محمد.

سنة ثلاث وأربعين وأربعمئة فأخذ بها عن أبي عبدالله محمد بن الحسين بن منصور بن أبي الزعفراني[1] وكان يكثر التردد ما بين بلده والجوّة والجند وعدن وله بكل مدينة أصحاب وشيوخ، وكان أكثر مقامه بمدينة الجؤة: بضم الجيم وهمزة على الواو ومفتوحة ثم هاء[2] وهي فيما مضى من المدن المعدودة بكثرة البناء والعالم وسكنى الملوك وظهور جماعة من الفضلاء بها، وبها جامع به مأذنة وهي على مرحلة من الجند من جهة اليمن تحت جبل الحصن المشهور في اليمن بحصن الدملوة الذي هو بيت ذخائر الملوك ومالهم منذ زمن متقدم[3] وهو بضم الدال المهملة بعد ألف ولام وسكون الميم وضم اللام وفتح الواو، وقد يجعل مكانها همزة ثم هاء وكان معظم إقامة هذا الحافظ بهذه المدينة لكونها على قرب من بلده وأخذ عنه بجامعها عدة كتب وقصده الطلبة إليها لأنه انتقل من جبل الصلو إلى بلد تعرف بالحاظنة: بفتح الحاء المهملة ثم ألف وظاء معجمة مخفوضة ونون مفتوحة ثم هاء، وهي صقع كبير يجمع قرى كثيرة سكن الفقيه المذكور قرية منها تعرف بالقرنين: بقاف مفتوحة بعد ألف ولام ثم راء ساكنة ثم ياء بين[4] نونين ولم يزل الفقيه بها حتى توفي وبها قبره، وكان بعض مشايخ بني البعداني من جبل بعدان كتب إليه يسأله أن ينتقل إليه وبذل له الإكرام والقيام بحاله أتمّ القيام فلم يرغب في ذلك وجوّب له جواباً من جملته شعر منه[5]:

منزلي منزل رحيبٌ أنيق فيه لي من فواكه الصيف سوق

---

(١) تقدمت ترجمة الزعفراني إذا كان المتقدم ولعل هذا متأخر.

(٢) الجؤة منذ زمن متقادم خراب وتقع في سفح جبل الدملوة من الصلو عن شماله، وفيها اليوم بيوت متفرقة، وبلغني أن لها تاريخاً يسمى «ضوء الشمعة في تاريخ الجمنون والقلعة»، لم أظفر به رغم البحث عنه.

(٣) حصن الدملوة كان من أروع حصون اليمن وأمتعه، وكان من المعاقل التي لا ترام، انظر الكلام على الدملوه في صفة جزيرة العرب ص ١٣٥، وعمارة اليمني ص ٥١ و٦١ ويأتي الكلام عليها للمؤلف.

(٤) الحاظنة كما ضبطها المؤلف هي التي تسمى اليوم عزلة عبدالملك، باسم الحافظ المذكور ومنها اليوم الراهدة التي هي أشبه بالمدينة لموقعها على طريق السيارات تعز ـ عدن، وكذا القرنين لا زالت تحتفظ باسمها لوقوعها بين جبلين متقاربين بينهما القرنين أحدهما شمال شرقي والآخر جنوبي، والقرية أسفل الجبل الجنوبي، وقد عرفنا بعض الأخوان من أهل القرية إلى قرية الحافظ المذكور وهي عن يمين السائر إلى الراهدة، وقبر الحافظ المذكور عن اليمين وبينه وبين الراهدة الواقعة شرقي القبر والقبة ربع ميل بل أقل وعلى القبر قبة ومسجد يصلى به ويقال إن جميع عزلة عبدالملك الحاظنة أوقاف على مسجد القبة، وكل هذا في الشرق الجنوبي من تعز بمسافة نحو ساعة ونصف بالسيارة أو أقل.

(٥) في ابن سمرة وكتب له بقصيدة أولها.

ثم شكر تفضل الشيخ وعَدّ ما كتب إليه بـه إحسانـاً واعتذر عن الانتقـال وسكن الحاظنة حتى توفي[1] وكانت وفاته سنة ثلاث وسبعين وأربعمئـة، ويزار قبـره من أنحاء شتى ويتبرك به ويشم زائره رائحة المسك، وأخبرني الثقة أنه يـوجد على قبـره كل ليلة جمعة طائر أخضر.

ومن ذي أشرق، وهي قرية كبيرة بالوادي المعـروف بنخلان على نصف مـرحلة من الجنـد تقريباً وهي أيضـاً من القـرى المبـاركـة من اليمن، خـرج منهـا جمـع من العلماء، وضبطهـا: ذي ذال معجمة ثم يـاء مثناة من تحت ثم همـزة مفتوحـة ثم شين معجمة ساكنة وراء (مخفوضة) ثم قاف[2] أول من ذكـره ابن سمرة من أهلهـا أسعد بن خلاد[3] تفقه بالقاسم أيضاً وكان فقيهاً محققاً زاهداً ورعاً ولـم أتحقق له تاريخـاً بل هـو من طبقة أصحاب القاسم.

ومنهم أبـو عبدالله محمـد بن سـالم بن عبـدالله بن محمـد بن سـالم بن يـزيـد الشعبي، وقد يقال اليزيدي نسبة إلى جده المـذكور[4] وأصـل بلد أهله جبل ذبحـان[5] أحد معاشير الدملوة، انتقل إلى هذه القرية وتـديرهـا ولهم بها عقب إلى الآن يعـرفون ببني الإمام بيت صلاح وعلم، ميلاده شهر صفر الكائن في سنة خمس وتسعين وثلثمئة، أثنى ابن سمرة على جماعة منهم، وأول من ذكر منهم هذا وهو جـدهم وأظنه أول من ولي للإمام بذي أشرق بالجامـع منهم وذريته على ذلـك إلى الآن سنة اثنتين وعشـرين وسبعمئة.

قال ابن سمرة حين ذكره ومنهم الشيخ محمد بن سالم تفقّـه بالقـاسم وأخذ عن

---

(١) في ابن سمرة، يوم الاثنين الثالث والعشرين من رجب ٤٩٣.

(٢) قال الإمام نشوان بن سعيد الحميري: وذو أشرق قيلٌ من أقيال حمير سميت به البلدة المذكورة، والقرية المذكورة عامرة بالأهل والسكن تطل على وادي نخلان من الشمـال الغربي وعـدادها من نخـلان وليس فيها اليوم لا فقه ولا علم، وبها جـامع أثـري قديم عليـه خط كوفي وأنـه أمر بعمـارته الخليفـة عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه في سنة ٩٩ تقريباً وكان فيهـا أدباء وشعـراء ذكرنـاهم في المعجم وقولـه راء مخفوضة، كذا في الأصلين، وصوابه مفتوحة.

(٣) في ابن سمـرة وكان في امـارة المفضل بن أبي البـركـات سمـع من القـاسم وروى عنـه معـاني القـرآن للصفار.

(٤) في ابن سمرة: ونسبه في الأشعوب.

(٥) ذبحان: بضم الذال المعجمة وسكون الباء الموحدة ثم حاء مهملة وألف ونـون نسب إلى ذبحان بن ذي رعين انـظر الاكليل ج٢ ص٣٤١، وذبحـانُ هذه عـزلة من المعـافر وبهـا مركـز مخلاف المعـافر قضـاء الحجرية جنوب غرب تعز.

أبي الفتوحِ بن ملامسٍ سنن الترمذي[1] وذلك سنة عشرين وأربعمئة بصفر الكائن فيها، وكان رجلاً خيّراً زاهداً فاضلاً ورعاً وتوفي بالقرية في رمضان الكائن في سنة ست وخمسين وأربعمئة.

ومنهم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم السلالي ثم الكناني، كان من أتراب الفقيه محمد بن سالم وأقرانه، تفقّه بأبي الفتوح بن ملامس وأخيه أسعد صهر الفقيه إسحاق الصردفي زوج أخته وابنه عليّ منها، ويأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى.

ومنهم أبو بكر بن الفقيه أحمد الصعبي السهفني المقدم ذكره أنه رفيق القاسم في سفر مكة وأنهما قدما بالمراغي، تَفَقّه هذا بأبيه وربما قيل: إنه أخذ عن القاسم، وقد انقضت طبقة أصحاب الفقيه القاسم ومن ناظرهم.

ثم صار العلم إلى طبقة أخرى مع جماعة، ومنهم أبو سعيد بن خير بن الفقيه يحيى بن[3] ملامس مقدم الذكر خير: بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة من تحت ثم راء، تفقّه بأبيه المقدم ذكره وحج مكة فوجد بها جمعاً من العلماء، منهم الحافظ أبو ذر عبد بن أحمد الهروي وأبو بكر بن محمد بن منصور الشهرزوري[4] أحد شراح المختصر، وأخذ عن أبي ذر (البخاري) وعلم الشهرزوري شيئاً في الفقه وسنن أبي داوود، ولقي أيضاً أحمد بن محمد البزاز المكي، وأخذ عنه الشريعة للآجري ورجع بلده فأخذ عنه جماعة بها جمع كبير.

منهم أسعد بن زيد بن الحسن ثم أسعد بن الهيثم، وأولاده زيد وعمرو الآتي ذكرهما إن شاء الله تعالى، وكانت وفاته ببلده وبلد أبيه عزلة القرانات[5] من مشيرق أحاظة سنة ثمانين وأربعمئة.

ومنهم أبو الغارات علي بن محمد بن العباس التباعي ثم الحميري، مسكنه

---

(١) في ابن سمرة صحيح البخاري وقيل الترمذي.

(٢) في ابن سمرة بعد هذا سمع من الفقيه الشيخ أبي الفتوح بن ملامس الترمذي سنة عشرين وأربعمائة.

(٣) في ابن سمرة يحيى بن عيسى بن ملامس وقوله ثم صار العلم في «ب» ثم صار الفقيه في «د».

(٤) الشهرزوري: بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وضم الراء والزاي وسكون الواو بعدها راء، نسبة إلى شهرزور: بلدة كبيرة في الشمال الشرقي من بغداد، ومن أعمالها، وبلاد الأكراد وكان في الأصلين السهروردي بالسين المهملة والهاء والواو ثم راء نسبة إلى سهرورد: بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الراء والواو وسكون الراء الثانية وفي آخره دال مهملة بلدة من عراق العجم ولم أجد للمذكور ترجمة على النسبتين.

(٥) كذا في «د» وفي «ب» بمنزلة القرانات.

علقان قرية قد تقدم ذكرها[1] خرج منها جماعة من أعيان الفضلاء متقدمين ومتأخرين وكان رفيق[2] الفقيه في الأخذ للشريعة عن البزاز بمكة يرويها عن مصنفها محمد بن الحسين الآجري[3].

ومنهم أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن الفقيه أبي الخير أيوب بن محمد بن كديس مقدم الذكر وحج فأدرك الشهرزوري بمكة وأخذ عنه إسماعيل بن المبلول الآتي ذكره غريب أبي عبيد[4] وغيره.

ومنهم أبو العتيق أبو بكر بن الإمام جعفر بن عبدالرحيم المحابي المقدم ذكره وكان فقيهاً جليل القدر شهير الذكر محققاً مدققاً مستخرجاً للنكت الغامضة والمعاني الرائقة، إليه انتهت رئاسة العلم باليمن بتفقهه بأبيه، وكان يقال: إنه حاز رتبة القاسم شيخ أبيه في سعة العلم وصفاء الذهن وسعة نشره، وعنه أخذ زيد اليفاعي في بدايته، وزيد بن الحسن وجمع كثير لا يكاد الحصر يدركهم، وكان ذاكراً لكتب المذهب ناقلاً لها يحفظ المجموع تصنيف أبيه ومجموع المحاملي[5] وكانت له في كل سنة رحلة إلى زبيد يناظر بها الحنفية ورأسهم يومئذٍ القاضي محمد بن أبي عوف ويقال ابن عون أحد مصنفيهم، وله كتاب (القاضي المشهور) عندهم وكان الفقيه أبو بكر يقطعه مراراً ويستظهر عليه بقوة حفظه وسعة نقله.

قال ابن سمرة: سمعت القاضي طاهر بن يحيى العمراني يخبر عن أبيه يحيى بن أبي الخير يقول سمعت جماعة من شيوخي يثنون على هذا الفقيه ويقولون: كان حافظاً عالماً مستنبطاً للأحكام.

---

(١) علقان: بفتحات آخره نون تقدم ذكرها نسبت إلى علقان بن شرحبيل بن الأسود بن عمرو بن مالك بن يزيد ذي الكلاع، انظر الاكليل ج٢ ص٢٦٥.

(٢) الفقيه هو أبو سعيد خير بن يحيى بن ملامس.

(٣) وفاة الآجري سنة ٣٦٠هـ وترجمته في «طبقات الشافعية» ج٢ ص١٥٠.

(٤) أبو عبيد هو القاسم بن سلام، أثنى عليه ابن خلكان ثناء يفوح عبيره ويطير مستطيبه، كانت ولادته سنة خمسين ومئة وقيل ست وخمسين ووفاته بمكة وقيل بالمدينة سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وهو أول من صنّف في غريب الحديث، ولما وضع كتاب الغريب عرضه على عبدالله بن طاهر فاستحسنه وقال: ان عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ألّا يحوج إلى طلب المعاش، وأجرى عليه عشرة آلاف درهم في كل شهر «الوفيات» ج٣ ص٢٢٥.

(٥) المحاملي: هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن القاسم الضبي المحاملي، الفقيه الشافعي ترجمته في الوفيات ج١ ص٥٧ وفاته سنة خمس عشرة وأربعمائة.

قال ابن سمرة: وكان حافظاً رئيساً في الدين والدنيا يصحب الملوك ويقبل جوائزهم كجياش بن نجاح صاحب زبيد الآتي ذكره في الملوك والحسين بن المغيرة التبعي، وأحمد بن عبدالله الكرندي[1] وكان الملوك المذكورون أهل سنة ومجانبة لما عليه الصليحيون[2] وغيرهم من البدعة، وكان تدريسه وغالب سكناه في الجند وتدريسه بجامعها المبارك، وكان متى وصله طالب سأله عن حسبه ونسبه فإن وجده ذا أصْل لائق أقرأه وأمره بالاجتهاد وإن لم يكن ذا أصل صرفه عن الطلب ولم يقرئه[3] وكانت حلقته تجمع نحو خمسين أو ستين طالباً لهذا السبب، وكان الفقيه زيد يقرىء كل واصل حتى كثر أصحابه على ما سيأتي بيانه وكانت وفاته سنة خمسمئة.

ومنهم أبو يعقوب إسحاق بن يوسف بن يعقوب بن إبراهيم بن عبدالصمد الزرقاني ثم الصردفي نسبة إلى القرية المذكورة عند ذكر الفقيه عبدالله بن علي الزرقاني في الطبقة المتقدمة من أهل مذهب الشافعي وقد تقدم ضبطها ومسافتها من الجند وأصله من المعافر ثم سكن الصردف وكان له بها وبقرية (حكرمد) بخفض الحاء والكاف ثم راء ساكنة وخفض الميم ثم دال مهملة وهي بين الصردف وحصن الظفر[4] ثم هي من أعماله أيضاً وله بها طين يزرعه تفقه بجعفر بن عبدالرحيم وبإسحاق العشاري مقدمي الذكر، وكان فقيهاً فاضلاً محققاً ذا فنون غلب عليه منها علم المواريث والحساب، وكتابه الذي وضعه فيها يدل على سعة علمه ودقة فهمه وجودة تبريزه في ذلك وفي الدور والوصايا والمساحة وغير ذلك، ومذ وجد كتابه لم يتفقه أحد من أهل اليمن في شيء من الفنون المذكورة إلّا منه، واعترف لمصنفه بالفضل كل عارف وكان أهل اليمن قبل وجوده يتفقهون بالفنون المذكورة من كتب شتى منها كتاب أبي بقية[5] محمد بن أحمد الفرضي ولم يكن من أهل اليمن فيما ظننت كتاباً سواه، وبكتاب كفاية المبتدي لابن سراقة وبمصنفات لابن اللبان مقدم الذكر وقد ذكر جماعة من الثقات أنه كان يقيم في سَيْر كثيراً[6] من الأيام وبجامعها

---

(١) يأتي ذكر هؤلاء الملوك في متن الأصل.

(٢) كان في الأصلين لما عليها والتصحيح من ابن سمرة وعبارته لما عليه الصليحيون من السمعلة.

(٣) هذه نزوة ولّد بها الافتخار بالأنساب، وكم سمعنا ورأينا من هذا النوع، جنبّنا الله هذا الغرور.

(٤) حكرمد: كما ضبطها المؤلف بليدة مقتصدة وحصن الظفر هنالك خراب وهما شرقي الجند من عزلة الحلاوة من بلد ماوية: حمر والظفر ما يسمى اليوم «الظفير».

(٥) بقية التصحيح من ابن سمرة وفي الأصلين غير واضحة ولم أجد لمحمد بن أحمد الفرضي ترجمة.

(٦) سير يأتي ذكره.

ويقال صنف كتابه (الكافي) الذي هو كاسمه الكـافي، وللقلوب من الإشكال شـافي[1] في الجامع المذكور ومنـه مسائـل قد استبهمت على كثيـر من المتأخـرين شرحهـا من جملة الكتـاب شيخنا الفقيـه صالـح بن عمر الآتي ذكـره إن شاء الله فجـزاهم الله عن الإسـلام خيراً، وكـان له أخت وابنتـان فتزوجت الأخت أسعـد بن عبـدالله السـلالي المذكور مع أخيه أحمد فيما مضى وأولدت له ابنه علياً، فهذا الفقيه خاله وسيأتي بيان ذلك، وأما ابنتاه فاسم إحداهما مَلِكَة وهي التي تزوجها الإمام زيد بن عبدالله اليفاعي الآتي ذكره، وتزوج الأخرى إمام جامع الجنـد حسان «بن محمـد» بن زيد بن عمـر[2] وولده عبدالله وسيأتي ذكره وصار إليه شيء من كتب جده.

قال ابن سمرة جرى للفقيه هذا ثلاث خصال[3] منها أنه ضرب بميـل حديـد في الهندي حتى أفناه ومعنى أفناه أنه لم يبق من ما يحسن الواحـد يمسكه بـه ليضرب[4] بـه، ومنها أنه سقط في بئر جامع الجند المسماة زمزم، وهي بئر قديمـة يبعد إدراك غـورها فبودر بإلقاء الحبل إليه ليطلع عليه وكان سابحاً مجيـداً فتعلق بالحبـل ونزع فلمـا صار برأس البئر انقطع به الحبل فعاد ثانية ثم أدلي له ثانياً فنزع ولما صار برأس البئر انقطع أيضاً وعاد البئر ثالثاً ثم أدلي الحبل ثالثاً وأطلع[5] ومنهـا أنه كـان يقرأ عليـه شخص من الجنّ فبينما هو عنده في حلقة القراءة إذ مرّ بهم صائد الأحناش فقال الجني للفقيه: يا سيدي أريد أتصور لهذا حنشاً، فإن هـو أمسكني فلا تـدعه يـذهب بي بل افتـدني منه فنهاه الفقيه فلم ينته ثم تصور حنشاً فدعـا أحد الـطلبة المحنش[6] وأراه إيـاه وقد صـار حنشـاً عظيمـاً ملتصقاً بخشبـة في السقف فحين رآه أعجبه وفتـح ربعته وتـلا ما يعتـاد تلاوته من العـزائم وإذا بالحنش قـد انخرط إلى الـربعة[7] فبـادر المحنش إلى إطباقها وأراد الخروج فلازمه الفقيه ومن حضر وقالوا: هذا جـار للفقيه منـذ زمن متقدم وإنمـا

(١) كذا في «د» وفي «ب» الذي كاسمه كاف وللقلوب من الاشكال شاف.

(٢) زيـادة «بن محمد» من ابن سمـرة وعبارتـه ص١٠٨ ابن محمد زيـد بن عمرو بن جـد القـاضي زيـد بن عبدالله فاستولد منها أبا القاضي زيد وهو عبدالله بن حسان وكان ابن خال محمد بن سالم وصار إليه من كتب الفقيه إسحاق شيء منها.

(٣) في «ب» قل جريانها لغيره. ولم تكن في ابن سمرة.

(٤) عبارة ابن سمرة أنه ضرب بمـيـل في الهندي حتى أفناه أراد أنه لم يلتزم بين أصابعه بعد.

(٥) لم يذكر ابن سمرة غير مرة واحدة وبئر زمزم بجامع الجند لا تزال ينزع منها الماء إلى هذه الغاية.

(٦) المحنش: لغة جارية لهذا العهد وهو بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد النون مكسورة وهـو من يعاني اصطياد الأحناش.

(٧) في ابن سمرة جونته وهما لغتان مستعملتان.

دعـاك ليختبر صـدقك فتمنّـع فبذل لـه الفقيه بعض شيء وأجـاب بعد مـداراة طـويلة فأطلقه فغاب عن الفقيه نحو خمسة عشـر يومـاً ثم وصل إلى الفقيـه وبه ضعف ظـاهر وببدنه مواضع قد صارت كأحراق النار فسأله عن ذلك وحاله فقال: لما دخل المحنش وتـلا ما تـلا، وترك الـربعة قبـالي رأيت البيت كأنـه امتلأ نـاراً وليس لي خلاص غيـر الوقوع في الربعة، فألقيت نفسي إليها على كره، وهذه الأحـراق من تلك النار، ولمـا أطلقني ورحت أقمت مريضاً منذ ذلك إلى الآن لم أكـد أخرج، فقـال الفقيه قـد كنت نهيتك فلم تمتثل.

قال ابن[1] سمرة أخبرني الشيخ عيسى بن عـامر العـودري عن أبيه، وكـان ممن أدرك الشيخ بالصردف، قال: خرج الشيخ يوماً إلى بعض مزارعه، وأمـر الشريـك بها أن يجهش له شيئاً[2] فبينما هو يجمع الحطب إذ قبض عليه حنش عظيم بفقار ظهره ثم اجتذبه إلى سرب في ضاحة[3] هنالك والفقيه ينظر وهو يقول: يا فقيه يا فقيـه أولادي، ولم يقدر الفقيه له على فرج ثم إن السرب ضاق عن جثته[4] فاقتسمه نصفين (ومنها)[5] قال ابن سمرة أيضـاً أخبرني الشيـخ محمد بن منصـور بن الحسين العمراني بمصنعـة سير أن هذا الشيخ إسحاق خرج من سير إلى الصردف فلاقى لصوصاً قـد سرقـوا ثوراً وهم سـائرون فسـار معهم ولم يدر بقضيتهم فـأحسوا بـالطلب بعـدهم فقالـوا للفقيه: يسوق لهم واعتلوّا ببعض الأمور فساق لهم وتفرقوا فلحقه سرعان الناس فأخـذوا الثور وبطشوا بالفقيه لأنهم جهلوه فلما لحق العقلاء منعوا السفهاء عن التعـرض إليه وسـألوه الخبر فأخبرهم فعلموا صدقه فأخذوا الثـور وتركـوه بعد أن اعتـذروا عما فعـل السفهاء معه، فيكون مجموع ما حصـل عليه من الغـرائب خمساً. وكـانت وفاتـه بالقـرية التي ينسب إليها على رأس خمسمئة وقبره مشهور هنالك يأتيه قصّـاد الزيـادة وقد زرتـه وهو على بعد من الصردف تحت شجـرة قرض[6] وقـد دخلت القريـة منذ زمن طـويل وهي

---

(١) في «ب» منها ما حكاه ابن سمرة.

(٢) الجهيش بكسـر الجيم وقد يفتـح الجيم والهاء واليـاء المثناة من تحت سـاكنـة ثم شين معجمـة والفعـل الماضي منه جهش والمضارع يجهش وهو معروف عندنا معاشر اليمنيين في عموم أصقاعه وقـد فسرنـاه في كتابنا (تاريخ اليمن الاجتماعي) ص١٢٦.

(٣) وفي ابن سمرة إلى جحر والضاحة في اللغة اليمنية الـدارجة على الألسن في عمـوم اليمن: هي المهواة في الجبل التي لا يستطيع طلوعها والانزلاق منها مهلكة: كالحيد، والسرب الشق.

(٤) في ابن سمرة عن حبة الأمي وفي الأصلين تحريف فصحّحناه كما ترى.

(٥) عبارة «د» قال ابن سمرة (وأخبرني) فما بين القوسين من «ب».

(٦) هي كـذلك كمـا بلغني وشجرة القـرض معروفـة وهي فصيلة من الطلح المشـوك الذي يسمى في بعض

على ذلك إلى عصرنا خالية من السكن[1].

وقد صار العلم إلى طبقة أخرى في جماعة بنواح شتى، منهم أهل ذي أشرق.

منهم عبدالله بن الفقيه محمد بن سالم مقدم الذكر مولده رجب من سنة ثلاث وعشرين وأربعمئة تفقّه بأبيه وكان زاهداً ورعاً وغلب عليه علم الحديث، توفي ببلده يوم الخميس بربيع الأول من سنة سبع وتسعين وأربعمئة.

ومنهم إسماعيل بن الحسن الفائشي المبلول، كان فقيهاً عارفاً محققاً وهو أحد أشياخ زيد بن الحسن الفائشي.

ومنهم الأديبان الفاضلان الحسن بن أبي عباد وابن أخيه إبراهيم بن محمد بن أبي عباد إمامي النحو في بلاد اليمن في عصرهما وإليهما كان أهل النحو يرتحلون من الأنحاء وكانا فاضلين صالحين ومختصرهما يدلّ عليهما وعلى فضلهما مع زيادة بركة كبيرة في مختصر الحسن، وذلك أن غالب فقهاء اليمن وأنحائها كل منهم لا يستفتح الاشتغال بصناعة النحو إلا به فيجد له بركة مع تساهل ألفاظه واقتِراب عباراته، وذكروا أن سبب بركته أنه ألفه في الحرم تجاه الكعبة وكان كلما فرّغ باباً منه طاف أسبوعاً ودعا لقارئه، وكان الحسن إذا تكلم بين العامة لا يتكلف الإعراب حتى كأنّ من يعرف[2] إذا سمعه على البديهة يقول: ما عرف هذا شيئاً من النحو وعاتبه بعض أصحابه في ذلك فأجابه شعراً:

لعمرك ما اللحن من شيمتي	ولا أنا من خطأ ألْحنُ
ولكنني قد عرفت لغات	الرجال أخاطب كلًّا بما يُحسنُ

ولابن أخيه إبراهيم مصنفات غير المختصر، منها تلقين المتعلم وهو كتاب مفيد ومختصر ذكر أنه اختصره من كتاب سيبويه[3] وكان وجودهما في آخر المئة الرابعة وفي أول الخامسة غالباً، وقد أخذ الفقيه عمر بن إسماعيل عن الحسن مختصره وسيأتي ذلك إن شاء الله.

الجهات السمر وأم غيلان، إلا أن القرض مربع الأغصان يُستظل تحته.

(١) بلغني أن الحياة قد دبت إليها وتواتر هذا.

(٢) كذا في الأصلين.

(٣) سيبويه لقب واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب المدانيين أرباب نجران أشهر من أن يترجم له، وكانت وفاته في سنة ثمانين ومئة وقيل غير ذلك وعمره اثنتان وثلاثون وقيل: غير ذلك انظر «الوفيات ج٣ ص١٣٣ وبغية الوعاة وابن القفطي وغير ذلك».

ومن الجند جماعة، منهم يحيى بن عبدالعليم بن أبي بكر الأعمى، أصله من قرية بخدير الأعلى تعرف بحجرة: بضم الحاء المهملة وفتح الجيم والراء ثم هاء، وهي من القرى المباركة، خرج منها جماعة من الفضلاء وله بها قرابة يُعرفون ببني الأعمى وآل أبي ذرة، وضبط خدير بفتح الخاء المعجمة وخفض الدال المهملة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم راء[1].

وأما يحيى هذا فكان فقيهاً أثنى عليه ابن سمرة وسمّاه الشيخ الزاهد، وهو ممن أخذ عن ابن أبي ميسرة مع أخيه أبي الفرج بمدينة الجند، أخذ عنه سنن أبي قرة بتاريخ ست وسبعين وأربعمئة وزميله في القراءة أيضاً وسماع الرسالة الجديدة - القاضي محمد اليافعي والد أبي بكر الآتي ذكرهما، وذلك بجمع كثير من الفقهاء، وكان يحيى إماماً بجامع الجند وولي بعض أمره من قبل المفضل وولده عمر بن يحيى كان فاضلاً وأزوج ابنته من القاضي محمد اليافعي، وولده أبو بكر منها. قال ابن سمرة: ولا أعرف له تاريخاً.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي أخذ عن ابن أبي ميسرة وغيره، ولي قضاء الجوّة والجند وقبل المفضل بن أبي البركات، وكان معدوداً من أصحاب أبي بكر بن جعفر أيام أوقع المفضل بينه وبين الفقيه زيد ما أوقع، وقد ذكرته.

ومنهم مالك بن حري[2] الجندي وولده إبراهيم، حضر سماع سنن أبي قرة على ابن أبي ميسرة بمسجد الجند سنة ست وتسعين وأربعمئة ونسخته للكتاب صارت إليّ وعليها سماع جمع من الفقهاء نفع الله بهم، ومكتوب على النسخة بخطه ما مثاله: وقفه مالكه ابن حري الجندي على المسلمين وهو الذي ذكرت أنه صار إليّ «ولم أجد له ولا لمحمد بن عبدالله تاريخاً»[3].

ومن المشيرق أبو علي أسعد بن الفقيه خير بن الإمام يحيى بن ملامس مقدمي

---

(١) خدير: كما ضبطه المؤلف وهو مخلاف من السكاسك جنوب شرقي تعز معروف مشهور وذكره الهمداني في صفة جزيرة العرب» (ص٢٠٩) وحجرة: هي كما ضبطها المؤلف وتسمى اليوم قرية حجرات بلفظ الجمع، وتقع بالقرب من أكمة بني سلمة وهي آهلة بالسكان وأراضيها خصبة وفوقها جبل أسود وغربها جبل آخر، كذا أفادنا صديقنا قائد بن أحمد البرطي من دمنة خدير وهي مركز الناحية اليوم.

(٢) لم يضبط الجندي لفظ حري ولم يذكره ابن سمرة.

(٣) لا ندري كيف صارت سنن أبي قرة إلى المؤلف الجندي وهي من وقف ابن حري الجندي على جامع الجند.

الذكر تفقّه بأبيه وهو أحد أشياخ الحافظ العرشاني الآتي ذكره رأيْت بخطّه يقول: أخبرني أسعد بن خير، يعني هذا، من أصل كتابه في منزله بالقرانات من مشيرق أحاظه بجمادى الآخرة سنة ست عشرة وخمسمئة، وقد أخذ عن أسعد هذا جمع كثير من نواح شتى وكانت وفاته بمنزله المذكور سنة سبع عشرة وقيل ثماني عشرة وخمسمئة.

ومنهم أسعد بن الفقيه الهيثم مقدم الذكر، وُلِدَ أسعد يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة ثلاث وأربعمئة تفقّه بإبراهيم بن أبي عمران وأخذ عن خير بن يحيى هو وولداه زيد وعمرو كتاب البخاري، وجدت ذلك بخطه إجازة لهم وصورة ما وجدت به بجزء من البخاري ما مثاله: سمع عليّ هذا الجزء من صحيح البخاري الشيخ الفقيه أسعد بن الهيثم وولداه زيد وعمرو وكان هذا أسعد أحد شيوخ زيد الفائشي وتوفي بقرية السّحي حيث كان مسكنه ومسكن أبيه بتاريخ الثلاثاء بعد العصر لاثنتي عشرة ليلة خلت من القعدة سنة ثماني وتسعين وأربعمئة.

ومنهم ابنه عمرو ومولده شهر الحجة أحد شهور سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة تفقّه بأبيه، وقد تقدم معه عن خير بن يحيى وهو أحد فقهاء الحُجفة والجرينة، إذ قد مضى ذكر سبب مصيرهما إلى هاتين القريتين، وكان له أخ اسمه زيد، وهو الذي ذكرت أنه سمع مع أبيه وأخيه على الفقيه خير بن ملامس وبحثت هل له عقب أم لا فقيل لا عقب له، وكانت وفاة الفقيه عمرو يوم الثلاثاء بعد الظهر لسبع خلون من رجب أحد شهور سنة سبع وعشرين وخمسمئة.

ومن جبل بعدان، وهو أحد جبال اليمن المعدودة ذات المزارع والأنهار والعيون وهو على تثنية بعد، الذي هو ظرف مكان[1] خرج منه جماعة من الفضلاء.

منهم يعقوب بن أحمد تفقّه بإبراهيم بن أبي عمران أثنى عليهما جميعاً ابن سمرة ثناء مرضياً فقال كان إبراهيم وتلميذه يعقوب من أفاضل الناس وأخيار فقهائهم زهداً وعلماً وعملاً وكان غالب تفقههم إذ ذاك بمختصر المزني وشرحه لابن ملامس مقدم الذكر، وبالإيضاح لأبي علي الطبري[2] وكان يعقوب هذا أحد أشياخ زيد الفائشي.

---

(١) بعدان مخلاف مشهور من أعمال مدينة إب نسب إلى بعدان بن جشم بن عبدشمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن عريب بن قطن بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن حمير بن سبأ.

(٢) تأتي ترجمته للمؤلف.

ومنهم عبدالله موسى الآجلي[1] تفقه ببعض بني ملامس ولم أتحقق له، ولا لمن ذكر قبله تاريخاً، إذ لم يذكر ابن سمرة ذلك ولا لهما ذرية تعرف فأسألهم كما فعلت في الغير.

ومن وادي السحول ثم من الملحمة أحمد بن الفقيه إبراهيم بن أبي عمران تفقّه بأبيه ومنهم عبدالله بن يزيد اللّعفي نسباً الحرازي[2] بلداً وجدّه الذي نسب إليه رجل من حراز المستحرزة[3] اسمه لعف: بضم اللام وسكون المهملة ثم فاء، وحراز بفتح الحاء والراء ثم ألف ثم زاي: صقع كبير من بلاد اليمن خرج منه جمع من الأعيان[4] كان عبدالله هذا كامل الفضل بالفقه والقراءات والأصول وجودة الخط له تصانيف في أصول الدين على معتقد السلف وتصانيف في علم القراءات وكانت به دعابة.

حكي أنه دخل يوماً مسجد ابن عرّاف[5] بذي جبلة فوجد به جماعة من سلاطين العرب وكان قد أرسل إلى المفضل يسأله أن يأذن له في الدخول عليه، فلما دخل على القوم المسجد سلّم عليهم فردوا عليه لا كما ينبغي بل على طريق الاحتقار، فبينما هو قاعد إذ جاءه الرسول يستدعيه إلى المفضل فتطلع عليه الحاضرون وقال[6] له أحد السلاطين أنت فقيه فقال مجاز فقال: وكيف ذلك، قال كما أن السلاطين حقيقة ومجاز، الحقيقة كالمفضل بن أبي البركان وأسعد بن وائل، والمجاز مثلكم، فاستحوا منه، وكانت وفاته بعد خمسمئة بيسير.

---

(١) في الأصلين بدون نقط وفي ابن سمرة بنقط الجيم ص١١٤ من بعدان، والمؤلف يتخلّى عن ذلك إذا لم يكن عنده معلومات. وتبين لي بَعْدُ أنَّ إجل: بكسر الهمزة وسكون الجيم: بلدة من عزلة حسان من مخلاف بعدان.

(٢) اللعفي نسبة إلى لعف بضم اللام فيهما، ولعف بطن من نشق من همدان، قال الهمداني وبنو لعف بطن بحراز لهم شرف ونجدة انظر الاكليل ج١٠ ص١٢٦ قال الحوالي: ولهم بقية إلى يوم الناس هذا، يسكنون قرية المحفر من حَزَّة عزلة بني إسماعيل من حراز، هم اليوم قرابة ثمانين نفساً وفيهم رئاسة، كذا أفادنا صديقنا العالم الفاضل الأديب الشاعر عبدالله بن إسماعيل المروني حفظه الله.

(٣) كذا في الأصلين وفي «صفة جزيرة العرب»: المستحرزة.

(٤) حراز كما ضبطه المؤلف وهو مخلاف واسع غربي صنعاء نسب إلى حراز بن الغوث بن سعد بن سبأ الصغرى انظر «الاكليل» ج٢ ص٢٤٤ «وصفة جزيرة العرب» ص٢٢٨.

(٥) لا زال هذا المسجد عامراً بالصّلوب والأخيار وكان له نسب إلى أسعد بن عراف أحد قواد الصليحيين المشهورين ومقر عز الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي رحمها الله (انظر وصفها في «اليمن الخضراء» والمعجم وغيرهما).

(٦) في ابن سمرة: وقالوا بلفظ الجمع.

ومن زبيد ثم من (فقهاء) بني عقامة[1] أول من شهر منهم بعد جدهم القادم المذكور أولاً: أبو محمد الحسن بن محمد بن أبي عقامة بن الحسن بن محمد بن هارون الواصل بالقضاء من بغداد صحبة ابن زياد كما قدّمنا[2].

قال ابن سمرة: وأهل هذا البيت: يعني بني أبي عقامة أول من قدم وجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم، يعني في افتتاح القراءة في الصلاة وعنهم ظهرت تصانيف مذهب الشافعي[3] وكان الحسن المذكور إماماً في أنواع العلم شهير الذكر بذلك، وإليه تنسب الخطب العقامية، وله شعر فائق وترسّل رائق، وله كتاب نوادر مذهب أبي حنيفة التي يستشنعها أصحاب الشافعي (وغيرهم)[4] صار كما ذكرنا درة شنع بها، وقال: ما يلائم التشنيع وقد صار الكتاب[5] في اليمن قليل الوجود لأن الحنفية اجتهدت بتحصيله وإذهابه كما فعل بنو عقامة بمفيد جياش لأنه ثلم نسبهم.

وللحسن مصنف سماه جواهر الأخبار وله مختصر في علم الفرائض والحساب وآخر سماه (الملطف في علم المساحة) وقصيدته النونية تدل على اتساع علومه وعلو همته، أوردتها استدلالاً على فضله وتحقيقاً لصدقه، وهي:

إذا لم تَسُدْ في ليالي الشباب ... فلا سُدْتَ ما عشت من بعدهنّه
وهل جلّ عمرك إلاّ الشباب ... فخذ منه حظّاً ولا تهدرنه

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» وفيها زيادة (صحبة ابن زياد).

(٢) لم يرفع ابن سمرة نسب الحسن بن محمد إلى محمد بن هارون، وإنما ذكر محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي عقامة التغلبي. على أن في نسب الحسن بن محمد بن أبي عقامة قصراً لا يقره النساب وقد جربت في عدة بيوتات أن الثلاث مئة سنة يكون عدد الآباء ثلاثة عشر أباً أو دون ذلك بقليل، وهذا الحسن بينه وبين محمد بن هارون أربعة آباء مع أن فارق السنين ثلثمائة سنة وزيادة، ثم إن ابن سمرة، وهو معاصر للمترجم لهم، لم يرفعهم إلى محمد بن هارون التغلبي فيصبح ما قلناه إنهم من فرسان الساكنين موزع، والذين يزعمون أنهم من تغلب وكذلك عمارة لم يرفع نسب المذكور، وأما قوله: أول من قدم وجهر باسم الله الرحمٰن الرحيم: فلا مناقضة إذ قدم زبيد من موزع.

(٣) عبارة ابن سمرة: وفضائل بني أبي عقامة مشهورة وهم الذين نصر الله بهم مذهب الشافعي في تهامة وقدماؤهم جهروا ببسم الله الرحمٰن الرحيم في الجمعة والجماعات ونسبهم في تغلب قال بعض بني عقامة.

نمتني ربيعة في تغلب ... وفي تغلب من بني الأرقم

فأنت ترى أنه لم يجيء ذكر لمحمد بن هارون المزعوم قدومه مع ابن زياد في طبقات ابن سمرة ولا أنهم أول من قدم وجهر الخ مما يدل على انتحال ذلك.

(٤) وفي «ب» وغيرهم.

(٥) لفظ «الكتاب» ساقط من «د».

إذا ما تحطّم صدر القناة ... فلا ترجونْ من الزج طعنه
فلا وأبي ما أضعت الشباب ... فخرمتهُ تحت ظل الأكنّه
ولكن سعيت لكسب العلوم ... كسعي أبي قبل في كسبهنّه
فأُبنْ إليّ نوافرهنّ ... كأوب الطيور إلى وكرهنّه
فرحب جناني حوالهنّ ... وغَربُ لساني ذليق بهنّه
إذا ما أَجُلْ في ميادينهن ... أجُلْ يسرةً ثم شاماً ويمنه
تحلّى حداي سعاة الرجال ... ويقصر عمّن وراء الأعنّه
وعن فننِ المجد ذوت الرجال ... فاخلو وخيّمت في كل فنّه
فسل بي إذا القِرْن إمّا سألت ... تقلْ سائر القوم لم يَر قَرْنَه
كلام إذا أنا أصدرته ... فكالمخذم العضب فارق جفنه
يسير مع الشهب أني يسير ... وقد ودّت الشهب أن لو يكنّه
فلو رام سحبان دعا غيره ... مقالاً لألجمت فاه بلكنه
فهل قد رأيتم فتى قط مثلي ... لعشرين فناً تفرغ ذهنه
وما التيّهُ شأني ولكنني ... أحدّثكم عن إلهي بمنّه
فقد قال لي اشكروا ولا تكفرن ... وحدّث بصنعي ولا تكتمنّه
وقال الرسول أنا ابن الذبيحين ... وخير البريّة هدياً وسنه[1]

ومن شعره ما ورد جواباً على المعري[2] وذلك حين بلغه قوله:

ولما رأينا آدماً وفعاله ... وتزويجه ابنيه ببنتيه في الدنا[3]
علمنا بأن الناس من أصل زنيةٍ ... وأن جميع الناس من عنصر الزنا

فأجابه:

لعمرك أما القول فيك فصادق ... وتكذب في الباقين من شطّ أو دنا
كذلك إقرار الفتى لازم له ... وفي غيره لغوٌ بذا جاء شرعنا

---

(١) الغريب في هذه القطعة: الزج: هو الحديدة أسفل الرمح، وأُبن: بضم الهمزة من آب إذا رجع، والوكر: بيت الطائر، والذليق الفصيح، الأعنة: جمع عنان: سير اللجام، والفنن الغصون، القرن بكسر القاف آخره نون المنيف في العمر والشجاع، والمخذم: بكسر الميم السيف القاطع وسحبان وائل رجل معروف بذلاقة اللسان، والغرب: حدة اللسان وفي الأصلين تحريف.

(٢) تأتي ترجمة المعري.

(٣) المحفوظ بالخنا، وانظر عمارة ص٢٨٨ وصححنا البيت من عمارة.

وامتحن بقضاء القضاة في أيام الصليحيين ثم مع آل نجاح فكان أسعد بن شهاب الآتي ذكره نائب الصليحي بتهامة يشكره ويثني عليه، ويقول أقام الحسن عني أمور الشريعة قياماً يؤمن عيبه ويحمد غيبه، فإذا كان هذا ثناء الضد المشاقق المعاند في الطريق والمذهب فكيف من سواه؟ وفي مثل ذلك يقول الشاعر[1]:

وفضائل شهدت به[2] أعداؤه والفضل ما شهدت به الأعداء

وأثنى عليه عمارة في مفيده وإن لم يدركه فقد أدرك من حقق له ما ذكر عنه في مفيده[3] ومن شعره ما أورده ابن العملك الآتي ذكره في طبقة متأخري زماننا من أهل سهام[4] في كتابه الذي سماه (الكامل) في العروض وصيغة الشعر في باب شرح محاسن اللفظ، قال ومن ذلك قول الحسن بن أبي عقامة:

نحن الذين متينةٌ أوصالنا في الدين لا قَطَعَ الردى أوصالنا
هذا الذي أوصى به جدٌ لنا لمحا[5] بمجد جدوده أوصى لنا

في البيت الأول موضعان هما أوصالنا ينبغي أن يعرف كونهما اسمين لا يكتبان إلّا بالألف وفي الثاني أوصى مرتين وهما فعلان يكتبان بالياء المثناة من تحت. وكان الحسن يميل إلى الحبشة ويرى أنهم أولى بالملك من الصليحيين لسبب تباين المذهب وكان أحد الأسباب لعود الملك إلى جياش بن نجاح فكان عنده معظماً مبجلاً يلقبه بمؤتمن الدين فعرض لجياش خطبة امرأة من الفرسانيين أهل موزع[6] فندبه لخطبتها فتقدم إلى أهلها وأعلمهم بالرسالة له فأجابه بعض وتأخر عنه بعض، ثم إن بعضهم سأله عن جواز ذلك وقد بينه[7] وبينهم أُلْفة عظيمة من حيث إنهم يرجعون في النسب إلى تغلب[8] وهو كذلك، فقال إذا لم ترض المرأة والأولياء جميعاً لم يصحّ

---

(١) القائل لا يحضرني الآن اسمه.

(٢) في «ب» بها.

(٣) ص ١٢٣، ٢٠٧. ٢٢٨.

(٤) سهام ككتاب وسحاب: أحد ميازيب اليمن الغربية المشهورة نُسب إلى سهام بن سهمان بن حمير الأصغر الصغرى انظر «الاكليل» ج٢ ص٢٤٨ «وصفة جزيرة العرب» ص١٢٢.

(٥) لمحا ساقط من «د» ولا يستقيم البيت إلا به.

(٦) موزع مدينة مشهورة من مدن التهائم شمال شرقي ميناء المخاء، نسبت إلى موزع بن القفاعة بن عبدشمس بن وائل ثم آل حمير الأكبر، انظر «الاكليل» ج٢ ص٩١ و«صفة جزيرة العرب» ص٧٢.

(٧) هذه العبارة من اللغات العامية في عموم اليمن دخول قد على غير الفعل.

(٨) هذا دليل ثان على أن بني عقامة من الفرسانيين الساكنين موزع، وليس كما قال عمارة وتبعه المؤرخون.

النكاح، فأصروا على الامتناع ووثقوا بمشورتـه ثم لما عـاد إلى جياش أخبـره بتمنّعهم فلم يزل جياش يستدرجهم ويرغبهم بالمال حتى أجابوا وأزوجوه فلما زفت إليـه المرأة وصارت معه سألها عن سبب التمنع فأخبرته بمقالة القاضي لهم فحمل عليه في باطنـه حتى أنه قتله ظلماً وعدواناً وذلـك لبضع وثمـانين وأربعمئة وكـان ذلك تصـديقاً لقـوله ﷺ، من أعان ظالماً أغري بـه، ولقد أحسن ابن القم[1] في قوله يخاطب جياشاً:

أخطأت يا جياش في قتل الحسن … فـقـأت واللّهِ بـه عـين الـزمـن

ولـم يكـن منـطويـاً عـلى دخن … مـبـرأ مـن الـفـسـوق والـدرن

كـان جـزاه حـين ولاك الـيمـن … قـتـلكـه ودفـنـه بـلا كـفـن

وَلاّك فـي الـسـرّ مـنـه والـعـلن … مـلقبـاً لـه بـالـمـؤتـمـن[2]

وكان جياش قد اتصف بالعدل حين صحب الحسن وعمل بقـوله واقتـدى بفعله فلما قتله أنكر الناس منه ذلك ونسبوه إلى الظلم وحذروا منـه كابن القم والـوزير خلف وغيرهما وصار ابن القم يكاتبه وينقم عليه بما فعله بالحسن ومن ذلك:

تـفـرّ إذا جـرّ الـمـكـرم رمـحـه … وتشجع في من ليس يحلي ولا يمري

ولم يـزل بنو أبي عقـامـة ينقمـون على ابن القم في هـذا البيت ويقـولـون قتـل صاحبنا أهون علينا من قوله: لا يحلي ولا يمري، هكذا ذكره عمارة. ومـراد ابن القم أن الحسن كان غير مستحق للقتل لأن الملوك لا تفتخر إلاّ بقتل الأضداد والأنداد، أما القضاة والفقهاء فغير لائق قتلهم مع الاستحقـاق فكيف بعدمـه؟ فمعناه يـا جياش أنت عندما تسمع بمجيء المكرم تفـزع وتفر، وإنمـا تظهـر شجاعتـك فيمن لا يقاتلك ولا يقـاتل سـواك، ولا يضر ولا ينفـع فيمـا أنت بصـدده عن قيـام الملك، ثم إن في أيـام جيـاش تعطل الحكم عنهم ولم يكـد يقيم جياش غيـر مـدة يسيـرة صنّف في أثنـائهـا (مفيده)[3] وقدح في آل أبي عقامة[4] وبالغوا لذلك في إعدامه، ولـم يسمعوا منه بنسخة إلا اشتروها وأعدموها فلذلك قل وجوده[5].

---

(١) ترجم له عمارة في مفيده ص٢٤٠ وقال: هو أبو عبدالله الحسين بن علي القمي، مولده بزبيد وبهـا تأدب وأورد له أشعاراً ومقاطيع كما ترجم له الخزرجي في «طراز أعلام اليمن» وأورد له شعراً كثيـراً وترجم لـه المؤلف قريباً.

(٢) كذا في الأصلين، ولم يكن هذا البيت في عمارة وتأتي ترجمته للمؤلف وفيه زحاف.

(٣) أي مفيد جياش.

(٤) كذا في «ب» وفي «د» آل بني عقامة.

(٥) وهذا دليل ثالث وهو نقد جياش لنسب بني عقامة إلى تغلب.

ثم قام بعد الحسن برياسة القضاء أبو الفتوح وسيأتي ذكره، لكن جرت العادة غالباً أن متى عرض ذكر لأحد من الأعيان تثبت من حاله ما لاق، وقد عرض مع ذكر الحسن ذكر المعري ثم ذكر ابن القم.

فأما المعري فهو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان التنوخي نسباً، ثم المعري بلداً والتنوخي نسبة إلى تنوخ قبيلة من العرب[١] بفتح التاء المثناة من فوق وضم النون وسكون الواو ثم خاء معجمة.

قال ابن خلكان: وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً في البحرين[٢] وتحالفوا على التناصر وأقاموا هنالك فسمّوا تنوخاً من التّنوخ وهو الإقامة وهم من نصارى العرب المذكورين في كتب الفقه مع بهرا وتغلب[٣].

وأمّا المعري فنسبة إلى المعرة[٤] بلد صغيرة في الشام على قرب من بلد حماة وشيزر، فسكنها المعري فنسب إليها[٥] هكذا كلام ابن خلكان وميلاده يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمئة بالمعرة، كان إماماً في اللغة متضلعاً في فنون شتى، وله كتاب «لزوم ما لا يلزم» وهو كتاب كبير يقع في خمسة أجزاء[٦] وله «سقط الزند» ديوان شرحه أيضاً وسماه ضوء السقط.

قال ابن خلكان: وبلغني أن له كتاباً سمّاه الأيك والغصون يقارب المئة جزء[٧] قال: وكان علاّمة عصره عنه أخذ جماعة منهم الخطيب التبريزي وأبو الحسن علي بن همام وأبو القاسم علي بن الحسين التنوخي[٨] وكان أعمى وسبب عماه من الجدري

---

(١) ثم من قبائل اليمن من قضاعة التي ترجع إلى مالك بن حمير، انظر «الاكليل» ج١ ص٢٥٥.

(٢) البحرين تثنية بحر والنسبة إليها بحراني على غير قياس وهو عدة جزر متناثرة على الخليج العربي وهي من العروض ثم من جزيرة العرب ولها اليوم شهرة عالمية لوجود الذهب الأسود البترول.

(٣) في ابن خلكان بهرا وتنوخ وتغلب، وبهرا: قبيلة يمنية، انظر «الاكليل» ج١ ص٢٥٥ وتغلب هو ابن حلوان بن الحاف بن قضاعة وفي عدنان تغلب أيضاً.

(٤) ويقال لها: معرة النعمان نسبة إلى النعمان بن بشير الأنصاري الصحابي المشهور، لأنه تديرها.

(٥) حماة مدينة مشهورة شمال دمشق والمسافر يدخلها لأنها على طريق مدينة حلب وشيزر هي اليوم كما بلغنا خراب، والمعرّة على شمال المسافر إلى حلب وقبر المعري مشهور يزار وكان في الأصلين فنسبت إليه وهو وهم والتصحيح من عندنا.

(٦) هذا مطبوع وكذلك سقط الزند.

(٧) بلغني أنه قد طبع منه قسم.

(٨) الخطيب التبريزي هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي: أحد أعلام الأدب والنحو والشعر واللغة: وله فضائل جمة.. ومؤلفات كثيرة، وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة وتوفي

وهو في الرابعة من سني عمره، غشي عينه اليمنى بياض، وذهبت اليسرى جملة، ودخل بغداد مرتين، مرةً في سنة ثماني وستين وثلثمئة والأخرى في سنة تسع وتسعين، أقام في هذا الدخول سنة وسبعة أشهر[1] ثم رجع المعرة فلزم منزله وسمّى نفسه «رهين المحبسين» للزوم منزله وذهاب بصره، وغلب عليه معتقد الحكماء فأقام خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم يريد أن لا يأتي أكله إلّا بالذبح وهو تعذيب وغير جائز التعذيب ولا الإيلام مطلقاً، في جميع الحيوانات، وعمل الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة.

قال ابن خلكان: من شعره في اللزوم:

لا تطلبن بغير حظ رتبة   قلم البليغ بغير حظٍ مغزل[2]
سكن السما كان السماء كلاهما   هذا له رمح وهذا أعزل

وقد تقدّم الذكر أنه كان على معتقد الأطباء حكي أن الوزير أبا نصر أحمد بن يوسف[3] دخل المعرة واجتمع به فشكا إليه حاله وأنه منقطع عن الناس وهم لا يَدَعُوْنَهُ من أذاهم، اتهمهم أنهم يكفرونه[4] فقال له الوزير ما لهم ولك وقد تركت لهم الدنيا والآخرة فقال أبو العلاء: والآخرة أيضاً؟ والآخرة؟ وجعل يكررها ويتألم. إن كثيراً من العلماء يعتقدون مروقه عن الدين وموته على ذلك، ومنهم من يقول: إنه تاب قبل الموت ثم قابلوا ذلك بين قائل لصحته وقائل إنه لم يكن إلا خشية نفور الناس عن قبرانه[5] وشهود جنازته، فالله تعالى يعصمنا من الخطأ ويوفقنا لاستعطاء العطاء، واستدل قائل ذلك بأنه كان منه في مرض موته ثم أوصى أن يكتب على قبره ما يحقق

= سنة اثنتين وخمسمائة ببغداد الوفيات ج٥ ص٢٣٨، وأبو الحسن علي بن همام لم يترجم له ابن خلكان، وإنما ذكره في ترجمة أبي العلاء بقوله: ولما توفي رثاه تلميذه أبو الحسن علي بن همام الخ وأما أبو علي فهو المحسن بن أبي القاسم بن علي التنوخي، وكان في الأصلين أبو القاسم علي بن الحسين التنوخي وهو وهم، تبعاً لابن خلكان في ترجمة المعري ج١ ص٩٤ حيث قال: وأخذ عنه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي وقال في ترجمة والده ج٣ ص٣٠١ القاضي أبو علي المحسن بن أبي القاسم وأثنى عليه إلى أن قال: وتوفي مستهل المحرم سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

(١) وفي كل مرة جرت له قضايا مذكورة في التواريخ.

(٢) في الأصل لا تطلبنّ بآلةٍ لك رتبة.

(٣) هو الأديب الكاتب المشهور المنازي ترجمته في الوفيات ج١ ص١٢٦.

(٤) في «ب» وانهم يكفرونه وفي «د» وانهم، المناري: مهمل النقط يكفرونه فقال لهم المنازي وفي «ب» فقال له الوزير كما ثبتناه في المتن.

(٥) قبران بضم القاف اجتماع الناس لدفن الميت: لغة يمانية في عموم البلد.

أن موته كان على المعتقد المذكور وقت إحساسه بالموت وهو بيت شعر:

هـذا جـنـاه أبـي عـليّ[1] ... وما جـنـيـت عـلى أحـد

قال ابن خلكان: وهذا إشارة إلى معتقده، فإن الحكماء يعتقدون أن الولد جناية الوالد، فإنه سبب وجوده وخروجه إلى هذا العالم الذي هو به متعرّض الحوادث والآفات، وكانت وفاته يوم الجمعة ثالث ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمئة بالمعرّة ورثاه تلميذه أبو الحسن علي بن همام بقوله إشارة فيه إلى ما حكيناه عنه:

إن كنت لم تُرِقِ الدماء زهادةً ... فلقد أرقت اليوم من جفني دما

سيّرت[2] ذكرك في البلاد كأنه ... مسك فسامِعه تضمخ أو فما

وأرى الحجيج إذا أرادوا ليلة ... ذكراك أخرج فديةً مَنْ أحرما

وأما ابن القم الشّاعر الذي كان يعاتب جياشاً فهو أبو عبدالله الحسين بن علي بن محمد بن ميمون[3] بن القم كان أبوه صاحب ديوان الخراج بتهامة ويأتي من ذكره ما لاق مع ذكر الملوك إن شاء الله وأعيان دولتهم، وأما هذا حسين فمعدود من فضلاء اليمن ورؤساء شعرائها، وكان من المكثرين والشعراء المفلقين وكانت له حظوة ومنزلة عند الملوك لفضله وشعره بحيث يقدمانه على ما سواهما[4] في اليمن خاصة وربما قيل في الشام.

ولما فزع من جياشٍ نفر منه إلى الداعي سبأ بن أحمد الصليحي وأقام معه بحصن أشيح[5] فكان مبجلاً أثنى عليه الفقيه عمارة ثناء بليغاً وقال: ضرب على خط ابن مقلة[6] فحكاه وكان شاعراً مترسلاً ولو لم يكن له من الترسل إلّا الرسالة المشهورة التي كتبها إلى الداعي سبأ الآتي ذكره في الملوك والدعاة.

---

(١) في «د» عليّ أبي وهو غلط.

(٢) كان في الأصلين نشرت والتصحيح من ابن خلكان.

(٣) صححناه ابن ميمون، إذ في الأصلين غير مفهوم.

(٤) لا نعرف إلى أين يعود ألف التثنية في الكلمتين ولم نجد هذا في مفيد عمارة ولعله يعود على الأب والابن أو إلى الفضيلة وشعره.

(٥) حصن اشيح من معاقل اليمن الشهيرة ويقع في بلد الهان ثم في بلد بني سويد وبه مات المكرم أحمد بن علي الصليحي في قول، وسبأ بن أحمد الصليحي.

(٦) ابن مقلة هو أبو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلة، الكاتب المشهور، مولده لتسع بقين من شوال سنة ٢٧٢ ببغداد ومات بعد أن نشرت أوصاله وعذب سنة ٣٢٨هـ وهو أول من نقل هذه الطريقة من الخط الكوفي: الوفيات جـ٤ ص١٩٨.

قال عمارة كان يكتب عن الحرة الملكة السيدة إلى الديار المصريّة والأقطار النازحة وكان من علوّ الهمة وسمو القدر فيما يلبسه ويمتطيه على غاية منيفة وجملة شريفة طريفة، وأسند الفقيه عمارة إلى بعض من حضر مجلساً له مع الداعي سبأ بن أحمد وقد أراد القيام بين يديه بشعر فمنعه ورمى له بمخدة وأقعده إكراماً له ورفعهُ عن الحاضرين وكانوا أعياناً ثم لم يقتنع سبأ بذلك حتى قال له أنت يا أبا عبدالله عندنا كما قال أبو الطيب المتنبي[1]:

وفؤادي من الملوك وإن كان ... لساني يُرى من الشعراء

فأنشد حينئذ قوله:

ولما مدحت الهبزري[2] ابن أحمد ... أجاد فكافاني على المدح بالمدح
فعوّضني شعراً بشعري وزادني ... نوالاً فهذا رأس مالي وذا ربحي
شققت إليه الناس حتى رأيته ... فكنت كمن شقّ الظلام إلى الصبح

وهذا من شعره في مدح الداعي سبأ، ومن محاسن شعره قوله في الرسالة إليه:

يقيم الرجال الموسرون بأرضهم ... ويرمي النوى بالمقترين المراميا
وما تركوا أوطانهم عن ملالة ... ولكن حذاراً من شمات الأعاديا

وله الشعر الفائق والنثر الرائق، منه ما مدح به السلطان سبأ بن أحمد:

أبا حمير إنّ المعالي رخيصة ... ولو بذلت فيها النفوس الكرائم
وجدت مطاراً يا ابن أحمد واسعاً ... إلى غرض لو ساعدتني القوادم
وما أنا إلّا السهم لو كان رائش ... وما أنا إلّا النصل لو كان قائم
فلا تحتقر جفناً يبيت مسهّداً ... ليدرك ما يهوى وجفنك نائم
فلا عار إن جار الزمان وأهله ... إذا لم تخنّي همتي والعزائم
أبى القلب إلا حبكم وولاءكم ... وإن أنفت فيه الأنوف الرواغم
تأمل فكم مال وهبت ونائل ... بذلت فلم تثقل عليك المغارم

ومن شعره ما كتبه على كأس فضة:

---

(١) المتنبي هو أحمد بن الحسين الكندي الكوفي وقيل الجعفي المذحجي شاعر الخلود وديوان شعره مطبوع يقال: ان عليه من الشروح خمسين شرحا ومولده في سنة ثلاث وثلثمائة وقتل في شهر رمضان أربع وخمسين وثلثمائة.

(٢) في عمارة النهزبري وكذا في «قرة العيون» ج٢ ص٢٦٥، وهما بمعنى واحد هو الأسد.

إن فضلي على الزجاجة أني لا أذيع الأسرار وهي تذيع
ذهبٌ سائل حواه لُجَيْنٌ جامد إنّ ذا لشيء بديع

قال الفقيه عمارة حدثني الفقيه أبو السعود بن علي الحنفي قال: حدثني ابن أبي الصباح أنه لما دخل العراق وحضر مجلس الوزير يومئذ وعنده جماعة يتذاكرون الشعر فقال لي: هل تحفظ شيئاً لأحد من أهل اليمن فأنشدته قول ابن القم من قصيدته:

الليل يعلم أني لست أرقده فلا يغرّنك من قلبي تجلُّده
فإن دمعي كصوب المزن أنشره وإن وجدي كحر النار أبرده
لي في هوادجكم قلب أضنّ به فسلِّموه وإلا قمت أنشده
وبان للناس ما قد كنت أكتمه من الهوى، وبدا ما كنت أجحده

وكان الوزير متكئاً فاستوى جالساً واستعادها مراراً ثم بعثني في الموسم إلى مكة فاشتريت له الديوان فلما جئته به كان من أقوى الذرائع إلى صحبته والانقطاع إلى جملته، ومناقب ابن القم في الفضل والأنفة على أهله في النسب والصنعة كثيرة، وكفى شاهداً على ذلك ما خاطب به جياش حين قتل القاضي الحسن وقد تقدم أنه قام برئاسة البيت بعد الحسن ابنُ عمه القاضي الأجلّ أبو الفتوح وهو ابن أخي الحسن وله الذرية الكثيرة التي توجد بقيتها بزبيد. قال عمارة كان أبو الفتوح أوحد عصره وإمام مصره قام بالعلم قياماً كلياً وصنّف فيه كتباً جليلة في الفقه خاصة ومذهب الشافعي لم يتفقّه أحد من أهل زبيد ومن حولها في مذهب الشافعي بعد وجودها إلّا منها، ومنها كتاب «التحقيق»، عنه نقل صاحب البيان عدة مسائل، وكفى له شاهداً بجواز الأخذ عنه نقل صاحب البيان إلى مصنفه الذي انتفع به كل إنسان، وله مختصر في أحكام الجنايات، وكان تفقهه بالإمام أبي الغنائم عن الشيخ أبي حامد المقدّم الذكر.

قال عمارة: وكان أبو الفتوح لا تأخذه في الله لومة لائم، عظيم الغضب، فيه مَرّ بداره ابن بجارة أحد فقهاء الحنفية الآتي ذكره، وقد انتشى من الشراب وكان رجلاً ماجناً يحذو طريق أبي نواس في الخلاعة والشعر، فجعل يغني بصوت عال وذلك في ليل، فصاح به القاضي إلى هذا الحدّ يا حمار ولم يكن ثم عون[1] على الباب وارتجل ابن بجارة:

(١) في عمارة ص٢٩٤ ولم يكن عنده أحد من الأعوان: الشرطة والحرس.

سكرات تعتادني وخمار وانتشاء أعتاده ونعار[1]

فملومٌ من قال: إني ملوم وحمارٌ من قال: إني حمار

ولم يذكر له عمارة تاريخاً.

ومنهم ابنه أبو العز عثمان بن أبي الفتوح، كان فقيهاً مبرزاً فاضلاً شاعراً مفلقاً سخياً محسناً إلى الشعراء معدوداً في ذوي المروءات والإنسانيات.

قال عمارة: وكان من المجيدين المكثرين يعني الشعراء، وقد عدّه فيهم قال: وولي من قبل أبيه قضاء البلاد المصاقبة لزبيد كحيس وفشال[2] وأخذ منصب القضاء بعده وله شعر يزيد على رقة النسيم ويستطاب كما يستطاب التسنيم، ومنه قوله وقد زار قبور أهله في العِرْق المقبرة القبلية من زبيد، وتعرف بمقابر باب سهام[3]:

يا صاح قف بالعرق وقفة مُعولِ وانزل هناك فثمّ أكرم منزل

نزلت به الشمّ البواذخ بعدما لحظتهمُ الجوزاء لحظةَ أمثل

أخواي والولد العزيز ووالدي يا حطم رمحي عند ذاك ومنصلي

هل كان في اليمن المبارك قبلهم أحد يقيم صغا الكلام الأميل

حتى أنار اللّهُ سدفة أهله ببني عقامة بعد ليل أليل

لا خير في قول امرىءٍ متمدِّح لكن طغا قلمي وأفرط مقولي

ومن شعره في زريق الفاتكي الوزير الآتي ذكره:

نفسي إليك كثيرة الأنفاس لولا مقاساة الزمان القاسي

وامتدحه الجليس أبو المعالي[4] حين دخل اليمن بقصائد كثيرة من بعضها:

ابني عقامة لست مقتصداً في وصفكم بالمدح ما عشتُ

---

(١) نعار بضم النون آخره راء: الصياح وهو بالنون في عمارة وفي «د» يعار بالياء المثناة من تحت وفي «ب» بالاهمال واليعار: بضم الياء المثناة من تحت: صوت الغنم.

(٢) حيس بفتح الحاء المهملة وسكون الياء المثناة من تحت، آخره سين مهملة مدينة جنوب مدينة زبيد، آهلة بالسكان، وفشال بالفتح وادٍ شمال بغرب مدينة زبيد، وفيه قرى كثيرة، وقد تقدم ذكره ويأتي للمؤلف أيضاً.

(٣) لا زالت مقبرة العرق معروفة لهذه الغاية، لكن لا يدفن بها، وكذا باب سهام معروف.

(٤) اسم الجليس أبو المعالي عبدالعزيز بن الحسن بن الحباب المصري، هو صاحب ديوان الانشاء في أيام الفائز العبيدي ولم أجد له ترجمة وذكره عمارة هكذا.

علقت يدي منكم بحبل فتى ... ما في مرائر ودّه أمتُ[1]

وصار العلم إلى طبقة أخرى، فينبغي البداية بالإمام الذي عمّت بركته وظهرت شهرته، وهو أبو أسامة زيد بن عبدالله بن جعفر بن إبراهيم اليفاعي بلداً، وهي قرية بالمعافر تسمى (يفاعة) بفتح الياء المثناة من تحت والفاء ثم ألف وفتح العين المهملة ثم هاء بعدها[2] أثنى عليه ابن سمرة ثناء مرضياً فقال: كان من أعيان عيون العلماء في اليمن وأفراد شيوخ الزمن أستاذ الأستاذين وشيخ المصنفين زيد بن عبدالله تدّير الجَنَد، تفقّه في بدايته بابن جعفر مقدم الذكر وبإسحاق الصردفي وتزوج بإحدى ابنتيه كما قدمنا وارتحل مكة فأخذ بها عن الشيخين الإمامين الحسين بن علي الطبري الشاشي وأبي نصر البندنيجي مصنفات الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ثم مصنفاتهما، وكان من أصحاب أبي إسحاق ثم عاد إلى الجند فاجتمع الناس إليه من نواح شتى فقرأوا عليه، وذلك أن شيخه الإمام أبو بكر بن جعفر في الجند يدرس ويفتي فمالت قلوب الناس إلى هذا الفقيه بخلاف شيخه فأخذوا عنه العلم وكثر أصحابه وكان سبب ذلك أنه كان كلما وصله طالب أقرأه من غير بحث له عن حسب أو نسب، والإمام أبو بكر لا يقرىء إلّا من تحقّق حسبه ونسبه وصلاحه كما قدمت ذلك في ذكره، ولقد سألت بعض أهل المعرفة عن معنى ذلك فقال[3]: نظر الفقيه أبو بكر إلى قوله ﷺ لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها[4] وذهب الفقيه زيد إلى قوله ﷺ يأتيكم أقوام من أطراف الأرض يطلبون العلم فاستوصوا بهم خيراً[5] ولم يفرق بين طالب وطالب ثم قال: وقول الحكماء: يميل إلى ترجيح مذهب الفقيه أبي بكر إذ صح عن بزرجمهر[6] أنه قال لا تعلموا أولاد السفلة العلومَ فإنهم متى علموها طلبوا معالي الأمور فإن نالوها أولعوا بمذلّة الأحرار[7] كما يروى ذلك في المشاهد وأبان ذلك عن جماعة لولا خشية

---

(١) الامت العوج ومنه قوله تعالى ﴿ولا أمتاً﴾.

(٢) يفاعة ... البحث عنها لم نعثر منها لا على عين ولا أثر، وفي تاريخ الفاسي ج٤ ص٤٨١ أن يفاعة من معشار تعز في وادي القصيبة. وقد بحثت في وادي القصيبة شمال تعز ومن أعمالها فقيل لي إنها توجد هناك قرية خربة ومسجد كذلك وأروني إياها على بعد نصف ميل من المكان الذي كنت أبحث فيه عنها، ووهم ياقوت رحمه الله فنسب زيد بن عبدالله هذا إلى يفاع من قرى مدينة ذمار في غربها الشمالي بمسافة قصيرة.

(٣) كذا في «د» وفي «ب» قال فمال الفقيه.

(٤) هذا الحديث مما يجري على الألسن.

(٥) لا أعرف عن هذا الحديث شيئاً، ومن يحفظ حجة على من لا يحفظ.

(٦) بزرجمهر: حكيم فارسي له أقوال كثيرة مبثوثة في كتب الأدب.

(٧) هذا ولّده الغرور والكبرياء، ولا شك أن بعض الأراذل والسفلة إذا نالوا حظاً من الدنيا ورأسوا فإنهم

الإطالة وعدم كون ذلك ليس من ملازم الكتاب لذكرته كما ذكر.

وكانت مدرسة الفقيه عن يمين المنبر وربما اتكأ وقت التدريس على المنبر وكان أصحابه فوق ثلثمئة متفقه في غالب الأيام يقوم بإعالتهم[1] قوتاً وكسوة وكانوا يملأون ما بين الباب والمنبر كثرة وكان الفقيه أبو بكر شيخه يقرىء في الزاوية التي تحت جدار بئر زمزم وكان أصحابه في غالب الأحوال نحو خمسين طالباً، هكذا ذكر بعض معلّقي أخبارهم ولم يزل ذلك من شأنهم حتى تمّت الحيلة من المفضل في التفريق بينهم، وذلك أنه مات ميت من أهل الجند فخرج الإمام زيد والإمام أبو بكر بن جعفر في أصحابهما يقبرون وعليهم الثياب البيض لبس الحواريين والمفضل يومئذ بقصر الجند فحانت منه نظرة إلى المقبرة فرأى فيها جمعاً عظيماً مبيضين فسأل عن ذلك فقيل قبران ميت غالب من حضره من الفقهاء، فعرض بذهنه ما فعله ابن المصوع مع أخيه حيث قتله وقال: هؤلاء يكفروننا ولا نأمنُ خروجهم علينا مع القلة فكيف مع الكثرة، ثم قال لحاضري مجلسه انظروا كيف تفرقون بينهم وتدخلون البغضاء عليهم بالوجه اللطيف فجعلوا يولون القضاء بعض أصحاب الإمام زيد أياماً ويعزلونه ويولون مكانه من أصحاب الإمام أبي بكر بن جعفر ثم يولون إمامة الجامع كذلك ثم النظر في أمر المسجد كذلك حتى ظهر السباب بين الحزبين وكاد يكون بين الإمامين فعلم الإمام زيد ذلك فارتحل مهاجراً إلى مكة.

قال ابن سمرة: وكان الإمام زيد وقاضيه[2] مسلم بن الفقيه أبي بكر بن أحمد بن عبدالله الصعبي المقدم ذكره وولداه محمد وأسعد، وإمام الجامع الشيخ حسان بن محمد بن زيد بن عمر مع أتباع لهم كثير حزباً، والإمام أبو بكر وقاضيه محمد بن عبدالله اليافعي وإمام المسجد الشيخ يحيى بن عبدالعليم مع جماعة، غيرهم حزباً، ولما شاع ذلك عزم الفقيه زيد على الارتحال خوف الفتنة والمشقة على القريب والبعيد، من أصحابه فكاتبه البعيد حتى كتب إليه تلميذه الفقيه العالم يحيى بن محمد بن أبي عمران من الملحمة الآتي ذكره إن شاء الله بقصيدة (هي هذه)[3]:

= يولعون باذلال الأشراف وامتهانهم ولكن العلم ليس خاصا بناس دون ناس ومع العقل والاتزان يعرف الإنسان قدر نفسه.

(١) كان في الأصلين بعالتهم والتصحيح منا.

(٢) كان في الأصلين كما سبق «العرين» والتصحيح من ابن سمرة.

(٣) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د».

أحييت ذكر العلم وهو يبيس ... وقتلت جهلاً والمقانب شوس
وهدمت ركن الزيغ وهو مشيّد ... وعمرت آي الخير وهي دروس
وجعلت بنيان المكارم شامخاً ... من بعد كان وربعه مطموس
ونصرت حزب الحق وهي كتيبة ... وهزمت جيش الإفك وهو خميس
ونشرت عِلْم محمد وأقمته ... وكذاك فليكن العلا القدموس
وبسطت من علم الشريعة واضحاً ... فَحَيَتْ به بعد الممات نفوس
وتداركت كفّاك كبو عثارهِ ... فانساب في حلل الجمال يميس
وكسوت هذا العلم حلّة زينةٍ ... فعليه من حلل الجمال لبوس
طلعت على ظلم الضلالة زهرةً ... من نوره فكأنهنّ شموس
وحملت للإسلام عبئاً لم يكن ... أحد ينوء بحمله فيريس
لو أنهم قاموا وأنك قاعدٌ ... ساويتهم والسير منك بسيس
هذا وكيف وأنت قمت بكلمّا ... عنه ونوء القوم عنك جلوس
ما الناس غيرك لو عدمت لأصبحت ... من بعدك الأذناب وهي رؤوس
ولذلّ ذو فضل وفضل ناقص ... فيما نرى في قومه ونقيس
فقت الورى بديانة وتكرُّم ... فازدان فيك العلم والتدريس
أكرم بها من رتبة يمنيّةٍ ... في الناس ما سبأ وما بلقيس
ولك الحياء سجيةٌ مشهورةٌ ... والعلم خلق والسخاء جليس
والفضل طبعٌ والوجاهة عادةٌ ... والصبر فهو لهن مغناطيس
أرخصت نفساً للأنام بذلتها ... ولقل مبذولٌ يصان نفيس
وإذا فتى في الله أفنى عمره[1] ... فلقد أراد صلاحه القدّوس
والعمر ينفد والأمور كثيرة ... والناس منهم سائس ومسوس[2]
حسب امرىءٍ في الناس طاعةُ ربه ... حتى يذاق من الحمام كؤوس
زيد بن عبدالله أنت إمامُنا ... في عصرنا والعالم القسّيس
كم نعمةٍ أوليتنا مشهورةٍ ... ما الشمس يخفي ضوءها الناموس

---

(١) كذا في «د» وفي «ب» أبلى عمره.

(٢) ما جاء من الغريب: المقانب جماعة الخيل والشوس: جمع أشوس، الكتيبة عليها الفرسان ينظرون أعداءهم بمؤخر عيونهم تكبراً واستصغاراً لهم، والخميس: الجيش لأنه قسم خمس فرق والدارس: البالي والقدموس: بالضم القديم والملك الضخم والعظيم من الإبل.

قسماً لما نسطيع شكرك عمرنا … أبداً وما تلك اليمين غموس

لو دام منا بكرة وعشيّةً … لم يغن تبكير ولا تغليس

ومتى قنعنا بل يُرجّى إن يرى … كل امرىء لك في يديه مروس[1]

والكل أن غرقوا فقد هلكوا معاً … منا وآخر عنده مغموس

أوردتنا البحر الخضم فغامس … وإذاً يفوز بهلكهم إبليس

فتدارك الغرقى واستنقذهم … بالعلم فهو لديننا جاسوس

والعلم عمدتنا وأصل أمورنا … وعليه يثبت للبنا التأسيس

والكل غرسك غير أن من الظما … قد كاد يهلك غرسك المغروس

لو عاينت عيناك أغصاناً له … فيه النظارة ينثني وينوس

غنّت به أطياره وتساقطت … أثماره لولا اعتراه يبوس

لرحمته وسقيته مثعنجراً … فلئن فعلت فلن يراه البوس

فلديك بحر زاخر متغطمط … طامٍ وردتْ عليه العيس

فلئن غفلت ولم تذاركه فقد … آل العناء لأنه مأيوس

وسمعت قوماً يهرجون برجله … فالحقُّ ما قالوه أو تهويس

إن كان ذاك فإن أهل بلادنا … جاءتهمُ بعد السعود نحوس

وتبدلوا من نضرةٍ ومسرّةٍ … يوماً له وجه عليه عبوس

فلئن وطئن ركابكم في بلدة … سوى فخذي ذلك الموطوس

ولأسقين سُمّاً ذُعافاً ناقعاً … وكأنّ ساقي السمّ جالينوس

والروح إن فارقت فارق جسمه … وقفاً عليك مدى الحياة حبيس

لا تُصْغِينّ لبائسٍ ذَكَر النوى … فالشر أول أمره تيئيس

حاشاك من قتلِ النفوس وغمطها … فالقتل عند العالمين خسيس

والقول في قطع الأحبة فاسد … والرأي في تنفيرهم منكوس

حتى متى يأتي الزمان بمثلهم … إن الزمان بمثلهم مفلوس

كم منهمُ حامٍ لدين الله ما … في ذاك توهيم ولا تلبيس

ذي لبدتين غضنفر مبلغ … عند المصاع إذا اقمطر وطيس[2]

---

(١) الغموس: اليمين الفاجرة والتغليس معروف ومستعمل والمروس: حبال يُشدّ بها والمتعنجر: الغزير الشر والتهويس: الهذيان، وطسن من وطس: وطيء ودعس.

(٢) السمّ الذعاف الناقع: القاتل بسرعة، جالينوس، أحد أطباء وحكماء اليونان، والغمط النكران للجميل، ذو اللبدتين وصف للأسد، والمصاع: الكرّ والفرّ، اقمطرّ: اشتدّ، الوطيس: هيجان الحرب.

فـإذا أتـى الأخـوان صـار كـأنـه ... ممـا اعتـراه من الحيـاء عـروس
قـد صـرت رأس المسلمين لـدينهم ... ولـكـل قـوم عـمـدةٌ ورئـيس
فـإذا ارتحلت فـربمـا عن ديـنهـم ... مـالـوا وقـد عضّت عليه ضـروس
هـذا مـقـال من مـحـبّ نـاصـح ... مـا فيـه تـنـميـق ولا تـدليـس
مثـل النِّدَاء هـو الشعـار لـديننـا ... وشعـار دين سـواكـم النـاقـوس
واسـلم ودم في ألف ألـف مسـرة ... مـا غـرد الـقـمـريّ والـطاووس
ثـم الـصـلاة عـلى الـنـبي وآلـه ... مهمـا تـردد فـي الأنـوف نفـوس

وقـد استكملت هذه القصيـدة لحسن ألفاظهـا وعذوبـة إيرادهـا وعدالـة قائلهـا واستحقاق من قيلت فيه وهي من القصائد الطنانـة بين الفقهاء الـذين رسخت أصولهم في الفـقه وخصوصاً في الجهة الأصابية[1] واليحصبية والمشرقية وهي خمسة وخمسون بيتاً[2] ثم إن الإمام زيد لما طالت عليه المشاقة ارتحل إلى مكة حسماً للمشاقـة وهي الرحلة الثانية في سنة خمسمئة فلبث هنالك اثنتي عشرة سنـة مات في أثنائها شيخـاه الإمامان الطبري والبندنيجي مقدما الذكـر فتعينت الفتوى على الإمـام زيد والتـدريس كـذلـك إذ لم يكن بعدهما أكبر قدراً منه في علمه وعمله.

قال ابن سمرة: وذلك أنه كان حافظاً نقالاً كان يحفظ ثلثمئة مسألة في الخـلاف بأدلتها وعللها، وكان في أثناء إقامتـه بمكة يـأتيه مَغَـلّ أرضه من اليمن مـوفرة فيقتـات بعضها ويعامل ببقيتها حتى يحصل له بسبب ذلك مال جزيل، ولـم يزل مجللاً معظمـاً عند المكيين وغيرهم حتى حصلت فتنة بين متقدّمي مكة وبين الطبـري بسبب القضاء والفتوى وثار من ذلك شيء من أمور السـلاطين وأهويتهم فتجهـز الفقيه عنـد ذلك من مكة نافراً حتى لحق الجند فقدمها سنة اثنتي عشرة وخمسمئة وقيل ثلاث عشرة، وكان المفضل قد توفي بعد خروج الفقيه بنحو أربع سنين، ولـولا ذلك لم يـرغب الفقيه في عود الجند ولمـا تسامـع الناس بمصيـر الإمام زيـد في الجند وصلوه من جميـع أنحاء اليمن واشتغلوا بالقراءة عليـه، وكان الفقيـه أبو بكـر بن جعفر قـد توفي أيضـاً فلم يبق باليمن من يقصد للمعضلات وحل المشكلات غير هذا الفقيه، فوصله طلبةُ العلم من عدن وأبين ولحج وأنحائها ثم من تهامة وحضرموت ومن الجبال المعافـر والمخلاف، ثم تفقّـه به جمـع من أهل الجَنَـد ونواحيهـا كَسَيـر وزبـران وسهفنـة ونخـلان والسُّلف

---

(١) المراد بها مخلاف وصاب واليحصبية: بلاد يريم، انظر «صفة جزيرة العرب»، و«الإكليل».
(٢) كان عدد هذه القصيدة ستة وخمسين بيتاً وفي الأصلين ثلاثة وخمسون بيتاً فأصلحنا ذلك كما ترى.

وقياض[1] وما بلد من هذه البلاد إلاّ وله فيها أصحاب عُرفوا بالأخذ عنه.

ومن الجَنَد أبو بكر بن محمد اليافعي وغيره ومن ناحيتها عبدالله بن أحمد الزبراني ويحيى بن أبي الخير من سَيْر، ومسلم بن أبي بكر من سهفنة وعبدالله بن عمير العريقي ويحيى بن محمد من الملحمة صاحب القصيدة المذكورة أولاً وأبو حامد بن أبي بكر الأصبحي من الذنبتين، ولما صار الفقيه بالجند بالغ في لزوم طريق الخمول بحيث كان يدرس في بيته في الغالب ثم متى صلى في الجامع صلى بمؤخره، وكان متورعاً متنزّهاً عن صحبة الملوك وخلطة الظلمة وقبول جوائزهم بحيث أجمع أهل زمانه على نزاهة عرضه وجودة علمه وشدة ورعه أجمع على فضله المؤالف والمخالف، وشهد له بالفضل كل عارف، وكان مع ذلك ذا عبادة منها أنه كان يخرج في كل ليَلة من منزله بعد هدوء الليل واشتغال الناس بحلاوة النوم، فذكروا أن بعض من بات بالمسجد رأى الفقيه قد دخل المسجد وجعله بباله[2] فجعل يصلي ما شاء الله في المحراب ثم خرج من المسجد وتبعه الرجل فلما صار على الباب أعني باب المدينة انفتح له فخرج الفقيه وتبعه الرجل مسرعاً فسار الفقيه حتى صار موضع قبره فأحرم وجعل يتركع حتى صعد المؤذن المأذنة فأخف صلاته وعاد المدينة كما خرج وانفتح له بابها، ثم باب المسجد، فلما صلى الصبح وقعد يذكر الله والرجل في كل ذلك يراقبه من حيث لا يشعر ثم دنا منه وقبّل يده وأخبره بما رآه من الأمر فقال: إن أحببت الصحبة فلا تخبر أحداً ما دمنا في الحياة فلم يخبر بذلك إلا بعد وفاة الإمام رحمه الله، وكان يخبر بزيادة غير ما ذكرنا لكن اقتصرنا على ما تكرر نقله وشهر خبره.

قال ابن سمرة: أخبرني الشيخ منصور بن أحمد أبو تراب العودري أنه دخل مدينة الجند يريد يسأل الفقيه زيد بن عبدالله عن مسألة فرضية قال: فوجدت الفقيه يقرىء أصحابه بدهليز بيته وكان صغير الخَلْق فلما رأيته هبته هيبة عظيمة واستكبرت مقامه فغلطت في سؤالي وتلجلجت في كلامي فآنسني الفقيه بكلامه ورد عليّ اللفظ حتى أنست وأقمت سؤالي فحين عرفه جوّب لي أبين جواب ثم لم يزل الفقيه على الحال المرضي ديناً وورعاً حتى توفي بأحد الربيعين الكائنين في سنة أربع عشرة وقيل خمس عشرة وخمسمائة فقبر بالمقبرة الغربية من مدينة الجند، وتربته هنالك مشهورة لم أر في اليمن تربة مثلها يتجدد معرفتها ويكثر زائرها. ولقد يجد الزائر في نفسه كأن

---

(١) قياض بضم القاف آخره ضاد معجمة، قد تقدم ذكره، وأنه شمال تعز ومن أعمالها.

(٢) كذا في «د» وفي «ب» من باله.

هذا الإمام إنما مات ودفن عن قريب وله إلى وقت وضعي لهذا الكتاب آخر سنة اثنتين وعشرين وسبعمئة مئتا سنة وسبع سنين فلا يكاد أحدٌ يأتي تربته تخلو عن الزائر وقلّ ما قصدها ذو حاجة إلاّ قضى الله حاجته، ولقد أخبرني جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب بأخبار يطول شرحها في ذلك.

وقد عرض لي مع ذكر هذا الرجل نبذة من ذكر شيخه الطبري والبندنيجي فأمّا البندنيجي فإنه لما قدم[1] بمصنفات الشيخ أبي إسحاق (صورة ومعنى)[2] عكف الناس عليه وأخذوها عنه ومدّ ذلك إلى عصرنا لم يكد أحد يتفقّه من غيرها إلا بعد التفقّه منها. ويروي فقهاء اليمن لها فضائل يطول تعدادها، منها ما أخبرنيه الفقيه أبو بكر بن الفقيه أحمد بن الرسول الأبيني الآتي ذكره أخبرنا الفقيه أحمد بن عمران أنه كان لا يرى المهذّب طائلاً ويقول: فقهه ظاهر، فلما كان ذات ليلة رأى في المنام رجلاً فاتحاً كتاباً وهو يشير إليه أن ينظر في الكتاب قال: فنظرت فإذا فيه: روى الخليل بن أحمد[3] عن عبدالأعلى بسنده عن النبي ﷺ أنه قال: من صلى عليّ سبعين مرة وسأل الله بالمهذّب ومؤلفه قضى الله له اثنتين وسبعين حاجة أدناها المغفرة[4] ومن أمثال هذه الرواية كثير. ولقد دخل اليمن عدة مصنفات موجزة ومبسوطة لم يكد يحصل لها من القبول طائل ولا انتفع بها الناس كما انتفعوا بمصنفات الإمام أبي إسحاق حتى قال لي بعض الفقهاء المحققين من فقهاء العجم وقد أقام في اليمن مدة ووجد نقل أهله وفتواهم ومناظراتهم إنما هو عن كتب الشيخ أبي إسحاق ومتى نقل ناقل عن غيرها قل أن يستجاد نقله أو يستكمل عقله، ثم شاركها في ذلك كتب الغزالي[5] مع تخصيص ثم ولي كتب الشيخ أبي إسحاق في العموم والتحقيق الكتاب المبارك المسمى بالبيان

---

(١) هنا في الأصلين شيء من الخبط.

(٢) ما بين القوسين من «ب» أما «د» فمضروب عليه بخط.

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي إمام النحو واللغة ومخترع علم العروض والقوافي ومن قيل فيه إن دولة الإسلام لم تخرج للعلوم التي لم يكن لها عند علماء العرب أصول ـ من الخليل وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذي لا عن حكيم أخذه ولا عن مثال تقدّمه احتذاه وكانت وفاته بالبصرة سنة خمس وسبعين ومئة وقيل غير ذلك.

(٤) هذه أسطورة من أحاديث خرافة لا يقبلها السذّج البله فضلاً عن من له عقل وهو سليم وبطلانها أوضح من الشمس في رابعة النهار، فالخليل بن أحمد ليس من المحدثين وعصره سابق متقدم على عصر أبي إسحاق الشيرازي ولا مؤلفه (المهذب) وأين يقع هذا المؤلف من كتاب الله الكريم ومصنفات سنة رسول الله ﷺ كالبخاري ومصنف عبدالرزاق الصنعاني وغيرهما من السنن، وهذا كذب على رسول الله ﷺ يستحق ناقله العتاب عليه واللوم، ولا ندري من هو عبدالأعلى.

(٥) الغزالي تأتي ترجمته للمؤلف.

فمصنفات الشيخ أبي إسحاق هي المقدمة ومعها كتاب البيان إذ نحا نحوها وحقق تحقيقها ووجد طريقها، ولم ترد مصنفات الغزالي إلى اليمن إلاّ بعد وجود هذه المصنفات واستطارتها بين الفقهاء وإقبال الناس عليها، وكان أول من قدم بها الإمام زيد وأخذت عنه ثم بعده أخذت عن ابن عَبْدَويه الآتي ذكره.

ثم لما كان الأمر كذلك وعرض ذكر الشيخ أبي إسحاق وتلميذيه الطبري والبندنيجي مع ذكر الشيخ زيد اتجه بيان اللائق من أحوالهم إذ منهم إلى عصرنا لم يكد يتفقه أحد من أهل اليمن بغير طريقهم وروايتهم لكتب شيخهم فرأيت البداية بذكر الشيخ إذ هو العنصر.

فهو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزاباذي، مولده سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة بفيروز أباذ.

قال ابن خلكان وهي بلدة بفارس ويقال: هي مدينة جور نقله عن الحافظ أبي سعيد السمعاني في كتابه الأنساب، وضبطها: بكسر الفاء وسكون الياء المثناة من تحت وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة ثم زاي مفتوحة ثم ألف ثم باء موحدة ثم ألف ثم ذال معجمة قدم بغداد بعد أن تفقه ببلده وغيرها بعض التفقه فلزم مجلس أبي القاضي الطيب الطبري[1] وكان به كمال تفقّه وناب عنه في مجلسه ورتّبه معيداً في حلقته، ولما بنى نظام الملك[2] مدرسته ببغداد سأله، أن يتولى تدريسها[3] فلم يفعل فولاها أبا نصر بن الصباغ مدة ثم إن الشيخ أجاب إلى توليتها فلم يزل بها حتى مات.

قال ابن خلكان: وله التصانيف المباركة المفيدة منها المهذب والتنبيه في الفقه، واللمع وشرحها في الأصول، والنكت والتبصرة في الخلاف، والمعونة في الجدل، وله الشعر الرائق الحسن منه قوله:

سألت الناس عن خلّ وفيّ فقالوا ما إلى هذا سبيل
تمسّك إن ظفرت بودّ حرّ فإن الحرّ في الدنيا قليل

ومما سمع من لفظه متمثلاً كثيراً ولمناقبه كتاب قد جمعت فيه ولولا الإطالة

---

(١) تأتي ترجمته قريباً.

(٢) نظام الملك اسمه الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي أبو علي الملقب بقوام الدّين كان وزيراً حازماً عالي الهمة له أخبار كثيرة مولده سنة ٤٠٨ وقتل على يد باطني سنة ٤٨٥.

(٣) أي التدريس بالمدرسة النظامية.

لذكرت طرفاً جيداً منها، وكان في غاية من الورع والتشدّد في الدين وعلى الجملة فمحاسنه أكثر من أن تحصر وسمع من لفظه ينشد:

يا سائلي عني فإنني ... لأهل الفضل كلّهمُ غلام
أحبّهم لأنهم قليل ... وفي الأنذال والسِّفل ازدحام

وهذان البيتان حكمة ينبغي لأهل الفضل حفظهما وروايتهما ومن المسموع عنه لغيره:

ولما وقفنا بالصراة[1] عشيةً ... حيارى لتوديع وردّ سلام
وقفنا على رغم الحسود وكلّنا ... يفضّ على الأشواق كل ختام
وشوّقني عند الوداع عفافُه ... فلما رأى وجدي به وغرامي
تلثّم مرتاباً بفضل ردائه ... فقلت هلال بعد بدر تمام
فقبّلته فوق اللثام فقال لي ... هو الخمر إلا أنه بفدام

ومنه أيضاً:

يا عبدُ كم لك من ذنب ومعصية ... إن كنت ناسيها والله أحصاها
يا عبد لا بد من يوم تقوم له ... ووقفة منك تدمي القلب ذكراها
إذا عرضت على نفسي تذكرها ... وساء ظني قلت أستغفر الله

ومما سمع من لفظه إلى هنا أخذته من المختصر الذي جمع في مناقبه وما قبل ذلك أخذته من كتاب ابن خلكان، ولم يزل على الحال المرضي حتى توفي ليلة الأحد بعد العشاء حادي عشر من جمادى الآخرة الكائن في سنة ست وسبعين وأربعمئة وصلى عليه الخليفة المقتدي بأمر الله ثم وزيره وقاضي القضاة وجميع الخدم بباب الفردوس ثم أخرج فصلي عليه صاحبه أبو عبدالله الطبري وجميع من في الجانبين ودفن في حائط بستان ظفر بالجانب الشرقي بباب أبرز ورثاه جماعة منهم أبو القاسم بن باقياء بقصيدة منها قوله:

أجرى المدامع بالدم المهراق ... خطبٌ أقام قيامة الآفاق
ما لليالي لا تؤلف شملها ... بعد ابن بجدتها أبي إسحاق
إن قيل: مات فلم يمت من ذكره ... حيّ على مرّ الليالي باقي

---

(١) الصراة: بفتح أوله نهر ببغداد.

ولما استولى الصليحي على ريمة المناخي وطرد أهله عنه خرج صاحبه عمرو الأشعري من اليمن[1] ولحق ببغداد وأدرك بها الشيخ أبا إسحاق فصحبه وأحبه ووافق ذلك وفاة خليفة وقتهم وافتقر الناس إلى قيام خليفة آخر فاتفقوا على أن الشيخ أبا إسحاق هو الذي يتولى العقد للخليفة وذلك سنة سبع وستين وأربعمئة أظنه المقتدي على ما أظنّه ظاهر برواية ابن سمرة عنه فلما رضي العلماء وأفاضل الناس بالشيخ أبي إسحاق، وقد صعد المختار من بني العباس ذروة المنبر ووقف ينتظر صعود الشيخ إليه فلما صار بالمنبر سقط فابتدره الخليفة والعلماء وكان الخليفة ضليعاً فسبقهم إليه وأقامه وأصعده إلى رأس المنبر فلما استوى على رأسه حمد الله وصلى على النبي ﷺ وعقد الخلافة، فلما فرغ قال له الخليفة: هل من حاجة قال: نعم أخبرني فلان عن فلان مسنداً إلى النبي ﷺ أنه قال: «ما من خليفة إلّا وله دعوة مجابة وأريد أن تدعو لي فدعا له من فوره وأمّن الحاضرون».

ولهذا عمرو الأشعري المناخي في الشيخ أبي إسحاق مدائح منها قوله في بعضها:

ولقد رضيت عن الزمان وإن رمى ... قومي بخطب ضعضع الأركانا
لما أراني طلعة الحبر الذي ... أحيا الإله بعلمه الأديانا
أزكى الورى ديناً وأكرم شيمة ... وأمدّ في طلق العلوم عنانا
وأقلّ في الدنيا البصيرة رغبةً ... ولطالما قد أضنت الرهبانا
صدق الرسول الطهر في إطرائه ... أبناء فارس جهرةً إعلانا
في كل عصر منهُم عَلَمٌ به ... يبدي الإله الرشد والتبيانا
منهم أبو إسحاق مصباح الهدى ... وشهاب نور كاشف الأدجانا
لله إبراهيم أي محقق ... صلت إذ رب البصيرة لانا
فتخاله من زهده ومخافةٍ ... لله قد نظر المعَاد عيانا

وإنما ذكرت الأبيات لأن ابن سمرة ذكرها ولأن قائلها من أعيان اليمن وملوكهم.

ولما كان كمال تفقُّهه بالقاضي أبي الطيب اتجه أيضاً بيان اللائق من أحواله إذ هو شيخ أهل الطبقة المتأخرة من أهل اليمن وقد قدمنا بيان ذلك.

---

(١) قال ابن سمرة صوابه المناخي وطرد أهله عنه لعل صوابه أهلها عنها.

وهو أبو الطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر بن عمر الطبرستاني، مولده سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ونسبة الطبري إلى طبرستان: بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء ثم سين ساكنة مهملة ثم فتح التاء المثناة من فوق ثم ألف ثم نون. قال ابن خلكان وهي ولاية كبيرة تشتمل على بلاد كثيرة[1] خرج منها جماعة من العلماء والنسبة إلى طبرية الشام طبراني[2] فاعلم ذلك فإن كثيراً من الناس يغلط فيه، ولذلك بينته، وكان تفقه القاضي أبي الطيب في ابتدائه بآمد[3] على أبي علي الزجاجي[4] صاحب أبي العباس بن القاص ثم على أبي سعيد الإسماعيلي وعلى أبي القاسم بن كج بجرجان[5] ثم ارتحل إلى نيسابور فأدرك أبا الحسن الماسرخسي صاحب أبي إسحاق المروزي المتقدم الذكر فلزم مجلسه أربع سنين ثم انتقل إلى بغداد فأخذ بها عن أبي محمد عبدالله بن محمد الخوارزمي صاحب الداركي[6] وحضر مجلس الشيخ أبي حامد الإسفرائني ولم يثبت أنه أخذ عنه، أثنى عليه الشيخ أبو إسحاق فقال: لم أر فيمن رأيت أكمل اجتهاداً وأشد تحقيقاً وأجود نظراً في الفقه منه، شرح المختصر وفروع ابن الحداد وصنف في المذهب والخلاف والأصول والجدل كتباً كثيرة ليس لأحد مثلها، عمّر مئة سنة وسنتين[7] لم يختل عقله ولا تغير فهمه يفتي مع الفقهاء ويستدرك عليهم الغلط ويقضي بمحاضرهم فيحضر المواكب في دار الخلافة ولم يزل في ذلك حتى توفي يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة خمسين وأربعمئة في بغداد ودفن بمقبرة باب حرب.

وأما شيوخه المقدم ذكرهم فأبو علي الزجاجي، تفقّه بأبي العباس بن القاص

---

(١) في «ب» زيادة بعد قوله كبيرة: «وأكبرها» آمد.

(٢) طبريَّة الشام: بلدة جميلة على شط بحيرة طبرية من الغرب وهي من فلسطين بيد الصهيونية أعادها الله إلى حظيرة الإسلام، ونسب إليها عالمٌ من أشهرهم الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ صاحب المعاجم الثلاثة.

(٣) آمد: بكسر الميم مع مد الألف: أعظم مدن ديار بكر على شط دجلة شمال العراق ولعلها اليوم بيد تركيا.

(٤) أبو علي الزجاجي لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مراجع وهو غير الزجاجي النحوي وقد ذكر الأول المؤلف فيما يأتي.

(٥) جرجان مقاطعة مشهورة من إيران وفي شمالها وضبطها بضم الجيم الأولى وسكون الراء ثم جيم مفتوحة ثم ألف ونون ولعل ذكرها قد تقدّم.

(٦) تأتي ترجمة الداركي للمؤلف، والإسماعيلي وفاته سنة ٣٩٦هـ.

(٧) في الأصلين وستين وأصلحناها سنتين من المراجع.

وعنه أخذ فقهاء آمد ولم يذكر أبو إسحاق غير ما ذكرت، وتفقّه الزجاجي بأبي العباس أحمد بن أبي أحمد عرف بابن القاص الطبري بتفقّهه بابن سريج، وكان من أئمة المذهب، صنّف المصنفات البديعة: «المفتاح وأدب القضاء والمواقيت» والتلخيص الذي شرحه أبو عبدالله حسن الإسماعيلي وقال تمثّلت فيه بقول الشاعر:

عقُمَ النساء فما يَلِدْن بمثله   إن النساء بمثله عقمُ

وعنه أخذ فقهاء طبرستان وكانت وفاته بطرسوس. قال ابن خلكان: كان إمام وقته في طبرستان وكان يعظ الناس فانتهى في بعض أسفاره إلى طرسوس وعقد له مجلس وعظ وأدركته خشية وروعة من ذكر الله تعالى فخرّ مغشياً عليه، ثم توفي عقب ذلك سنة خمس وثلاثين وثلثمائة وعرف والده بالقاص لأنه كان يقصّ الأخبار والآثار، وطرسوس التي توفي بها قد مضى ضبطه بلدة بفتح الطاء والراء المهملتين وضم السين المهملة ثم واو ساكنة ثم سين مهملة[1] وشيخه ابن سريج قد مضى اللائق من أحواله واتصاله بالإمام الشافعي.

وأما ابن كج فهو القاضي الشهيد أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كج صاحب أبي الحسن ابن القطاني حضر مجلس الداركي وقال الشيخ أبو إسحاق في حقه كان من أئمة أصحابنا جمع بين رياسة الفقه والفتيا وارتحل الناس إليه من الآفاق رغبة في علمه وجودة فهمه وله مصنّفات كثيرة قتله العيّارون بالدينور[2] ليلة سابع وعشرين رمضان سنة خمس وأربعمئة وشيخه ابن القطان هو أبو الحسن أحمد بن محمد عرف بابن القطان قال الشيخ أبو إسحاق هو آخر من عرفناه من أصحاب بن سريج درَّس ببغداد وأخذ عنه العلماء وكانت وفاته سنة تسع وخمسين وثلثمائة.

وأما الإسماعيلي فهو أبو سعيد إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الإسماعيلي (المشهور بذلك)[3] قال الصاحب بن عباد[4] في رسالة كتبها إليه

---

(١) هذه طرسوس في تركيا وكانت من ثغور الإسلام وبها توفي الخليفة المأمون العباسي غازياً وقوله قد مضى ضبطه: كذا في الأصلين.

(٢) العيارون هم جماعة من السقاط سلاحهم الأحجار ودينور بفتح الدال وسكون الياء المثناة من تحت وفتح النون وكسر الواو وآخره راء مدينة من مقاطعة الجبال من إيران.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) الصاحب بن عباد هو إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم المعروف بالصاحب ابن عباد الطالقاني الأديب الوزير، كانت له شهرة كبيرة وإلى يوم الناس هذا، وفاته سنة ٣٨٥ خمس وثمانين وثلثمائة، ترجمته في ابن خلكان ج١ ص٢٠٦ وغيره.

وأما أنت أيها الفقيه أبا سعيد فمن يراك حين تدرِّس وتفتي وتحاضر وتروي وتكتب وتملي علمَ أنك الحبرُ ابن الحبر والبحر ابن البحر والضياء ابن الفجر. ثم ذكر معه أخاه وأباه فقال رحم الله شيخكم الأكبر فإن الثناء عليه غنم والنساء بمثله عقم، فليفخر بكم أهل جرجان ما سال واديها وأذّن مناديها.

قال الشيخ أبو إسحاق: قدم القاضي أبو الطيب جرجان قاصداً لأبيه فمات قبل لقائه فأخذ عن هذا بحق أخذه عن أبيه قال: وبأبيه تفقّه فقهاء جرجان ثم أثنى عليه، وقال جمع بين الفقه والحديث ورياسة الدين والدنيا وصنّف الصحيح وتوفي سنة ست وتسعين وثلثمائة وولده توفي لنيف وتسعين وثلثمائة.

وأمَّا الماسرخسي فهو أبو الحسن محمد بن علي بن سهل الماسرخسي تفقّه بأبي إسحاق المروزي بتفقّهه عن ابن سريج وقد مضى بيان ذلك وكان متقناً للمذهب درس بنيسابور وعنه أخذ فقهاؤها ومعظم تفقه القاضي أبي الطيب به لزم مجلسه أربع سنين وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة.

وأمّا الخوارزمي فهو شيخه ببغداد وهو أبو محمد عبدالله بن محمد بن محمد الخوارزمي الباني يروى بالباء الموحدة وبالنون، سمعناه كذلك تفقّه بالداركي، أثنى عليه الشيخ أبو إسحاق وقال في حقه كان فقيهاً شاعراً أديباً مترسلاً كريماً درَّس ببغداد بعد شيخه الداركي وتوفي سنة ثماني وسبعين وثلثمائة، وشيخه الإمام[1] الداركي هو أبو القاسم عبدالعزيز بن عبدالله الداركي كان فقيهاً فاضلاً تفقّه بأبي إسحاق قد ذكرت أن معظم طرق المروزي (عنه)، وإليه انتهى التدريس ببغداد وعليه تفقّه الشيخ أبو حامد الإسفرائيني وقد مضى بيان طريق الشيخ أبي حامد واتصالها بالإمام الشافعي.

ثم نعود إلى بيان اتصال الإمام زيد بن عبدالله بالشيخ أبي إسحاق.

قد ذكرت أن معظم طرق أهل اليمن في الفقه خاصة لا يكاد يتجاوز هذا الرجل خاصة في كتب الشيخ أبي إسحاق فاتجه بيان ما ثبت أولاً من ذكر شيوخه الموصلة له بالمصنف، وهما الفقيهان الكبيران الطبري والبندنيجي، وكان الطبري فيما قيل أعلم الرجلين لكن به ضيق خلق ولذلك قلّ الأخذ عنه بخلاف البندنيجي.

والطبري هو أبو عبدالله الحسين بن علي تفقّه بالشيخ أبي إسحاق وكان متسع العلم فقيهاً أصولياً نحوياً لغوياً وهو مصنف «العمدة في الفقه» ولي قضاء مكة وقيل بل

---

(١) زيادة الإمام من «د».

وليه ابنه إبراهيم وتوفي على حياة أبيه ثم خلفه أبوه أياماً واعتذر فعذر وكانت وفاتـه بعد خمسمـائة، ومن ذريتـه أبو البـركات بن عبدالـرحمٰن بن محمـد بن علي بن الحسين الفقيـه مقدم الـذكر ولي القضـاء، ومنهم جماعـة بمكة قـالـه ابن سمـرة قـال: ومنهم إبراهيم بن علي بن الفقيه أيضاً حسين المذكـور وكان فقيهـاً مجوداً[1] لـولا أنه اشتغـل بـالعبادة مـع الصوفيـة لكان إمـاماً في الفقـه والخلاف. قـال ابن سمرة وكـان الفقهاء يكـرهون اشتغـال العَالِم بـالعبادة (ويقـولـون أنـه فـرار من العلم)[2] ولعـل الـطبـريين الموجودين الآن بمكة من ذريته.

وأمّا البندنيجي فهو أبو نصر هبَة الله بن ثـابت البندنِيْجي نسبـة إلى بلد بالقـرب من البصرة تسمى بندنيجين: بفتح الباء المـوحدة وسكـون النون وفتـح الدال المهملة وخفض النون ثم ياء مثناة من تحت ساكنة وفتح الجيم ثم ياء مثناة من تحت سـاكنة ثم نون، تفقه بالشيخ أبي إسحق مقدم الذكر كما تقدم، وكان سهل المقابلة ليّن الجـانب صبوراً على الإقراء، لذلك كان الأخذ عنه أكثر من الأخـذ عن الطبـري، وكان بينهمـا منافرة ثم اصطلحا وتوفي قبل الطبري وكان قد كفّ بصـره، ولما تـوفي حضر الصـلاة (عليه) الطبري واليفاعي ووفاته على رأس خمسمائة، وقـد مضى بيان ذلـك واتصال شيخهما بالإمام.

نرجع إلى ذكر فقهاء اليمن من أهل طبقة الشيـخ زيد بن عبـدالله اليفاعي، وهم جماعة منهم مقبل بن محمد بن زهير بن خلف الهمداني، تفقّه في بدايته بأبي بكر بن جعفر مقدم الذكر وأخذ عن ابن أبي ميسرة وارتحل إلى كرمان[3] وتفقّه بهـا على قطب الدين وجماعة من فقهائها، ثم عاد اليمن فسكن ذا أشرق رغبة في الكتب الموقوفة بها إذ كان قليل الكتب، وكان فقيهاً زاهـداً ورعاً متقلِّلاً صـوّاماً قَـوَّاماً مشهـوراً باستجـابة الـدعاء، وسكن في آخـر عمره قـرية الـدمنـة شـرقي ذي أشـرق وهي بخفض الـدال المهملة بعد ألف ولام ثم سكون الميم وفتح النون ثم هاء ساكنة[4] وله مختصـر حسن في الفرائض وكان شيخه الفقيه أبو بكر بن جعفر يأتيه إلى الدمنة فيجد أصحابه يقرأون

---

(١) كذا في «ب» وفي «د» مجيداً.

(٢) ما بين القوسين من «ب» وعبارة «د» يكرهون اشتغال البندنيجي عن العلم بالعبادة ويقولـون إنه نفـور من العلم.

(٣) كرمان بالفتح ثم السكون وآخره نـون وربما كسرت والفتح أشهر: ولاية واسعة مشهورة من إيران.

(٤) الـدمنة كمـا ضبطهـا المؤلف وهي بالضبط شـرقي ذي أشرق أيسـر الطالـع إلى إب وهي من قرى وادي نخلان وأعمر ما يكون وما يحمل اسم الدمنة كثير، ذكرناها في المعجم ولا يزال قبر مقبل معروفاً.

عليه فيعجبه ذلك ويقول: صدق من سماك مقبلاً، ويسأله الدعاء ويحثّه على الاستقامة على ذلك، ولم يزل كذلك حتى توفي بعد بلوغ خمسين سنة من العمر، وكانت وفاته غالباً بعد خمسمائة سنة لم يتزوج فقيل له في ذلك فقال: أنا حر لا أُملِّك نفسي أحداً.

ومنهم سالم بن الفقيه عبدالله بنِ الفقيه محمد بن سالم المتقدم الذكر في أصحاب القاسم وولده عبدالله غلب تفقّهه بأبيه، وأخذ عن ابن أبي ميسرة، وهذا سالم هو يُعرف عند أهاليهم بسالم الأصغر، وهو أحدُ شيوخ عمر بن إسماعيل. توفي بذي أشرق في شهر الحجة آخر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

ومنهم عبدالله بن عبدالرزاق بن حسن بن أزهر، كان من أتراب الفقيه سالم وزامله في القراءة علي بن أبي ميسرة ارتحلا إليه فأخذ عنه بجبل الصلو ناسخ القرآن ومنسوخه للصفار وذلك سنة تسعين وأربعمائة، وكان تفقه بأبي بكر بن جعفر، كان فقيهاً جليل القدر انتهت إليه رياسة التدريس والفتوى في ذي أشرق، وتفقّه به جماعة منهم أبو بكر بن سالم، وكانت وفاته بذي أشرق سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة بعد بلوغ عمره ستاً وستين سنة.

ومن قرية العقّيرة: بالعين المهملة بعد ألف ولام ثم قاف مشددة مفتوحتان ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم راء مفتوحة ثم هاء، وهي قرية من معشار التعكر[1] على نصفِ مرحلة من الجند كان بها فقهاءُ متقدمون ومتأخرون يعودون إلى بطن من يافع يعرفون باليحويين، أول من شهر منهم الفقيه أبو محمد عبدالله بن محمد بن أبي الأغر بن أبي القاسم بن عوف بن عناق اليحيوي ثم اليافعي، تفقّه ببعض بني علقمة، ولعله بعمر بن إسماعيل بن علقمة يقال: حبسه صاحب حصن التعكر مدة فصار

---

(١) العقيرة كما ضبطها المؤلف قريتان من أعمال ذي السفال اليوم، فالعقيرة التي منها العلاّمة هي العقيرة الواقعة في عزله شوائط: غرب جنوب التعكر وفي الغرب الشمالي من ذي السفال وقبره هنالك وعليه قبة ومسجد وحوطة، والعقيرة الأخرى تقع غربي مدينة ذي السفال ولعلها من عزلة حبير شظة قديماً، والتعكر من معاقل اليمن المشهورة بعيد الصيت القديم الذكر يطل على مدينة ذي جبلة من الجنوب وعلى مدينة ذي السفال من شمالها، وهو اليوم خراب يباب، ومن قديم، والتعكر جبل في عدن وكلاهما: بفتح التاء المثناة من فوق، وينطق اليوم بالعقيرة التي في شوائط العقيرة بالتصغير: بضم العين المهملة ـ وسكون الياء المثناة من تحت وباقي الحروف معروف. ولعلّ الجندي غفل عن هذا الضبط وهي قبلي الجند مقدار مرحلة إلى الظهر والعقيرة التي في حبيرأ والجَعاشن كما ضبطها المؤلف وليس فيها قبر عالم وهي بعيدة عن التعكر.

السجن كأنه مدرسة بكثرة القراءة والصلاة وتفقّه عليه جماعة هنالك فلما علم صاحب الحصن خشي منه فأطلقه، وله مصنف في الفروع أودعه جملة مستحسنة من الدرر ومن ذريته الفقهاء اليحيويون الآتي ذكر من استحق الذكر منهم مع أهل طبقته.

ومنهم الوزراء صدر الدولة المؤيدية[1] وكانت وفاته يوم الجمعة لأربع خلون من صفر الكائن سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ولم يذكره ابن سمرة وإنما كتبت إلى بعض الفقهاء في ناحيته من ذريته أستخبره عن من يحققه من أصحابهم فأخبرني بهذا وما ذكرته عنه.

ومن بعدان إبراهيم بن الفقيه يعقوب بن أحمد مقدم الذكر تفقّه بأبيه، وكان زاهداً ورعاً ذكره ابن سمرة بذلك.

ومن قرية الملحمة، وقد ذُكِرت، أبو الخطاب عمر بن محمد بن عمر بن الفقيه أحمد بن الفقيه إبراهيم مقدم الذكر، كان فقيهاً خيِّراً من ذريته الفقهاء بنو مضمون المعروفون بفقهاء الملحمة.

قال الحافظ العرشاني الآتي ذكره أخبرني شيخي يحيى بن محمد عن جده هذا عمر أنه قال كنت بمكة عام كذا وأربعمائة فكنت يوماً في الحرم عند القيلولة في شدة الحرّ وما في المطاف إلا رجلٌ أو رجلان وإذا برجل عليه طمران مشتمل على رأسه أقبل يسير رُويداً حتى قرب من الركن الأسود ولا أعلم ما يريد وأنا أنظر إليه فأخرج من تحته معولاً وضرب الركن ضربة شديدة حتى خفقه الخفقة التي فيه ثم رفع يده يريد يضربه ثانياً ليذهبه فابتدره رجل من أهل اليمن ثم من السكاسك كان في الطواف فطعنه بخنجر كان معه طعنة عظيمة فأسقطه فأقبل الناس من نواحي المسجد لينظروه فوجدوه قد مات وهو رومي معه معول عظيم قد حدّه ليقطع به الركن[2] ثم إن الناس أخرجوه من الحرم وجمعوا له الحطب وأحرقوه بالنار[3] ولم أجد له تاريخاً.

ومن المشيرق ثم من بني ملامس الأخوان محمد وعلي ابنا أسعد الفقيه بن الفقيه خير بن الإمام يحيى بن عيسى بن ملامس، أخذا عن أبيهما وسمعا عليه البخاري من جملة جماعة، فمحمد سمعه سنة خمسمائة وعلي سمعه من جملة

---

(١) ومن هؤلاء اليحيويين والوزراء آل منصور بن نصر بن حاميم وذووه المعاصرون، انظر «الإكليل» ج٢ ص٣٣٩.

(٢) كذا في «ب» وفي «د» قد حده وذكر ومعه حدّده أي شحذه.

(٣) كثيراً ما يقع هذا كما وقع في زماننا وأن صاحب العملية الإجرامية رجل من فارس.

جماعة بعلقان البلد المقدم ذكره في مدة آخرها جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وأربعمائة.

ومن وادي ميتم: بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحت وفتح التاء المثناة من فوق ثم ميم: وهو وادٍ كبير فيه قرى كثيرة ومزارع عظيمة بالقرب من مدينة إب يسقي ماؤه وادي لحج ويقال: إنه سمّي باسم رجل من ملوك حمير[1] وكذلك غالب اليمن إنما هي مسماة بهم[2] كان بالوادي من أهل الطبقة عبدالله بن يزيد القسمي عرف بالميتمي كان فقيهاً صالحاً زاهداً ورعاً رأى ليلة القدر فسأل الله أن يرزقه رزقاً حلالاً فرزقه نحلاً وبارك له فيه بحيث أنه كان يبيع من عسله وولده جملة مستكثرة. وروي أنه سمع هذا الدعاء في ليلة الجمعة أو في ليال ذكر عنه فضل عظيم في أمور الدارين وهو:

«اللهم منشىء الخلق بحكمته وممسك السماوات والأرض أن تزولا بقدرته، يا من ليس لأوليته ابتداء ولا لآخرته انتهاء، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا المعروف الذي لا ينكر، أسألك بأن الرحمة فيك موجودة وأن المغفرة عندك معهودة، يا مولى كل قوي وضعيفٍ، ويا غياث كل ملهوف، يا الله يا رحمان، ارحم غربتي في القبر وانقطاعي إليك».

وكان الفقيه يستعمله في كل أمر مهم فيفرجه الله وكانت وفاته سنة ست وعشرين وخمسمائة.

ومنهم حمزة بن مقبل بن سلمة، كان فقيهاً عالماً، وكان قد يجتمع مع الفقيه مقبل مقدم الذكر، ذكروا أنهما اجتمعا بمكة وعلى عرفات، فكان يسأل مقبلَ الدعاء وأنه سئل بعرفات فاستقبل القبلة وبسط يديه، ولم أعلم من أي بلد هو ولعله من الجند ونواحيها.

ومنهم أبو بكر بن عبدالله بن صبيح الأصبحي مسكنه قرية الذنبتين، كان فاضلاً وهو ممن أخذ عن ابن أبي ميسرة سنن أبي قرة بمسجد الجند سنة ست وسبعين وأربعمائة.

---

(١) ميتم كما ضبطه المؤلف وكذا موقعه ومصبّاته إلى لحج، واسمه هو قيل من حمير وهو ميتم بن مثوة بن ذي رعين، انظر «الاكليل» ج٢ ص٣٥٥.

(٢) وهو كذلك فإن أسماء بلدان اليمن وجبالها بأسماء رجال من أولاد قحطان، انظر «صفة جزيرة العرب» ص١٦٧.

ومن قدم اليمن وعدّ من علمائها فانتفع بـه أهلها في طبقـة الإمام أبي عبـدالله محمد[1] بن عبدويه المهروباني، فعبدويه: اسم أعجمي نحو سيبويه ونفـطويه، وهـو بفتح العين المهملة وسكون البـاء الموحـدة وفتح الـدال المهملة والواو وسكـون الياء المثنـاة من تحت ثم هاء، والمهـروباني لا أدري إلى مـا هذه النسبـة هل هي إلى بلد أوجد وهو بميم مفتوحة، بعد ألف ولام وسكون الهـاء وضم الراء وسكـون الواو وفتـح الباء ثم ألف ثم نون ثم ياء نسبة، سألت عن ذلك بعض من يدعي الخبرة فقـال: لعله نسب إلى بلد بساحل البصرة يقال له ماهروبان بميم مفتوحة ثم ألف وفتح الهاء ثم راء ثم واو ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ثم ألف ثم نون[2] مولده سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وكان دخوله اليمن تقريباً في آخر المئـة الخامسـة وكان قـد تفقّه بـالشيخ أبي إسحـاق ببغداد، وحدث في بعض الأسانيد أنـه كان فـراغه لقـراءة المهذب على مصنفـه ثاني عشر ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وأول بلد ورده من اليمن مدينة (عدن) ثم صار إلى زبيد، ونزل المفضل بن أبي البركات إليها يريـد نصر بعض ملوك الحبش على ابن عم لـه قد نـازعه فـدخل المفضـل زبيد بجيش عـظيم وانتهب للفقيـه جملة مستكثرة[3] ثم إنه انتقل بعد ذلك إلى جزيرة بالبحر تعرف بكمران، بفتح الكاف والميم والـراء ثم ألف ثم نون[4] وذلـك سنة خمس وخمسمـائـة وكـان ذلـك بعـد نهب زبيـد بأشهر، ولم يكد يفلح المفضل بعد أن نهب زبيد ولا عاش غير شهر أو نحوه، وسيأتي تاريخ ذلك عند ذكر أيامه، وقد بقي معه بقية من المال فاشترى جلابة[5] وسفر موالي له إلى الحبشة والهند ومكة وعدن فعادوا غانمين سالمين ثم فتح الله عليـه وبارك لـه فبلغ ماله ستين ألف دينار، وكان سكناه في الجزيرة من سنة خمس وخمسمائة إلى أن توفي بها على ما يأتي تاريخ ذلك، ولمـا استقر بكَمَـران وشاع علمـه قُصِد من أنحَـاء اليمن بتهامتها ونجدها وكان الإمام اليفاعي إذ ذاك بمكة مقيماً ولولا ذاك لم يقصده أصحابـه خاصة، وكان كريم النفس بعيداً عن اللبس فممن وصله من البلاد ثم من ناحية الجنـد

---

(١) في ابن سمرة ص١٢٦ محمد بن الحسن بن عبدويه وهو الأصح.

(٢) لم يذكرها ياقوت في معجمه، وإنما ذكر ماه بهر ذان وتكلم في ماهان عن اشتقاق ذلك.

(٣) كان غزو المفضل لزبيد نجدةً لمنصور بن جيّاش الحبشي على أخيـه عبدالـواحد بن جيـاش وذلك سنـة خمس وخمسمائة.

(٤) كمـران كما ضبـطها المؤلف ولا زالت جـزيرة عـامرة بـالسكان من ممـالك اليمن وبيـد الجمهـوريـة اليمنية وكمران أيضاً بلدة من عزلة الأجعود شمال مدينة تعز ومن أعمالها يأتي ذكرها للمؤلف.

(٥) عبارة ابن سمرة ص١٤٤ وسفر عبيده وجلابه فأنت ترى عبارة الجندي ولعـل جلابـه هم من يجلبون لـه البضائع وفي «ب» أسفر موالياً له. وقد تكون الجلابة السفينة.

عبدالله بن أحمد الزبراني، وعبيد بن يحيى من سهفنة وعمر بن علي السلالي من ذي أشرق ويحيى بن محمد من الملحمة وزيد بن الحسن من وحاظة ومحمد وخير ابنا أسعد بن الهيثم من المشيرق، وعيسى بن عبدالملك المعافري ومن أبين عمر وعبدالله ابنا عبدالعزيز بن أبي قرَّة، وعبدالله بن الأبار وراجح بن كهلان من زبيد، ومن ناحيتها ثم من الهرمة[1] عبدالله بن عيسى بن أيمن ومن ناحية حيس حسن الشيباني مسكنه الخوهة[2] ويحيى بن عطية أظنه من نواحي المهجم واختلف أصحابه هل محمد بن كنانة أدركه وأخذ عنه أم لا فالنَّقْلُ الصحيح أنه لم يأخذ إلا عن ابن عطية وعلى الجملة فأصحابه أكثر من أن يحصوا كثرة، لكن هؤلاء في الغالب هم أعيانهم، وكان يقوم بكفاية المنقطعين من أصحابه وكان متحرّياً في مطعمه بحيث أنه لا يأكل إلا الأرز الذي يجلبه عبيده من بلد الكفار، وكان التجار وغيرهم يقصدونه إلى الجزيرة للتبرك وربما جاءوا بنذر للدرسة، وكان بقرب الساحل الذي تخلص منه إلى الجزيرة رجل صوفي اسمه محمد بن يوسف بن أبي الخل صحب الفقيه، وأكثر زيارته وقرأ عليه بعض التنبيه ثم حصل بينهما ألفة قوية فأزوجه بابنة له فأولدت له ثلاثة بنين هم عبدالله وأحمد وعبدالحميد ولهم الذرية الذين يعرفون بالفقهاء بني أبي الخل يأتي بيان ذلك عند ذكرهم في طبقتهم إن شاء الله وامتحن هذا الفقيه بالعمى ثم رُدَّ إليه بصره.

قال الإمام سيف السنة: فيما وجدته بخطه أخبرني الفقيه عباس بن الحسن بن بشر الشرعبي من مخلاف الشرف[3] وكان من أهل الديانة والورع والصدق وممن قرأ عليّ (كتاب الغريب) بمدينة إب في جمادى الأولى من سنة خمس وخمسين وخمسمائة قال: أخبرني الفقيه أبو بكر الحربي من المحلية بمحل عشمل من وادي الكدرى[4]. قال: كنت ممن يقرأ على الشيخ الإمام محمد بن عبدويه بجزيرة كمران وقد كف بصره فجئت مرة من بلدي أزوره فدخلت المهجم فوجدت بها طبيباً فأخبرته بحال الفقيه وسألته السير معي إليه ليعمل بمداواته وبذلت له على ذلك ديناراً فأجابني

---

(١) الهرمة يأتي ضبطها للمؤلف وموقعها.

(٢) يأتي ضبطها للمؤلف وموقعها.

(٣) شرعب مخلاف في الغرب الشمالي من تعز ومن أعمال لواء تعز، والشرف هنالك ولكن مخلاف الشرف إذا أطلق في عُرف الباحثين والإداريين فإنما يطلق على مخلاف شرف حجة من بلاد حجور ثم من همدان.

(٤) الكدرى كانت مدينة عظيمة على شط سهام واليوم لا عين ولا أثر، انظر عمارة و«صفة جزيرة العرب».

وخرج معي من المهجم ثم ركبنا البحر حتى أتينا الجزيرة فجئت الفقيه فسلمت عليه وأخبرته بقدومي بالطبيب وقال: لا بأس ثم لما كان في آخر اليوم الذي قدمنا به دعا بابن ابنٍ له وقال اكتب ثم أملى عليه شعراً:

وقالوا قد دهى عينيك سوء فلو عالجته بالقدح زالا
فقلت: الرب مختبري بهذا فإن أصبرْ أنلْ منه النوالا
وإن أجزع حرمتُ الأجر منه وكان حصيصتي منه الوبالا
وإني صابر راضٍ شكورٌ ولست مغيِّراً ما قد أنالا
صنيعُ مليكنا حسنٌ جميل وليس لصنعه شيءٌ مثالا
وربي غير متّصف بحيْفٍ تعالى ربنا عن ذا تعالى

ولما بلغ قوله: «وإني صابر راض» البيت، رد الله عليه بصره، وأضاء له المسجد، وعاين ابن ابنه وهو يكتب وتكامل بصره بفضل الله تعالى فقال لي: أعط الطبيب ما شَرطت له فقد حصل الشفاء بإذن الله تعالى لا بمداواته، وأورد له ابن سمرة شعراً من المناجاة:

ليتني متّ قبل ذنبي فإني كلما قلتُ قد قربت بعدت
ليتني عندما عصيتك ربي لهواني على الرماد ذُبحت
ليتني عندما هممت بذنب بوقود الغضا حُرقت ففتُّ
يا رحيم العباد طراً أغثني وأجرني فإنني قد هلكت
يا رحيم العباد إن لم تُجرني فلنفسي إذاً خسرت خسِرتُ
يا رحيم العباد اجعل جوابي يا عُبيدي قد رحمت رحمت
يا رحيم العباد كن لي مجيباً لا تُخِفْني وقل غفرت غفرتُ
يا رحيم العباد ارحم خضوعي ونداي وقل عفوت عفوت

وكانت وفاته بالجزيرة على الحال المرضي ليلة الخميس لعشر خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وخمسمائة بعد أن بلغ عمره ثمانياً وثمانين سنة وقبر إلى جنب مسجده من جهة المشرق.

وكان له ابن اسمه عبدالله فقيه عالم بالفقه والأصول حسن التصرّف في ذلك تفقّه بأبيه وكان من الكرام يدان على المروءة ومواساة المحتاجين وذوي الانقطاع،

وكان ممن يقصد للامتياح[1] وكان غالب أوقاته مديوناً حتى مات وعليه دين عظيم لم يقضه غير ولده، وكان مبلغه ألف دينار ورثاه تلميذ أبيه الفقيه عمر السلالي بقصيدة كبيرة منها:

أمن بعد عبدالله نجل محمد ... يصون دموع العين من كان مسلما
وقد غاض بحر العلم مذ غاب شخصه ... ولكن بحر الجود من بعده طمى
تضعضع بنيان العلوم لفقده ... وأصبح وجه الدين أربد أقتما
غدا كل نور في الجزيرة جامداً ... وأصبح ركنُ العلم ثَمَّ مهدّما
فيا منهلاً يروي القلوب بورده ... شهدت لقد أورثتها بعدك الظما
فيا أيها الشيخ الإمام تصبُّراً ... وإن كنت أهدى من سواك وأحلما
هو الدهر لا يبقى على حالة معاً ... يدير على أهليه بؤساً وأنعما
فحيناً نراه باسر الوجه عابساً ... وحيناً نراه ضاحكاً متبّسما
فما أبقت الدنيا مطاعاً مسوّداً ... ولا ملكاً في السابقين مكرّما
فأين جديس أين طسم وجرهمٌ ... ألم تطمس الأيام طسماً وجرهما
أما أهلكَتْ عاد ومن كان قبلها ... ومن بعدها من ذا من القدر احتمى؟

قال ابن سمرة والمرثاة طويلة تزيد على خمسين بيتاً لم يورد منها غير ما أوردته وذكرته استشهاداً على فضل قائلها ومن قيلت فيه إذ القائل فقيه صالح لا يستحل مدح من لا يستحق، وسيأتي ذكره إن شاء الله.

ومن أهل صنعاء أبو العباس أحمد بن عبدالله بن محمد الرازي صاحب التاريخ المذكور في الخطبة. كان إماماً عارفاً بالفقه والحديث مولده صنعاء لكن أظن أهله من الري[2] فنسب إليها وكان فقيهاً سنّياً وكتابه يدل على ذلك وعلى سعة نقله وكمال عقله.

ومن غريب ما أورده عن هاني مولى عثمان بن عفان[3] بسند متصل أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر منه ومن لم ينج فما بعده أشر» قال: وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال: «استغفروا

---

(١) الامتياح طلب العطاء وقوله يستدين أي يستدين لقضاء حق المروءة.
(٢) قد تقدم للمؤلف أنه من الأبناء الذين قدموا مع الملك سيف بن ذي يزن كما تقدم الكلام على الري.
(٣) هو هاني بن سعيد البربري من تابعي اليمن.

لصاحبكم واسألوا الله تعالى له التثبيت فإنه الآن يسأل[1]» قال: وفي هذا الحديث دليل على وجوب تلقين الميت إذا أُلْحِد[2] بالشهادتين[3] وحققت أنه قارب في تاريخه إلى آخر المئة الخامسة.

ومنهم مسلم بن الفقيه أبي بكر بن الفقيه أحمد بن عبدالله الصعبي، قد ذكرته أثناء ذكر الإمام زيد أنه كان القاضي من أصحابه وهو أحد شيوخ الإمام يحيى بن أبي الخير وارتحل إليه من الجند بعد وفاة شيخه الإمام زيد فوقف عنده بسهفنة وأخذ عنه كتابي المراغي المعروفين بالحروف السبعة وشيئاً من الكتب المسموعات، وكان له ابنان هما محمد وأسعد تفقّها بأبيهما وغيره وأخذ محمد عن ابن أبي ميسرة موطأ مالك وعنه أخذ الفقيه عبدالله بن يحيى الآتي ذكره إن شاء الله.

ثم صار الفقه إلى طبقة أخرى وغالب أهلها من تلاميذ هذين الإمامين اليفاعي وابن عبدويه ومنهم أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أبي عبدالله الهمداني نسباً والزبراني بلداً نسبة إلى قرية من بادية الجند يقال لها زبران: بفتح الزاي والباء الموحدة والراء ثم ألف ونون وهي على أكمة مرتفعة من جهة يمن مغرب الجند[4].

أثنى ابن سمرة[5] على هذا الفقيه ثناءً كليّاً فقال حين ذكر أصحاب الإمامين من أعلاهم رتبة وأكملهم طبقة الإمام العلامة ثم ذكره.

قال وكان فقيهاً فاضلاً وكما ذكر شهير الذكر أخذ في بدايته عن أبي بكر بن جعفر مقدم الذكر ثم كان أول من لزم الدرس على الإمام زيد وتفقّه به، ولما علم كماله وعدالته أذن له بالفتوى وإطلاق خطه عن النوازل، وكان يفضله على كافة أصحابه وهو أحد شيوخ صاحب البيان، ولما هاجر شيخه زيد بن عبدالله إلى مكة ترافقا هو والفقيه عبيد بن يحيى السهفني إلى تهامة فلحقا بابن عبدويه فقرأ عليه المهذّب، ومصنفه الإرشاد في أصول الفقه ثم عادا إلى بلديهما ولما عاد الإمام زيد إلى

---

(١) هذا الحديث مما جرى على الألسن وفي أمهات الكتب الصحاح.

(٢) في «ب» على استحباب.

(٣) لا زال تلقين الميت سائداً في مدينة إب ونواحيها.

(٤) زبران كما ذكر ضبطها المؤلف وكذا موقعها وبينها وبين الجند غرباً بقليل الجنوب نحو ثلاثة أميال فأكثر ولا زالت عامرة آهلة بالسكان وفي «ب» مرتفعة من جهة يمن مغرب الجند، صححناه وفي «د» أكمة ترتفع من جهة قبلة بغرب الجند والأصح والواقع ما في «ب».

(٥) في «ب» أثنى عليه ابن سمرة.

الجند لزم أيضاً مجلسه ولم يفارقه حتى توفي، وكانت وفاته بقرية زبران سنة ثماني عشرة وخمسمائة.

ومنهم أبو محمد عبدالله بن عمير العريقي، تفقّه باليفاعي ولما حجّ أدرك البندنيجي فأخذ عنه مصنّفه المعتمد في الخلاف وهو شيخ الشيخ يحيى بن أبي الخير فيه، وكان مشهوراً بالورع.

ومنهم أبو حامد بن الفقيه أبي بكر بن عبدالله بن صبيح الأصبحي مقدّم الذكر تفقه باليفاعي ومنهم زيد بن أسعد مسكنه حسنات[1].

ومنهم موسى بن علي الصعبي سكن ذا الحفر من عزلة نعيمة: بفتح النون وخفض العين المهملة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الميم ثم هاء والحفر: بفتح الحاء المهملة بعد ألف ولام وسكون الفاء ثم الراء ونعيمة عزلة مشهورة من مخلاف جعفر وتعرف بنعيمة المسواد إضافة إلى حصن عندها[2] يعرف بالمسواد: بميم مخفوضة بعد ألف ولام ثم سين ساكنة وواو مفتوحة ثم ألف ودال مهملة، وكان من الحصون المعدودة أخربه المظفر بن رسول سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة وهو على ذلك إلى الآن سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة[3].

وهو على القرب من مدينة جبلة وهذا الكلام دخيل، وإنما أوردته لأني كنت أصحفه وأتوهم بتحقيقه، وكان تفقّه موسى هذا المذكور بالفقيه مقبل بن زهير.

ومن بلد أحاظة الأديبان الفاضلان الأخوان عيسى وإسماعيل ابنا إبراهيم الربعي، كانا إمامي وقتهما في الأدب، فعيسى رأس الطبقة في اللغة والمحقق لمشكلها وكتابه الموسوم (بنظام الغريب)[4] يدل على ذلك أنه مجوّد في النقل كامل

---

(١) حسنات بالحاء والسين المهملتين ثم النون وألف وتاء مثناة فوق آخر الحروف شرقي منتزه ثعبات من ضواحي تعز الشرقية وربما يأتي ذكرها للمؤلف.

(٢) نعيمة كما ضبطها المؤلف نسبت إلى نعيمة بن السحول بن سوادة انظر «الاكليل» ج٢ ص٢٦٦ وص٢٨١، وهو مخلاف وليس بعزلة كما قال الجندي، وهو ما يسمّى مخلاف صهبان يقع جنوب وغرب مدينة إب وشرقي مدينة ذي جبلة بجنوب، وبعضه على طريق المحجة، والحفر كما ذكره المؤلف غير معروف اليوم بعد البحث.

(٣) وهو خراب إلى عهدنا.

(٤) «نظام الغريب» كان قد نشره المستشرق الألماني الدكتور «بولس برونلي» قديماً ونفدت طبعته وقمنا بإعادة نشره وتحقيقه على نسخة ليس لها نظير وطبعته طبعة جيدة ولله الحمد ولم أتحقق نسبه إلى الربعي والبحث جار.

في الفضل وعليه يعول كثير من أهل اليمن من وقت وجوده إلى هذا الزمن من لا يقرأه ويتكرر فيه لا يعدّه كثير من الناس لغوياً، وقد أخذه عنه زيد بن الحسن الفائشي، وكانت وفاته ببلده سنة ثمانين وأربعمائة.

وأما أخوه إسماعيل فكان مثله أو يقاربه في المعرفة وله القصيدة المشهورة (بقيد الأوابد) وله شعر حسن وترسُّل مستحسن وفاته بعد أخيه بأيام.

ومنهم أبو أحمد زيد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن ميمون بن عبدالله بن أبي أيوب الفائشي ثم الحميري، والفائشي نسبة إلى ذي فائش أحد أذواء حمير وهو بالفاء بعد ذي بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم فاء ثم همزة مخفوضة ثم شين معجمة ساكنة[1] نسبة إلى واد يقال له الفائش واسمه[2] سلامة بن يزيد بن مرة بن عمرو بن عريب بن يريم بن مرثد بن حمير[3] ومن ذريته القبيلة التي تعرف في اليمن بالأفيوش[4] وهم جمع كبير أهل عزّ ومنعة وإيّاه عنى ابن خمرطاش[5] حين عدد الأذواء فقال:

ومنهم سلامة ذو فائش   من ملك الأقطار طراً واجتبى

نرجع إلى ذكر الفقيه إذ هذا الكلام دخيل، وكان مولده ليلة الجمعة منتصف شوال سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة، وكان رجلاً عارفاً بعلوم شتى منها علم القراءات بطريق أبي معْشَر[6] في مكة أخذها عنه وأخذ عن البندنيجي التبصرة في علم الكلام وكان يقرئها في مدرسته، وكذلك الإمام زيد اليفاعي كان يقرئها أيضاً، وأخذ عن ابن عبدويه وغيره وكان يرتحل إلى العلماء في أماكنهم فيأخذ عنهم وكان عارفاً بالدور والحساب والأصول وعلم الكلام، وكان كثير الحج وربما جاور فأخذ بمكة والمدينة عن من لقيه فيهما من العلماء، فمن شيوخه فيها البندنيجي وأبو مخلد الطبري وإمام المقام عبدالملك بن أبي مسلم النهاوندي[7].

---

(١) لا حاجة لقوله ساكنة فذلك تابع لعوامل الإعراب.

(٢) قوله إلى واد يقال له الفائش لا حاجة لذلك فقد سبق أن أسماء البلدان والأودية وجبال اليمن تسمى بأسماء أشخاص من قحطان.

(٣) انظر في تصحيح نسب هذا «الاكليل» ج٢ ص٢٩٥ وص٣٠٠.

(٤) الأفيوش هذه عزلة في الكلاع: العدين شمال تعز بنحو مرحلة تقريباً نسبة إلى الأفيوش بن دمت بن غنم بن نصر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، انظر «الإكليل» ج١ ص١٩٩ طبعة ثانية.

(٥) يأتي ذكره للمؤلف.

(٦) أبو معشر هذا كان غير أبي معشر الفلكي ولم يذكره الفارسي في الكنى من تاريخه.

(٧) إمام مقام إبراهيم الخليل عليه السلام توفي سنة ٥١٩هـ «العقد الثمين» ص٩٦.

وأما شيوخه باليمن فأولهم أسعد بن الهيثم وخير بن يحيى المشيرقيان وقد مضى بيان ذلك والصردفي بقرية سير وأبو بكر بن جعفر الظرافي ويعقوب بن أحمد البعداني، وفي اللّغة عيسى بن إبراهيم الربعي، ومقبل بن محمد بن زهير وإسماعيل بن المبلول من ذي أشرق ودمنتها وأخذ عن إبراهيم بن أبي عباد النحو وأخذ اللغة عن الربعي مؤلف النظام[1] وكان جوالاً في أنحاء اليمن ولذلك كثر علمه واتسع فضله وجمعت خزانته من كتب العلم ما يزيد على خمسمائة كتاب وكان ورده كل ليلة بصلاته سبع القرآن وله كتاب في الفقه سماه التهذيب نقل عنه شيخنا أبو الحسن الأصبحي في معينه عدة تصاحيح ورأيته في المشيرق مع ذرية الفقيه الهيثم بمجلدين لطيفين وتفقه به جمع كبير منهم عمر بن علقمة ويحيى بن أبي الخير مع جمع كبير لا يكاد يحصرهم العدد، وذلك للين عريكته وكرم طبيعته وصلاح سلطان بلده ومحبته للعلم وأهله، وكان يدرس بجامع الجعامي: قرية من وحاظة: بفتح الجيم والعين المهملة ثم ألف ثم ميم ثم ياء مثناة من تحت وهي قرية من معشار يفوز: حصن قديم: بفتح الياء المثناة من تحت وضم الفاء ثم واو ثم زاي[2] وله مع كمال العلم أشعار مستحسنة منها، ما ذكر أن السلطان أسعد بن وائل عتب عليه في بعض الأحوال، وكان قد ولاه حكم الشريعة بأحاظة فامتنع فقال له: القضاء متعيّن عليك فأصرّ على الامتناع فلما بلغ الفقيه عتب السلطان ارتحل عن الجعامي يريد بلده الذي خرج منها وهي دمت[3] وبها قومه إلى الآن وكتب إلى السلطان ما مثاله:

إلا إن لي مولى وقد خلت أنني ... أفارق طيب العيش حين أفارقه
جفاني فأقصاني بعيد جفائه ... وصرت بلحظ من بعيدٍ أسارقه
وأرقب عقبي للوداد جميلة ... وصبراً إلى أن يرقع الخرق فاتقه
وما كان سيري لاختيار فراقه ... ولكنه ميل إلى ما يوافقه

---

(١) هذا تكرار.

(٢) الجعامي كما ضبطها المؤلف وهي من أغوار وحاظة ثم من عزلة يريس تابع لجبل حبيش شمال غربي مدينة إب وحصن يفوز هو ما يسمى اليوم القفلة، ولا تزال فيه قصور عامرة، ويفوز أيضاً حصن من عزلة عراس من بحصب العلو جنوب مدينة يريم، ويفوز أيضاً عزلة من ريمة جبلان الأشابط، ويفوز حصن من أعمال (ثلا) في الغرب الشمالي منها، ويفوز في ذبحان من المعافر، ويفوز حصن وقرية في أعلى جبل صبر معاند لحصن العروس من جنوبه، وقد زرت الشيخ زيد بن الحسن الفائشي وبجانبه السلطان أسعد بن وائل الحميري الكلاعي سنة ١٣٧٥هـ، ويفوز أيضاً من مخلاف الشرف من أعمال حجة.

(٣) يأتي الكلام على دمت، وهذه الأبيات لم يوردها ابن سمرة.

فحين وقف السلطان على الكتاب أمر بردّ الفقيه من الطريق وإن كره وقال له حين وصل يا سيدي الفقيه أنا أستغفر الله عن عتابك ولك مني نصف ألف دينار وأرض الموحار ودولة الليل من مال المسوى[1] فقبل منه الأرض ولم تزل بيده ويد ذريته حتى انقرض أعيانهم وضعفوا، وكان له أولاد ثلاثة هم أحمد وأبو القاسم وعلي، أخذ عنه في حياته وكان يقول: أحمد أقرأكم وعليّ أكتبكم وقاسم أفقهكم، ولم يزل هذا الإمام على الحال المرضي من القراءة والإقراء والقرى حتى توفي بالجعامي في شهر رجب من سنة تسعين وخمسمائة وهو ابن تسعين سنة ثم ولده على ما يأتي ذكره في أصحاب الإمام يحيى بن أبي الخير إذ عدّه ابن سمرة فيهم.

وقد عرض مع ذكره ذكر سلطان بلده هو أسعد بن وائل بن عيسى الوايلي[2] ثم الكلاعي من ولد ذي الكلاع الحميري أثنى عليه ابن سمرة وقال: كان هذا السلطان وأبوه سالمين من الابتداع يؤثرون مذهب السنة وعمارة المساجد ومحبة القراء والعلماء والعباد ويعظمون السلف الصالح ويتبركون بذكرهم ويهتدون بذكرهم وأفعالهم ولذلك كانت أحاظة في ذلك الوقت واسعة الأرزاق نضيرة البساتين والأسواق ببركة عُبَّادها وعدل سلطانها، وكانت عامرة المساجد كاملة المصادر والموارد، وكان السلطان وائل هو الذي بنى حصن يفوز وذلك بعد قتل الصليحي وهو أحد من سلم من الملوك الذين حضروا قتله على ما سيأتي بيانه.

وكانت وفاة السلطان أسعد مقتولاً في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وخمسمائة وقبر بجامع الجعامي وقال الفقيه: عمارة بنو وائل من ولد ذي الكلاع لهم رئاسة[3] متأثلة قال ومنهم أسعد بن وائل صاحب الكرم العريض والثناء المستفيض، يعني هذا الذي عدّه ابن سمرة وكان ابن سمرة أثنى عليه الثناء المرضي ثم عمارة كذلك، وكان محباً للفقهاء ومحسناً إليهم، اتجه ذكره فيهم لقوله ﷺ المرء مع من أحب (وحد من المسودة الجيدة القريبة)[4].

ونرجع إلى ذكر الفقهاء فمن ذي أشرق أبو الخطاب عمر بن علي بن الفقيه

---

(١) هذه القطع الزراعية لا زالت معروفة.

(٢) أثنى عليه عمارة في مفيده ص٩٣ كما ذكر المؤلف.

(٣) لبني وائل الحميريين بقية.

(٤) كذا في الأصلين ولم تظهر العبارة وكأنها دخيلة.

أسعد بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم السلالي، فقد مضى بعض ذكره مع عم أبيه عمر.

وذلك السلالي أول من ذكر في أول ذكر ذي أشرق وأنه تفقه وتهذب[1] بخاله الصردفي وكان عمر هذا مشهوراً بالعلم والفضل وربما زادت شهرته على أبيه وعمه، وتفقّه أولاً بالجبل على عبدالله بن عمير وغيره من فقهاء الجبل ثم ارتحل تهامة وقدم كمران فأكمل تفقهه بابن عبدويه وأخذ عنه أصول الفقه وعاد بلده فأخذ عنه الناس ولما بلغه وفاة ابن شيخه في الجزيرة رثاه بالقصيدة التي تقدم ذكر بعضها وله غيرها، وممن تفقّه به عبدالله بن مسعود وعبدالرحمٰن بن يحيى الخليدي وأسعد بن إبراهيم وغيرهم. وكانت وفاته سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

ومنهم يحيى بن عبدالله المليكي من عرب يقال لهم الأملوك وهو قبيل كبير من مذحج[2] تفقّه باليمن وكان مسكنه قرية وقير من الشوافي: بفتح الواو وخفض القاف وسكون الياء المثناة من تحت ثم راء وفيه مسجد مبارك عليه وقف يستحقه مدرس ودرسة تغير بأيام بني محمد بن عمر وزراء الدولة المويّدية لما أحدثوه في الأوقاف من نظر الدولة إليها[3]، ولما حج أخذ عن البندنيجي التبصرة في علم الكلام وغيرها ولما عاد اليمن أخذها عنه الإمام سيف السنّة وهو طريقنا إلى هذا المصنف.

ومنهم حسين بن الفقيه عمر السلال مقدم الذكر وأن أباه هو ابن أخت الصردفي تفقهه بأبيه عمر غالباً وكانت وفاته بإحدى الربيعين من سنة ثلاث وستين وخمسمائة وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» وفي العبارة شيء من القلق.

(٢) الأملوك من حمير، انظر «الاكليل» ج٢ ص٣٤٤ الخ وليس من مذحج، فمذحج من قبائل كهلان بن سبأ «انظر الاكليل» ج١ ص١٠.

(٣) وقير كما ضبطها المؤلف وهي تحمل هذا الاسم إلى يومنا هذا، وتقع في عزلة بني نهيك قديماً وثوب حديثاً، من مخلاف الشوافي الآتي ضبطه وذكره، وهي في غربي مدينة إب بمسافة فرسخ وقوله: في الدولة المؤيدية نسبة إلى الملك المؤيد داود بن الملك المظفر الرسولي، وهكذا ما مدت الدول على شيء من وقف أو غيره إلا غيرت معالمه وأفسدته وقد كان الإمام يحيى قام بعمارة المدرسة العلمية وضم حاصلات أوقاف الترب مثل هذا وغيره للإنفاق على المدرسة التي بناها في بئر العزب وحرر فيها حكماً أمضى فيه جمع من العلماء، فلما قامت الثورة نسفت كل ما عمل الإمام يحيى وأضاعت الأوقاف يستغلّها أرباب الأطماع والفساد وهكذا يجيء الآخر يطمس معالم الأول لعدم الوقوف على مقاييس المنطق والحق والعدالة.

ومنهم أبو محمد عبدالله بن يحيى بن أبي الهيثم بن عبدالسميع[1] الصعبي ثم العنسي بالنون نسبة[2] ثم السهفني: والسهفني بلدة نسبة إلى القرية المذكورة ويعرف بعبيدالله على طريق التصغير لعبدالله، كان فقيهاً جليلاً شهير الذكر معدوداً في أهل النظر، وكان الشيخ يحيى بن أبي الخير يثني عليه ويقول في حقه عبدالله بن يحيى شيخ الشيوخ تفقّه باليفاعي، ثم لما غاب وأقام بمكة ارتحل هو والزبراني كما قدمنا إلى ابن عبدويه فأخذا عنه ولما عاد بلده أخذ عن محمد بن المسلم بن أبي بكر الصعبي وسأله القاضي مسلم أن يدرس له بسهفنة فامتثل، وكان زاهداً ورعاً متبحراً في الفقه وأصوله وأصول الدين وصنّف كتاب التعريف في الفقه واحتراز المهذب، وفي أصول الدين كتاباً سماه (إيضاح البيان ونور على مذهب السلف) وله عقيدة على منواله، ذكر ذلك ابن سمرة، قال: وبه تفقّه جماعة كأبي مسعود بن خيران من الملحمة، ومحمد بن أحمد بن علقمة من ذي السفال، وسعد بن عبدالله البحري وأحمد بن أسعد الكلالي من الشعبانية، وأحمد بن عبدالملك التباعي من علقان، وعبدالله بن علي قاضي ريمة مع جمع لا يكاد يحصرهم عدّ، لكن هذا ذكر أعيانهم، وكان الفقيه صاحب كرامات منقولة منها أنه حصل بين أهل قريته وبين بني مليك سباب وعداوة فغزا الأملوك سهفنة ونهبوها وقتلوا وجرحوا ثم وقع الفقيه مع قوم من جملتهم فضربه جماعة منهم بالسيوف (محدوبة)[3] فلم تقطع شيئاً فسئل عن ذلك فقال كنت أقرأ سورة يس، وقيل: بل قال: كنت أقرأ هذه الآيات: ﴿وَلَا يَـؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيّ العَظِيْمُ﴾[4] ﴿فاللَّه خَيْرٌ حافظاً وَهوَ أَرْحَمُ الـراحِمين﴾[5] ﴿وَحِفْظاً مِنْ كُـلّ شَيْطان مَـارِد﴾[6] ﴿وحِفْظاً مِنْ كُـلّ شَيْطان رجِيم﴾[7] ﴿وحِفْـظاً ذَلِكَ تَقْـدِيْرِ العَزِيْزِ العَلِيْم﴾[8] ﴿إِنْ كُلّ نَفْس لِمَّا عَلَيْها حَافِظٌ﴾[9] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبّكَ لَشَدِيْد﴾[10] إلى

---

(١) بنو عبدالسميع لهم بقية في ذي السفال يقال لهم بنو عبد السميع وسألتهم فانتسبوا إليه وفي السفنة يقال لهم بنو العهامي.

(٢) كانت عبارة الأصلين الصعبي ثم العنسي ثم السهفني بالنون نسبة والسهفني بلدة والتصحيح منا.

(٣) محدوبة: بمهملات لم تظهر وغير موجودة في ابن سمرة.

(٤) البقرة ـ ١٥٥.

(٥) يوسف ـ ٦٤.

(٦) هذه الآية في «ب» وساقطة من «د» سورة الصافات.

(٧) الحجرات ـ ١٧ وكان في الأصلين وحفظاً وهو غلط.

(٨) فصلت ـ ١٢.

(٩) الطارق ـ ٤.

(١٠) البروج ـ ١٧.

آخر السورة، وهذه الرواية أشهر، وكان يقول: إنما عرفت فضل هذه الآيات بيوم خرجت إلى البرية مع جماعة فلقينا شاة عجفاء معها ذئب يلاعبها ولا يضرّها فدنونا منها فنفر الذئب منّا فتأمّلنا الشاة فوجدنا بعنقها كتاباً مربوطاً فحللناه فوجدنا به هذه الآيات. وكان يصحبه رجل من يافع ثم من بني يحيى من أهل حرض اسمه علي بن زياد كان ذا دنيا ومحبّاً للعلماء، وكان يقوم بجميع حوائج الفقيه في الأعياد وغيرها بحيث كان الفقيه لا يحتاج معه إلى شيء، وكانت وفاته في قريته المذكورة في شهور سنة ثلاث وخمسمائة بعد أن بلغ عمره ثماني وتسعين سنة وقيل ثمانين وليس بشيء، إذ ثبت أنه كان يقول لأصحابه إن بلغت ثمانين عملت لكم (شكرانه)[1] فمات ولم يعمل فحضر قبرانه الشيخ يحيى بن أبي الخير في جمع من أصحابه وقبره بالمقبرة القبلية من قريته التي يمر بها الطالع ذي السفال والتعكر[2] وقبره يزار ويقول أهل القرية قبره عند قَبر عبيد ولا يعرفون من عبيد وقد زرته بحمد الله مراراً.

ومنهم أحمد بن إبراهيم بن حُمَّد: بضم الحاء المهملة وتشديد الميم مع فتحها ثم دال مهملة، كان قاضياً بالمعافر ولذلك يقال له المعافري.

ومنهم أبو الخطاب عمر بن إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن يوسف بن عبدالله بن علقمة الجماعي ثم الخولاني، من قوم يُقال لهم بنو جماعة: بضم الجيم وفتح الميم ثم ألف وفتح العين ثم هاء ساكنة[3] منهم بقية يسكنون على قرب من حصن المجمعة، أحد حصون بلد الشوافي: بشين مشددة معجمة بعد ألف ولام ثم فتح الواو ثم ألف ثم خفض الفاء ثم ياء نسبة ياء النسب[4] تفقّه في بدايته بسالم

---

(١) شكرانه لعله بفتح الشين المعجمة وسكون الكاف ثم راء وألف ونون وهاء كأنّه بمثابة الحفل شكراً لله أن بلغ ذلك العمر ولم يذكرها في القاموس وقال: والشكرى كسبكرى القدرة السمينة من اللحم وفي ابن سمرة ص١٦١ لئن بلغت الثمانين لأصنعن لكم ضيافة.

(٢) هي كذلك إلى يوم الناس هذا، إلا أنها قد اندرست.

(٣) قوله ساكنة لا لزوم لهذه العبارة، لأن آخر الكلمة تبع للعوامل كما سبق، وجماعة كما ضبطه المؤلف، وهي قبيلة كبيرة من خولان قضاعة في الشمال الغربي من صعدة، لها بقية نسبت إلى جماعة بن شرحبيل الأصغر بن هلال بن شرحبيل الأكبر بن هلال بن هاني بن خولان. انظر «الاكليل» ج١ ص٤١٨. طبعة ثانية، ولبني علقمة هؤلاء بقية في ذي السفال جهلة أغبياء، ولهم أرض من أوقاف أجدادهم.

(٤) حصن المجمعة: بفتح الميم وسكون الجيم وفتح الميم وفتح العين المهملة آخره هاء، لا يزال عامراً بيد آل قاسم الكلاعيين، وهو في أعلى عزلة شعب يافع، والشوافي مخلاف واسع نسب إلى القيل الشوافي ابن معدي كرب، انظر «الاكليل» ج٢ ص٣٠١، وللخولانيين هؤلاء مدارس قرب قرية الدنوة

الأشرقي مقدم الذكر، ثم ترافق هو والشيخ يحيى بن أبي الخير إلى بلد وحاظة فأخذا عن الإمام زيد بن الحسن المهذب وشيئاً في الأصول واللغة كغريب أبي عبيد ومختصر العين ونظام الغريب، وأدرك الحسن بن أبي عباد فأخذ عنه مختصره، ثم لما عاد هو والشيخ يحيى إلى بلده ذي السفال قرأ عليه الشيخ يحيى كافي الصفار، والجمل في النحو وأخذ عنه جمع كثير، منهم محمد بن موسى العمراني ناسخ القرآن ومنسوخه للصفار وأخذ عنه أبو السعود بن خيران معاني القرآن للصفار والمعتمد للبندنيجي وكان مشهوراً بالصلاح وصحبة أبي العباس الخضر[1] بحيث كان يوجد عنده في أثناء ذلك ويمليه شيئاً من ذلك، والذي حقق عنه أنه أملاه باب الأذان وقيل غيره وبالأول أخبرني الفقيه الصالح الآتي ذكره.

ولما انقرضت ذريته وبلغ السلطان، سلطان البلد وهو يومئذ المظفر يوسف بن عمر الآتي ذكره، اشترى الكتاب بثمن وافٍ وأوقفه بمدرسته التي أنشأها بمغربة تعز[2] وتوفي بقريته ذي السفال سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وقبر بمقبرة في غربي القرية[3] وقبره يزار ويتبرك به وقد زرته مراراً.

ومنهم أبو الفتوح بن عثمان بن أسعد بن عبدالله بن محمد بن موسى بن عمران العمراني أول من شهر من بني عمران بالفقه وهو خال الشيخ يحيى وأول من أخذ عنه كافي الصردفي بحق أخذه له عن مصنفه.

ومنهم القاضي علي بن محمد بن شيبان، أخذ علم الأدب عن ابن حُمَّد مقدم الذكر وإبراهيم بن عباد وكان فاضلاً.

ومنهم إبراهيم بن وليد، كان فقيهاً فاضلاً.

ومنهم أبو الحسين يحيى بن محمد بن عمر بن الفقيه أحمد بن الفقيه إبراهيم بن الفقيه أبي عمران مقدمي الذكر، من قرية الملحمة مولده سنة ست

= ليس بها أنيس لا يتعبد بها أو لا يدرس بها العلم بل قائمة وفيها كتابة ذكرناها في غير هذا الكتاب.

(١) أي النبي الخضر.

(٢) مغربة تعز معروفة عامرة آهلة بالسكان، وكم هنالك من مدارس خراب ومن جملتهن مدرسة الملك المظفر، فإنها لا تعرف لاندراس ذلك، والآن وفي عصرنا تحولت المدارس إلى بيوت وعمران والحال أنها أوقاف.

(٣) لا زالت مقابر علماء بني علقمة كما ذكر المؤلف ماثلة، وهنالك قبة على قبور كثيرة ولكن الأمطار والسيول تكاد تجرفها إن لم يتداركها أهل الصلاح، فالجهل مخيم هنالك ولهم ذرية باقية لا تهتم بذلك.

وتسعين[1] وأربعمائة وتفقّه باليفاعي وابن عبدويه وبمقبل بن زهير[2] وأخذ عن أسعد ابن خير بن ملامس وكان فقيهاً كبيراً جليل القدر متضلعاً من العلوم الفقهية والحديثية والنحويّة واللغوية وله القصيدة المشهورة في الإمام زيد، وقد ذكرتها مع ذكره وكان به معظم تفقّهه، وعليه تفقّه جماعة كثيرون، وكان ذا عبادة وكرامات، واشتهر عنه أنه كان يقرىء الجنّ، ولما دخلت الملحمة سنة ثلاث عشرة وسبعمائة لغرض زيارة تربته وترب أهله والتبرك بآثارهم والفحص عن أخبارهم اجتمعت برجل من متفقهة أهله، أخبرني أنه سمع متقدميهم ينقلون الخالف عن السالف أنه كان إذا تهوّر الليل[3] خرج عن القرية إلى موضع هناك يعرف بعارضة الميزاب[4] فيتوضأ بماءٍ هنالك ثم يصله جماعة من الجن فيقرأون عليه، وهو أحد شيوخ الحافظ العرشاني، وبه تفقّه محمد بن سالم وعلي بن عيسى الأصبحيان وأحمد بن إبراهيم اليافعي مع جمع غيرهم. ومن الشعر المنسوب إليه أن شيخه الإمام زيد اليفاعي لما عاد من مكة في المرة الأولى وأراد العود إليها خشية الفتنة كما قدمنا قال:

إن العيون التي قرت برؤيته ... كادت تعود سخينات لفرقته
وأنفساً أنست بالقرب منه فقد ... كادت تقطّع حسرات لوحشته
لولا أعَلّلُ نفسي أن فرقته ... لا تستديم وأرجو يمن طلعته
عددت نفسي شقيّاً والرجاء بما ... يقضي بتشتيت شمل جمع أَلْفِته
وأن يمنّ بتوفيق ومغفرة ... على الجميع وتسديد برحمته

وكان وفاته بقريته سنة ثمانٍ وعشرين وخمسمائة.

ومنهم ابن عمه أحمد بن عبدالله بن عمر بن الفقيه أحمد المذكور أولاً يجتمع مع يحيى مقدم الذكر في جدهما عمر بن الفقيه أحمد، مولده سنة ثلاث وستين وأربعمائة، تفقّه باليفاعي وبأبي بكر المحابي وبابن عبدويه وهو أكبر من يحيى لكن شهرة يحيى أكثر من شهرته وكانت وفاته سنة ست وعشرين وخمسمائة.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن حميد بن أبي الحسين[5] بن نمر بن عبدالله بن

---

(١) وفي «ب» وستين.
(٢) كذا في «ب» وفي «د» بمقبل بن أحمد بن الفقيه محمد بن زهير.
(٣) تهور الليل: ذهب أكثره.
(٤) لا زالت عارضة الميزاب في الملحمة تحمل هذا الاسم إلى هذا التاريخ.
(٥) كذا في «ب» أبي الحسين وفي «د» أبي الحسن.

هلال بن أحمد بن نمر من بيت رئاسة كبيرة يعرفون بالسلاطين بني نمر[١] وهم بطن من الركب[٢] وهم يعرفون بالزواقر[٣] والده حميد: بضم الحاء المهملة وفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحت ثم ذال مهملة وذلك تصغير من سمى محمد على اصطلاح طائفة من أهل اليمن وجده أبو الحسين[٤] مولده سنة ثمانين وأربعمائة وبالغت في ضبط أبيه وجدّه إذ يقع فيهما اللبس لا سيما في الجدّ، وربما وجد في بعض نسخ الطبقات (أبي الخير)[٥] وأقمت أتردد في ذلك حتى اجتمعت ببعض ذريته فأخبروني بصحة ذلك، وذريته قضاة الموسكة[٦] وبلد قومهم ونواحيها، يأتي مستحق الذكر منهم، وتفقّه بزيد اليفاعي والفائشي، ولما حج أخذ عن أحمد المكي وعن المقرىء الحبري وكان فقيهاً زاهداً ورعاً متنقلاً.

حكي أنه رأى في المنام ليلة القدر فلم يسأل الله شيئاً غير الجنة وتمام قوت سنته، وعلى قبره شجرة سدر يقطع منها أهل العاهات ويغتسلون بذلك فيمنّ الله عليهم بالعافية، وإن قطع منها أحد شيئاً عبثاً لم يكد يسلم من عاهة تصيبه[٧] وكانت وفاته حيث كان مسكنه: قرية تعرف بذي المليد، من أعمال قياض عزلة من أعمال تعز، وضبط ذي المليد: بخفض الذال المعجمة ثم ياء مثناة من تحت ثم ميم مفتوحة بعد ألف ولام ثم لام بعدها ساكنة ثم ياء مثناة من تحت ومفتوحة (ثم دال مهملة)[٨] (وقياض: بضم القاف وفتح الياء المثناة من تحت)[٩] ثم ألف وضاد معجمة، وفاته

(١) قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص١٣٢ ثم يلتقي هو ونخله بالقناة من روس حيس منزل أبي جعفر بن النمر، فهذا مؤيد لكلام المؤلف أن بني النمر لهم رئاسة، سلطاناً.

(٢) الركب: بفتح الراء وسكون الكاف ثم باء موحدة: بطن كبير من ولد الأشاعر ولهم بقية مسماة بهذا الاسم.

(٣) الزواقر من قبيلة الركب ثم من الأشاعر، ويذكرهم المؤلف فيما يأتي وبهم سميت قرية كبيرة شمال تعز ومن أعمالها.

(٤) وفي «ب» بعد وجده أبو الحسين بكنية له بذلك لا أدري تبركاً إذ رأيت منهم من كني كذلك أم بولد اسمه الحسين.

(٥) هذا دليل على أن الكنية أبو الحسين لا أبو الحسن وإلا لما وقع التصحيف.

(٦) الموسكة: بفتح الميم وسكون الواو وفتح السين المهملة والكاف ثم هاء قرية عامرة من أعمال تعز في شماله من الحيمة، ولها أموال مغيولة.

(٧) هذه من الأساطير غير المقبولة ورحم الله الجندي فقد كان عصره قابلاً لمثل هذا.

(٨) ما بين القوسين ساقط من «د» وذو المليد اليوم خراب وكنت ضبطها في «الاكليل» ج٢ ص٢٨٢ بالباء الموحدة بعد الألف واللام عن سماع وتحقق هنا بضبط الجندي وهو حجة إذ كانت في أيامه عامرة تسمت باسم قبيل من حمير، انظر «الاكليل» ج٢ ص٢٨٢.

(٩) ما بين القوسين ساقط من «د» وقد تقدم الكلام على قياض.

بشوال سنة سبع وسبعين وخمسمائة وقبره هنالك مشهور يقصد للزيادة وعند السدرة المذكورة أولاً.

ومنهم أسعد بن أبي زيد التباعي أخذ عن يحيى بن عمر مقدم الذكر.

ومنهم أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد بن عبدالله بن محمد بن موسى بن عمران بن ربيعة بن عبس بن زهير بن غالب بن عبدالله بن علك بن عدنان[1] ومولده قرية سَيْروزن طير، قد تقدم ذكرها، في سنة تسع وثمانين وأربعمائة، وهو أكثر من انتشر العلم عنه من أهل الطبقة تفقّه في بدايته بخاله أبي[2] الفتوح كما قدمنا أخذ عنه التنبيه وكافي الفرائض ثم قرأ التنبيه ثانياً على موسى الصعبي المقدم ذكره ثم قدم إليهم سير الفقيه عبدالله بن أحمد الزبراني باستدعاء من بعض مشايخ قومه بني عمران وأخذ عنه المهذب واللمع غيباً والملخص والإرشاد، لابن عبدويه، وأعاد عليه كافي الصردفي ثم ترافق هو والشيخ الفقيه عمر بن علقمة إلى أحاظة كما قدمنا ذلك في ذكره فقرأا عليه المهذب وتعليقة الشيخ أبي إسحاق في الأصول والملخص وغريب أبي عبيد، وغير ذلك من مسائل الدور والخلاف، ثم لما عادا إلى ذي السفال درسا ما قرأاه ثم أخذ عنه كافي الصفّار والجمل في النحو وقرأ الدور مرة ثانية على عمر بن بيش اللحجي ويقال: الأبيني، ولما دخلت الملحمة بالتاريخ المتقدم ووقفت على شيء من كتب فقهائها وجدت تعليقة بخط الفقيه أبي الخطاب عمر بن محمد بن مضمون، ما مثاله أن الإمام يحيى بن أبي الخير تعلم القرآن وأكمل حفظه غيباً، وقرأ المهذب والتنبيه والفرائض ولم يبلغ من العمر غير ثلاث عشرة سنة من مولده، ثم لما قدم الإمام اليفاعي من مكة إلى الجند وقد صار هذا الشيخ يدرس وصل الجند بجمع من درسته فأخذ عنه المهذب ثالثة ثم النكت ثم توفي وهو عنده فلما انقضى المعزا طلع قرية سهفنة فأخذ بها عن القاضي مسلم بن أبي بكر كتاب الحروف السبعة في علم الكلام تأليف المراغي مقدم الذكر ونقله من خط القاسم مقدم الذكر ثم انتقل إلى ذي أشرق سنة سبع عشرة وخمسمائة وأخذ عنه سالم الأصغر جامع الترمذي وبهذه السنة تزوج أم ولده طاهر وكان قد تسرّى قبلها

---

(١) هنا وقفة للتنبيه على مجازفة بعض النّساب بدون معرفة ولا تمحيص، فأنت ترى ما بين الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني وبين (عك بن عدنان) وذلك أربعة عشر أباً، والحال أنه في القرن الخامس الهجري بينما بين النبي ﷺ وبين جدّه معد بن عدنان، الذي هو أخو عك واحد وعشرون أباً، فهذا من الوهم الواضح.

(٢) كان في الأصلين أبو الفتوح والتصحيح من لدينا.

بحبشية، وفيها ابتدأ بمطالعة الشروح وجمع منها ما يزيد على المهذب كتاباً سماه (الزوائد) وذلك أنه كان قد استشار الإمام زيداً في أي الشروح أحق بالمطالعة وأجمع لما شذ عن المهذب لينسخه فأشار عليه بجمع جميع الشروح الموجودة، ومطالعتها وانتزاع زوائدها على المهذب ففعل وجمع الكتاب المذكور وفرغ منه سنة عشرين وخمسمائة، وفي عقيب ذلك حج وزار الضريح المشرف صلوات الله على صاحبه، واجتمع في مكة بالفقيه الواعظ المعروف بالعثماني[1] فجرت بينهما مناظرات في شيءٍ من الفقه والأصولين، وكان العثماني على مذهب الأشعري في المعتقد[2]، وكان الشيخ يحفظ التبصرة غيباً، أخذها عن شيخه اليفاعي والفائشي، وكانا يقرئانها أصحابهما وأخذا بها عن البندنيجي فناظر العثماني مراراً وكان الشيخ يقطعه ويقيم عليه الحجة بقوله: إن المسموع المفهوم ليس بكلام الله بل عبارة فيحتج عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[3] ويقول لفظة هذا لا يكون إلا إشارة إلى موجود عند كافة أهل اللغة ولا يوجد إلاّ المسموع المفهوم.

ولقد حكي[4] أنهما كانا يتناظران في المطاف فمن شدّة إفحام الشيخ للعثماني يمسح جبينه بيده من شدة العرق ثم لما عاد الشيخ إلى اليمن وألف كتاب (البيان) أورد فيه عدة مسائل عن العثماني، ونقل عنه كذلك في تعليقاته وذلك يدل على فضل العثماني وعدالته وجواز الأخذ عنه، ولو كان قد اعتقد جرحه أو فسقه كما يرى جماعة من الجهال، يكفرون من خالفهم في المعتقد ولا يقبلون نقله، لما نقل عنه ولا قبل منه.

ولما عاد الشيخ من مكة استخرج كتابه الذي ألفه في الدور من كتاب ابن اللبّان وغيره ثم نظر في كتاب الزوائد الذي كان قد جمعه أولاً، فرأى أنه قد رتبه على شروح المزني ثم أغفل عنه الدور وأقوال العلماء فطالع ذلك وراجعه، ثم لما كان في سنة ثمانٍ وعشرين ابتدأ بتصنيف (البيان) ورتبه على ترتيب محفوظه المهذب، وكان يقول: لم أجمع الزوائد إلا بعد أن حفظت المهذب غيباً، وقد ذكرت فيما تقدم أنه قرأ المهذب واللمع على الفقيه عبدالله الزبراني وطالع المهذب بعد ذلك وقبل التصنيف

---

(١) لا أعرف عن العثماني شيئاً.

(٢) الأشعرية فرقة كبيرة نسبت إلى الإمام علي بن إسماعيل بن سالم بن عبدالله بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، وهو صاحب المذهب المشهور بمذهب الأشعرية في العقائد الذي طبق الأرض ولا زال هو الظاهر في الأقطار الإسلامية إلى يوم الناس هذا، وكانت وفاة الإمام المذكور سنة ٣٢٤هـ أربع وعشرين وثلاثمائة هجرية.

(٣) الإسراء ـ ٩.

(٤) كذا في «د» وفي «ب» وقد حكى.

أربعين شرفاً وأكثر وكان يطالع كل جزءٍ منه من واحد وأربعين جزءاً في اليوم والليلة أربع مرات، كل فصل على حدة، وكان إذا قرأ عليه المتفقه وهو يعلم فهمَه بيّن له احترازات الأقيسة وفوائدها ووجوه أصولها، ثم يبين له ما العلة في اختصاصها بالتأصيل إما بالنص من طريق الكتاب والسنةأو بتسليم المخالف حكم المسألة، ومتى كان في عبارة الكتاب استغلاق أو قصر فهم القارىء عن ذكرها أبدلها بعبارة أخرى حتى يتصورها القارىء ويفحصها، وينبّه في كل مسألة على خلاف مالك وأبي حنيفة خاصة، وقد يذكر معهما غيرهما، في بعض المسائل، ومتى فرغ الطالب من قراءة الدرس أمره أن ينظر في الكتاب ويعيد عليه درسه غيباً ويقصد بذلك ترغيبه، وكان يفعل ذلك مع من تحقق فهمه وقوة إشراكه المعاني، وأما غيره فلا يزيده على الجواب عما سأل أو ردّ غلط وتصحيف، ثم لما أكمل تصنيف (البيان) سأله تلميذه الفقيه الصالح محمد بن مفلح الحضرمي انتزاع مشكلات المهذب وحلها فعل ذلك بكتابه المشهور (بمشكل المهذب) وذلك آخر سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

وكان من سيرته أنه إذا مضى عليه وقت من غير ذكر الله تعالى أو مذاكرة العلم حولق[1] واستغفر وقال: ضيعنا الوقت، وكان سهل الأخلاق ليِّن الجانب عظيم الهيبة عند الناس ثم حدث على قومه بسير خوف عظيم وحروب من العرب حولهم فخرج الشيخ منها إلى ذي السفال فلبث بها مدة ثم انتقل إلى ذي أشرق فلبث بها سبع سنين وكسراً وفي الرابعة من السنين طلع فقهاء تهامة إليه هاربين من ابن المهدي فأنسوا به وأقاموا عنده أياماً طويلة مَيْلاً إلى الجنسية وكونه رأس الفقهاء بالإجماع من العيان والسماع فحصل بين فقهاء ذي أشرق وفقهاء تهامة منافرة سببها المذاكرة في المعتقد ومناظرة أدت إلى تكفير بعضهم لبعض والمنافرة بينهم، وكان الشيخ رحمه الله لا يعجبه ذلك ولا يكاد يخوض بعلم الكلام ولا يرتضي لأصحابه من ذلك، وظهر من ولده طاهر الميل والتظاهر بخلاف المعتقد الذي عليه والده وغالب فقهاء العصر من أهل الجند خاصة فشق ذلك على الشيخ وهجر ولده هجراً شاقاً وكان ذلك سنة أربع وخمسين وخمسمائة ثم إن طاهراً لم يطق على هجر أبيه ولا هجر الفقهاء بذي أشرق وكان سبب ذلك ما تحققوه فيه، وعلم أن لا زوال لذلك إلّا إظهار التوبة والتبّري عما كان أظهره فلم يزل يتلطف على والده بذلك بإرسال من يقبل الشيخ منه فقال للرسول: لا أقبل منه حتى يطلع المنبر بمحضر الفقهاء ويعرض عليهم عقيدته ويتبرأ

(١) حوقل أي قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

مما سواها، فأجاب إلى ذلك وحضر في يوم الجمعة الجامع وصعد المنبر وكان فصيحاً مصقعاً فخطب وذكر عقيدته التي الفقهاء متفقون عليها، وتبرأ مما سواها، فحين فرغ من ذلك التفت الشيخ إلى الفقهاء وهم حوله وقال: هل أنكر الإخوان من كلامه شيئاً فقالوا: لا، وفي عقيب ذلك صنّف (كتاب الانتصار) وسبب تصنيفه ما حدث من الفقهاء ثم ظهور القاضي جعفر المعتزلي[1] ووصوله إبّاً واجتماعه بسيف السنّة وقطعه له، وكان بودّهم نزول اليمن فقيل له: إن نزلت لقيت البحر الذي تغرق فيه، يحيى بن أبي الخير، فعاد القهقرى وعاد إلى حصن شواحط فأمر الشيخ يحيى إليه تلميذه الفقيه علي بن عبدالله الهرمي فلحقه فيه فناظره وقطعه في عدة مسائل ربما أذكر من مناظرتهما ما لاق عند ذكر الفقيه علي، فإنه قد كان قرأ كتاب (الانتصار في الرد على القدرية الأشرار) على الشيخ يحيى وقد كان بالغ في الرد على المعتزلة بكتابه المذكور وعلى الأشعرية ففرح الفقهاء به عند فراغه وانتسخوه ودانوا الله به، ثم صنّف غرائب الوسيط واختصر إحياء علوم الدين، ووصل الحافظ العرشاني في تلك المدة إلى ذي أشرق فسمع الشيخ عليه البخاري وسنن أبي داود وذلك بقراءة الفقيه أحمد بن إسماعيل المأربي وعبدالله بن عمرو التباعي وسليمان بن فتح بن مفتاح وولده طاهر ثم انتقل الشيخ إلى ضراس[2] نافراً عما شجر بين الفقهاء أولاً، وأظهر أن سبب ذلك الخوف من ابن مهدي فلبث بها شهراً ثم انتقل إلى ذي السفال ثم توفي بعد إقامته بها سنة.

ولقد سمعت جماعة أوثقهم الفقيه صالح بن عمر يذكرون أن الفقيه لمّا عزم على قصد ذي السفال متنقلاً كتب إلى فقيهها، وهو إذ ذاك محمد بن أحمد بن عمر بن علقمة الآتي ذكره، يقول له إني أريد الانتقال إليكم فأرسل جماعة من أهل

---

(١) القاضي جعفر هو ابن أحمد بن عبدالسلام الابناوي من أبناء فارس الذين خرجوا مع الملك سيف بن ذي يزن الحميري، كان مولده في إحدى قريتي الفرس أو الأبناء من السرسر ابن الروية ولم تحدد المصادر تاريخ مولده لا بالسنة ولا غيرها وكان أبوه أحمد بن عبدالسلام عالم الباطنية وحاكمها وخطيبها الذين كانوا يصدرون عن رأيه وأخوه يحيى بن أحمد شاعرهم وناسبهم وكان شعره في أعلى طبقات البلاغة قتله أصحاب الملك علي بن المهدي في مجمعة الشوافي حوالى خمسين وخمسمائة، ونشأ القاضي جعفر على مذهب أبيه ثم تحول إلى مذهب الزيدية المخترعة ورحل إلى العراق وأخذ عن علماء الاعتزال وهو أول من أخرج كتب المعتزلة إلى اليمن سنة ٥٥٥ خمس وخمسين وخمسمائة ولم تعرف في اليمن قبل إخراجه لها وجرت بينه وبين الفرقة الزيدية المطرفية جدال ومصاولة يطول شرحها ومات سنة ٥٧٣ ثلاث وسبعين وخمسمائة بقرية سناع ونقل إلى أكمة بالقرب منها وعليه قبة وعلى ضريحه لوحة فيها سنة وتاريخ وفاته والقرية جنوب صنعاء التي قد امتد العمران إليها.

(٢) ضراس يأتي ضبطها.

البلد يلقونني بأسياف إلى المسلاب[1] موضع خوف في الطريق وقال له بكتابه: فمعي كتب وأخشى عليها فتنة الحرب ففعل الفقيه ذلك، وذكروا أيضاً أنه، أعني الفقيه محمد بن أحمد، رأى ليلة قدوم الشيخ عليهم قائلاً يقول له غداً يقدم عليكم معاذ بن جبل فلما أصبح الفقيه وأخبر أصحابه بمنامه وقال: يقدم علينا اليوم عالم هذه الأمة فإن النبي ﷺ يقول: «معاذ أعلم أمتي بالحلال والحرام».

وكانت وظيفته أن يقرأ كل ليلة سبع القرآن بالصلاة وكان يحب طلبة العلم واجتماعهم ويكره الخوض في علم الكلام، وكفى له شاهداً على الفضل الذي حواه تصنيف البيان الذي انتفع به الإنس والجان، واعترف بتحقيقه وتدقيقه كل إنسان، ويتوقل[2] في بلد البيضان والسودان.

ولما قدم بعد بغداد جعل في أطباق الذهب وطيف به مزفوفاً[3] ثم لما قدم به بخط علوان قال جماعة من أهل العراق: ما كنا نظن في اليمن إنسان حتى قدم علينا البيان، بخط علوان، رضيه الفقهاء المحققون وانتفع به الطبقة المدرسون ونقل عنه المصنفون حتى كان كاسمه للشرع تبياناً، وللفقه بياناً)[4] أجاب به عن المعضلات وأوضح به المشكلات وقسم به الأوصاف والاحترازات، وسمعت شيخي أبا الحسن الأصبحي يقول: ما أشكلت عليّ مسألة في الفقه وفتشت لها البيان إلا وجدت به بيانها ووضح لي تبيانها فجزاه الله عن الإسلام خيراً، ولقد دخلت عليّ مرة أيام درسي عليه وهو إذ ذاك في أثناء أجوبة عن سوآلات سأله بها الفقيه صالح بن عمر وهو بين يديه فقال: البيان كتاب عظيم لا أشفى منه لنفس الفقيه[5] ونقل صاحب العزيز وصاحب الروضة عنه[6] مسائل جمة شاهدة له أيضاً بالكمال كما ذكرت وكيف لا يكون كذلك وقد قال بعض المحققين أنه انتخل الشروح المفيدة والأدلة السديدة والمسائل العتيدة والأقيسة الأكيدة وضمنها الكتاب المذكور مع ما أضاف إلى ذلك من النكت الحسنة والعلل المستحسنة وجمع فيه بين تحقيق العراقيين وتدقيق الخراسانيين بحيث إذا تأمله الحاذق الحاضر وَكَدّ فيه الفكر والناظر وسعهُ وكفاه واستغنى به عما

---

(١) المسلاب لا يعرف اليوم وفي «ب» نجد المسلاب.

(٢) توقّلَ: صعد وتنقلّ في الجبل.

(٣) مزفوفاً من زف العروس معروف.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «د».

(٥) كذا في الأصلين.

(٦) غير معروفين عندنا.

سواه فرحم الله ثراه وبرد مضجعه ومثواه وجعل الجنة محله ومأواه.

وكان الإمام ابن عجيل يقول: لـولا البيان مـا وسعني اليمن، وكانت السيـدة[1] تجله وتعظم محله، وتأمر بوّابهـا بذلـك. حكي أن الفقيه قـدم إلى جبلة بشفاعـة إليها بسبب أيتـام كانـوا تحت يده وعلى أرضهم جـور فوهبت ذلـك للفقيه وكتبت لـلأيتـام مسامحة جارية إكراماً لقدوم الفقيه.

ولما مدح الفقيه النسابة أحمد بن محمـد الأشعري[2] الشيـخ محمد بن علي بن مشعل بشعر مشهور جعل هذا الإمام من أعظم مناقبـه وأجل مفـاخره التي يمـدح بها، وكان له مع تجويد الفقه تجويد الأصولين، ولقد اجتمعت ببعض الفقهاء ممن له دراية بـالأصول فـأوقفني على أبيات وهـو يستعظمهـا ويقول: مـا كنت أظن صاحب البيـان يعرف الأصول هذه المعرفة وأوقفني على ورقة فيها هذه الأبيات:

أفعـالنـا عَـرَضٌ في جسم فـاعلهـا ... والله يخلق مـا في الجسم من عرض

إذا تـقـرّر هـذا فـي نـظائـره ... فـلا اعتـراض إذن يبقى لمعتـرض

ومـن ينـازعـنـا فـى ذا وينـكـره ... فليـأتنـا بـدليـل غيـر منـتـقض

المـدح والـذم والإنـعـام منـه لنـا ... على اختيـار لنا في الفعـل والعـرض

لا يستحق عليـه الـرزق في صغـر ... ولا ثـوابـاً على كسب كمـا العـوض

لا عـذّب الله إنسانـاً بـلا عمـل ... لكان عدلاً كما في الموت والمـرض

مـا لم يشـأ لم يكن من فـاعـل أبـداً ... وأن يـرد كون شيء في العبـاد قضي

وله شعر ينسب إليه منه قوله في وصف حاله وزمانه وأهل بلده:

إلى الله أشكـو وحشتي من مجـالس ... أراجـعـه فيـمـا يـلذّ بـه فـهـمي

لأني غـريب بين (سيـر) وأهلهـا ... وإن كـان فيهـا أسـرتي وبنـو عمي

وليس اغتـرابي عنهم بيـد النـوى ... ولكن لمـا أبـدوه من جفـوة العلم

فقـد كنت أرجـو أن تكـون سلالتي ... بحفظ علومي في حيـاتي ذوي عـزم

فثبّـطهم عن ذاك حسّـاد قـومهـم ... ومـا سمعوا من كـلّ ذي حسـد فـدم

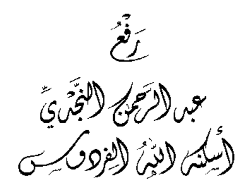
ستصبـح يـا من غـرّه قـول حـاسـد ... يمـوت أسيرَ الـذل والجهـل واليتم

ولمـا دخلت قريـة (سيـر) اجتمعت ببعض ذريتـه فـأوقفني على شيء من كتبـه

---

(١) هي السيدة الملكة بنت أحمد الصليحي ويأتي ذكرها.

(٢) تأتي ترجمته.



فوجدت معلقاً بدفّة كتاب «معونة الطلاب لفقه معاني كتاب[1] الشهّاب» تأليف ولده طاهر وبخطه أيضاً ما مثاله وللوالد رحمه الله:

أليس الله خالق كل جسم ... وأعراض العباد بلا مراء
وما عرض يخص بذا ولكن ... عموماً في الجميع على سواء
فهل أفعالنا والقول فيها ... سوى عرض يقوم بلا بقاء

ثم بعد ذلك الأبيات المتقدمة، قال مؤلفه عفا الله عنه: أخذ الشيخ هذه الأبيات فيما أظنّه من قول الخطابي[2] وهو قوله:

وما غربة الإنسان في شقة النوى ... ولكنها والله من عدم الشكل
وإني غريب بين بست وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

ومن الشعر الذي أورده ابن سمرة في مدح الشيخ رحمه الله قول بعض أهل عصره:

لله شيخ من بني عمران ... قد كان شاد العلم بالأركان
يحيى لقد أحيا الشريعة هادياً ... بزوائد وغرائب وبيان
هو درة اليمن الذي ما مثله ... من أول في عصرنا أو ثاني

وكانت وفاته بقرية ذي السفال مبطوناً، وقد عدّ النبي ﷺ المبطون شهيداً، وذلك بعد أن اعتقلت لسانه ليلتين ويوماً، ومتى جاء وقت الصلاة سأل عن ذلك بالإشارة فإذا قيل له بالوقت صلى، ثم كان لا يزال يشير بالتهليل يعرف ذلك منه برفع مسبِّحته ويحركها، ثم توفي في آخر ليلة الأربعاء بعد طلوع الفجر سادس عشر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة، وقبر بجرب له[3] بالقرب من أرضه، وقبره من القبور المعدودة للزيارة واستنجاز الحوائج والتوسل إلى الله بأصحابها وقد زرته بحمد الله مراراً.

وقد جرت العادة غالباً متى عرض ذكر أحد من الأعيان ذكرت من ذكره ما لاق

---

(١) كذا في «د» وفي «ب» كلم الشهاب.

(٢) وقد سبق البستي إلى ذلك الشاعر المشهور أبو عبادة البحتري الطائي:

وليس اغترابي من سجستان أنني ... عدمت بها الإخوان والدار والأهلا
ولكنني مالي بها من مشاكل ... وان الغريب الفرد من يعدمُ الشكلا

(٣) الجرب، أو الجربن والجربين: معروفان فالكلمة مبهمة غير منقطة.

فقد عرض معه ذكر رجلين أحدهما الخطابي والآخر علوان.

فأما الخطابي فهو الإمام أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، قيل له الخطابي نسبة إلى جده الخطاب المذكور أولاً، قاله ابن خلكان، ويعرف بالبستي نسبة إلى بُست: بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة ثم تاء مثناة من فوق وهي مدينة ببلاد كابل بين هراة وغزنة[1] كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة ومنها غريب الحديث ومعالم السنن وغيرهما، وله أبيات حكمية منها ما أوردته أوّلاً ثم قوله:

شر السباع العوادي دونه وزر ... والناس شرهم ما دونه وزر[2]

كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع ... وما ترى بشراً لم يؤذه بشر

وقوله:

فسامح ولا تستوف حقك كلّه ... وأبقِ فلم يستقص قط كريم

ولا تَغْلُ في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور سليم

ولما كان من أعيان المذهب علماً وشهرة وعرض ذكره اتجه في بيان حاله ما لاق، وكانت وفاته بربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة.

قال ابن خلكان: وقد سمع في اسمه بثبات الهمزة والصحيح حذفها.

وأمّا علوان الذي دخل البيان بخطه العراق حتى قال أهله: ما قالوا أولاً وكان أصله من بلد على قرب من رأس نقيل صيد[3] يعرف بخاو: بفتح الخاء المعجمة ثم ألف وواو[4] وكان كاتب إنشاء الملك المسعود بن الكامل[5] وحكي أنه سافر معه إلى حجة على بغلة فحصل حرب ثم كان هذا علوان تحت جبل فانقطع من الجبل كِتْف وقع

(١) كابل: بضم الباء الموحدة وأوله كاف وآخره لام هي عاصمة أفغانستان وكانت عاصمتها سابقاً غزنة، وهراة: مدينة لا زالت عامرة وخرج منها عالَم من العلماء وكانت غزنة عاصمة السلطان محمود بن سبكتكين الذي دوخ الهند وفتح بلاداً كثيرة منه وأدخل الإسلام إليه في عزة وفخر رحمه الله ورضي عنه.

(٢) الوزر الملجأ، ولعله قد أخذ ذلك من قول الشاعر:

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى ... وصوّت إنسان فكدت أطير

(٣) نقيل صيد هو نقيل سمارة، والنقيل في عرفنا معاشر اليمنيين ما كان أصعب وأمنع من العقبة.

(٤) خاو كما ضبطها المؤلف وهي قرية كبيرة عامرة من مخلاف ذي رعين شرقي مدينة يريم بنحو فرسخ أو أكثر، وهي مساكن التراخم من حمير. انظر «الاكليل» ج٨ ص٣٢٥ و«صفة جزيرة العرب».

(٥) يأتي ذكر الملك المسعود بن الكامل الأيوبي.

عليه وهو راكب بغلته فكان آخر العهد بهما، وكان أيام الخدمة يسكن المعافر، بموضع من نواحي جبل ذخر يعرف بذي الحنان: جمع جنّة بالجيم والنون والهاء[1] ولم أقف له على تاريخ وولده أحمد بن علوان الصوفي الآتي ذكره في أهل طبقته.

ومنهم أبو محمد عبدالله بن علي إبراهيم بن محمد الحربي، مولده سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة أخذ عن ابن شيبان وابن الوليد مقدمي الذكر وكان فقيهاً شهير الذكر ولما اشتغل الشيخ يحيى بتصنيف البيان وامتنع بذلك عن القراء استشاره ابن عمه وصهره عثمان بن أسعد بن عثمان فيمن يذهب إليه من فقهاء الوقت ويقرأ عليه فأشار عليه بهذا عبدالله فارتحل إليه وأخذ عنه وتفقه به جماعة.

ومنهم عثمان بن إبراهيم الأبرهي غالب سكناه الشعبانية وله بها أرض جيدة وربما أن دار المضيف بذي عدينة[2] إنما غالب أحجاره من دار كانت هناك.

وذلك أن الملك المظفر لما همّ ببنيانه جعل يفكر بموضع يأخذ منه الأحجار فخرج يوماً من تعز ليسير إلى جهة الشعبانية فوجد داراً كبيرة قد صارت متهدمة فسأل عن مالكها فقالوا إنما تعرف ذلك عجوز بالقرية يزيد عمرها على المئة سنة فاستدعي بها فجاءت تتوكأ على عودين وسألها فقالت: لا أكاد أعرف، إنما كانوا يقولون: هي لقوم كانوا فقهاء منهم باقٍ في الموسكة وباقٍ بذخر على قرب من ذي الجنان، فلما عاد السلطان إلى مستقره بحث عن القوم فأحضروا واشترى منهم الدار ثم نقلت أحجاره على الجمال فبنى دار المضيف بذي عدينة خاصة بالأحجار، وأما الأجر فربما كان من غيرها، وله ذرية بالقرب من وادي زبيد فيهم بعض تفقّه فيما أخبرني من خالطهم، ولعبدالله جدّهم كتاب سماه «الشروط» من أحسن ما وضع في ذلك نافع يوجد باليمن كثيراً وكانت وفاته سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مسعود بن سلمة البريهي، وهو في طبقة الفقيه يحيى، الذين سمعوا على أسعد بن خير في سنة خمسمائة بجمادى الأولى منها

---

(١) ذخر: بفتح الذال وكسر الخاء المعجمتين آخره راء ويقال له ذخر الله هو مما يسمى اليوم جبل حبشي ويقع غربي جنوب تعز وهو مخلاف كبير من المعافر ويشكل ناحية مركزها يفرس التي فيها قبر الولي (أحمد بن علوان) وذات الجنان كما ضبطها المؤلف وهو يحمل هذا الاسم إلى هذه الغاية من عزلة بني عيسى.

(٢) عدينة: بضم العين المهملة وفتح الدال ثم ياء مثناة من تحت ثم نون وهاء وهي ما يحويها السور قال الشاعر القديم من الشعر الشعبي وقوله واقف على تاريخ قد ذكر تاريخ وفاته:

رأيت في ذي عدينة، يا رب بالأمس زَيْنَه

كتاب البخاري وهو والد سيف السنة الآتي ذكره.

ومنهم سالم بن حسن الزوقري من قوم الفقيه محمد بن حميد المقدم ذكره، تفقّه بابن عبدويه وعنه يروي الفقيه علي بن أحمد اليهاقري كتاب المهذب كما سيأتي إن شاء الله.

ومنهم أبو الحسن علي بن أبي بكر بن حمير بن تُبّع بن يوسف بن فضل الفضلي، نسبته إلى هذا المذكور ثم الهمداني، مولده سنة أربع وتسعين وأربعمائة كان غالب فَنّه الحديث بحيث كان يميز بين صحيحه ومعلوله ومرسله ومسنده ومقطوعه ومعضله[1] أثنى عليه ابن سمرة ثناء مرضياً وقال: هو شيخ المحدثين وعمدة المسترشدين غلب عليه علم الحديث فكان به عارفاً كثير الرحلة في طلبه، أخذ عن زيد بن الحسن الفائشي بوحاظة، وأسعد بن ملامس المشيرقي وعن يحيى بن عمر الملحمي وعن عبدالرحمٰن بن عثمان وأبي بكر بن أحمد بن الخطيب بريمة، سيأتي ذكرهما إن شاء الله، وأخذ عن القاضي مبارك بالجؤة، وسيأتي ذكره فيمن ذكره ابن سمرة في فصل القضاة من أحسن كتاب وضع مختصر في ذلك، نقل الثقات نقلاً متواتراً انه كان يخرج غالب أيام طلبه كل يوم من منزله بعرشان[2] فيصل وحاظة وإلاّ المشيرق فيقرأ ثم يعود فلا يبيت إلاّ في بيته وبين بلده وبين أحد الموضعين يوم للمجد[3] وذكروا أنه كان قد يطمع به قوم من العرب فوقفوا له مراراً فلا يدرون به حتى يجاوزهم بمسافة لا يستطيعون إدراكه بعدها فلما تكرر ذلك منهم علموا أنه محجوب محميّ عنهم فغيّروا نيتهم ووقفوا له فمرّ بهم فصافحوه وتبركوا به وسألوه أن يُحلهم مما كانوا أضمروا له، وهذا يدل على صحة تأويل من قال معنى قول النبي ﷺ: «إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضىً له»، وأن معناه تحمله وتبلغه حيث ما يأمله ويرومه إعانة له على بعد المسافة.

وفي سنة خمس وأربعين وخمسمائة قدم مدينة إب فاجتمع إليه بها جمع كثير رأسهم إذ ذاك الإمام سيف السنة فأخذوا عنه وكان هو القارىء وحضر السماع

---

(١) انظر هذه المصطلحات في علم مصطلح الحديث كنخبة الفكر لابن حجر وغيرها.

(٢) عرشان: بفتحات آخره نون بلدة عامرة بالسكان في عزلة المكتب المتصلة بذي جبلة وتقع على نشر يصعد إليها في جنوب المدينة المذكورة بمسافة يسيرة، وضريح الشيخ الحافظ لا يزال محفوظاً إلا أنه قد نزع تحته وقد زرته رحمه الله وقد ذكرت ذلك في مذكراتي.

(٣) بل نصف النهار للمجد.

جماعة: ومنهم سليمان بن فتح وغيره وارتحل إلى عدن فأخذ عنه بها القاضي أحمد القريظي مع جمع كثير من المغاربة والإسكندرانيين وأهل عدن وله كتاب الزلازل والأشراط، أخذ عنه جمع كثير منهم الشيخ يحيى وكان يبجله ويجله، وممن أخذ عنه طاهر بن يحيى ومقبل الدثيني، وكان الشيخ يحيى يثني عليه ويقول لم أر أحفظ منه ولا أعرف، قيل له ولا بالعراق قال: ما سمعت، وكان يحفظ جملة مستكثرة من الحديث عن ظهر غيب، وكان راتبه في كل ليلة جزأين من القرآن، وكان يتردد ما بين بلده وإب والجند وعدن وله بكل من هذه الجهات أصحاب فكان يقرىء بجامع عرشان وربما أنه هو الذي أحدثه، دخلته مراراً فوجدت[1] به أنساً ظاهراً وعليه جلالة فعلمت أن ذلك ببركة ما كان يتلى فيه من حديث رسول الله ﷺ، وقصده أهل الحديث من غالب أنحاء اليمن رغبةً في علمه ودينه وورعه وأمانته وعلو إسناده ومعرفته وتواضعه، وكان يكره الخوض في علم الكلام، وكان من أشد الناس محافظةً على أداء الصلاة في أول وقتها. ولقد قال: ما فاتتني صلاة[2] قط إلّا لعذر عظيم، وكان يصلي في مرض موته قائماً وقاعداً وعلى جنب، وكان الفقيه علي بن أسعد من عَنَّة[3] يقرأ عليه الشريعة للآجري مع رجل آخر وهو في مرض موته، فكان يغشى عليه ثم يفيق فيأمر القارىء بإعادة ما قرأ في حال الغفلة، ثم لما فرغا من قراءة الكتاب وهو إذ ذاك قد عجز عن الكتابة أمر ولده أحمد أن يكتب لهما السماع، ولما صار بالنزع سمعه جماعة ممن حضر من أهله وغيرهم يقول: لبيك لبيك فقالوا له من تجيب قال: الله دعاني ارفعوني إلى الله ارفعوني إلى السماء، ثم توفي عقيب ذلك بقريته لعشر بقين من القعدة سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وقبره غربي قبلي القرية، زرته بحمد الله مراراً، وكان له خمسة أولاد تفقّه منهم محمد وعبدالله شقيقان ثم أحمد وعمر. فأما محمد فكان فقيهاً صالحاً ورعاً، ولما ولي أخوه أحمد القضاء كان يهجره ولا يدعس بساطه ولا يأكل طعامه، وعقبه بزبيد يعرفون ببني قاضي الرفعة يتعانون الجندية والتعرز[4] وفيهم خير.

وأما عبدالله فكان فقيهاً لم أتحقق تاريخه ولا عقب له غير فقيه موجود الآن

---

(١) في «ب» فيه.

(٢) صلاة ساقط من «د».

(٣) عَنَّة يأتي ضبطها للمؤلف.

(٤) كذا في الأصل ولم تتحقق اللفظة.

بعرشان اسمه عبدالله بن عبدالرحمٰن. توفي محمد وأخوه عمر في شهر رمضان سنة ست عشرة وستمائة، وأمَّا أحمد فسيأتي ذكره في أهل طبقته، وذريته وذريَّة عمر هم الموجودون بجبلة وعرشان في عصرنا يعرفون بالقضاة وخرج فيهم فقهاء ومحدثون في الأكثر وهم من أبرك ذراري الفقهاء، وقبلهم أهل الملحمة آل أبي عمران إذ هم من أول صدر المئة الرابعة وآخر الثالثة ثم إلى عصرنا لم[1] يخل عن فقيه ثم من بعدهم ذرية الهيثم وابن ملامس المشيرقيين لكن ذرية بني ملامس قد انقرضت وذرية الهيثم بقي منها بقية.

ومن المشيرق عمر بن الفقيه أسعد بن الفقيه خير بن ملامس، قد مضى ذكر آبائه، تفقَّه عمر بأبيه أسعد فهو من طبقة الحافظ المذكور آنفاً، وبه تفقه ابنه عبدالله وهو آخر من حققه ابن سمرة من ذرية ابن ملامس. ومن ريمة المُناخي: وهو جبل كبير سُمِّي بذلك نسبة إلى ذي مناخ قوم من حمير يرجعون إلى ذي مُنَاخ: بضم الميم وفتح النون ثم ألف ثم خاء معجمة، لما أخذ الجبل الصليحي من أيديهم شرّدهم وقد مضى ذكر الرجل الذي دخل منهم بغداد. وصحب الشيخ أبا إسحاق وامتدحه، كان بها جماعة فضلاء متقدمون ومتأخرون، والمتقدمون منهم بنو الخطيب كان جدّهم خطيباً للصليحيين، فنسبوا إليه وهم يعرفون بذلك إلى عصرنا ونسبتهم في الأعمور وأصلهم من أحاظة بلد واسعة تجمع قرى كثيرة ولهم هناك قرابة.

من متقدميهم عبدالرحمٰن بن عثمان بن أحمد الخطيب الذين ينسبون إليه وعمه أبو بكر بن أحمد الخطيب هو أحمد بن عبدالله، كان هذان الرجلان فقيهين فاضلين نزيهين أخذا عن اللّعفي مقدم الذكر، ولما حجّا أخذا بمكة عن جماعة بها وإليهما قدم الحافظ العرشاني فأخذ عنهما وكان مسكنهما قرية شيعان: بالشين المعجمة على وزن[2] فعلان جمع فعلة، ولا عقب لعبدالرحمٰن وكان بها عبدالله بن علي الحرازي والقاضي أحمد بن أبي السعود وأخوه ذكر ابن سمرة جماعة في فصل القضاة.

ومن وُصاب عمران بن موسى بن يوسف، أخذ عن ابن عبدويه وبه تفقّه

---

(١) كذا في الأصلين وصوابه لم يخل بدون واو العلة.

(٢) شيعان: بالياء المثناة من تحت بعد الشين المعجمة ثم النون وقد كان البحث من أهل المذيخرة عن ريمة المناخي التي تطل عليها من الغرب، فنفوا وجود قرية أو موضع بهذا الاسم في عموم مذيخره وشيعان المشهورة عزلة من يحصب السفلى ويقال له وادي شيعان ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب»، وفيه الورس الناهي، واليوم البن الناهي.

القاضي التستري[1] أخذ عنه المهذب.

ومن المشيرق خير بن عمرو بن عبدالرحمٰن تفقّه بابن عبدويه أيضاً وعنه أخذ جماعة، هكذا ذكر ابن سمرة.

ومنهم عيسى بن عبدالملك المعافري أخذ عن ابن عبدويه وعلق عنه ألفاظ المهذب المختلف في سماعها.

ومنهم أبو العتيق أبو بكر بن الفقيه أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن إبراهيم اليافعي نسباً والجندي بلداً، مولده سنة تسعين وأربعمائة، أثنى عليه عمارة ثناء مرضياً، وكان به عارفاً وله مخالطاً، فقال عند ذكره[2] هو قاضي قضاة اليمن المنوط به أحكام صنعاء وعدن وزير الدولتين الزريعية والوليدية، تفقّه باليفاعي وأخذ علم الأدب على النعماني[3] والرشيد بن الزبير الأسواني وكان مزاملاً للإمام يحيى بن أبي الخير في بعض قراءته على شيخهما الإمام زيد وكان يقول بلغت عشرين سنة، وأنا لا أكاد أقلد أحداً في مسألة وكان مسدداً في أحكامه ومتى تنازع الخصمان في مسألة قال لهما: هاتوا جواب القمرين أو يقول: ما قال القمران يعني عبيد بن يحيى ببسهفنة ويحيى بن أبي الخير، وكان سخيّ النفس حسن الأخلاق مؤالفاً للأصحاب، عالي الهمة باذلاً لجاهه وماله في منافع الإسلام، استوهب خراج أراضي الفقهاء في الأجناد خاصة ثم سئل التخفيف في ذلك من الأراضي التي حول المدينة فجعل ذلك حيث يسمع الأذان، وببركته استمر ذلك إلى عصرنا وكان من فضلاء الإسلام وأعيان الأنام، له مختصر في النحو يعرف بالمفتاح من الكتب المفيدة لأهل اليمن.

قال عمارة في مفيده كان القاضي أبو بكر الجندي مجيداً، وله بديهة لا فضل في الروية عليها أدركته خصيصاً بملكي اليمن المنصور بن المفضل والداعي محمد بن سبأ[4] وغالب ديوانه في مدحهما ولا سيما منصور، وكان حسن التأتّي في المقاصد سهلها جمّاعاً لجواهر الفنون خطيباً مصقعاً كامل الفضيلة، وكان يرتجل الخطبة من ساعته متى أرادها وديوانه مجلدان معتدلان وشعره حسن رائق يحتوي على جد القول وهزله والرقيق الجزل، وكان نزهاً عن الحسد الذي يبتلى به أكثر مخالطي

---

(١) القاضي التستري يأتي ذكره للمؤلف.
(٢) مفيد عمارة ص١٨٨، ٢٩٥.
(٣) كذا في الأصلين ولا أعرف عن النعماني شيئاً ولعله العثماني فله ترجمة عند عمارة ص٢٧٨.
(٤) تأتي ترجمتهما.

الملوك من الوزراء والرؤساء كما هو مشاهد لا يكادون يحبون أن يجري على أيديهم شيءٌ من الخير إلا النادر وهو لا حكم له، وربما أن الملوك متى عملت خيراً سعوا في فساده وتغييره لا سيما إن عملوه بغير سعايتهم وإشارتهم[1] وربما حملهم ذلك على أمور نعوذ بالله منها وليس هذا موضع ذكر ما كان.

وكان أمره عجيباً في عمره يأتي ذكر اللائق من ذلك، وولي القضاء في الجند أيام المفضل ثم صار قاضي القضاة من الجند إلى صنعاء، ثم لما صارت البلاد لمحمد بن سبأ بالابتياع لها أبقاه وضم إليه الجؤة وعدن وأبين ولحج ونواحيها، فصار قاضي قضاة فيها أجمع فنزل عدن وحكم بها وعاد الجند واستخلف ولده، ولما قدم القاضي الرشيد بن الزبير من خلفاء مصر رسولاً إلى محمد بن سبأ واجتمع به هذا أبو بكر ومازحه وأنس به وأحسن إلى الرشيد إحساناً تقر به العيون وينبيء عليه المكنون، بحيث أن الرشيد لما عاد إلى مصر وسئل عمن باليمن من الفضلاء قال: بها جماعة سيدهم أبو بكر اليافعي وقاه الله ورعاه، وكان يخالط الملوك ويكثر مجالستهم ومدحهم، وبلغه أن جماعة عابوه على قول الشعر وقالوا: ليس ذلك لائقاً بذي الفقه فقال في معنى ذلك:

كم حاسد لي في الأنام وغابط ... على منطقي إذ كان منطقه رخوا
يعيّرني بالشعر قومٌ وبعضهم ... يوّبخني والكل يخبط في عشوى
أرادوا به عيبي وهل هو ناقص ... إذا ما جمعت الفقهَ والشعر والنحوى
وأصبحت في علم العروض مجوداً ... وقدِّم قولي في الحكومة والفتوى
وما كنت مدّاحاً لنفسي وإنما ... لأجعل أكباد العدى بالغضا تكوى

ومن منثور كلامه في خطبة الديوان[2]:

«ولا يظن ظانّ أن ذلك جهدي، وكل ما عندي بل هناك هممٌ تسمو إلى أرفع من الشعر رتبة، ومذاكرة بعلم هو أقدم منه محبة، وأمور نيطت في عراها ورسخت لا يرام قواها وهذه صناعة لها من أفكاري الفضلات ومن أوقاتي الغفلات، فإليّ منهما كإلّ السقب من بازل النعام[3] وحظّها مني كحظّ الموافق من طيف المنام:

(١) قوله وإشارتهم من «ب» وفي «د» كلمة لم تظهر.
(٢) في خطبة ديون اليافعي.
(٣) الأول بكسر الهمزة وتشديد اللام من معانيه: الأصل قال يزيد بن زياد بن مفرغ الحميري:
واشهد أن إلّك من زياد ... كألّ العير من ولد الأتان =

ولــولا مــا . . تكلفّنــا الليــالي ... لــطال القــول واتســع الــرويُّ
ولـكـن الــقــريض لــه مـعــانٍ ... وأولادهــا بــه الــذكــر الـجلي

ثم لما كان معظم شعره في مدح منصور بن المفضل الوليدي قال يخاطبه:

ولــو إن للشكـر شخصــاً يُـرى ... إذا مــا تــأمــله الــنــاظــر
لــمـثـلـتُ ذلـك حـتـى تـراه ... فـتـعـلـم أنـي آمـرؤ شــاكـر

ولما توفيت السيدة وصار التعكر وحب والأجناد وصبر وبلاد الحصون إلى منصور بن المفضل كان دار ملكه جبلة وله محبة بهذا القاضي سأله أن ينتقل من الجند إليه لكونه قاضي قضاة بلاده ولم يقبل منه عذراً في ذلك، وجبلة إذ ذاك إنما يسكنها الرافضة وأهل السنة قليل لا يكادون يعرفون إنما يجتمعون إلى المسجد الذي يعرف بمسجد السنة[1] ولا يعرف بها أحد من أعيان الفقهاء وأهل السنة، ومتى سكنها ساكن منهم عيب عليه الفقهاء وغيرهم من أهل السنة وعابوه، وربما نسبوه إلى الخروج عن المذهب وإنما كان ذلك لأن بانيها عبدالله بن محمد الصليحي أخا علي بن محمد والمقتول معه في المهجم على ما سيأتي، فلم يكد يسكن معه غير أهل مذهبه في الغالب وإنما سكن أهل السنة بها في أيام الغزّ[2] وليس ذكر ذلك والإيغال في بيانه من ملازم الكتاب. فذكروا أن القاضي أبا بكر لمَّا انتقل عن الجند موافقاً للسلطان وأقام معه بجبلة، كتب الفقيه أبو الفتوح بن عبدالحميد الفائشي شعراً يعتبه على ذلك:

لـم تـأت يـا هـذا بـأن تنهضـا ... في النجد أو في الغور أو في الأضا
حـللت فـي ذي جـبـلة قـاضـيـاً ... فـبئسـهـا أرضـاً وبئس الـقـضـا
تـؤمُّ بـالـطائـفـة الـملحـديـن ... من بعـد مـا كنت إمـام الـرضـا
بـالـجنـد الـغـراء إماماً بحـمـد ... الله بـل صـارمـهـا الـمـنـتـضـا
سـميُّـك الـصـدِّيق فـي صـدقـه ... أثـنـى عـلـيـه الله والـمـرتـضـا
لـلشـافـعي قـولان يـا يـافـعي ... فـقـولـه الآخـر لـن يـنـقـضـا
وأنـت ذو فـعـلـين فـيـمـا تـرى ... وفـعـلك الآخـر قـد أمـرضـا
إيهـاً فـرخِّص عـرضـك المنتقى ... مـن دنس أضحى لـه محـرضـا

= والسقب ولد الناقة والبازل: من الإبل ما بلغ تاسع سنه، والبازل السن تطلع في وقت البزول والنعام حيوان معروف.

(١) مسجد السنة لا يزال عامراً.

(٢) الغز هم الدولة الأيوبية الآتي ذكرها.

وأظهـر التـوبـة تـطمس بـهـا ... مـا قـبض الـقـلب ومـا غـيّـضـا

فأجابه القاضي بأبيات (وقال)[1] فيها:

أهـديت نصـحـاً يـا أخـا فـائش ... ونصحـك المقبـول والمـرتضـا[2]
وليس عن قـولـك يـا أبـا الفتـوح ... حـراجاً أخـرج عنه أو أرى معـرضا[3]
تـأتـيـك أبيـاتي بـمـا ينبـغي ... مني وتـأسـو قلبـك الممـرضـا
وأنـثـنـي عـن مـا تـكـرّهـتـه ... إن شـاء ربـي ذاك أو قـيّـضـا
لـست مـصـرّاً مثـل غـيـري ولا ... أعـود إلّا مـصـلحـاً مـا مـضى
هـذا اعـتـقـادي وبـذا نـيّـتـي ... لا بـد لـلمـكـروه أن يُـرفـضـا
تـحـيـة زارتـك مـنـي ولا ... عـدمت نصحـاً منـك لي أبيضـا

ثم لما لبث أياماً واعتذر إلى منصور في سكنى جبلة ثم تقدم الجند فلم يزل بها وهو يتردد إلى منصور، ولما دخل عدن أيام محمد بن سبأ على القضاء كما قدمنا أخذ عنه جماعة:

منهم القـاضي أحمد بن عبـدالله القريـظي، أخذ عنـه المقامـات للحـريـري، والموطأ، ومن محاسن شعره ما قاله وقد فارق أصحاباً له بقرية (يفرس) من نواحي بلد جبا، وضبطها: بفتح اليـاء المثناة من تحت وسكـون الفاء وضم الـراء وسكون السين المهملة[4] وجبا بفتح الجيم والباء الموحـدة ثم ألف[5] بلد كبير خـرج منها جمـاعة من الفقهاء وهي أكبر بلاد اليمن فقهاء ومتفقهين منهم من يـأتي إن شاء الله ذكـر المتحقق منهم:

أسـتـودع الله الـذي ودّعـا ... ونـحن لـلفـرقـة نبـكـي مـعـا
أسبـل مـن أجـفـانـه أدمـعـا ... لـمـا رآنـي مـسـبـلاً أدمـعـا
وقـال لـي عـنـد وداعـي لـه ... مـا أعْـظم البيـن ومـا أوجعـا

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «د».

(٢) قبل هذا البيت بيت في «ب» هو:

وقـد عـرضـت الـنـصـح لـكـنـنـي ... فـي هـذه أنـذر مـن أعـرضـا

(٣) كان في الأصلين تخليط وغير مفهوم فأصلحنا هذا.

(٤) يفرس كما ضبـطها المؤلف بلدة عـامرة في ذخـر جبل حبشي، وبها قبر الـولي العارف أحمـد بن علوان الحميري، وبها مسجد جامع وقباب، وكان بها حمـام وماؤهـا حلو يجيء من مسافـة وهي مركـز أعمال الجبل المذكور.

(٥) جبا: كما ضبطها المؤلف وهي في فجوة جبل الغربي من صبر، انظر «صفة جزيرة العرب» ص٨٨.

ما أنت بعدي بالنوى صانعٌ فقلت لا أقدر أن أصنعا
ما يصنعُ الصبّ المعنّى إذا فارق إلفاً غير أن يجزعا
فارقتُكم يا ساكني يفرس ورحت والقلب بكم مولعا
ناديت صبري يوم فارقتكم أجدّ للبين وقد أزمعا
يا صبر عُد يا صبر عُدْ قال لا لبيك لا لبيك يا من دعا
والله لا أرجع يا غادراً في السير بالأحباب أو ترجعا[1]
ولي فؤاد منذ فارقتكم يُمْسي كئيباً مولعاً موجعا
ونفس صبّ شهدت أنه ما نقض العهد ولا ضيّعا
ومقلة مهما تذكرتُكم تذرف دمعاً أربعاً أربعا
وليس لي من حيلة كلما لجّت بي الأشواق إلا الدّعا
أسأل مَنْ ألّف ما بيننا وقدر الفرقة أن يجمعا

ومن أَحْسن ما أورده في ديوانه مدحاً لمنصور بن المفضل وذكره إياه وأنه الجار لغيل الجند من خنوة بالخاء المعجمة مخفوضة ونون ساكنة ثم واو مفتوحة ثم هاء ساكنة[2] وهو غيل عجيب خصوصاً طريقه، فإنه جعلها وسط الجبال، وقد بيّن ذلك القاضي في شعره، ولم أعْرف أنَّ المفضل هو الجار له إلا من شعر هذا القاضي، وقال من قصيدة في مدحه فيها:

كثّرت يا ابن مفضل حسادي بصنائع أسديتها وأيادي
وأنلتَني بنداك أسباب الغنى فبلغتُ أوطاري ونلتُ مرادي
وفعلتَ لي ما ليس يفعله الأب الحا ني على الأولاد للأولاد
في كل يوم خلعة مشهورة كالروض تسخن أعين الأضداد
ومواهب عدد النجوم فلو درت زُهر النجوم لَكُنّ من حسّادي
وأحب عندي من عطائك ما بدا لي في ضميرك من صحيح وداد
فرضاك والودّ الذي تبديه لي خير من الإعطاء والإرفاد
حسبي رضاك أعيش في الدنيا به فرضاك عندي من أجلّ عَتَادي
فلأشكرنَّ على الذي أوليتني شكر الرياض لمستهلّ عهاد

---

(١) كذا في «د» وفي «ب» يا غادرٌ ناديت في القرب أن ترجعا.

(٢) خنوة: كما ضبطها المؤلف غير آخره وهي معروفة مشهورة وهي وادٍ من قراه القاعدة من الشرق ومن أعمال ذي السفال وأعلاها على المحجة طريق السيارات.

وأَصَحّ شكر ما بدا من شاكر في ربه إثر الصنيعة بادي

ومنها:

فهو الجواد ابن الجواد وهل تَرى ولد الجواد يكون غير جواد
وأبوه شاد المكرماتِ فأصبحت أعلامُها في الناس كالأطواد
وأقَلّ مكرمة له وفضيلة إجراؤه للغيل في الأجناد
شقّ الجبالَ الشامخاتِ فأصبحت وكأنما كانت ثعابَ وهاد
فاليوم أصبح ماءُ خنوة وهي في الجند العزيزة منهلَ الورّاد
فخرُ المفضل في المفاخر كلها بمثابة الأرواح في الأجساد

وفي قوله شق الجبال الشامخات دليل على أن طريقه مما لا يتخيل الذهن أنها من أعمال الآدميين فلقد أحسن المفضل وأبقى له في المفاخر فخراً وفي الحسنات ذكراً، ثم كان القاضي له مكارم وحميّة على أبناء جنسه ومن صحبه، يقوم بحوائج من قصده، وكان ذا حمية وعصبية للمذهب طريقته تشبه طريقة القاضي يحيى بن أكثم المشهور الذي يأتي ذكره، لكن صاحبنا هذا يزيد عليه بإتقان الأدب واشتهاره به واتساعه بفنونه، وابن أكثم يشهر بالفقه لا غير، ومن شعره أيضاً ما قاله يتوسل به إلى الله بأسمائه وسور القرآن سورة سورة من أوله إلى خاتمته وذكر في أولها معاني حسنة وما قرأها ذو كرب إلّا فرج الله عنه وهي هذه:

لك الشكر يا من جلّ عن غاية الشكر ولو أنه أربى على الرمل والقطر
لك الشكر يا باري البرية كلها ورازقها الأرزاق من حيث لا تدري
لك الشكر والحمد الذي أنت أهله مليّاً على الحالين في العسر واليسر
فيا خالقاً سبعاً طباقاً ومثلها من الأرض والماء المعين من الصخر
تكفّلتَ بالأرزاق للطير في الهوا وللوحش في برّ وللحوت في البحر
وميرتهم شتّى: فهذا مُقتَّرٌ عليه وهذا في مكاسبه مثري
وقدّرتَ آجال العباد فكلُّهم إلى غاية لا علم فيها له يجري
وأسعدتَ من أسْعدت[1] بالخير والهدى وأشقيتَ من أشقيتَ في الغيب بالكفر
وكنتَ عليماً بالغيوب وما به توسوسُه نفس الموسوس في الصدر
إلّهي قسا قلبي وضاقت مذاهبي وأوْبقني جهلي وأثقلني وزري

(١) في «ب» بالغيب والهدى ولا معنى لذلك.

وأصبحتُ ذا غمّ خلا منه ما خلا ... مضاعاً ومالي بالمؤخّر من خيري
مضى ما مضى عني ولا علم لي به ... فإن فاتني الباقي فيا ضيعةَ العمر
زماني في سهوٍ ولهوٍ وغفلة ... ومن خلفِ ظهري هولُ قاصمةِ الظهر
فإبليس والدنيا ونفسي والهوى ... فكيف احتيالي والتخلّصُ من أمري؟
وكيف أَلذّ العيش والموت طالبي ... ولا بدّ بعد الموت من ضمّة القبر
ولا بدّ من يوم الحساب وهولِه ... ويا ليت شعري ما جوابي وما عذري
إذا قيل لِي اقرأ كتابك والذي ... كدحت فقد أوتيتَهُ بيّن السطر
وقد كُتبتْ فيه ذنوبي وأحصيت ... عليّ فمن سرّ خفيّ ومن جهر
وقد قامت الأشهاد تشهد والورى ... حفاة عراة شاخصون لدى الحشر
وقد حارب الفضل المفضّل في القضا ... واذْعِرَت[1] الأرواح فيه أيّما ذعرْ
وكلٌّ به من شدة الخوف سكرة ... ومن هول ما قاسى وليس بذي سُكر
وقد فاز من أعطى وأحسن واتّقى ... وصدّق بالحسنى ويسّر لليسر
إلَهي أَسير الذنب يدعوك خائفاً ... من الذّنْب فامنن بالفكاك من الأَسر
بحقّك يا من لا تخيب آملاً ... ويا عالماً سرّي ويا كاشفاً ضرّي
أَجب دعوتي واغفر خطايا فإنني ... مقرٌّ بما قدمت من فاحش النكر
وهب لي ذنوبي واعف من قبح زلّتي ... ولا تكشفن حالي ولا تهتكن سِتْري
بعروتك الوثقى وأسمائك التي ... تعلّمها موسى الكليم من الخضر
بفاتحة القرآن والسورة التي ... تليها وما فيها من النهي والأمر
بآية كرسيٍّ وعزّة قدرها ... ومعظم ما أنزلت في محكم الذكر
وما قلتَه في آل عمران والنسا ... وتنزيه عيسى عن مقال ذوي الكفر
ومائدةً نزلتها حجّةً له ... فقابل ما أولاه مولاه بالشكر
بسورة أنعام وأعرافها وما ... أبحت من الأنفال للطاهر الطهر
وبالمجتبى والمصطفى في براءة[2] ... من الله وهو البر ذو اللطف والبر
ويونس ذي البلوى وهود ويوسف ... ورعد وإبراهيم والنحل والحجر
وسبحان من أسرى وكهف ومريم ... وطه وفضل الأنبياء وهم ذخري
وبالحج والأفلاح ألتمس الرضى ... ونور وفرقان وفلقك للبحر

---

(١) في «ب» اذعرت الأرواح فيه أيما ذعر وفي «د» أيما عذر.
(٢) في «ب» وبالمصطفى المختار ثم براءة.

وجامعة والنمل والقصص الذي قصصت وما في العنكبوت من الزجر
وروم ولقمان وبالجُرز الذي تضاعف أجراً لحاملها على الأجر
بسورة أحزابٍ وذكر محمدٍ وما كان من نصر الوصيّ على عمرو
وذات سباء والحمد لله فاطر السماوات (م) سبحان القدير على الفطر
ويس والصافات صفّاً وزجرها وقعتكها بالتاليات وبالذكر
وص وتنزيل الكتاب وغافر تبارك من يهفو ويعفو على الوزر
وسجدة حمٍ وحرمة فضلها وحم عسق فخر إلى فخر
وزخرف والدخان هذا وهذه وجاثية في موقف ضيّق وعر
بسورة أحقاف وفضل محمد وبشراه بالغفران والفتح والنصر
إلى حجرات ثم قاف وفضلها وبالذاريات الجاريات وما تذري
وبالطور أدعو الله والنجم علّهُ يسدّد من أمري ويشدد لي أزري[1]
وباقتربت أدعو القريب من الدعا تعالى وبالرحمٰن والصمد الوتر
وواقعة ثم الحديد وسورة الجدال وما تتلوه من سورة الحشر
شفيعي إلى الرب الودود مودة وصفّ كبنيان لدى الكرّ والفرّ
وبالجمعة الزهراء وبالسورة التي يكذب بها أهل النفاق ذوو الغدر
وأدعوك ربي بالتغابن راغباً وما في طلاق من حلال ومن حظر
وما قلت في فضل المحرم أنه لأفضل من نجو السما وبه يسري
وملك ونون ثم بالحاقة التي تحيق بأهل الكفر والنكر والمكر
وتبيان ما بينت في سأل سائل ونوح وقل أوحي والمزمل والدثر
وسورة لا أقسم وسورة هل أتى صدقت على الإنسان حين من الدهر
وبالمرسلات العاصفات وشأنها وبالنبأ المقروء في البدو والحضر
وبالنازعات الناشطات ونشطها إلى عبس ثم التكور والكدر
وبانفطرت والانشقاق وذكر ما مقتَ من التطفيف والكيل والخسر
وفضل السَّما ذات البروج وطارق وسبح علّامَ السرائر والجهر
بغاشية يا ربّ يا ربّ نجّني وأسمائك الحسنى ونورك والفجر
وبالبلد المحجوج والشمس والضحى وليل إذا يغشى وليل إذا يسري
وبالقسم المكنون في سورة الضحى وشرحك من خير النبيين للصدر

---

(١) في «د» يسدد من أمري ويشدد لي أزري وكذا في «ب».

وبـالتين واقـرأ بـاسم ربـك الـذي | شـرحت ومـا أنـزلت في ليلة القـدر
وفي لم يكن سـرّ خـفي وزلـزلـت | لمن هـو ذو لبٍ لبيب وذو حجـر[1]
وبـالعـاديـات المـوريـات وضبحهـا | وقـارعـة ثم التكـاثـر والعـصـر
بسـورة همّازٍ وبـالفيـل بعـدهـا | لإيـلاف فـيهـا وفـر إلى الـوفـر
ومقـتُـك دع الـيـتـيـم وخـاب من | يـدع يتيمـاً خـاب ذو الـدعِّ والقهـر
وتشـريفـك المختـار منـك بكـوثـر | وأشـرف من يقرأ لـديك ومن يقـري
وسـورة قـل يـا أيُّهـا ثم بعـدهـا | إذا جاء نصر الله فـاشكر لـذي النصر
بتبّت والإخـلاص أخلص سـريـرتي | بتـوحيـد ربٍ واحـد صمـدٍ وتـر
وبـالفلق المحفـوظ يـا ربِّ نجّني | من السحـر والنفاث فيعـقـد السحر
وبالناس رب النـاس حظّي من البلى | ومن شر وسواس يوسوس في الصدر
وكن بي حفيـاً يـوم تقضي منيتـي | رؤوْفـاً رحيمـاً في القيـامـة والحشـر
ولا تحـرقن بالنـار جسمي فليس لي | على القبـر صبـر لا ولا أيسـر الحـرّ
بفضلك يـا ذا الجود جُـدْ لي بنعمـة | بفضلك يا ذا الفضل أفضل على فقري
تعـاليتَ يـا من لا يحيطُ بـوصفِـهِ | صفاتُ أخي وصف ولا شعر ذي شعر
تعـاليت يـا من ليس يحصى ثنـاؤه | غلطت ولا عشر العشير من العشـر[2]
تبـاركت يـا من جـل قـدر جـلالـه | وعـظم آيـاتـه عن النـظم والنثـر[3]
لـك العـزّ والنعمـاء والقـدرة التي | يقصـر عن إدراكهـا فكـر ذي فكـر

تمت القصيدة وهي مباركة ولذلك استوعبتها وعددها ثلاثة وثمانون بيتاً قلّ من[4] قرأها راغب أو راهب إلاّ حصل له مقصوده وكانت وفاة قائلها بمدينة الجند مبطوناً وقـد عد ﷺ المبطون شهيداً، وذلك لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة. ولما نعي إلى الإمام يحيى وهو بذي أشرق استرجع ثم قال ماتت المروءة الآن، ثم نزل الجند وحضر قبرانه في جمع كثير من أصحابه.

وقد عرض مع ذكره جماعة من الأعيان منهم يحيى بن أكثم والرشيد بن الزبير

---

(١) الحجر العقل.

(٢) كذا في «د» وفي «ب».

تعـاليت يـا من لا يحيط بـوصفـه | صفـات أخي وصف ولا شعـر ذي شعـر

(٣) كذا في «د» وفي «ب».

تبـاركت يـا من جـل فينـا جـلالـه | وعـظم آيـاتـه عـن النـظم والنـثـر

(٤) في «د» قل ما قرأها وهو غلط.

فأبْدَأ بيحيى لكونه من أعيان الناس علماً وعملاً، ولتقدّم زمانه وسلامته من البدعة. قال ابن خلكان في حقه هو أبو محمد يحيى بن أكثم بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الثاء المثلثة وبعدها ميم بن محمد بن قطن بن سمعان بن مشينج التميمي[1] الأسيدي المروزي من ولد أكثم بن صيفي التميمي حكيم العرب[2] والأسيدي المروزي بضم الهمزة وفتح السين المهملة وخفض الياء المثناة من تحت وتشديدها ثم دال مهملة ثم ياء نسبة إلى بطن من تميم وكان سني المذهب سليماً من البدعة، وكان أحد أعلام الدنيا، سمع من ابن المبارك وابن عيينة وغيرهما، وربما قد ذكرت قصته مع ابن عيينة حين ذكرته، وكان ممن اشتهر أمره وعرف خيره ولم يستتر عن الصغير والكبير من الناس فضله وعلمه ورئاسته وسياسته لأمره وأمر أهل زمانه من الخلفاء والملوك، واسع العلم بالفقه كثير الأدب، حسن العارضة، قائم بكل معضلة غلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً وقلّده قضاء القضاة وتدابير المملكة، وكان أول ولاية تولاها البصرة سنة اثنتين ومئتين بعد إسماعيل بن حماد بن الإمام أبي حنيفة، وكان يقول من قال إن القرآن مخلوق استتيب فإن تاب وإلاّ ضربت عنقه. ويقال كان ليحيى هذا يوم في الإسلام ولم يكن لأحد مثله والعجب كيف أسقط الشيخ أبو إسحاق ذكره من طبقاته، وكانت كتبه في الفقه أجل كتب تركها الناس لطولها، وله كتب في الأصول كتاب أورده عن العراقيين سمّاه «التنبيه» وجرى بينه وبين داود بن علي الظاهري مناظرات كثيرة، وكان من أدهى الناس وأخبرهم بالأمور سأله رجلٌ وهو على القضاء فقال: أصلح الله القاضي، كم آكل، فقال: فوق الجوع ودون الشبع، فقال: فكم أضحك فقال: حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك، قال: فكم أبكي، قال لا تملّ البكاء من خشية الله، قال: فكم أخفي عملي، قال: ما استطعتَ، قال: فكم أظهرُ منه، قال: ما يقتدي بك البرّ الخيِّر ويؤمن عليك قول الناس، فقال: سبحان الله: قول قاطن وعملٍ ظاعن. وأما يومه الذي يُعدّ له وأنه لم يكن لأحد مثله فذكروا أن المأمون أَمَرَ منادياً ينادي بحلِّ نكاحِ المتعة[3] فشق ذلك عليه فقال لمحمد بن

---

(١) قطن بالتحريك وسمعان: بفتح السين المهملة وسكون الميم آخره نون ومشينج: بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفتح النون المشددة وفي آخره جيم.

(٢) أكثم بن صيفي: بفتح الهمزة وسكون الكاف وفتح الثاء المثلثة وبعدها ميم، وهو الرجل العظيم وأكثم بن صيفي من حكماء العرب جاهلي لم يدرك الإسلام وله حكايات وكلمات مأثورة مبثوثة في كتب الأدب.

(٣) قال الحافظ الأمير في شرح سبل السلام ج٣ ص١٧٠، عند شرحه لحديث سلمة بن الأكوع رضي الله =

منصور ولأبي العينا إذا كان الغد فبكـرا إليه، يعنى المـأمون، فـإن رأيتما للقـول وجهاً فقولا، وإلا فاسكتا، إلى أن أدخل، قال: فدخلنا على المأمون فوجدناه يستاك ويقول وهو مغتاظ: مُتْعَتَان كانتـا على عهد رسـول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكـر رضي الله عنه وأنا أنهى عنهما ومن أنت يا جُعَلُ حتى[1] تنهى عن مـا فعله رسول الله ﷺ وعلى عهـد أبي بكر رضي الله عنه؟ فأومأ أبو العينا إلى محمد بن منصـور رجل يقـول في عمر مـا يقول نكلّمه نحن وأمسكنا، إذ بيحيى بن أكثم فجلس وجلسنا فقال المـأمون لـه مالي أراك متغيراً، قال: لمَا حدث في الإسلام، قال: وما هو؟، قال: تحلّ الزنا[2]، قـال: الزنا، قال: نعم قال: وكيف ذلـك؟ فقال: سمعت منـاديك ينـادي بحلّ المتعـة وهي زنا، قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتـاب الله عز وجـل وحديث رسـول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قـد أفلح المؤمنون﴾ ثم تـلا إلى حافـظون ثم إلى العادون[3] يـا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين قال لا، قال فهي الزوجة التي عنـد الله ترث وتـورث ويلحق الولد ولها شرائطها، قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذين من العـادّين وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبـدالله والحسن ابني محمد بن الحنفيـة عن أبيهما عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال أمـرني رسول الله ﷺ أن أُنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها، قال فالتفت المأمون إلينا وقال أمحفوظ هـذا من حديث الزهري[4] قلنا: نعم يا أمير المؤمنين رواه جماعة منهم مالك، فقال المأمـون: أستغفر الله، بادروا بتحريم المتعة، فبادروا إلى ذلك ولم يكن لـه شيءٍ يطعن بـه عليه غير أنه كان لا يرى بـأُساً بخلطة المـأمون، وكـان ابن حنبل يجله ويُؤثم من يقـول فيه

عنه قال: رخص رسول الله ﷺ عام أوطاس في المتعة ثـلاثة أيـام ثم نهى عنها، اعلم أن حقيقـة المتعة كمـا في كتب الإماميـة هي النكاح المؤقت بـأمد أو مجهـول، وغايتـه إلى خمسة وأربعين يـوماً ويـرتفع النكـاح بانقضـاء المؤقت في المنقطعـة الحيض، وبحيضتين في الحـائض وبـأربعـة أشهـر وعشـرة في المتـوفى عنها، وحكمـه أن لا يثبت لها مهرٌ غير المشـروط ولا تثبت لهـا نفقـة ولا تـورّث ولا عـدة إلاّ الاستبراء بما ذكر، ولا يثبت به نسب إلاّ أن يشتـرط، وتحكم المصاهـرة بسبب، هذا كلام الإماميـة أما جمهور السلف والخلف فإنهم لا يقولون بالمتعة وأنه قد ذكـر نسخها في ستـة مواضـع آخرهـا في حجة الوداع وأنّها حرام كالزنا، انظر ذلك في الشرح المذكور وغيره.

(١) الجُعَل: بضمّ الجيم وفتح العين المهملة آخره لام دويبة سوداء تأكل العذرة وتدحرجها، وهي ما يسمى في العامة: الفساسة والخنفسا.

(٢) في «ب» تحليل الزنا.

(٣) أول سورة المؤمنون.

(٤) كذا في «ب» وفي «د» أمحفوظ هذا عن الزهري؟

شيئاً قبيحاً، وينكر ذلك إنكاراً شديداً ولم أتحقق تاريخه[1] ولعلي أبحث عنه في مظانه إن شاء الله، مع أنه يدرك من كونه موجوداً في زمن المأمون. ومن أحسن ما يذكر من بديهته وسرعة إجابته بالجواب أنه لما أراد المأمون أن يوليه قضاء البصرة استحضره ثم سأله عن هالك خلف ابنتين وأبوين ثم هلكت إحدى الابنتين وخلفت زوجاً وهؤلاء الورثة، فقال تبين أمير المؤمنين من الميت في الأولى فعلم المأمون أنه أصاب وهذه مسألة يسمّيها الفرضيون بالمأمونية[2] ولما دخل البصرة اجتمع إليه فقهاؤها وهو إذ ذاك ابن ثماني عشرة سنة فقالوا ما سنّ القاضي يريدون استصغاره، فقال سن عتّاب بن أسيد[3] يوم ولّاه النبي ﷺ مكة ففهموا. وأمّا الرشيد فهو أبو الحسين أحمد ابن علي بن القاضي الرشيد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحسن بن الزبير الغساني الأسواني بلداً نسبة إلى بلد بصعيد مصر يقال لها أسوان، بضم الهمزة وسكون السين المهملة وفتح الواو ثم ألف ثم نون، وقيل بفتح الهمزة وليس بشيء. قال ابن خلكان[4] في حقه: كان من أكابر الفضلاء وذوي الفضل والنباهة والرئاسة، صنّف كتاب «الجنان ورياض الأذهان» وذكر فيه جماعة من مشاهير الفضلاء، وله ديوان شعر، وكان مجيداً في نثره ونظمه منه ما أورده ابن خلكان، وقال هو معنى لطيف غريب:

وترى المجرة في السماء كأنها ... تسقي الرياض بجدول ملآن

لو لم تكن نهراً لما عامت بها ... أبداً نجوم الحوت والسرطان

---

(١) وفاته سنة اثنتين وأربعين ومئتين من الهجرة. والعجب من الجندي حيث قال: لم أتحقق تاريخه، والحال أنها في تاريخ ابن خلكان الذي انتزع ترجمة القاضي يحيى منه إلا أنه لما طالت ترجمته لم يكلف نفسه لمتابعة ذلك، وهذا من ضعف الإنسان فسبحان المتفرّد بالكمال.

(٢) نسبة إلى الخليفة المأمون لأن يحيى بن أكثم أول ما دخل على المأمون أراد أن يعرف علمه فطرح عليه هذه المسألة فقال يحيى بن أكثم الميت ذكر أو أنثى فتبين للمأمون فقهه وعلمه. وفي رواية ابن خلكان أن المأمون أراد أن يولي رجلاً على القضاء فوصف له يحيى بن أكثم فاستحضره فلما دخل عليه وكان دميم الخلق فاستحقره المأمون فقال يا أمير المؤمنين سلني إن كان القصد علمي لا خَلْقي فسأله عن هذه المسألة قال: الميت رجل أو امرأة، فعرف المأمون أنه قد عرف المسألة، وهذه المسألة إن كان الميت رجلاً تصح المسألة من أربعة وخمسين وإن كانت امرأة لم يرث الجد في هذه المسألة الثانية لأنه أبو أم فتصبح المسألتان من ثمانية عشر سهماً.

(٣) عتاب بن أسيد بالتاء المثناة من بعد عين مهملة آخره نون، وأسيد: بفتح الهمزة وكسر السين المهملة ثم ياء مثناة من تحت ثم دال بن العاص بن أمية بن عبدشمس القرشي أسلم عام الفتح وولاه النبي ﷺ مكة وهو ابن نيف وعشرين سنة وتوفي يوم مات أبو بكر الصديق.

(٤) عبارة ابن خلكان ج١ ص١٤٤ القاضي أبو الرشيد أبو الحسين أحمد بن القاضي الرشيد أبي الحسن علي بن القاضي الرشيد أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحسن بن الزبير الغساني الأسواني.

وله من قصيدة:

وما لي إلى ماء سوى النيل غلّة ... ولو أنه استغفر الله زمزم

قال ابن سمرة: لما قدم اليمن استفاد عليه جماعة من أصحابنا، وكان عالماً بفنون شتى، قال: ويقال إن المقامة الحصيبية له وهي تدل على فضل واسع، قال ابن خلكان ذكره الحافظ أبو الطاهر رحمه الله في بعض تعاليقه، وقال ولي النظر بثغر الإسكندرية[1] بغير اختياره سنة تسع وخمسمائة وقتل ظلماً وعدواناً في المحرم سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

ثم نرجع إلى ذكر علماء اليمن فمن أهل الطبقة أبو الحسن أحمد بن الفقيه محمد بن عبدالله بن سلمة بن يوسف بن إسماعيل البريهي ثم السكسكي ثم الكندي المعروف بين فقهاء اليمن المعتبرين سيف السنة، أثنى عليه ابن سمرة ثناء مرضياً وقال عند ذكره ومنهم الإمام الأوحد سيف السنة زين الحنبلية أحمد بن محمد، سكن إبّاً وأفضت إليه الرئاسة فيها، جمع بين الزهد والورع والفقه والحديث، تفقّه بجماعة كثيرين، غير ابن سمرة قد عدّه في أصحاب الشيخ يحيى بن أبي الخير، ولم يكن بعد الشيخ للفقهاء صدرٌ غيره، إليه يرجعون وعليه في النوازل يعولون، قصده الطلبة من مواضع شتى وانتفعوا به، وكان عارفاً مع الفقه والحديث بالنحو واللغة والأصولين، وله كتب عدة في الأصول يردّ بها على المعتزلة والأشعرية، وكان كبير القدر شهير الذكر صاحب كرامات عديدة وكُتب مفيدة، من أحسن الفقهاء ضبطاً للكتب وتحقيقاً لها، وهو ممن أخذ عن الإمام زيد اليفاعي وعن الشيخ يحيى أيضاً وأخذ عن الحافظ العرشاني البخاري كما قدمنا ذلك مع ذكره، ولما كان في بعض الأيام دخل رجل من المحدِّثين الجند وأنا إذ ذاك صغير فاجتمع إليه فقهاؤها وسألوه أن يسمعهم صحيح مسلم فقال لا نسخة معي فقيل له هنا نسخة جيدة فطلبها وتصفّحها وأذن لهم بالقراءة فكانوا إذا مرّوا على شيء قد سمعه بخلاف ما هو مضبوط بالنسخة وأرادوا إصلاح ما في النسخة عن سماعه قال لا تفعلوا، فقد بلغني أن ضابط هذه النسخة كان إماماً كبيراً ولم يضبط إلا عن أمر تحقّقه، وكانت هذه النسخة نسخة هذا الإمام سيف السنة وهي إلى الآن موجودة بالجند بيد بعض ذريته من جملة كتبه التي وقفها، وذلك أنه

---

(١) أبو طاهر هو الحافظ أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفة: بكسر السين المهملة وفتح اللام وفاء اخره هاء، ترجمته في ابن خلكان ج١ ص٨٧، وفاته بالاسكندرية سنة ست وسبعين وخمسمائة، والاسكندرية معروفة مشهورة عروس البحر الأبيض وميناء مصر الكبيرة.

وقف كتباً عديدة على الطلبة من خطه وضبطه يكتب على كل كتاب منها:

هـذا الكتـاب لـوجـه الله مـوقـوف منـا إلى الـطالب السنّيّ مصـروف
مـا لـلأشـاعـرة الضـلال في حسبي حق ولا للذي في الـزيـغ معـروف[1]

وبيتاً آخر تركته من يتوق[2] إليه نظره فيها وحج سنة ثمانين وخمسمائة فقرأ كتاب مسلم على الشيخ أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن الحسين بن علي الهروي إمام الحنابلة بالحرم فقال في كتب السماع من اللفظ ما مثاله: سمع عليّ الشيخ الإمام السيد الفقيه الزاهد العابد سيف السنة أبو العباس أحمد بن محمد، وأرّخ ذلك أنه كان سنة إحدى وثمانين في شهر المحرم، ووجدت بالكتاب أيضاً ما مثاله إجازة من الشيخ عبدالله بن عمر بن أحمد بن الحسين بن إبراهيم الوراق، فقال فيها أيضاً ما مثاله استخرت الله العلي العظيم وأجزت الشيخ الإمام الأجل السيد الفقيه ناصر السنة أبي العباس أحمد بن محمد ولأولاده الكرام يحيى وعيسى وإسماعيل ومحمد وعلي أن يرووا عني مسموعاتي وإجازاتي وأرّخ كون ذلك في الحجة سنة ثمانين وخمسمائة. ثم لما عاد إلى بلده أقام بها إلى رجب ثم نزل الجند فلازمه جمع كثير وسمعوا عليه. من أعيانهم إبراهيم بن حديق ومحمد بن أحمد الخولاني (وأحمد ومنصور أبناء محمد بن موسى العمرانيان وفات منصور شيء من الجزء الأول وإجازة له ومحمد بن كليب النمر الخولاني)[3] وعبدالله بن محمد بن علي بن مروان الأموي وعبدالله بن محمد بن زيد العريقي ومحمد بن سعيد المحابي وأحمد بن مقبل الدثني وأبو بكر بن يحيى بن إسحاق الجبائي وأسعد بن عمر الأصبحي والمسلم بن علي بن أسعد بن مسلم العنسي ثم الصعبي وابن عمه محمد بن موسى بن عبدالله وابنه إسماعيل ويحيى بن علي بن أبي بكر بن سالم وأحمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن سالم الشعبانيان ومحمد بن أسعد بن أبي الخير. .[4] اليافعي الجبائي ومحمد بن عمر بن جعفر الكلاعي والأديب سلمان بن علي بن إسماعيل الجنديان وقال بخطه في صدر السماع ما مثاله سمع مني الفقهاء الأجلاء السادة الفضلاء مالك الكتاب يعني إبراهيم

---

(١) البيت الثاني غير موجود في «ب» وفي المصراع الثاني من البيت الأول (ابدا على الطالب السنّي مصروف) والبيتان لم يوردهما ابن سمرة.

(٢) كذا في الأصلين بمهملات وقد نقطناه بالذوق وكان الأحسن للجندي إيراده ولا ندري ما سبب تركه للبيت الثالث، وأيننا وأين نسخة سيف السنة فقد أكل عليها الدهر وشرب!

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٤) كذا في «د» وفي «ب» بن أبي الأغر.

الحديقي وعطف المذكورين عليه وذلك برجب سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وبعد أن كتب السند قال أيضاً سمع عليّ جميع الكتاب الشريعة سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل المذكور أولاً وسمع معه جمع من الفقهاء الذين سمعوا صحيح مسلم غير عبدالله بن زيد وأحمد بن مقبل ومحمد بن علي المحابي وسمع مع المذكورين علي بن عبدالله بن حسركة السكسكي ومحمد بن إدريس الزيلعي والمقرىء قاسم بن محمد والفقيه عبدالله بن أيمن بن محمد الأموي، ولما صار في أثناء القراءة بجامع الجند وردت عليهم مسألة في رجل اقتطع مال مسلم وحلف عليه أو أنه[1] فعل شيئاً وحلف عليه أنه لم يكن فعله، فأجاب الإمام سيف السنة أنه لا شيء على فاعل ذلك غير الكفارة، ووافقه كافة الفقهاء الحاضرين غير محمد بن أحمد الجماعي، فإنه امتنع وقال ابن سمرة: فلما كمل سماعهم كتب الإجازة لجميعهم غير محمد بن أحمد الجماعي، وهذا نقل لم أره يصحّ، وإن صح فكيف عدّه فيمن سمع وأجازه ثم لا يظن بسيف السنة أنه بخلافه في مسألة اجتهادية يمتنع من حق واجب لأمر محتمل فقد ذهب محمد بن أحمد إلى مذهب مالك وأراد بذلك حسم مادة المتجرّئين على اليمين، فقد فعل ابن عباس ذلك إذ ثبت أن رجلاً سأله هل للقاتل توبة فقال: لا، ثم أتاه آخر فسئل كذلك فقال: نعم، فقيل له: كيف يختلف جوابك فقال: رأيت في وجه الأول الشر فخشيت أن أجرّئه ورأيت في وجه الثاني الندم فخشيت أن أقنطه، فينبغي أن يسلك محمد بن أحمد غير هذا المسلك.

وكان الإمام سيف السنة من عظماء علماء المسلمين، وأصحابه أكثر من نشر الفقه بناحية المخلاف وكانوا أعياناً.

منهم محمد بن مضمون ويحيى بن فضل وأحمد بن مقبل وأبو بكر بن يحيى ابن إسحاق وعبدالله بن محمد بن حميد وعبدالله بن زيد وحسن بن قعيش ومحمد بن عمر بن فليح وابن عمه محمد بن موسى وعبدالله بن محمد من ذي الباري[2]، وبالجملة فأصحابه كثيرون لا يكاد يدركهم الحصر، وكان زاهداً ورعاً صاحب كرامات.

---

(١) عبارة ابن سمرة حلف على مال امرىء مسلم فاقتطعه متعمداً أو على أمر لم يكن وقد كان معتمداً لذلك.

(٢) ذو الباري: بلدة عامرة في عزلة حدبة من عداد عنة مخلاف الكلاع: العدين ويأتي ذكرها للمؤلف.

من أحسن ما ذكر عن ورعه أن الشيخ علي ابن المعلم[1] كـان ملتزمـاً للمخلاف (من مصابيح إلى ضربة عمر بخمسين ألف دينار)[2] في أيام سيف الإسلام الآتي ذكـره فصادر أقوامـاً على مال وأراد أن يشتـري به شيئـاً من أموالهم ووافقـوه على ذلك اتقـاء سطوته، فلما وثق منهم بالإجابة استـدعى أعيان فقهـاء المخلاف إلى داره بـذي جبلة وقيل بغيرها، ثم لما اجتمع الناس عمل لهم سماطاً فأكلوا، وكان الفقيه من جملتهم، ثم لما حضروا للبيع أمتنع الفقيه من حضور بيعهم فقال له بعض الفقهـاء متى خرجت تغيّر النظام فوقف على كره، ثم لما سألوه أن يكتب على الوثيقة شهادته امتنع فقيـل له كيف أكلت الـطعام ولم تشهـد فقال ثبت أن النبي ﷺ أكـل أطعمة الكفـرة، وكذلـك أصحابه وسأل عن الشهادة فأشار إلى الشمس وقـال على مثلها فـأشهد ثم خـرج فقال ابن المعلم من هذا الفقيه؟ فقيل له سيف السنة، فقال: صدق من سمّاه بـذلك وكفى بذلك فضلاً، وأما ما ذكر من كراماته فكثير منها ما ثبت بنقل صحيح أنه خرج يـوماً من بيته إلى أرض له يريد ينظر الزرع إذ رأى عجورة[3] في أسفلها عقد وأعلاها شجنان في كـل شجن[4] سنبلة فعجب الفقيه ومـد يده يـريد أخـذها من أسفلهـا فوقعت يـده على الأيسر فانسلخ بيده فتأمله فإذا فيه مكتوب لا إلّه إلا الله بخط بيّن معجب، قال فعجبت من ذلـك ونظرت مقـابله من الأخرى وإذا فيـه محمد رسـول الله، فلم يمكن إلا كسره وإيصاله إلى إب لأعجب منه الدرسة والأهل والأصحاب فأوصله وتعجّب النـاس منه"[5] وكان اشتغاله بالتدريس، ومع ذلك ينسخ الكتب حتى أنه كان ينسخ في كل عام نسخة بيان ونسخة المهذب ونسخة كافي الصردفي وربما التنبيه أيضـاً، ويأمـر بالجميـع إلى

---

(١) ابن المعلم هو علي بن أحمد المعلم، أصله من حدبة الكلاع، ويأتي ذكره للمؤلف.

(٢) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د» ونقيل المصابيح معروف بقرب قرية المـداجر المجـاورة لقريـة القاعدة المشهورة اليوم وجنوب قرية السفنة: السهفنة المشهورة أيـام الجندي وقبله وقـد مضى ذكرهـا، وضربة عمر هي قرية الضربـة أسفل نقيـل سمارة من الشـرق على الطريق القـديمة وقـرب قريـة قتاب: كتاب من الحقل ويقال لها الضربة وفيها مسجد معاذ بن جبل الصحابي الجليل.

(٣) العجورة مفرد العجور وهو قصب الذرة وهي لغة في عموم اليمن الأسفل وفي تهامة.

(٤) كذا في الأصلين بمهملات واصلحناه من لدينا بالشين المعجمة والجيم والنون الغصن وقد يقال في إب دشن.

(٥) ومثل هذا ما وقع لعامل إب إسماعيل بن محمد باسـلامة الحضـرمي الكندي فـإنه أوصـل إليه جِلْمُس: وهو ما بين عقد القصب وفيه خط بحمرة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، شاهدت ذلك عياناً فحفظه في صندوقه وأوصى أن يدفن معه في قبره، وفعلاً فعلوا ذلك وقد روي أن بعض الناس يعمل ذلـك بالقصـد يعمل والعجور في عنفوان شبابه فإذا صلب ظهرت الكتابة والله أعلم، وأرسل إلى الوالد العلامة الحجة يحيى بن محسن العنسي فأثبته في كتابه المبشرات للنبي ﷺ.

مكة يُبْعَنَ ويُشترى له بأثمانهن ورق مصريّ أو بغدادي، وغالب كتبه من ذلك الورق، وكان له مسجد صغير بالقرب من بيته يدرس فيه[1] وقد أقام بجبلة أشهراً ودرّس فيها بمسجد السنة وله به كتب موقوفة من ذلك الوقت، وكان مهما حصل له من كيلة المسجد أخذ به ورقاً وحبراً ونسخ به كتباً ووقفها على المسجد وله مصنفات في الأصول الدينية، وكان ينكر على من يخالف مذهب السلف ويعتقد خلاف مذهبهم ولما أظهر طاهر ما أظهر من المخالفة للفقهاء ونقض التوبة التي كان أظهرها أيام أبيه وقد مضى بيانها كثر إظهاره لذلك أجمع الفقهاء على هجره والإنكار عليه مشافهة ومراسلة ومكاتبة وكان هذا من أعظمهم في ذلك ثم القاضي مسعود، ولهذا في الرد عليه كتاب كبير وأخباره يطول ذكرها، وكان مع كمال العلم له فتاوى نافعة توجد بيد كثير من الفقهاء وكتبه التي وقفها تزيد على المئة فُقِدَ منها بعضها وهي بمدينة إب ومنها بقية بالجند وهو صحيح مسلم وكافي الصردفي، وكتب على صحيح مسلم بخطه ما مثاله: وقفه أحمد بن محمد بجميع الكتب المنسوبة إليه من الحديث والأصول والفروع والفرائض والتفسير واللغة والنحو وهي ثمانون كتاباً على أهل السنة يقدم فيها من يوجد فيه الشروط المذكورة يعني ببيتيه اللذين ذكرتُ أحدهما فيما تقدم فيها من يأخذ فيه، وتركت الآخر لشهرته وعدم رضى كثير من الأشخاص به، ثم قال من ذلك ذريته أي يتقدم من وجد فيه شرط البيتين من ذريته ونسله وبنيهم ونسلهم ثم قراباته من عصباته أي يتقدم من قراباته من عصباته، فمن خرج عن الشرط ببدعة أو ما يرد به الشهادة خرج من الوقف فإن تاب عاد استحقاقه ولا حقّ في الوقف لمبتدع وإذا لم يبق مستحق من نسله فأهل السنة فيها سواء أبداً ما بقيت، لعن الله من يتملكها، أو يملكها أو يسعى في فساد الوقف أو يكتمها وعلى من يستحقها أن يعيْرها من ينتفع بها إذا سئل بشرط الحفظ، كتبه أحمد بن محمد تقبل الله منه كان الوقف سنة أربع وثمانين وخمسمائة[2] ولم يزل على الحال المرضي وامتحن بقضاء السحول وكان يستنيب فيه ابنه إسماعيل وما أحقه بقول الحرة تقية في حق الحافظ السِلَفي[3]:

---

(١) لا يزال معروفاً إلى يوم الناس هذا بمسجد السنّة نسبة إلى هذا الحافظ وهو في شمال نفس مدينة إب وقرب عقبة الراكزة كما ينسبها أهل إب.

(٢) لا يوجد اليوم في مساجد إب أي كتاب موقوف حتى ولا من ذريته الذين قد انسحب عليهم الجهل ولله الأمر من قبل ومن بعد. وفي «ب» بعد قوله: من ينتفع بها «من أهل السنة».

(٣) تقيه: بالتاء المثناة من فوق ثم قاف وياء مثناة ثم هاء هي بنت أبي الفرج غيث السلمي ترجمتها في «الوفيات» ج٢ ص٢٦٦ وفاتها سنة ٥٧٩ تسع وسبعين وخمسمائة.

كيف لي أن أُقَبِّلَ اليوم رِجْلاً سلكت دهرها الطريق الحميدة

وكان له مع كمال العلم شعر رائق منه قصيدة زهدية:

ألالص[1] عقلي للتشاغل سارق وقد جاءني بالنعي في اليوم طارق[2]

ومنه لما هدمت مدينة إب[3]:

خليلي من ذا عيشه قبلنا طابا فلا تجزعا إن ناب أبّ الذي نابا

فآدم في الفردوس ما طاب عيشه ولا طاب في الدنيا وإن كان قد تابا

ومنه مدح البيان الذي نسخه ووقفه قال في آخره:

سقى الله يحيى سلسبيلاً وخصه بقصر من الياقوت أعلى جنان

لتصنيفه هذا الكتاب الذي حوى تصانيف أهل الفقه قاص ودان

وسماه بالاسم الذي هو أهله بياناً وما في الأرض مثل بيان

ومنه:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته لتطلب الربح فيما فيه خسران

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنْسان

وكانت وفاته ببلده في الثلث الأخير من ليلة الجمعة لعشر بقين من القعدة سنة ست وثمانين وخمسمائة وقبر بركن مسجده من خارجه ولأهل البلد وغيرهم بقبره معتقد عظيم فيتكررون لزيارته في غالب أوقاتهم وفي يوم الجمعة خاصة ينصرفون بأجمعهم من الجامع إلى تربته[4] ولما دفن وعمل على قبره أحجار ليتبيّنه الزائر كتب على بعضها:

أيا قبر غاب الفقه فيك وربما يُكَذِّب في هذي المقالة جاهل

وقد اندرس ذلك لطول الزمان وكانت أيامه من الأيام المباركات وتربته من

---

(١) كذا في الأصلين وكذا في ابن سمرة في التشاغل.

(٢) وفي ابن سمرة بيت آخر وهو:

أتى منذر لي بارق الموت بارق وكل سحاب ممطر فيه بارق

(٣) كان ذلك في سنة تسع وأربعين وخمسمائة كما في قرة العيون ج٢ ص٣٦٢ فارجع إليه وكذلك في الخزرجي وربما يذكر ذلك المؤلف.

(٤) قبر الحافظ سيف السنة لا يزال معروفاً في مسجده المسمى (السنّي) وبمسجد السنة وكنت أعرف أن بعض أهل إب يصلّون الجمعة ويهرعون لزيارته إلى المسجد المذكور.

الترب المقصودات لطلب الخيرات واندفاع المضرات زرتها بحمد الله مراراً ورأيت من بركاتها آثاراً.

ومنهم بعدن وليس من أهلها إسماعيل بن عبدالملك بن مسعود الدينوري البغدادي[1] كان فقيهاً محدثاً وغلب عليه فن الحديث وأخذ عنه جماعة، منهم القاضي أحمد القريظي وكان عابداً شهرت له كرامات كثيرة وصحبه الخضر وجد بخط الفقيه سفيان الأبيني ما مثاله حدث المقرىء يوسف الصدائي وكان إماماً لمسجد هذا الفقيه أنه قال له يوماً يا مُقرىء أريد أن أريك آية من آيات الله المحجوبة عن كثير من الناس، فقال نعم فأمره بالدنوّ منه فلما دنا منه مسح بيده على وجهه وقال له ارفع بصرك إلى السماء فرفع فرأى آية الكرسي مكتوبة بنور يكاد يخطف الأبصار أولها بالمشرق، ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾، وآخرها بالمغرب ﴿**العلي العظيم**﴾، وقال المقرىء بهذه الشهادة اشهدوا على شهادتي، قال: وسألته يعني الفقيه إسماعيل هل رأيت الخضر عليه السلام قط قال نعم، فقلت له: إني أقسم عليك بالله الذي لا إله إلا هو إلا ما عملت لي برؤيته والنظر إليه فقال: إذا وفق الله وصوله سألت لك ذلك ثم مكثنا مدة يسيرة وصلينا العشاء ليلةً ثم دخلت خَلْوةً[2] لي منفردة فقرأت ما شاء الله من القرآن وأقفلت عليّ الخلوة ثم نمت، فبينما أنا في أحسن النوم إذ رأيت باب الخلوة قد انفتح وارتفع سقفها ارتفاعاً هائلاً وإذا برجل طويل له وجه منير ذو لحية شمطاء تقطر ماء وهو ينفضها بيده ثم جاء حتى وقف عند رأسي وسلم عليّ ودعا لي بدعوات حفظت منها وفقك الله وأرشدك وأصلحك وسددك، أبشر فإنك على الحق والعقيدة التي قرأتها شريعة الإسلام ودين الأنبياء عليهم السلام فأبشر وبشّر كل من كان على ما أنت عليه أنه على الحق المستقيم والسنّة التي اصطفاها الله لعباده الصالحين، وأن القرآن كلام الله تعالى نزل على رسوله ﷺ بصوت يسمع وحروف تكتب ومعنى يفهم على ذلك نحيا وعليه نموت وعليه نبعث، هذه عقيدة الذين تمسكوا بها ثم ودّعني ومضى وعاد سقف الخلوة وبابها على حالها فيقدر إنما يكون[3] وسط البيت إذا سمعت صوت الفقيه إسماعيل يدق الباب فأجبته فقال يا مقرىء أتاك الرجل قلت يا سيدي الذي رأيته أنت في اليقظة رأيته أنا في المنام، فقال لي أبشر فقد

---

(١) كذا في «ب».

(٢) الخلوة بمنزلة الغرفة، والكلمة دارجة على الألسن لأن الإنسان يختلي بها، لغة فصحى.

(٣) كذا في «ب» وفي «د» فبعد لما يكون ولم تظهر الكلمة.

نلت ما لم ينل سواك ثم قلت له من أين جاء في هذه الليلة؟ قال أخبرني أنه جاء من عند الفقيه الزاهد عمر بن إسماعيل من ذي السفال وذكر أنه أملى عليه من المهذب من باب مواقيت الصلاة، قال مؤلفه عفا الله عنه وهذا يؤيّد ما ذكرته عند ذكر الفقيه عمر فيما تقدم، وأنه كان يصحب الخضر ويملي عليه شيئاً من المهذب في أثناء نسخه له. قال المقرىء الصدائي: وكان معظم رغبتي بالاجتماع بالخضر لأسأله عن صحة المعتقد الذي أنا عليه وذلك أني كنت قرأت التبصرة رواية الزنجاني عن عبدالواحد الشيرازي وكتاب الشريعة للآجري واعتقدت ما فيهما، ثم كان قد تطرّقني تشويش فيهما من بعض المخالفين، فلما رأيت ما رأيت في المنام تثبّتّ في معتقدي وعلمت أنه الحق. قال الفقيه الصالح سفيان نفع الله به، كان هذا المقرىء رجلاً فاضلاً بالقراءات والفقه والنحو، وقد أخبرني أنه منذ رأى في المنام كان كثير المجانبة لمن يتهم باعتقاد خلاف معتقد الكتابين المذكورين ولا يميز كبيراً ولا ذا جاهٍ لذلك، ولما هرب أهل زبيد خوفاً من ابن مهدي إلى عدن وسواها كان من جملة من وصل عدن الفقيه حسين المقيبعي، فوصل مرّةً إلى باب المقرىء واستأذن عليه فلم يأذن له وعاد خائباً فقيل للمقرىء ما كان ينبغي ردّ هذا الفقيه من بابك، فلم يجب قائل ذلك فألحّ عليه جماعة من خواصه بالسؤال عن سبب ردّه وربما أقسموا عليه ليخبرهم عن ذلك، فقال إني لما فرغت من كتاب التبصرة قراءة متقنة ثم قرأت بعده كتاب الشريعة للآجري ومعتقدهما واحد، وتقرر عندي معتقدهما وصحته سافرت للحج فرافقني فقيه من أهل تهامة وعادلني في محمل من السير فجعلنا نتذاكر العلم وأنست نفسي إليه، ثم إنّا خضنا يوماً في المعتقد فما زال بي ذلك الفقيه اللعين حتى أفسد عليّ ما ثبت عندي من المعتقد فلما جاء الليل ونمت رأيت كأني بوادٍ مظلم وبه ملك رجلاه بتخوم الأرض ورأسه في السماء وهو يصيح: يا معشر القرود يا معشر القرود، فأقبل إليه قرود كثيرة فقال لهم صكوا وجه هذا المقرىء ودبره وقولوا يا مرتدّ يا مرتدّ فجعلوا يضربون وجهي ودبري كما أمرهم ويقولون ما قال لهم حتى وجدت لضربهم ألماً عظيماً، كما لو كان باليقظة ولم أنتبه حتى تورّم وجهي وانتفخت عيناي وفي يدي جروح كثيرة من أيدي القردة فعلمت أنّ ذلك بتغير معتقدي إذ لم أحدث شيئاً غيره فلما أصبحت أخذت هدادي واعتزلت عن مُعَادِلي وعزمت على معاودة معتقدي، فلما نمت الليلة الثانية رأيت ذلك الملك بعينه يقول يامقرىء استأنف العمل، فإن الله قد أحبط عملك الماضي بما حلّ في باطنك من رواية ذلك الملحد وقبول كلامه واستحسانه فنسأل الله العصمة من عقيدة تخالف العقيدة التي

قرأتها وعلمتها وأعلم كل من خالفها أن له أشد من هذا واعْمل بما قال الله تعالى فيمن كـان مثل حـالهم: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أحدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ﴾[1] ثم استيقـظت وعاهـدت الله على هجر كـل من ينتسب إلى هذا المـذهب الـذي يجانب مذهب السلف. قال الفقيه سفيان فعذر المقرىء من كان عتب عليه في رد المقيبعي، ثم بعد أيَّام التقى المقرىء مناجاة[2] وقد كان بلغه الخبـر فسلم ثم حلف للمقرىء أنـه بريء من المعتقد الذي اتهمه به، وكان وجـود ذلك في عشـر سنين[3] وخمسمائـة ولم أتحقق لإسماعيل والصدائي تاريخاً.

ومن أَبْين ثم من الطرية[4] عمر بن عبدالعزيز بن أبي قـرة[5] وأخوه عبيـدالله تفقها بابن عبد يه ومُحِنَ عمر بالقضاء في بلاده وتوفي بالسرين[6] عائداً من الحـج وبه تفقـه محمد بن سعيد بن معن القريظي الآتي ذكره، وكان فاضلاً بالفقه والأصـول ولهما أخ يذكر بالفقه اسمه أبو قرة عبدالعزيز وتوفي سنة إحدى وتسعين وخمسمائة[7] وأما أخـواه الأولان فلم أكد أجد لهما تاريخاً، قال ابن سمـرة ومن لحج عمـرو بن بيش، قلت هو بخفض الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت ثم شين معجمة، وهو أحد شيوخ الإمام يحيى بن أبي الخير، وقد ذكرته، وكان صالحاً تقيـاً وبحثت من اجتمعت به من أهل ناحيتـه فقال لا يعـرف ذلك فسـألت أهل أبين فقيـل لي في مقابـر المحل[8] قبـور جماعة يـزارون ويعرفـون بقبور الفقهـاء بني بيش فغلب على ظني أن ابن سمرة سهـا بنسبتهم إلى لحج إذ لو كانوا كما قال لم يخف ويحتمل أنه كان منهم في كل جهة مَنْ يذكر.

ومن زبيد جماعـة منهم أبو محمـد عبدالله بن أبي القـاسم بن حسن عرف بـابن الأبار، تفقه بابن عبدويه وإليه انتهت رئاسة التدريس والفتوى بزبيد، وكان كبير القـدر

---

(١) التوبة ـ ٨٤.

(٢) كذا في الأصلين وفي العبارة تخليط ولعلها ثم بعد أيام التقى المقيبعي بالمقرىء مجابهة أو مواجهة.

(٣) كذا في الأصلين وفيه أمثال.

(٤) الطرية يأتي ضبطها للمؤلف ولا زالت عامرة.

(٥) زيادة بن أبي قرة من «ب».

(٦) السرين تثنية سرّ ضد الكتمان، موضع قرب عرفات في بطن تهامة الشمالية، انظر مفيـد عمارة ص٧٨، ٩٠، والسرين أيضاً: بلدة عامرة من ذي جرة سنحان جنوب صنعاء والسرين في حضرموت أيضاً.

(٧) في «ب» اثنين وسبعين وخمسمائة.

(٨) المحل معروفة الضبط: بلدة في أبين عامرة إلى عهدنا.

شهير الذكر، به تفقّه جمع كثير من زبيد وغيرها وحج فأدرك البندنيجي مقدم الذكر بمكة فأخذ عنه، ذكره عمارة في مفيده[1] وأثنى عليه وذكر أنه تفقه عليه وقال وكان معظماً عند الناس وقف الشاعر المعروف بالغرنوق[2] وقد اغتص مجلسه بالزحام من الطلبة فأحب أن يقعد بينهم فلم يجد فأنْشد يخاطب الفقيه مرتجلاً:

مجلسك الرحب مِنْ تزاحمه لا يسع المرء فيه مقعده
كل على قدره ينال فذا يلقط منه وذاك يحصده

فقال الفقيه أفرجوا له يقعد فأفرجوا له فقعد، وبه تفقّه جمع كثير منهم:

عبدالله بن عيسى الهرميّ ومحمد بن عطية وغيرهما فيمن لا يحصى، وكان له مع كمال فضله شعر منه ما رأيته بخط شيخي أبي الحسن الأصبحي يقول لابن الأبار في مدح ابن الصباغ وشامله وهو:

أحيا الإمام أبو نصر بشامله علم ابن إدريس ذي الفخرين محتسبا
وأوضح الحجج اللاتي إذا قرعت سمع آمرىء قد شدا في علمه طربا
إذا تصوّره ذو فطنة وذكا حوى علوماً وحاز العلم مكتسبا
وصار صدراً إذا ما مشكل نزلت سمعت منه لديها منطقاً عجبا
فالله يجزيه بالحسنى ويأجره فيما ابتغاه ويعطيه الذي طلبا

ومنهم أبو عبدالله منصور بن مفلح الوزير الفاتكي، أعْني أباه ولعل يأتي من ذكره ما لاق في أعيان الدول، وأما منصور فكان فقيهاً ذا فصاحة وصباحة وسماحة، ذكره عمارة في مفيده، وقال كان الناس يقولون لو كان منصور قرشياً لكملت فيه شروط الخلافة وكانت وفاته مقتولاً ظلماً وعدواناً سنة ثلاثين وخمسمائة[3] تقريباً الوزير الذي وزر بعد أبيه.

ومنهم عثمان بن الصفار، ومحمد بن علي السهامي، كانا إمامين لا سيما في علم الفرائض والدور والجبر والمقابلة، قال عمارة كانوا يرون أن ابن اللبّان يعني الفرضي من أتباعهم في ذلك. ومنهم راجح بن كهلان، كان فقيهاً كاملاً تِرْباً لابن الأبار وتفقه معه بابن عبدويه. ومنهم أبو عبدالرحمٰن الحسن بن خلف بن الحسين

---

(١) في ص٨١، ٢٩٢.

(٢) كذا صححناه من مفيد عمارة ص٢٩٢.

(٣) انظر عمارة ص٢٢٢.

المقيبعي الذي ذكرت أنه وصل إلى الصدائي كان فقيهاً فروعياً حديثياً لما دخل عدن خائفاً من ابن مهدي أخذ عنه جماعة منهم القاضي أحمد القريظي وعلي بن عبدالله المليكي وغيرهما، وسافر بلد السودان وزيلع، وعاد إلى عدن في مركب عصفته الريح إلى ساحل أنحاء بفتح الهمزة وسكون النون والحاء المهملة مفتوحة ثم ألف[1] توفي فيه وقبر هناك منتصف شوال سنة ستين وخمسمائة ومن باديتها عبدالله بن عيسى بن أيمن الهرمي نسبة إلى قرية تعرف بالهرمة[2] على وزن الفعلة بفتح الفاء وسكون العين قال ابن سمرة: نسبهم إلى نزار وأصله من العماقي إحدى قرى مدينة الجند[3] وكان له بها قرابة انقرضوا بزماننا، ومن نسله جماعة يسكنون بهذه القرية المذكورة من وادي زبيد وينتسبون إلى بني أمية.

ومنهم موسى وأبوه الآتي ذكرهما، وليا قضاء زبيد من قبل بني عمران. أدركت موسى حاكماً بزبيد. وأما عبدالله هذا فكان فقيهاً صالحاً ورعاً مرجوّ الدعوة، وأثنى عليه ابن سمرة، وقال أصله من العماقي وقال من جلة الفقهاء عبدالله تفقه بابن الأبَّار غالباً، وربما قيل بابن عبدويه، وكان تلميذه الأحنف الآتي ذكره، أثنى عليه ثناء بليغاً، وقال ما رأيت أحفظ للمهذب ولا أذكر منه له ولا أورع، وكان متى طعم عند قوم قال اللهم اعمر منزلهم بالتقوى ووسِّعه بالرزق، ويقال أن ابن مهدي قتله ظلماً، ولما حجّ أخذ عن الشريف العثماني الأربعين المقدسية بأخذه لها عن مؤلفها أبي نصر المقدسي وله ولدان فاضلان تفقها به محمد وعلي وسيأتي ذكرهما إن شاء الله، وأول من وصل منهم أبو حسان بكتب كثيرة فسكن الخوهة فكان فقيهاً محققاً مدققاً ربما ذكر له تصنيف، وخلف حسين مع إبراهيم ثلاثة آخرين عبدالله وفاتح وعلي، فعبدالله غلب عليه الشعر ومعرفة أخبار العرب حتى كان يقول ما سقطت مقرعة أيَّام الجاهلية ولا قيل شعر إلا وأنا أعرف قائله، وقد ذكرت في غير هذا الموضع ما أمكن، وأمَّا فاتح فكان فقيهاً في ذريته الفقهاء يأتي ذكرهم إن شاء الله.. ومن الخوهة قرية بساحل حيس على وزن قيس، والقرية بفتح الخاء المعجمة وخفض الواو وفتح الهاء الأولى وسكون الثانية[4] ومنهم أبو محمد الحسين بن أبي بكر بن أبي حسان الشيباني، مولده

---

(١) أنحاء: لم يذكرها ياقوت في «معجم البلدان»، ولا أعرف عنها شيئاً.

(٢) الهرمة، في «ب»، ويأتي ذكر الهرمة.

(٣) العماقي معروفة الضبط وهي بلدة عامرة آهلة بالسكان شمال غرب مدينة الجند، وتتراىء للمسافرين بالسيارات أمامهم، وكان فيها أحد المقاهي التي ينزل بها المسافرون على الرواحل.

(٤) وهي ما تسمى اليوم «الخوخة» بضم الخاء المعجمة والواو وفتح الخاء الثانية آخره هاء والخاء والهاء

أول شهور سنة إحدى أو اثنتين وخمسمائة تفقه بالهرمي وأخذ عن ابن عبدويه من أوَّل التنبيه إلى النكاح، وهذا آخر من عرفته أخذ عن ابن عبدويه وكان فاضلاً بالفقه والحديث، ومشكله على المهذب يدل على ذلك وكان يتردد ما بين بلده وعدن وزبيد وعرض عليه قضاء زبيد أيام توران شاه فامتنع، ثم عرضه عليه أيام سيف الإسلام القاضي الأثير[1] فامتنع أيضاً فقال له إن لم تفعل فدلّنا على من يصلح لذلك، فدلهم على عبدالله بن محمد العقامي فولاه الأثير، فلم يزل على ذلك وولده إلى أن توفي في صدر الدولة المظفرية. قال ابن سمرة وكان يعني الشيباني له غزارة علم ومصنفات مفيدة غير المشكل، لزم مجلس الطويري سبع سنين[2] وكان رفيقه في الرحلة محمد بن إسماعيل الأحنف، اجتمع به ابن سمرة في عدن سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ولا أعرف لوفاته تاريخاً وتوفي وقد خلف ثلاثة أولاد تفقهوا به.

وشُهِر منهم إبراهيم، عمّر عمراً طويلاً حتى أدرك زمن المظفر وزاره بمنزله بالخوهة فبشّره بأخذه للملك وسامحه بأراضيه وأراضي أهله ونخيلهم، ذكر من حضر مجلس السلطان معه أنه ضرب على كتفه وقال الملك لك بالسيف لا أسد الدين ولا فخر الدين ولا قطب الدين، وكان يصحب الجنّ ويقرأون عليه وله معهم أخبار يتناقلها أهل قريته، وقد دخلتها وأنا مريض في أحد شهور سنة تسع عشرة وسبعمائة وقبورهم متجاورة لم أستطع زيارتهم لما كان بي من المرض فالله أحمد على كل حال وأعوذ به من حال أهل النار.

ومن هذه الطبقة ثم من أصحاب الفقيهين المذكورين اللذين خصصت هذه الطبقة بتقديم أصحابهما وهما اليفاعي وابن عبدويه، جماعة منهم أبو الحسن علي بن أحمد بن علي اليهاقري بياء مفتوحة بعد ألف ولام وهاء مفتوحة ثم ألف ثم قاف مخفوضة ثم راء وهي قرية غربي مدينة الجند، إحدى قراها المعتمدة القديمة[3] قال ابن سمرة: تفقه بشيوخ الجند ووجدت سنده بالمهذب وأنه قرأه على الفقيه سالم بن حسن الزوقري مقدم الذكر أثنى عليه ابن سمرة ثناء كاملاً وقال في التعليقة التي ذكر بها شيوخه فقال أولهم شيخي علي بن أحمد مسكنه اليهاقر بادية الجند، تفقه بشيوخ

= حروف حلقية وهي ميناء جميلة من حيث قرب البحر لها وعدم هيجانه وينابيع المياه الحلوة فيه متوفرة.

(١) تأتي ترجمة القاضي الأثير.

(٢) في «ب» تسع سنين.

(٣) اليهاقر لا زالت عامرة.

البلد كزيد بن عبدالله اليفاعي وزيد الفائشي وهو أول من علقت عنه في الفقه ولما حصل في الأجناد الخوف من ابن مَهدي انتقل هذا الفقيه إلى قرية الانصال من بلد العوادر فتوفي بها سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وقبره بمقبرة الكريف[1] وهو آخر من حققه ابن سمرة من أصحاب اليفاعي، قال ابن سمرة: وفي هذه السنة دخل المهدي بن علي الجند[2] فقتل بعض أهلها وأحرق مسجدها وعاد إلى زبيد فمات وقبر بمشهدهم المعروف[3] بزيارة الاثنين والخميس.

ومنهم أسعد بن أبي بكر بن بلاوه الجعدي، تفقّه بعبدالله الزبراني، وكان يحضر حلقة الإمام اليفاعي بمدينة الجند، ومسكنه ذو السمكر إحدى قرى الجند المعتمدة: بضم الذال المعجمة وواو ساكنة وفتح السين المشددة بعد ألف ولام ثم ميم ساكنة وكاف مفتوحة ثم راء[4] وابن عمه عمر بن أحمد بن بلاوه، تفقّه بشيوخ الجند وكان هو وابن عمه تِرْبَين ولم أجد لهما تاريخاً لكنِ عرفت أنهما من أهل الطبقة لكون ابن سمرة عدّهما في الذين كانوا يحضرون مجلس الشيخ زيد اليفاعي، ولهما قرابة بقريتيهما المذكورة وذرية إلى الآن وربما جاء فيهم مستحق للذكر فأذكره إن شاء الله.

ومنهم الأخوان علي وعبدالرحمٰن ابنا الفقيه يحيى بن عبدالعليم المقدم ذكره أخذ عن الحافظ العرشاني الأربعين الآجريّة في رجب سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ولا أعلم تاريخ أخيه.

ومنهم ابن أخيهما عبدالله بن عمر بن الفقيه يحيى بن عبدالعليم، قال ابن سمرة: كان فقيهاً زاهداً ورعاً قتله أهل الفساد بقريتهم حجرة التي تقدم ذكرها وذلك بتاريخ سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة.

ومنهم محمد بن الفقيه أحمد بن عبدالله بن أبي عمران مقدم الذكر مولده سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة تفقّه بابن عم أبيه يحيى المقدم ذكره.

---

(١) قرية الأنصال تحمل هذا الاسم إلى هذا العهد وهي من الصرادف، سورق بلاد حمر ماوية اليوم.

(٢) عبارة «ب» وكمالها ابن، وفي هذه السنة غزا مهدي بن علي الجند وهذه العبارة أصح انظر ابن سمرة ص ٤.

(٣) في ابن سمرة لأن ابن مهدي أخذ الجند فقتل أهلها.

(٤) ذو السمكر هي التي تسمى اليوم السمكر، وذكرها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص١٤٦ باسم ذات السمكر ولم يضبط كلمة ابن بلاوة وهي في ابن سمرة بنقطة واحدة من أسفل.

ومنهم أبو محمد مقبل بن عثمان بن مقبل بن عثمان بن صنديد بن زيد بن أسعد العلهي نسباً إلى جد اسمه عُله بضم العين المهملة وفتح اللام وسكون الهاء[1] وإليه ينسب جماعة من دثينة[2]، ولذلك يقال له الدثيني إلى صقع من اليمن يعرف بدثينة بفتح الدال المهملة وخفض الثاء المثلثة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم نون مفتوحة ثم هاء ساكنة خرج هذا الفقيه منها فقصد بلاد الأعروق وسكن معهم في قرية الظفر وكان معه دنيا فتزوج امرأة منهم وكانت بلدهم يغلب عليها البداوة وعلى أهلها الجهل فانتقل عنهم بامرأته. . إلى ذي أشرق فلم يزل بها، وأَوْلدت له امرأته ولدين محمد وأحمد وكانا قد تفقها ببلده بعض تفقه ولما طلع ذا أشرق أخذ عن الحافظ العرشاني وغيره، ثم في سنة خمس وخمسين وخمسمائة حج ومعه ولده محمد فلما عادا توفي لثمان بقين من الحجة سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وتوفي ولده محمد بعده بيسير وانتقل ابنه الآخر أحمد إلى قرية عرج[3] وتديرّها وسيأتي بيان ذلك مع ذكره إن شاء الله.

ومن تهامة أبو عبدالله محمد بن عبدالله[4] بن قريظة عرف بالتهامي شهر بالفقه وحسن التدريس، وهو أحد شيوخ الأحنف بكتاب الوسيط ولما هرب من زبيد إلى عدن لخوف ابن مهدي أخذ عنه بعده جماعةٌ:

منهم محمد بن مفلح، ومحمد بن عيسى الميتمي كتاب الوسيط، وقد ذكرته في حلقة ابن الأبار كما ذكره عمارة، لكن هنا أوسع ذكراً.

ومنهم أبو عمران موسى بن محمد الطويري نسبة إلى قرية من قرى حيس تعرف بالطوير على تصغير طير[5] تفقه بعبدالله الهرمي، وبه تفقه السويريان محمد بن زكريا وولده إبراهيم والشيباني أيضاً، ونسب آبائه في أصابح[6] الذنبتين المقدم ذكرها

(١) عُلَّة كما ضبطها المؤلف وجاء في الأنساب عله بن جلد بن مذحج وعلة هذه التي ذكرها المؤلف لها بقية كبيرة في دثينة ذات بطون وأفخاذ يطول ذكرها، والنسبة إليها العلهي: بضم العين المهملة ولا حاجة إلى قوله وسكون الهاء فآخر الكلمة على حسب العوامل.

(٢) دثينة كما ضبطها المؤلف وهو صقع كبير ذو قرى وحي كبير من قبائل مذحج وذكرها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص١٨٤ وعدد قراها وتقع شرقي أبين.

(٣) عرج: بفتح العين والراء المهملتين آخره جيم: بلدة عامرة بالسكان من عزلة شوائط من أعمال ذي السفال في غرب شمالها والقبر معروف، إلاّ أنه متشعث.

(٤) وفي «ب» علي.

(٥) قرية الطويري اليوم آهلة بالسكان جنوب مدينة حيس، ولها وادٍ يصب إليه من الجبال القريبة منها.

(٦) أي أنه من قبيلة الأصابح الحميريّة.

في قرى الجند وله احتراز المهذب يشهر به وكان له ابن فقيه اسمه حسن.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن إسماعيل عرف بالأحنف لحنف كان به، مسكنه قرية الصوّ من عزلة اللاميّة بوادي سهام[1] مولده سنة تسع وخمسمائة وتفقه بالهرمي مقدم الذكر وبالطويري أيضاً وكان بينه وبين مؤلف البيان مكاتبات فيما يشكل عليهما من الفقه، ولما قرأ على السهامي كتاب الوسيط كان السهامي يقول لا أدري أيّنا انتفع بصاحبه، ولما وضع شيخه الهرمي في السؤالات المشكلة في المهذب ولم يجب عليها أجاب هو عليها وسماها كتاب ثمرة المهذب، وكان فقيهاً جليل القدر مقصوداً للزيارة، ذكروا أن الشيخ أبا الغيث ابن جميل الصوفي مر بقريته المذكورة فلبث معه بعض اللبث ثم ودّعه فقرأ عليه بعض الطلبة باب صفة الصلاة فلما بلغ قول الشيخ في دعاء الاستفتاح حنيفاً مسلماً قال الفقيه ما معنى الحنيف فقال اتبع الشيخ واسأله عن ذلك وكان عاده[2] فارقه فتبعه وقال يا شيخ الفقيه يسلم عليك ويقول لك ما معنى الحنيف في استفتاح الصلاة فقال هو المائل عن كل دين إلى دين الإسلام، ثم لما عاد إلى الفقيه وأخبره كبّر وقال لقد أوتي هذا الرجل أمراً عظيماً، وتوفي وخلف ثلاثة بنين أحدهم أبو بكر، ذكره ابن سمرة، وكان يترشح للفتوى ويتصدر للسؤال في أيام أبيه والآخران أخبرني بهما بعض الخبراء وهما إسماعيل وعبدالله رأسا في الفقه ودرسا فيه ولم أتحقق لأحد منهم تأريخاً ولعل الله يسوقه.

ثم قد عرض لي مع ذكره رجل من أعيان الأعيان[3] وأفراد الزمان فينبغي أن نذكر من أحواله بعض ما صحّ ونورد من أقواله ما نستدل به على فضله فهو أبو الغيث بن جميل الملقب شمس الشموس، وهذا لقب علي ملقب باستحقاق وكان في بدايته يقطع الطريق فذكروا أن سبب توبته أنه صعد شجرة يريد أن ينظر إلى السفر إذا أقبل، فبينا هو بأعلى الشجرة يتأمل الطريق إذ سمع قائلاً يقول يا صاحب العين عليك عين، فكأنما وقر ذلك في قلبه فنزل عن الشجرة مستكين القلب ونفسه تنازعه في الإنابة، فلم يجد لذلك طريقاً غير الشيخ أبي الحسن علي بن عبدالملك بن أفلح بزبيد، فوصله وعرض أمره عليه وسأله أن يأخذ عليه اليد فأخذ عليه وألزمه الخدمة للزاوية فأقام يخدمها بالحطب والماء وفي بيت الخلاء دهراً، ثم كان الشيخ يتبين منه

---

(١) وادي سهام أحد ميازيب اليمن لتهامة وقد تقدم ذكره.

(٢) عادة فارقه لغة عامية في عموم اليمن أي قريباً ما فارقه.

(٣) كذا في الأصلين.

مخائل النجابة ثم بعد ذلك تقدم إلى المراوعة[1] إلى الشيخ الأهدل فأقام عنده أياماً هذَّبه بها تهذيباً مرضياً وكان يقول: خرجت من ابن أفلح لؤلؤة عجماء فثقفني الأهدل ثم بعد ذلك طلع الجبال الشامية وظهر له أحوال خارقة حتى مال إليه عالم عظيم من العامة والرؤساء وصحب جمعاً من الفقهاء ثم لما قويت الزيدية بنواحي تلك البلاد لقيام عبدالله بن حمزة[2] أو غيره من أئمتهم، نزل الشيخ إلى تهامة، ونزل بنزوله الفقيه علي بن مسعود الآتي ذكره، فسكن (الشيخ مع الفقيه أحمد)[3] بيت عطاء من قريته[4] على كره من أهله ولم يزل الشيخ في بيته حتى توفي وبلغه أن الشيخ مسموع القول مقبول الإشارة.

ومن عجيب ما بلغ من خبره أن الشريف أحمد بن الحسين القاسمي[5] لما أقام بإمامة أهل مذهبه وأطاعه غالب البلاد يقال كتب إليه ابن علوان الآتي ذكره في أهل جبا: أما بعد فإني أخبرك أني:

جزت الصفوف إلى الحروف إلى الهجا ... حتى انتهيت مراتب الإبداع
لا باسم ليلى أستعين على السرى ... كلا ولا ليلى تقل شراعي

فأجابه أبو الغيث بن جميل: من الفقير إلى الله تعالى أبي الغيث بن جميل غذي نعمة الله في محل الحضرة أما بعد فإني أخبرك أني:

تجلى لي الاسم القديم باسمه ... فانشقّت الأسماء من أسمائي
وحباني الملك المهيمن وارتضى ... فالأرض أرضي والسماء سمائي[6]

يا ابن علوان أبت المراهم الشافية أن تقع على جرحك، الخبيث[7] حتى تقدم[8]

---

(١) المراوعة: معروفة الضبط وهي قرية أشبه منها بالمدينة شرقي الحديدة على محجة السيارات صنعاء وعليها يسيح سيل سهام.

(٢) عبدالله بن حمزة هو الملقب الامام المنصور عبدالله بن حمزة الحمزي ولد بقرية عيشان من عذر حاشد سنة ٥٦١ وادّعى الإمامة وتوفي سنة ٦١٤، وقتل أمماً من الفرقة الزيدية المطرفية ظلماً وتعسفاً، انظر قرة العيون ج١ ص٤٠١ وغيرها.

(٣) زيادة ما بين القوسين من طبقات الخواص.

(٤) قرية بيت عطاء في وادي سردد ويأتي ذكرها للمؤلف.

(٥) أحمد بن الحسين القاسمي المُلَقَّب المهدي والمعروف بأبي طير وصاحب ذي بين قتله أولاد الإمام عبدالله بن حمزة سنة ٦٦٥، انظر قرة العيون ج٢ ص٣٥.

(٦) كان البيتان في الأصلين منثورين كسائر الكلام، فتبادر إلى ذهني أنها منظومة فراجعت «طبقات الخواص» ص١٨٧ فوجدتها نصاً كما حررناها.

(٧) الخبيث من «د» وساقط من «ب». (٨) كذا في الأصلين بمهملات.

مميزات العقاقير (فخيل في ذهنه[1] أنه يكتب للشيخ كتاباً يستعطفه ومتى مال معه فأهل تهامة مائلون معه)[2] فكتب إلى الشيخ كتاباً صدره بالآية ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إلَى كَلِمةٍ﴾ إلى آخر الآية، ثم قال: (القصد يا شيخ الإجماع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسلام)[3] ثم بعث بالكتاب مع رجل من الشيعة فلما دخل على الشيخ سلم وناوله الكتاب فقال الشيخ لبعض أصحابه اقرأ كتاب الشريف فقرأه فلما فرغ قال: يا غلام عليّ بدواة وقرطاس فلما حضرا قال اكتب ﴿إنْ يَنْصُرْكُم اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ﴾[4] إلى آخرها ثم قال اكتب: الحمد لله فالق الإصباح ومرسل نسيم الرياح إلى فسحة مبدأ عالم الأشباح والصلاة والسلام على سيد الأنام ومصباح الظلام وعلى آله وأصحابه السادة الكرام. أما بعد فقد وصلنا كتاب الشريف يدعونا إلى إجابته ولعمري أنها طريق سلكها الأولون وأقبل عليها الأكثرون غير أنا نقرأ منذ سمعنا قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوةُ الحق﴾[5] لم يبق فينا متسع لإجابة الخلق، فليس لأحد يد أن يشهر سيفه على نفسه وأن يفرط في يومه بعد أمسه فليعلم السيد قلّة فراغنا لما رام وليبسط العذر والسلام، فذكروا أن الرسول وقف مع الشيخ وبعث بكتاب الإمام رسولاً، وكان الشيخ جليل القدر شهير الذكر، حكى صاحب تربته أنه كان ذا عبادة ومجاهدة قلّ وجود مثله، بل لم يكد يوجد نظيره وفضائله يعز إحصاؤها ويندر استقصاؤها، وإنما ذكرته هنا لأن هذا أول موضع عرض فيه ذكره وإن كان سيعرض ذلك في مواضع أخرى، ومن كلامه قوله: سكونك إلى ما في يدك دليل على قلة ثقتك بالله، ورجوعك في حال الشدة إلى المخلوقين دليل على أنك لا تعرف الله وفرحك بالشيء تناله من الدنيا دليل على بعدك من الله».

وقد ذكر أن هذا من كلام أبي يزيد[6] أو أحد نظرائه فالله أعلم. فيحتمل أن الكل قد قال به على طريق الاختراع لكن جاء الآخر به من طريق اتفاق الخاطر مع الخاطر، كما قد يقع الحافر على الحافر، ويحتمل أن الآخر قاله على سبيل التبعية

---

(١) الضمير في فخيل في ذهنه إلى الإمام أحمد بن الحسين القاسمي فانظر كم الفصل من قوله كتب إليه ابن علوان الخ ثم إلى هنا، والحال أنه كلام دخيل وحشو كثير.

(٢) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د».

(٣) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د» والآية من آل عمران/٦٤.

(٤) آل عمران ـ ١٦٠.

(٥) الرعد ـ ١٤.

(٦) أبو يزيد: لعله البسطامي المشهور بالزهد والتصوف.

والوعظية ولم يسنده، وذلك يفعله كثير من الناس في تمثيلاتهم. وسئل رحمه الله عن المستحق لاسم الصوفي فقال هو من صفا سره من الكدر وامتلأ قلبه من العبر وانقطع إلى الله عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر، وسئل عن ذلك مرة أخرى فقال: الصوفي من هو[1] بعهد الله موفي، ومن دعائه: اللهم إني أسألك يا روح روح الروح. ويا لب لب اللب ويا قلب قلب القلب، هب لي قلباً أعيش به معك فقد جعلت كل ما هو دونك لأجلك فاجعله لمن شئت من هذه الجملة.

رُوي عن الفقيه إسماعيل الحضرمي الآتي ذكره أنه قال: جرى بيني وبين بعض أصحاب الشيخ كلام من أجله فقلت له قد كان الشيخ يخطىء في بعض كلامه في المجالس فقال لا، وأنكر عليّ إنكاراً شديداً فرأيت الشيخ بالليل بعد العشاء تمثلت لي صورته (بعضه) فقال بلى أخطأنا كثيراً ووقعنا كثيراً، ولكن قبلت منا العزائم ومحيت عنا الجرائم وساءني داء البدع الموصوفون بصبرهم إلا من كان فيه أربع خصال: أن يكون لله لا له، للناس لا لنفسه، سالك طريقة واحدة هي طريقة مخالفة النفس، متجهاً جهة واحدة هي جهة الرب تبارك الله ربك ذو الجلال والإكرام.

ثم قال لي احذر بُنيّات الطريق[2] فإنهن يلتمسن اللمحة والنظرة، فسئل الفقيه عن بُنيّات الطريق فقال هي الكرامات التي تعرض للسالك في طريقه متى لاحظها حجب عن مقصوده، وكانت وفاته على الحال المرضي، عازفاً عن السماع منذمدة، نهار الأربعاء لخمس بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وستمائة وله تربة مشهورة جعل عليها ابن خطلبا التاجر قبة وصندوقاً وجعل خليفته فيروزاً من أصحاب الشيخ محمد بن أبي بكر الحكمي صاحب عواجة[3] الآتي ذكره. وكان كبير القدر سالكاً الطريق الكامل ولم يزل كذلك حتى توفي سنة اثنتين وسبعين بعد أن استخلف ابنه عليّاً فتوفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة[4] وخليفته ابنه يوسف وهو على ذلك إلى عصرنا سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، وفي عصره هُجم الرباط وخرقت حرمته وأمسك المتجورون من التربة، غير أن فاعل ذلك لم يفلح بل سلط الله عليه جور السلطان. ثم صار الفقه بعد من تقدم ذكرهم في جماعة من أصحاب المذكورين ومعظمهم

(١) في «ب» كان.
(٢) بُنيّات: بالضم وتشديد الياء بعد النون: مقاطع الطريق ومختصراتها.
(٣) عواجة يأتي ذكرها للمؤلف.
(٤) كذا في «د» وفي «ب» وسبعين.

أصحاب الإمام يحيى إذ الناظر إذا نظر في أهل الطبقة رآهم كما قال ابن اللبان ليس في الأرض فرضي إلا من أصحابي وأصحاب أصحابي ولا يعرف شيئاً كذلك لم يكن في الطبقة ومن بعدها فقيه إلا من أصحابه وأصحاب أصحابه أو من يتصل بهم بالسند أو لا يعرف شيئاً، ولما كان كذلك مع كونهم كانوا هم الأعيان في المفتين والمدرسين والصدور في كل الوقت والحين وبدأ ابن سمرة بهم، في الطبقة هذه وقال معنى كلام ابن اللبان فيهم فينبغي البداية منهم بأكثرهم شهرة وهو أبو عبدالله محمد بن موسى بن الحسين بن أسعد بن عبدالله، يجتمع مع شيخه في أسعد بن عبدالله وبقية نسبهما قد مضى، ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة وكان أول من لزم مجلس الإمام يحيى ودرس عليه وكان ابتداؤه للقراءة في سنة سبع عشرة وخمسمائة وقد أخذ عن عمر بن إسماعيل، وكان فقيهاً محققاً مدققاً عارفاً بفنون شتى منها الفقه والنحو واللغة والحديث والأصولين والفرائض والحساب والدور، وكان الشيخ يحيى يثني عليه بجودة الفقه ونقله، ويقول ذاكرت الفقيه محمد بن موسى في الجزء الأول وأكثر الثاني من البيان غيباً فوجدته حافظاً متقناً، وكان نظيف الفقه زاهداً عفيفاً حسن الأخلاق متنزهاً عن الشقاق ملتزماً سلوك عبادة الخلاق، رأس ودرس أيام شيخه الإمام يحيى وبه تفقه جماعة كثيرون منهم ابناه حسان وأحمد وعلي بن هارون البرعي وعبدالله بن أحمد الجعدي وأسعد بن محمد المري ومحمد بن أبي بكر بن مفلت من آنامر وعمر بن سمرة، هؤلاء الذين تفقهوا به تفقهاً جيداً وعرفوا بصحبته واعترفوا بالانتفاع به وممن أخذ عنه أسعد بن محمد من أروس بجبل الصلو[1]. وعبدالله بن عثمان بن رحيم ومحمد بن يوسف وابنه أبو حامد من دمت[2] ولم يكن لأحد من فقهاء الذرية المتصلة بالفقه من عصره إلى عصرنا مثله، إلى وقت[3] وجودهم ومنهم قضاة الجند والسلف. وذكر ابن سمرة منهم ابنه أحمد وقال هو القاضي في الجند يعني في عصره وله ابن ثالث اسمه منصور تأهّل في أعروق الظفر ومات هنالك ولعل يأتي من ذكره وذكر أخوته ما لاق ولم يكد ينقطع القضاء منهم إلا في رمضان سنة تسع وتسعين وستمائة ببني محمد بن عمر يأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله، وكانت وفاة الفقيه

---

(١) تقدم الكلام على الصلو، وأروس ضبطه الخزرجي في العقود اللؤلؤية ج١ ص٣٢٣. بهمزة مفتوحة وراء ساكنة وواو مفتوحة آخره سين مهملة وهي من ناحية الدملوة وضبطها المؤلف فيما يأتي وهي اليوم خرابة.

(٢) دمت يأتي ذكرها قريبا.

(٣) كذا في «ب» وفي «د» إذ وقت وجودهم.

محمد بن موسى بمصنعه سير ضحوة نهار الأربعاء لثلاث عشرة ليلةً خلت من شعبان الكائن في سنة ثمانٍ وستين وخمسمائة بعد أن بلغ عمره كعمر شيخه . . ومنهم ابنه أبو الطيب طاهر بن يحيى مولده سنة ثماني عشرة وخمسمائة تفقّه بأبيه وكان يثني عليه ثناء كلياً، ويقول: طاهر فقيه شافي الذكر لكن أخمل ذكره بلد السوء، وقال بعض فقهاء زمانه إنما أخمل ذكره معارضته[1] لمعتقد أبيه وسائر فقهاء زمانه وبلاده وذلك قد مضى ذكره مع ذكر أبيه لما كان أظهر التوبة منه فهجره الفقهاء فلما تعب من الهجرة والمراسلة بالأقاويل الشنيعة سافر إلى مكة وأقام بها مجاوراً سنة أو سنتين فأخذ بها العلم عن القاطنين بمكة والواردين إليها فتضلع من العلوم تضلعاً جيداً حتى كان يقول أنا ابن ثمانية عشر علماً، وكان سفره إلى مكة بأهله اللازمين من البنات والبنين ووصلته الإجازات من الشيوخ في البلدان ثم حصلت بين ولاة مكة منافسات أوجبت عليه النفور والخروج من مكة إلى بلده، وذلك أيام عبدالنبي بن علي بن مهدي فذكروا أنه لما دنا من زبيد بلغ عبدالنبي الخبر وقيل له هذا فقيه الجبل وابن فقيهه اللذان عليهما معول الشافعية فطمع في إفحامه وعجزه عن مناظرة فقهاء مذهبه إذ كان على مذهب أبي حنيفة، فأمر من لقيه إلى خارج زبيد وأدخل عليه وكان ذلك يوم جمعة فألزمه أن يخطب بالجامع فتمنّع فلم يعذره فيقال إنه ارتجل خطبة عجيبة غريبة وخطب وكان ظن عبدالنبي أنه يعجز لكونه إثر سفر، ولما انقضت الصلاة جمع عبدالنبي بينه وبين فقيه مذهبهم الذي يعرف بمحمد بن أبي بكر بن المدحدح بضم الميم وفتح الدال المهملة وسكون الحاء المهملة وفتح الدال المهملة ثم حاء مهملة، فتناظرا فقطعه طاهر في عدة مسائل واستظهر عليه بقوة حفظه واستحضاره لمسائل الخلاف وأدلتها، وكان ابن المدحدح رأس طبقة الحنفية إذ ذاك، فلما وجده عبدالنبي كاملاً ولّاه قضاء مدينتي جبلة وإب ونواحيها يستنيب من شاء ويحكم حيث شاء، وكانت الخطبة والمناظرة بجامع بني مهدي المعروف بالمشهد إذ قبور غالبهم فيه ولم يبق منه إلى عصرنا ما يدل عليه غير المنارة التي تعرف بمنارة المشهد وأكثره خراب، واندراس قبوره من كون الأشرف بن المظفر كان له دار بالقرب منه فجعله إصطبلاً لدوابه، وكان سبب ذلك اندراسه، ولم يزل متولياً للقضاء في الأماكن المذكورة إلى دخول سيف الإسلام ثم حدث عليه ما أوجب انفصاله فانفصل، وله مصنفات فمنها

---

(١) في «ب» مفارقته.

مقاصد اللمع في أصول الفقه وحد الفِكَر[1] بخفض الفاء وفتح الكاف جمع فكرة ضمّنه الرد على المعتزلة في نفي القدر، وكتاب مناقب الشافعي، وكتاب معونة الطلاب في معاني كلام الشهاب[2] وغير ذلك. وفي مدحه قال بعض فقهاء حضرموت من آل أبي الحب:

أجلُ ما العلى إلاّ لسيّدها الحَبْرِ   وما العلم إلاّ إرث آل أبي الخير

تفقّه به جماعة منهم ابناه محمد وأسعد وغيرهما، وأثنى عليه ابن سمرة وعلى مكارمه وكانت وفاته بقرية سير ليلة الأربعاء من إحدى الربيعين من سنة سبع وثمانين وخمسمائة، ومنهم ابن عمه وخال ولده عثمان بن أسعد بن عثمان بن أسعد، ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة، كان فقيهاً صالحاً عابداً يقوم كل ليلة بسبع من القرآن، وهو أحد شيوخ ابن سمرة، وممن أثنى عليه وأخذ عن من أخذ عنه الحافظ العرشاني، توفي بالمصنعة سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

ومنهم ابن عمه أيضاً مسلم بن أسعد وأظنه أخاً لعثمان المذكور آنفاً، وقف كتباً جليلة وجعلها على يد أهله، قال ابن سمرة فهي إذ ذاك بيد القاضي طاهر.

ومن الجَنَد عثمان بن أبي رزام، كان فقيهاً فاضلاً وعليه تفقّه ابنه وغيره، ولي بعض ذريته قضاء الجند لما صار قضاء القضاء إلى أبي بكر بن أحمد بن محمد بن موسى واسمهُ عبدالرحمٰن.

ومنهم الأخوان أبو عبدالله محمد وأبو محمد عبدالله ابنا سالم بن زيد بن إسحاق الأصبحيان نسباً البعدانيان بلداً، فمحمد مولده سنة خمس وسبعين وأربعمائة، كان فقيهاً فاضلاً وهو الأكبر، تفقه بيحيى بن محمد المقدم ذكره في أصحاب اليفاعي وابن عبدويه، وكان فقيهاً فاضلاً جليل القدر شهير الذكر به تفقّه جماعة ومنهم أخوه عبدالله وفضل بن يحيى وغيرهما، ولما قدمت الملحمة بحثت عن شيء من أخبارهما فقيل كانوا يسكنون موضعاً من جبل بعد ان ثم نزل هذان إلى الملحمة لأجل التفقه ومخالطة أهله ولم يزالا بها حتى توفيا، فمحمد لزم مجلس التدريس، بعد شيخه الفقيه يحيى بن عمران رحمه الله، وكان محمد هذا نظيف الفقه حسن الديانة، به تفقه جماعة، منهم أخوه عبدالله الذي عَدّه ابن سمرة في

(١) في ابن سمرة ص١٨٨، وخسر قناة القدرية.
(٢) في ابن سمرة ومعونة الطلاب بفقه معاني حكم الشهاب.

أصحاب الشيخ يحيى، ولذلك أوردتهما معاً إذ لم أستليق تقديم الأصغر على الأكبر والإسناد وذرية هذين الفقيهين يسكنون في عصرنا بقرية على قرب من الملحمة تعرف بالعراهد بعين مهملة مفتوحة بعد ألف ولام وفتح الراء ثم ألف ثم خفض الهاء، ثم دال مهملة[1] يذكر عن جماعة فيهم الخير والدين المتين وكانت وفاته سنة سبع وسبعين وخمسمائة. وأما عبدالله فمولده سنة خمس وخمسمائة وتفقّه بأخيه وأخذ عن الإمام يحيى ولذلك عدّه ابن سمرة في أصحابه وتفقّه أيضاً بيحيى بن أبي عمران، قال ابن سمرة وأكثر أخذه عن أخيه الفقيه الزاهد محمد بن سالم وكان المدرس في الملحمة والمفتي فيها مدة حياته. هذا كلامه، وبه تفقّه جماعة منهم صهره تزوج على ابنته يحيى بن فضل واسم ابنته التي تزوجها منيرة وكانت من صالحي زمانها، وأولاده منها الذين يعرفون بالفقهاء بني يحيى بن فضل خرج فيهم جماعة عرفوا بالفقه المتقن يأتي ذكر المتحقق منهم، وكانت وفاته في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة تقريباً، ومنهم أبو السعود بن خيران مولده سنة ثماني عشرة وخمسمائة بقرية الملحمة أخذ عن الإمام يحيى وتفقه بعبدالله بن يحيى الصعبي مما أخذ عن الإمام معتمد البندنيجي، وغريب أبي عبيد ومختصر العين للحوافي[2]، وكان فقيهاً متقناً في فنون القراءات والفقه والنحو واللغة وهو أحد شيوخ ابن سمرة أخذ عنه المعتمد بتاريخ سنة أربع وسبعين ولم أعرف تاريخ وفاته..

ومنهم محمد بن عمر بن محمد بن الفقيه أحمد بن الفقيه إبراهيم بن الفقيه أبي عمران مقدمي الذكر مولده سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان فقيهاً فاضلاً متأدباً شاعراً أورد ابن سمرة من شعره أبياتاً مدح بها عبدالنبي بن مهدي لم يعجبني إيرادها[3] لما كان في ابن مهدي من عدم استحقاق المدح ولا سيما بمثل أبيات الفقيه، لكن حمل الفقيه على مدحه اتقاء شره والرجاء لخيره في خراج أرضه وأورد له بيتين قالهما حين عزّ عليه وجود العفص[4] بمدينتي إب وجبلة إذ منها يأخذ أهل ناحيته ما شاءوا إذ

---

(١) العراهد كما ضبطها المؤلف لا زالت آهلة بالسكان في بطن السحول شرقي سوق السويق المشهور الذي على قارعة الطريق إب المخادر وقوله إذ لم أستليق كذا في الأصلين وكأنه من اللياقة.
(٢) الحوافي لا أعرف عنه شيئاً.
(٣) انه ليؤسفنا عدم إيراد القصيدة هنا لنعرف مدى بلاغته، وابن مهدي كسائر الطغاة سواء باليمن أو بغير اليمن ولكن الحب والبغض يعميان ويصمّان، وفي ابن سمرة ص١٩٣. أورد منها أربعة أبيات.
(٤) العفص شجرة لها ثمر مكور يوجد عند العطارين إذا بُلّ بالماء تحلل منه مادة سوداء.

هما مصراهما وكان مراده نسخ إحياء علوم الدين فعمل الحبر من شجر هنالك يقال لـه الكلبلاب[١] والبيتان هما:

قـولا لأبٍّ ولـذي جـبـلة إن عـدم العـفص وشحّـابـه
قـد أنبت الله في شـواحـطنـا بحـراً غـزيـراً من كـلبـلابـه

ومنهم أبو عبدالله محمد بن عيسى بن سالم الميتمي قد تقدم بيان هذه النسبة، مولده سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة تفقه بأهل هذه الطبقة طبقة الإمام يحيى ومن كان بها، ثم نزل عدن فوجد الفقيه المقيبعي فأخذ عنه وسيط الغزالي، كما قدمنا، ثم عاد الجبل فسكن الجبابي بجيم مفتوحة بعد ألف ولام ثم باء مفتوحة موحدة ثم ألف ثم خفض الباء ثم ياء كياء النسب[٢] مدة ثماني عشرة سنة وهو جبل على قرب من مدينة جبلة من جهة ذي عقيب ثم استدعاه الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم بن أبي الأمان إلى ذي جبلة فوصلها ودرس له بمدرسة أحدثها بمدينة جبلة وذلك في سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة. . . ولما عرض ذكر ابن أبي الأمان وكان من محبي أهل الفقه والمحسنين إليهم وأعيان زمانه فاسمه قد مضى. وكان له دنيا ينيل منها، بنى مدرسة بجبلة وكان له بها دور كثيرة، ولما حصل عليه في بعض الأوقات ضيم خرج عن جبلة ولحق بأبين فسكنها وسكن قرية تعرف بالحسون[٣] وله بها ذرية يسكنون المحل من أبين، وبعض بعدن وبعض ببيت حسين من قرى المهجم[٤]. .

نرجع إلى أخبار الفقهاء وتتمة أصحاب الإمام يحيى وإن كان قد دخل معهم جماعة ينتسبون في التفقه إلى غيره وهو من الأصابح لكن ابن سمرة رتب كذلك، ويأبى الله أن يكمل على الغرض إلّا كتابه فمن تأخر ذكره جماعة:

منهم محمد بن إبراهيم بن الحسن[٥] مولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وتفقّه بالإمام يحيى وأخذ نظام الغريب عن قاسم بن زيد الفائشي. وتفقه به جماعة منهم

(١) شجر الكلبلاب معروف لهذه الغاية ويقال لها كلبلابة ولعله شجر القتاد لكثرة ما فيها من الشوك ويقال في أمثال الأعراب: خرج من حوجمة النسرين إلى الكلبلابة أي من الشدّة إلى ما هو أشد.

(٢) الجبابي كما ضبطها المؤلف هي اليوم خراب وتقع في عزلة أنامر أعلى شمال ذي جبلة ومن أعمالها وذو عقيب يأتي ذكرها، وهي قرية عامرة شمال ذي جبلة بأقل من ميل وفيها غيل ماء جار.

(٣) الحسون يأتي ضبطها للمؤلف ولا زالت عامرة.

(٤) بيت حسين يأتي ذكرها للمؤلف ويقال لها أبيات حسين هي في وادي مور وكانت مدينة عامرة وهي اليوم متشعة والجهل مخيم بين أهليها.

(٥) في «ب» الحسين.

محمد بن مضمون وغيره، ومنهم سليمان بن فتح بن مفتاح الصليحي بالولاء، كان أبوه من خواصي الملكة السيدة ابنة أحمد ولّته حصن التعكر لما استعادته من الذين أخذوه على المفضل فغدر به بنو الزر وأخذوه منه بعد أن كان تغلّب عليه ولد ابنه سليمان لنيف وعشرين وخمسمائة وتفقه بالإمام يحيى. ولما فرغ من قراءة كتب الفقه المسموعات قَرأ عليه مختصر العين وغريب الحديث واللغة فقال له يا سليمان لقد أخذت من الفقه ما ينفع قلب عارفه، سكن الشوافي ودرس فيها بمدرسة أحدثها الشيخ حسن بن عيسى بن عمر بن أبي النهى، وذلك في أيام شيخه، وتفقّه به جماعة من نواح شتى. ومنهم علي بن عمر الدباري، وأبو بكر بن يحيى بن فضل، ومحمد بن أحمد الصعبي، من سهفنة، وسيأتي ذكرهم إن شاء الله، ومنهم عمر بن حمير بن عبدالحميد التباعي ثم السحولي المخادري، كان من أعيان الفقهاء وعبادهم وزهادهم، وكان نظيف الفقه كثير الحج وربما أقام مجاوراً فأخذ عن محمد بن مفلح العجيبي كتبَ الغزالي الفروعية كالوسيط والوجيز، وجدنا أن آخر قراءته للوجيز يوم الخميس ثالث جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستمائة، ولما فرغ من قراءة مصنفاته في الفروع فقيل له نقرأ مصنفاته في الأصول وقال شعراً:

أحبُّ فروعه وألحُّ فيها ... وأكره ما يصنف في الأصول
لأن مقاله فيه مقال ... لأرباب الشريعة والعقول
فلست بخائضٍ ما عشت فيها ... لأسلم من خطيرات الدّخول
أدينُ أصول أحمد طول عمري ... ولست إلى سوى قلبي يميل[1]

وله كتب موقوفة منها البيان عليه سماعه على المصنف وإجازته به منه ولما دخلتُ قريةَ المخادر سألت عن تربته فقيل إنه مات بمكة في آخر المئة السادسة تقريباً.

ومنهم حسين بن علي بن جسمر بفتح الجيم وسكون السين المهملة وفتح الميم ثم راء ساكنة من دمت بفتح الدال المهملة وسكون الميم ثم تاء مثناة من فوق وهو صقع متسع يحتوي على قرى كثيرة قبلي تعز على نصف مرحلة منها تقريباً[2]،

---

(١) كذا في «ب» ولعل صواب ذلك وليس إلي سواه قلبي وفي «د» وليست إلى سواه بمستحيل، وهو وهم.

(٢) دمت هذه كما ضبطها المؤلف وهي اليوم خراب وتقع في عزلة الأفيوش من الكلاع: العدين شمال تعز ودمت المشهورة اليوم من بلاد آل عمار من ذي رعين.

كان الإمام يحيى يثني عليه بالمعرفة وجودة الحفظ وهو أحد أشياخ إبراهيم بن أسعد الوزيري الآتي ذكره، توفي نهار الجمعة مستهل ربيع الآخر الكائن في سنة ثمانٍ وخمسين وخمسمائة. . . ومنهم الفقيه بن جسمر وأخوه أبو السعود ومحمد بن حسين وأخوه أبو بكر وعبدالله بن محمد بن عبدالرزاق وولده عبدالرزاق ومحمد بن أحمد بن أبي عثمان بن أسعد بن سالم بن دحيم وابنه عبدالله من أصحاب الفقيه محمد بن موسى، وهؤلاء لم يكونوا معدودين في أصحاب الشيخ يحيى إنما ألحقتهم بأهل بلدهم.

ومنهم محمد بن مفلح الحضرمي كان من خواص أصحابه وإليه أشار بخطبة المشكل حيث قال سألني بعض من يعزّ عليّ سؤاله ويعظم عندي قدره وحاله. . .، ومنهم صهره أبو عبدالله عمر بن عبدالله بن سليمان بن السري من ريمة المناخي مولده سنة ثلاث وخمسمائة تفقه عليه[1] ثم أزوجه ابنةً له فماتت عنده نفاساً فأزوجه أخرى فحملت أيضاً فلما دنا ولادها خشي الفقيه عليها الموت فرأى النبي ﷺ فبشره بخلاصها بولد ذكر وأمره أن يسميه محمداً الجسيم وذلك سنة خمس وخمسين وخمسمائة وأخبره أنها تضع بعده غلاماً فليسمِّه إسماعيل وكان ذلك سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وكان فقيهاً ورعاً زاهداً مجتهداً في طلب العلم وهو ممن حضر مجلس السماع مع شيخه بذي أشرق حين سمعوا علي الحافظ العرشاني كما تقدم سنة خمس وخمسين وخمسمائة بربيع الأول وقال ابن سمرة حصل في وجه هذا الفقيه بثر فاستشعر من ذلك ووصل من بلده إلى ذي جبلة قاصداً الطبيب يريد عرضه عليه، فلما بات بذي جبلة أول ليلة عازماً على قصد الطبيب في صبيحتها فلما نام رأى المسيح عيسى ﷺ فقال له يا روحَ الله امسح لي على وجهي وادع الله لي بالشفاء ففعل المسيح ذلك فلما استيقظ قام للوضوء فلما أمَرّ يده على وجهه لم يجد شيئاً من البثور التي يعهدها فاستبشر بالعافية وحمد الله على ذلك وصدق الرؤيا، ثم لما أصبح استدعى بالمِرآة ونظر فيها فلم ير في وجهه بأساً بل رأى عليه أنواراً ساطعة فعاد إلى بلده قبل لقاء الحكيم بلطف العليم وتوفي بمكة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان له أخ اسمه سليمان بن عبدالله، كان فقيهاً مقرئاً زاهداً مولده سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ولم أجد لوفاته تاريخاً، ومن ناحية جبل عنّة[2] ثم من أهل الصِّفة جماعة

(١) في «ب» عليهم بلفظ الجمع.

(٢) عنه بفتح العين المهملة وتشديد النون آخره هاء: عدة أماكن يطلق على جميعها عنّه نسبت إلى عنّه بن=

متقدمون ذكرهم ابن سمرة منهم علي بن محمد العريقي وأحمد بن موسى العريقي وعلي بن الحسن الجعدي هؤلاء ألحقتهم مع أصحاب الإمام يحيى على طريق التبعية بالبلد على حكم الجوار ولم يعدهم ابن سمرة معهم.

ومنهم أحمد بن إسماعيل بن الحسين الماربي سكن دلال وكان فقيهاً فاضلاً محققاً، إليه انتهت رئاسة الفتوى بدلال وهو صقع يجمع قرى كثيرة معظمها قرية تيثد خرج منها جماعة من الفضلاء ودلال بفتح الدال المهملة واللام وألف ثم لام وتيثد بخفض التا المثناة من فوق وسكون الياء المثناة من تحت مع همزة وخفض الثاء المثلثة ثم دال مهملة[1] وهذه الناحية تنسب إلى جبل بعدان المقدم الذكر من مخلاف جعفر، قدمت هذه الناحية سنة ثلاث عشرة ودخلت القرية المذكورة فلم أجد من يحقق لي شيئاً من حال هذا الفقيه بل أخبار المتأخرين على ما سيأتي إن شاء الله تعالى، وإنما أخذت ذكره من كتاب ابن سمرة، ومن الناحية يحيى بن محمد بن علي بن إسماعيل بن مسكين مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة تفقه بالإمام أيضاً وأخذ عن غيره. ومنها مسلم بن مسعود والزبير بن علي بن أبي بكر من بني مهلا، كان مدرساً بتيثد وعبدالله بن محمد التهامي توفي هنالك بعد سبعين وخمسمائة ومن جبل بعدان ثم من قرية جري بفتح الجيم وخفض الراء وسكون الياء المثناة من تحت[2] سعيد بن محمد ومن السحول ثم من قرية المخادر[3] الأخوان عبدالله ومحمد ابنا أسعد بن أبي زيد ومحمد بن إبراهيم التباعيون، تفقهوا بالإمام أيضاً، ومن المشيرق أبو الحسن علي بن الإمام زيد بن الحسن الفائشي، كان فقيهاً فاضلاً تفقه بأبيه وكمل تفقهه بالإمام يحيى. يُعدّ من أصحابه وذريته قضاة حرض[4] منذ دهر إلى عصرنا وذلك سنة أربع وعشرين وسبعمائة وهو الذي ذكرت أن أباه كان يقول لإخوانه: عليٌّ أكتبُكم، والغالب أن هذا كان قبل كمال تفقّهه، وخلفه ابن له وهو محمد بن

= مثوب انظر الإكليل ج٢ ص٣٦٦. والصفة بكسر الصاد المهملة وفتح الفاء وهاء آخره مقاطعة من أعمال ذي السفال من شماليها.

(١) دلال كما ضبطها المؤلف نسبت إلى دلال بن الحارث انظر الإكليل ج٢ ص٣٣٦: عزلة من مخلاف بعدان في نهايته وتيثد: كما ضبطها المؤلف قرية عامرة في العزلة المذكورة.

(٢) جري: كما ضبطها المؤلف من الجرأة قرية تحمل هذا الاسم إلى عهدنا وهي من عزلة عُروان من بعدان.

(٣) المخادر قرية عامرة تشكل مركز ناحية.

(٤) حرض: بالتحريك: مدينة وصقع في بطن تهامة اليمن في الشمال.

علي عدّه ابن سمرة هو وابن عمه الحسن بن القاسم الفقيه مقدم الذكر في فقهاء وحاظة المتأخرين، ومن وصاب أحمد وموسى ابنا يوسف بن موسى بن يوسف بن موسى بن علي، يعرف بالفقيه تباعي النسب حميريّ، وكان على مذهب مالك، ويقال إنه أدرك مالكاً بالمدينة، وأخذ عنه وهو الذي أدخل إلى اليمن مذهبه ونشره فيه وقد ذكرته فيما تقدم وثبت نسبه، ومنها عامر بن علي، قال ابن سمرة والثلاثة، يعني موسى وأحمد وعامر، موجودون في عصره بوصاب يفتون ويدرسون فأما أحمد فهو والد موسى شارح اللمع الآتي ذكره، وقد أخذ عن الفقيه محمد بن موسى وعبيد الصعبي بعد التفقه بالإمام يحيى، وهذا موسى بن يوسف ويغلط به كثير ويجعل مكانه ابن أخيه مصنف الشرح وجدت ذلك بإجازة الأكابر أنهم يقولون عن موسى بن أحمد عن الشيخ يحيى وذلك بسماع الفقهاء بني عجيل. وبلغني أنه روجع بعضهم في ذلك فقال هكذا وجدناه وليس هذا إنما قابل كان يجب إصلاحه، فإن موسى بن أحمد لم يدرك صاحب البيان بل تفقه بالفقيه مسعود بن علي العنسي كما سيأتي. ولما قدمت وصاب في سنة عشرين وسبعمائة اجتمعت ببعض من ينسب إلى هذين الفقيهين وله بعض درايةٍ بالفقه وأخبار الناس، فقال كان موسى أفقه من أحمد وله تصنيف سماه الهداية في أصول الدين وكسر مقالة أهل الزيغ والملحدين، وله تصنيف آخر سماه التعليق يتضمن معاني المهذب وكشف مشكلاته ودقائق احترازاته، وبه تفقه أخوه أبو بكر وكان أصغرهم، وكان فقيهاً مقرئاً، وكانت وفاته سنة ثمان عشرة وستمائة ولم ألق لموسى وأخيه تاريخاً ومن جبل ريمة الأشابط[1] وهو أحد جبال اليمن المعدودة شرقي وادي ذوَال المعروف ببلد عك ثم المعازبة، وضبط ريمه بفتح الراء المهملة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الميم وهاء ساكنة، وضبط ذوَال بضم الذال المعجمة وفتح الواو ثم ألف ثم لام، وهو أيضاً أحد أودية اليمن المعدودة ومصره مدينة القحمة بقاف مفتوحة بعد الألف ولام ثم حاء ساكنة ثم هاء[2] وكان بهذا الجبل من أصحابه أيضاً محمد بن عبدالرحمٰن العمري ومن جبل تيس[3] وهو الجبل المعروف

---

(١) ريمة الأشابط: هي التي سماها الهمداني في كتبه: ريمة جبلان، وهو مخلاف كبير يشتمل على أربع نواح ومن أغنى مخاليف اليمن، والمعازبة قبيل ووطن في بطن تهامة من أعمال زبيد، وذوَال كما ضبطه المؤلف أحد ميازيب اليمن الغربية التي تصب إلى تهامة.

(٢) القحمة: كما ضبطها المؤلف: إحدى مدن تهامة القديمة وهي اليوم متشعثة وتقع فيما بين بيت الفقيه، والمنصورية، والقحمة أيضاً بلدة في مخلاف حكم بن سعد العشيرة على الساحل.

(٣) جبل تيس: زنة تيس المعز مشهور ومعروف من أعمال المحويت وذكره الهمداني وقد يطلق اليوم عليه جبل =

بالجهة الشرقية للمحالب المدينة المعروفة في مدن تهامة أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن جعفر بن نزيل بضم النون وفتح الزاي وسكون الياء المثناة من تحت ثم لام ويعرف هو وقومه ببني نزيل نسبة إلى هذا الجد، وهم يرجعون إلى الحكم بن سعد العشيرة، وكان هذا فقيهاً كبيراً تفقه بالإمام وهو أحد شيوخ علي بن مسعود الشاوري الآتي ذكره، وفي قرية بني نزيل جماعة فقهاء أخيار يأتي ذكر المتحقق منهم إن شاء الله.

ومن مخلاف شاور ببلد حجة عبدالله بن أبي السعود وعلي بن مسلم وعلي بن مقبل، قال ابن سمرة: وهؤلاء يسكنون بينون قلت وهو بفتح الباء الموحدة وسكون التاء المثناة من تحت وضم النون وسكون الواو ثم نون، وشاور صاحب المخلاف بفتح الشين المعجمة وألف بعدها ثم واو مخفوضة وقيل مفتوحة ثم راء[1] وهو جد قبيلة كبيرة يعرفون ببني شاور خرج منهم جماعة من الأعيان في العلم وغيره وربما يأتي ذكر غالبهم إن شاء الله.

ومن تهامة من قرية الهرمة بوادي زبيد قد مضى ذكرها أبو الحسن علي بن الفقيه عبدالله بن عيسى بن أيمن بن الحسن بن خالد بن عبدالله المقدم ذكره، وقد مضى أن ابن سمرة ذكر أن نسبهم في نزار وذريتهم الموجودون بالهرمة ينسبون إلى بني أمية، تفقّه بأبيه ثم طلع الجبال فقصد الشيخ يحيى وسأله أن يسمعه البيان فقال لا بل المهذب فقرأ المهذّب فكان الشيخ يبين له المشكلات من البيان حتى فرغ من الكتابين وتبيّن معانيهما ضمن قراءته للمهذب وقرأ كتاب الانتصار الذي تقدم، تصنيف الشيخ ثم أخذ عنه كتاب الحروف السبعة للمراغي، وكان حاذقاً بارعاً لأدلة الفقه بصيراً بدقائقها وأشكالها مبرهناً لإجمالها، ولما نزل القاضي جعفر المعتزلي وبلغ الشيخ يحيى نزوله أمر هذا الفقيه أن يطلبه في إب ونواحيها ويناظره، فلما صار إلى إب وجده قد ولى إلى شواحط فوجده متعززاً فيه بالشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل المسكيني ومريدا للتلبيس عليه وعلى غيره من أهل الحصن ونواحيه وهو

= بني حبش، والمحالب: كانت مدينة في بطن تهامة واليوم قد تشعثت وبنو نزيل لهم بقية في مدينة إب وناحية المخادر وفي بلد المحويت.

(١) بينون: كما ضبطه المؤلف: تحمل هذا الاسم إلى هذه الغاية وبينون الأثري المشهور في عنس انظر «الاكليل» ج٨ ص١١٠ و٢ ص١٠٥. وبنو شاور بطن من حاشد نسب إلى شاور ابن قُدَمْ بن قادم انظر «الاكليل» ج١٠ ص٩٧ وحَجَّةُ معروفةُ الضبط مشهورة.

حصن بالقرب من قرية الملحمة، بضم الشين المعجمة وفتح الواو ثم ألف ثم خفض الحاء المهملة ثم طاء مهملة وهو لعرب يعرفون ببني مسكين بيت رياسة متأثلة وخرج منهم جماعة من الفضلاء أعياناً وإلى هذا الحصن أشار الفقيه المذكور أولاً بقوله (قد أنبت الله في شواحطنا) فلما التحق الهرمي بالمعتزلي في الحصن وقيل إنه أدركه بإب وراجعه بعض مراجعة فعلم المعتزلي أن لا طاقة له به، قال الراوي ذكر القاضي جعفر عنه، فجعل يتلمس ثم يأمر للفقيه علي بكفاية الحال وأن يعرض عن مناظرته، وكان قد تفقّه ببلده صنعاء ونواحيها ثم ارتحل العراق فتفقّه أيضاً هنالك، وعاد بلده، وكان يقول ناظرت علماء العراق وأقمت عليهم الحجج حتى رددت جماعة منهم عن مذاهبهم، ويقول لأهل مذهبه لو نزلت اليمن لرددت أهله إلى مذهب الاعتزال، ثم بعد ذلك نزل اليمن عازماً على مناظرة فقهائه فلما صار بإب واجتمع بالإمام سيف السنة ناظره فقطعه وأسقط حجّته، وقيل له لو نزلت عن النقيل إلى ذي أشرق للقيت بحراً تغرق فيه وأمثالك، يعنون يحيى بن أبي الخير، فلم يطق الخروج عن إب وهَمَّ أهل السنّة به يضربونه فخرج هارباً ولحق بالحصن المذكور، فلما اجتمع بالفقيه علي فيه قال الفقيه علي ولما علم ما أنا عليه من القدرة على مناظرته كان يأمر لي بكفاية الحال وأن لا أتعرض لمناظرته وأنا إذ ذاك أودّ مناظرته لكن يمنعني عنها عدم الحاكم بردّ الظالم والمميز بين القائم والنايم والمكلوم والسالم، ثم لما صار بشواحط وعلمت أن صاحبه متصف بالصفات المتقدمة لحقته من إب إليه فوجدت المعتزلي قد كاد يستميل الشيخ صاحبه وأهله وجعل يدرس أصحابه يحضرهم ويقول لولا أني عارف لم أدرس مذهبي بغير بلدي مع غير أهل مذهبي، ويقول لهم إني لم أرد نزول اليمن الأسفل ولو نزلته لم يتأخر عن إجابتي أحد فيتوهمون صدقه، فلما قدمت ارتاب من قدومي وتبلبل قلبه لما كان قد أحسه مني بإب ولما علم أنني إنما لحقته لغرض المناظرة قوي عزمه وقال هذا رجل تهامي عاجز عن المناظرة في الأصول لا سيما الدينية، فقلت لصاحب الحصن هذا رجل قد أرجف عليكم بالباطل وجعله بالهذيان بصورة الحق، قال الشيخ فما الذي تطلب؟ قال تجمع بيننا ونتناظر بين يديك، فمن وجدته خرج عن القاعدة التي قعدناها كنت الحاكم عليه بالإبطال فأجابني إلى ذلك وجمعنا عنده بحضور أصحابه وجماعة أهله وحشمه واستفتحنا المناظرة في خلق الأعمال وأن الله يقول: ﴿**واللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تعملون**﴾، وحين استفتحت المناظرة منه سوء أدب فقلت مالك ولهذا الكلام الذي لا يجمل ولا يليق بأهل العلم والمنتسبين إليه والفقهاء يقولون: «سَفَهُ أَحَدِ الخصمين دليل على قلة علمه وضعف معرفته» فقال لي سامحني

فقلت سامحك الله، ثم عاد معي إلى المسألة فلم يخرج عنها حتى انقطع في عدة مسائل ثم سكت وصار يتلوّن غضباً فلم أر أحداً من المنتسبين إلى الفقه والعلم والمناظرة أبلد منه، وصار منكساً رأسه مطرقاً وأصحابه كذلك، فحين رأيت ذلك قلت له النصيحة في الدين، فأنا أعلم لا تقبلها لكن خذ مني نصيحة تنفعك في دنياك، الله الله لا تناظر ولا تحاجّ بعدها فقيهاً جدلياً فإنك لا تدري ما الجدل وقد كنت أظنك قرأت شيئاً من كتب الأصول والجدل محققاً، ولولا ذلك لم أتكلم معك في شيء من ذلك والعجب كيف تكون بهذا الحال وتقدم بلاد العلماء والفضلاء وتظهر مقالتك وتظن تظفر بهم أو تظهر عليهم وهذا حالك ولم تبلغ غير إبّ، فكيف لو نزلت إلى ذي أشرق لوجدت بحراً تغرق في موجه وإذا عرفت قدر نفسك وما أرى أنك كنت تخلص فلا تغترّ بعدها بمقالتك، فرأيته وقد طار عقله وظهر فزعه، ثم التفت إلى صاحب الحصن وقال: يا شيخ محمد، يقال لي هذه المقالة بمجلسك؟ فقلت له: إن الله تعالى يقول في الذين قالوا كمقالتك: ﴿**يَظُنُّونَ بالله غَيْرَ الحَقِّ ظَنَّ الجاهِلِيّةِ * يَقُولُون هَلْ لنا مِنَ الأمرِ من شيءٍ قُلْ إن الأمْرَ كلَّه لله**﴾[1] ثم تلوت إلى قوله تعالى: ﴿**إنَّ الله عَليمٌ بذاتِ الصُّدُور**﴾ وكفى والله بآية من كتاب الله حجة عليكم وهي قوله تعالى: ﴿**يُثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويُضلّ الله الظّالمين ويَفْعَلُ اللّهُ ما يشاء**﴾[2] وقال الله في موضع آخر: ﴿**يضلُّ الله من يشاء ويهدي من يشاء**﴾ ولقد قال إبليس خيراً من مقالتك أنت وأهل مذهبك حيث قال: ﴿**ربِّ بما أغويتني**﴾[3]، وقال نوحٌ: (﴿**ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن الله يريد أن يغويكم**﴾[4] فصار يسمع كلامي ولم يجب جواباً)، فضحك جمع من الحاضرين حتى استلقوا على أقفيتهم، فأوردت عليه أدلةً كثيرةً نحواً مما ذكرناه فقال المعتزلي: ما رأيت مثلك يحلف على ما يقول فقلت هل سمعتني أحلف إلا على ديني إذا أنا بحمد الله على حقيقة منه ـ وأشير عليك أن لا تحلف إلا أن تكون على يقين من عجز عن الحجة بعد دعواها، ولي برسول الله (ﷺ) أسوة حسنة حيث قال الله: ﴿**ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي إنه الحق**﴾[5] أفتراه إلا قد أمره بالحلف على دينه فزاده ذلك خرساً

(١) آل عمران ـ ١٥٤.
(٢) إبراهيم ـ ٢٧.
(٣) الحِجْر ـ ٣٩.
(٤) هود ـ ٣٤.
(٥) يونس ـ ٥٣.

وبكماً وعمىً ثم قال لصاحب الحصن يا شيخ محمد سبحان الله أنال هذا الكلام معك وفي منزلك فلم يقل الشيخ شيئاً غير اصفرّت الشمس وضاق وقت الصلاة وذلك بعد تعجّب الحاضرين وضحك كثير منهم لما كان يدّعي عندهم من عجز كل واحد عن مناظرته وتحقّقوا كذبه.

ثم إني قمت إلى صلاة العصر وصلينا مع الشيخ واعتزل المعتزلي بأصحابه يصلّي منفرداً، ولما صرت بالملحمة سألني الفقهاء عن كيفية المناظرة فاستكتبوها وأمليتها عليهم ولما صار إلى قرية العُقيرة باستدعاء من أهلها كتبوا عنه أيضاً ذلك عليّ ما أملاهم ومن بعضهم نقلت ذلك المعنى غالباً، ولم يزل هذا الفقيه بقرية العُقَيرة المقدم ذكرها إلى أن توفي وتوفيت والدته بها على رأس سبعين[1] وخمسمائة تقريباً.

وقد عرض مع ذكره ذكر الشيخ محمد بن أحمد المسكيني، وهو رجل كبير القدر من قوم يعرفون ببني مسكين بيت رئاسة متقدمة متأثلة، وكانوا يملكون غالب السحول ونواحي من بعدان وحصن شواحط، وتوفي هذا محمد ثم خلفه أخوه أحمد ثم ابنه سعيد فلزمه سيف الإسلام سابع وعشرين من شعبان سنة أربع وثمانين وخمسمائة ثم توفي بعد أن سلم الحصن ثاني لزومه، وكانت وفاته بذي القعدة سنة ٥٨٨ ثمانٍ وثمانين وخمسمائة.

ومنهم أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن إبراهيم بن عليان بن محمد بن يحيى بن محمد الربيعي ثم المليكي ثم الرعيني ثم الحميري، يعرف بالأكنيتي نسبة إلى عزلة تعرف بإكنيت بخفض الهمزة وسكون الكاف وخفض النون وسكون الياء المثناة من تحت وخفض التاء المثناة من فوق[2] وهي على قدر مرحلة من الجند وهذا المنتشر عنه سماع البيان بطريق الفقيه عبدالله إذ أخذ عنه وعلم به في صدر الدولة المظفرية فاستدعاه أعيانها ووزراؤها واستدعاه السلطان أيضاً فسمعه عليه وكان موجوداً إلى نحو عشرين وستمائة، وقرأ عليه الفقيه عبدالله سنة ست عشرة وستمائة وسيأتي بيان ذلك مع ذكر الفقيه عبدالله، وقد أخذ البيان عن هذا أحمد جماعة أيضاً، منهم ابنه سبأ وابن أخيه فضل بن عبدالرزاق بن عبدالله وأخذ عنهما أيضاً لكن طريق عبدالله طبقت اليمن انتشاراً، ولم أتحقق تاريخ موته لكن لم يعش بعد ست عشرة ما يجاوز العشرين سنة بعد ستمائة.

---

(١) في «ب» تسعين.

(٢) إكنيت لا تعرف اليوم بعد البحث المتواصل.

ومن السَّرة ممن عدّه ابن سمرة في أهل طبقته عبدالله بن أبي بكر، قال وعبدالله بن فلان من عَرز بفتح المهملة والراء وسكون الزاي[1]، ومن الظرافة القرية المذكورة أولاً على ابن سعيد المحابي، ومن الوزيرة فضل بن أبي بكر الأقطع، وعبدالله بن بسطام من سلاطين بني نمر الذين منهم الفقيه محمد بن حميد.

ومنهم محمد بن معمر الزوقري وعبدالله بن مسلم الكشيش وأسعد بن مرزوق بن أسعد مسكنه الصوّم[2]، وأحمد بن أبي القاسم فقيه شاعر، هؤلاء الأربعة لم يعدّهم ابن سمرة في أصحاب الشيخ وعددتهم مع أهل بلدهم.

ومن جبل عنّه محمد بن أسعد مسكنه سودان بفتح السين المهملة والواو ثم دال مهملة مفتوحة ثم ألف ثم نون[3] ونسبه في حراز وله بالناحية قرابة يُعرفون ببني صالح يتّسمون بالفقه ويُنسبون إلى الصلاح ويتولون أحكام ناحيتهم، وربما عرض بعد ذكر أحد منهم، وكان هذا محمد فقيهاً فاضلاً قرأ على الإمام يحيى المهذب والبيان. . . ومنهم علي بن أحمد بن زيد المسابي[4] ثم الحميري كان فقيهاً فاضلاً وله شعر رائق ولما هم بمراجعة بلده ومفارقة شيخه الإمام يحيى قال أبياتاً في.وداعه منها:

أستودع الله في نخلان لي قمراً

هذا ما ذكره ابن سمرة، ومنهم أبو بكر بن الفقيه عبدالله بن عبدالرزاق مقدم الذكر في أهل ذي أشرق، مولده سنة اثنتين وقيل ثلاث وعشرين وخمسمائة، تفقّه بالإمام أيضاً، وبأبي بكر بن سالم، رويت له منزلة في الجنة وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، ومنهم منصور بن إبراهيم الموصلي ولي قضاء لحج من جهة عثمان السهلي[5] نائب شمس الدولة بعدن، ونواحيها ولم يزل هناك قاضياً إلى سنة سبع وسبعين وخمسمائة. .

ومن السفال القرية المذكورة أولاً جماعةٌ منهم سالم بن الشعثمي اليافعي، ضبط أبيه بالشين المعجمة بعد ألف ولام ثم بعدها عين مهملة ساكنة وثاء مثلثة

---

(١) عرز لا تعرف اليوم والسرَّة: تقدم ذكرها وعبارة ابن سمرة ص١٩٩ وعبدالله بن أبي بكر من السرة وعبدالله بن الزوقري من عرز.

(٢) الصوم: لا تعرف.

(٣) سودان: كما ضبطها المؤلف: قرية عامرة في عزلة لحيان من المذيخرة.

(٤) المسابي لم يضبطها الجندي ولا ابن سمرة ولعلها المنتابي نسبة إلى آل المنتاب.

(٥) كذا في الأصلين، ولعله عثمان الزنجيلي الآتي ذكره وهذه الأصح ـ المحقق.

مفتوحة وميم ثم ياء نسب، لم أتحققه ولعلّه من إب، وأما اليافعي فظاهر بالياء المثناة من تحت قبيلة قد انتسب إليها قاضي الجند وغيره خرج منها عدة فضلاء وهي من قبائل اليمن المعدودة. ومنهم أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الفقيه الصالح عمر بن إسماعيل بن علقمة مقدم الذكر، مولده سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وتفقه بعبدالله بن يحيى الصعبي مقدم الذكر وقد أخذ عن الإمام يحيى أيضاً وعن أحمد بن أسعد بن الهيثم وإليه انتهت خطابة بلده وإمَامَتِها ورئاسة تدريسها وفتواها، وكان جميل الخلق مديد القامة[1] بحيث كان بعض الفقهاء يقول ما أشبهه بقول الشاعر:

إذا ضبط السير مدّ سرادقاً   عليه من الله الإلهي مضروب

حكي أنه حصل على يده مَظْلمة فنزلوا الجند يشكون إلى السلطان إذ كان بها ولم يعذر الفقيه عن النزول معهم فمرّوا ببعض أزقتها عند عربي فجعل يتأمل الفقيه ويتعجب من حسن خلقه وبهجته وكماله، ثم قال ما أظن هذا الرجل خليقاً إلا من أكل البرّ واللحم وشرب الخمر فسمع ذلك بعض من كان مع الفقيه فقال للفقيه فتبّسم وقال والله ما أعرف اسم الخمر إلّا من الكتب وقد ذكرت أنه أحد من حضر سماع صحيح مسلمٍ بجامع الجند على الإمام سيف السنّة ومخالفته له في الجواب، وكان فقيهاً مبرزاً نظيف الفقه لا تأخذه في الله لومة لائم، وفي أيامه جاء الإمام يحيى ذو السفال وتفقه به جماعة ومنهم محمد بن جديل ومحمد بن كليب البُحري ثم الخولاني كلاهما من سهفنة، وأحمد بن عبدالله بن أسعد بن مسلم القاضي منها، ويعقوب بن يوسف بن سحارة من حضرموت وسكن المخادر وكانت وفاته بالقرية المذكورة سنة ست عشرة وستمائة وقبر بالمقبرة الغربية التي بها قبر أبيه زرته بحمد الله مراراً، وبين تربته وتربة أبيه، تباعد قليل فليعلم ذلك.

ومنهم علي بن أبي بكر بن داود القريظي أصله من لحج ثم سكن زبيد وبها توفي سنة ثمانين وخمسمائة وأظن هذا جدّ الفقيه الآتي ذكره آخراً.

ومنهم أبو عبدالله بن مفلح الحضرمي كان من كبار أصحاب الإمام وإليه الإشارة في خطبة المشكل حيث قال سألني بعض من يعزّ علي سؤاله ويعظم عندي قدره وحاله. ومنهم محمد بن عبدالله الحضرمي من تريم قرية قديمة كبيرة بحضرموت بتاء مثناة من فوق مفتوحة وخفض الراء، ثم ياء مثناة من تحت ثم ميم[2] تفقه بالإمام وأخذ

---

(١) في «د» وكان جميل الخلق، جميل القامة.

(١) تريم كما ضبطها المؤلف لا زالت عامرة بالأهل والسكن والعرفان ويأتي ذكرها للمؤلف.

عنه الحديث أيضاً وكان كامل الفضل تعلم الفقه والأدب. . .

ومن ناحية الجند ثم من قرية زبران أبو أسامة زيد بن الفقيه عبدالله بن أحمد الزبراني مقدم الذكر مولده سنة ست عشرة وخمسمائة به تفقّه جماعة منهم عمر بن سمرة مؤلف طبقات أهل اليمن ومحمد بن أحمد الصعبي وأحمد بن مقبل الدثني. . .

ومنهم عبدالله بن مسعود، وكان فقيهاً مجوّداً تفقّه بالمليكي والسلالي وأخذ عن الإمام، قال ابن سمرة وابنه هو أبو بكر هو المدرس في هذه المدة بالجبابي، تفقّه بمحمد وعبدالله ابني سالم الأصبحيين مقدمي الذكر ومنهم أبو العتيق أبو بكر بن الفقيه سالم الأصغر مقدم الذكر. مولده شعبان سنة تسع وستين[1] وأربعمائة بداية تفقّه بأبيه وبمقبل بن محمد وعبدالله بن عبدالرزاق وهو أحد أشياخ ابن سمرة أثنى عليه ثناء مرضياً وقال وكان هذا زاهداً ورعاً شائع الذكر لذلك قدم السلطان توران شاه إليه ذا أشرق زائراً له إذ بلغه صلاحه فتبرك به واستسعد بالنظر إليه وسأله الدعاء فدعا له بالصلاح،وهو أحد شيوخ ابن سمرة أيضاً وأول شيوخ أبي بكر بن إسحاق الجبائي توفي لعشر بقين من القعدة سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وقبره بالعدينة مع قبور أهله شرقي قبلي ذي أشرق زرتهم مراراً. . ومنهم ابن أخيه أبو محمد عبدالله بن محمد بن الفقيه سالم وهو ابن بنت الإمام زيد اليفاعي مولده صفر سنة اثنتين وخمسمائة كان فقيهاً خيّراً وهو الذي روى أن مال جده زيد المبلغ المذكور أولاً مع ذكره وتوفي لتسع خلون من المحرم سنة خمسمائة وثماني وسبعين وله أخوان أحمد وعلي وأظنهما شقيقين ولد أحمد بشعبان سنة ثمان وخمسمائة وولد علي في المحرم سنة عشر وخمسمائة وتوفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. ومنهم محمد بن عبدالله مولده صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة انتهت إليه رئاسة الفتوى بذي أشرق وكان مجوداً توفي في سنة تسعين وخمسمائة. . ومنهم أخوه أسعد بن عبدالله مولده ربيع الأول سنة ثلاثين وخمسمائة ولهما أخ اسمه علي لم أجده في الأسماء.

ومنهم محمد بن الفقيه أبي بكر بن الفقيه سالم يلقب بالضرغام مولده جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة وكان صالحاً تقياً وله ذرية موجودون بالقرية إلى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة وكانت وفاته سنة ست وخمسين وخمسمائة. . .[2].

---

(١) في «ب» وسبعين.

(٢) في «ب» وستين وخمسمائة.

ومنهم صنوه علي بن الفقيه أبو بكر بن الفقيه سالم مولده شعبان سنة ست وعشرين وخمسمائة كان فقيهاً فاضلاً تفقّه به جماعة منهم إبراهيم بن حديق وأخوه أحمد بن علي وعمر بن سمرة وغيرهم وتوفي بجمادى الأولى سنة أربع وأربعين وخمسمائة تفقه بأخيه كما مضى وهو آخر من ذكره ابن سمرة في بني الإمام. قال توفي أحمد سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

ومن ناحية المشيرق ببلاد بني حبيش جماعة منهم عمر بن ربيع وعمر بن أبي بكر بن أبي حبال ومحمد بن ثعالة بن مسلم اليافعي وعيسى بن مفلح وأحمد بن سلمان الشبويان ينسبان إلى قرية تعرف بشبوة بفتح الشين وسكون الباء وفتح الواو ثم هاء ساكنة، وموفق بن مبارك من قرية أُلْخ بضمّ الهمزة وسكون اللام ثم خاء معجمة وهي بجهة بلد بني حبيش[1]، قال ابن سمرة والثلاثة المذكورون آخر من لقيتهم بجامع أُلْخ ينسخون كتاب الانتصار للإمام يحيى، وسألوني عن مسائل فأجبتهم بما وفق الله تعالى وذلك سنة إحدى أو اثنتين وستين وخمسمائة ومن أبناء عمه محمد الحضرمي ومنهم أسعد بن مسروق بن فتح بن مفتاح وهو ابن أخي الفقيه سليمان بن فتح المقدم ذكره، قال ابن سمرة سمع يعني أسعد بقراءتي الترمذي على شيخي أبي بكر الإمام بذي أشرق وذلك سنة سبعين وخمسمائة.

ومنهم أحمد بن زيد بن عبدالله الخلقي الهمداني وأبو بكر بن سالم الحرازي... ومنهم أحمد بن الفقيه محمد بن موسى ولي قضاء الجند، ذكره ابن سمرة بذلك، وكان آخر من ذكره ابن سمرة من بني عمران، وسيأتي ذكر انتقال القضاء منهم إلى وقت انقضائه عنهم... ومنهم أخوه حسان بن الفقيه محمد بن موسى مولده سنة تسع وعشرين وخمسمائة وكان فقيهاً درس بحصن الظفر لبعض مشايخ الأعروق وبه تفقه جماعة منهم أحمد بن مقبل الدثني ولم يفرده ابن سمرة بذكر، بل في معرض ذكر الفقيه الآتي ذكره، وكان له ابن اسمه عبدالله توفي في بعدان، تفقّه وذكر بذلك سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وهذا آخر من فهمت استحقاقه للذكر من بني عمران من أهل الطبقة، وانقضى ذكر من أورده ابن سمرة وعُدّ صاحباً للشيخ يحيى بن أبي الخير وبقي جماعة في طبقتهم منهم سعيد بن أحمد بن إسماعيل المسكيني صاحب حصن شواحط وقت دخول سيف الإسلام اليمن، كان فقيهاً فاضلاً أثنى عليه ابن سمرة وقال رويت عنه كتاب النجم بروايته له

---

(١) يأتي تحقيق هذه الأماكن وما هو الأصحّ فيها.

عن مصنفه، وقال أخبرني الفقيه محمد بن إبراهيم عن الإمام يحيى بن أبي الخير أنه قال الشيخ سعيد بن أحمد يصلح للفتوى، وكان هذا سعيد حال قدوم سيف الإسلام اليمن مالكاً لحصن شواحط المقدم ذكره فسلمه لسيف الإسلام بعد أن قبضه ثم أقام ببعض الجهات حتى توفي سنة ثمان وثمانين وخمسمائة بذي القعدة. . ومنهم أبو العتيق أبو بكر بن محمد العنسي الوعلي، فالعنسي نسبة إلى فخذ من مذحج يقال لهم العنس بالعين (والباء) الموحدة[1] ثم سين مهملة والوعلي نسبة إلى قرية من بلد صهبان تعرف بوعل بفتح الواو وبخفض العين المهملة ثم لام مسكنة، القرية المذكورة وله بها إلى الآن ذرية، وكان فاضلاً متأدباً وله اجتهاد مرضٍ وشعر معجب، وكان ينكر على الفقهاء مسألتين هما عدم القول بطلاق التنافي وصحته، ثم الحيلة في الزيادة على ما يأخذه المقترض كما يقول أهل القرض: الحيلة في الزيادات طريق الربا. وكان يقول في إيقاع الطلاق على الحبس هو حيلة على رفع الطلاق بعد وقوعه وفي الزيادة في البيع فهي حيلة على استحلال محض الربا، وله في المسألتين قصيدتان مشهورتان منهما في إنكار التنافي قوله[2]:

طلاق التنافي قد نفى الحق ظاهراً ... وإني له والله يشهد لي أنفا
إذا طلق الزوج المكلف زوجه ... ثلاثاً وليس بمحجور عليه فقد أوفى
وليست حلالاً دون تنكح غيره ... بشرط كتاب الله ما قلته خُلفا
تصحح شرط الله دون اشتراطكم ... وتنفيه نفياً ثم تصرفه صرفا
فكل اشتراط ليس في الشرع باطل ... وشرط كتاب الله حقٌّ فلا يخفى
ولا ينتفي رفع الطلاق بحيلة ... وحيلتكم فيه أحقّ بأن تنفى
فأقسم ما تحليلها بطلاقها ... هو الحق إلا باطل قسماً حلفا
تحلونها فيه وتحريمها به ... فصارت بما بانت محبسة وقفا
فأين بقول الله وقف نسائكم ... وتصحيح ما قلتم فتعرفه عرفا
فإنَّ لحكم الحق فيه أدلة ... وكل ابتداع محدث فيه لا يخفى
لئن كان للتدقيق هذا فتركه ... من الفرض والتحقيق والمذهب الأصفى[3]

---

(١) هذا وهم من الجندي، وإنما عنس بالعين المهملة والنون والسين وقد تقدم ضبطها للمؤلف ولا يوجد في بطون عنس بطن تسمى «عبس» بالعين المهملة والباء الموحدة والسين المهملة ووعل كما ضبطها المؤلف قرية عامرة من عزلة هدفان مخلاف نعيمة: صهبان.

(٢) يقال إن طلاق التنافي هو الدور، والبحث جارٍ عن هذا الطلاق.

(٣) كذا في الأصلين وفي ابن سمرة من الفرق.

فكم من أنــاس دقــقـوا فتــزنـدقــوا ... فصاروا به عن علم فهم على الأشفى
فيــا عمـراً لــو قلتمــوهــا بــوقتــه ... لأثخن فيكم ثم جــاهــدكم زحفــا
أعــوذ بــربــي مــن تــكـلّف حــيـلة ... وتــرك كتــاب نـوره الـدهـر لا يـطفـا
أأطـلب تُــرْبــاً للتَّـيَـمُّـمِ عــامــداً ... وعـنـدي مـاء البحـر أغـرفــه غـرفــا
فــأبــطلْ بهــا من حيلة مـسـتـحـيـلة ... وأعظمْ بحكمٍ صار من أجلكم حيْفا
فــأعــظمْ بهــا من فتنــة ومصيبــةٍ ... لهـا تـذرف العينـان من دمعهـا ذرفـا
تصحّــح فـرعــاً وهــو تعليق طلقــةٍ ... ويسقط أصلاً وهو شـرط لها حتفـا[1]

وهي طويلة (على ما ذكر ابن[2] سمرة) لكن[3] أخذت منها الغرض المقصود وله قصيدة في بطلان حيلة الربا أوردت منها ما ذكر ابن سمرة برمته، منها:

الحق أضحى غــريبــاً ليس يفتقــد ... وكــل مــا قــالــه في النــاس يضـطهـد
لا يقبـل الناس قــول الحق من أحـد ... حتى يمـوت ويفنى الكبـر والحسـد
مــا كـل قــول لأهـل العلم منتفــع ... كــلا ولا كــل فـعــل منـهـم زَبَـد
هم هم خيــر من فيهــا إذا صلحــوا ... وشــرّ داءٍ مــن الأدواء إن فــســدوا
فمنهمُ كــلِ مـعــروف وصــالحــةٍ ... ومـنـهــمُ تـفـسـد الأقــطار والـبـلد
فــمــا شَقَتْ أمّــة إلا بشـقــوتـهـم ... يــومـاً ولا سعــدت إلا إذا سعــدوا
أضحى الربا قد فشا من أجل حيلتهم ... في كل أرض سوى أرض بهـا فقدوا
والله حــرّم مــعــنــاه وبــاطــنــه ... ومــا لهم فـيــه بــرهــان ولا سنــد
يــا بــائعــاً ثــوبــه حتى يعــادلــه ... أليس يعلم ذاك[4] الـواحـد الصمـد
سبحــانـه من حليم بعــد قــدرتــه ... وعــالــم مــا أرادوه ومــا قـصـدوا
هــل قـال هــذا رسـول الله ويحكُم ... أو قــال ذلـك من أصحــابـه أحـد
أم غــاب عنهم دقيق العـلم دونكُـم ... أم باكتساب حلال الربـح قد زهـدوا
والعلم يـورث عن رسـل الإلـه كمـا ... يحـوز بـالإرث مـال الـوالـد الـولـد
عمن رويت التنــافي والـربــا وهمـا ... لكــل مهلكــة أو بــاطــل عضــد
من أجـل أيّهما أقصي المحـال فـإن ... جــازا فلا بــاطـلِ من بعــد يُنتقـد

---

(١) حذف الجندي تسعة أبيات مما ذكره ابن سمرة فارجع إلى طبقاته المطبوعة.
(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب» ثم قال ابن سمرة: والشعر طويل.
(٣) في «ب» ساقط لفظ «لكن» وساقط لفظ المقصود.
(٤) في ابن سمرة هذا الواحد الصمد.

ولم يَرْو ابن سمرة من شعره في هذه المسألة غير هذه الأبيات، وذكر أنها أكثر من ذلك، ولما بلغ ذلك من قوله إلى الشيخ عبدالله بن يحيى وإلى الإمام يحيى شق عليهما وغاظهما كلامه الخارج عن ميدان الفقه وأمر ابنه طاهراً أن يرد عليه كلامه فردّ عليه بكتاب صنفه وسماه «الاحتجاج الشافي بالرد على المعاند في طلاق التنافي».

وسافر هذا الفقيه إلى مكة سنة ست وستين وخمسمائة وصحبه الشيخ محمد بن عثمان بن الحسين والفقيه حسان بن محمد بن موسى مقدم الذكر وعادوا سالمين، فتوفي بقريته بوعل سنة ٥٦٧ وهذا محمد عثمان كان من أعيان زمانه على ما قيل ورؤساء بني عمران صاحب إطعام وإحسان، على ما قيل، وكان للفقيه المذكور ابن اسمه علي توفي بعد أن تفقه وكان فقيهاً فاضلاً يقول الشعر أيضاً توفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

ومن الأنصال إحدى قرى العوادر المعتمدة أحمد بن زيد بن محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم بن عمر اليزني، كان مفتي ناحية بلده تفقّه بالإمام يحيى ووقف نسخة بيان على يد شيخه وتوفي بالقرية، لم أتحقق له تاريخاً وخلفه ولده لم يسمه ابن سمرة... ومنهم أبو الخطاب عمر بن حسين بن أبي النهى كان فقيهاً فرضياً حسابياً كان مسكنه إب وبجامعها كانت مدرسته، وكان يقول بيني وبين مؤلف المهذب رجلان وبيني وبين مؤلف الفرائض رجلان، فالذي بيني وبين مؤلف المهذب عمر بن علي السلالي ثم ابن عبدويه، والذي بيني وبين مؤلف الفرائض غير إبراهيم بن يعقوب وغيره الشك من الناقل عن عبدالله يرويها عنه بهذا السند، ولم يزل على الطريق المرضي إلى أن توفي ليلة عيدالفطر من سنة سبع وستين وخمسمائة، وكان له ابن عابد اسمه علي موصوف بأنواع (العبادة)[1] مشهور بالصلاح، ذكر أن سبب ذلك أن أباه كان معه امرأة غير أمّ الولد وكانت تكرهه كما هو الغالب في طبع الخالات[2] وكانت كثيراً ما تكرر على أبيه منه ما لا يحسن وتحرّضه، ثم إنه خرج ذات يوم يأتي الحطب فلما جاء وهو جائع سأل خالته أن تطعمه فقالت القشير بالمشتو[3] بكلام جاف

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «د».

(٢) الخالة تطلق عندنا على معنيين أخت الأم وهو السائد في اللغة والذي جاء في الحديث الخالة أم، والمعنى الثاني على زوج الأب الثانية وتسمى الضرّة في اللغة والمعنى هنا زوجة الأب.

(٣) القشير: الحب المقشور الذي لم يخلص طحنه، والمشتو: بفتح الميم وسكون الشين المعجمة وضم التاء المثناة من فوق وواو مضمومة مشددة: الوعاء أو الإناء الذي يوضع فيه العجين ليشتأ أي يختمر =

فأخذ حجراً ورجم المشتو حتى كسره وأبوه إذ ذاك غائب عن البيت وخرج الصبي فوصل أبوه فأخبرته امرأته بما فعل ولده وكبّرت عليه ذلك فشقّ عليه وخرج مغضباً حتى أتى الجامع فأمر الدَّرَسة بالطهارة والاجتماع فلما اجتمعوا أخبرهم بما فعله ولده وأنه يريد منهم قراءة يس والدعاء بذهابه فقال له بعضهم: لا يا سيدنا ألا يكون الدعاء له بالهداية أولى؟ فاستصوب ذلك والحاضرون فقرأوا يس ودعوا له بذلك، وكان سيداً كبيراً، لزم مقصورة في جامع إب واعتكف بها، وكان غالب أكله أصول الأشجار يخرج لها ويقتلعها ثم ييبسها ويدقها ثم يكون يستفها، ولم يزل على ذلك حتى توفي بعد أن شُهدت له كرامات كثيرة.

ومن أعجبها ما أخبرني به شيخي القاضي أحمد بن عبدالله العرشاني إجازة حدثنا الفقيه سفيان بن أبي القبايل أخبرنا القاضي علي بن عمر أو القاضي أحمد بن الشيخ الحافظ علي بن أبي بكر العرشاني مقدم الذكر عن الإمام أبو عبدالله محمد بن أبي الصيف قال كنا ذات يوم واقفين بالحرم إذ سمعنا هاتفاً من الهوى يقول إن لله ولياً يسمى علي بن عمر في الإقليم الأخضر من مخلاف جعفر مات فصلّوا عليه فصلّينا عليه، ثم أرّخت ذلك حتى قدم أهل المخلاف فسألتهم عن من مات بذلك التاريخ فقالوا رجل يقال له علي بن عمر من إب ثم ذكروه بخير ذكر، فعلمت أنه المعني بالنداء وتربته من الترب المشهورة في البركة واستجابة الدعاء.

ومن عجيب بركتها ما أخبرني بعض الثقات من أهل العناية والبحث عن أحوال هذا الرجل وأمثاله أنه كان على قبره شجرة سدر يتبرّك بها الناس ويأخذ أصحاب الحموات[1] من أوراقها يطلون بها رؤوسهم فيبرأون، واسْتَفَاضَ ذلك في جهات كثيرة حتى كان يؤتى لذلك من الأماكن البعيدة ويعتمد في الأمراض الشديدة، ومن عادات أهل إب في غالب الأعياد أن يحصل بينهم وبين أهل باديتهم حروب كثيرة كما هو متحقق فلا يألو من ظفر منهم بصاحبه غير مفكر بالأذية بقتل أو غيره، فحصل في بعض الأعياد حرب انتصر بها أهل البادية فانهزم أهل إب إلى البيوت، ووصل أهل القرية إلى قريتهم ولم يطيقوا دخولها فقال بعض شياطينهم اذهبوا بنا إلى هذه الشجرة

= والشتاء بالضم وهي الخميرة توضع بين العجين ليختمر لغة دارجة في عموم اليمن والمشتو للوعاء لغة اليمن الأسفل وقوله وكبّرت عليه أي قالت الله أكبر عليه إشارة إلى موته والتكبير عليه في جنازته ولا زالت هذه اللغة متداولة فيقال بالدعاء عليه الله أكبر عليك.

(١) كذا في الأصلين جمع «حمى»، وهم الذين يصابون بالحُمّى.

التي يعبدونها ولنعقرها عليهم فلا ينتفعوا[1] بها فنهاهم العقلاء، وأسرع إلى ذلك الجهلاء فضربوا العلبة بفأسٍ حتى أوقعوها الأرض، وألقى الله بقلوب أهل المدينة القوة والأنفة فخرجوا مسرعين نحوهم فهزموهم هزيمةٍ شنيعة وقتلوا منهم جمعاً أوّلهم عاقر الشجرة وحين وقع هبّروه بالسيوف تهبيراً عظيماً[2] وتعرف هذه التربة بتربة من سمع النداء بالصلاة عليه في الحرم ولم ير المنادي[3]..

ومنهم أبو سعيد منصور بن علي بن عبدالله بن إسماعيل بن مسكين، مولده صفر سنة سبع وعشرين وخمسمائة تفقّه بزوج والدته الفقيه أحمد بن أبي بكر بن أحمد التباعي، وأما هذا فمولده ومنشأه ناحية دلال بقرية تيثد المقدم ذكرهما، وقدمتهما سنة ثلاث عشرة وسبعمائة لغرض الزيارة والفحص عن آثار الأخيار فيها وزيارة تربته، فلم أكد أجد أحداً من أهل العناية بذلك، غير أنه أخرج لي فقيه القرية وإمام الجامع بها كتاباً به أخبار يسيرة لم يكن به شيءٌ من أخبار هذا الفقيه ولا ذكر له ابن سمرة تاريخاً، ولعله كان حياً بزمانه...

ومنهم عبدالله ابن الفقيه يحيى بن محمد المذكور أولاً من أهل الملحمة وفي أصحاب اليفاعي، وصاحب الشعر الذي مدح به شيخه زيد اليفاعي، مولد عبدالله سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وتفقهه بتلميذ أبيه محمد بن سالم الأصبحي وتوفي سنة ست وخمسين وخمسمائة، ومنهم أبو يحيى فضل بن أسعد بن جعفر بن أبي سالم المليكي ثم الحميري قدم والده أسعد من ردمان[4] وسكن موضعاً من دلال وأولد ابنه فضلاً هناك في شهر صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، أثنى عليه ابن سمرة ثناء مرضياً، وقال هو فقيه مجوّد ارتحل إليه الأصحاب رغبة في علمه وكرمه، وابنه يحيى سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، قال ابن سمرة وهذا فضل بن يحيى هو مدرس الملحمة الآن يعني في عصره، وذلك لنيف أو بضع وثمانين وخمسمائة إذ لم أجد

---

(١) كذا في الأصلين بدون إثبات نون الجماعة، وصوابه فلا ينتفعون، وهذه القصة يتداولها بعض العارفين من أهل «إب» ويزعم بعضهم أن القيامة لا تقوم إلّا إذا خرب ذلك القبر الذي فيه ذلك العالم، وقد خرب القبر وقامت قيامة أهل إب بكثرة العمران وانتهاب المقابر حتى لا يلقى أهل إب أين يقبرون موتاهم.

(٢) هبره إذا قطعه إرباً إرباً، وضربوه بالعصا.

(٣) كانت تربة هذا العالم فيما كان يسمّى «المكفاز» قرب «حول ولي» وقد صار الكل بنايات وعمارات واختلط الحابل بالنابل وكانت السدرة العلبة موجودة وأرانيها الوالد العلامة أحمد بن علي العنسي وحكى القصة هذه من قبل أن أطلع على الجندي.

(٤) هو ردمان المشهور مشرق شمال مدينة رداع وذكره الهمداني في الاكليل ج٢ ص٩، و«صفة جزيرة العرب» ص١٩٥.

لابن سمرة ما يرشدني أنه بلغ التسعين ولما قدمت الملحمة بالتاريخ المتقدم لم ألق أحداً من ذريته يسكنها وإنما يسكنون قريتين من جبل بعدان وهما على قرب من الملحمة وتعرف إحداهما بالنظارى[1] والأخرى بالمحيب، سيأتي ذكر من تديرهما منهم إن كان مستحقاً له، وقد دخلت القريتين للبحث عما أنا أقصده فأخرج بعض ذريته كتاباً فيه تاريخ جماعتهم فأخذت منه تاريخ من قد تحققت استحقاقه للذكر، فذكر أن وفاة يحيى هذا كانت بقرية الملحمة لعشر خلون من المحرم مستهل شهور سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ومنهم أحمد بن أسعد وولده عبدالله، كان جوالاً في البلاد وغلبت عليه العبادة وكانا فاضلين بالقرآن وغيره. . .

ومن نواحي الجند ثم من سودة[2] جماعة منهم أبو عبدالله سلمان بن أسعد بن محمد الجدني ثم الحميري وهو في السماية[3] إلى سلمان الفارسي لا إلى النبي سليمان (ﷺ) وحققت ذلك لأني وجدت كثيراً من الناس يخطئون فيه بنسب قومه إلى ذي جدن أحد أذواء حمير[4]. ومنهم جماعة كثيرة يسكنون في القرية المذكوره وما والاها من قرى النجاد[5] وقرية الفقيه باقية إلى الآن، ضبطها بفتح السين المهملة وسكون الواو وفتح الدال المهملة ثم هاء ساكنة، وهي قرى صقع يعرف بالنجاد بخفض النون المشددة بعد ألف ولام وفتح الجيم ثم ألف ثم دال مهملة، وهي من مدينة بلدي الجند وهي[6] على ثلث مرحلة فيها غربي يمينها[7] تفقّه هذا الفقيه بعلي بن أحمد اليهاقري المقدم ذكره، كانت قريته المذكورة قد يطمع بها العدو ويغزوهم العرب إليها، وبمشرقها جبل منيع فأشار الفقيه على قومه وأهل قريته بالانتقال إلى الجبل والسكون بذروته وكان فقيهاً خيراً براً بالأصحاب وهو أول من انتقل، وبنى بيتاً فتبعه كثير من الناس وسكنوا معه وسموا الموضع قناذر بضم القاف

---

(١) قرية النظاري والمحيب من مخلاف بعد أن شرق الملحمة يصعد إليهما من حبلها وضبط الكلمتين معروف، وربما يضبطهما المؤلف فيما يأتي، والمحيب أيضاً: قرية من مخلاف عياش: حضور.

(٢) سودة من قرى الجند كما ضبطها المؤلف وهي شبه خرابة وآخرها بحسب العوامل.

(٣) السماية بالضم كالتسمية أي أنه مسمى كاسم سلمان الفارسي لا باسم سليمان النبي بن داود وربما تكون بضم السين ـ المهملة وتشديد الميم ومنه قول العامة. أعطني السماية أي أنك سميت ابنك باسم ابني، فأطلب منك الجائزة.

(٤) انظر نسب ذي جدن في «الإكليل» ج٢ ص٢٩٦، وفي ابن سمرة: سليمان الجندي وهم.

(٥) النجاد كذا يذكره ياقوت الحموي في معجمه وهي من مخاليف الجند.

(٦) هذا تكرار.

(٧) يمينها أي بجنوب.

وفتح النون ثم ألف ثم ذال مخفوضة ثم راء[1] وكانت وفاته بها عاشر رمضان سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بعد أن وقف كتبه أدركت بعضها وقد تهدّم بيد بعض ذريته، ومنهم بقية تغلب عليهم البداوة والعامية. . . ومنهم ابن عمه نسباً وتِرْبُه وخدنه[2] أسعد بن سلمان الجدني، كانا متزاملين في القراءة على الفقيه علي بن أحمد اليهاقري وكان لشدة صفاء صحبتهما يُظن أنهما أخوان وهما أبناء عم من جهة القبلية ومسكنهما قرية واحدة قرأا جميعاً على الفقيه أبي الحسن اليهاقري، هكذا ذكره ابن سمرة ولا عقب له كما لابن عمه فسألت عن ذلك فقيل لي إنه كان يتعانى استخدام الجن واستحضارهم واصطلاح كثير من الناس إن من يعاني ذلك لا يعيش له ولد في الغالب، ولم أقف له على تاريخ ولا ذكر ابن سمرة له ولا لابن عمه تاريخاً بل لما دخلت قريتهم وبحثت عن شيء من أحوالهم أتي لي بشيء من بعض كتب الفقيه سلمان كان مع بعض ذريته فوجدت تاريخ الفقيه سلمان بخط قد كاد يضمحل[3].
ومن قرية العُقَيرة المقدم ذكرها وضبطها أبو الحسن علي بن الفقيه عبدالله بن محمد بن أبي الأغر المقدم ذكره، تفقّه بالهرمي كما قد ذكرت أولاً، كذا ذكر ابن سمرة وبعض أهله يقول إن معظم تفقّهه أولاً بأبيه ثم ثانياً بالفقيه علي ولم أتحقق تاريخه. ومن الشعبانية صقع متّسع فيه قرى كثيرة من أعمال تعز البلد الذي يديره الملك المظفر بن رسول وبنوه إلى عصرنا، وقد تقدم ضبطها منها قرية مسكونة إلى الآن سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة تعرف بكمران على قياس شبه كمران[4] كان فيها جماعة منهم أحمد بن أسعد الكلَالي ثم الحميري قيل له الكلالي نسبة إلى ذي كلال أحد أذواء حمير[5] كما قد تقدم ذكره غير مرة، وكان تفقهه بعبدالله بن يحيى الصعبي غالباً وبعلي بن عبدالله الهرمي وكان فاضلاً بالفقه والأصول، وعنه أخذها القاضي الكامل مسعود العنسي وكان له بها أخوان هما عبدالله وعلي، وأظنهما تفقّها به ومنهم

---

(١) قناذر: كما ضبطها المؤلف وهي عدة قرى صغار وواد مغيول كبير جنوب مدينة الجند وعداده من مخلاف «حمر» ماوية وأهله من السكاسك ومن ذي جدن والجبل كبير وبعض بيوت الجبل لا زالت ماثلة ومتهدمة.

(٢) الترب بكسر التاء المثناة من تحت وراء ساكنة وباء موحدة: السنيف والمساوي له بالعمر، والخدن: بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال آخره نون: الصاحب.

(٣) أي بالتاريخ المذكور قريباً.

(٤) جزيرة كمران تقدم ضبطها وهذه مثلها في الضبط والحروف وهي قرية عامرة في عزلة الأجعود من شمال مدينة «تعز» وقبر العالم فيها.

(٥) قد تقدم ضبط الكلالي ونسبهم راجع الإكليل ج٢ ص٢٦٢ وص٣٦٨، وص٣٥٩ وغيرها.

أحمد بن الفقيه عبدالله بن علي الحربي المقدم ذكره وابناه مهدي وزيد كانوا فقهاء لم أتحقق لأحد منهم تاريخاً، ومن ذي عدينه علي بن أحمد بن إسحاق تفقه بشيوخ تهامة، ومن تهامة ثم من مخلاف السليماني نسبة إلى الشرفاء[1] بني سليمان بيت عز وكرم مُتأثل، خرج من هذا المخلاف جمع من الأعيان من فقهاء الطبقة، فممن تحققته أبو محمد عمارة بن الحسن بن علي بن زيدان بن أحمد الحكمي نسباً ثم المذحجي مولده في بضع عشرة وخمسمائة تقريباً.

قال ابن خلكان وذلك بوادي وساع في مدينة تسمى مرطان خرج شاباً ولحق بزبيد في طلب العلم فاشتغل على الفقيه ابن الأبار خاصة وأخذ عن غيره لكنه ذكر أنه أخذ عنه مذهب الشافعي وذكر ذلك في مفيده وكان قد تعانى التجارة وبضاعتُه إذ ذاك في الأدب ضعيفة وكان خروجه من البلد الذي ولد به لطلب العلم سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة وحصل بيده شيء من الدنيا سافر به إلى عدن مريداً للتجارة فقدمها وبها الأديب الفاضل أبو بكر بن محمد العندي، فأكرمه وأمره بمدح الداعي محمد بن سبأ، وهو إذ ذاك صاحب الدعوة، قال عُمَارة فأعلمته أني لست بشاعر فلم يزل يلازمني ويحسن لي حتى عملت قصيداً غير مرضٍ فأعرض الأديب عنه وعمل على لساني قصيداً مرضياً ذكر به المنازل من زبيد إلى عدن، وهنأ به الداعي محمد بن سبأ بأعراسه بابنة الشيخ بلال بألفاظ خاصية كتابية ثم تولى عني نشيدها بالمنظر وأنا حاضر كالصنم لا أنطق، وأخذ لي جائزة من الداعي وبلال وطيباً واشترى لي بضاعة من المال الذي كان معي، ثم لما عزمت على السفر قال لي يا هذا إنك قد اتسمت عند القوم بسمة شاعر[2] فطالع كتب الأدب ولا تجمد على الفقه، وكان ذلك سبب تعلمه له واشتغاله بالشعر وصحبة الملوك من ذلك الوقت، فلما أكمل من الأدب وصار عَيْناً من أعيان زمانه لم يزل مصاحباً للملوك آل زريع خاصة ولم يكد يشهر له شعر بأحد من ملوك اليمن غيرهم، ثم صار يترسل بين صاحب مكة الشريف ابن فليتة[3] وصاحب مصر أحد العُبيديين ثم تدير مصر وسكنها وصحب ملوك الفاطميين[4] وألزمه القاضي

---

(١) هذا وهم من الجندي فنسبة المخلاف السليماني إلى سليمان بن طرف الحكمي انظر تاريخ عمارة ص٦٥، وما بعدها وبجميع المصادر والتواريخ القديمة إنما تذكره بهذا.

(٢) انظر كلام عمارة في مفيده بنصّه وفصه ص٣٢٨.

(٣) ابن فليتة: هو قاسم بن هاشم بن فليتة كان أمير مكة وصاحب مصر العبيدي هو الفائز. وكانت وفاة قاسم بن هاشم فليته سنة تسع وأربعين وخمسمائة واسم الفائز العبيدي عيسى بن الظافر كانت وفاته سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

(٤) الفاطميون: هم العبيديون أصحاب مصر.

الفاضل[1] أن يضع مجموعاً متضمناً لأخبار جزيرة اليمن، فعمله وهو الذي يعرف بمفيد عمارة احترازاً من مفيد جياش، وله ديوان شعر وله شعر رقيق مونق، وله في ديوانه قصائد وأشعار كثيرة يمتدح بها الفاطميين من أهل مصر وجماعة من خواص دولتهم كبني رُزّيك وشاور[2] وأخرى يمدح بها آل زريع[3] من أهل اليمن وجماعة من دولهم كالعندي وبلال وبعض آل بني عقامه، وديوانه مشهور وشعره متناقل، من أحسنه ما قاله يرثي به الفاطميين:

لما رأيت عراص القصر خالية ... عن الأنيس وما في الربع ساداتُ
أيقنت أنهمُ عن ربعهم رحلوا ... وخلّفوني وفي قلبي حزازاتُ
سألتُ أبلهَ قلبي في السلو .وقد ... يقال للبله في الدنيا إصابات
فقال رأي ضعيف لا يطاوعني ... كيف السلوُّ وأهلُ القصر قد ماتوا
يا رب إن كان لي في قربهم طمعٌ ... عجل بذلك فللتسويف آفاتُ

ثم لم يقم بعد ذلك غير يسير حتى شنق وكانوا يقولون ينعى[4] على نفسه باللحاق بهم وكان جيد الصحبة حسن الألفة، ومن شعره ما أورده ابن خلكان قال[5]: ومن جملة قصيدة مدح بها شاور:

ضجر الحديد من الحديد وشاور ... من نصر دين محمد لم يضجرِ
حلف الزمان ليأتينَّ بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفِّر

ومما يدل على حسن وفائه أنه لما انقضت أيام بني رزيك في وزارة الفاطميين وأفضت إلى شاور وجلس أول يوم في دست الوزارة وحوله جماعة من أصحابهم، وممن لهم عليه إحسان، وقعوا في بني رزيك تقرُّباً إلى شاور، وكانوا قد أحسنوا إلى عمارة لم يهن ذلك عليه وقام وأنشد:

---

(١) القاضي هو عبدالرحيم بن القاضي الأشرف اللخمي ترجمته في «وفيات الأعيان» ج٢ ص٣٣٢ وفي عمارة ص٣٦، وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وخمسمائة.

(٢) بنو رزيك كانوا وزراء لبعض ملوك العبيديين وكانوا أهل مكارم وسماح وأدب وشعر، انظر أخبارهم في «الوفيات» ص٢٠٨ وشاور هو ابن مجبر السعدي وكان شهماً كريماً ترجمته «في الوفيات» ج٢ ص١٥٦ وفي غيرها ومدحه عمارة كما مدح آل رزيك، انظر ديوانه وكانت وفاة شاور وقتله سنة أربع وستين وخمسمائة ورزيك بضم الراء وتشديد الزاي المكسورة وسكون الياء المثناة من تحت ثم كاف.

(٣) تجد في ديوان عمارة المطبوع بالقاهرة المعزية قصيدة أو مقطوعة شعر في آل زريع وهكذا اليمنيون يضيعون تراث آبائهم وأجدادهم ولولا إخواننا المصريون احتفظوا بديوانه الذي قاله بمصر لضاع.

(٤) في «ب» تفاءل.

(٥) كذا في الأصلين وفي ابن خلكان ج٢ فيه مدائح من جملتها.

صحّت بدولتك الأيام من سقم ... وزال ما يشتكيه الدهر من ألم
زالت ليالي بني رزيك وانصرمت ... والحمد والذمّ فيها غير منصرم
كأنّ صالحهم يوماً وعادلهم ... في صدر ذا[1] الدست لم يقعد ولم يقم
هم حركوها عليهم وهي ساكنة ... والسلم قد ينبت الأوراق في السلم
كنا نظنُّ وبعض الظن مأثمة ... بأن ذلك جمع غير منهزم
فمذ وقعت وقوع النسر خانهم[2] ... من كان مجتمعاً من ذلك الرخم
ولم يكونوا عدوّاً ذلّ جانبه ... وإنما غرقوا في سيلك العرم
وما قصدت بتعظيمي عِداك سوى ... تعظيم شأنك فاعْذرني ولا تَلُم
ولو شكرت لياليهم محافظةً ... لعهدهم لم يكن بالعهد من قدم
ولو فتحت فمي يوماً بذمّهمُ ... لم يرض فضلك إلّا أن يسدّ فمي
والله يأمر بالإحسان عارفة ... منه وينهى عن الفحشاء في الكلم

فشكره شاور على وفائه[3] لبني رزيك، وكان عمارة يعرف عند أهل زبيد بعمارة الفرضي، وعند أهل عدن والجبال بالفقيه، وعند أهل مصر باليمني، ثم المصريون يختلفون هل دخل بمذهب الفاطميين أم لا، فالذي ذهب إليه ابن خلكان أنه لم يدخل بمذهب الفاطميين بل مات على السنّة والذي عرفته من مشافهة أحد فضلائهم ممن قدم اليمن وهو الشيخ أبو محمد الحسن بن المختار الآتي ذكره فيمن قدم اليمن وقد جرى ذكر عمارة وقلت له: أثنى عليه ابن خلكان، وذكر أنه بذل له على الانتقال مال فكره وكان متعصباً للسنة فقال: ما هو صحيح بل الأصح أنه دخل مذهبهم وهذا ما صححته[4] وله مصنف سماه «النكت العصرية في أخبار وزارة الديار المصرية» وله المفيد في أخبار (صنعاء)[5] و(زبيد) وقد أوردت منه كثيراً في كتابي ولما كان بعد فناء الفاطميين يكثر ذكرهم والتآسي عليهم والدعاء على من كان سبباً لهلاكهم وكل ما هَمّ بني أيوب القائم منهم صلاح الدين بأذيته على ذلك صدّ عنه القاضي الفاضل حتى كان آخر قول قاله فيهم (يا رب إن كان لي في قربهم طمع) الأبيات المتقدمة وقبل هذا يقول: (ما في الربع سادات).

---

(١) كان في الأصلين وفي صحن والمحفوظ والذي في الوفيات ما أثبتناه.
(٢) كان في الأصل جاءهم والتصحيح من الوفيات.
(٣) في الوفيات: قال عمارة: فشكرني وشاور ولده على الوفاء لبني رزيك.
(٤) الصحيح ما قاله ابن خلكان انظر مقدمة عمارة بإخراجنا، ص٣١ وأنه لم يدخل في مذهبهم.
(٥) صنعاء كانت ساقطة من الأصلين والتصحيح من عندنا.

وكثر عليه عند صلاح الدين فأمر بشنقه[1] مع جملة جماعة على رأيه فسألهم أن يجيئوا به على باب القاضي الفاضل، فحين أحس الفاضل بذلك أمر بإغلاق باب داره فحين مروا ورأى الباب مغلقاً قال مرتجلاً:

عبد الرحيم قد احتجب إنَّ الخلاصَ من العجب

ثم أُتي به إلى المشنقة فشنق بدرب يعرف بخرابة السود ثاني عشر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة...

ومنهم أبو عبدالله محمد بن منصور الجنيد الفتوحي نسباً المشيرقي بلداً الصمعي فالنسبة إلى المشيرق قد تقدم ذكرها وصمع: بضم الصاد المهملة وخفض الميم مع التشديد ثم عين ساكنة مهملة[2]، قرية قديمة بها قرابة لهذا الفقيه يتسمّون بالفقه ويُشهرون الصلاح، يأتي ذكر المتحقق منهم إن شاء الله، ولم يذكر ابن سمرة منهم غيره. والفتوحيون المنتسب إليهم قوم من الأصابح يُعرفون ببني أبي الفتوح يسكنون شعباً من نواحي (عَنَّه) سمعت الثقة يقول ذلك، وكانت وفاة الفقيه قافلاً من الحج بالسّرين سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، ومن ذريته جماعة فقهاء منهم الفقيه شرف الدين أحمد بن الجنيد صاحب يحيى الآتي ذكره وذكر من استحق منهم على ما أتحققه إن شاء الله، ثم صار الفقه موجوداً بجماعة منهم عبدالله بن المفضل بن عبدالملك الصرحي.

تفقّه بالفقيه عمرو بن عبدالله وولي قضاء ريمة، وتوفي عليه سنة ستين وخمسمائة وكان له أخ اسمه عبدالرحمٰن ولي خطابة حرض انتهت إليه رئاسة الفقه بها.

ومنهم سالم بن مهدي بن قحطان بن حمير بن حوشب الأخضري، أظن مسكنه (ذا عدينة) تفقّه بأهل تهامة، أخذ المهذب عن راجح بن كهلان عن ابن عبدويه وهو أحد شيوخ ابن سمرة وتوفي سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة.

ومنهم زياد بن أسعد بن علي الخولاني، كان فقيهاً فاضلاً مسكنه وادي شقب، بشين معجمة ثم قاف ثم باء موحدة على وزن فعل محرك القاف، استنابه القاضي

---

(١) كان في الأصل. من. والتصحيح من الوفيات.

(٢) البلدة عامرة في عزلة المشيرق من جبل حبيش وقوله عين (ساكنة) ما كان لها حاجة فآخر الكلمة على حسب العوامل.

عبدالجبار الحنفي متولي القضاء لبني مهدي على قضاء الجند، وله تصنيف استخرجه من كتاب البيان سماه (التخصيص) وكانت وفاته سنة ثلاث وستين وخمسمائة.

ومنهم أسعد بن يعفر بن سالم بن عيسى العريقي، تفقّه بالحاشدي مقدّم الذكر وحضر السماع على الحافظ العرشاني بذي أشرق، وتوفي ليلة عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة وقد بلغ عمره خمساً وستين سنة وتفقّه بشيوخ ذي أشرق.

ومنهم الفقيه أحمد بن السلالي مقدم الذكر في أصحاب ابن عبدويه مولده على رأس أربعين وخمسمائة وتفقه بشيوخ ذي أشرق.

ومنهم دعاس بن يزيد بن إسماعيل بن أبي الخير الأصبحي.

ومنهم عِلْيَان بن محمد الحاشدي، أخذ عن زيد الفائشي وإليه تنتهي طريقنا بكتاب نظام الغريب[1].

ومن السفال القرية المذكورة أولاً جماعة منهم أبو الحسن يحيى بن أبي بكر بن محمد بن أبي اليقظان، أخذ عن محمد بن موسى العمراني، وكان يدرّس بالمسجد المعروف عند أهل القرية بالمسجد الصغير[2]، وقد سأله بعض مشايخ الأعروق أن ينتقل إليه إلى الظفر ويدرّس عنده ففعل ذلك، فأقام عنده أياماً يدرس وتفقه به جماعة منهم أحمد بن مقبل الدثيني ببلده سنة سبع وسبعين وخمسمائة، وكان الشيخ الذي استدعاه من الأعروق هو الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب العريقي والد الشيخ أحمد وعمران وصاحب العودرية[3] وكانت له ولقومه من الذنبتين برأس قاع الجند إلى بلاد مقمح[4] فلما دخلت الغز هادنهم على قطعة معلومة «محلها»[5] وبقي بيده معشار السلف.

ومنهم علي بن عيسى بن مفلح بن المبارك المليكي أصل بلده مدينة إب المقدم ذكرها، ثم تدير عدن وتفقّه بها على القاضي أحمد بن عبدالله القريظي وعلى

---

(١) انظر نظام الغريب المطبوع بإخراجنا.

(٢) لا يزال معروفاً بذي السفال. واليقظان في ابن سمرة و«ب» وفي «ب» بدون الياء.

(٣) العودرية نسبة إلى قبيلة العوادر من السكاسك ثم من الأعروق، ولا زالت محتفظة باسمها في مخلاف العوادر سورق قضاء حُمر: ماويه والعوادر أيضاً في مخلاف شرعب وهذه من حمير.

(٤) الذنبتين يأتي ضبطها وموقعها من الجند ـ للمؤلف، ومقمح: بفتح الميم وسكون القاف وفتح الميم الثانية ثم حاء مهملة هي ما تسمى اليوم: الشرمان شرقي الجند ومن مخلاف حمر.

(٥) محلها من «د» وساقط من «ب»، والسلف تقدم ذكره وضبطه.

الفقيه المقيبعي حين دخلها كما تقدم فقيهاً حافظاً عارفاً بالفقه والحديث والتفسير والفرائض وله فيها مختصر مفيد، وكان زاهداً ورعاً يترحل بين بلده وعدن وجبا، وأخذ عنه بها جماعة، منهم إبراهيم بن حديق وغيره وأرادوا إكراهه أيام سيف الإسلام على القضاء في عدن فامتنع وخرج عنها فأقام أياماً بالخبت[1] ولحقته مشقة بذلك فمرض وعاد عدن فتوفي عقب ذلك سنة ثمانين وخمسمائة وهو آخر من ذكره ابن سمرة قبل فصل القضاة.

وممن ذكره في فصل القضاة جماعة من أهل الجبال ينبغي البداية منهم لمن كان له في الآباء سابقة وهم جماعة.

ومنهم عبدالله بن الفقيه محمد بن حميد الزوقري مقدم الذكر في أصحاب اليفاعي، وهذا عبدالله تفقّه بالإمام سيف السنة، وكان فقيهاً حاذقاً مباركاً، وله تردّد بين بلده والجؤة والدملوة، وهو أحد شيوخ الإمام بن بطال، وصحب الشيخ جوهر المعظمي ومسكنه حيث كان مسكن أبيه، وبه توفي بربيع الأول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، ومن ذرية هذا الفقيه قضاة الزواقر، والموسكة ونواحيهم، وربما يأتي إن شاء الله ذكر من لاق ذكره منهم.

ومنهم أهل عرشان قد مضى ذكر الحافظ وولديه، وأما ولده أحمد الذي ولي القضاء فذكره ابن سمرة في فصل القضاة، فهو أبو العباس أحمد بن الإمام الحافظ علي بن أبي بكر، وقد مضى بقية ما لاق من نسبه، مولد أحمد سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة تفقّه بأبيه غالباً وبغيره وولي القضاء بالجند من جهة أحد قضاة سهفنة إذ كان إليه قضاء جبلة ويقال: كان المشير بتوليته للقضاء القاضي عيسى، وكان فقيهاً حاذقاً مصقعاً خطيباً فاضلاً مؤرخاً ذيّل تاريخ الطبري. وله مختصر جمع فيه من قدم اليمن من الفضلاء، أثنى عليه ابن سمرة ثناءً مرضياً، ولما حصل بين سيف الإسلام وبين أثير الدين ما حصل وخرج الأثير من اليمن وكان القاضي أحمد قد يحضر مجلس سيف الإسلام وقرأ عليه موطأ مالك ورأيت إجازة سيف الإسلام من القاضي أحمد هذا فلبث مدة سنتين حتى تم له مع القاضي مسعود الآتي ذكره ما نقله الخلف عن السلف وهو أن القاضي مسعود لما شهر بجودة الفقه وانتهت إليه رئاسة الفتيا حينئذ، حسده أهل عرشان كما هو العادة في حكام الوقت، فذكر جماعة أنه وصل رجل إلى

---

(١) الخبت: المتسع من الأرض في الصحراء معروف وسيف الإسلام هو طغتكين بن أيوب وأثير الدين هو قاضيه، ويأتي ذكرهما.

بعض أهل عرشان بمسألة فجوّب عليها جواباً خطأ، فأخذها السائل وتقدم بها إلى القاضي مسعود، فلما وقف عليها كتب بعد الجواب: هذا المجيب لا يعرف شيئاً وذلك بمدادٍ يعمله أهل اليمن من الصبر يميل لونه إلى الحمرة فعاد الرجل بالمسألة إلى عرشان فوقفوا على ما كتب القاضي مسعود، وهو يومئذ يدرّس بذي أشرق، وأوقفوا عليه القاضي أحمد، فحين وقف على ذلك لاحت له مكيدة القاضي مسعود فأعجم (المجيب) أي جعلها خاء وياء ونون والباء الموحدة ثاء[1] مثلثة وذلك بمداد لونه أسود يخالف لون ما كتب به القاضي مسعود، ثم أخذ المَسألة ودَخل على سيف الإسلام وهو إذ ذاك مقيم بجبلة بالدار المعروفة بدار الرزاق[2] الذي هو في عصرنا مسبك لسكر الأملاك السلطانية، فلما حضر مجلسه وفاوضه الحديث قال: يا مولانا، ظهر رجل يدعي الفقه وصار يحتقر الفقهاء ويسفّه عليهم ثم لا يقنع باللفظ حتى يزيد، يفعل ذلك بالخط ثم فتح المسألة ووضعها بين يديه فلما قرأ كلام القاضي مسعود ورأى إعجابه عظم ذلك عليه وأمر بطلبه فطلبه من ضراس فلما حضر مقامه نبذ الورقة إليه وقال له الجواب الثاني جوابك فتأمله القاضي مسعود وقال: سبحان الله ألا عقول تميّز الحروف مكتوبة بغير مداد إعجامها والقبيح من الإعجام، فليتأمل السلطان ذلك! فأعاد إليه الورقة فحين نظر السلطان فيها أدرك ذلك وعلم صدق ما قال، وقد كان تكرّر عنده أمور ملأت باطنه على القاضي أحمد وأهله، فحين استثبت أنه كاد القاضي مسعود غلب ظنه صدق ما كان ينقل عنهم، فقال: يا قاضي أحمد، الزم بيتك وأنت يا مسعود قد وليتك القضاء فخرج هذا متولياً وهذا معزولاً ولم يزل على ذلك حتى توفي على ما سيأتي ذكره إن شاء الله وقيل: إنما كان ذلك من المعز بن سيف الإسلام، وللقاضي أحمد تذييل القضاعي[3] في التاريخ، وله شرح الخطيب ابن نباتة[4] وله تاريخ اليمن مجرداً لم أقف على شيء من ذلك إلا عن نقل ابن سمرة وغيره، وبعد وفاة مسعود عاد[5] القضاء إليهم ثم عزل نفسه وجعله في ولده علي وتوفي منفصلاً

---

(١) في «ب» وعجم جيم «القاضي» وجعل ياءه المُثناة من تحت نوناً والياء الموحدة تاءً «مثلثة» وكلا العبارتين فيهما قلق والمعنى جعل لفظ «المجيب»، «المخنث».

(٢) في ذي جبلة عين ماء للشرب تسمى عين الزراق فربما كانت الدار هنالك ثم صحفت أو هو مكان دار العز التي كانت تسكنها السيدة بنت أحمد ثم تسمت دار السلطنة.

(٣) القضاعي: سبق ذكره وانظر الوفيات ج٢ ص٣٤٩.

(٤) الخطيب ابن نباته: اسمه عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل أبو يحيى الحذاقي الفارقي صاحب الخطب المشهورة المطبوعة وفاته سنة ٣٧٤هـ، انظر الوفيات ج٢ ص٣٣١ ويأتي ذكر ذلك للمؤلف.

(٥) لفظ عاد من «ب» وساقط من «د».

بذي جبلة يوم الاثنين لعشر خلون من صفر سنة سبع وستمائة.

ومنهم سري بن إبراهيم بن أبي بكر بن علي بن معاذ بن مبارك بن تبع بن يوسف بن فضل العرشاني، يجتمع مع الحافظ العرشاني في تبع بن يوسف، كان فقيهاً فاضلاً أصوليّاً وله مصنفات في الأصول على طريق الأشعري، ولي قضاء صنعاء، وفي أيامه بنى وردسار المنارتين بالجامع[1] وأصلحه وبنى الجبانة أيضاً، وسري هذا هو الذي بنى المطاهير والبركة بجامع صنعاء، ولم يكونا قبل ذلك وكان مبتدأ بنائه لذلك في شعبان سنة ست وستمائة وذكر أنه أعانه على ذلك وردسار وأنه الذي حفر البئر وعمل المجرى منها إلى مطاهير صنعاء من ماله لا من مال المسجد، وأن عمارة المطاهير من وقف المسجد (بشاهرة)[2] وأنها فرغت بجمادى الآخرة سنة سبع وستمائة وهو أحد عدول القضاة ذكر العارف بأيامه أن سيرته فيه كانت محمودة وأنه كان عادلاً بأحكامه، وله تذييل تاريخ الرازي، ونقلت منه عدة فوائد، ورأيت شيئاً[3] من مصنفاته مع أهله، ومن كتبه عدة كتب موقوفة هناك، وذكر أنه اشترى أرضاً فيها شجر عنب ثم حضر عنده خصمان اتجه على أحدهما حتى حكم به عليه، ثم إن المحكوم عليه وصل إلى بيت القاضي ليلاً وناداه فأجابه فقال: يا سيدنا أنا فلان ومعي شريم له كذا وكذا، أسنه وأريد أن أتقدم به إلى حظيرتك أقطعها مكافأة لحكمك عليّ فدعاه القاضي ولاطفه وربما غرم له ما حكم به عليه، ثم لما أصبح باع الأرض وقال: لا تصلح لحاكم مزرعة، وكانت وفاته على القضاء بصنعاء سنة ست وعشرين وستمائة.

ومنهم علي ابن القاضي أحمد المذكور أولاً، ولي قضاء عدن على حياة أبيه، وكان خيّراً وتزوج بابنة الفقيه طاهر وأقام بعد أبيه قاضياً مدة، ثم انعزل عن القضاء فسكن سَيْراً مع امرأته واستولدها ابنه عبدالله، وهو الذي كان سبباً لوصول الفقيه أحمد ومحمد ابني منصور الجنيد إلى عرشان. استدعاه ليقرىء ولده عبدالله الفقه وكان يسمع الحديث وكانت وفاته بقرية سَيْر في شهر رجب أحد شهور سنة خمس وعشرين

(١) الجامع أي جامع صنعاء.

(٢) شاهرة في ضلع مأذن المسمى اليوم ضلع همدان أوقاف للملك أسعد بن أبي يعفر الحوالي على غيل الريشة وغيرها، انظر مسودة سنان باشا في الجامع الكبير وراجع كتاب مساجد صنعاء للحجري.

(٣) كذا في «ب» وفي «د» وعليه منه فوائد وهو وهم وتذييل القاضي سري على تاريخ الرازي قد عثرنا عليه والعمل في إخراجه إن شاء الله.

وستمائة وكان قد بلغ عمره خمساً وستين سنة وهو آخر من ولي القضاء من ذرية الحافظ.

ومنهم ابنه أبو محمد عبدالله يعرف بالقاضي عبدالله بن علي مولده لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة ليلة الجمعة عند طلوع الفجر من سنة خمس وتسعين وخمسمائة أمه ابنة القاضي طاهر بن يحيى، تفقّه بالفقيه أحمد بن محمد الجنيد ثم تفقّه بسعدٍ المخزومي وأخذ عن محمد بن إسماعيل الحضرمي وعن حسن بن راشد، أخذ البيان واللمع، أخذه عن عمر بن عبدالله الحرازي الآتي ذكره إن شاء الله في أهل جبلة، وكان فقيهاً فاضلاً ذاكراً للفقه وكان سليم الصدر، ذكر أن الملك المظفر حط مرة على قرب من جبلة فدخلها الفقيه أبو بكر بن دعاس وجعل يدخل المدارس، ويذاكر الفقهاء ليمتحنهم لمضادّة المذهب إذ كان حنفياً، فذكر الناقل أنه دخل المدرسة النجميّة، وكان هذا الفقيه قاعداً بها فذاكره بعدة مسائل وهو يجيبه عنها بما يشفي النفس، ومع ذلك فهو غير محتفل به ولا عارف له ثم أقبل يسأله ويراجعه فاعترف له ابن دعاس بجودة الفقه، وقال: ما كنت أظن مثل هذا في الجبال ثم لمّا حضر مقام السلطان أخبره به وأنه فقيه عارف وكان يفتي أيام قضاء محمد بن يوسف اليحيوي، فلما تكرر من محمد بن يوسف ما لا يليق بالقضاة كتب إليه أبياتاً منها:

أما تتقي ذا العرش يوم حسابه ... أما ترعوي عن موبقات العظائم
كأنك بالدنيا وقد زال ظلها ... ويذهب ما فيها كأضغاث حالم

وكان يحب خمول الذكر صبوراً على التدريس، عارفاً بطريقه، شديد الغضب في ذات نفسه وإنّمَا كان ينكر على القاضي محمد بن يوسف لذلك، وتفقّه به جماعة كثيرون، وكانت وفاته يوم الاثنين لخمس عشرة ليلة خلت من الحجة سنة ست وسبعين وستمائة أدرك الفقيه أحمد بن محمد الجنيد وأخذ عنه وعن غيره بوالده، وحج مراراً فأخذ عن المقيمين بها والواردين إليها وكان ذا مسموعات في إجازات من الشيوخ وغيرهم من الأكابر، ولي منه إجازة عامة وكان صبوراً على الإقراء إلى أن توفي آخر جمعة من محرم سنة ثلاث وسبعمائة ثم خلفه ابنه محمد، وكان طريقه طريق أبيه إلى أن توفي بجمادى الآخرة سنة إحدى وعشرين وسبعمائة.

ومنهم أبو الخطاب عمر بن أبي بكر بن عمر بن الشيخ الحافظ علي بن أبي بكر مولده أحد جمادين من سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وكان ذا مسموعات وإجازات،

طريقه طريق ابن عمه أجمد، وكان فيه سخاء نفس، يطعم الطعام ويكرم من قصده من الأنام، بحيث يستكثر ذلك على عادة أصحابه، وكان على ذلك حتى توفي سابع عشر شعبان سنة ثلاث وسبعمائة، وخلفه ابنه عبدالله وكان فقيهاً خيّراً ذا مكارم أخلاق على منوال أبيه حتى توفي صبح الاثنين لثلاثين[1] من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبعمائة، بعد أن بلغ عمره ستاً وأربعين سنة، وخلفه أخ له اسمه أبو بكر، فقيه ذو دين متصدّر للوارد إلى عرشان، يذكر بالدين ومكارم الأخلاق وفيهم الآن عبدالله بن عبدالرحمٰن بن منصور بن الفقيه الحافظ علي بن أبي بكر، مولده رجب سنة خمسين وستمائة، وتفقه بابن عمه عبدالله بن علي مقدم الذكر وأخذ مسموعات الكتب عن والده أحمد وأخذ الفقه أيضاً عن عبيد بن أحمد صاحب السهولة[2]، وعن صالح بن عمر من السفال ومحمد بن أسعد بن الجميم[3] من سهفنة وهو باقٍ إلى الآن فيه مروءة وأُنْسٌ لمن يصله، وهو آخر فقهاء ذرية الحافظ.

وممن ذكر من أهل أبين جماعة منهم نعيم بن محمد الطربي نسبة إلى قرية من قرى أبين تعرف بالطرية خرج منها جماعة من أعيان العلماء والصلحاء هذا نعيم أحدهم كان يقال له: نعيم عشري اليمن، الناصب نفسه لمن امتحن، رزق نظراً جيداً في التعبير، وكان يعرف عشرة علوم فلذلك قيل عشري اليمن وسكن مسجد الرباط[4] وكانت وفاته بعد ستمائة تقريباً.

ومنهم علي بن الفقيه عمر بن عبدالعزيز بن أبي قرة المقدم ذكره مع أصحاب ابن عبدويه، وأثنى ابن سمرة على ولده هذا وقال: وكان حافظاً للتفسير عارفاً به واعظاً على المنابر، محققاً لتعبير الرؤيا، رأى بعضهم الفقيه نعيم بعد موته فسأله عن منام فقال: صرف التعبير عني إلى الفقيه عليٍ بن عمر، وكان مقبول الكلمة عند أهل بلده ذكر أن سبب ذلك أنه كان مع أبيه في السِّرِّين، فلما حضرته الوفاة قال له: يا بني قال رسول الله ﷺ: «دعوة المسافر والوالد لا ترد»، وأنا والد ومسافر، ثم دعا له فأدرك طرفاً من الدنيا أيام ياسر بن بلال المحمدي ثم خلفه ابنه محمد.

قال ابن سمرة: تفقّه بشيخي أبي عبدالله محمد بن موسى العمراني قال: وكان

---

(١) في «ب» لليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

(٢) السهولة: يأتي ذكرها للمؤلف.

(٣) في «ب» الجعميم.

(٤) مسجد الرباط في أبين الذي في كثيب يرامس قرب الطرية، ويأتي له ذكر، وكثيب يرامس هو من أبين.

خبيري ومن أترابي أيام الدرس في مصنعة سَيْر، ووليت بعده قضاء أبين من جهة القاضي الأثير «ونكحت زوجته»[1] وكانت وفاته بخنفر في ذي القعدة سنة تسع وسبعين وخمسمائة وقبرهُ بالميدان[2].

ومنهم مفتي الحرم محمد بن مفلح بن أحمد العجيبي نسباً من قوم هنالك يعرفون بالعجيبيين[3] قام بمكة مدة أيام يدرّس ويفتي وإليه انتهى ذلك في مكة وعنه أخذ الفقيه عمر التباعي وكانت وفاته بمكة آخر المئة السادسة، وانتقل ذلك إلى ابن أبي الصيف.

ومنهم أبو العتيق أبو بكر بن أحمد العندي نسباً، الأبيني بلداً من قوم يسمّون الأعنود[4] منهم جماعة يسكنون أبين ولحج وعدن، أثنى عمارة على هذا الرجل ثناء مرضياً، ولما جعله آخر من ذكر من الشعراء اعتذر وقال: ومنهم من جعلته فارس الأعقاب وجمال ما مضى وما سيأتي من الأعقاب. الأديب الفاضل فلان بن فلان[5] ثم قال: وما من شيمة من شيم الإنسانية وفضيلة من فضائلها المكتسبة والنفسانية إلاّ ويجب أن يفرد في جميل ذكرها تصنيف، ويجرد في جواهرها تأليف، ثم قال ولا أعرف قبله ولا بعده[6] لن أصدق فيه إذا قلت أنه ليس مثله ذو دين حصين وعقل رصين وسؤدد عريض وكرم مستفيض وتواضع لا يفيض، وأما البلاغة فهو إمامها وبيده زمامها وأما خاطره فأهدى من النجم الساري وأسلس من العذب الجاري، وعبارته لا يعوقها حبس، ولا يشوبها لبس، مولده بلد أبين وكان أبوه من أعيانها والمعدود من أهل الرأي من أهلها، ينتهي الناس فيها إلى رأيه، وكان ابنه هذا موفقاً في صغره، مسدداً في كبره. ولقد حكى أن معلمه كان يحبه ويفضله على بقية أترابه ويدعو له ثم يقول: والله ليخرجنّ هذا سيداً رئيساً فيقال له من أين علمت ذلك؟ فيقول: إني متى فسحت للصبيان على جاري العادة فرحوا وذهبوا إلا هو، فإنه يقعد عندي، وكان عمره حينئذ عشر سنوات. قال عمارة فما أحقه بقول الشاعر:

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) الميدان بخنفر من أبين. يحتفظ باسمه، وقرية الميدان من السكاسك من حمر، وأهلها يدعون بني السكسكي.

(٣) نقل الفاسي في تاريخه ج٢ ص٣٦٢ ترجمة هذا عن الجندي.

(٤) الأعنود لها بقية إلى ذا الحين، انظر تاريخ عمارة ص٣٢٦.

(٥) في عمارة الشيخ الأجل الفاضل.

(٦) فضلنا نقل كلام عمارة من مفيده ص٣٢٦ لأن في الأصلين اختلافاً يشغل القارىء بدون جدوى.

بـلغـت لـعـشــر مـضـت مـن سـنـْيك مـا يـبـلغ الـسـيــد الأشـيـب
فهمُّـك فيهـا جـســام الأمــور وهــمّ أولئـك أن يـلعــبـوا

ثم لما حفظ القرآن دخل مدينة عدن فقرأ بها علم الأدب والفقه وعلم الحساب، ومهر في جميع ذلك، ونظم ونثر وحاز فضلاً واسعاً وعلماً نافعاً، وعدن إذ ذاك بيد الشيخ بلال بن جرير المحمدي مولى السلطان الداعي محمد بن سبأ بن محمد، وكان له كاتب توفي في تلك المدة والأديب هذا قد صار يُذكر بالفضل والدين، وحين توفي كاتب بلال احتاج إلى طلب غيره، قال عمارة: فأرشده رائد السعادة إلى هذا الأديب فاستدعاه فحين حضره أعجبه جماله وسمته ثم فاتحه بالكلام فازداد عجبه به وعلم أن الله قد أبدله بأفضل من كاتبه الذي ذهب ثم ولّاه كتابة يده، ولما عرف فضله جعله بمنزلة الولد والصاحب والمدبر لأموره بحيث كان لا يقطع أمراً دون مراجعته، ولقد سمع منه مرة وهو يقول له حين راجعه بالجواب لقوم قد وصلوا من نواحٍ شتى والإجازة لآخرين وفدوا: يا مولاي الأديب، الدولة دولتك، والمال مالك فأجب وأثب كيف شئت ولمن شئت[1] وكتب مرة إلى بلال أيضاً يشفع لقوم ما مثاله: الناس سبب إحسان الحضرة إليّ وأنعامها علي يعتقدون أني عندها أشفع وأنفع وقد تشفع بي إليك بكذا فعاد جواب بلال: أنت يا مولاي المالك وقدرك والله عندي أجل أن تكون شفيعاً بل مبسوط اللسان واليد وليس على أمرك أمر. ثم لما وقف الأديب على الجواب كتمه تواضعاً وتحرزاً عن حَسَد من حول بلال قال عمارة: فوقفت عليه سرّاً فحين علم أني وقفت عليه أحلفني بالله يميناً مغلظة أني لا أعلمت به أحداً من المكاثِرين لبلال[2] لا من أهل السيف ولا من أهل القلم، فاعتمدت ذلك وهذا من أدل دليل على كمال عقله وشدة تواضعه، ولقد كان يبالغ في ذلك حتى لا يكاد يعرف منزلته من الشيخ بلال إلا لأفراد من الخواص، وكان يجتهد على مراعاة بواطن المكاثرين لبلال وكان تاركاً للتظاهر بالجاه والمنصب، قال عمارة: ولو لم يكن لهذا الفقيه الأديب غير هذه الخصلة لكانت كافية شافية مغنية[2] عما سواها من المناقب إذ فيها قهر النفس وصدّها وهو الجهاد الأكبر[3] كيف لا وله مناقب غيرها كثيرة منها أنه كان متى سمع بقدوم قافلة إلى عدن لقيها إلى الباب وسأل عمن فيها من

---

(١) في «ب» زيادة «بما شئت» ولم تكن موجودة في مفيد عمارة.
(٢) الجندي رحمه الله يتصرف في كلام غيره تصرفاً غير واف.
(٣) إشارة إلى حديث «عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر».

الفضلاء وذوي الألباب فمتى ظفر بواحد منهم بالغ في التزامه والسلام عليه ولازمه أن ينزل معه إما في داره أو بقرب منه، ثم يتولى إكرامه وقضاء حوائجه من بيع أو شراء ويبذل في ذلك ما لاق من ماله أو جاهه، ثم إن كان ممن يَفِدُ على الملوك تسبّب له في الوصول تسبباً لائقاً بحيث يعود الفقير غنياً والمقلُّ مكثراً وكان هذا العمل منه عاماً، وقد ذكرت مع ذكر عمارة ما فعله من عمل الشعر واستخراج الجوائز ومناقب هذا أكثر من أن تحصر، وبعضها موجود في شعر عمارة الذي جمع به شعراء اليمن، وكتابي هذا لائق له الاختصار، ولو لم يكن له من الدليل على عموم خيره إلا أن أهل زبيد لما طال عليهم البلاء من ابن مهدي واشتد خوفهم وطال حصارهم خرج منهم خلق كثير وركبوا البحر وقصدوا عدن فبذل هذا الرجل كرامته وجاهه لأعيانهم وأكابرهم وماله وشفقته لفقرائهم وضعفائهم حتى دمل كلمهم وسدّ ثلمهم، وكان متى حدث من فاضل زلّ زلّة مع السلطان اجتهد له في العذر عنها.

حكي أن ابن الطرائفي المعروف بأبي طالب قدم عدن ومدح الداعي محمد بن سبأ سنة ست وثلاثين وخمسمائة بقصيدة لأبي الصلت كأن مدح بها الأفضل بن أمير الجيوش أولها:

نسجت غرائب مدحك التشبيبا ... وكفى له غزلاً لنا ونسيبا
وأنا الغريب زمانه ومكانه ... فاجعل نوالك في الغريب غريبا

ثم لما قدم الرشيد[1] عدن أهدى للداعي الديوان[2] فوجد القصيدة فكتب إلى الأديب من الدملوة أن يسير إليه قصيدة ابن الطرائفي فعلم الأديب أنه قد أدرك ابن الطرائفي فكتبها بخطه وألْحَقها اعتذاراً عن ابن الطرائفي من شعره (من نفسه)[3]:

هذه صفاتك يا مكين وإن غدا ... فيمن سواك مديحها مغصوبا
فاغفر لمُهديها إليك فإنه ... قد زادها تشريف طيبك طيبا

وأما إجادته بطريق كتابة الإنشاء فذكر الفقيه عمارة أنه سمع الشيخ أبا الحجاج والقاضي الجليس أبا المعالي وهما يومئذ كاتبا إنشاء الدولة العلوية يقولان غير مرة مجتمعين ومفترقين لم يصل إلينا مكاتبة لأحد من الآفاق ولا رأينا لكتاب الشام والعراق كمكاتبات ترد إلينا من جزيرة اليمن إنشاء الأديب أبي بكر بن أحمد العندي، فإن لها

(١) تقدمت ترجمة القاضي الرشيد.
(٢) أي ديوان أبي الصلت.
(٣) ما بين القوسين من «ب».

بلاغة تشهد عذوبة مطبوعها بكرم ينبوعها، وألفاظاً تدل معانيها على فضل مغانيها.
وأما شريف همته وعظيم نزاهته فإنه لما تزوج ابنة الشريف أبي الحسن علي بن محمد العمري حمل إليه أهل عدن أشياء على اختلاف طبقاتهم يسمونه (الطرح)[1] وذلك عادة جارية لهم فلما اجتمع ذلك بداره عرض عليه فأعاد كل شيء إلى أهله مع زيادة وشكر ثم لما بلغ ذلك الشيخ بلال والداعي محمد بن سبأ استحسنا ذلك منه وشكراه ودفعا إليه مثل الذي ردّه، وله أشعار هي أرق من النسيم وأحلى من التسنيم، منه ما يكتبه أعيان الناس في دورهم وقصورهم في الغالب وهو لما أمره الداعي محمد بن سبأ أن ينظم أبياتاً ليكتبها في المنظر بعدن:

دار تعظم بالمعظم شأنها وازداد عِزّاً بالمكين مكانها

وهي من جملة[2] أبيات كثيرة تركتها لشهرتها، (وامتحن في آخر عمره بكفاف بصره)[3].

قال عمارة: فحين بلغني ذلك علمت أن الزمان قد سلب بصيرته حين سلب بصره، وأن الأيام طمست بذلك منهاج جمالها وأطفأت سراج كمالها، فلما صار مكفوف البصر أحياه الله بثمرة الخير الذي كان يغرسه وحرسه ناظر الإحسان الذي كان يرعاه ويحرسه فتضاعفت عند أهل الدولة وجاهته وتزايدت عندهم رفعته ونباهته، وأراد الزمن أن يخفضه فرفعه وأن يضرّه فنفعه (وما أحسن قول عبدالله بن محمد بن مرزوق في مدحه له وقد كف بصره):

يا مدره اليمن الذي بمقاله بين الورى قلم الزمان خطيبا
فغدا قُدامةُ ثَمّ غير مقدم وفصيح وائل بالمقال معيبا
يا يوسفاً علماً وحفظَ أمانةٍ اعذر عليّ بأن ترى يعقوبا[4]

وحصل عليه العمى في أيام الداعي عمران بن الداعي محمد بن سبأ الآتي ذكره في الملوك إن شاء الله تعالى فتعب عليه أشد تعب وآلَمَه أَشَدَّ أَلَمٍ وكان له فيه مدائح قل أن تسمح القرائح بمثلها، منها القصيدة الكافية التي أولها:

حيّاكِ يا عدن الحيا حياكِ وجرى رضاب لماه فوق لماك

---

(١) الطرح معروف لهذه الغاية في عموم اليمن.
(٢) في «ب» زيادة وهي خمسة عشر بيتاً وكذا في عمارة ص٣٣٢.
(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب» وغير موجود في عمارة.
(٤) ما بين القوسين غير موجود في تاريخ عمارة الذي نشرناه.

وافترّ ثغرُ الروض فيك مضاحكاً ... بالبشر رونق ثغرك الضحاك
وعلام أستسقي الحيا لك بعدما ... ضمن المكرّم بالندى سقياك
وهمت مكارمه عليك فصافحت ... عن كفه معنى الغنا مغناك
فليهنك الفخر الذي أحرزته ... لولاه حسبك مفخراً وكفاك
قرّت عيون الخلق لاستقراره ... بك فلتقرّ بقربه عيناك
شَرفُت رباك به فقد ودّت لنا ... زهرُ الكواكب أنهنّ رباك
متبوئاً سامي حصونك طالعاً ... منها طلوع البدر في الأفلاك
بالتعكر المحروس أو بالمنظر المأ ... نوس يحمي فرقداً وسماك
وله الحصون الشمّ إلا أنه ... يحلو له بك طالعاً حُصْناك
والمسك نثر تراب أرضك مذ غدا ... بك قاطناً والدرّ من حصباك
وكأن بحرك جودُهُ متدفقاً ... لو لم تخضه سرائر الأفلاك
لا قدر للدنيا لديه كأنه ... في بذل زخرفها من النساك
أدنى مواهبه الألوف سريعة ... متفرداً فيها بلا إشراك
ما اختصّ في الدنيا سواه بفضلها ... ملك من الباقين والهُلّاك
فالجود مبتسم الثغور ببذله ... أبداً وبيت المال منه شاك
من دوحة الشرف الزريعي التي ... رسخت بأصل في المفاخر زاكِ

وهي طويلة أوردها عمارة في ذكر الأديب وهي تنيف على أربعين بيتاً متداولة بين أهل اليمن فذكروا أنه لما أنشدها بحضرة السلطان عمران أجازه عليها بألف دينار واعتذر إليه بعذر يسلي الحزين ويستخف الرزين ثم لم يرض ذلك حتى أمر منادياً ينادي من دخل دار الأديب فهو آمن، قصد بذلك إظهار كرامته وأن منزلته لم تنقص عنده بعمى ولا غيره، ثم لم يضع ذلك عند الأديب بل لما مات السلطان عمران طلاه الأديب بما يشدّ جسمه ثم احتمله إلى مكة عام ستين وخمسمائة فقبره هناك[1] وكانت وفاة الأديب بعدن سنة ثمانٍ وخمسمائة تقريباً.

ومن آثاره بعدن المسجد الذي يعرف بمسجد العندي، وهو مسجد السالك غَيّر بناءه استيلاءُ الظلمة على الوقف من قيام بني محمد بن عمران في الدولة المؤيدية إلى عصرنا سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.

(١) انظر تاريخ مكة للفاسي ج٦ ص٢٤٣.

ومن لحج ثم من قرية بنا أَبَّهْ العليا[1] واستثقل ذلك فسميت بمنيـة: بفتح الميم وسكون النون وفتح الياء المثناة من تحت وفتح البـاء الموحـدة مع تشـديدهـا ثم هاء ساكنة وسميت بالاسم الأول لأن أول بانيها رجل من قريظة يقال له: أَبَّه: بفتح الهمـزة وفتـح البـاء المـوحدة مـع التشديـد وسكون الهـاء[2] خرج من هـذه القريـة جماعـة من الفضلاء يأتي ذكر المتحقق منهم إن شاء الله.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن سعيد بن معن القريظي، ميـلاده سنة تسـع وتسعين وأربعمائة وتفقّهه بعمر بن عبدالعزيـز الأبيني مقدم الـذكر وكـان فقيهاً صـالحاً محـدثاً وغلب عليـه علم الحديث ولـه مختصر إحيـاء علوم الـدين ودخـل عـدن فجمـع كتب السنن وألف منها كتاب (المستصفى)[3] ثم كتاب (القمر) على منـوال الكوكب وكتـاب المستصفى من الكتب المباركة المتداولة في اليمن يعتمده الفقهاء والمحدثون ويتبرك به الفقهاء والأميون. ولقد وجدت بخط الفقيه العـالم محمد بن إسمـاعيل الحضـرمي نفع الله به ما مثاله: أخبرني الفقيـه فلان، رجـل سماه من أهـل سردد، أنـه رأى النبي ﷺ يقـول له: اقـرأ كتاب المستصفى على جـديد وعلى الفقيـه إسماعيـل بن محمـد الحضرمي ثم قرأ عليه الكتاب ثم قـال الفقيه: وهـذا المنام يـدلّ على بركـة المصنّف وفضله وفضل البلد الذي صُنّف فيه.

قال ابن سمرة: قيل: إنه رأى النبي ﷺ فدعا له بالتثبيت. لقيـه بعدن ووجـدت بخط بعض أكابر الفقهاء المتقدمين ما مثالـه سمعت الشريف أبـا الجديـد يقول: ثبت لي بطريق صحيح عن الشيخ ربيع صاحب الرباط بمكة أنه رأى في سنة ست وتسعين وخمسمـائة النبي ﷺ فقـال: من قرأ المستصفى الـذي صنفه محمـد بن سعيد كـاملاً دخل الجنة. وامتحن بالقضاء وكان ورعاً زاهداً، وله قرابة هنالك يعرفون بـالقريـظيين إليهم خطابة القرية ثم خطابة قرية فـور[4] ولهم الجامـع بالقـرية المـذكورة ووقفـه لهم ونـظره إليهم يتوارثـون ذلـك إلى عصـرنـا ويتـأدّون من غلة الـوقف بعمـارة المسجـد والأرض، فلذلـك لم يطق أحـد أن يغيره ومن هَمّ بـذلك من الـظَلَمـة شُغـل بشـاغـل يمنعه، ومن ذرّيته القاضي محمد بن علي بن مياس الآتي ذكره بـطريق يأتي بيـانها إن شاء الله ومنه أخذ القاضي علي القضاء إذ هو ابن بنته، وكان قد امتحن بالقضاء، وولي

---

(١) ذكرها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ـ وليس آخرها ساكناً بل على حسب العوامل.

(٢) في «د» سبح

(٣) توجد نسخ من كتاب المستصفى بخزائن اليمن، وفي عزمنا إن أمدنا الله بالعمر أن نخرجه بإذن الله.

(٤) فور قرية ذكرها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وهي اليوم خراب لا يُعرف موقعها.

بعده أخوه علي بن سعيد، وكانت وفاته بالقرية نهار الأربعاء وقت الظهر لست مضين من جمادى الآخرة سنة خمس وسبعين وخمسمائة، ومنهم محمد بن إسماعيل.

ومن ذي أشرق جماعة، منهم مسعود بن علي بن مسعود بن علي بن جعفر بن الحسين بن عبدالله بن عبدالكريم بن زكريا بن أحمد القري: بفتح القاف وخفض الراء ثم ياء نسباً ثم العنسي: بنون ساكنة بين عين وسين مهملتين نسبة إلى قبيلة كبيرة من مذحج مولده سنة ثمان وأربعين وخمسمائة تفقه بأحمد بن أسعد الكلالي وبعمر بن حسين بن أبي النهى وبعلي بن أبي بكر بن سالم وشرح لمع الشيخ أبي إسحاق بكتاب سمّاه الأمثال أثنى عليه غالب الفقهاء، وتفقّه به جمع كبير لا يكاد يحصر عدّهم من أهل تهامة والجبال، فمن الجبال صهره على ابنته عبدالله المأربي الآتي[1] ذكرهم ويحيى بن سالم ومحمد بن عمر بن فليح من الجند وموسى بن أحمد الوصابي ومحمد بن أسعد والد سليمان الجنيد الآتي ذكرهم.

ومن تهامة علي بن قاسم الحكمي وإبراهيم بن عجيل وغيرهم، وامتحن بأن جعل قاضي قضاة اليمن، وسبب ذلك القصة التي قدمنا ذكرها مع ذكر القاضي أحمد العرشاني، وكان من أثبت القضاة وأورعهم وممن سلك طريقهم المرضية واستناب بجميع الأنحاء من هو صالح للقضاء بعد اجتهاد عن السؤال عن حاله وماله، ولم يكن فيمن ولي القضاء أفقه منه مع الورع وكان لا تأخذه في الله لومة لائم ذكر لي جماعة من المتقدّمين، بأسانيد صحيحة متواترة، أن بعض التجار باع من بعض الملوك، وهو الملك الذي ولاه القضاء، بضاعة كبيرة بمال جزيل ثم صار يمطله بالمال مرة على مرة بحيث قلق التاجر وتأذى من ذلك. وبلغ القاضي مسعود وشكا إليه فكتب إحضاراً له يقول فيه: ﴿**إنما كَانَ قولُ المؤمنين إذَا دُعوا إلى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمْ بَيْنَهم أن يَقُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنا**﴾[2] ليحضر فلان بن فلان إلى مجلس الشرع الشريف بذي أشرق ولا يتأخر إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ثم أمر بالإحضار عوناً[3] وأمره أن لا يسلمه إلا بيد السلطان فلما وقف السلطان على ذلك قال: نعم أؤمن بالله واليوم الآخر، نعم أؤمن بالله واليوم الآخر، ثم خرج من فوره فركب دابة من دواب النوبة[4]

(١) في «ب» حدثني الماربي الآتي ذكرهم.
(٢) النور - ٥٠.
(٣) العون: هم الجنود الذي يحفّون بالقاضي لإحضار الخصوم.
(٤) النوبة: اصطبل الخيل والبغال والحمير: الركوب للسلطان.

وسار إلى القاضي وكان على قرب منه بمدينة يقال لها: المنصورة[1] أحدثها فلما وصل إلى القاضي وقرب من مجلسه بحيث يراه ويسمع كلامه قال لـه برفع صوت: اتق الله وساو خصمك، فقام التاجر بإزاء السلطان وادّعى عليه بالمال الثابت لـه قبَلَه فاعترف بذلك، فقال التاجر: التسليم أو موجب الشرع فقيل للتاجر: ألا تصبر حتى يصل السلطان داره ثم يسلم لك، فامتنع وقال: لا أفارقه عن هذا المكان حتى أقبض ما هو لي، فبادر السلطان وأمر من جاءه بالمال والسلطان يومئذ مقيم بمجلس قريب من مجلس القاضي، فلما وصل المال فسلمه للتاجر وأبرأ ذمة السلطان فحينئذ قام القاضي وسلم على السلطان واعتنقه فقبل السلطان بين عينيه، وقال: صدق من سماك كمال الدين، وعاد السلطان حيث كان.

ومن غريب ما حكي من ثقوب فطنته أن امرأةً وصلته ومعها ثلاثة رجال فادّعى أحدهم أنها ابنته وادعى الآخر أنها زوجته وادعى الثالث أنها مملوكته، وادّعت المرأة أنهم مماليكها، وأقام كل واحد منهم بيّنَة على صدق دعواه فحكم لمن ادّعى البنوّة أنه تزوج بحرّة وهو مملوك فأولدت حرةً اشترت أباها فعتق عليها، ولمن ادّعى الزوجية بأنها تزوّجته وهو مملوك ثم اشترته فانفسخ نكاحها وبقي على الملك، ولمن ادعى ملكها تتعارض بيّنتها وبيّنته وسقوطهما على الأصح من مذهب الشافعي، وله مختصر ردّ به على طاهر بن يحيى حين تظاهر بما تظاهر من المعتقد بعد وفاة أبيه وبالغ فيه بالإنكار عليه، ولم يزل في قضائه موفقاً حتى توفي سنة أربع وستمائة بذي أشرق، وكان له ولد اسمه عمر توفي بحياته بعد أن تفقّه.

ومنهم الأخوان محمد وأسعد ابنا الفقيه طاهرٍ بن يحيى بن أبي الخير مَوْلد محمد سنة ست وأربعين وخمسمائة ولي قضاء عدن وأخذ عنه بها جماعة سيرة ابن هشام[2] وغيرها وهو أحد طريقين لنا بها لما ارتحل مع أبيه مكة وأخذها عن جماعة وكان أخذه لها عن عمر بن عبدالحميد ولم أتحقق لأحد منهما تاريخاً.

ومنهم أبو الحسن علي بن سالم بن عيان بن فضل بن مسعود العبيدي نسباً

---

(١) المنصورة من عزلة خنوة يمين الطالع من القاعدة نحو مدينة إب وتبعد عن القاعدة شرقاً نحو ميلين، وهي اليوم خراب وفيها نحو بيت أو ثلاثة بيوت للمزارعين والسلطان هو طغتكين بن أيوب وقد دبت إليها الحياة اليوم.

(٢) ابن هشام هو عبدالملك بن هشام المعافري الحميري المتوفى بمصر سنة ٢١٦هـ ستة عشرة ومئتين من الهجرة، وكتابه السيرة طبع عدة طبعات.

بالباء الموحدة مخفوضة بعد عين مهملة مفتوحة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم دال مهملة ثم ياء نسب نسبة إلى جدّ له ببلد كبيرة في اليمن، منهم ناس يسكنون وادياً يقال له وادي عميد هذا منهم ولذلك كان يقال له العميدي لأنه كان يسكن فيه وهو على نصف مرحلة من الجند، وضبطه: بفتح العين المهملة ثم ميم مخفوضة ثم ياء ساكنة مثناة من تحت ثم دال مهملة على وزن فعيل[1]، كان هذا الفقيه يسكن قرية من الوادي المذكور تعرف بالظفير بظاء قائمة معجمة بعد ألف ولام ثم فاء مخفوضة ثم ياء مثناة ساكنة من تحت ثم راء[2]، وله إلى الآن بها ذرية يحترمون، ويقدرون ببركته وكان فقيهاً صالحاً غلبت عليه العبادة وشهر بالصلاح واستجابة الدعاء بحيث كان يقصد من أنحاء اليمن للتبرّك وطلب الدعاء نفع الله به، وكان إذا قام لورده بالليل بغرفة من بيته أنارت الغرفة حتى كأنما يوقد بها شمع فيأتي الناس إلى حول ذلك ويقفون ويدعون الله بما شاءوا فلا يلبثون أن يجدوا أمارة الاستجابة، وأخبرني شيخي الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الأصبحي، نوّر الله مضجعه أنه ثبت له بنقل صحيح أن هذا الفقيه كان متى قام لورده بالليل أنار الموضع حتى يخال أن الفقيه يُوقد له شمع وأن بعض الفقهاء سمع بذلك فقال: ربما أن يكون ذلك من الشيطان. ثم وصل إلى الفقيه على سبب الزيارة فأكرمه الفقيه وبيّته معه، ثم جاء من الليل وقت الورد فقام الفقيه لورده فأضاء البيت إضاءة عظيمة ثم إن الفقيه الضيف لما رأى ذلك جعل يتلو شيئاً من القرآن ليبطل فعل الشيطان إن كان فلم يزدد إلا إضاءة بحيث أنه رأى نملة تمشي على جدار البيت ولم تؤثر تلاوته، فعلم أن ذلك من فضل الله سبحانه، فاستغفر الله تعالى واستطاب باطن الفقيه وسأله أن يستغفر له ففعل ذلك. وأخبرني الثقة من أهل العلم والدين أنه ثبت له عن هذا الفقيه أن رجلاً من أصحابه كان مشهوراً بالأمانة والديانة وكان الناس يودعونه أموالهم فقدر الله أن مات فجأة فلم يكد أهل الوداعات يتركون أحداً يقبره إلا بمشقة وهربت امرأته وولده ولم يدريا[3] ما يفعلان، واستخفيا عند بعض المعاريف ثم إن المرأة أُلْهِمَتْ أن ترسل ولدها إلى الفقيه يُخبره بموت أبيه صاحبه وأنه مات فجأة ومعه ودائع كثيرة للناس دفنها ولم يطّلع أحد عليها، فقالت لابنها يا بنيّ تقدّم إلى الفقيه وأخبره بحالنا وأن أباك كانت معه

(١) وادي عميد كما ضبطه المؤلف يعد من بلاد نعيمة: صهبان، وهو شرق جنوب «القاعدة المشهورة اليوم».

(٢) الظفير: كما ضبطه المؤلف يحمل هذا الاسم ولا يزال عامراً.

(٣) كان في الأصلين فلم «يدريان» بالنون آخره فحذفناها لتطابق القاعدة النحوية.

ودائع للناس وأنه مات فجأة وأنه آذانا أهلها بحيث لم نقدر نحضر قبرانه لذلك ولكثرة طلب الناس بما هو لهم، فلما قالت لولدها بذلك وهو شاب جاهل قال لها: وما عسى أن يفعل لنا الفقيه فلم تزل تلاطفه وقالت: يا ولدي الصالحون لهم من الله ما شاءوا فافزع إليه، لعل الله يفرج عنا برحيل الناس ثم مخلف أبيك[1] فأجابها على كره وتقدم إلى الفقيه فلما وصله أخبره بأنه ابن فلان صاحبه، وأن صفة موته كذا وكذا فاسترجع الفقيه وترحّم عليه ثم التقط حصاة بيضاء من الأرض وقال للصبي اعرف هذه يا ولدي، فإذا عدت فادخل أنت ووالدتك البيت سراً فحيث تجد هذه الحصاة من البيت فاحفر ذلك الموضع ثم إن الفقيه رمى بها إلى ناحية بيت الرجل فلم يمكن الصبي إلا استودع الفقيه وعاد (إلى أمه)[2] وهو بين مكذب ومصدق فلما وصلها أخبرها الأمر الذي كان من الفقيه فقالت يا بني: قد عرفت من الفقيه أموراً كثيرة أعظم من هذا. ثم لما كان الليل تسلّلا ودخلا البيت سراً ومعهما ما يحفران به ومصباح يستضيئون به فلما صارا بموضع من البيت رأت المرأة حصاة بيضاء كما وصف لها ابنها، فالتقطتها وقالت: يا بنيّ تعرف الحصاة التي أراكها الفقيه؟ قال: نعم، فأرته[3] إياها فقال هي والله هذه، فأقبلا على حفر الموضع الذي كانت به، فأخرجا منه ظرفاً كبيراً به وداعات الناس على كل وداعة مكتوب اسم صاحبها وما كان له لم يكتب عليه، فحينئذ سرجا بيتهما وباتا فيه فلما أصبح الصباح طلب الصبي من كان في القرية من أهل الوداعة وسأله عن أمارة ما هو له فقال بها فأعطى، ثم وصل الباقون من البعد ففعلوا ذلك وأخذوا ما هو لهم. وحصل من بعض فقهاء زمانه تظاهر ببدعة فهجره جميع الفقهاء وأنكروا كونه منهم وحذروا الناس منه فصار لا يكاد يُبتدأ بالسلام ولا يُرد عليه في الغالب، فضاق به الحال، وعلم أن هذا الفقيه ربما يلتبس عليه بعض حاله لأنه لا خبرة له بالبدع وأصولها، بل معظم اشتغاله بالعبادة فوصله وصار يخالطه ويظهر له الودّ فكتب إليه بعض الفقهاء يحذره منه ويقول له: هو على غير السنّة فلا تحلّ صحبته، فشق ذلك على الفقيه وسأل الله تعالى أن يريه صدق ما قيل عن الفقيه المبتدع، فبينما هو كذلك إذ سمع قائلاً يقول اقرأ وقرأ القائل ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عَدُوِّي وعدوكم**﴾[4] إلى قوله: ﴿**سواء السبيل**﴾، فلما أصبح لم يكن له همّ غير الاختفاء عن

---

(١) كذا في الأصلين.
(٢) ما بين القوسين من «ب».
(٣) في الأصلين أورها الفقيه قال نعم فاورته.
(٤) سورة الممتحنة.

الفقيه والاعتذار عن مواجهته، حتى كان ذلك سبباً لرجوعه إلى مذهب السنّة، نقلت ذلك من خط الإمام سيف السنّة.

وممن انتفع بهذا الفقيه سفيان الأبيني الآتي ذكره، وذلك أن والدته كانت من أهل بلد الفقيه، وكان والده يأمن الفقيه في الذهاب والرجوع لطلب التجارة فتزوج من عنده وربما ولدت سفيان عنده، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله في ذكره وقدمت قرية الظفير في شهر شعبان سنة عشرين وسبعمائة لغرض زيارة ابن بنته والموجود من ذريته وتربته وأبحث عن اللائق من أحواله فوجدت الموجودين من ذريته الغالب عليهم العامية لا يعرفون شيئاً من تاريخ ولا سواه، ووجدت معهم مقدمة بخط الطواشي جوهر المعظمي ختمة قرآن وقفها بالبلد وشرط نظرها للفقيه.

ومن ذريته قضاة (مَشْعُر)[1] موضعاً من الشوافي، وضبطه: بفتح الميم وسكون الشين المعجمة وضم العين المهملة ثم راء، وبلغني أن وفاته على آخر المئة السادسة تقريباً.

ومن تهامة ثم من زبيد بنو أبي عقامة غير من تقدم، وقد اعتمدت في ذكرهم ما ذكره الفقيه عمارة من الترتيب وخبر من أخبر بهم ابن سمرة، وقد تقدم ذكر جماعة على ما ذكرهم عمارة ورتب[2] إذ هو خبير بهم، فإنه صحب جمعاً منهم فنقل منهم أحوال متقدميهم كما أوردته وأورد من أهل طبقته جماعة.

منهم أبو محمد عبدالله بن علي بن أبي عقامة، وهو ابن أخي الحسن بن محمد القاضي الشهيد المقدم ذكره. قال عمارة: كان فقيهاً فاضلاً شاعراً مترسلاً، من شعره:

ما لهذا الوفاء في الناس قلّا ... أتراهم جفوه حتى استقلا

ومن ترسّلاته ما كتبه إلى ابن عمه أبي حامد بن أبي عقامة بسبب مناقشة حدثت بينهما على حكم: سل عني قومك ويومك وأمسك تجدني معظماً في النفوس وقاعداً على قمم الرؤوس.

قال عمارة: وممن عاصرته وعاشرته القاضي الفاضل أبو عبدالله محمد بن

---

(١) مشعر: كما ضبطها المؤلف وهي قرية عامرة في عزلة بني نهيك قديماً ثوب حديثاً، ثم من مخلاف الشوافي في الشمال الغربي من مدينة إب، وترى من الباب الكبير لمدينة إب.

(٢) كذا في «د» وفي «ب» ورتبه.

القاضي عبدالله مقدم الذكر، ويعرف بالحفائلي وهو لقب من ألقاب المكتب، كان نبيلاً فاضلاً فقيهاً متكلماً شاعراً مترسلاً رئيساً ممدحاً يثيب على المدح إليه انتهت رئاسة مذهب الشافعي بزبيد، وإلى ابن عمه حاكمها يومئذ أبي محمد عبدالله بن محمد بن أبي الفتوح، وأورد من شعر الحفائلي ما كتبه جواباً إلى ابن عمه أبي العز بن أبي الفتوح مقدّم الذكر قوله:

رفقاً فدتك أوائلي وأواخري ... أين الأضاة من الفرات الزاخِر

أنت الذي نوّهت بي بين الورى ... ورفعت للسارين ضوء مفاخري

وله قصيدة يتشوق بها إلى إخوانه:

تشتاقكم كل أرض تنزلون بها ... كأنكم لبقاع الأرض أمطار

ومنه مَا كتبه جواباً إلى عمارة:

إذا فاخرت سعد العشيرة لم يكن ... لأحلافها إلا بأسلافك الفخر

وبيتك منها يا عمارة شامخ ... هوت تحته الشعرى ودان له الشعر

ومن معاتبته لبعض إخوانه ممن تغير له عن معهوده:

عذرتك لو كانت طريقاً سلكتها ... مع الناس أو لو كان شيئاً تقدَّما

فأما وقد أفردتني وخصصتني ... فلا عذر إلا أن أعودَ مكرَّما[1]

وهذا آخر ما ذكره عمارة، قال ابن سمرة في حق هذا الحفائلي: ولي قضاء زبيد من قبل الحبشة وكان معظّماً عندهم ذا جاهٍ كبير وعلم غزير، تفقه بأهل بيته.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن القاضي عبدالله بن علي بن محمد وهو أخو الحفائلي وأخوه أبو بكر بن عبدالله قال: وآخرهم في هذه المدة يعني مدة القاضي عبدالله بن محمد بن عبدالله القاضي بن أبي الفتوح المذكور أولاً وهو حاكم زبيد من جهة أثير الدين قاضي قضاة اليمن صدر دولة سيف الإسلام، تفقّه بحسن الشيباني، ولما قيل له: أعني الشيباني يقعد قاضياً بزبيد أشار عليهم به لما قد خبره من فقهه ودينه ولم يزل بنو أبي عقامة قضاة زبيد وربما كان في التهائم منذ دخل ابن زياد وجدهم محمد بن هارون إلى صدر الدولة المظفرية حتى كان آخرهم القاضي إبراهيم، ولم يكن مثبتاً في القضاء فلما ولي الإمام إسماعيل القضاء وتحقق منه ما

(١) البيتان في الأصلين فيهما تخليط فأصلحناهما من عمارة ص٢٩١.

يوجب العزل وعزم على عزله من القضاء بزبيد أشار عليه من أشار بأن لا يفعل ذلك حتى يشاور الملك المظفر وهو السلطان يومئذ فكتب إليه يخبره بذلك فأدركته عليه شفقة لأجل أهله وما له من سابق قدم بالقضاء فجوب إلى الإمام إسماعيل يستعطفه عليه ويقول يا سيد هو من بيت أنت تعلم حالهم وسابقتهم في هذا الشأن فتصدّق عليه بالعطف والصبر كرامة لسلفه، وخرج الجواب مختوماً عليه اسم القاضي أبي عون، فظن أنه قاضي البلد لا قاضي القضاة فوصل به إليه فحين رآه فضّه وقرأ كتاب قاضي القضاة وجواب السلطان ثم طواه واعتذر وقال اذهبوا به إلى قاضي القضاء وأعلموه أن الرسول غلط وغلطت بفتح الكتاب فحين وصل الكتاب إلى الإمام إسماعيل وقرأهُ علم أنه قد وقف غليه تغيّر خاطره من ذلك إذ كان يحب أن لا يطلع على ذلك مع مساعدة السلطان له كيف مع عدمها ثم إن ابن أبي عقامة خرج من فوره يريد أرضاً له بجهة المسلب[1] ينظر حالها فلما عاد منها عثرت دابته فسقط فاندق عنقه فلم يُرفع إلا ميتاً، وهو آخر من ولي القضاء منهم، وذريته الموجودون بزبيد من بني عقامة ليس فيهم مشتغل بالعلم، بل يتعانون الزراعة، ومنهم جماعة يسكنون وادي سهام بقرية تنسب إليهم فيقال: أبيات القضاة، والقرية تعرف بمحل الدارية يأتي ذكر المتحقق منهم إن شاء الله.

ومنهم جماعة يسكنون بلاد المعافر بقرية يأتي ذكر المتحقق منهم أيضاً إن شاء الله.

ومن أهل الجبال ثم من أهل الصلو جماعة يعرفون ببني عبدالملك ثم من بني ضَباس: فخذ من الأشعوب[2] وضبط ضباس: بضم الضاد المعجمة وفتح الباء الموحدة ثم ألف ثم سين مهملة، أول من ذكر ابن سمرة منهم أبو عبدالله محمد بن عبدالملك بن محمد بن أبي الفلاح، كان مدرساً بجامع عمق: قرية بفتح العين المهملة والميم ثم قاف ساكنة[3] وهو جامع أحدثه الشيخ جوهر المعظمي على ما سيأتي ذكره إن شاء الله، ثم لما توفي خلفه أخوه أحمد بن عبدالملك ثم انتقل التدريس إلى ابن أخيه القاسم بن محمد مقدم الذكر، وذلك بحياة عمه أحمد، وكان حاكم البلد، ثم خلفه ابن عمه عمر، ثم كان آخر مشاهيرهم ولدٌ له اسمه يوسف كان

---

(١) المسلب: يأتي ذكره للمؤلف ويقع جنوب مدينة زبيد.

(٢) الأشعوب قبيل ووطن يحمل هذا الاسم إلى ذا الحين.

(٣) قرية عمق: عامرة بالأهل والسكن..

فقيهاً متفنناً بالفقه والنحو واللغة، تفقّه في بدايته ببعض أهله وأخذ النحو عن محمد بن سعيد الحميري وحج مكة فأدرك ابن حسن فأخذ عنه وعن من وجد بمكة حينئذ. قال بعض الفقهاء من أهل ناحيته حين سألته عن حقيقة أمره: هو شيخ الأدب، إليه انتهى العلم والفضل والفقه والدين والكمال والورع والصلاح لم يكن فيمن علمت مثله قبله ولا بعده في كمال طريقه وحسن تحقيقه وكانت وفاته في آخر المئة السابعة، وانتجع عن البلد منهم أبو الحسن علي بن محمد، تفقّه بمصنعة (سَيْر) وتفقّه بالأصبحي وكان أفقه أصحابه، وأدركته يدرّس فيها وأخذت عنه بعض كافي الصردفي وسيأتي ذكره في مدرّسي المصنعة وهم بيت علم وصلاح. ولقد كتب فقيه ناحيتهم في عصرنا الآتي ذكره إليّ حين كتبت إليه أسأله عن الفقهاء بناحيته فأخبرني عن ذلك حتى جاء إلى ذكر هؤلاء بني عبدالملك فقال: وأما السادة بنو عبدالملك في عَمق فهم الفضلاء القضاة العلماء الأتقياء الأبرار الأخيار المنتخبون ممن سمعنا منهم وعدّ جماعة ممن ذكرنا. وقد عرض ذكر الشيخ جوهر في غير هذا الموضع لكن رأيت ذكره هنا أولى لكونه من ناحيته وممن له على هؤلاء القوم إفضال وأنه معدود من أعيان الفضلاء، وهو أبو الدر جوهر بن عبدالله المعظَّمي، كان أستاذاً حبشياً من موالي الزريعيين ونسبته المعظَّمِي إلى الداعي محمد بن سبأ، فإنه كان يلقب بالمعظَّم وخلفه في حصن الدملوة وسيأتي ذكره أعني سيّده في الملوك. ولما توفي المعظَّم خلفه ابنه عمران الملقب بالمكرم أبقى جوهراً على نيابة الدملوة، ثم لما دنت وفاته جعله وصياً على أولاده وكانوا يومئذ صغاراً كلّهم فنقلهم من عدن إلى الدملوة وأكرمهم وقام بكفايتهم أحسن قيام وعضده في ذلك الشيخ ياسر بن بلال بن جرير المحمدي إذ كان وزيراً لعمران ومديراً لدولته، كما كان أبوه مع أبيه كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله وكان جوهر عبداً مباركاً تقياً ومشتغلاً بالعلم أجمع فقهاء عصره على تسميته بالحافظ، وكان مع ذلك فقيهاً مقرئاً قلّ أن يحفظ شيئاً فينساه، وله مصنفات في علم القرآن والحديث والوعظ وكان يسلم من مذهب مواليه ويعتمد خطّه فقهاء زمانه من أهل السنة يواصلهم ويواصلونه ومن كتبه التي صنفها في المواعظ كتاب سماه «تذكرة الأخيار ومدحزة الأشرار» وما أحسن قوله في خطبته: «لما علمت أن الموت موردي والقبر مشهدي جعلته تنبيهاً لنفسي من الغفلة وتذكرة لي قبل يوم الرحلة، لعل يتغمدني الله بالعفو عن قبيح ما أسديته ويتجاوز عن شنيع ما جنيته». وأفهم من هذه الخطبة أنه قد عمل كتابين أحدهما كتاب المناجاة والأدعيات والآخر كتاب الرسائل وشريط الوسائل وله كتاب سماه «اللؤلؤيات» جعله فصولاً في المواعظ، واستفتح كل فصل منها

بحديث أسنده إلى النبي ﷺ وقال: إنما أوردت هذه الأحاديث مسندة لا تنظم بسلك، أحد طرفيه متصل إلى النبي ﷺ، ولم يزل قائماً بكفالة أولاد سيده حافظاً لحصن الدملوة حفظاً مرضياً، وأمره نافذ بعدن ونواحيها وهو مصالح لبني مهدي على ذلك بمال يحمله كل عام حتى قدمت الغز فأخذ توران عدن ولزم ياسر بن بلال وعبده السدوسي مفتاح فوسطهما وقيل شنقهما، ولزومهم وتوسيطهم بذي عدينه سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ثم عاد إلى مصر على ما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله. وجوهر هذا باقٍ على الحزم والعزم بحصن الدملوة، ولم يزل كذلك على الطريق المرضي من الدين والدنيا حتى هلك توران وقدم سيف الإسلام بالتاريخ الآتي وباع منه الحصن حين رآه وقد غلب على كثير من الحصون والمدن، وعلم أن لا طاقة له بمقاومته وذلك بتاريخ سنة أربع وثمانين وخمسمائة كما سيأتي، ولما باعه اشترط أن لا ينزل من الحصن ولا يطلع لهم نائب حتى يكون جميع عيال سيده قد جاوزوا البحر وأنهم يركبون من المخا أو نحوه فأجابه سيف الإسلام إلى ذلك لما علمه من صعوبة الحصن، فحين وثق وسلم له المال، ولا أدري كم مبلغه جهز أولاد سيده من البنين والبنات إلى ساحل المخاء، وتجهّز معهم بزي امرأة منهم وأخذ مصونهم حتى جاء الساحل ركب البحر وقد له[1] سفن هنالك معَدّة فركب وسافر إلى أرض الحبشة وقد ترك كاتباً في الحصن يكتب ما يحتاج ويجهز بقية ما يليق تجهيزه ويوجد الغزّ[2] أن الطواشي باق في الحصن وكان قد كتب عدة أوراق عليها علامته، وكان الغز قد أضمروا الغدر بالطواشي وأنه متى نزل من الحصن لزموه وأخذوا منه ما قبضه وزيادة عليه، ولما فرغ ما في الحصن من قماش وغيره ونزل الكاتب وقد صار الطواشي وما معه من وراء البحر فسئل الكاتب عنه فقال: هو في أول من نزل فعجب سيف الإسلام منه وقال: كان ينبغي استخلافه وإبقاؤه في الحصن فقلّ وجود مثله في دينه وحزمه وعزمه، ولم يزل الطواشي بالحبشة حتى هلك هنالك وأولاد سيده وله في جزيرة العرب من الآثار المتبقية للذكر مع السيرة المرضية عدة مآثر منها أنه نسخ بيده عدة مقدمات ووقفها في أماكن متفرقة، منها في جامع الجند ثلاثون جزءاً ختمة كاملة ونحوها رأيتها بوادي عميد مع ذرية الفقيه علي بن سالم وقفها بحياة الفقيه، ولو لم يكن له غير جامع عمق الذي تقدّم ذكره فإنه بناه أحسن بناء ووقف عليه

---

(١) هذه لغة عامية دارجة على الألسن وقد سبق التنويه بذلك.

(٢) في الأصلين بمهملات ولعل المعنى «يوهم الغز» أن الطواشي باقٍ.

وقفاً عظيماً يقوم بجمع من الطلبة ثم بنى جامعاً آخر في بلاد الأشعوب يقال له معبرة وآخر يقال له الخناخن وضبط الموضعين الأول: بفتح الميم وسكون العين المهملة وفتح الباء الموحدة والراء وسكون الهاء[1] والثاني بفتح الخاء المعجمة بعد ألف ولام وفتح النون ثم ألف ثم خفض الخاء المعجمة أيضاً ثم نون[2] ولله درّه.

ومن آثاره الفقيه بطال أيضاً فإنه ارتهنه من أهله على ما سيأتي ذكره فهذبه وعلمه القرآن وصار إماماً مقصوداً مشهوراً ولم أعلم له علماً ينبغي إيراده وكان سفره بالتاريخ المتقدم. ومن الناحية أيضاً سليمان بن عبدالله بن محمد بن فهيد جمع بين الفقه والقراءات السبع والعربية. ومنهم أسعد بن محمد، كان أديباً بارعاً فقيهاً في العربية مدرساً بمنزله المسمى أروس[3] إلى أن توفي سنة ست وسبعين وخمسمائة، ومنهم علي بن سليمان ثم الأخوان ابنا الأديب: منقذ وعلي ابنا عبدالله قال ابن سمرة: وهما مجودان في العربية، ومن أهل الجؤة القاضي المبارك بن إسماعيل ولي قضاءها وكان فاضلاً روى عنه الحافظ العرشاني وكان فقيهاً محدثاً.

ومنهم عمر بن حرب ولي قضاءها، ثم الخطيب أحمد بن عبدالله بن الإمام، ثم القاضي علي بن يحيى أخو علي وأحمد وأصله من تهامة.

ومن إتحم: بخفض الهمزة وسكون التاء المثناة من فوق وفتح الحاء المهملة ثم ميم ساكنة[4] القاضي أبو بكر بن أبي الفتح بن أبي السهل، والفقيه سمير[5].

ومن خدير القضاة آل أبي ذرة، منهم محمد بن أحمد بن أبي ذرة، والفقيه مسعود بن ثعلب وقد تقدم منهم يحيى بن عبدالعليم وغيره من أهله.

ومن المعافر من قرية الحُسيد: بضم الحاء وفتح السين المهملتين وسكون الياء المثناة من تحت ثم دال مهملة[6]، جماعة منهم بنو الدقاق منهم عمر بن الدقاق، قال

---

(١) معبرة: كما ضبطه المؤلف وتسمى اليوم معبران «بزيادة ألف ونون وليست الهاء في معبرة ساكنة وإنما هي بحسب العوامل».

(٢) وخناخن: كما ضبطها المؤلف وهي غير معروفة كما أنها خراب وهي من عزلة «الصلو».

(٣) تقدم ذكر أروس كما سيأتي ضبطه للمؤلف ولا يعرف اليوم.

(٤) مثل ما سبق الوهم، واتحم ذكرها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص١٢٦ وفي «معجم ما استعجم»: بفتح الهمزة وإليه تنتسب الثياب الأتحمية وجاء ذكرها في الشعر كثيراً ولعلها تتسمى اليوم (دحيم).

(٥) كذا في الأصول، وكذا في ابن سمرة ص٢٢٦.

(٦) قرية الحسيد كما ضبطها المؤلف وسماها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وادي الحسيد وهو في=

ابن سمرة: وتزوّج فيهم علي بن يحيى بن عبدالعليم، وعلي بن محمد بن بلاوة الجعدي، قلت وفي القرية المذكورة جماعة من آل أبي عقامة، أخبرني بذلك ثقة، وأنهم في عصرنا يتولون الحكم بتلك الناحية.

ومنهم إبراهيم بن أبي الأغر الوليد وعمران بن يحيى بن علي من الأشعوب، وَلِيَ قضاء المعافر أيام شمس الدولة، ومنهم إبراهيم بن أبي الأغر ولي قضاءها مَن جهة القاضي الأثير.

ومنهم ابن أفلح وابن دحيم ومنهم حسن الدباني[1] أصله من تهامة ثم سكن جبل ذبحان من المعافر ومات هنالك.

ومن جباء، وهي بلد مبارك تقدم ضبطها، مع ذكر القاضي الجندي، خرج منها جمع من أعيان الفضلاء منهم عِلْيان بن محمد الحاشدي ومنهم بنو البلعاني بيت رئاسة، وأصلهم من حراز ومنهم جماعة فقهاء ممن ذكر ابن سمرة.

منهم علي بن أحمد بن محمد ومحمد بن عبدالله القاضي، قال ابن سمرة: وقد ذكره وغيره من أقرانه ممن لم يحضرني معرفتهم الآن، وهذا من قوله يدل على أن فيهم جماعة لم يتحققهم.

ومنهم أبو العتيق أبو بكر بن الشيخ يحيى بن إسحاق بن علي بن إسحاق العياني ثم السكسكي نسبة إلى قوم يعرفون بالأعيون قبيلة في اليمن، منهم جماعة بالجانب اليماني من أعمال الجند ونسبتهم إلى قرية يقال لها عيانة بعين مهملة مضمونة وياء مثناة من تحت ثم ألف ونون مفتوحة وهاء ساكنة[2] وهي ببلد مَقْمَح: بفتح الميم وسكون القاف وفتح الميم وسكون الحاء المهملة، كان والد هذا أبي بكر من أعيان اليمن في الصلاح وثروة المال وفعل المعروف وكثرة الحج، وكان أهل الحجاز إنما يسمّونه زين الحاج لكثرة المعروف الذي كان يفعله هناك، ولما علم به صاحب بغداد وبدينه كتب له مسامحة بغالب أرضه وأن يبقى عليها ما بقي من ذريته إنسان، وهي بأيديهم إلى الآن يجرون عليها وذريته أهل عصرنا في فعل المعروف والصبر على الإطعام للقاصد ومؤاساة الواصل ثم القيام بحال طلبة العلم، بحيث أنه

= جبل ذخر: جبل حبشي في عزلة شراحة وذخر من المعافر.

(١) لدباني غير منقوط في الأصلين وفي ابن سمرة ص٢٣١ الزياني.

(٢) قد تقدم التنبيه إلى وهم الجندي في مثل هذا الضبط. والأعيون قبيلة لها بقية، وعيانة: قرية شبه مندرسة في الجنوب الشرقي من الجند.

قد يجتمع معهم نحو المئة طالب يقومون بكفايتهم من الطعام، ولا أجد ذلك إلا بركة هذا الرجل الشيخ يحيى، وكان كثير الزيارة لفقهاء ذي أشرق فلما سمعهم يثنون على الفقيه إبراهيم بن حديق بجودة الفقه والدين سأله أن ينتقل معه إلى جَبَا ليقرىء ابنه هذا أبا بكر وغيره، فأجابه وسار إلى جبا، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله. ولقد قدمتُ جبا في جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة لغرض زيارة تربته، وتربة الأخيار حوله من ذريته، وغيرهم فوجدت ذريته على الحال المُرضي من الإطعام والإيناس لمن ورد عليهم، بحيث غلب على ظني عدم وجود مثلهم في اليمن، لا سيما في الجبال إذ قد يذكر عن بني البجلي ما يضاهي ذلك. وبحثت عن تاريخ الشيخ فلم أجده. وأما ولده أبو بكر فذكره ابن سمرة وقال: تفقّه بشيخي علي بن أبي بكر، ولعل ذلك كان في بداية أمره، فإني رأيت طبقة سماعه للمهذب إنما يرويه عن إبراهيم بن حديق. وأخذ التنبيه عن غيره وغير من ذكره ابن سمرة أنه تفقّه عليه وأخذ عن الإمام سيف السنة عدة من كتب الحديث، وكان ممن حضر السماع لصحيح مسلم عليه بمدينة الجند، وحجّ مكة سنة ثمانين وخمسمائة، فلما عاد إلى زبيد أخذ بها على الفقيه عباس بن محمد الآتِي ذكره إن شاء الله. وكان فقيهاً محققاً مدققاً ذا صلاح مشهور وعلم مذكور، قصده الطلبة من أنحاء اليمن رغبة في علمه وإنسانيته، منهم ابنه يحيى وأخوه محمد وغيرهم من أهل قريته وقومه.

ومن المشيرق أحمد بن محمد بن منصور الجنيد وعثمان بن يوسف بن أسعد الشعبي وغيره من أهل الجبال، ومن تهامة إبراهيم بن علي بن عجيل وعلي بن قاسم الحكمي وعلي بن مسعود الكثيبي من المخلافة[1] وغيرهم، وهو أكثر فقهاء الجبال المتأخرين أصحاباً أخبرني الثقة أنه حج سنة، ولم يستطع الزيارة إلى يثرب فبقي قلقاً لذلك وقلق باطنه فرأى النبي ﷺ يقول له: يا أبا بكر لم تزرنا فزرناك، فقال: يا رسول الله بكرمك فعلت ذلك، فادعُ الله لي، فدعا له وقال: ولإخوتي وأولادي وأولاد أولادي حتى عدد سبعة بطون، والنبي ﷺ يدعو لكل بطن عند ذكره لهم فهم يرون أن الخير والبركة الموجودين فيهم ببركة دعاء النبي ﷺ هذا. وكان بعض أهل العلم والصلاح من أهل جبا يقول: رؤي الفقيه أبو بكر بن يحيى وهو يطوف بالكعبة راكباً على بغلةٍ وحوله نحو ثلثمائة فقيه يمشون بمشيته ويطوفون بطوافه، وكانت وفاته بقريته سنة ثمان وعشرين وستمائة، وهو آخر من ذكر ابن سمرة من أهل جبا.

---

(١) المخلافة ويقال لها المخلفة من بلد حجة انظر «قرة العيون» ج٢ ص٧، وما بعدها.

وممن قدم عليهم وانتفعوا بـه أبو إسحـاق إبراهيم بن إسمـاعيل بن إبـراهيم بن حديق بن إسحاق الجشيبي، ثم السكسكي، والجشيبي من قوم يقال لهم الأجشوب: بجيم ساكنة بعد ألف ولام ثم شين معجمة مضمـومة ثم واو ثم بـاء موحـدة[1] بطن من السكاسك أصل بلده إتحم، قد تقدّم ضبطها خرج إبراهيم مع ثلاثة من إخـوته فسكن أكمة سودا ببادية الجند[2] فأدرك الفقيـه سليمان فـأخذ عنـه وطلع ذي أشرق فـأخذ عن علي بن أبي بكـر من بني الإمام، وأخـذ عن القـاضي مسعـود ثم صـار إلى جبـا كمـا قدمت ذلك، مع ذكر الشيخ يحيى، فلما قدم جبا قـال ابن سمرة: انتهت إليـه رئاسـة الفقه والفتوى بهـا، وتفقّه بـه أبو بكـر بن يحيى المقدم ذكـره، وبه تفقّـه الإمام بـطال الرّكبي وحضر السماع على سيف السنة بمسجد الجند وفي ذي أشـرق أيضاً، ولـه بها عقب إلى الآن، وتوفي بقرية الحصاة[3] وخلفـه ابن له اسمـه أسعد مـولده ربيـع الأول سنة سبعين وخمسمائة، تفقّه على فقيه كان بمطران[4] اسمه أحمد بن محمد بن عيسى الحجوري.

منهم أخـوه أبو عبـدالله محمد بن يحيى، كـان فاضـلاً تفقّه بـه وأخذ عن سيف السنة وكان جيداً صالحاً يغلب عليه الاشتغال بكتب الحديث، وفـاته لثـلاث بقين من شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة.

ومنهم ابنه يحيى، كان فقيهاً تفقّه بـأبيه وأخـذ الفرائض عن ليث بن أحمـد كما أخذها عن أحمد بن عبدالله الزبراني ولم أجد له تاريخاً.

ومنهم ابن أخيه يحيى بن عبدالله بن الفقيه محمد بن يحيى، وبهـذا يحيى تفقه جمـع كثير وقصـده الطلبـة من نواح شتى ووصله مـدرسو تعـز ورأسهم يومئـذٍ ابن آدم الآتي ذكره فأخذوا عنه البيان. وكان ذا كراماتٍ ومكاشفات وبه تفقّه محمد بن أبي بكر الأصبحي فذكروا أنه كان من جاءه للقراءة قال له: مـرحباً بـك يا مـدرس سَيْر، فكـان

---

(١) الأجشوب كما ضبطها المؤلف لها بقية في السكاسك: مخلاف حمر، وأجشـوب في حمير من مخـلاف شرعب.

(٢) هي في حقل الجند.

(٣) الحصاة بعد إحفاء البحث عن موقعها لم نقف لا على عين ولا أثر.

(٤) مطران تثنية مطر حصن وقرية من جبل قدس من المعـافر جنوب تعـز، ولا تزال القـرية عـامرة والحصن خراب.

كما قال: درّس بسير عدة سنين وأخذ عنه جمع من الطلَبة وسيأتي بيان ذلك، وكانت وفاته على طريق التقريب سنة ثمانين وستمائة، بذلك أخبرني فقيه جبا وحاكمها حين دخلتها بالتاريخ المتقدم وخلفه في التدريس والطريق المرضي أخوه عثمان بن عبدالله تفقّه بتهامة على عبدالله بن إبراهيم بن عجيل وأخذ عن أخيه يحيى، وكان جيداً صالحاً كثير العزلة ببيته، ويدرس فيه قلّ أن يخرج منه إلا يوم الجمعة، وكان زاهداً ورعاً متقللاً وكان نظيف الفقه لَزوماً للسنّة، أخبرني ابن أخيه الفقيه علي بن أبي بكر أحد فقهائهم وأخيارهم عام قدمت عليهم بالتاريخ المتقدم أنه أسَرَّ إليه أنه قال: رأيت رؤيا إن عشت لا أخبر بها أحداً، وإن مت فأنت بالخيرة، رأيت لثمانٍ بقين من رجب جماعةً فيهم رسول الله ﷺ فدنا مني وقبّل بين عيني فقلت: اللهم اجعلها لي عندك وديعة وذخراً، فاغفر لي يا خير الغافرين وما أظنني أعيش بعدها فقلت: ولم ذاك؟ قال: إن ابن نباتَه الخطيب رأى النبيّ ﷺ يقبله فلم يعش بعد ذلك غير اثني عشر يوماً، ثم لم يعش بعد ذلك سوى عشرين يوماً إذ مات يوم السبت خامس عشر من شعبان سنة ثلاث عشرة وسبعمائة وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقد عرض مع ذكر هذا الرجل المبارك ذكر الخطيب ابن نباتة وهو أحد أعيان العلماء المشهورين ورأس الخطباء المذكورين، فأحب بيان بعض اللائق به من أحواله على ما بلغني وصفة رؤياه التي أشار الفقيه إليها، فهو أبو يحيى عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباتة الفارقي، فنباتة: بضم النون وفتح الباء الموحدة بعد ألف وتاء مثناة من فوق مفتوحة ثم هاء ساكنة، مولده سنة خمس وثلاثين وثلثمائة.

قال ابن خلكان في حقه: هو صاحب الخطب المشهورة، كان إماماً في علوم الأدب، ورزق السعادة في خطبه التي وقع الإجماع على أنه ما عمل مثلها، وفيها دلالة على غزارة علمه وجودة قريحته، وهو من أهل ميافارقين، وكان خطيب حلب، وفيها اجتمع بأبي الطيب المتنبي في خدمة سيف الدولة بن حمدان، وذكروا أنه سمع منه بعض ديوانه وكان سيف الدولة كثير الغزو، ولهذا أكثر الخطيب من خطب الجهاد ليحضّ الناس عليه ويحثّهم على نصرة سيف الدولة، وكان رجلاً صالحاً رأى النبي ﷺ في المنام، قلت رؤياه مشهورة وجدتها بخط شيخي القاضي أحمد بن عبدالله العرشاني، وفي بعض كتبه بسندٍ أعرضت عن إيراده ميلاً للاختصار قال: رأيت فيما يرى النائم ليلة الجمعة كأنني خارج من باب من أبواب ميافارقين يعرف بباب (أرزد) بألف مهموزة وراء ساكنة ثم زاي مفتوحة ثم دال مهملة ساكنة، وجدته مضبوطاً كذلك

فحققته. نرجع إلى كلام الخطيب قال: خرجت طالباً زيارة تراب أهلي[1] وإذا بجماعة كثير قد لقوني وفي وسطهم رسول الله ﷺ وكأني سألت عنهم فقيل: هؤلاء من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فتقدمت إلى رسول الله ﷺ وأخذت بيده الكريمة فقبلتها وقلت له: رفع الله درجتك، تقبّل الله شفاعتك، رحم الله أمتك. فأجابني ﷺ على السجع، وقال: أقال الله عثرتك، غفر الله زلّتك، أحسن الله معونتك، ثم التفت إلى الجماعة التي حوله وقال: سلِّموا على خطيب الخطباء فسلّموا علي وسلمت عليهم ثم قال لي: يا خطيب الخطباء كيف قلت، وأومأ بيده الشريفة إلى الجبانة كأنهم لم يكونوا للعيون قُرّة ولم يُعدّوا في الأحياء مرة، أعد الفصل من أوله، فابتدأت من أول الموعظة بخطابة وترسّل وهو ﷺ يبكي والجماعة يبكون لبكائه إلى أن وصلت خاتمة الخطبة وقلت: أسكتهم الله الذي أنطقهم وأبادهم الذي خلقهم، وسيجددهم كما أخلقهم، ويجمعهم كما فرّقهم يوم يعيد الله العالمين خلقاً جديداً، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقوداً، ثم أومأت بيدي إليه ﷺ وإليهم وقلت: يوم تكونون شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أنّ بينها وبينه أمداً بعيداً، فقال لي ﷺ: «أحسنت يا خطيب الخطباء لا فضّ الله فاك» قال: افتح فاك ففتحته فتفل فيه ﷺ ثم انتبهت ورائحة المسك يتضوع من فيّ، وبقي رضي الله عنه أياماً كثيرة ورائحة المسك تتضوع من فيه، واعتبرت خطبه وتصانيفه فوجد ما بعد هذا المنام أفصح وأحلى مما قبله، واختلف في مدة بقائه بعد ذلك فقال ابن خلكان: عاش بعدها ثمانية عشر يوماً لا يستطعم طعاماً ولا شراباً لبركة تلك التفلة، وهذه الخطبة هي التي فيها هذه الكلمات تُعرف بالمنامية لهذه الوقعة، وذكر فيما رأيت بخط شيخنا المذكور أولاً الذي وجدت القصة بخطه أنه عاش بعد المنام أربعين يوماً. وأما الذي ذكره الفقيه عثمان، وهو من العلماء المأخوذ عنهم، أنه لم يعش غير اثني عشر يوماً ثم لم يعش هو أيضاً بعد المنام غير اثني عشر يوماً كما قدمنا: وكانت وفاة الخطيب بميافارقين سنة أربع وسبعين وثلثمائة. قال ابن خلكان: ورأيت في بعض المجاميع، قال الوزير أبو القاسم بن المغربي: رأيت الخطيب ابن نباتة بعد موته في المنام فقلت: ما فعل الله بك، قال: دفع إليّ ورقة وفيها سطران بالأحمر هما:

---

(١) هذه العبارة غير موجودة في الوفيات وقد تصرف المؤلف بكلام الخطيب تصرفاً مخلاً كما هي عادته انظر «الوفيات» ج٢ ص٣٣١.

قد كان أمنٌ لك من قبل ذا | واليوم أضحى لك أمنانِ
والصفح لا يحسن من محسن | وإنما يحسن من جاني

وانتبهت وأنا أكررهما كي لا أنساهما.

نعود إلى ذِكْرِ فقهاء جبا وتتمة بني إسحاق إلى عصرنا سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة: فمنهم عمر بن عثمان بن الشيخ يحيى مقدم الذكر مولده سنة ثمانٍ وعشرين وستمائة، وكان فقيهاً غلب عليه الاشتغال بكتب الحديث، وتوفي بصفر من سنة عشر وسبعمائة، ثم خلفه ابنه عبدالله مولده سنة أربع وخمسين وستمائة في شهر شعبان، وارتحل إلى زبيد فأخذ بها عن ابن ثمامة الآتي ذكره وإليه انتهى الحكم في عصرنا والتدريس بجبا، وهو أحد المعدودين في أخيار فقهاء العصر أُنْسٌ للواصلين وقيام بالقاصدين، قدمت جبا وهو المذكور بذلك، واجتمعت به فرأيت منه ما حقق الذكر والسماع ورأيت له ذكراً بالفقه، وإليه تنتهي الفتوى، وأخذ عنه جماعة وله تصنيف بالفقه.

ومنهم الأخوان علي ويوسف ابنا أبي بكر بن عبدالله بن الفقيه محمد بن يحيى مقدم الذكر، قدمتُ جَبا بالتاريخ فوجدت عليّاً المذكور هو المشار عليه بعد ابن عمه الفقيه عبدالله بالفتوى، وربما كان أكثر تلقّياً للأصحاب وأُنْساً لهم وصبراً عليهم من الفقيه عبدالله وسألتُهُ عن ميلاده فقال: سنة ثلاث وسبعين. وأما أخوه يوسف ففاضل بالفرائض مولدُه سنة سبع وثمانين وستمائة، يُذكر بالأمانة والصبر على أكاذبها، غالب ودائع أهل الجهة إنما تكون معه، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة.

ومنهم محمد بن عمر بن عثمان فاضل بالقراءات السبع، ومن بني البلعاني أبو محمد عبدالله بن عبيد بن أبي بكر بن عبدالله البلعَاني، مولده ربيع الأول من سنة إحدى وستمائة، وتفقّه بعلي بن قاسم من زبيد وعمر بن مفلح من أبين، ودرس بمغربة تعزّ في المدرسة النجاحية، وعنه أخذ (جماعة من)[1] فقهاء تعز وغيرها، أثنى عليه الفقيه عثمان الشرعبي في تعليقته، وكانت وفاته بجَبا نهار الخميس رابع عشر من شعبان سنة أربع وتسعين وستمائة، وله ولدان بجبا أحدهما مقرىء للسبعة وهو طالب الآن للتفقّه ومحمد محسن بالكتابة مع السلاطين.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن أبي القاسم بن عبدالله الجبائي ثم السكسكي،

---

(١) ما بين القوسين من «ب».

عرف بابن المعلم، كان فقيهاً فاضلاً لكن غلب عليه[1] علم الأدب وأخذه عن القاضي أحمد القريظي الآتي ذكره إن شاء الله، وله شرح المقامات للحريري المشهورة به، فيقال شرح الجبائي وهو أحد شيوخ الفقيه إبراهيم بن علي بن عجيل، ويقال: إنه مات قبل تمام الشرح فقدم ابن عجيل المذكور فأتمه، وعنه أخذ علي بن عمر الحضرمي أحد شارحي المقامات أيضاً، شرحها شرحاً أبسط من شرح شيخه (وشرف نفس)[2] ولم أعرف له تاريخاً.

ومنهم أبو الخطاب عمر بن أحمد بن أسعد (بن عمر)[3] وعرف بابن الحذاء: بحاء مهملة مفتوحة ثم فتح الذال المعجمة ثم ألف وأظنه كان يعمل النعال، فلذلك سمي الحذّاء، إليه انتهت رئاسة القراءات في اليمن أجمع، وكان عظيم البركة، قلما قرأ عليه أحد إلا انتفع، وكان مسكنه قرية من قرى جبا تعرف بالمتفولة: بفتح الميم بعد الألف واللام وسكون التاء المثناة من فوق (وبضم الفاء)[4] وسكون الواو ثم فتح اللام ثم هاء ساكنة وهي شرقي مدينة جبا، وكان صاحب كرامات كثيرة. أخبرني الثقة أنه كان عنده يقرأ القرآن وأن الفقيه تقدّم من قريته إلى[5] قرية تعرف بالمصراخ[6] فيها مشايخ الناحية، وهم قوم يعرفون ببني عبيد بن عباس وهم عرب يقال لهم: الساور أصلهم من ظاهر حَصى[7] وهم بيت رئاسة وعزّ، ولهم مكارم كثيرة، فأقْبَلَ الليل وهو عندهم وذلك لحاجة، فصلّى المغرب والعشاء معهم وهم يظنونه يبيت عندهم، فلما انقضت حاجته عزم على الرجوع إلى بيته فلازموه على المبيت فكره، وكانت ليلة مظلمة وفيها ريح فقالوا: يا مقرىء الظلام فقال: أعيروني سراجاً وأسرجوه لي فهو يضيئني في الطريق إن شاء الله. قال المخبر ففعلوا ذلك وهم لا يظنونه يثبت معه ساعةً، فلم يزل مسرجاً بيد رجل ممن معه حتى وصل بيته فانطفأ. وربما كان المخبر لي هو الحامل. ومن عجيب ما أخبرت به عنه عام قدمت جبا أنني لما عوّلت على

---

(١) في «ب»غلبت عليه اللغة وعلم الأدب.

(٢) كذا في الأصلين.

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٤) كان في الأصل وسكون الفاء وذلك لا يتم، والمتفولة فيها بيت عامر في جبا الحديثة وباقيها مندرس.

(٥) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٦) المصراخ يأتي ضبطه للمؤلف قريباً، واليوم ينطق بالسين المهملة بدلاً من الصاد المهملة. ويقع جنوب (جبا) بنحو ميلين وهو اليوم مركز لناحيةٍ من جبل صبر.

(٧) حصى: بلدة من سرو مذحج: بلاد البيضا انظر ضبطها والكلام عليها في «الاكليل» ج٢ ص٣٦٢. و«صفة جزيرة العرب» ص٨١.

الفقيه علي بن أبي بكر المقدم ذكره بأن يصل معي إلى المقبرة ليريني القبور التي تُزار ففعل ذلك ووقف بي على قبر فقال: هذا قبر رجل يعرف بالسروي، كان درسياً صالحاً، دخل المقرىء عمر بن الحذاء هذه المقبرة فجعل يزور أهله ومعاريفه والمشهور من الفقهاء وإذ به يسمع من هذا القبر منادياً ينادي يا مقرىء عمر، أنت ما تزور إلاّ أصحاب الجاهات، فالتفت إلى القبر وزاره ولم يبرح يزوره كلما دخل المقبرة قبل كل يوم أحد، وأعلم الناس بالخبر فصار القبر مزوراً إلى عصرنا، وهذا المقرىء وغالب من ذكرته وأذكره مقبور بمقبرة جبا ولم أتحقق تاريخه.

ومنهم سعيد بن يوسف الزيلعي، تفقّه بيحيى بن أبي بكر، وكان فقيهاً فاضلاً وجمع كتباً كثيرة ووقفها على طلبة العلم بجبا وبها توفي.

ومنهم بنو حسان قوم ينتسبون إلى جدٍّ لهم، ثم حسان بن ثابت الأنصاري ويسكنون بادية جبا، فيهم فقهاء حققت جماعة منهم قاسم بن محمد بن أحمد بن حسان الخزرجي، كان فقيهاً صالحاً مقرئاً أخذ عن الإمام سيف السنة كتاب الشريعة للآجري.

ومنهم ابن ابنه عبدالله بن محمد بن قاسم بن محمد بن أحمد بن حسان الخزرجي، تفقّه بمحمد بن حسين الأصابي وأخذ عنه شرح موسى اللمع كما أخذه عن مصنفه، وأخذ عن الشيخ بطال وعنه أخذ أحمد بن محمد الوزيري المستعذب، وهو أحد شيوخ شيخي أحمد السرددي، وله ابن اسمه إبراهيم، تفقّه بأبي بكر بن عمر السهامي، أخد أصحاب أبي قاسم، وبالإمام بطال وبمحمد بن حسين المرواني الآتي ذكره، ودرّس بذي هزيم بالمدرسة التي أحدثها الطواشي مختص، وكانت وفاته ليلة الجمعة ثامن عشر رمضان سنة خمس وخمسين وستمائة.

ومنهم المقرىء عبيد بن محمد، بَرَع في القراءات وأخذه لها عن ابن الحذاء وعن رجل بمكة، وكان له أب وأخوة امتحنوا بالعمى وهم بيت حفظ للقرآن الكريم، فحج هذا عبيد قبل العمى، فلما زار ضريح النبي ﷺ استجاره من العمى فكفى ذلك إلى أن توفي سالماً في شوال سنة ست وتسعين وستمائة.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن علي الجداي: نسبة إلى صقع من الحبشة يقال له جداية بخفض الجيم ثم دال مهملة ثم ألف وفتح الياء المثناة من تحت ثم هاء، شُهر بالزيلعي، أخذ عن أبي زاكي بحراز ثم عن الغيثي بوصاب، وأخذ عن المقرىء عبيد المذكور آنفاً. ويذكر عن هذا المقرىء التجويد في علم

القراءات والنحو، ولما قدمتُ جبا سنة إحدى وعشرين وسبعمائة وجدت هذا المشار إليه يعلّم القراءات، وعنه أخذ جماعة، وكانت وفاته بشهر صفر سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة. وممن انتاب إلى نواحي جبا جماعة:

منهم أبو عبدالله محمد بن حسين المرواني الأصابي، تفقّه بابن سحارة الآتي ذكره، وبأبي بكر بن إسحاق المذكور، وكانت مدرسته بقرية المصراخ مع المشايخ متقدمي الذكر، وضبطها بخفض الميم بعد ألف ولام وسكون الصاد وفتح الراء ثم ألف ثم خاء معجمة، أخذ عنه بها جماعة كثيرون من الجَنَد وغيرها فمن الجَنَد عمران بن النعمان، ومن سهفنة: عمر بن الحداد، ومن ذي السفال: محمد بن مسعود، ولم أعرف له تاريخاً.

ومن الناحية جماعة منهم عبدالكريم بن علي بن إسماعيل، مسكنه قرية الوجي[1]: بفتح الواو وخفض الجيم ثم ياء ساكنة مثناة من تحت، وهي على قرب مدينة (جبا) وكذلك المصراخ المذكور أولاً، وكان هذا عبدالكريم عارفاً بالقراءات أخذها عن الحذاء وكان من صالحي زمانه وأخيارهم، ما قرأ عليه أحد إلا انتفع، ولا حقق عليه شيئاً فنسيه، وكان في أوله ناسج ثياب فكان القارىء يقرأ عليه وهو يشتغل بالخياطة فلا يفوته شيء من غلطه، ثم في آخر أمره ترك النسج واشتغل بالخياطة، ولم يزل كذلك حتى توفي وكان قوته من صنعته، وربما جاء ضيف خاط له أو نسج له بغير شيء، وقدم الجند وأنا يومئذ أدرّس بمدرسة الشيخ عبدالله بن العباس فعزمته من الجامع إلى المدرسة وتبركت بدخوله، وكانت وفاته بالقرية سنة سبع عشرة وسبعمائة، وله أولاد منهم ابنٌ فيه خير كبير، وهو إمام الجامع بجبا والخطيب فيه، وآخر بقرية السمكر يتعانى التجارة ويذكر بحفظ القرآن.

ومن النواحي أيضاً ثم من قرية تعرف (بيفرس) قد تقدّم ضبطها مع ذكر القاضي الجندي أبو الحسن أحمد بن علوان قد تقدم ذكر والده مع ذكر الشيخ يحيى بن أبي الخير. نشأ هذا أحمد بموضع يعرف بذي الجِنَان من جبل ذخر ولم يزل على ثروة ورعونة على ما جرت عليه أولاد الكتاب والمتنعمين بقرب الدولة، وطلع طلوعاً حسناً قارئاً كاتباً فاضلاً تعلم الكتابة والنحو واللغة، وشعره وكلامه في التصوف يدلان على ذلك، فذكر بعض نَقَلَةِ آثاره أنه دعته نفسه وهو شاب إلى قصد باب السلطان

---

(١) كما ضبطه المؤلف وتقع الوجي جنوب المصراخ بأقل من نصف ميل واليوم ينطق بها بسكون الجيم والدال المهملة «الوجد» والوجي أيضاً بلدة من بلاد الجعاش من أعمال ذي السفال.

والتعرض للخدمة إما مكـان أبيه أو غيـره، فخرج من ذي الجِنَان وصار قـاصداً بـاب السلطان، فلما صار بشيء من الطريق إذ بطائر أخضر قد وقع على كتفـه ثم مدّ منقـاره إلى فيه ففتح الشيخ فاه له فصب الطائـر إليه شيئـاً فابتلعـه الشيخ ثم عـاد من فوره إلى بلده فلزم الخلوة أربعين يوماً، ثم في اليوم الحادي والأربعين خـرج من المتعبَّد وقعـد على صخـرة يتعبّد، فـانفلقت الصخرة عن كفّ وقيـل له: صـافح الكف فقـال: ومن أنت؟ قال له: أبو بكر، فصافح فقال له: قد نصبتك شيخاً، وإلى ذلك أشار في شيء من كلامه الذي يخاطب به أصحابه حيث يقول: وشيخكم أبو بكر الصـديق، ثم ألقى له الحب في قلوب الناس والوجاهة، فتحكّم له قومٌ كثير ولـه كتب في المواعظ. نحـا نحو ابن الجوزي[1] ولذلك كان يقال له: جوزي اليمن، وذكروا أنه لما اجتمع بالشيخ أبي الغيث المقدم ذكره بعد مكاتبة كانت بينهما يطول ذكـرها وفـاتحه الكـلام وأجابـه أعجبه، وعلم أنه أعجب بذلك قال له: أنت جوزي الوقت، وأنا دورته وأخشى دورتي تكسر جوزتك، ثم إن الشيخ أملى شيئاً من كلامه على بعض الحاضرين فكتبه ثم قال للكاتب أعط الورقة لأحمد، فلما أخذها قال: يا أحمد، أتمَّ هذا الكلام، فأخذ الورقة وقبلهـا وقال: لا يحسن للعبـد أن يكمل كـلام سيده، ثم إنـه عـاد من بيت عـطا بغيـر دستـور من أبي الغيث فقصده بعـد ذلك فلم يجـده، فقـال: ولـو وقف الجبلي لأخـذ القماش.

وكانت بينهما مكاتبات يطول شرحها، وله في التصـوف فصول كثيـرة يتكلم بها على لغـات شتى، فسئل بعض العـارفين من أين كان الشيـخ يعـرف تلك اللغـة وهـو عربي ولم يكد يُعرف له خروج من بلده. وأهلها عرب لا يعرفون غير العربية؟ فقـال: كانت روح الشيخ مهبطاً لأولياء الله، ولهم لغات كثيرة يتكلمون بها على لسـان الشيخ فنطق بها كما يقولون. والدليل على ذلك أنه كان يكتب كـلامه الـذي ينطق بـه بآلات متفرقة، ثم يستعرض ذلك مما لم يدركه غسله وقال: كان الشيخ أشوق إلى كلامه من سامعيه، وكان متى علم أن في السامعين لكلامه من لا يفهمه قال معرّضاً به:

يـا واقفـاً على المـاء وهـو عـطشـان

وسأله السلطان علاء الآتي ذكره في فقهاء الأجناد، وهو من أكبر أصحـابه، عن أرجى آية في القرآن قال: قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[2] قال: إذا كانت

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) الإسراء ـ ٨٥.

محبة الله قديماً لم يؤثر فيها أعراض التبغيض حديثاً، وإذا كانت المعصية من الله قديماً لم يؤثر فيها أعراض التحبيب حديثاً، ويكفي على ذلك شاهد معصية آدم وطاعة إبليس، فلما هبط آدم إلى أرض شقوته من حصن رتبته بمن فيه من ذوي نفوس ذريته عادت عوائد محبوبهم فنزل إلى السماء الدنيا شوقاً إلى تقريبهم وجني من بعديتهم ليالي الأيام الدائرة إلى أن ـ يطلع فجر الآخرة ينادي بلسان التنبيه هل من تائب؟ وسئل عن قوله ﷺ من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ ولم يصلِّ ركعتين فقد جفاني، ومن صلى ركعتين ولم يدعُني فقد جفاني ومن دعاني فلم أجبه فقد جفوته، ولست بربٍّ جاف فقال للسائل: معنى الخبر في الشريعة ظاهر وهو في الحقيقة إشارة إلى أن كل مولود يولد على الفطرة حتى يتهود أو يتنصر أو يتمجّس أو يشرك أو يعصي[1]، وذلك حدث ناقض لوضوء الفطرة ولا طهارة من هذا الحدث إلا بماء التوبة من توضأ من إحدى هذه النواقض بماء التوبة خرج من جفاء الحدث إلى تجديد العهد، ومن صلى بعد هذا الوضوء ركعتين مقبلاً على الله مقتدياً برسول الله ﷺ خرج من جفاء المخالفة إلى ودّ المؤالفة، ومن دعا بعد هذه الصلاة خرج عن جفاء العناء عن نبيه إلى خضوع الافتقار إليه فلا جرم أنه يستجاب له ويدخل في صف الأحباب بين يدي رب الأرباب، مولده قرية ذي الجِنان حيث تقدم ذكر[2]أبيه مع ذكر الإمام يحيى بن أبي الخير، ثم في آخر الأمر تأهل بامرأة من يفرس القرية المذكورة فسكن معها ورفض ذي الجنان ولم يزل بها حتى توفي وكانت له كرامات شهيرة يطول تعداد بعضها.

وكان كثيراً ما يَرِدُ إلى السمكر، إحدى قرى الجند، وله بها أصحاب كثيرون أدركت جماعةً منهم. وبالقرية كتاب فيه معظم كلامه، أخبرني خبير بما ذكر أن جماعة من السمكر خرجوا عازمين على زيارته إلى يفرس أو ذي الجنان ومع كل منهم شيء من الدنيا، يريد أن يتقرّب به، فلما وصلوا إليه وسلموا عليه سلّم كل واحد منهم ما جاء به للنقيب[3]ثم لبثوا ما شاء الله وعادوا بلدهم، وفي أول ليلة لم يقم أحد منهم من نومه حتى وجد ما راح به، وكانت وفاته ليلة السبت العشرين من رجب سنة خمس وستين وستمائة بقرية يفرس، وقبر بها على باب مسجد لطيف وهو القبر الملتصق

---

(١) المحفوظ في هذا الحديث كل مولودٍ يولد على الفطرة إلا أن أبويه يهوّدانه أو ينصرانه أو يمجّسانه.

(٢) هذاتكرار، فقد تقدم ذكر مولده.

(٣) النقيب: ويقال له نقيب الباب وهو الواسطة بين الولي والناس معروف إلى هذه الغاية وللنقيب معنى آخر.

بالمسجد وعلى يسار الداخل إليه ويمين الخارج عنه[1]، وكان له ولد اسمه محمد يسكن ذا الجنان، أصل موضعهم، وكان على طريق مَرْضيّ من طريق المسلمين إلى أن توفي مستهل شوال سنة خمس وسبعمائة، وقد جعلت ذكر هذا الرجل فارس الأعقاب في أهل جبا ونواحيها، فليعرف العارف أن غرضي بذلك جعله ختامهم، لأن الله ختم الأنبياء بأفضلهم.

وقد انقضى ذكر من عرفته مستحق الذكر من أهل جبا ونواحيها، ولم يبق إلا العود إلى ذكر الفقهاء، فأبدأ بأقدمهم في ذلك، وهم أهل الملحمة، ذرية الفقيه أبي عمران، فقد مضى ذكر من ذكرهم ابن سمرة منهم ولم يبق إلا من تأخر عنهم وهم جماعة.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن مضمون بن الفقيه عمر بن محمد بن عمر بن الفقيه إبراهيم بن أبي عمران، فالفقهاء المذكورون أولاً قد ذكرهم ابن سمرة وذكرتهم، وأما هذا محمد، فإني انفردت بذلك ونسبه قد تقدم، وميلاده يوم الخميس السابع عشر من شعبان سنة تسع وخمسين وخمسمائة، وتفقّه بالإمام سيف السنة، فذكر أنه لزم مجلسه إحدى عشرة سنة وأنه أقام بجامع إب سبع سنين لم يخرج عنه إلاّ في قُبْران صاحب يعزّ عليه، والأربع الباقيات قد تختلف في البدري إلى بلده، فانظروا معاشر الطلبة إلى اجتهاد هذا الرجل وتخلّيه مع قرب بلده الملحمة من موضع درسه (إب)، وأخذ عن الإمام سيف السنة الفقه والنحو واللغة والحديث والأصول، وحاكاه في جميع أموره حتى في الخط والشعر، ولما شاب، وهو ابن تسع وعشرين حجة، قال شعراً:

ولما مضى تسع وعشرون حجة ... من العمر عزّتني وعزّت إلى الصبا

(١) زرت ضريح الشيخ أحمد بن علوان سنة ست وخمسين وثلاثمائة وألف، بمناسبة ذكرتها في التاريخ من تاريخ اليمن الاجتماعي وعلى الضريح قبة والمسجد وقد توسع جداً وعقيدة الناس فيه متمكنة، وفي سنة ثمانٍ أو التي بعدها ذهب أحمد بن يحيى حميدالدين وكان والياً على لواء تعز ويدعى ولي العهد فانتزع رفات الولي المذكور وحمله إلى تعز ولا يعرف أين دفنه، كما غيّر معالم القبر والمسجد وأخذ أبواب المسجد وحملها إلى تعز وجعلها لأبواب سور داره التي سمّاها دار الناصر، وكان من أملاك يحيى بن أحمد المجاهد وهو شمال مسجد عبدالهادي السودي داخل سور تعز (عُدينة) وبعض الأبواب ملقاة في الشارع، وقد قيل في ذلك أشعار ذكرناها في محلها، وهذه الدار قد خربت بعد الثورة بسبب إهمال حكومة الثورة ولها مهزلة في خرابها ذكرناها في كتابنا (الثورة ظاهرها وباطنها) وقد ضعفت العقيدة في ابن علوان ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وأنذرني شيبي بحتفي معجّلاً ... فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحبا
وسمعاً لداعي الحق منك وطاعة ... وإن كنتُ بطّالاً وإن كنتُ مذنبا
فقال: أراك اشتقتَ ويحك ما الذي ... بجرمك قد أعددت بَيِّنْ ليَ النبا
أتحسبُ أن الخَطْبَ من بعد هيّنٌ ... وهيهاتَ يا مغرور قد خلت غَيْهبا
أنا المنذرُ العريان فاسمع نصيحتي ... فإن أمير الجيش بعدي تأهَّبَا
فإن رسول الموت عمّا عهدته ... على أثَرِي للقصد هيّأ مركبا
فقلت له والله ما ليَ عدةٌ ... وإن كان فيضُ الذنب قد بلغ الزُّبَا
سوى حسن ظني أن ربي مسامحي ... وأن ذنوبي جنب رحمته هبا[1]
وأن رسول الله في الحشر شافعي ... وأني وجدت العفو للذنب أقربا
وأني أحب الله ثم نبيه ... وصحب نبي الله والحق مذهبا
فهذا الذي أرجوه ينجي من الردى ... بيوم يُرى من هوله الطفلُ أشيبا
وصلى إلٓه الخلق ما ذرّ شارقٌ ... على المصطفى حقاً وما هبّت الصبا

ونسخ بيده كتباً عديدة وكتب على كل منها أبياتاً منها قوله:

وقفٌ حرام وحبس دائم الأبد ... (يبقى)[2] رجاء ثواب الواحد الصمد
على الحنابلة المشهور مذهبهم ... من آل بيت أبي عمران ذي الرَّشد
ثم الحنابل طُرّاً بعد أن عدموا ... سيّان غائبهم أو حاضرُ البلد
لا حظّ فيها لبدعيّ يخالفني ... لو كان معتقداً ضداً لمعتقدي
فمن بغى أو سعى في هتك حرمتهم ... فخصمه الله إن الله بالرَّصد
يا ربّ فانفع به دنيا وآخرة ... يا من تعالى فلم يولد ولم يَلِدِ
وصل ما انهل أو أضا قبس ... على النبي بلا حصر ولا عدد

وقد أخذ العلم أيضاً عن أبي السعود بن خيران مقدم الذكر في أصحاب الإمام يحيى، ولما قدمت الملحمة بالتاريخ المتقدم ووقفت على بعض كتبه الموقوفة نقلت الأبيات منها ووجدت عليه معلقاً شعراً (وهو بخطه من قوله)[3]:

من كان في الحشر له قربة ... تدنيه من عفو القدير الولي
فقربتي حبّيَ للمصطفى ... ثم اعتقادي مذهب الحنبلي

---

(١) هذا البيت والبيتان بعده زيادة من (ب).

(٢) ما بين القوسين من «العقود اللؤلؤية» وفي الأصلين ساقط.

(٣) ما بين القوسين من «ب».

وكان الملك المنصور بن (علي)[1] بن رسول يحبه ويعتقده، فلما بنى مدرسته التي بدرجة المغربة المعروفة بالوزيرية[2] لم يزل يتلطّف له ويتوسّل إليه حتى نزل من بلده وقعد في المدرسة مدرساً، ثم قال له: إني أحب أن أكون أقرأ عليك ونزولي إلى المدرسة في كل يوم يشق عليك وعلي وعلى الناس، فإن رأيت فانعم كل يوم يأتيك الركبدار[3] ببغلة تركبها وتطلع الحصن فأقرأ عليك في خلوة فرأى الفقيه أن طلوعه أسهل فاستعفاه الفقيه من ركوب البغلة وقال: أنا أطلع على كل يوم بدرسيّ من أصحابي يؤنسني، واتفق مع السلطان على ذلك، وصار يطلع في كل يوم الحصن ومعه درسيٍّ من أصحابه، فلما صار على باب الستارة وقف صاحبه ودخل الفقيه من غير إذن فيقرأ عليه السلطان ما شاء الله ثم يخرج الفقيه وكان السلطان متى نزل من الحصن يأمر من يسبقه إلى الفقيه يسأل منه أن يقف على باب المدرسة فإذا قابل السلطان ذلك الموضع ردّ السلام ثم رفع يده يشير إلى أن الفقيه يدعو فيفهم الإشارة ويدعو السلطان واقف رافعاً يديه، فإذا مسح الفقيه وجهه مسح السلطان ومن معه وجوههم، ويتقدم حيث أراد ويعود الفقيه المدرسة فلا يبرح مدرساً ومفتياً بقية يومه، ولم يزل ذلك من عادته، وحج سنة سبع وعشرين أو ثمان وعشرين وحجّ معه ولده عمر، ولما دنت وفاته عاد من تعز بلده فتوفي بها، ورأيت بخَط ولده عمر يقول توفي الوالد طلوع الفجر ليلة الجمعة لليلة أو ليلتين بقيتا من المحرم أول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، وكان آخر ما فهمنا من كلامه لا إله إلا الله ولله الحمد، ودفنّاه بعد صلاة الجمعة، وكان يقول من زمان: يومُ الجمعة وليلتها عليَّ ثقيلان ولعل موتي فيهما، وكان قد أخبرني مع جماعة منهم الشيخ الصالح زريع بن سعد الحداد، وقبل أن يعلم أين يُريد حفر قبره، متى حفرت قبري وجدتم قبراً آخر. فلما توفي وجدنا جربة[4] مزروعة فأبعدنا الزرع من موضع فيها ثم حفرنا فيه، فلما قاربنا اللحد ظهر لنا طاقة[5] إلى قبر آخر فسددناها ثم أتممنا القبر وقبرناه فيه.

ثم خلفه ابنه عمر وامتنع عن النزول إلى تعز للتدريس فلم يعذره المنصور من

---

(١) ما بين القوسين زيادة منا.

(٢) لا عين ولا أثر لهذه المدرسة.

(٣) في «ب» أو فتنعم أي قل نعم، والركبدار: الموكل بالمركوبات.

(٤) الجربة: بكسر الجيم وسكون الراء ثم باء موحدة وهاء: القطعة من الأرض محدودة المعالم، وأبعدنا الزرع أزلناه عن موضعه، لغة دارجة.

(٥) الطاقة: النافذة، معروفة.

ذلك بل لاطفه وأخذه بالحيل[1] حتى نزل ودرس، وكان جيّداً صالحاً ورعاً زاهداً، وقد أخذ عن الفقيه محمد وولده جماعة فممن أخذ عن الفقيه محمد القاضي محمد بن علي حاكم تعز في صدر الدولة المظفرية، وسيأتي ذكره إن شاء الله، وتوفي ابنه بقريته.

ومن عجيب ما رأيته في سفري في دخولي إلى قريتهم بالتاريخ المذكور، مُعَلقاً بشيء من كتبهم، ما مثاله: أيام مولانا السلطان الملك المنصور خلد الله نعمته في تعز المحروس في شهر رمضان من سنة ثلاثين وستمائة وفي مجلس السماع أنه أخبره الفقيه علي الصقلي بمكة حرسها الله تعالى أنه لبث اثنتي عشرة سنة يسأل الله أن يريه النبي ﷺ فأراه إياه في الحجر في النوم وكأنه عليه السلام يطوف بالكعبة وعليه ثوب أبيض كأنه مُحرِم فيه فقال له: يا رسول الله إني أريد أن أسألك، فوقف ﷺ عن الطواف بين رجلين وقال سل فقلت: يا رسول الله، الأمة اختلفت بعدك فأمُرني ما أفعل فقال عليك بالسواد الأعظم، فقلت: يا رسول الله: إن السواد الأعظم اختلفوا بعدك على أئمة، فقال لي من هم؟ فقلت: يا رسول الله، الحنفيّ، فأشار لي بيده اليمنى وحرك أصابعه وقال لي: دع، فقلت: يا رسول الله، المالكيّ، قال: ذلك رجل نقل عني ظواهر حديثي، فقلت: الشافعي، فقبض الخنصر والبنصر والوسطى إلى راحته وقبض رأس السبابة إلى باطن الإبهام، كأنه عاقد عشرة[2] وقال: ذلك رجل ينقل عني محض حديثي، ونقض يده كرّر ذلك ثلاثاً يقبض أصابعه وينقضهن. قال الراوي وكان ذلك بالحجر بين النائم واليقظان، قال المنصور: وكان الراوي مالكي المذهب، وظن أنه يذكر مالكاً يشير له إلى اتباعه، ومن وقت أشار له النبي ﷺ باتباع الشافعي لم يزل يصلي مع الشافعية، ثم في آخر ما كتبه الفقيه عمر ما مثاله بخط المنصور: هو كما ذكر فليُرْوَ عنّي، وكتب عمر بن علي بن رسول، ومن أحسن ما رأيته معلقاً بخطه ما كتبه عقب سماع البخاري إذ كتبه لقوم إجازة لهم شعر[3]:

فيا سامعاً ليس السماع بنافع ... إذا أنت لم تعمل بما أنت سامع
إذا كنت في الدنيا عن الخير عاجزاً ... فما أنت في يوم القيامة صانع؟

---

(١) في «ب» بالجميل.
(٢) هذا إشارة إلى طريقة العرب في العدد وهي معروفة في كتب اللغة، انظر سبل السلام ج١ ص٢٥٩، وكذا في كتب الفقه.
(٣) لفظ شعر غير موجود في «ب».

ولم أتحقق له تاريخاً إذ الغالب في الموجود من ذريته الإهمال وعدم الاشتغال كما هو ذلك في كثير من ذراري الفقهاء.

ومنهم أبو العتيق أبو بكر بن عبدالله بن محمد بن عمران، الملقب بالصفوي لقب من ألقاب المكتب، وهو آخر محققي هذا البيت، تفقّه بابن عمه محمد بن مضمون، وكان صالحاً ورعاً زاهداً متقللاً، درس ببلده ثم درس ببلد صهبان في مدرسة أحدثها مشايخ بني حميد فلم يزل يدرس بها حتى دنت وفاته، فعاد إلى بلده وتوفي بها بتاريخ سنة ستين وستمائة وقبر بين أهله.

ومن أعيانهم أحمد بن يحيى بن الفقيه محمد بن مضمون، كانت له مشاركة بالعلم لكن اشتغاله بأمور الدنيا والترؤس وخلطة الأمراء كعلي بن يحيى وغيره أكثر من ذلك، وكان أخذه لما بعد من المعلوم عن الصفوي[1] المذكور آنفاً، وكان مشهوراً بالكرم وكثرة إطعام الطعام حتى أفنى جملة مستكثرة من ماله في ذلك، ولما بلغ حاله إلى الأمير علي بن يحيى أدركته عليه شفقة وكان يصحبه وهو يومئذ مقطع لبلدهم وكان متى قدمها سكن حصن شواحط الحصن المذكور أولاً، فقدم ذات مرة فلما صار بالحصن وصله أعيان البلاد يسلمون عليه وهذا من جملتهم، وقد صار عنده منه صورة، وأنه قد صار مشرفاً على إفناء ماله صار يتأسّى له بها ويقول هذا مسكين يفرغ ماله ويرجع هو ومن معه يحتاجون إلى الناس فلما أراد الناس الخروج من عنده أمره بالتأخر فلما خلا بينهما المكان قال: يا فقيه، بلغني أنك كثير التفريط بما في يدك بغير وجه لائق، وأظنك تريد الاقتداء بنا ولا ينبغي لك ذلك، نحن يحصل لنا كثير من غير تكلف ولا ترتضي أن نفسي عالية فيسهل علينا خروجه كما يسهل دخوله وأنت فقيه دخلُك قليل حلال كسائر الفقهاء، وما خرج عليك لا يكاد يحصل لك عوضه إلا بمشقة، ثم وبّخه على فعله ومكارمه والفقيه ساكت فقال له الأمير: أحب أن تعاهدني أنك لا عدت على شيء من ذلك، فقال الفقيه أروح البيت وأستخير الله الليلة، ثم آتيك غداً بما قويت عليه عزيمتي، فلما راح الفقيه وبات بمنزله في الملحمة صلى في الليل صلاة الاستخارة ثم نام، وإذا به يرى قائلاً يقول له: يا فقيه أحمد أنفق، فأنت ممن وُقي شحّ نفسه فقويت نفسه على البقاء على حاله، ثم لما أصبح غدا إلى الأمير فقال له ما فعلت بالأمر الذي رحت مني أمس مستخيراً به قال: عزمت على

---

(١) كذا في الأصلين وفي «العقود اللؤلؤية» الصوفي.

البقاء على ما كنت عليه فقال: ولِمَ وقد رأيتكَ حين كلمتك كدت تقرب إلى قولي؟ قال: ثَمّ عذرٌ يوجب الإعراض عن السبب، فلم يعذره حتى أخبره المنام فقال: إنما كدت أوافقك لأنني علمت أنك إنما قلت لي ما قلت شفقة عليّ، فلما رأيت ما رأيت وعلمت قوله ﷺ: «الرؤيا الصالحة[1] جزءٌ من ستة وأربعين جزءاً من النبوة»، عزمت على البقاء على حالي، فبكى الأمير وقال: في أي شيء ما شاء ركبك، وكانت وفاته سنة ثلاث وسبعين وستمائة.

وقد عرض هنا ذكر الأمير، وهو أحد أعيان الفضلاء والأمراء والكرماء فاتجه حينئذ بيان بعض اللائق من أحواله، فهو أبو الحسن علي بن يحيى العنسي: بالنون بين السين والعين المهملتين نسبة إلى قبيلة كبيرة في اليمن خرج منها جمع من الفضلاء، أصل بلده (المكنة) ببلد صهبان: بفتح الميم بعد الألف واللام وفتح الكاف والنون بعد تشديدها ثم هاء ساكنة[2] وكان له من المنصور مكانة عظيمة ورفع له طبلخانة[3] وأقطع له إقطاعاً كثيراً وذلك أن المنصور كان ابن عمته وقيل ابن أخته، ولم يزل معززاً مكرماً حتى توفي المنصور على ما يأتي تاريخه، وكان يكره المظفر ويميل إلى أولاد عمه أسد الدين وأخيه، فلما لزم المماليك فخر الدين وأوصلوه إلى المظفر أسيراً حسبه ورسم عليه المبارز بن برطاش، فلما بلغ ذلك إلى علي بن يحيى هذا كتب إلى أسد الدين يحثه على القتال واستنقاذ أخيه من الأسر أبياتاً وهي:

أتراك تعلم يا محمد ما جرى ... فتقودها[4] شعث النواصي ضمّرا
جُرْداً تراها في الأعنّة شُزَّباً ... تفري السباسب واليباب المقفرا[5]
قُدْها عراباً من تريم ومرخة ... ودثينة حقّاً ودع عنك المرا
واقصد بها دربي زبيد على الوَجا ... لتقيم عذرا[6] أو تشيّد مفخرا
وآجنح إلى الملك المفضّل لُذْ به ... شاوِرْهُ حقاً قل له ماذا ترى

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) صُهبان: بضم الصاد المهملة وسكون الهاء وفتح الباء الموحدة ثم ألف ونون مخلاف، وهو ما كان يسمى قديماً نعيمة انظر «صفة جزيرة العرب»، والإكليل، ج٢، والمكنة كما ضبطها المؤلف هي اليوم خراب في معشار هدفان بين مزارع الرعس والمسالقة.

(٣) الطبلخانة: بفتح الطاء وسكون الباء الموحدة ثم فتحات آخره نون وهي مجموعة آلة من الموسيقى كالطبل والنقارة والبوق والنفير والرباب وغير ذلك.

(٤) في العقود اللؤلؤية وقرة العيون تشنّها.

(٥) هذا البيت ساقط من العقود وقرة العيون: وكذلك ما بعده، وتريم ومرخة ودثينة أماكن معروفة.

(٦) في المرجع المذكور لتقيم مجداً.

أضحى ٱبن عمك في القيود مكبّلاً   حاشا لمثلك أن تنام ويسهرا

فأجابه ابن دعاس بشعر هذا محفوظ ما سمعته منه:

يا قائلاً أتراك تعلم ما جرى   أتريد عكس الأمر وهو مقدرا

ما ينبغي هذا لمخلوق ولو   جاءت بجمع جنوده الإسكندرا[١]

انظر إلى عدن أطاعت أمره   وإلى زبيد ومكة أم القرى

والشعران طويلان لم يكد يعلق بحفظي غير ما أوردته، فلما استقل المظفر بالملك تغافل عن علي بن يحيى وأبقاه على الحال التي مات المنصور وهو عليها، وفي نفسه أمور قديمة من أيام أبيه وحديثة منها هذا الشعر وغيره، ولما كان في سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة قال له: تطلع وتصلح بيني وبين ابن عمي أسد الدين ووعده على ذلك خيراً أو زيادة إحسان وأسد الدين إذ ذاك في البلد العليا: صنعاء ونواحيها وقد ضعف وصار متخشيّاً من مكر العرب وأن يبيعوه ونفد غالب ما كان بيده، فلما وصل علي بن يحيى فرح ومال إلى الصلح وكان مع علي بن يحيى شاهد الشيخ أمين الدين عبدالله بن عباس كاتب الجيش يومئذ وقيل لأسدالدين يومئذ: ابن عمك ربما لا يفي لك بذمة ويحبسك فقال: يأكلني ولا يأكلني غيره، ولأن يقال: اعتاب بي السلطان خير من أن يعتابني بعض البدو إما بقتل أو بأسر، ثم نزل مع ابن عياش وابن يحيى فلم ينزلا إلا والسلطان بزبيد فلحقاه إلى هنالك فدخل زبيد وأنزل في دار أبيه ووقف فيه من الضحى إلى بعد الظهر ثم استدعي أسد الدين وابن يحيى، فلما صارا بموضع من دار زبيد قعد فيه وأُخرج لهما قيدان فقُيِّدا بهما وبعث بهما على السير إلى حصن تعز وذلك سنة ثمانٍ وخمسين وستمائة.

وذُكر أن أسد الدين لما دخل على أهله جعلوا يخاصمونه فقال لا نكون مثل أهل جهنم[٢]، فلم يزالا به حتى توفّيا بدار تُعرف بدار الإمارة، وكان قد حُبس فيه قبلهما أخوه فخر الدين ووالده بدر الدين وربما كان بدر الدين ممن حضر معهما وقيل: بل كان بعدن، وإنما اطلع بعد ذلك وبعد سؤال منهم السلطان لذلك وأخبار علي بن يحيى ومكارمه كثيرة، ولو لم تكن له غير محبته للفقهاء وإحسانه إلى الفضلاء نقل الثقات ذلك نقلاً متواتراً وأنه قلّما قصده قاصد فخيبه، وسمعت شيخي أبا الحسن الأصبحي يقول: أخبرني الثقة أن المنصور لما بنى مدرسته بالجند سئل عن أفقه من

---

(١) كذا في الأصلين وفي البيتين لحن.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ الأعراف.

بها ونواحيها، فأرشد إلى الفقيه أبي بكر بن ناصر فاستدعاه من الذنبتين فلما حضر بقصر الجند وسلم قال: يا فقيه نريد منك أن تدرس لنا بهذه المدرسة فقال: لا أفرغ وأنا رجل بدوي لا أقدر على المدينة قال: فتبيعنا كتبك قال ولا ذلك، وذلك بحضرة الأمير علي بن يحيى قال له المنصور: فتخرج من بلادنا، قال: نعم ثم ولى خارجاً عازماً على ذلك فقال علي بن يحيى: الله الله يا مولانا! رجل علّامة تأمره أن يخرج من بلدك ومثله يطلب من أقصى البلاد فقال: ما وجدنا له جواباً إلا قول لا، قال: سألته أمراً عظيماً وهو بيع كتبه فأجاب بأشقّ جواب ثم قال: يا مولاي، إن الفقيه أشق الأمور عليه هو بيع كتبه، فأمر السلطان بردّه وقال له: قف بيتك فما لأحد عليك تعرُّض وآدع لنا، فخرج الفقيه وعاد بلده طيّباً، وسأذكر قصته مع ابن فضل في ذكره، وابتنى مدرسة ببلده وهي التي قبر بها ووقف عليها وقفاً جاملاً، لكن أولاده لما افتقروا عادوا عليه واستأثروا به، وكان مع صحبته للفقهاء والصالحين يتواضع ويتأدب معهم ويقبل شفاعتهم، وكان في ناحية من بلد بني حبيش رجل من الفقهاء والصلحاء يعرف بعبدالله القرين ربما يأتي من ذكره ما لاق، كان عليّ بن يحيى يصحبه إذ كانت بلاده إقطاعة وكان مهما أمره به ائتمر، وكان الفقيه يدعو له ويذكره بالخير فعوتب على ذلك وقيل له: هذا رجل ظالم، فقال: إن دخل علي بن يحيى النار فإنها صحبة حمار بن حمار، والله لا مات إلا طاهراً مطهراً، فقيل له وما تطهيره، قال القيد والحبس، فلما حصل له ذلك ومات به علم صدق الفقيه، وكانت وفاته يوم الاثنين في صفر سنة إحدى وثمانين وستمائة وحمل إلى بلده فقُبر بمدرسته.

وأما أسد الدين، العارض ذكره معه، فهو محمد بن حسن بن علي بن رسول، أحد خيار بني رسول وكرامهم، قلّما قصده قاصد إلّا وأناله قصده، وأجزل رفده، وله آثار جيدة مبقية للذكر، منها مدرسة بمدينة إب[1] ثم مدرسة بقرية الجبابي[2] وبها قبره، وعليها وقف كثير شيء منه للوافد يُطْعَم على قدر حاله، ومنها للدرسة ومدرس، ثم لما صار بالسجن اشتغل بقراءة كتب العلم وكان يستدعي بالفقهاء إلى موضعه فيقرأ عليهم ويحسن إليهم لا سيما شيخنا الفقيه أحمد السردّي إذ كان رأس المحدثين إذ

---

(١) مدرسته التي بمدينة إب لا زالت عامرة، وهي ذات قباب وفناء واسع وغير ذلك، ولها وقف ويُدّرس فيها علم الحديث وتسمى الأسدية العليا.

(٢) الجبابي: بفتح الجيم والباء الموحدة ثم ألف وباء موحدة وياء مثناة من تحت، وهي اليوم القرية، والمدرسة خراب، ولا تعرف القرية إلا بسدّها المشهور من وقف بني رسول يُقال له سدّ الجبابي وتقع في عزلة أنامر أعلى من شمال ذي جبلة.

ذاك بتعز، فقرأ غالب كتب المسموعات خاصة من كتب الحديث على ابن السرددي وغيره من أهل تعز، ثم نَسخ عدة مجلدات ثم مقدمات قرآن ووقف ذلك على أماكن عديدة منها تربة ذي عقيب[1] ومنها مدرسته وغير ذلك، ووقف على مدرسته بإب أيضاً وقفاً جاملاً، وبنى سداً بموضع في المخلاف يعرف بسدّ فرقة[2] ولم يزل على أحسن طريق من قبل وفاته بعدة سنين إلى أن توفي على ذلك ثالث عشر ذي الحجة آخر سنة سبع وسبعين وستمائة بعد أن بلغ عمره نيفاً وستين سنة وعقبه من خير أولاد الأمراء، يغلب عليهم الخير وفعل المعروف حتى مواليهم بحيث اعتبرت ذلك فوجدته حقاً صدقاً، وخلّف عدَّة أولاد فأفضلهم أبو بكر، كان عارفاً بعلم الأدب وله أشعار جيّدة منها قوله:

إذا لم أقاسمك المسرّة والأسي ... ولم أجد الوجد الذي أنت واجدُ
ولم أسهر الليل الطويل كآبةً ... فما أنا مولود ولا أنت والد

وهما من قصيدة كبيرة كتبها إلى أبيه في السجن وتزوج الملك المظفّر ابنته منه قبل الحبس وكانت من أخير نساء الملوك في الدين والصدقة، وابتنت مدرسة بمغربة تعز بحافة المِيْهال[3] ووقفت عليه وقفاً عظيماً، لكن ضعّفه سوء نظر النظّار ولها من المظفر ابنه الواثق والحرة ماء السماء، يأتي ذكر الواثق إن شاء الله في الملوك، وأما الحرة ماء السماء فهي إحدى أخيار الخواتين[4]، كثيرة الشفقة على أهلها والإحسان إلى ذرية جدّها أسد الدين والصدقة على الفقراء والمساكين، ولها من الآثار المبقية للذكر مدرسة ابتنتها بزبيد ومسجد كان لجدّها بدر الدين بزبيد أيضاً، وكان قد خرب فابتنته مختصراً ووقفت عليه وعلى المدرسة وقفاً جاملاً الدَرَسَة وأيتام يتعلّمون ومدرس يقرىء الدرسة العلم الشريف، وابتنت بتعز في حدبة[5] مسجداً أيضاً وجعلت عليه وقفاً يقوم بإمام ومؤذن وأيتام ومعلم جزاها الله خيراً والغالب عليها وعلى من يلوذ بها الخير في المقال والفعال، وهي آخر ذريّة أسد الدين في استحقاق الذكر

---

(١) قرية ذي عقيب: بضم العين المهملة وفتح القاف وسكون الياء المثناة من تحت ثم باء موحدة، تحتفظ باسمها وتقع شمال مدينة جبلة بأقل من ميل، ويأتي ذكرها للمؤلف.
(٢) لعله سد الجبابي الذي لا يزال عامراً بمثل العظمة والسخاء ولا نعرف سد فرقة.
(٣) الميهال: بكسر الميم آخره لام، معروفة بالمغربة.
(٤) الخواتين: جمع خاتون: المرأة الشريفة، والكلمة أعجمية.
(٥) حدبة تعز: هي المرتفع شرقي مسجد إسحاق وداخل سور المدينة تحمل اسمها إلى هذا الحين ولا وجود للمسجد، وكانت قبلاً للانبار واليوم بنايات مرتفعة.

وتوفيت بقرية التُّرَيْبة[١] سادس عشر شعبان سنة أربع وعشرين وسبعمائة ولا أعرف لعلي بن يحيى عقباً عمل ما يستحق الذكر، غير ابنةٍ له تسمى (حُللا)، فإنها كانت من حَظاياه[٢] وابتنت مدرسة برأس وادي نخلان بموضع يعرف (بالظهرة) وعملت مكرمة بأن وقفت دارها التي كانت تسكنها مدرسة ووقفت طينها على مدرسة وَدَرَسة، وخرجت عن بيتها إلى بيت ابتنته بقرب المدرسة وكانت من المتصدّقات المحسنات، أخبرني الثقة أنها كانت تأمر من يفتّش لها (عن) الأيتام ويأتي لها بهم فتكسوهم وتحسن إليهم وتأمر بتطهير من لم يكن مطهراً منهم، وهذا دأبها إلى أن توفيت وكانت من أهل الهمم العالية والنفوس الأبية، حكى لي الثقة أن الأمير أسد الدين لما مر عندها هو ووالدها[٣] يريدان نزول باب السلطان وكانت قد كتبت إلى سيدها أنه لا يتأخر عن النزول معها في دارها قبل أن تجعله مدرسة فعرف بذلك الأمير أسد الدين فقال: لا بأس نجبر باطنها، ثم مروا بها فلم يدخلوا إلّا على سماط عظيم لا يعمل أحد من نظرائها مثله وحجّت بعد لزوم سيدها، وأقبلت على العبادة وفعل المعروف حتى توفيت ووقفها على المدرسة وقف جيد ولكن ضعف الوقت وسوء نظر النظار وعدم الحكام أقلّوا بركته.

نرجع إلى تتمة ذكر الفقهاء بني مضمون فآخر من عرف منهم ولد لأحمد اسمه محمد كان متفقهاً ويذكر بمعرفة النحو، ولي قضاء صنعاء من قبل بني محمد بن عمر، وكان خطيباً مصقعاً وكان شديد الأحكام مبالغاً في إقامة الحق وإقامة مذهب السنّة وإماتة البدعة، وكان يحلّف الإسماعيلية بأيمان تشقّ عليهم، ثم بلغه أن بعضهم لما مات ودفن دفن معه مصحف فأمر من ينبش القبر عنه وأخرج المصحف فشق ذلك على الإسماعيلية وكادوه وبذلوا الأموال في عزله فعزل بغير وجه يوجب العزل، فعاد إلى بلده فلبث مدة ثم رتبه أولاد أولاد أسد الدين مدرّساً بمدرسة جده (بإب) فلم يبرح بها حتى توفي وهو الذي عرّفني ببعض نعوت أهله إذ وجدته (بإب) وأنا عازم على تقدّم بلده فقلت له يكتب لي إلى بعض من يراه صالحاً في البلد يزوّرني الترب

(١) التريبة: بالتصغير قرية كبيرة شرقي زبيد انظر «قرة العيون».
(٢) الحظايا: جمع حظية: وهي من حظيت عند زوجها بالمحبة والتقدير، وحُلل: هي بنت عبدالله الحبشي وكانت عمارتها للمدرسة سنة ثلاث وخمسين وستمائة وقبرها رحمها الله بجانب المدرسة والوقف لا يزال تأكله وزارة الأوقاف لا تعمل للمدرسة شيئاً وقرية الظهرة عامرة مسكونة أخذنا اسمها واسم أبيها وتاريخ بنايتها للمدرسة من العضادة في إب المدرسة.
(٣) كذا في «ب» وفي «د» سيدها.

ويوقفني على الممكن من كتبهم، ففعل، وقدمت بلدهم إلى ابن له كتب إليه فلما جئته تلقاني بالترحيب والأنس وذلك بالتاريخ المتقدم سنة ثلاثة عشر وسبعمائة ولم يزل الفقيه هذا بإب حتى دنت وفاته فعاد بلده وتوفي بها سنة خمس عشرة وسبعمائة تقريباً ودفن مع أهله وخلفه ابنه يوسف الذي قدمت إليه وهو المشار إليه في عصرنا لكونه أفقه ذرية بني مضمون وانقطع عنهم النسب إلى الفقيه أبي عمران.

وممن ذكره ابن سمرة في الفصل أيضاً قال: ومن القضاة بذي جبلة وإب مدينتي المخلاف فذكر ذا جبلة وقضاتها قال: منهم لمك بن مالك وخليفته جرير بن يوسف ثم ولده يحيى بن مالك ثم أحمد بن عبدالسلام النّقوي[1] سمعت خبيراً بذلك يقول: كان أهل النقوي قوماً ذوي دين وعزم وشهرة بالفقه ولّتهم السيدة أو غيرها من الملوك القضاء بصنعاء والمخلاف وانتقلوا من مذهب السنة إلى مذهب الشيعة ثم بعدهم أبو المعالي بن يحيى وولده أبو السعود بقضاء جبلة من قبل النقوي ثم عبدالله بن أبي الفتح وولده علي مات سنة سبع وسبعين وخمسمائة ثم أسعد وأحمد ومنصور وأبو الفتح بنو القاضي عبدالله بن أبي الفتح المقدم ذكره ثم القاضي علي بن أحمد بن أبي يحيى وابن أخيه علي بن عبدالأعلى وأظن من ذكر بالنقوي إلى هنا الغالب على المذكورين التشيّع.

ثم صار القضاء في أهل السنة أولهم القاضي أبو بكر اليافعي وولده محمد وصهره محمد بن عبدالله بن حسان بن محمد وهو أحد من جدد مسجد مَرْعِيت[2] على طريق الرايح من تعز إلى الجُوَّة وذلك في تسع عشرة وخمسمائة ثم ولده محمد بن زيد. هؤلاء كانوا ينوبونه حين انتقل إلى جبلة على ما قدمت ثم تقضّى بعدهم القاضي علي بن يحيى بن أبي عقبة ثم ولده عقبة ومحمد بن عبدالله بن أبي عقبة ثم محمد بن سليمان الإمام ثم إبراهيم بن المبارك بن الدليل والقاضي بن الحرمي ومحمد بن علي بن يحيى الحضرمي ولي أشهراً ثم مات وأحمد بن القاضي محمد بن سليمان الإمام ثم القاضي سليمان بن أحمد وأخوه مسعود ونائبه علي بن يحيى ثم

---

(١) بنو النقوي: بالنون والقاف ثم الواو ثم الياء المثناة من تحت: هم من أولاد قاضي قضاة صنعاء يحيى بن كليت بن إسماعيل الحميري أيام دولة آل يعفر ولا زالوا يتولون القضاء إلى القرن السادس انظر «الاكليل» و«طبقات الزيدية».

(٢) هذا المسجد خراب وأنقاضه ماثلة على طريق السيارات إلى الراهدة والجوّة ودمنة خدير ومَرْعِيت: بفتح الميم وسكون الراء وكسر العين المهملة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم تاء مثناة من فوق: عزلة من صبر غالبها في الوطاء. ثم شاهدت المسجد وقد أصلح ولله الحمد من قِبَلِ الرعايا.

عثمان بن يحيى بن أحمد بن عثمان في إب ثم القاضي طاهر بن يحيى ثم ولده محمد ثم القاضي علي بن أسعد بن المسلم الصعبي تقضّى أيام شمس الدولة وتوفي بسهفنة يوم الجمعة منتصف الحجة سنة ست وستين وخمسمائة ثم ابناه مسلم وعيسى توفي عيسى على القضاء يوم رابع من رمضان في السنة التي نزل الرماد من السماء وسميت سنة الرماد وهي سنة ستمائة.

ثم صار القضاء إلى أهل عرشان بإشارة من القاضي عيسى، والغالب أنه كان مصير القضاء إليهم قبل موت القاضي عيسى لمدة لثاني ولايتهم مع سيف الإسلام ثم حديثهم مع القاضي مسعود، ولما صار القضاء إليه ولي قضا جبلة الفقيه إسماعيل بن الإمام سيف السنة وبه انقضى ذكر أهل عرشان.

وممن ذكر ابن سمرة من القضاة بزبيد عبدالله بن محمد بن عبلة[1] ولي قضاءها أيام بني مهدي إذ عزلوا بني عُقامة ثم رحل شمس الدولة توران شاه بن أيوب اليمن ومعه القاضي أبو محمد عبدالله بن عمر الدمشقي وقد خبر شمس الدولة علمه وفضله فجعله قاضي القضاة في اليمن أجمع.

قال ابن سمرة: وكان هذا القاضي كريم النفس ذا مروءة، أقام باليمن مدة وتزوج بها ابنة السلطان محمد بن الأغر الهيثمي فأولدت له ابناً سمّاه هبة الله اليماني، ثم لما عاد شمس الدولة ديار مصر عاد صحبته، قال ابن سمرة: بلغني أنه ذو جاه وحالة جليلة بمصر مع صلاح الدين أخي شمس الدولة، وحين صار القضاء إلى هذا وبلغه حال القاضي التستري جعله حاكماً بزبيد، وهو أبو الحسن علي بن الحسين بن أحمد التستري، تفقّه بشيوخ زبيد وبأبي عمران موسى بن يوسف الأصابي مقدم الذكر، وكان فقيهاً مجوداً ورعاً نظيف الفقه، أجمع على تبجيله وتفضيله المؤالف والمخالف واعترف بفضله كل عارف وامتحنه أهل زبيد بألف مسألة من مسائل الامتحان، فأجابهم عنها بأجوبة بيّنة. قال ابن سمرة. ولقد سمعت من فضائله وكرمه ما يتعّجب منه السامع ويعجز عن بلوغه الطامع، وكان مقطوعاً بأمانته وديانته، وتوفي عائداً من الحج في قرية من مخلاف الساعد[2] سنة تسع وسبعين وخمسمائة غريباً وقد عدّ ﷺ الغريب شهيداً.

---

(١) كذا في الأصلين وفي ابن سمرة ص٢٤١ عبدالله بن عبدالله.

(٢) الساعد كانت مدينة عامرة من مخلاف حكم بن سعد العشيرة شمال حرض، وهي اليوم ومن قبل مدة خراب، ذكرها الهمداني في «صفة جزيرة العرب».

ومن المدرسين بها عياش بن محمد بن عياش بن أسد المخزومي ثم القرشي والعيّاشان[1] بعين مهملة بعد ألف ولام ثم ياء مثناة من تحت مفتوحة ثم ألف ثم شين معجمة مفتوحة ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم نون: تثنية عياش تفقه بالقاضي التستري وكان فقيهاً فاضلاً تفقه به جماعة منهم علي بن قاسم الحكمي ومنهم محمد وعلي ابنا عيسى هذان، أخذا عن الأحنف، قال ابن سمرة رأيتهم يدرسون بمسجد الأشاعر ويرشدون الطالب، ومنهم حسين الأخرس لم أتحقق ضبطه، ومنهم أبو عبدالله محمد بن علي بن إسماعيل بن أبي الصيف[2] سكن مكة وانتهت إليه رئاسة الفقه بها بعد محمد بن مفلح الأبيني وهو أحد الحفاظ المكثرين، لقي عدّة من الفقهاء والمحدثين، وعاصر جمعاً منهم (كالحافظ السلفي وابن الجوزي) وغيرهما فانتهت إجازته إلى مكة، ولم يزل بمكة على الحال المرضي حتى توفي سنة تسع وستمائة.

ومن حيس الشيخ عبدالسلام بن أبي بكر ثم أبو بكر بن فالح وهو ابن أخي حسن الشيباني، وولي قضاء حيس في بضع وثمانين وخمسمائة.

ومنهم أبو ربيعة بن أحمد فقيه القرشية، ثم محمد بن أحمد المخزومي توفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ثم أبو بكر العبادي قاضي فشال[3]: بفتح الفاء والشين المعجمة ثم ألف ثم لام وهي مدينة بالوادي المعروف برمع، ومن ذوال وهو واد عليه عرب يعرفون بالمعازبة يرجعون عكا وجدهم ذوال، به سمي الوادي وبه قرية تسمى بالمدالهة: بفتح الميم والدال المهملة ثم ألف ثم خفض اللام ثم هاء مفتوحة ثم أخرى ساكنة منها عبدالله بن أحمد، تلقّب بالصريدح المالكي النسب نسبة إلى مالك وهو أحد بطون المعازبة تفقهه بعبدالله الهرمي، وبه تفقه على ابن عمر بن عجيل ذكر ذلك ابن سمرة ومن ذريته جماعة فقهاء يأتي ذكرهم إن شاء الله.

منهم ابناه يوسف وأحمد، فيوسف كان فقيهاً فاضلاً محققاً مدققاً ثاقباً للمستعجم، وكان صالحاً خيّراً تفقّه بإبراهيم بن زكريا الآتي ذكره، واشتغل أخوه

---

(١) أي عياش الأول وعياش الثاني وقد تكرر الضبط.

(٢) هو الوصابي الحميري وفي «شفاء الغرام» للفاسي ج١ ص٤١٥ أنه محمد بن إسماعيل بن علي.

(٣) وادي فشال يحمل هذا الاسم إلى هذه الغاية، ويقع شمال وادي زبيد، ورمع أيضاً واد مشهور مذكور وذكرهما الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وكذلك وادي ذوال: مشهور، والمدالهة: لا زالت عامرة بوادي ذوال.

أحمد بالعبادة فغلبت عليه، وكان ليوسف ثلاثة أولاد هم محمد وأبو بكر وأحمد فمحمد وأبو بكر تفقّها بأبيهما وأحمد تفقّه بإمام المتأخرين أحمد بن موسى بن عجيل وغيره، وكان يثني عليه بمعرفة علم الأدب وأما أحمد الذي غلبت عليه العبادة فحدث له ولدان هما عبدالله وعلي، فعبدالله تفقّه بعمه يوسف ثم بالإمام ابن عجيل (أيضاً وعلي تفقه في بدايته بابن الهرمل وغيره)[1] ثم أخرى بالإمام ابن عجيل الآتي ذكرهما إن شاء الله قدمت عليه قريته المذكورة في سنة أربع وسبعمائة فرأيته رجلاً مباركاً قليل المثل في فقهاء العصر كثير نقل الفقه، فأخذت عنه كتاب التنبيه البعض قراءة والبعض إجازةً لغرض التبرّك، ورأيته رجلاً مباركاً مؤالفاً للأصحاب مؤانساً للواصل، وحصل عليه في آخر عمره تغفيل، توفي ﷺ بعد نيف وعشرين وسبعمائة، وسيأتي ذكر من حدث بعده من القرية في الطبقة المتأخرة، ثم يخرج الخارج من هذا الوادي فيقع مع أهل الشويرى قرية بوادي سهام: بخفض السين المهملة وفتح الهاء ثم ألف ثم ميم، وضبط القرية: بشين معجمة مضمومة بعد ألف ولام وفتح الواو وسكون الياء المثناة من تحت ثم راء وألف بعدها[2] بها الفقهاء المعروفون إلى عصرنا ببني زكريا.

أولهم عبدالله بن محمد بن زكريا نسبه في قحطان ومولده سنة إحدى وخمسمائة، تفقّه بالطويري المقدم ذكره عند ذكر أصحاب اليفاعي وابن عبدويه، وانتفع به جماعة في الفقه وبورك له في الذرية خلاف غيره من فقهاء تهامة، بحيث أنهم من عصره إلى عصرنا لم يكادوا يخلون من فقيه محقّق ومفتٍ مدقق، وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وذلك في أحد أيام التشريق، ثم خلفه ابنه أبو إسحاق إبراهيم، مولده سنة ست وثلاثين وخمسمائة، تفقّه بأبيه ثم بالطويري شيخه، وكان فقيهاً كبيراً أثني عليه مع وجود أبيه وربما فضل عليه، وكان الأحنف يقول: إبراهيم أفقه من أبيه، وبه تفقّه جمع كثير من التهائم والجبال، وهو أكثر الفقهاء المتأخرين أصحاباً حتى نقل الثقة عن الفقيه إسماعيل بن محمد الحضرمي أنه قال: لبني زكريا على غالب فقهاء اليمن منّة، أو كما قال، ويريد بذلك أهل تهامة، فإن غالب طريقهم في الكتب المسموعة عليهم، وانتشر عنهم الفقه انتشاراً متسعاً، فمن أعيان تلاميذه موسى بن علي بن عجيل الآتي ذكره وعبدالله بن جعمان وعلي بن قاسم

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) وادي سهام مشهور وقد تقدم ذكره والشويري آهلة بالسكان إلى يومنا.

الحكمي وابن عمه محمد بن يوسف الشويري، ثبت لي سند بخط الفقيه الإمام الصالح أحمد بن موسى بن عجيل الآتي ذكره أنه قال: بلغني أن الفقيه إبراهيم بن محمد بن زكريا كان من الصالحين الكبار والعلماء المشهورين، رأى النبي ﷺ في المنام وقد سئل عن مسألة فاستدعى بالثاني من المهذب وفتحه ووضعه بين يديه وأخذ ورقة ووضعها على ركبتيه وجعل يستملي الجواب من المهذب ويكتبه في الورقة، وكفى به شهادة ابن عجيل له بالصلاح والعلم، وكان راتبه كل يوم سبعاً من القرآن واقتدى به في ذلك جمعٌ من أصحابه، وتوفي على الحال المرضي سنة تسع وستمائة، فلزم مجلس التدريس بعدهُ تلميذه موسى بن عجيل الآتي ذكره إذ لم يكن في أهله من يكمل غير محمد بن يوسف، التزم العكفة توارياً عن ذلك وتوّقياً بأن الفقيه موسى لا يترك الموضع شاغراً من مدرّس لما فيه من الأنفة على الأصحاب على ما سيأتي ذكر بيان ذلك مع ذكره إن شاء الله، فأقام يدرس مدة، ثم إن محمد بن يوسف خرج من معتكفه فما هو أن رآه الفقيه موسى فخرج من الشويري يريد بلده فقيل لمحمد بن يوسف قد ذهب الفقيه موسى واتجه عليك أن تدرس فلازم المدرسة ودرّس، وهو أبو عبدالله محمد بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن زكريا، تفقّه بالفقيه محمد بن زكريا كما تقدم، وكان فقيهاً كبيراً عارفاً محققاً، أجوبته على مشكلات التنبيه تدل على ذلك، سمعت العارف بالفقه يثني عليه ويقول: أجاب عليها جمع من أهل اليمن والشام وأهل العراق فلم يكن فيها ما يرتضي غير جواب محمد هذا، وتفقّه به جماعة من أهله وغيرهم، وكانت وفاته سنة خمس وعشرين وستمائة، وخلّف إبراهيم ولداً يقال له محمد اشتغل بالعبادة، وكان له ولدان هما عبدالرحمٰن وعبدالله تفقّها بالبداية بجدِّهما إبراهيم وكان تفقّههما بتلميذه وابن عمه محمد بن يوسف فلما توفي خلفاه في التدريس فرأسا ودرّسا فتوفي عبدالرحمٰن سنة إحدى وأربعين وستمائة، وتوفي عبدالله سنة اثنتين وأربعين وستمائة ثم خلفهما في التدريس ابن عم لهما اسمه محمد بن عمر بن يحيى بن زكريا تفقّقه بمحمد بن يوسف أيضاً، وكان فاضلاً محققاً مدققاً توفي سنة خمس وخمسين وستمائة ثم خلفه ابن عمه عبدالله بن الفقيه عبدالرحمٰن بن محمد بن الفقيه عبدالرحمٰن بن محمد بن الفقيه إبراهيم بن محمد بن زكريا، مولده سنة تسع عشرة وستمائة وكان فاضلاً بالفقه، تفقه بابن عمه محمد بن عمر مقدم الذكر، وأخذ عن صالح بن علي الحضرمي، ولي قضاء الكدرا من قبل بني عمران، وقَدِم تعز فأخذ عنه أبو بكر بن اليحيوي الآتي ذكره في تعز كتاب الوجيز، وتوفي عليه سنة ثمانٍ وثمانين وستمائة، وخلفه في القضاء ولده أبو بكر، وهو

أحد أجواد زمانه، كان شريف النفس عالي الهمة ذا محفوظات حسنة وروايات موفقة اجتمعت به في تعز وزبيد وغيرهما. وأخبرني بكثير من أحوال أهله وامتحن بآخر عمره بفقر مدقع، وعزله بنو محمد بن عمر بغير وجه يوجب العزل، بل كراهة لمن ولّاه كما هو عادة حكام زماننا إذ يحملهم عليه جهل أو ضعف دين يبتغون لأجله الأهوية.

ومنهم في عصرنا ثلاثة موجودون: عبدالرحمٰن بن الجنيد بن الفقيه عبدالرحمٰن مقدم الذكر، مولده سنة ثلاث وستين وستمائة وتوفي سنة سبع أو ثمان وسبعمائة ثم ابن عمه محمد بن عمر بن الفقيه عبدالرحمٰن أيضاً، مولده سبع وستون وستمائة تفقهها بعلي بن إبراهيم البجلي الآتي ذكره، فاجتمعت بعبدالرحمٰن هذا في زبيد، فأخبرني بكثير مما ذكرته من أحوالهم، والثالث اسمه أبو بكر بن محمد بن أبي بكر بن عمر، ولعله عمر بن يحيى بن زكريا جدّ محمد المقدم ذكره، تفقّهه في الابتداء بعلي بن إبراهيم البجلي أيضاً، ثم كان كماله بابن الأحمر الآتي ذكره، وانقضى ذكر بني زكريا من طريق النقل إذ لم أرد بلدهم وألحقت متأخّرهم بمتقدّمهم، ولم أرجئه إلى ذكر طبقته إلحاقاً للذرية بالآباء والله يقول: ﴿**بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم**﴾[1].

نرجع إلى تتمة من ذكره ابن سمرة من أهل تهامة في فصل القضاة، قال: ومنهم يوسف القطراني، ولي قضاء الكدراء ومن علقان قرية قد مضى ذكرها وأنه خرج منها جماعة مضوا، ومن المتأخرين أحمد بن أسعد بن أبي المعالي التباعي وولده محيا بعده قلت ولده مُحيّا بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الياء المثناة من تحت ثم ألف، حصل عليه غيبة من الذهن يسميها أهل اليمن التسفيل بتاء مثناة من فوق مشددة بعد ألف ولام ثم سين بعد هاء مهملة ساكنة وخفض الفاء وسكون الياء المثناة من تحت ثم لام[2] ثم عاد ذهنه بعد أيام فأخبر بغرائب الله أعلم بوجهها ومنهم المقرىء سليمان بن أحمد بن أسعد القاضي، كان ورعاً مات بعد سبعين وخمسمائة، ومنهم أبو القاسم بن سليمان الحبيشي، سكن حصن آل أيوب[3] من بلد

(١) الطور - ٢١.
(٢) كذا يقال إلى يومنا هذا: مسفّل، وللمرأة مسفّلة وتروى عنهم عجائب. وهذا أمر شائع وربما نذكر ذلك في غير هذا الموطن.
(٣) كذا في «ب» وابن سمرة وفي «د» لبني أيوب.

وسن[1] تفقّه بشيوخ الملحمة وأخذ عن طاهر بن يحيى، وفي المَحلة قرية بوادي السحول بفتح الميم والحاء المهملة واللام مع التشديد ثم هاء ساكنة[2] فقيه اسمه محمد بن أسعد بن أحمد بن عبدالله بن أبي أفلح[3]. . ومن رفود بفتح الراء وضم الفاء وسكون الواو ثم دال مهملة قرية بالوادي[4] أيضاً فقيه اسمه أبو السعود بن محمد، كان موجوداً سنة تسع وتسعين وخمسمائة، هذا لم يورده ابن سمرة، لكن لما طلعت السحول من بلدي الجند وذلك في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، بعد أن كنت وجدته مذكوراً في الأسانيد، سألت عنه فقيه السحول يومئذ أحمد بن سالم الآتي ذكره إن شاء الله، وكانت له معرفة بأحوال الناس مع قدم سنّ وصدق مذاكرة، وقال: كان يُذكر بالخير، فروى عنه بعض الفقهاء أنه روى بسند صحيح إلى رجل من الحبشة، وأثنى عليه بالفضل، أنه كان ذات ليلة في زمرة الحبشة ودولتهم بتهامة نائماً على طهارة إذ أتاه تسعة رجال من أهل بلده ركباناً يعرفهم، فسلموا عليه فردّ عليهم السلام وسألهم أين تريدون فقالوا مكة حرسها الله، نشكو منكر هؤلاء الحبشة وفعلهم مع الناس، فقلت وأنا معكم ثم ركبت دابتي وسرت معهم حتى أتينا مكة فدخلنا الحرم، ووجدنا رجلاً مستنداً إلى الركن الأسحم وعليه كساء أبيض، فسلمنا عليه فردّ علينا وقال ما تريدون فقلنا نشكو إليك الحبشة، فإنهم قد أظهروا المنكر ببلادنا فقال روّحوا، فقد سلط الله عليهم رجلاً من اليمن يقال له ابن مهدي يقتلهم وينتقم منهم، ثم ظهر ابن مهدي في النوم[5] ففعل الأفاعيل المشهورة عنه، قال الرائي: فرأيت القوم بأعيانهم قد جاءوا ركباناً على الدواب كما جاءوا أولاً، فسألتهم أين تذهبون؟ فقالوا قولهم الأول: نريد مكة نشكو فعل ابن مهدي وما صنع بعد الحبشة، فقال روّحوا فقد سلّط الله عليه أهل الذوائب، فنظرت الغُزَّ وذوائبهم كما ذُكر، فبينا أنا في نومتي تلك، إذ بأصحابي قد جاءوا على حالهم الأول في الركوب والتهيّؤ بهيئة السَّفر، فقلت أين تريدون فقالوا مكة نشكو فعل الغُزِّ وما يصنعون بالناس إلى ذلك الرجل، فقلت وأنا

---

(١) وسن بالتحريك: آخره نون، جاء ذكره في ج٢ ص٣٤٥ من الاكليل ولم أقف عليه، وكذا حصن آل أيوب لم نعثر عليه.

(٢) المحلة كما ضبطها المؤلف واليوم يكسرون الميم وهي قرية عامرة في عزلة شعب يافع من مخلاف الشوافي وهي من السحول. وفي «ب» اسقاط «محمد» وفي «ب» بن أبي الفتح.

(٣) في «د» وفي «ب» الفتح.

(٤) رفود كما ضبطها المؤلف قرية آهلة بالسكان شمال مركز المخادر في السحول أيضاً وأعمال المخادر.

(٥) كذا في الأصلين.

معكم، ثم ركبت دابّتي وسرت معهم حتى دخلنا مكة فوجدنا الرجل على حاله ذلك، لم يكد يتغير، فشكونا إليه فعل الغز، فقال روّحوا، فقد سلّط الله عليهم أهل الدراريع السود والخيل البيض، سلط عليهم العماني، فنظرت خيلهم ولباسهم وأداتهم كما وصف، فبينا أنا في أثناء النوم إذ بأصحابي أيضاً قد جاؤوني وقالوا نريد مكة فقلت ما تصنعون قالوا نشكو إلى ذلك الرجل منكر العمانيين فقلت وأنا معكم ثم سرت معهم راكباً دابتي حتى أتينا مكة فوجدنا الرجل مكانه وعليه لِباس أخضر وعمامة خضراء وهو يتهيأ للسفر وعليه أهبته فشكا إليه القوم فِعْلَ العماني وجنده وما صنعوا فقال لهم اذهبوا، فأنا لهم على أثركم، فوقع في قلبي أنه الفاطمي[1] ثم انتبهت من نومي وبادرت إلى كتاب علقت فيه ما رأيت والله يقضي بالحق والخير فقلت وقد صرنا في دولة الغز وكان ما قبلها ما سبقنا كما ذكر الرائي ظهر ابن مهدي على الحبشة ثم الغز على ابن مهدي، وسيأتي ما يؤيد بيان ما ذكر من العمانيين بأثر عن الإمام ابن عجيل مع ذكره نفع الله به وذكر ابن سمرة الفقيه علي بن عمر بن عجيل، وأنه تفقّه بابن الصريدح[2] فأحببت بيان ما صحّ لي من نعته ونعت ذريته، ولولا خشية العيب بالتقديم لكان المعتقد أن أقدم ذكر هذا البيت لما ثبت من غزارة علمهم وقوة ورعهم وشرف منصبهم وقومهم الذين ينتسبون إلى ذوال، إذ هم فخذ يقال لهم شيت لكونهم بيت رئاسة وشرف أما علي بن عمر فلم أجد ذكره إلا من ابن سمرة، وذكرته كذلك ولم أتحقق من نعته شيئاً، وكان له ولدان هما إبراهيم وموسى.. فإبراهيم طلع الجبال فقدم جَبَا فأخذ عن أبي يحيى وعن محمد بن أبي القاسم المعلم مقدم الذكر بجبا، ثم ارتحل عن جبا فطلع المخلاف فأخذ عن القاضي مسعود ثم صار إلى قرية المخادر من وادي السحول وأخذ عن ابن سحارة الآتي ذكره وأخذ بذي جبلة عن القاضي الأشرف شرح مقدمة ابن باب شاذ[3] ولما عاد بلده أخذ عن أخيه موسى فرائض الصَّرْدفي، وكان فقيهاً محققاً فاضلاً بالفقه والنحو واللغة والفرائض وعلم الحساب، وكان مسكنه بيت عجيل، قرية تنسب إلى جدّه من بلد المعازبة بالقرب من قرية المدالهة، فيقال إنه انتقل عن القرية إلى الكثيب المعروف بكثيب الشوكة[4] نسبة إلى

---

(١) في «ب» بعد الفاطمي سألت بعض من حوله فقيل لي هو الفاطمي، ولم يظهر المعنى.

(٢) كذا في الأصلين.

(٣) ابن باب شاذ هو أبو الحسن طاهر بن أحمد بن باب شاذ ترجمته في الوفيات ج٢ ص١٩٩، وفاته سنة ٤٦٩ تسع وستين وأربعمائة وكتابه اسمه المقدمة مشهور وفي «ب» شارح.

(٤) كثيب الشوكة وفي «د» الشوا غير معروف عندي.

قرية فيه فابتنى بيتاً فيه ومسجداً، واجتمع عنده جمع من الطلبة فأخذوا عنه فسمي ذلك المكان المدرسة ثم انتقل عنه إلى قرية تعرف بمحل الأعوض[1] فلبث بها مدة ثم عاد إلى المدرسة فلم يزل بها إلى أن توفي على حال الكمال بعد أن صنّف عدة مصنفات، منها مختصر في الفقه يعرف بالمعونة وشرح كتاب نظام الغريب في اللغة، ويقال إن شيخه محمد بن المعلم الجبائي مات قبل تمام شرح المقامات وتمّمه وبه تفقّه جماعة من أهله وغيرهم، منهم ابن أخيه أحمد الآتي ذكره، وكانت وفاته بالمدرسة المذكورة لبضع وأربعين وستمائة.. وأما موسى، وكان من أكابر الفقهاء بزمانه، تفقّه بإبراهيم بن زكريا وقد ذكرته في أصحابه، وكان فقيهاً كبيراً صالحاً يصحب الأخيار والصالحين، وتزوّج بابنة محمد بن إسماعيل بن الفقيه محمد الأحنف مقدم الذكر فأولدت له اثنين هما محمد البجلي وصاحبه الحكمي الآتي ذكرهما إن شاء الله إذ كان يصحبهما فبشّره بأنها تأتي بولد يكون عظيم البركة والقدر، فلما وضعت أخبرهما بذلك فقالا إن الولد العظيم البركة هو الذي يأتي بعده، فلما وضعت أخاه أحمد عرفاه بأنه سيكون سيّد زمانه علماً وعملاً، وكان كما قالا، وحين اشتغل بالطلب والقراءة حمل عنه أخوه مؤونة كلفته، وكان هذا موسى من أعلى الناس همةً وأشرفهم نفساً وأحسنهم عصبية وأعظمهم حمية، وقد ذكرت من ذلك مع ذكر الإمام إبراهيم بن زكريا ما يدل عليه، وقد أخبرني خبير ثقة أنه ثبت عنده أن هذا الفقيه كان كثيراً ما إذا سافر (مكة صحب إمام المقام يومئذ وأنه كان رجلاً مباركاً ذا عبادة وزهادة وكانت أسباب مكة)[2] غالباً بيده من إمامة وتدريس وقضاء وخطابة، وأنه حسده بعض أهل زمانه ممن سكن مكة على كثرة أسبابه مع كونه جعد[3] المعرفة في العلم فكاتب خليفة بغداد وكلّمه كلاماً مزعجاً حتى أنه أمر وزيره بافتقاد ذلك، ومتى كان كما ذكر المتكلم عزله عن جميع أسبابه وجعل في كل سبب منها من يكمل له ولما سار الركب من العراق إلى مكة كتب بعض أصحاب الإمام إليه يخبره أن الوزير قد ندب إليه فقهاء فضلاء يستحضرونه بمكة ويسألونه عما يليق بالفقه والإمامة والخطابة، فإن وجدوه أهلاً أبقوه وإلاّ عزلوه، وبعث بذلك من يعتاد وصول مكة قبل الركب بأيام فوصل الكتاب إلى الفقيه، فحين علم ما فيه أجمع بخاطره أن يختفي من وقت وصول الركب إلى وقت سفره، واختفى وأمر جاريته أن تعتذر بعذر لائق فدخل الفقيه موسى

---

(١) الأعوض: غير معروف. وبيت الفقيه اليوم من أشهر مدن تهامة.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) جعد المعرفة جيّدها وكريم المعرفة، وما بين الثلاثة أقواس ساقط من «ب».

وسأل عنه فلم يجده وأخبره بعض الخبراء بالحال فوصل إلى باب الفقيه وقال للجارية قولي للفقيه هذا صاحبك موسى بن عجيل اليماني، فحين أعلمته أذن بدخوله فدخل واجتمع به وسأله عن الحال فأخبره به، فقال له اعمل الذي أقول لك ولا تخالف في شيء منه وأنا أسدّ عنك هذه القضية بعون الله، فقال: سمعاً وطاعة، ثم قال له: اخرج واعتذر بأنك كنت مشغولاً بعذر لازم، وقوّى قلبه على الخروج والقعود موضع القضاء والتدريس فخرجا معاً، ولما دخلا الحرم خلع الإمام نعله فحمله الفقيه موسى لأنه كان قد اشترط عليه ذلك وقال: إذا قعدت اقرأ فلا تقل لي غير يا موسى، ثم متى سألوك قلت أجبهم يا موسى، ثم أخذ عليه الأكيد بذلك، ثم لما قعد أقبل الفقيه موسى يقرأ عليه بعض الكتب، فحين علم أهل العراق كونه قد برز يقرأ أتاه جماعتهم وقعدوا إليه وهو يقرىء الفقيه موسى (ثم لما فرغ الفقيه موسى جعلوا يسألون الفقيه عن أمور فيعرضهم الفقيه موسى)[1] ويقول لهم أنا أضعف تلامذته أجيبكم عما شئتم ثم يجيبهم عن كل ما سألوه حتى نفد سؤالهم، ثم أورد عليهم أسئلة تبلبل قلوبهم في جوابها، وكان الفقيه كلما سئل عن مسألة قال له يا موسى أجبهم عنها إذ شرط عليه الفقيه موسى ذلك كما قدمنا، وكان أمير الركب حاضراً فعظم قدر الفقيه، وقال الأمير والفقهاء المندوبون إذا كان هذا حال التلميذ فكيف يكون حال الشيخ؟ واعترفوا بفضل التلميذ والشيخ، واعترفوا أن المتكلم على الشيخ كاذب وتركوه مستمراً على أسبابه، وكان معهم درج فيه مسائل فقهية كتبوها في البلاد، وحين غلب على ظنهم ما قدمناه ناولوا الفقيه ذلك الدرج فنظر فيه (وناوله الفقيه موسى وقال له يا موسى انظر هذا وأجب[2] عليه) فنظر فيه ثم أجاب عن جميع ما فيه بجواب شاف كاف، وقال في آخر الأجوبة قال ذلك، وكتبه موسى بن علي بن عجيل تلميذ الشيخ فلان وهذا والله الفضل والإنسانية المحمودان بين الأخيار، ولم يزل على أشرف حال حتى توفي، وكان لسعة فقهه يقال له «الشافعي الأصغر»، ولم أتحقق له تاريخاً، وكان إذ ذاك كما يقال لم يستكمل ثلاثين سنة.

ومنهم ابنه أبو العباس أحمد، مولده رمضان الكائن في سنة ثمان وستمائة، وتفقّه بعمه إبراهيم كما تقدم، ولما حصل من المعازبة تخبّط بعد موت عمه، انتقل عن المدرسة إلى محل الأعوض فلبث به مدة، وكان قد انتقل معه ابنا عمه عبدالله

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «د».
(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

وعبدالرحمٰن فلما طابت ذؤال عاد الفقيه إلى المدرسة وبقيا بها إلى أن ماتا وكان إماماً من أئمة المسلمين، وعمدة المتّقين وقدوة للورعين والمتزهّدين لم يكن في الفقهاء المتأخرين من هو أدق نظراً في الفقه ولا أعرف به منه غواصّاً على دقائقه، أجمع على تفضيله المخالف والمؤالف، لم أعلم أن أحداً أمترى في صلاحه من المسلمين، به تفقه جماعة كثير من نواحٍ شتى وكان مبارك التدريس دقيق النظر فيه وحواشيه على المهذب والتنبيه وغيرهما من كتب الفقه تدل على ذلك، وإلى ذلك أشار شيخنا أبو الحسن الأصبحي حين سئل عن شيء من معاني كلامه على بعض مشكلات المهذب، فأجاب على ذلك وبيّنه ثم أثنى عليه وقال: ما مثلُنا ومثل هذا الإمام إلّا كما قال أبو حامد الإسفرائيني في حق ابن سريج نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه دون دقائقه.

وكان صاحب كرامات كثيرة (مشهورة)[1] يظهر منها ما يظهر عن كره منه، وكان أكثر الناس لها كتماناً، وكانت الملوك تَصِلُه وتزوره وتتبرك به، وتقبل شفاعته وتعظّمه ويريدون مسامحته فيما يزرعه فيأبى ويقول: أكون من جملة الرعيّة الدفاعة[2] ويسألونه قبول شيء من أموالهم إمَّا لنفسه أو يفرّقه على من يراه محتاجاً فلا يقبل منهم، وله كرامات كثيرة مع أنه كان قلّ أن يظهر منه، وذلك ما أخبرني والدي عن بعض ثقات أصحابه قال: حضرنا معه جماعة[3] فتذاكرنا كرامات الصالحين وربما عنيناه على عدم ذلك، فضربنا له مثلاً بأهل عُواجة وبإسماعيل الحضرمي ومن ماثلهم فقال: لكلّ وليّ إناءٌ ملآن، ومَا ظهر من كراماته فهو بعض من الإناء، وأحب أُلْقَى الله بإناءٍ ملآن. وأخبرني الثقة عن بعض كرامته أنه حجّ في بعض سني حجّاته فخرج عليهم عرب وأرادوا نهبهم، وكان متى حجّ حجّ معه خلق كثير من أهل اليمن تبركاً به وأنساً، فلا يكاد يتعرّض لهم أحد بسوءٍ وإن تعرّض لم يفلح، فلما همّ العرب بنهبهم أمر الفقيه منادياً أن ينادي أن تحطّ القافلة فحطّت فقالوا نبيع ونشتري معهم يومين ثلاثاً ثم ننهبهم بعد ذلك، ثم لما كان الليل ألقى الله على العرب النوم فناموا على آخرهم، ولما تهور[4] الليل أمر الفقيه الناس بالرحيل فارتحلوا والقوم نيام فلم يوقظهم إلا بعض من

---

(١) مشهورة من «ب».

(٢) الدفاعة: صفة مبالغة للرعية الكثيري الدفع للواجبات وما تفرض عليهم الحكومات من مغارم وجبايات، والكلمة مستعملة إلى عهدنا وما تسلمه الرعايا تسمى «الدفعة».

(٣) كذا في «د» وفي (ب) «زيادة» «يوماً» بعد حضرنا.

(٤) تهوُّر الليل: ذهب أكثره.

مَرّ بهم في ثاني يوم أو ثالثه فظنوا أن الناس عملوا لهم طعاماً فيه منجا[1] وأشاعوا ذلك حتى استطار في العرب، ثم مرّ بعدهم بعرب آخرين وقد صار على مرحلتين من مدينة النبي ﷺ، فأرادوا مصارعة القافلة أيضاً، وكانوا في حرة ذات أحجار[2] متقشفة لا يقدر أحد على الانحطاط عليها، فحيّر القافلة والفقيه في الساقة[3] وتلك عادته، حتى إذا مرّ بمنقطع أمر بزوال انقطاعه إما يستقي ماءً أو يحمل حملاً أو غير ذلك، وبقيت القافلة متحيرة واقفة بالشمس حتى كاد يهلك منهم خلق كثير، والفقيه مطرق ساكت، فضجر الشيخ على ابن نعيم وأمر الجمال أن تعدل بمحمله عن الطريق ويقتاده إلى حيث الفقيه، والفقيه واقف، فلما دنا من الفقيه قال يا سيدي الفقيه إلى كم يكون هذا الوقوف؟ فقال له يا شيخ عليّ تأدّب، هذا الرب، وأشار بيده إلى السماء وهذا النبيّ، وأشار إلى قدو المدينة[4] فاستحى ابن نعيم، وعاد مسرعاً إلى مقامه الذي كان فيه أولاً، ثم لما طال الوقوف عليهم أمر الفقيه الناس أن ينزلوا فنزلوا بموضعهم وسهل الله عليهم النزول فيه ووطأه لهم، فلما أقبل العشاء أو وقت العشاء أمر الفقيه الدليل أن يجمع طعاماً للعرب يتعشّونه، فلما وصلهم به قالوا تريدون أن تمنّجونا كما منّجتم بني فلان؟ ثم باتوا محارسين وحطّوا محطةً بأولادهم ومواشيهم في مقابلة قافلة الفقيه ينتظرون غفلة من القافلة ويفتكون بها نهباً، فبات الناس على حذر، وراجع الفقيه العرب من أول ما أمسكوا القافلة على أنهم يقبلون ما يليق بحال أهل القافلة فأبوا.

قال المخبر: فلما كان في اليوم الثاني أصبح العرب يناوشون الناس ويتهدّدونهم طلباً للشر، والفقيه يأمرهم بالصبر والاحتمال، وقد صلى الصبح وصار يذكر الله تعالى، فما كادت الشمس تطلع رمحين أو ثلاثة حتى سمعت طبلخانة قد أقبلت من قدو المدينة، ثم بعد ساعة ظهرت ومعها عسكر جرّار فحين رأوا البدو حملوا عليهم وقتلوا ونهبوا وأسروا وسبوا حريمهم وأولادهم، فحينئذ شدّت القافلة وسارت، ثم سُئل العسكر عن موجب خروجهم وغارتهم، فقالوا لما كان هاجرة[5] أمسِ سمعنا بالمدينة منادياً ينادي أن العرب قد اعترضت ابن عجيل وقافلته، فالغارة الغارة مأجورين، فأمر

(١) المنج شجر معروف عند عامة الناس يصنع منه مخدّر ويقال له البنج، وصواب العبارة فيه منج برفع منج.
(٢) الحرة: معروفة ذات حجر سوداء وغيرها، والمتقشفة المقشوعة الخشنة.
(٣) الساقة: مؤخر القوم.
(٤) القدو لغة يمانية فصحى أي قدام أو أمام الوجه، ويقال قدى بكسر القاف وآخره ألف مقصورة.
(٥) الهاجرة من النهار: وقت الظهيرة وشدة الحرب.

الشريف من صاح بعسكره والخروج للغارة، فنظر الناس، وإذا هو الوقت الذي قال فيه الفقيه لابن نعيم تأدّب يا شيخ، فهذا الربّ وهذا النبي ﷺ. وعلى الجملة فأحواله أكثر من أن تحصر وفضائله أعظم من أن تُنشر. ولقد أخبرني الفقيه الصالح عبدالرحمٰن بن أبي بكر الحجازي المقيم برباط النور عند تربة الشيخ مسعود قبليّ مدينة زبيد[1] قال أخبرني الفقيه الصالح علي بن الأسود المالكي عرف بالعجمي قال رأيت الفقيه أحمد بالمنام قبل موته بمدة فقلت له: يا فقيه مشت أحوالكم مع الغز بجلالتكم واحترامكم حتى لم تذوقوا ما تذوّقه المستضعفون من الناس، فنظر إلي الفقيه وقال مُدَّ بصرك إلى المشرق، فنظرت إلى هناك، وإذا بقوم عليهم فرجنات صوف[2] فأشاروا وقال هؤلاء والله يستبيحون دماءكم ونساءكم وأموالكم، كما يستباح عرق الجبين، وأن الغز أجروا العدل عليكم، وكان مع ذلك كلام طويل بيني وبين الفقيه، هذا زبدته. قلت وهذا المنام يؤيد منام الفقيه الحبيشي الذي رواه أبو السعود. أخبرني الثقة أنه كان متى دخل مكة اشتغل الناس بالسلام عليه عن كل شيء ومتى صار في المطاف أو في الحرم ترك الناس أشغالهم وأقبلوا على تقبيل يده والتبرّك بمصافحته، فيقول يا هؤلاء أنتم في بيت الله ومحلّ بركته ورحمته، وأنا مثلكم مخلوق فلا يزدادون بذلك إلا إقبالاً عليه. ولقد أخبر الثقة أنه سمع ثقة خبيراً من أهل مكة وذوي الدين والصلاح والعلم يقول لي من العمر كذا وكذا مدة، فذكرها مدة طويلة قلّ من يعيشها[3]، ثم لم يزل العلماء يدخلون مكة وفيهم من يقف ومن يرجع إلى بلده فما رأيت فيهم أحداً إلا ونور الكعبة وعظمتها يزيدان عليه إلا ما كان من ابن عجيل، فإنه كان متى دخل الحرم زادت عظمته ونوره على نور الكعبة بحيث لا يبقى للناس تعلّق بغيره، ولقد أخبرني الثقة من أهل بغداد أنه كان مقيماً بأم عبيد[4] بمقام سيدنا الأكمل أبي الحسن أحمد الرفاعي نفع الله به، فدعتني المقادير في بعض السنين إلى الحجّ فحججت، فلما صرت بمكة وجدت هذا الفقيه المذكور وقد اشتغل الناس به عن كل شيء وحتى أنه متى برز للطواف لم يكد يفرغ من طوافه إلا بعد مشقة لكثرة شغل الناس به قال فلما عدت أم عبيد سألني صاحب المقام عن عجيب ما رأيت فأخبرته بما رأيت من الفقيه أحمد، فقال يا ولدي هذه أمارة القطب،

---

(١) رباط النور: خارج زبيد من الجنوب.
(٢) فرجنات: نوع من الثياب الصوف مفرجة من الخلف أي لها شقوق.
(٣) في «ب» قل من يعيش مثلها.
(٤) سيأتي ذكر أم عبيد للمؤلف في ترجمة الرفاعي.

ثم كان متى قدم المدينة فعل الناس معه كذلك، فيقول لهم اتقوا الله، هذا نبيّكم وهؤلاء صحابته، وأنا رجل منكم فلا يزداد الناس إلا إقبالاً عليه، وكان متى ضجر من الناس بمكة والمدينة تغيّب عنهم لقضاء مآربه من ذكر أو قراءة أو صلاة وذلك غالب شغله، وكان كثير التردّد إلى مكة. أخبر الثقة أن القافلة التي تسير في البرّ من عصره إلى الآن مع من سارت من فقيه أو غيره إنما تُسمّى به، فيقال قافلة ابن عجيل وهذا من أعجب الأشياء. وما أشبه هذا بقول الأول:

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

ثم ذهب الناس المدرسة[1] عن مسكنه وقيل له بيت الفقيه يعنونه، وكان إماماً في الفقه والأصولين والنحو واللغة والحديث، ومن أحسن من ضبط بكتبه الفنون وقرّت بمذاكرته العيون، ولقد أخبرني ثقةٌ من فقهاء عصره أنه قال ارتحلت من بلدي الجبال إلى الفقيه أزوره، فلما وصلت وسلّمت عليه كنت قد أعددت عدة مسائل فقهية وأصولية وكلامية، فأقبلت أسأله (عن الفقهية وهو يجيبني وعن الأصولية وهو أيضاً يجيبني ثم عن الكلامية)[2] فغالطني فأضمرت في نفسي قصوره عن ذلك، ثم لما انقضى المجلس، وكان حافلاً، ودخل الفقيه المنزل الذي له استدعى بي إليه، وقال إن العقول لا تكاد تحتمل جواب ما سألته وربما حصل بيننا مراجعة واعتراضات تشوّش على السامع لكن هات السؤال الأول فأوردته فجوّب لي جواباً شافياً ثم بقية الأسئلة كذلك، فحمدت الله على ذلك وعظم عندي، وكنت أظنه يفارق المعتقد (لأن ينقل ذلك لا يخبر)[3] الفقيه نفع الله به، وأخبرني الثقة عن أبيه أنه قال: خرجنا من جبل الحشاء وناحية العوادر[4] جمعاً كثيراً نريد الحج فمررنا على الإمام فأتانا بالطعام وجعل يغسل علينا بنفسه وجعلنا نقول له ما جرت عادة البلاد غسلك الله من الذنوب وجعل يقول يا حجاج في عافية في عافية فإن الغسل من الذنوب إنما يكون غالباً بالأمراض، ولقد أخبرني عدّة من الثقات أن رجلاً من دلّالي زبيد طلعت بيده عاشة[5]

---

(١) كذا في «د» وفي «ب» ثم ذهب باسم المدرسة.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٣) في «ب» إذ ينقل ذلك بعض.

(٤) جبل الحشاء بكسر الحاء المهملة ثم شين مهملة ثم ألف مقصورة يقع شرقي جبل الصردف سورق ويشكل ناحية، ومركزه ضوران، وقبائله من السكاسك ومربوط بقضاء حمر: ماوية، والعوادر تقدم ذكرها.

(٥) العاشة لحم ناتيء يظهر في جسم الإنسان وتكبر، ولكنها غير ذات قيح ولا تؤذي الإنسان، ولم يذكرها=

وتعظمت وصارت شيئاً فاحشاً مستبشعاً، فقالت له نفسه الناس مجمعون على صلاح هذا ابن عجيل، فتقدم إليه والتزمه بهذه العلة فصار إليه من جملة جماعة خرجوا زائرين له من زبيد، ولما وصله قال ما أروِّحُ منك حتى تزول هذه العاشة فقال حسبي الله أزيل ما قدّره الله، فلم يعذره، فقال هات يدك فأدناها منه وتفل الفقيه عليها وتلا شيئاً من القرآن، ثم قال له غَطِّها وَعُدْ بلدك فلعل الله يزيلها، قال وأدخلت يدي في كمي وسرت ساعة مع جماعة جئت أنا وهم من زبيد ثم أخرجت يدي وإذا بها سليمة كأن لم يكن بها شيء فأريتها الجماعة ودخلنا زبيد. قال الراوي ورأيتها وبها العاشة ثم رأيتها بعد ذلك متعافية ومع ما قدمت ذكره، فإنه لا يذكر لأحد شيء، من كراماته ممن قد عرفه، فيمتري به، وله مسائل كثيرة يسأله عنها فقهاء أجلّاء فأجابهم بأبين جواب وأحسنه، ولم يكد أحد من فقهاء وقته يسأله إلا افتقر إلى فقهه، ولم أسمع عنه أنه افتقر إلى أحد منهم في جواب ولا سؤال، ولم يزل على قدم التدريس والدين والورع، حتى توفي نهار الثلاثاء بين صلاتي الظهر والعصر لخمس بقين من ربيع الأول من شهور سنة تسعين وستمائة، وكان الملك الواثق الآتي ذكره في فشال يومئذ إذ هي إقطاعه من أبيه، وهي على نصف مرحلة من موضع الفقيه تقريباً، فلما سمع بموت الفقيه ركب في موكبه وحضر غسل الفقيه، وكان من جملة الغاسلين، ثم لما حمل إلى المقبرة كان من جملة الحاملين وتولى إنزاله مع من تولى ذلك فغبطه على ذلك كثير من أعيان زمانه أبناء جنسه وغيرهم، وزرته بحمد الله مراراً في حياته وبعد وفاته فكانت زيارتي له آخر مرة أنا ووالدي وأخوتي قبل موته بثمانية أيام فلما صرنا بالجند، إذ عاد والدي إليها متنقلاً عن زبيد ومدرساً بمدرستها التي ولدت بها وهي مدرسة الشيخ عبدالله بن عباس، ومن أحسن ما قيل فيه من الشعر قول والدي من قصيدة امتدحه بها في حال حياته وذكر في أولها المراحل من زبيد إلى بيت الفقيه بعد أن صدّرها بقوله:

هذي ديار أحبتي يا حادي	أنخ المطيّ فقد بلغت مرادي
وعلى الكثيب الأشرف أنزل فقد	حللت بأمْنَع الأطواد
دعني أضع خداً على ساحاته	والوجه كي أحظى بذاك النادي
وأشاهد البدر الذي مَنْ أمَّهُ	ينجو من الأحزان والأنكاد
وأقبّل القدم الشريف تقرّباً	أرجو بذاك هدايتي ورشادي

= في القاموس، والكلمة مستعملة ومعروفة عند الناس.

يـا راكبـاً حـرفـاً أمـونـاً جَسْـرةً ... تنجـو نجاة الـطِرّف يـوم طـراد[1]
يـمِّم إذا مـا رُمْتَ نُجـح سعـادةٍ ... عَلَمـاً إلى نهـج السعـادة هـادي
واجمـع عزومك بل همـومك وارداً ... بـحـر الـفـرات الـعـذب للوُرَّادِ
فـإذا رأت عينـاك طـلعـة أحمـد ... قـطب الـزمـان حُبيتَ بـالإسعـاد
فـاشكـر لـربك شـاكـراً متـواضعـاً ... كـفعـال إسـرافيـل ذي الإرشـاد
قـل يـا ابن مـوسى إنني وفّـادُكم ... وعلى الكـريـم كـرامـةُ الـوفّـاد
يـا من بـه تشفى العيـوب ومن بـه ... تمحى الذنوب عن المسيء الكـادي
يـا واحـد الكبـراء والعلمـاء بـل ... يـا قـدوة الأَبْـدال والأوتـاد
يـا سيّـد الكبـراء قـد عـودّتني ... بـرّاً ومـرحـمـة وعـرف أيـادي
وأنـا المعيـل العـايـل الأَسِفُ الـذي ... كـلّ الـذنـوب عليـه بـالمـرصـاد
ولكم مكـارم يستـطيـل عمـومهـا ... ومنـاصب يسمـو بهـا استشهـادي
سـرّ الخليـل ورثـتمـوهُ حـقيـقـةً ... ومن الـذبيـح الصـدق في الميعـاد
شـرفـاً لـكم ولْـيَهْـنَكُـم مـا نلتُـم ... فضـلاً وفخـراً شـامـخ الأعمـاد

والقصيدة كبيرة ذكرت زُبدَها وشواهد غرضي منهـا، ولم أوردها إلا لمـا تحققته من استحقاق من قيلت فيه لما قيل فيها، وقد مدح بعدَّة قصائد من عدة شعراء، وإنمـا قال: (سرّ الخليـل ورثتموه) لأن الفقيـه من أولاد علّك[2] وعـك من أولاد إسماعيـل بن إبراهيم كما لا يخفى، فأشار إلى أن الفقيه ورث من الاثنين وهما الخليـل والذبيـح ما تقدّم في البيت، مع أن معتقدي ومعتقد أخيار زماني أن الشعر يزدان بالفقيه ولا يـزادن به[3] الفقيه كما قال[4]:

يـزدان في أوزانـه وعـروضـه ... فعسـاه يلقى طـيبكم فيـطيب

وخلفـه من الأولاد أربعة أكبـرهم إبراهيم: فقيـه ذو دين وورع، يحب الاعتزال قـلّ ما يجتمـع به من الـواصلين إليه، أخـذ الفقه عن أبيـه والنحو عن الفقيـه عمـر بن الشيخ من أهل شريح المهجم، توفي سنة سبع وعشرين وسبعمائة.

---

(١) هذه أوصاف للناقة، والطرف: بكسر الطاء وسكون الراء: المهر الكريم النشيط.
(٢) سبق أن عـك بن عدثـان بالثـاء المثلثة ثـالث الحروف بن عبـدالله من الأزد كما صحّح ذلك أبـو عبيدة معمر بن المثنى والهمداني ونشوان وغيرهم، انظر مفيد عمارة ص (٤٥).
(٣) كذا في «ب» وفي «ذ» ويزدان به غير الفقيه.
(٤) في «ب» زيادة مروان.

ثم موسى، فقيه خيّر تفقّه بأبيه وتوفي سادس شعبان سنة عشرين وسبعمائة ثم إسماعيل، كان فقيهاً فرضياً توفي سنة سبع عشرة وسبعمائة. . ثم أبو بكر تفقّه بخاله علي بن أحمد الصريدح المقدم ذكره إذ أمّه بنت الفقيه يوسف بن عبدالله، يذكر أبو بكر هذا بجودة الفقه والورع وهو باقٍ إلى عصرنا على الحال المرضي، ولإبراهيم وموسى ولدان يذكران بالفقه واسمع[1] عن كل واحد منهما اجتمعت بهما في زبيد عام واحد وعشرين وهما اللذان يسيران بحوائج الناس في الشفاعات وغالب قدومهما زبيد لذلك، وسمعت من يفضل ولد موسى بشرف وعلوّ الهمة ويذكره بمكارم الأخلاق ويبالغ في الثناء عليه وهو عدل في العقل والنقل ويذكر عنه كرامات أيضاً.

ومنهم عبدالرحمٰن وعبدالله ابنا الفقيه إبراهيم بن الفقيه علي بن عمر الذي ذكره ابن سمرة أنه تفقه بابن الصريدح فعبدالله تفقّه بابن عمه أحمد، وكان فقيهاً كبيراً مدرساً انتفع به خلق كثير من الطلبة، وكان أوحد زمانه علماً وعملاً، اجتمعت به في بعض السنين على رأس تسعين وستمائة. ومنهم الأخوان محمد وإبراهيم ابنا علي ابن الفقيه إبراهيم بن الفقيه علي بن عمر بن عجيل مقدم الذكر، فمحمد أخذ الفقه عن عمه عبدالله وعن ابن عم أبيه أحمد بن موسى والنحو عن الغيثي بوصاب والحديث عن أهل زبيد، وإبراهيم أخذ الفقه عن ابن عمه أبي بكر بن الفقيه أحمد بن عجيل مقدم الذكر، وهو باقٍ إلى عصرنا يذكر عنه الخير، يسكن قرية هي يمني بيت الفقيه، ذكر عنه جودة الفقه وصفاء الذهن، وقبور من مات من بني عجيل بكثيب بين المدالهة وبيت الفقيه، زرت قبورهم أجمع بحمد الله وتبركت بها، وهؤلاء آخر من استحق الذكر من فقهاء تهامة الذين ذكرهم ابن سمرة وذراريهم على ما تقدم.

ومنهم محمد بن عبدالله، كان فقيهاً فرضياً توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، ومنهم إبراهيم بن علي يذكر بالفضل والمواظبة للتدريس والصلاة مع الجماعة وهو باقٍ إلى عصرنا.

ثم نرجع إلى تتمة من ذكر ابن سمرة من الجبال وذراريهم، فأبدأ بمن كثرت بركتهم وارتفعت شهرتهم، قوم الإمام يحيى بن أبي الخير، فقد مضى ذكر محمد بن موسى وأولاده، ولم يبق إلا ذكر من تأخّر منهم مع من تبعه وعاصره معهم بالحصن الذي يعرف بمصنعة سير، وذلك أنه انتشر عنهم العلم انتشاراً كلياً بحيث لم يكن في

---

(١) كذا في «د» وفي «ب» واسم كل واحد منهما.

المتأخرين لهم بذلك نظير إذ كانوا أهل إطعام وإكرام عامين، وقد تقدّم ذكر الشيخ ومن شهر بالفقه من أهله، ثم ذكر ابن عمه محمد بن موسى ومن تفقه من أولاده على ما ذكر ابن سمرة تصريحاً ومفهوماً، وآخر من ذكر منهم أحمد بن موسى، وقال كان على قضاء الجند، يعني في عصره، ثم توفي ولم أتحقق له تاريخاً فخلفه ابنه أبو بكر في الفقه والقضاء، وكان يقال له سردابُ العلم[1] لكثرة نقله له وجودة معرفته به، وكان أحد حفاظ اليمن بكتاب المهذب وقَدِمَ المسعود بن الكامل اليمن بالتاريخ الآتي ذكره، وقدم صحبته معلّمه القاضي معافى، وكأنه كان سنّيّ الاعتقاد فأصبح بعد أن ولي القضاء من قبل المسعود في آخر يوم من شعبان صائماً وأمر الناس بالفطر، وأنكر عليه الفقهاء وهو إذ ذاك بالجبل فعلم به بعض أعدائه فوشى به إلى المسعود، وكان حادّاً لصغر سنه، فعظم ذلك عليه واستدعى به، فلما حضر قال له يا قاضي اليوم من رمضان، قال لم يثبت بذلك شيء، فاستدعى بالغداء فلما حضر اعتزله فقال له المسعودالآن تحققت أنك خارجيّ على غير السنّة، ثم طرده وأخرجه عن مجلسه، وكان وقت دخوله اليمن ضعيف الفقه، إذا حضر مجلساً وذاكره الفقهاء بشيء من أبواب الفقه ومسائله يَصَّدَّرُ عنه الجواب القاضي أبو بكر، وحاجج عنه الفقهاء فأحبه وقرّبه فصار أول داخل عليه وآخر خارج عنه، وصار يسميه بكيراً على طريق التصغير، ثم كان يُثني عليه عند المسعود ويقول هو أفقه أهل اليمن، فصار له في باطن السلطان صورة جيدة (فلما صار[2] المعافى فيما صار من الأمر مع المسعود وطرده) طلب هذا أبا بكر فلما حضر ولّاهُ قضاء القضاة فلم يزل عليه حتى توفي آخر الدولة المنصورية، وحكى الثقة الخبير بأحواله أنه نزل تهامة يريد افتقادها، فحين صار بحيس، وقد سمع به فقهاء زبيد لم يصل النوري إلا وقد صار منهم أعيان متوكفون للقائه فحين واجهوه سلموا عليه سلاماً لائقاً ثم أقبلوا يسألونه بسؤالات قد أعدّوها من مشكلاتِ الفقه، وكان يجيبهم غير مكترث ولا متلعثم فأخبرني الفقيه أبو بكر بن عبدالله بن خليج[3] الآتي ذكره، قال أخبرني بعض أصحابه ومن كان معه منهم في سفره ذلك، قال خشيت عليه التعجيز فدنوت منه وقلت له يا سيدي ألا أصرفهم

---

(١) السرداب بكسر السين المهملة وسكون الراء معروف ومستعمل، وهو بناءتحت الأرض كالمخبأ وجمعه سراديب.

(٢) ما بين القوسين ساقط من «د».

(٣) في «د» وفي «ب» فليح.

عنك فقال دعهم فأنا والله أحفظ المهذّب كما تحفظ الفاتحة ولم يزالوا يسألونه حتى نفذ سؤالهم، ثم أقبل على كل[1] فسأله بسؤال فتركه متحيراً يتلعثم ويتلجلج، ثم أقام بزبيد أياماً، فوصله حكام التهايم وفقهاؤها وافتقد من يصلح فأبقاه ومن لا يصلح فنفاه، وهو أول من ولي القضاء من بني عمران، فذكروا أنه استمر على قضاء القضاة وتوفي عليه كان ميلاده سنة ست عشرة وستمائة وكان أورع من قعد فيه وحكم بأحكام الشرع، وله من الآثار المتقنة للذكر تجديد جامع مرعيت على طريق الساير من تعزّ إلى عدن أو الجؤة وغيره[2] وكان حسن الهيئة جيّد السيرة، ولما توفي لا أدري بأي تاريخ وله إذ ذاك ولد اسمه محمد، كان مولده سنة ست عشرة وستمائة وقد صار مراهقاً فأضيف القضاءُ إلى ابن عمه أسعد بن محمد بن موسى، فتوقّف، فقال له المنصور حتى يكمل ولد القاضي أبي بكر، فلما كمل كتب القاضي إليه يعلمه فجعل مكانه ابنه محمد، فسلك طريق أبيه في كل الأمور، وذلك مع علم بالفقه وغيره، وكان نظيف العلم عظيم الورع. حُكي أنه كان يطعم الناس طعاماً لائقاً، وكان ابن عمه محمد بن أسعد الملقب بالبهاء يُطعم أيضاً طعاماً خارجاً عمّا يليق، بحيث يذبحُ ويعمل الألوان الحسنة، وكان ذلك والقاضي البهاء ليس معه ما يطعم منه غير ما يأتيه من أملاكه وهي إذ ذاك قليلة، وكذلك قاضي القضاة، فذكروا أنه قال له بعض أصحابه: ابن عمك يعمل طعاماً عالياً وأنت تعمل دونه، ولو شئت لعملت خيراً منه، فقال صدقت، لكن أنا أطعم دائماً حلالاً لو شئت كم على هذه المثابة التي ترى وابن عمي كأنك به وقد أدّانَ وأخذ رحل[3] المساجد والأيتام، فكان كما قال، وأن من عجيب ورع هذا الرجل أنه دخل جبلة لقضية أوجبت ذلك ومعه ابن عمه المقدّم ذكره فقضيا حوائجهما وخرجا فأخذ نصف ابلوج سكر أبيض وأخذ ابن عمه عدة أباليج[4] ثم لم يعلم بهم حتى وصلا المصنعة، وكان متزوجاً بأخته، فأمر لها أخوها بنصيب من الهديّة وفرّق على الجيران والأهل، فقالت أخته لزوجها قاضي القضاة: يا هذا يؤدي إليّ أخي نصيبي أكثر مما أهديت أنت جميعه، فقال يا هذه تنظُري أنت عاقبة أمري وأمر أخيك في الدنيا والآخرة. وكانت وفاته على الطريق المرضي في عشر سنين

---

(١) أي على كل واحد.

(٢) قد تقدم ذكر ذلك، وهو اليوم خراب. وقد شرع بعض الفلاحين بإصلاحه.

(٣) كأنها أموال المساجد والأيتام.

(٤) في القاموس: أبلوج، بالضم، السكر.

وستمائة(1) ثم خلفه ابن عمّه محمد بن أسعد بن الفقيه محمد بن موسى مقدم الذكر أولاً، ميلاده سنة ثماني عشرة وستمائة، تفقه بحسن بن راشد وحصلت صحبة بينه وبين الملك المظفر، أوّلها أنه لما افترق أولاد المنصور المظفر وإخوته وطلع المظفّر إلى الجبل أمره ابن عمه أن يتقدّم إليه من المصنعة ليختطب له، فلقيه إلى جبا واختطب له بها أول جمعة وكانت أول بلد خطب له بها، ثم صحبه من هنالك، وحَصلت بينهما ألفة قويّة واستحلف له الأيفوع(2) ومن حولهم من العرب كالسبأيّين ورأسهم يومئذ عبيد بن عياش بالياء المثناة من تحت مشددة مفتوحة بعد عين مهملة مفتوحة ثم ألف ثم شين معجمة، ولم تزل الصحبة تتأكد حتى آلت إلى الوزارة مع قضاء القضاة وكان خطيباً مصقعاً لبيباً ذا دهاء وسياسة، وكان له حسنُ نظر مع الملوك والفقهاء يجلّهم ويحترمهم في الغالب، وهذا أوّل من جمع بين الوزارة وقضاء القضاة وتبعه على ذلك علي بن محمد(3) بن عمر ثم انقطع، وجعل القضاء منفرداً ولم يتوزّر أحد بعده، ولم يزل على القضاء والوزارة حتى كان في جمادى الأولى سنة أربع وتسعين وستمائة، فأقام المظفر ابنه الأشرف في الملك على أن يكون خليفته، وأحلف له العساكر، وطلع حصن تعزّ، وأشار القاضي البهاء إليه أن يجعل أخاه حسان وزيراً للأشرف، ففعل ذلك، وبقي القاضي البهاء على القضاء، وبقيت له دواة الوزارة بعد الاستنابة بتسعة أيام، فلم يزل القضاء معه، ومع ذلك يتراجع هو وحسّان بما يَرِدُ عليه من التهائم، إلى أن توفي على ذلك منتصف ربيع الأول سنة خمس وتسعين وستمائة، فاستمرَّ على القضاء، حتى كان من عزلهم ما كان. .

فأول ظهور ذلك عزلُ حسان من الوزارة لمضي شهرين من سنة ست وتسعين وستمائة، عزله المؤيد واستوزر علي بن محمد بن عمر، وبقي القضاء مع(4) ابن عمران على طريق المجاز، حتى كان رمضان من سنة ست وتسعين وستمائة وصلوا الجند للتختم بالجامع، وكان ذلك عادة جارية منهم يصل جماعة يوم ستة وعشرين وشخص واحد يختم ليلة سبعة وعشرين ويقرأ الختمة على المنبر، ويلبث بالجند

---

(1) كذا في الأصلين.

(2) الأيفوع: بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة من تحت ثم فاء وواو وعين مهملة: عزلة من المعافر تحمل هذا الإسم إلى هذه الغاية، وأيفوع أعلى وأيفوع أسفل من الكلاع العدين، من أعمال مديريه السلام، وهي شمال تعزّ، والسبئيون كانوا في عزلة السواء من المعافر أيضاً جنوب تعز.

(3) في «ب» محمد بن عمر اليحيوي.

(4) في «ب» في بني عمران.

حتى يصلي بالناس العيد، ثم يعمل طعاماً يدخل عليه من المصلّى جماعة من حفدتهم فوافق وصولهم أن وصل أسعد أخو الوزير معارضاً لهم يريد يختم ويختطب، وكان قد بلغهم أن للخطيب في كل شهر ثلاثين ديناراً فوصل وأراد الاختطاب، فمنعه بنو عمران وغالب أهل الجند يحبّونهم إذ ذاك ويلوذون بهم، فلم يطق أسعد يطلع المنبر، ودخل بينهم العقلاء على أن أسعد يكتب إلى السلطان يخبره، فإذا جاء جوابه بأنه يستمرّ سلّم له كتاب الخطبة، فكتب في أول الليل وصدّر رسولاً فلم تطلع الشمس جدّاً[1] حتى عاد بالخط على ما سئل وزيادة، وأخبر[2] أيضاً بأن القضاء إليهم، فخرج بنو عمران من فورهم عن الجند إلى المصنعة لم يصلّوا الجمعة إلّا بها، ولبثوا بقريتهم إلى رمضان سنة سبع وتسعين وطلبهم المؤيد إلى تعزّ فلبثوا أياماً بدار الواثق يؤتى لهم كل يوم بالطعام ثم بعد انقضاء رمضان)[3] تقدم السلطان الجند وهم معه وعليهم ترسيم[4] من حيث لا يشعرون، وأمر السلطان من أخرج بقية رجالهم وحريمهم عن المصنعة وختم على بيوتهم وأنزلوا الجند فلم يشعروا حتى قيل لهم هؤلاء أهلكم قد جيء بهم ثم تجهّز السلطان إلى صنعاء لحصار العظيمة والميقاع[5]. وأمر والي الجند يخرجهم عن الجَنَد إلى ذي جبلة ففعل، وذلك في شوال من السنة المذكورة فلبثوا بها أياماً، وكان لهم من فعل المعروف، خصوصاً عبدالله، ما لا ينحصر، حتى أن أهل جبلة كانوا إذا طلبوا فقيراً لم يجدوه إلا عند بيت عبدالله، وكانت سنة خصاصة[6] وكان كثير الصدقة وإطعام الطعام وإكرام الضيف لم أر له نظيراً في ذلك، ثم كان ذا عبادة كثيرة وذكر وتلاوة قل من يواظب ذلك مثله ثم يصوم غالب زمانه وكان خطيباً مصقعاً ذا كرامات وعبادات وله مسموعات ومقروءات ولي منه إجازة بكتب عدة، ثم لما نزل المؤيد من حصار العظيمة والميقاع التقاه حسّان للسلام بالموسعة[7] ثم إنه لم يكد يقف في تعزّ غير تتمة السنة حتى بعث أمير خاندار ومعه

---

(١) جداً زيادة من «د».

(٢) كذا في «د» وفي «ب» وزيادة أخبار بأن القضاء.

(٣) هذه الزيادة من «ب».

(٤) الترسيم: معروف، وهو المحافظة عليهم من أن يفرّوا، والكلمة مستعملة إلى يومنا هذا.

(٥) العظيمة والميقاع حصنان من بلد حاشد غربي خمر، انظر «قرة العيون» ج١.

(٦) الخصاصة: بالفتح الفاقة والحاجة، ومنه قوله تعالى: ﴿**ولو كان بهم خصاصة**﴾.

(٧) الموسعة: بفتح الميم وسكون الواو ثم سين مهملة ثم عين مهملة وهاء: ضاحية في أعلى الحبيل الذي في أسفله المستشفى الجمهوري وغرب ثعبات، ولعله كانت فيه قصور على هذه الضاحية طريق السيارات إلى جبل صبر.

عشرة (ترداربة) وجنداريـة[1] أنزلـوا عبدالله هـذا وأخاه حسـان وابنه عمـران من جبلة، فلما صاروا بالحصن في تعزّ ضرب حسان وعمران ضرباً يخرج من حـدّ الوصف يـوماً أو يومين، والناس تتألم وهمّوا بضرب عبدالله فحماه الله منهم قهراً، ما هَمّ به أحـد إلا ضرب ببلاء من فـوره، وكان العـدوّ الذي لهم يؤنب أميـر خانـدار ويلومه على ذلـك، فطلع ذات يوم وقد امتلأ غيظاً ودعا بعض الخاندارية ممن يعرف جهله ووبّخه وقال له اعمل بضرب القاضي عبدالله، فدخل عليه وكلّمه بسـوء أدب وتهدّده بـالضرب فبـزقه القاضي بزقة انقطع بها شيء من أمعائـه، ووقع مغشياً عليه، بحيث لم يبـرح إلى بيته إلا محمـولاً ولم يزل مـريضـاً لا ينفـع نفسـه بنفـاعـة حتى تـوفي مـطروحـاً في بعض الأسواق، ووصل حـريمهم إلى بيت الفقيه أبي بكـر حالين، وفيهم بنـات خالـه، فلم يفتح لهم بابه ولا قضى لهم حاجة، وأزيل عنهم الضربة بشفاعة الحرّة ابنة أسد الدين زوجة السلطان[2]، وكانت خيّرة كثيراً ما تردّه عن القبيح فأطلقوا عن الحبس وأنزلوا في المغربة وأمرت أن يجري عليهم بأدوية حتى تعافوا وأطلقوا بشرط أن يسكنـوا سهفنة، فسكنوها ورهن عبدالله ولده عمران وحسان ابنُه محمداً وتركوا في زبيـد فسكنوهـا من رجب ثماني وتسعين وستمائة ولبث القاضي عبدالله والباقـون بسهفنة إلى أن تـوفي بها نهار رابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعمائـة، وحضر قبـرانه جمـع من الجَنَد وغيـرها، فيهم شيخنا أبو الحسن الأصبحي فأخبر الثقة أنه كـان على قريـة سهفنة خـاصة جـرادٌ عظيم، وليس بخارجها شيء فسأل شيخنا عن ذلك فقال ما هو ببعيد أن يكـون الجراد ملائكة في حق القاضي عبدالله، وكثرة إطعامه وصدقته، ولم يزل الجـراد حول البيت وحول النعش إلى أن قبر، ثم لم يوجد منه شيء، وبقي حسّان وابنان له إلى مـدة بعد ذلك في قرية سهفنة مـع أحزان وإهـانة من غلمـان بني محمد بن عمـر، ثم بعد وفـاة الحرّة التي كانت سبباً لإطلاقهم، وذلك مستهل ذي القعدة سنة أربع وسبعمائة، أوهَمَ عدوُّهم فيهم السلطان بما لا يليق، وظل يومـاً طرداً عنـده، وكان لا يتهمـه بكذب، فصدر لهم نحو خمسين فارساً ورجلاً عددهم مئتان سَرَوا إليهم وقت العشـاء من تعزّ فـوصلوا سهفنـة سحـراً وقبضـوا حسـان وابنيـه وعبـدالله ابن أخيـه بن أبي بكـر ونزلوا بهم الجند غير مقيّدين، فأدخلوا الـدهليز الـذي للقصر، وكتب السلطان بـذلك، فأمر الفقيه أبا بكر التعزي بإطلاق عبدالله، لأنه كان يوالي الفقيه هو وأبوه محمد وجده أبو بكر صنو القاضيين المذكورين، ثم قُيِّـد حسان وابنـاه وأُنزلا إلى سجن قـد أُحدث

(١) كانت هذه ألقاباً عسكرية.

(٢) في «ب» زيادة «المظفر» وقد تقدّم ذكرها.

لأجلهم فيه من الضيق ما لا ينحصر، وكان قد أمر السلطانُ والي عدن ببناء سجن شديد الضيق ليس له متنفس لخارج ولا داخل، فاجتهد الوالي ببنائه ظنّاً أنه لبعض الجبابرة من أعداء السلطان، فلما جيء بالقضاة ندم على ذلك، فلبثوا بالسجن مجتمعين لا يكاد يُفتح لهم باب إلا في الوعد مرة أو مرتين لما يؤتى به من الماءِ. أما الطعام فينزل لهم من تصدّق عليهم من طاقة في السقف، سقف الحبس، وذلك أنه يعطيه الحبّاس سراً خشية أن يبلغ عدوّهم، وبعد ثلاث سنين وأربعة أشهر توفّي حسّان على ذلك الحال، فقبر بالمقبرة التي بها ابن أبي الباطل، وهو أحد مشايخ الطريق من الصوفية الأكابر، ولبث ابناه حتى قدمت الحرة كريمة السلطان من ظفار بعد وفاة أخيها الواثق الآتي ذكره، وكانت إحدى أخيار الخواتين على طريق المروءة والدين والصدقة، وقد مضى من ذكرها مما يغني عن إعادته، فحين وصلت تعز إلى أخيها وسلمت عليه شفعت لهم وقالت أجعلهم ضيافتي منك، فأمر بإطلاقهم فعلم بذلك عدوّ لهم غير الأول فأمر بأنهم لا يخرجون من عدن، وكان الوالي ابن علاء الدين عمر فأعادهم من باب عدن وأسكنهم في دار جيّدة، وفسح لهم فأقاموا هنالك مدة، وبعد وفاة الوزير وانقضاء أيام بني محمد بن عمر، على ما يأتي بيانه، طلب بنو عمران من عدن وجمع بينهم وبين أخيهم بزبيد، وكان في يوم حبس والده بعدن حبس وهو بحبس زبيد، وجُعل له في وسطه حبس في غاية الضيق، وكان كثيراً ما يوجد خارج الحبس في المساجد يصلي وبلغ السلطان المؤيد، فأطلقه وجعل له رزقاً يقتاته، وسكن بدار عمّه القاضي البهاء مقدم الذكر، ولما صار الملك إلى المجاهد بن المؤيد المرة الأولى والغالب عليه الأمير عمر بن يوسف بن منصور، قال له القاضي عبدالباقي بن عبدالمجيد: يا أمير اعمل لآخرتك واْسْعَ في إطلاق هؤلاء بني عمران من زبيد، واجمع بينهم وبين عائلتهم، فلم يزل عمر بن يوسف يتلطف حتى أطلقوا من زبيد، وطلعوا سهفنة في الدولة المجاهدية، وتوفي محمد بن حسان بعد أشهر دون السنة من طلوعهم يوم الجمعة حادي عشر صفر من سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة. وأما ابن عمه عمران فتوفي بزبيد بعد وفاة أبيه بأيام قلائل، وكان قد توزّر للواثق مدة حتى سافر إلى ظفار، فلم يتركه أهله يسافر معه وبقي حاكم تعز في غالب الأحوال، إذْ كان عمّه حسان حاكمها منذ توفي محمد بن علي، وقد يستنيبون بعض المدرّسين مجازاً والله أعلم.

وفيهم فقهاء درسوا وأفتوا، فلعبدالله ولده محمد، كان فقيهاً فاضلاً درّس مدة

بجامع المصنعة، وعنه أخذتُ بعض كافي الصردفي والمهذب وبعض مصنّفه في الدقائق، وهو كتاب فائق سمّاه «جامع أسباب الخيرات البديعة ومثير عزم أهل الكسل والعثرات» وهو من أحسن كتب المتعبّدين ثم كتاب مختصر سماه «البضاعة لمن أحب صلاة الجماعة» وهو من المختصرات البديعة في ذلك، و«التبصرة في علم الكلام»، وشرح التنبيه شرحاً لائقاً اجتمع الفقهاء على سماعه بعد فراغه من جميع أنحاء الجبال، وكان فيهم عدة من أكابر الفقهاء، وقد سمعت عليه بعضه وأجازني بجميعه، وقرأت عليه جميع مصنّفه الذي سمّاه «البضاعة لمن أحب صلاة الجماعة» وإيضاح الأصبحي، وكانت وفاته في شهر شوال سنة خمس وتسعين وستمائة.

وآخر اسمه عبدالرحمن، كان مقرئاً مجيداً فاضلاً بالقراءات، وقد تفقّه بعض تفقّه، توفي سلخ رمضان سنة أربع وتسعين وستمائة وهو أصغرهم وآخر اسمه أسعد، تفقّه وكان ينوب أباه في خطابة الجند وقضائها، توفي آخر سنة خمس وتسعين، والآخر عمران، وقد مضى ذكره، ولأخيه أبي بكر بن أسعد ولدٌ فقيه فاضل، كان فيه إحسان إلى الطلبة وأنسٌ لهم، وذلك بعكس ما كان لأبيه، وكان يتولى التدريس هو وابن عمه محمد بجامع المصنعة وتفقّها بالفقيه محمد بن أبي بكر الأصبحي الآتي ذكره، وكانت وفاته بقرية سهفنة على رأس سنة سبعمائة تقريباً، وله ابن سماه عبدالله كان قد تولّى الخطابة بالمصنعة، ولما حبس أهله قام بحريمهم وتحمل مؤنتهم حتى خرج من خرج منهم من الحبس، وكان للقاضي إخوة يأتي ذكرهم إن شاء الله في أعيان الدول.

فلنرجع إلى تتمة ذكر الفقهاء وذراريهم، وأعني بالفقهاء (الذين ذكرهم ابن سمرة)[1] في آخر ذكر القضاة، وقد انقضى ذكر ما لاق من أحوال بني عمران وما تمّ عليهم من الامتحان، ثم يتبعهم في الشهرة بِقِدَم التسمّي بالفقه ذريّة الفقيه الهيثم، وقدمتُ بني عمران لانتفاع الناس بتصانيفهم لو لم يكن لهم غير البيان، ثم ما كانوا يفعلونه من الإطعام في المصنعة بحيث يجتمع معهم في غالب الأوقات فوق مئة درسيّ يقومون بكفايتهم من النفقة والكسوة بحيث سمعت جماعة من أعيان الفقهاء يقولون لم يصب أحد من أهل اليمن، بمصيبة كما أصيب طلبة العلم بأهل «سير»، وقد رثيت سير بقصائد منها قصيدة للنجم صاحب مكة، ولولا خشية الإطالة لذكرت من ذلك عجائب وعدهم، وقد مضى ذكر من ذكره ابن سمرة وتأخّر عنهم جماعة

(١) ما بين القوسين من «ب» وساقط من «د».

تحققت منهم جماعة علي بن عبدالله بن محمد بن أحمد بن الفقيه عمر بن الفقيه أسعد بن الفقيه الهيثم مقدّمي الذكر، مولده يوم الخميس مستهل صفر سنة سبع عشرة وستمائة، تفقّه بابن ناصر الآتي ذكره في قرية الذنبتين، وولي قضاء بلده، وكان يتردّد بين بلده والجند وتعز واجتمعت به فرأيت رجلاً مباركاً كانت وفاته لسبع بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين وستمائة، وله ولدان هما يوسف وأبو بكر، ومولد يوسف مستهل ربيع الأول من سنة خمسين وستمائة، تفقهه أولاً بأبيه ثم بمحمد بن أبي بكر الأصبحي، وكان حاكم بلده كما كان أبوه، وكان ينيب القاضي عمر بن سعيد على قضاء صنعاء، ودرس بمدرسة الزواحي بتشديد الزاي بعد ألف ولام ثم فتح الواو ثم ألف ثم حاء مهملة ثم ياء مثناة من تحت، وهي قرية من نواحي بلدهم بها مدرسة أحدثها بعض مشايخ بني وايل[1] وكانت وفاته بصنعاء لسبع بقين من شعبان سنة سبع وثمانين وستمائة، وأما أبو بكر فتَفقّه بأخيه أولاً ثم بصالح بن عمر بالسفال ثم بالفقيه عبدالصمد ثم بأهل المصنعة، ثم صار حاكماً في بلده كما كان أبوه وأخوه، وشهر بطريقة مرضية في الحكم. ولما كانت سنة خمس عشرة وسبعمائة مُحِنْتُ بحسبة زبيد لعدم طول وكثرة عول ودَيْنٍ وعدم طول، فقدمتها وقاضي الشرع بها يومئذ محمد بن سعد عرف بأبي شكيل الآتي ذكره، فلبثتُ أياماً قلائل، وقدم هذا أبو بكر فلبث قاضياً، وكانت ولايتنا جميعاً من قبل القاضي جمال الدين محمد بن الفقيه أبي بكر التعزي، فلبثنا مدة أشهر إلى أن دخل رمضان ثم فصلني عن الحسبة، والحال منه جميل في الحكم، وجعلني قاضياً في موزع، ثم بلغني أنه تغيّر بعد ذلك وحكم بما استحسنه وبما أمره أهل الغرض في حق القاضي أبي شكيل خاصة، ثم حصل عليه بعد ذلك نهب بيته في الحجفة وهرب إلى تربة ذي عقيب، لولا أنه أقام بقضاء القضاة من ليس به غرض، فمشى حاله وفصله عن زبيد وأعاد أبا شكيل على القضاء وهو إلى الآن سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة حاكم بلده، وممن سكن الجرينة القرية التي تقدم ضبطها مع الحجفة وسكنتها جماعة ومنهم أسعد بن يوسف بن أحمد بن الفقيه عمر مقدم الذكر، وهو أول من تديّر هذه القرية وانتقل إليها من الجحفة وفقهاؤها ذريته، وهو باني مسجدها، ولم أتحقق من نعته وتاريخه شيئاً غير ما ذكرت، وكان له أخ

---

(١) قرية الزواحي كما ضبطها المؤلف لا تزال عامرة آهلة بالأهل والسكن أسفل مصنعة خدد المشهورة شمال قرية ظلمة مركز أعمال جبل حبيش، ومسجدها عامر، وقد ذكر هذه القرية الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ص١٠٣ و١٠٤ وغيره والعامر لمسجد الزواحي السلطان القاسم بن حمير الوائلي الحميري كما يأتي ذكره للمؤلف وذكره ابن سمرة.

اسمه أحمد بن يوسف، تفقّه بمحمد بن مضمون بن أبي عمران مقدم الذكر، وأخذ عن ابن أبي سحارة الآتي ذكره، وله ولد أيضاً اسمه محمد بن أسعد، أخذ عن محمد بن مصباح وغيره، وتوفي ببلده، وكانت وفاته آخر أيام التشريق من سنة تسع وثمانين وستمائة.

وله أولاد جماعة قدمت بلدهم للبحث عن أحوالهم، وجدت اثنين منهم: إدريس فيه أُنْسٌ وخير، ثم أحمد أكبر منه امتحن بالعمى وقتله أهل الفَساد في شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة، ثم يوسف أوسطهم هو حاكم ذمار يذكر بولاية القضاء بها من أيام بني محمد بن عمر، وانفصل في أيام الفتنة وانضراب الدول لنيف وعشرين وسبعمائة. . . وممن ذكر ابن سمرة وخلفه ذريّة يُذكرون بالفقه بنو يحيى بن الفقيه فضل الذي تقدم ذكره، فخلفه ابنه يحيى، مولده سنة ستين وخمسمائة، وتفقّه بعبدالله بن سالم الأصبحي وتزوّج ابنته منيرة وله منها أولاد انتشر منهم ذرية تفقّه منهم جماعة ومسكنهم قرية الملحمة فيما مضى، ولهم بها مسجد ينسب إليهم وهو شرقيّها، ويعرف بالمسجد الأعلى، وقراءته للبيان على سليمان بن فتح، وكانت وفاته بقرية الملحمة ليلة الخميس ثالث عشر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وستمائة، وخلّف أولاداً جماعة تفقّه منهم ابنه أبو بكر مولده لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وخمسمائة، تفقّه بأبيه وغيره، وفتح له في العلم بفهم جيّد حتى أدرك منه نصيباً وافراً بحيث كان الفقيه عمر بن سعيد يقول لو سئل أبو بكر بن يحيى عن علم الروح لأفتى به، وكان خيّراً توفي ليلة الاثنين تاسع ربيع الأول سنة خمس وأربعين وستمائة ولم يعقب، ثم عثمان مولده آخر نهار الجمعة لليلة بقيت من المحرم سنة إحدى وتسعين وخمسمائة وكان فقيهاً صالحاً متأدّباً ذا محفوظات له بديهة جيدة، حاضر الجواب نظماً ونثراً. لما قَدِمتُ إلى قومه، وقد انتقلوا عن الملحمة إلى الجبل الذي هو مطل عليها من قبل اليمن، وسكنوا قريتين تعرف إحداهما بالمحيب وهي على قبالة من الملحمة وضبطها بخفض الميم بعد ألف ولام ثم سكون الحاء المهملة وفتح الياء المثناة من تحت وسكون الباء الموحدة[1]، كان هذا الفقيه يسكنها وبها جماعة من ذريته وأهله. والقرية الأخرى تسمى النظاري، بفتح النون بعد ألف ولام والظاء القائمة ثم ألف ثم راء ثم ياء مثناة من تحت. ولما قدمت قرية المحيب أخرج إليّ بعض ذرية الفقيه عثمان شيئاً من كتبه فرأيت على بعضها بخطه، ومن قوله:

---

(١) تقدم ذكرها ولا زالت تحمل هذا الاسم وكذلك النَّظاري سبق لها ذكر.

طـوبى لمن عـاش بعض يـوم ونـفـسـه فـيـه مـطمئـنـه
ولا لـه فـي الـمـلا عـدوٌّ ولا لـخـلق عـليـه مـنّـه

وهذا هو صاحب القصّة المشهورة مع الأمير عليّ بن يحيى وذكرتها خشية أن يقع كتابي مع من لم يكن عَلِمَها، وذلك أن الأمير علي بن يحيى كان على الصفة المتقدمة من الإنسانية والمحبة للفقهاء والفضلاء وصحبتهم كما ذكرته، فقدر أنه عمل طعاماً لجماعة من أصحابه، هذا الفقيه من جملتهم، وعمل فيه ظرفاً مملوءاً لحوحاً[1] وزوماً ووضع بموضع فيه بُعْدٌ عن الفقيه، فلما اجتمعوا على الطعام صار الفقيه يتناول منه فلا يناله إلا بتكلف فأنشد الأمير:

بَعُـد اللحوحُ عن الفقيـه الأوحـد عثمـان خيـر بني البـريّة عن يـد

فأجابه الفقيه مرتجلاً:

تـرد الـمـراسم إن أمَـرْت بـنـقـله ويـطول منك البـاع إن قصرت يـدي

فقام الأمير مسرعاً من مكانه واحتمل الظرف ووضعه بين يدي الفقيه، ثم لما انقضى الطعام جعل الأمير يحدث الفقيه ويقول: يا سيدي الفقيه إني رأيتك تحب اللحوح وقد وهبتك جربتي الفلانية تكون بِرسمه، فقبلها الفقيه وهي جربة تساوي ألف دينار على قرب من الملحمة، هي بيد ذريته إلى الآن، فرحم الله علي بن يحيى ما كان ألطف شمائله وأكثر فضله وفضائله. وقد تقدّم ذكره مع بني مضمون، وكانت وفاته يوم الأحد لثلاث بقين من رمضان سنة ثلاث وستين وستمائة، وذلك بقرية الملحمة مع أبيه يحيى وأخوته أبي بكر وعلي، فقبر الأب وأبناؤه أبو بكر وعلي في فسقية[2] هي شرقي مسجدهم، فلما دنت وفاة عثمان قيل له نقبرك مع أبيك وأخوتك قال لا، إنني أخشى أن أؤذيهم، هم كانوا على طريق كامل من الورع، فقبر بقبر قريب منهم، ثم لما توفي عثمان خلفه برئاسة أهله، واشتهر بالفقه ابن له اسمه يحيى، مولده آخر نهار الجمعة لخمس خلون من صفر سنة سبع عشرة وستمائة، وكان خيّراً ذا دين وورع، نزل من بلده إلى ذي جبلة فدرّس بالمدرسة الشرقية، وكان

---

(١) اللَّحوح بفتح اللام وضم الحاء المهملة ثم واو وحاء مهملة أيضاً: معروف ومستعمل لهذه الغاية، وقد بيّنت صفة عمله في الجزء الأول من تاريخ اليمن الاجتماعي ص١٢٨ وكذلك «الزوم» في ص١٣٠.

(٢) الفسقية: بكسر الفاء وسكون السين المهملة وكسر القاف ثم ياء مثناة من تحت ثم هاء: الحوض يتوضأ منه، وتعرف بالبركة التي طولها قدر إنسان متوسط القامة وعرضها ذراعان أو ثلاثة، وأكثر ما تكون في الحمامات العامة وقرب المخلع للثياب والكلمة مستعملة من الدخيل.

في شهـر ذي العلان[1] فيـطلع بلده فيقف فيها حتى ينقضي الصـراب ثم متى عاد بلده أحاله النائب بنفقة السنة فيرد عليه نفقة الشهرين اللذين غاب فيهمـا واستمر ذلـك إلى عصرنا أن لا يُنفق للمدرّس غيرُ عشرة أشهر لتلك العادة، وكان إذا قيل له يـا سيدنـا لا ترد الشهرين فالمدرسون قبلك كانوا يغيبون أكثر من الشهرين ويأخذون كيلة الجميع، فقال: ﴿لا يُسألُونَ عَمّا أجرمنا وَلاَ نُسألُ عَمّا يَعْمَلُونَ﴾[2] وكـان يصرف مـا يقبضه من الكيلة على المحتـاجين من طلبة العلم وفيمـا يطلبـه أهل الـديـوان منـه خـراجـاً على أرضهِ، وكان مـع ورعه نقـالاً للفروع وعـارفاً بهـا، وتوفي بقـرية المحيب، وبهـا قبره منتصف صفر من سنة ثمانٍ وسبعين وستمائة ثم خلفه ابن لـه اسمه عثمـان كان فقيهـاً خيّراً وله قريحة يقـول بها الشعـر، ومن شعره يجمـع فيه أولي العـزم من الأنبياء بيتـان هما:

أولـو العزم فـاحفظهم لعلك تـرشـد | فـنـــوح وإبــراهيـمُ هـــودُ محـمـــد

وخمّس المديح الذي لابن حمير[3] وهو:

يــا من لعينٍ قـد أضـــرّ بهـا السهـــر | وأضـالع حُـدبٍ طُـوين على الشـرر

فصدّر هذا البيت بأن قال:

قلبي المعنّى صــار حلفـاً للفكــر[4] | وكـذاك سمعي خانني مثـل[5] البصر
ودمـوع عيني بـالمحـاجـر كـالمـطر | يــا من لعين قـد أضـرّ بهـا السهــر
وأضـالع حـدب طوين على الشـرر

وضاهاها بالتخميس، تخميس ابن الظفاري لبانت سعاد[6] وكانت وفاته مبروقاً[7] لأحـد عشر ذي الحجـة من سنة تسـع وسبعمائـة بعد بلوغ ست وثـلاثين سنـة، وقبـر

---

(١) ذو العلاّن ويقال له ذو علان، بفتح العين المهملة وتشديد اللام هـو آخر شهـور السنة الحميـرية، انـظر كتابنا «اليمن الخضراء».

(٢) سبأ ـ ٢٥.

(٣) ابن حمير اسمه محمد، تأتي ترجمته للمؤلف وانظر ديوانه بإخراجنا.

(٤) في «ب» للكدر.

(٥) في «د» هو.

(٦) قصيدة بانت سعاد مشهورة وهي لكعب بن زهير المزني، امتدح بها سيّد الخلق محمد بن عبـدالله ﷺ، وهي مطبوعة ولها شـرح لابن هشام الأنصـاري النحوي، صـاحب «قطر النـدى» وغيره وديـوان الشاعـر المذكور مطبوع بما فيه القصيدة المذكورة وابن الظفاري غير معروف.

(٧) الرجل المبروق الذي أصابه البرق.

بالمحيب إلى جنب قبر أبيه، زرتهما معاً وفقيههم يوم قدمت إليهم حسن بن علي بن الفقيه يحيى بن الفقيه فضل، مسكنه النظاري يدرّس بمدرسة بنتها امرأة فوقفت عليها وقفاً جيداً، وكان صاحب دنيا واسعة، ولما خشي من الظَّلَمة وتعسُّفهم على نفسه وعلى المدرسة لاذ بالفقيه أبي بكر التعزي وتزوج آبنةً لأخيه عمر فكان بذلك مستقيم الحال حتى هلك الوزراء بالتاريخ الآتي ذكره، وحصل عليه بعض تعسّف، ثم لما قدم ولد الفقيه أبي بكر على قضاء القضاة، على ما سيأتي ذكره، ولبث ما لبث ثم ظهر للمؤيد منه ما ظهر صودر هذا وحُبس وعزِّر، وجرى له أمر لا يليق ذكره، ولم تطل مدّته بعده، بل توفي سنة ثماني عشرة وسبعمائة، وكان ذلك تصديقاً للأثر الذي هو[1] «من تعزّز بغير الله ذل».

ومنهم يحيى بن فضل بن الفقيه يحيى مقدم الذكر، ولّاه القاضي محمد بن أبي بكر على طريق عادة حكام الوقت في كراهية من كان قبلهم ونوابهم، وفيهم جماعة منهم سهيل، يذكر عنه مروءة وشرف نفس، ثم المأمون، فقيهان خيّران، لَمّا قدمتُ المحيب قرأ عليّ المأمون ويحيى ومحمد بن عثمان شيئاً من الأربعينات النووية[2] وهذا محمد بن الفقيه عثمان صاحب الأبيات وهو يومئذ شاب مبارك مترشح لطلب العلو ومنهم بنو الإمام ذكر ابن سمرة منهم جماعة وذكرتهم أيضاً ثم تأخر عن زمانهم جماعة منهم الأخوان محمد بن الفقيه عبدالله بن الفقيه سالم الأصغر، ومنهم أحمد بن محمد بن سالم أيضاً وكانا فقيهين خيّرين، لكن أحمد كان يقول الشعر وكانت فيه خفّة، فسُمِّي لأجلها بالمجَن[3] وكان يقول الشعر ويسلك طريق أبي الطيب المتنبّي فيرحل إلى أقيال اليمن وكرامها ويمتدحهم ويأخذ جوائِزَهم، وكان فقيهاً فاضلاً مترسلاً مهذّباً متأدّباً. حكي أنه ترك شيئاً من الكتب مع بعض مشايخ بني عمران في قلعة سير، فعبث بها الفأر عبثاً شنيعاً، فلما جاء لأخذها وجدها مبعثرة، فعمل أبياتاً منها قوله:

مديح الفأر خيرٌ من هجاه ... رجا شيئاً فأدرك ما رجاه
وأعطى ما أراد وما تمنّى ... وأحظى الخلق من يُعْطَى مناه

---

(١) كذا في «د» وفي «ب» بإسقاط الذي هو.

(٢) الأربعون النووية منسوبة إلى العلامة الإمام يحيى النووي المتوفى سنة ٦٧٦ وهي مطبوعة ولها شروح وفي «ب» الأربعينات النبوية.

(٣) لا زالت هذه اللغة سائرة ومعروفة لمن كان فيه هذه الخفة تشبيهاً له بالمجنون.

بـدار الشيـخ أسعـد حيث كـانت أكيتبتي وقـد عـظمـوا وتـاهـوا
وقـالـوا قط لـيس لـنـا مـعـدّاً من الـمخـزان فهـو لنـا بنـاه
إذا مـا الـهـرّ وافـى فـرد يـوم أغـاروا كـلّهـم وجـروا وراه
فـأطبق وهـو في وجـل عـظيـم ولـم يـلفـت وأعـطاهـم قـفـاه[1]
وُحُش[2] لـو استقـام لـهم قـليـلاً لـطاح وأطـعـمـوه إذاً أذاه

وهي أبيات تقارب العشرين لم يعلق بحفظي منها غير ما أوردته، وذكر أنه قـدم المخادر على الشيخ عبدالله بن أسعد بن ناجي فوجده محجباً فقال للخادم استـأذن لي على الشيخ فدخل وخرج وقال: الشيخ بحافة الحـريم، فأخذ ورقـة بيضاء وكتب بهـا بيتين هما:

يقـبُـح بـالـسيـد الـكـريـم أن يقعـد في حـافـة الحـريم[3]
والـوفـد بـالبـاب بـانتـظار نـظامـه غـيـر مسـتـقـيـم

وقـال للخادم أعـطها الشيـخ، وركب من فوره وصـار إلى مقصده، فحين وقف عبدالله على الورقـة شق عليه القـول وعرف من كتبهـا وسأل الخـادم عنه فقـال ناولني الورقة وسار طريق كـذا، فحنق عليه وقـال والله لا يلحقه غيـري ثم ركب دابته ولحقـه بعد ساعة جيّدة فأعاده وأحسن إليه إحساناً كلياً. وذكر بعض المعنيين بأخبار الناس أن المعز بن سيف الإسلام لما خرج إلى مذهب الإسماعيلية وصار مـالكـاً لليمن تشفّـع إليـه أهل مـذهبه بـأن يأمـر الخطبـاء في بلاد اليمن بـأن يقعوا بـالشيخين في الخطبـة ويسبوهما فقـال لا طاقـة لي بالسـواد الأعظم، فقـالوا اعمـل ذلك بجبلة، وكـان أكثر سكنـاه بها، فقـال أستطيـع ولا آمن أن يهجم عليّ العامـة فقالـوا فـأْمُـر خـطيب جبلة بإسقاط ذكرهما، قـال لعل هـذا أهون من غيـره فاستُـدعي بالقـاضي في تلك المدة، وأمره بذلك، وكان ذلك بيد أهـل عرشـان فساءهم ذلـك وشق عليهم وبقوا حـائرين، فوافق ذلك اليوم قدوم هـذا أحمد وقـد بلغه مـا أمروا بـه وأنهم لم يقدروا على التـأخر خوف السلطنة ولا التقدم خوف الشيعة تبقى هذه السمعـة عنهم، فوصلهم هـذا الفقيه وقال لهم أعطوني شيئاً أقضي به ديني، وأسدّ به فاقتي، وأنا أخطب عنكم وأسقط ذكر

---

(١) كذا في «ب» وفي «د» وولى ولم يلتفت وأعطاهم قفاه، وفيه زحاف.
(٢) كـذا في «د» بالحـاء المهملة والشين المعجمة، والحش بـالضم الكنيف وفي البيت زحـاف، وفي «ب» بالمهملتين.
(٣) في «ب» يقبح بالشيخ وفيه زحاف، وقوله أن يقعد كذا في الأصلين وفيه أيضاً زحاف.

الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فسألوه عن دينه فأخبرهم فالتزموا له بذلك وأن يسدّوا فاقته، فلما جاء وقت الخطبة صعد المنبر وخطب حتى جاء موضع ذكر الشيخين فقال: واعلموا رحمكم الله أن ذكر الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليس شرطاً في الخطبة وقد حصل لي ببركتهما كذا وكذا ديناراً وكذا وكذا ذَهْباً[1] من الطعام فعلى مبغضهما لعنة الله ولعنة اللاعنين. وكان الشيعة قد اجتمعوا من أماكن شتّى ليسمعوا بإسقاط الشيخين إلى الجامع (فلما عمل هذا ما عمل)[2] فحين سمعوا ذلك ساءهم وشقّ بهم وقالوا لم يَرض إلاّ سبّنا وذكرهما بأحسن ما كانا يُذكران به، ثم لما خرجوا من الجامع اتفقوا على الرواح إلى بيت المعز وملازمته بالإرسال على الخطيب والأمر له بأن يبقى على العادة المتقدمة، ففعلوا ذلك وفعله المعزّ[3] خشية بقاء سبّ مبغضيهما[4] بعد أن قال لهم والله لقد كنت خاشياً عليكم وعلى الخطيب أن تقع العامّة بكم وبه، وقد سمعت من يذكر أن الخطيب لم يكن هذا وإنما كان رجلاً من أهل صهبان يسمى الصبح والله أعلم بالصواب. وقد عرض معه ذكر عبدالله بن أسعد بن ناجي التباعي، وهو أحد أعيان اليمن وأخيار الزمن، وكان مشهوراً بالكرم وسعة الجود والنعم، له عطايا جمة مسكنه قرية المخادر قد مضى ذكرها، ونال هذا عبدالله وأخوه مكانةً عظيمةً ورزقه الله سماحة نفس وعلوّ همة، بحيث سُمعت له مكارم يطول تعدادها ويكثر إيرادها، وكان قد استماله بعض الإسماعيلية ودخل بمذهبه وصار عليه مع تستّر، فإنه ليوم قاعدٌ في الجامع بالمخادر وهو حافل بجمع من الفقهاء والطلبة، إذ قرأ بعضهم بصوت حسن سورة «المؤمنين» حتى قرأ ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين**﴾[5] إلى أن بلغ قوله: ﴿**ثم إنكم بعد ذلك لميّتون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**﴾ ثم جعل يرددها فحكي أنه بكى حتى غشي عليه، ثم أفاق وتشهّد واستغفر الله تعالى ونزل على طريق السنة[6] لا يبدو منه ما يخالفها حتى توفي، وكان قد حدث له في تلك المدة التي أقام بها خارجاً أولاد

---

(١) الذهب: بفتح الذال المعجمة وسكون الهاء آخره باء موحدة: مكيال معروف كالقدح. ولا زال يستعمل في الجبال ثم انقرض واستبدل بالقدح أما في زبيد فلا يزال مستعملاً.

(٢) هذه الزيادة من «ب».

(٣) كان في الأصلين المعتز والتصحيح مما سبق ومنا.

(٤) كذا في «ب» وفي «د» سقط «سبّ».

(٥) المؤمنون ـ ١٣.

(٦) كذا في «د» وفي «ب» ولم يزل على طريق السنة.

خرجوا عن الإسماعيلية إلى وقتنا وذراريهم في الغالب على ذلك، غير أن الغالب على بني ناجي حيث كانوا السماحة والرجاحة والإحسان إلى أهل القرآن ولهم في بلدهم مدارس حسنة وعليها وقف جيّد لا تكاد تخلو قريتهم عن أهل الخير من أهل الدين والدنيا قَدِمْتها لزيارة صالحيها، فوجدت بها آثاراً يعجب من أقربها من آثار أهل (سَيْر).

ومنهم، أعني بني الإمام، أبو الخطاب عمر بن يحيى بن الفقيه أبي بكر بن الفقيه سالم كان فقيهاً فاضلاً.

ومنهم عبدالله بن محمد بن عبدالرحمٰن الضرغام، به تفقه جماعة منهم: علي بن أحمد الجنيد وعمر بن محمد الجرهمي وابن عمه سليمان وغيره، وهو آخر من تحققته من بني الإمام، وتبعه من أهله سليمان بن علي بن محمد بن سالم (الأصعى)[1] درّس بذي هزيم وغيره بعد أخيه أحمد المذكور في فقهاء تعز، وتوفي أيضاً بتعز، وكان عارفاً بكتاب البيان، أخذه عن جماعة، وتوفي وترك ولداً اسمه عبدالرحمٰن أمَّ مدَةً طويلة بجامع ذي أشرق، تفقّه بعض التفقّه وتوفي على الطلب منتصف القعدة من سنة خمس وعشرين وسبعمائة وآخر فقهاء قريتهم ممن هو في طبقة المذكورين آنفاً جماعة ليسوا منهم.

منهم أبو عبدالله محمد بن أسعد بن محمد بن عبدالله بن سعيد القَرِّي العنسي المذحجي بالنون بين العين والسين المهملتين. نسبة إلى القبيلة المذكورة فيما تقدم. كان فقيهاً عارفاً بالفروع والأصول، وله بكل كتاب منهما تصنيف، ولي قضاء عدن برهة من الدهر، وكان موصوفاً بالورع والفقه، غوّاصاً على دقائقه، عاملاً به. سمعت فقيه عدن شيخي أبا العباس أحمد بن علي الحرازي يذكر هذا الرجل ويثني عليه ثناء بليغاً بالفقه والورع، وكان ممن أدركه وقرأ عليه وأخبرني أيضاً أنه كان يعجبه الاختلاط بالفقهاء والمواصلة لهم. وكان مدرس عدن يومئذ والمعيد وأصحابهما من الطلبة يصلون صباح كل يوم إلى بابه، ويحضرون مجلسه فيلقاهم بالبشر والإكرام ثم إذا اطمأنوا جعل يلقي عليهم المسائل من الكتب التي يتعانون قراءتها. فمن وجده ذاكراً بارك عليه وشكره ووعده بالخير وحثّه على زيادة الاجتهاد، وكان ذا مكارم أخلاق وكرم طباع، قلّما قصده قاصد إلّا وأعطاه ما يليق بحاله، إما من نفسه إن أمكن

---

(١) ما بين القوسين من «د» وساقط من «ب».

أو من جاهه. وكان مع ذلك كثير الصدقة متنزهاً عما يتهم به حكام عدن وغيرهم من الخيانة وكان كثير العبادة. أخبرني شيخي أحمد بن علي الحرازي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى أن الفقيه محمد بن أبي بكر الأصبحي قدم عدن على هذا القاضي، وهو إذ ذاك شاب قد تفقّه، فكان يحضر مجلس القاضي ويستمع إلقاءه، فيجيب مبادراً فيقول القاضي: هذا يخرج فقيهاً، فكان كما قال: ولقد أخبرني الفقيه عبدالملك الورّاق بعَدَن قال أخبرني من أثق به من خبر هذا القاضي أنه كان يتصدّق كل يوم بدينار خبزاً، ولما دخل شمس الدين البيلقاني عدن صَحِبَه وتتلمذ له وقرأ عليه «الوجيز» للغزالي ولم يكن إذ ذاك أظهر شيئاً من معتقده الذي شهر به، فلما أظهره انشقت العصا بينهما، وتهدّد القاضي من حضر مجلسه أو قرأ عليه فتفرّق غالب الناس عنه فصاروا نافرين ومن رغب بالأخذ عنه أتاه سِراً إنْ خشي من القاضي، وكان السلطان المظفّر قد جعله مدرّساً في مدرسة أبيه المنصور، فلم يَهن ذلك على القاضي لما رأى من قصوره في معرفة الفقه ولمباينة المعتقد، فما زال يفكر في إخراجه عن المدرسة حتى أجمع رأيه على أنه يأمر بعض الطلبة يسأله كما سيأتي في ذكر البيلقاني، وكان القاضي هذا من أهل الحمية والعصبية الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، وكان في عدن ناظر يُعرف بالجزري، وكان متعصباً مع البيلقاني وربما كان السبب في إشفاق السلطان عليه فكتب إلى السلطان يتكلم على القاضي ما ليس بحق نصراً للبيلقاني فعاد جواب السلطان إلى الجزري يعده بعزل القاضي في وقت معين فمن شدة فرح الناظر بذلك أخبر بذلك كافور البالكي الآتي ذكره، وكان ممن يصحب القاضي ويحبّه فأخبره بذلك وقال له اجتمع بالأمير عباس وأخبره بما فعل الجزري ففعل ذلك، وكان عباس على معتقد القاضي فشقّ عليه وكتب إلى المظفر ورقة يخبره بصلاح القاضي ودينه وأنه قل أن يستبدل به، ويقول قد بلغني أن بعض من لا خير فيه كتب إلى مولانا يتكلم عليه بما ليس فيه وأنه غير صادق فجوّب له السلطان يقول له: لقد تحققنا ما ذكرت عن القاضي لسنا نسمع فيه كلاماً، فَلْتَطِبْ نفسُك ونفسه واسأله لنا الدعاء أو كما قال، وشقّ على السلطان كون الجزري أذاع ما كتب به إليه من عزل القاضي وأكنّ ذلك في نفسه، فلما جاء الوقت الذي يرقب فيه عزل القاضي ولم يعزل ظنّ أن السلطان قد نسي فكتب إليه يستنجزه الوعد فعاد جوابه يقول له لولا خوف الله لعملنا بهلاكك إذ نفشي إليك سرّاً تذيعه، فكان ذلك آخر مكاتبة جرت من الجزري في حقّه، ثم بعد عود المظفّر من الحج دخل عدن فشكا أهلها من الجزري وفظاظته وجبروته فأمر السلطان القاضي البهاء أن يحاقق بينه وبينهم، فكان ذلك في الجامع،

فقالوا لا نفعل ذلك حتى يكون بأيدينا ذمّة أنه لا يبقى يتصرّف علينا، ففعل السلطان لهم ذلك وحققوا عليه جملة مستكثرة وهمّوا أن يبطشوا به لولا مَانع عنه جماعة من أهل الدولة، ثم صودر وضرب ثلاث مرات فسلّم ثلاثمائة ألف دينار ثم ضُرب وعُصر[1] فلم يقدر على شيء وصارت جاريته وبناته يَدُرْنَ بيوت أصحابه الذين كان يواليهم فيقفلون في وجوههم الأبواب فقدّر أن جاءوا باب القاضي فوجدوه مفتوحاً فدخلوه فحين وقعت عين القاضي عليهم رحب بهم ورقّ لهم وبكى، ثم ناولهم صرّة بها ثلثمائة دينار فضة بعد أن أطعمهم وبرّهم فلما عادوا إلى أبيهم سألهم عن حالهم وأخبروه القصة، فكان بعد ذلك يقول لمن يتحدّث معه وربما ابتدأ ذلك ما البعيدُ إلا ولدُ زنا، وذلك أنني أسأت كثيراً كثيراً إلى هذا القاضي وجرى منه ما هو كذا وكذا، وفي عدن جماعة أصحاب أحسنت إليهم وصاروا أهل ثروة ما أعلم أحداً منهم لما نكبت كان يسلّم عليّ السلام الشرعي، ولو لم يكن لهذا القاضي من المكارم غير هذه لكانت كافية شافية، وله مصنف جيّد في أصول الدين، وسأذكر بعض ما جرى بينه وبين البيلقاني حين أذكره في الواردين إلى عدن. ومكارم هذا الرجل كثيرة، وكانت وفاته بثغر عدن يوم الثلاثاء اثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى وستين وستمائة، وقبر بالقطيع في حياط ينسب إلى آل الفارسي الآتي ذكرهم في أهل عدن إن شاء الله وإلى جنبه قبر جماعة من الحكام الذين توفوا بعده كما سيأتي إن شاء الله، وقد زرت قبره مراراً وتبركت به وقد عرض مع ذكره رجلان من الأعيان، الأول أبو محمد عباس بن عبدالجليل بن عبدالرحمٰن التغلبي أصل بلده جبل ذخر بفتح الذال المعجمة وخفض الخاء وسكون الراء[2] كان ذا مال جزيل وجاه كبير، أكثر ماله من التجارة وكان أكثر الناس صدقة ومعروفاً، وكانت ولايته تارةبعدن وغالبها زبيد وله فيها مدرسة حسنة جعلها ابنه محمد بعد موته وهي الدار التي كانت لأبيه وكذلك في بيت حسين وله بقرية السلامة مسجد وله على كل وقف يقوم به وصدقاته كثيرة، ومعاملته مع الله جليلة بحيث يعزّ حصرها، وكان إذا أقبل الحجاج وهو في بلد مرّوا عنده فيكسوهم ويعطيهم ما يوصلهم بلدهم التي يذكرون أنهم قاصدون لها، وإن كانوا من البلد أعطاهم ما يزيلون به وعثاء السفر، وقد أخبرني الثقة أنه كان يتشبّه بهم جماعة في زيّهم يأتون إليه فيعطيهم ما يليق بحالهم، وله من الآثار المبقية للذكر

(١) العَصْرُ كأنّه بآلة معروفة بإدخال الرجلين في تلك الآلة.
(٢) ذخر كما ضبطه المؤلف تقدم ذكره وأنه الذي يسمى اليوم جبل حبشي وهو غرب جنوب تعز.

مدرسة في بلده ذخر في موضع يعرف بالحُبيل بضم الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت ثم لام[1]، وكانت وفاته بزبيد سنة أربع وستين وستمائة، وخلّف أولاداً رأس منهم محمد، نال مرتبة عند الملك المظفّر ورفع له طبلخانة وجعله من جملة حرفائه، وكان أميراً شهماً فارساً مقداماً، لكن غلب عليه العجب فكثر عليه إلى السلطان وقيل له عنه بأمور لا يحتمل الملوك بعضها، فلزمه وكحّله بزبيد وذلك سنة ثلاث وسبعين وستمائة، وسار إلى بيت ابن عجيل المقدم ذكره، ولم يزل متردّداً بين بيت الفقيه وزبيد إلى أن توفي في رمضان سنة تسع وثمانين وستمائة وخلف أولاداً رأس منهم اثنان أحمد وعباس، فأحمد توفي بعد أن ولي زبيد ونال بعض شفقة من الملك المظفر وذلك لنيف وتسعين وستمائة، وأما عباس فإنه نشأ في صنعاء ;وأمه ابنة الأمير سنجر الشعبي أحد أخيار أمراء الغز، ثم إنه نال من الملك المؤيد شفقة جيدة وقاتل قتالاً جيداً في مخارج كثيرة بان للسلطان ذلك بصحبته، وله وقعات كثيرة أجاد بها ولو لم يكن له إلّا ردّ الإمام ابن مطهر[2] من باب صنعاء وقد أشرف على أخذها هو وأكراد ذمار ثم لم يقف بعد ذلك حتى رفع له المؤيد طبلخانة وأقطعه إقطاعاً جيداً ثم أنه امتُحن بمرض يعرف بالنقرس[3] وطال به سنين فاستحى من أخذ الإقطاع وقلة المخرج فجعل يلازم المؤيد بالاستعادة الطبلخانة والإقطاع فتوقّف مراراً ثم غلب عليه اليأس من عافيته فاستعاد ذلك ثم أقطعه إقطاعاً لطيفاً يقوم باثني عشر ألفاً بسببه، وحصل من حسده على ذلك وحسّن للمؤيد أنْ لا يقطعه إذ هو صاحب مال جزيل، فمال إلى ذلك وهو باق إلى عصرنا يُذكر بالعقل والرجلة[4] في الرأي وغيره وغلب عليه المرض المذكور ومعه ابن لأخيه أحمد اسمه عبدالجليل كان يتولى باب عمه والقيام به أيام الطبلخانة ومنهم بقية بزبيد. . . والآخر من الأعيان هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله الجزري، قدم عدن ونزل في المدرسة المنصورية وكان من أعيان أبناء الجزيرة فعرفه جماعة من التجار وغيرهم وكتبوا إلى السلطان يعلمونه به وأنه من أبناء الناس وأن له خبرة جيدة في الكتابة، فأمره السلطان أن يتولّى ديوان النظر بعدن، ففعل ذلك وكان يلقّب بالفقيه شمس الدين، وقرأ عليه شيئاً من العلم وربما أقرأ في

---

(١) الحُبَيْل كما ضبطه المؤلف واليوم يسمى الحَبْيْل بدون تصغير.

(٢) هو الإمام الملقب المهدي محمد بن المطهر، كان مولده سنة ستين وستمئة وادّعى الإمامة سنة واحد وسبعمئة ومات سنة تسع وعشرين وسبعمئة انظر غاية الأماني وربما يأتي له مزيد ذكر.

(٣) داء النقرس وجع مفاصل الرجلين ويقال إنه داء الملوك.

(٤) الرجلة: بضم الراء وسكون الجيم: بيّن الرجولة وكاملها.

بيته وفي الفرضة جماعة من الطلبة شيئاً من العلم، وكان يعمل في كل يوم سماطاً يحضره جمع من وجوه التجار وجميع الفقراء لا يُمنع أحد، ومع ذلك يواسي كلاً منهم بما سأل وما لاق، وبالجملة أخباره الجميلة كثيرة وكانت فيه مكارم أخلاق ما قصده قاصد فخاب، ولولا أنه كان عسوفاً لكان من أخيار الناس ظاهراً وباطناً، وله مكارم يطول تعدادها، منها ما أخبرني والدي عن الفقيه أبي بكر السرددي أنه قال: كنت بلحج أعلّم لبعض أعيانها فجرى في بعض الأيام ذكر أبي نواس[1] ثم ذكر أبياته ذوات الكافات الثلاث التي يقول فيها:

انعمي بالرضا يا سيّدتي   وامنحينا عسلاً من عككك
ما على أهلك ما ضرَّهُمُ   لو مشينا ساعةً في سككك
ليتني المسواك أو يا ليتني   تكّة منقوشة من تككك[2]

وكنت في مجلس به جماعة يتعانون الأدب، فكل منهم ادعى أنه يطيق مشابهتها فلم يطيقوا حتى قلت أبياتاً منها:

يا دار سلمى ليتني   دكة مفروشة من دككك

من روى الأبيات للجزري فقدّر أني دخلت عدن وعرضت لي حاجة إلى الجزري فكتبت إليه بسببها فحين وقف على رقعتي استدعاني فلما قربت منه حياني وأكرمني وسألني الأبيات فرويتها له وكان تلك السنة قد حج المظفّر وهمّ في عمل مدارية ونسميها في الجبال شجمات وقد تسمى أراجيح[3] وعمل غالب أعيان أهل عدن كل واحد منهم شجمة، شيء يعتاد أهل اليمن عمله لمن حجّ أول حجةٍ وعند نصبها إذا كانت لرجل ذي رئاسة قام الشعراء بأشعار يمدحون عملها أو من عملت له، وضبطها بلغة تهامة بفتح الميم والدال المهملة ثم ألف ثم خفض الراء ثم ياء مثنّاة من

(١) أبو نواس هو الحسن بن هاني الحكمي، ترجمته في ابن خلكان ج١ ص٣٧٣، وفاته سنة خمس وتسعين ومئة وهو الشاعر المطبوع المشهور وديوان شعره مطبوع.

(٢) هذه الأبيات لم أجدها في ديوانه المطبوع بتحقيق أحمد الغزالي ثم اطلعت على ثغر عدن ص٢٤٥ «أن هذه الأبيات ليست لأبي نواس، وقوله من عككك بالضم جمع عكة بالضم أيضاً وهو وعاء السمن أصغر من القربة»، والتكة: بكسر التاء: معروفة وهي رباط السراويل.

(٣) المدارية هي ما تسمى اليوم في اليمن الأعلى (مدرهة) وهي قريبة من لغة تهامة، وأما الشّجمة فهي لغة أهل الجبال، والأراجيح لغة مستعملة وهي جمع أرجوحة وهي بمعنى المدرهة وآلتها واستعمالها للأفراح في أيام العيد عند قدوم الحاج أو غيره قديمة، فقد ذكرت في خبر يعلى بن أميّة والي اليمن أيام الخلفاء الراشدين وقد تقدم ذكره.

تحت ثم هاء، واحدتها مدروهه، وبلغة أهل الجبل بفتح الشين المعجمة والجيم المعجمة والميم ثم هاء ساكنة، فعمل الجزري منها شيئاً باسم السلطان واجتمع الناس حوله فأراد الشعراء القيام، وقد كان أشار إلي أن أكون من جملتهم فأمر من ناداني يا فقيه أبا بكر، يا سردي، فأجبت فقال ادخل، فلما دخلت مقامه قال هات ما عملت، فقمت بقصيدتي في السلطان، فرمى عليّ كسوة جيدة ثم تشبّه به جماعة من التجّار ثم رمى لي بدنانير ذهب فأمال الحاضرون على شيء كثير من الذهب والفضة حتى اجتمع لي كثير من الذهب والفضة والكسوة، وبالجملة مكارمه كثيرة وكانت وفاته لنيف وستين وستمائة، حكي أنّ المظفر لما بلغه شدة وجعه أمر إليه يخبر باطنه ويَعِدُهُ بالخير أنشد:

. . . . وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل[1]

نرجع إلى تتمة فقهاء ذي أشرق، منهم عبدالرحمٰن بن الفقيه القاضي محمد بن أسعد مقدم الذكر، مولده ثامن عشر جمادى الأخرى سنة سبع وأربعين وستمائة، ولي قضاء عدن أياماً ثم كاده تاجر يقال له ابن نكاس بأن كذب عليه إلى الملك المظفر فحمله على الصدق وأمر القاضي البهآ أن يعزله ولم يفلح التاجر بعد ذلك، بل أخرجه الله من عدن وأسكنه بين الكفّار بالهند وصار غلاماً لملك منهم إلى أن توفي هنالك على حال غير مُرضية عند ذوي الدين والدنيا، وأما عبدالرحمٰن فإنه لما انفصل من عدن، وكان ذا عبادة وزهادة واجتهاد في العلم وشهر بذلك، كرهه بعض أهل الوقت وكاده إلى أهل سَيْر القضاة فكرهوه وظهر له منهم ذلك، فلاذ بالملك الأشرف بن المظفر توقّياً لشرّهم فجعله وزيراً له وأحسن إليه فلم يزل معه مجللاً حتى توفي آخر يوم من رمضان سنة اثنتين وتسعين وستمائة.

ومنهم علي بن عمر بن مسعود ابن أخي القاضي مسعود الذي تقدم ذكره وأنه كان جيداً صالحاً ولي قضاء صنعاء برهة من الدهر، وكان القاضي عمر بن مسعود[2] أخاه لأمه، فاستعفى المنصور وكان إذ ذاك مراهقاً، وسيأتي ذلك مع ذكره إن شاء الله، وخج هذا علي بن عمر وعاد إلى زبيد فتوفي بها في شهر صفر سنة ستين وستمائة.

ومنهم عبدالله بن محمد بن إسماعيل المأرَبي الآتي ذكره، كان فقيهاً صالحاً متعبّداً ورعاً زاهداً متقللاً، رأى ليلة القدر مراراً فقال له ولده يا أبي بالله إذا رأيت ليلة

---

(١) لا أعرف صدر البيت وكثيراً ما يستشهد به. (٢) في «د» سعيد وفي «ب» مسعود.

القدر فأدْعُ الله أن يفتح علينا في الدنيا، فقال له أف لـك يا بني، رأيتهـا نيفاً وعشـرين مرة ما سألت الله شيئاً من أمور الآخرة فكيف أسأله أمور الدنيا؟ لقد كنت أعدّك رجلاً، وكانت وفاته بذي أشرق على الطريق المـرضي، ولما دنت وفـاة القاضي عبـدالرحمٰن مقدم الذكر أوصى أن يدفن إلى جنبه لما يعتقده فيه من الصلاح.

ومنهم أبـو الربيـع سليمـان الملقّب بـالجنيـد محمـد بن أسعـد بن همـدان بن يعفر بن أبي النهى، مولده سنة اثنتين وستمائة وذلـك بقريـة العدن[1] من بلد صهبـان، وكان والده فقيهاً فاضلاً تفقّه بمحمد بن علي الحافظ العـرشاني، وأصـل بلدهـم ريمة المناخي وسكن القرية المذكورة وعنه أخذ ابنه وتوفي بهذه القرية سنة خمس وعشرين وستمائة، وأما ابنه هذا فكان سيـداً نبيلاً وامتحن بقضـاء مدينتي اليمن عـدن وزبيد ثم عوفي من الجميع وذكر بعضهم أنه إنما امتحن بذلك لأنه عاب بعض حكام زمـانه في شيء مما هو به فقيل له سنذيقك ما ذاق، فلما امتحن بقضاء عـدن استغفر الله تعـالى وتاب ثم عزل نفسه وعاد بلده فقيـل له عـاد للك قضـاء زبيد فـامتحن به ثم عـزل نفسه وعـاد بلده ثم انتقل إلى ذي أشـرق، وكان الـزاهد العـابـد مقصـوداً للزيـارة مشهـوراً باستجابة الدعوة حتى أن الفقيه عمر بن سعيد العقيبي الآتي ذكره كان كثيـراً ما يـزوره ويأمر أصحابه بزيارته، فذكروا أنه زاره مع جماعة من أصحابه، فلما وصلوه لم يزدهم على القيام وهو على مصلاه والمصافحة لهم وأقعدهم وقعدوا وتحدثوا ساعـة ثم سألـه الفقيه الدعاء فمدّ يده ودعا ثم وادعهم وفارقوه، وكـانوا وقت وصلوا إليـه معهم فاقـة، فحين خرجوا قالوا نجـد في نجد المحـرس أو نجد العكـايف[2] الطعـام يباع فنشتـري منـه، فلما صـاروا إلى الموضعين لم يجـدوا بهما شيئـاً من الـطعـام وأمضّهم الجـوع والتعب فعتب غالبهم على الفقيه الجنيد كونـه لم يطعمهم حتى أراد بعضهم أن يقـول لو كان الجنيد يطعم الطعام لكان أفضل له من العبادة، فزجره الفقيه عمر عن الكـلام وقـال مهلاً المـوضوع محفـوظ، ثم لم يصل الفقيـه ذا عقيب إلا وأصحابـه قـد كـادوا يهلكون جوعاً فأدخلهم بيته وأتاهم بطعام فـأكلوه ثم بعد أيـام عزم على إعـادة الزيـارة فأمر أصحابه الذين خرجوا معه أولاً أن يخرجوا معه ثانياً فأجابوه وساروا معه على كـره إذ لا يستطيعون خلاف الفقيه بعد أن احتملوا طعامـاً معهم وساروا، فلمـا دنوا من ذي

---

(١) قرية العدن كثيرة في مخلاف نعيمة صهبان، فلا ندري أيّها يقصد.

(٢) نجد المحرس: بفتح الميم وسكون الحاء المهملة ثم راء وسين مهملتين هو الذي أسماه الهمـداني في صفة جزيرة العرب نقيل نخلان، لأن منه ننزل إلى وادي نخلان ويواجه قريـة المشراح السيـاني، ونجد العكايف فيما بين عرشان وبردان معروف ونجد المحرس يطلق عليه إلى اليوم.

أشرق خرج الفقيه فلقيهم وسلم عليهم سلاماً مكملاً بالبشر والأنس وصار كلما مرّ منهم ثلاث أربع خطوات أقبل عليهم ورحب بهم وأهّل وسهّل ثم أدخلهم منزله وأتى لهم بطعام كثير فأكلوا حتى اكتفوا فلما غسلوا أيديهم سألوه أن يدعو لهم فدعا لهم ثم استودعوه وخرجوا عائدين، فقال الفقيه عمر لأصحابه في أثناء الطريق: ما بقي سليمان يترك الإطعام أبداً، وكانت له كرامات يجلّ قدرها عن الحصر وببركته وإشارته عمل الطواشي مختص المطاهير بجامع ذي أشرق، وكانت وفاته على الحال المرضي بالقرية المذكورة حيث انتقل ظهر الأربعاء منتصف صفر من سنة أربع وستين وستمائة وقبر بالعدينة حيث قبر بنو الإمام، وهي بفتح العين وخفض الدال المهملتين وسكون الياء المثناة من تحت وفتح النون وسكون الهاء[1] وهي مقبرة كبيرة قديمة شرقي القرية، فقبر بها جمع من الأخيار، وخلفه ولدان أدركتهما: أحمد أكبرهما، وكان متعبداً يحب العزلة وهو موجود في سنة ست وعشرين وسبعمائة، والآخر اسمه عمر، تفقّه بسعيد العودري الآتي ذكره، وكان هو السبب في انتقاله إلى ذي أشرق، وكان صالحاً ذا كرامات، وكانت وفاته ثامن المحرم من سنة خمس عشرة وسبعمائة وقبر إلى جنب قبر أبيه في المقبرة المذكورة.

ومنهم أبو الحسن علي بن الفقيه أحمد بن الفقيه محمد بن منصور الجنيد الذي ذكره ابن سمرة، وقال توفي بالسرين عائداً من الحج، كان عليّ هذا تقياً خيراً تفقّه بحسن بن راشد وبعمر بن يحيى والإمام مقدم الذكر وغيره، ثم امتحن بقضاء ذي أشرق وإليه انتهى تدريسها، فذكروا أنه كان يوماً بمجلس التدريس إذ قال لأصحابه: اليوم نحن فقهاء وغداً نكون صوفية، فلما كان اليوم الثاني قدم إليه رجل من أهل بعدان، صوفي من أصحاب الشيخ عمر بن المسنّ يقال له حبريل[2] فقال له يا علي كن معنا، ومدّ إليه يده فحكّمه ثم نصبّه شيخاً، وأذن له في التحكيم، وكان الفقيه أبو بكر التعزي إذ ذاك في أول ظهوره وتعرُّضه للشهرة وتظاهره بصحبة الصوفية ومحبتهم، وهو شاب، فوصل إلى هذا الفقيه وتتلمذ له في التواضع، وكان من أظرف الناس في اجتلاب القلوب عليه، فأحبه الفقيه على أنه صار يتواضع له ويعظمه ثم جلبه إلى تعز وتلطّف له بتدريس المدرسة الأسدية بمغربة تعز، فأجابه إلى ذلك ونزل فدرّس بها

---

(١) العدينة: كما ضبطها المؤلف إلا آخرها، فهو حسب العوامل، وهذه المقبرة تحتفظ باسمها إلى هذا التاريخ وهي على يسار الطالع إلى إب على طريق السيارة، وهناك قبة بيضاء مجصصة على أحد قبور العلماء.

(٢) كذا في الأصلين بالمهملات.

مدة، وعجب الناس من ذلك أشد العجب إذ كانوا يرون الفقيه لو تُعرض عليه الخلافة لأعرض عنها وعلموا أن ذلك سلامة باطن منه واستدراج من الفقيه أبي بكر، ولم يزل على تدريس المدرسة المذكورة حتى توفي مستهل الحجة من سنة ثمانين وستمائة بعد بلوغ عمره أربعاً وخمسين سنة.

ومنهم أبو الخطاب عمر بن سعيد بن محمد بن علي الربيعي الكعومي الجميلي، مولده على رأس ستمائة، وكان فقيهاً محدِّثاً أخذ عن أخيه لأمه علي بن عمر مقدم الذكر وعن غيره من العلماء الذين يجتمع معهم بصنعاء، وغيرها من بلاد اليمن، عُرضت ولايته لقضاء صنعاء حين عزل أخوه نفسه واعتذر، وكان من أفصح الناس الخطبة وأحسنهم رواية للحديث والتفسير ومتى حضر مجلساً لم يبق لأحد فيه قدر يتكلم بشيء دونه، وكان حافظاً للفقه والتفسير، لديه معرفة بالفقه لائقة، وكتب إلى المستعصم[1] آخر خليفة ببغداد يَسأله أن يأذن له في الحكم بصنعاء ونواحيها فوصله خطه بذلك فكان القاضي البهاء لا حكم له في شيء من تلك النواحي من رأس نقيل صيد[2] حتى تجاوز عمل السلطان المظفر إلى خلف صنعاء فكانت بينهما بذلك مكارهة، وكان يهم بحرقه وكسر حرمته فلم يستطع ذلك، وكان هذا القاضي مع اشتغاله بالقضاء راتبه كل يوم ثلث القرآن، وكان رزقه على القضاء ورزق حكام الجهة من الجزية ولم يزل على ذلك إلى أن توفي، فلذلك صار منذ توفي آمر الجزية يستند عليه القضاة الأكابر كقضاء القضاة والوزراء إلى عصرنا، وكان حسن السياسة أحكامه كما شرط: ليّناً من غير ضعف قوياً من غير عنف، مع كثرة صيام وقيام، وكان متعصباً للسنة مجانباً لأهل البدعة، وكان المظفر يعظمه ويجله، وبذلك عجز القاضي البهاء عن إسقاطه ولم تزل جزية اليهود وجامكية من جاء معه[3] إلى أن هلك فأخذ بنو عمران الجزية إليهم وجعلوا لحاكم كل بلد جامكية من الوقف وربما جعلوه من مال الديوان، واستمروا على ذلك هم وكل وزير جاء بعدهم، فصار الحكام هنالك يأخذون ما لا يحل لهم ويمنعون ما هو لهم حلال، فهذه سنة رتّبها بنو عمران غالباً واحترزت

---

(١) المستعصم بالله اسمه أبو أحمد عبدالله بن المستنصر بالله العباسي مولده سنة تسع وستمئة، وبويع له بالخلافة عند موت أبيه، كان متديناً متمسكاً بالسنة، إلا أنه لم يكن حازماً يقظاً، وقتله التتار في بغداد سنة ست وخمسين وستمئة وبه انتهت الخلافة العباسية في بغداد، انظر تاريخ الإسلام وغيره كتاريخ الخلفاء.

(٢) نقيل صيد هو نقيل سمارة وقد تقدم ذكره.

(٣) كذا في «ب» وفي «د» وجامكية من جماعة والجامكية المرتب الشهري والكلمة من الدخيل.

بالغالب عن البلاد اليمنية، كإب وجبلة والجند وتعز ونحوها، فإن تغيير ذلك كان من المظفر كما سيأتي بيانه مع القاضي عباس بذي جبلة، وكان هذا القاضي له جاه (جيد) عند ملوك بني رسول وأمرائهم، وكانوا محسنين إليه، وكان ذا دنيا متسعة اتساعاً كلياً، اشترى أرضاً كثيرة في السحول والشوافي وغيرهما، وكان كثيراً ما ينزل ويقف عندها ويستوطن أشهراً بمدينة إب وغيرها من اليمن الأوسط، ومن عجيب ما جرى له أنه كان قاعداً مع الأمير الشعبي في دار السلطان بصنعاء إذ خرب عليهم الدار ومعهم جماعة منهم محمد بن حاتم وأخوه ومحمد بن بدر صهر الشعبي فمات الجميع لم يخرج منهم أحد من تحت الهدم وهلك الباقون غير هذا القاضي ومحمد بن حاتم الهمداني، فكان القاضي يقول لما تهور الدار رأيت رجلاً كبير السن قد التقى عني خشبة وسحقا[1] سقفهما علي فلم يصلني الهدم فقلت له من أنت الذي منّ الله عليّ بك في هذا الوقت؟ فقال: إبراهيم الخليل، وكانت وفاته تقريباً على القضاء بمدينة صنعاء سنة خمس وثمانين وستمائة تقريباً، وقد أخذ عنه جماعة من أهل صنعاء وغيرهم وله ذرية كثيرة لم يقم أحد منهم مقامه وهو أكثر القضاة ذرية وأكثرهم رواجاً في صنعاء وإب وغيرهما.

ومنهم عمر بن محمد بن علي الجرهمي من قومٍ بالقرية يقال لها الجراهمة[2] تفقّه بعبدالله بن الإمام مقدم الذكر وبعلي الجنيد ولي قضاء ذي أشرق وكان فَرَضِيّاً عارفاً بعلم المواريث وتوفي بها سنة خمس وستمائة.

ومنهم سعيد بن عمران بن سليمان العودري تفقه بشيخي أبي الحسن الأصبحي الآتي ذكره، وكان قد انتقل من الذنبتين ودرّس بمدرسة الحرة حلل التي تقدم ذكرها مع ذكر علي بن يحيى الأمير، وكنت له الواسطة بذلك مع القاضي عبدالله بن أسعد بمكاتبة شيخي له فلبث بها سنين قلائل ونقل الفقيه عمر بن الفقيه سليمان الجنيد المقدم ذكره إلى ذي أشرق لأنه كان راغباً في قراءة العلم عليه إذ قام مدة يختلف إليه من ذي أشرق إلى المدرسة ثم صعب ذلك على الفقيه عمر فجعل له سبباً من وقف معهم بذي أشرق نظرهم عليه وهو من وقف الطواشي مختص فانتقل الفقيه إلى ذي أشرق وزهد بالمدرسة ولم يزل ساكناً بذي أشرق حتى توفي عقيب موت شيخه أبي الحسن بأيام وذلك سنة ثلاث وسبعمائة في المحرم وقبره بالمقبرة المذكورة مع

(١) كذا هذه العبارة في الأصلين ولعلها سجف: بالفاء.
(٢) قرية الجراهمة لا تعرف اليوم.

الفقهاء، وأصل بلده جبل يقال لـه العود: بعين مهملة مفتوحة بعد ألف ولام وسكون الـواو ثم دال مهملة[1] وكان أحمـد بن عبدالله اليحيـوي بها ودرّس وكـان ذاكـراً للفقـه فاضلاً تـوفي لنيف وسبعمائـة ثم درّس بها يحيى بن محمـد بن أبي الرجـا ثم آخر من تحققته الفقيه حسن بن محمد العماكري انتفع به جماعة من أهل القرية، وتـوفي على ذلك بقريته على ما سيأتي تاريخه إن شاء الله تعالى.

وذكر ابن سمرة جماعةً في الطلبة أيضـاً منهم أحمد بن مقبـل ذكره مـع ذكر ابن أبي اليقظان المذكور في أهل السفال وعبدالله بن زيـد العريقي. فـأما أحمـد فهو ابن الفقيه مقبل الدثيني مقدم الـذكر، مـولده سنـة ست وخمسين وخمسمائـة بذي أشـرق سكنها مدة ثم انتقل إلى موضع يسمى عرج (وزن فعـل: بفتح العين)[2] اشتـراه، وهو أول من أسّس قريته وتفقّه بالإمـام سيف السنة ويـزيد بن عبـدالله الزبـراني وغيرهمـا، وكان فقيهاً حافظاً محققاً مدققـاً وتصنيفهُ لكتـاب الجامـع يدلّ على ذلـك، وبه تفقّـه جماعة منهم عمر بن الحداد والشكيل وابناه محمد وأبو بكر وكتابه الذي صنّفه موجـود مع ذريته بـالموضـع المذكـور، وله في أصـول الفقه كتـاب سماه الإيضـاح وله شـرح المشكل من كتاب اللمع، وكتابـه الجامـع في أربعة مجلدات كبـار يزيـد حجمه على المهـذب وهو أحـد الفقهـاء الـذين ذكـرت ذراريهم بحيث أن ذريتـه الآن تـزيـد على الأربعين رجلاً سوى النساء، وهم مجتمعون بالموضع فيهم خير يقومون بالوارد إليهم، لكن شغلوا بالازدراع وغيره من أمور الدنيا، وامتحن هذا أحمد بقضاء عـدن وعاد بلده فتوفي بها سنة ثلاثين وستمائة، وخلفه ابنه محمد مولده سنة ست وسبعين وخمسمـائة تفقّه بأبيه كما قدمنا، وهو أحد مدرسي المدرسة المنصورية بالجنـد وتفقّه بـه جماعـة من أهلها، وعاد بلده فتـوفي بها سنـة أربعين وستمائـة فقبر إلى جنب قبـر أبيه ولـه أخ اسمه أبو بكر مولده سنة خمس وسبعين وخمسمائة وكـان فقيهاً فـاضلاً وخـطيباً كـاملاً ولي خطابة زبيد سنين ثم توفي بها سنة اثنتين وأربعين وستمـائة ثم خلفـه بقريتهم ابن له اسمه عبدالله بن أبي بكر مـولده سنـة ثمان وستمـائة وتفقـه بجدّه أحمـد وزميله في الـدرس عمر بن الحـداد الآتي ذكره، وعـرض عليه بنـو عمران أن يتـولى قضاء عـدن حيث كـان جده فكـره وامتنع وكـانت وفاتـه بقريتـه المذكـورة في رمضان سنـة إحدى

---

(١) العود: كما ضبطه المؤلف وهو مخلاف مستقل مشهـور ينسب إلى العود بن عبـدالله بن الحارث بن ذي أصبح انظر الاكليل ج٢ ص١٦٦.

(٢) قد تقدم ذكر عرج.

وثمانين وستمائة وخلفه ابن له اسمه محمد هو عين أهله دِيْناً وعقلاً ورياسة، فقدمت بلدهم سنة سبع عشرة وسبعمائة فوجدت له مكارم أخلاق وليس فيهم أحد يشتغل بالفقه فأذكره لكن محمداً هذا من أعيان الناس وعقلائهم، وأهل بلده ونواحيها يرجعون إلى قوله، وهو الذي أخرج لنا شيئاً من كتب أهله تتبعت منه التاريخ، وأما عبدالله بن زيد فهو عبدالله بن زيد بن مهدي العريقي من أعروق أُيَامَه برفع الهمزة وفتح الياء المثناة من تحت ثم ألف ثم فتح الميم ثم هاء ساكنة وهي قرية على قرب من حصن الشذف[1] بها قوم هذا الفقيه وفي القرية سدّ متغيّر كلما أصلح تغيّر ينقل قدماؤهم أن سبب ذلك أنه امتلأ ماء في أول مرة فأتاه جماعة من صبيان الحي وفيهم ولد للفقيه فسقط إليه ومات فيه فقيل للفقيه ذلك فقال لا بارك الله به من سدّ، فانشق وهو كلما أصلح من جهة فسد من أخرى، وكان تفقّه هذا عبدالله بابن أبي اليقظان كما ذكر ابن سمرة، وقد ثبت أنه أخذ وتفقّه على الإمام سيف السنة وأخذ روايته للحديث والفقه عنه، وكان دقيق النظر ثاقب الفطنة، اتضح له في مسائل الخلاف ما لم يتضح لفقهاء الوقت، إذ غلب عليهم تقليد مذهب الشافعي فذهب في المسائل التي خالف بها إلى أقوال أئمة معتقدين ظهر لهم قوة الأدلة فيما ذهبوا إليه، وذلك بخلاف مذهب أحمد بن حنبل وداود ونظرائهم فأنكروا عليه بغير إنصاف إذ لم يطيقوا الإنكار على غيره ممن قال بقوله إذ أكثر ما فعلوا بالإنكار عدم قبول قوله وعندما يوردون مسألة فيها خلاف أوردوا خلافه ولم يتعرضوا له بسبب بل يعظمونه ويثنون عليه بما ينبغي الثناء به على أهل العلم، فالعجب للمتأخرين كيف لا يقتدون بالمتقدمين في ذلك. وهذا الفقيه كان مشهوراً بالعلم والصلاح وإذا نظر الناظر في مصنَّفاته علم غزارة علمه وجودة فضله وله عدة مصنفات في الفقه والأصول، وكان نظيف الفقه، توفي تقريباً في عشر الأربعين وستمائة في جامع الصردف معتكفاً، إذ كان كثير الاعتكاف وقبره بحياطة شرقي المسجد، زرته في آخر المحرم سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ثم زرته بعد ذلك مراراً في أوقات متفرقة ولم يكن اعتكافه إلا بعد خلوّ الصردف عن السكان.

وممن عدّه ابن سمرة أيضاً في الطلبة محمد بن أبي بكر بن مفلت وقد تفقّه بمحمد بن موسى يعني المذكور أول ذكر أصحاب صاحب البيان، فلما اجتمعت ببعض ذريته، وكان منهم جماعة يسكنون الجند منهم شخص توفي سنة خمس

---

(١) قرية أُيامة: كما ضبطها المؤلف إلا آخرها فعلى حسب العوامل، وهي اليوم خراب، وأما حصن الشذف فمعروف ومشهور فوق قرية جرانع وهو أيضاً خراب وسيأتي ذكره للمؤلف وضبطه.

وعشـرين وسبعمائـة، سألتـه عن نسب هذا الفقيـه فقال: هـو أبو بكـر بن مفلت بضم الميم وفتـح الفـاء والـلام وتشـديـدهـا وسكـون التـاء المثنـاة من فـوق[1] بن علي بن محمد بن إبراهيم بن سعيد بن قيس الهمداني نسباً والجحافي بلداً نسبه إلى جبل هـو من أكبر جبال اليمن وأكثرها عرباً يقال له جُحاف: بضم الجيم وفتح الحاء ثم ألف ثم فـاء[2] والسعيدي نسبة إلى جدهم سعيـد المذكـور وهو أحـد أصحاب علي كـرم الله وجهه[3] قدم محمد بن أبي بكر إلى سير فتفقّه بها على محمد بن موسى ثم سكن قرية أنامر: بضم الهمزة وفتح النون ثم ألف ثم ميم مخففة ثم راء ساكنة[4]وهي إحدى قرى العـوادر القديمـة المعتمدة ولـه بهـا ذريـة إلى الآن، منهم حكـام القـريـة المعـروفـة بالأنصال. قال ابن سمرة وكانت وفاتـه سنة سبـع وسبعين أو ثمان وخمسمـائة ثم لمـا توفي خلفه ابن له اسمه علي كان فقيهاً صالحاً كثير الحج يقال: إنه حج نحواً من أربعين حجة، وكان مشهوراً بالصلاح والعبادة واستجابة الدعاء ولما توفي خلف جماعة من أولاده منهم ابنه عيسى، تفقّه بالمصنعة وولاه القاضي أحمد بن أبي بكر قضاء الجند فلبث قاضياً بها خمساً وأربعين سنة لم يذكر عنه ما يذكر عن غيره من الحكام، بل يذكر بالورع والدين والعفـاف والكفاف وكـان يحب العلم وأهله، وكان حـافظاً لكُتـاب الله تعالى وحـافظاً لكتاب المهذب عارفاً بـه، وهو أحـد من يعدّه الفقهـاءُ من حفظة المهـذب، وكان إذا دخل الجَنَد طالبُ علم أحبه وأهَّله واجتهدَ معه بحصول سبب يقوم بحاله، وكـان متى حضر مجلساً لم يكن لأحد معه قدر يتكلم ولم تأخـذه في الله لومة لائم، يقـول الحق ولو على نفسه، ولما أراد المظفر أن يتزوج بابنة الشيخ العفيف استدعى بهـذا القاضي فلم يعقد له حتى استكملت شرائط العقد ولم يتساهل من ذلك بشيء فأعجب المظفر بذلك وقـال لو كـان متساهـلاً بشيء في حكمه لتسـاهل معنـا في مرادنـا، وكان عنـده معظّماً، وذكر عنده القضـاة والمُنْكِحون[5] فقـال كل نكـاح لا يكون بحضـرة القاضـي عيسى حاكم الجند لا يكاد يوثق بصحته أو كما قال، وكانت جامكيته من جزية اليهود

---

(١) بل على حسب العوامل.

(ق) وجحاف: كما ضبطه المؤلف وهو جبل عال منيف يقع جنوب غرب قعطبة وشرق جنـوب جبل الحشـاء وقومه من حمير وقد يقال فيه اليوم بفتح الجيم.

(٣) انظر الجزء العاشر من الاكليل ص٤٦٠ و١٤١/٢ فيما هنا غلط.

(٤) أنامر: هي قرية شبه مندرسة في سورق.

(٥) أي الذين يتولون عقود النكاح.

في الجَنَد وهي خمسة عشر ديناراً وله أرض على قرب مدينة الجند وأرض ببلده يأتيه منها ما يقوم بحاله وكان غالباً على حاله المسكنة، وكثيراً ما يُدان وقل أن يدان من أهل الجند تورعاً، ليس كما نرى من حُكَّام الوقت، يدخل الحاكم فقيراً فيصير غنياً في أقرب مدة، وهذا جلس خمساً وأربعين سنة ومات مديوناً عليه نحو من ستمائة دينار، وعمر فوق مئة سنة لم يتغير له عقل ولا اختل له فهم، يحضر المجالس االفقهية والمواكب الملكية يستضاء برأيه وينتفع بعلمه، وكانت وفاته على القضاء المرضي بالجند ليلة الأربعاء حادي عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين وستمائة وقبر تحت جبل صرب[1] زرت قبره مراراً لما ذكر لي من خبره وإلاّ فغالب الحكام تنفر النفس منهم أحياء فكيف أمواتاً؟ وذلك والقضاء بيد محمد بن أسعد الملقب بالبهاء المقدم الذكر فلم يستنب بالقضاء أحداً غير أخ له اسمه حسان وهو أصغرهم وقد تقدم ذكره مع أهله فاستولوا على القضاء والخطابة واستنابوا على وقف المسجد والمدارس من شاءوا ولم يزل حسان على القضاء حتى توفي القاضي محمد بن علي الآتي ذكره صاحب تعز فنقل القاضي البهاء أخاه حسان عن الجند إلى تعز وتركا الجند لعبدالله خطابة وحكماً واستنابة ولم يزل على ذلك حتى نزع القضاء منهم على الصفة المتقدمة وخلّف القاضي عيسى ولدين هما إبراهيم ومحمد فإبراهيم تفقه بأبيه ثم بفقهاء المصنعة ثم بعمر بن مسعود الأبيني بذي هزيم، ثم بإحدى الوزيرتين وربما كان بهما ويأتي ذكر الجميع إن شاء الله تعالى.

وكان فقيهاً كبيراً وهو آخر من يُعدّ فقيهاً من بني مفلت على ما بلغني، وكانت الجند مورداً للعلماء ومقاماً للملوك فكان يأخذ عن كل من وردها من العلماء واكتسب علوماً جمة منها الفقه والأصولان، وكان معظماً عند أهل الدولة والبلد، وكرهه بنو عمران لأنه كان لا يتخضّع لهم ولا يلتفت عليهم ولا إليهم[2]، وكان في أيام أبيه يدرس بالمدرسة الشقيرية فأخرجوه عنه ووقف بالجند متقطعاً عن الأسباب، وكان بيده أرض باعها على شخص فأمروا عليه وأكرهوه في دفع الثمن ورغّبوه في الأفساخ ففاسخه ثم كانوا يذكرون للسلطان عنه أموراً قبيحةً هو منزّه عنها لا غرض لهم بذلك غير إسقاطه عن عين السلطان فحصل بذلك بعض صورة عنده، وكان قد استفاض بين

---

(١) جبل صرب بالتحريك آخرُه باء موحدة معروف جنوب شرق المدينة الحالية بنحو نصف ميل.

(٢) في «ب» ولا يلتفت إليهم ولا عليهم.

الناس علمه وصلاحيته فذكروا أن المظفر قعد يوماً في مجلس حافل بِقَصْرِ الجند مع جماعة من أعيان دولته الحرفا[1] لم يكن الوزير فيهم فذكروا الجند ومن بها من الفقهاء فذكروا هذا إبراهيم فقال السلطان يا ناس إنه يذكر عنه أمور لا تليق وكان ابن الجنيد من الحاضرين فقال: يا مولانا أنا أخبر بهذا الرجل وأنه فقيه الشافعية لكن صار له أعداء يحسدونه ويكذبون عليه ويتركون من يكذب عليه كراهة له فوقع ذلك في قلب السلطان وغلب عليه، ثم أمر ولده الأشرف أن يستدعيه إليه ويقرأ عليه ففعل ذلك ولما حضر وجده فقيهاً كاملاً ورجلاً فاضلاً فلازمه على أن يكون له وزيراً فلم يقبل فجعل له افتقاداً جيداً في كل سنة وكان يغلب عليه ما قال صللم تمعددوا واخشوشنوا وكان لبسه القطن، وتفقه عليه جماعة من أهل الجند منهم أبو بكر بن فليح وابن المغربي أبو بكر ووالدي، وأخذ عنه شيخي أبو الحسن الأصبحي وجمع كبير، وكانت وفاته بالجند أيضاً مستهل ربيع الأول من سنة تسعين وستمائة وكان والدي إذ ذاك في الجند حاضراً قد طلعها من زبيد لاستعادة مدرسة ابن عباس فلما نزل زبيد لاطلاع أولاده تقدم إلى الإمام ابن عجيل وأخبر بموته فقال الفقيه قد بلغني ذلك وصليت عليه في جماعة، وقبر إلى جنب قبر أبيه، وأما أخوه محمد فكان حافظاً لكتاب الله تعالى من أحسن الناس لهجة به. من سمعه يقرأه استعذب ذلك وطرب له، رتّبه بنو عِمران إماماً بالجامع بعد أبيه وكان يتخضّع لهم ويتودّد إليهم ولم يكن لديه فقه شاف، فكان بنو عمران يركنون إليه لذلك ويقولون: هو لا يروم ما يروم أخوه فلبث إماماً بالجامع حتى انفصلوا عن القضاء ولبث بعدهم إماماً نحو سنة ثم فصله بنو محمد بن عمر، فلبث منفصلاً مدة سنين، ثم توفي بالجند لتسع وسبعمائة تقريباً، وخلف ابناً اسمه عيسى كانت أمه من بني الأمجد الكتاب فغلب عليه اللبن فطلع كاتباً من كتاب الحساب وهو الذي ذكر أولاً أني أدركته، وبقيت لابن مَفلت ذريةٌ ببلد العوادر منهم بقية بقريتهم أنامر المتقدم ذكرها ولما خربت القرية انتقلوا إلى جبل سوْرق، ومنهم فقهاء الأنصال وحكامُها والغالب عليهم أن ليسوا فقهاء، بل يسمّون بالفقهاء استصْحاباً للاسم كما يسمى اليتيم بعد بلوغه.

انقضى ذكر من حققه ابن سمرة في جزيرة اليمن من الفقهاء ومن كان بعصره طالباً ثم لم يبق غير يسير إما لسهو أو ليجعلهم مع من تأخر من ناحيتهم بمكان واحد وهم جماعة أفردهم بالفصل الذي ختم به كتابه وجعله مختصاً بذكر القضاة وقد أدخل

---

(١) كذا في الأصلين مهمل الحروف ولعله من الحرفة بالكسر: الطعمة والصناعة يرتزق منها.

جماعة غيرهم فيه ليسوا بقضاة وأنا أنبه على ذلك إن شاء الله.

فمن أهل الجبال جماعة منهم أهل الصفة في الفضل منهم علي بن يحي[1] العريقي وأحمد بن موسى العريقي وعلي بن حسن الجعدي، ومن دمت الفقيه علي بن جسمر وأخوه أبو السعود بن علي ومحمد بن حسين وأخوه أبو بكر وعبدالله بن محمد بن عبدالرزاق وولده عبدالرزاق ومحمد بن أحمد بن أبي عثمان بن أسعد بن سالم بن دحيم وابنه عبدالله من أصحاب محمد بن موسى العمراني. ومن بنا: بفتح الباء الموحدة والنون ثم ألف بجهة مشرق اليمن[2] جماعة منهم عمر بن محمد الحضرمي ثم أسعد بن مسروق بن فتح بن مفتاح الصليحي بالولاء وهو ابن أخي سليمان الفقيه سليمان بن فتح مقدم الذكر قال ابن سمرة: سمع يعني هذا أسعد بقرآتي الترمذي على شيخي أبي بكر بن سالم الإمام بذي أشرق وذلك سنة سبعين وخمسمائة ومن أحاظة البلد الذي كان بها الفائشي كان بها جماعة من الفقهاء غير من تقدم منهم، ومنهم محمد بن الفقيه علي بن الإمام زيد بن الحسن الفائشي وابن عمه الحسن بن الفقيه قاسم فمحمد ذريته قضاة حرض في عصرنا، ومنهم محمد بن عمر الزوقري، وعبدالله بن مسلم الكشيش وأسعد بن مرزوق بن أسعد مسكنه (الصوم) وأحمد بن أبي القاسم فقيه شاعر.

انقضى ذكر من ذكره ابن سمرة في أهل الجبال ونواحيها ما خلا عدن ونواحيها ثم حضرموت ونواحيها ومرباط وهي مدينة قديمة كانت على الساحل قبل ظفار وموضعها من ظفار على مسافة مرحلة أو مرحلتين، وضبطها بخفض الميم وسكون الراء وفتح الباء الموحدة ثم ألف ثم طاء مهملة سميت بذلك لكثرة ما كان يربط بها من الخيل[3] ثم لما سكنها قوم من الصيادين يعرفون بالمرابطة طاوها وطاء والمخرب لها أحمد بن محمد الحبوضي بعد قتال المنجوي وهو الذي بنى ظفار في ساحل اسمه جردفون بفتح الجيم وسكون الراء وفتح الدال المهملة وضم الفاء ثم واو ونون[4]. فأبدأ حينئذ بذكر من عمّت بركته وانتفع الناس بتصانيفه، وهو أبو عبدالله

---

(١) في «ب» محمد.

(٢): بنا ويقال له وادي بنا وهو أحد أودية اليمن المشهورة بكثرة الغيول والينابيع ويقع جنوب مدينة يريم نسب إلى بنا بن حصبان بن حذيفة، انظر الاكليل ج٢ ص٣٤٢.

(٣) مرباط كما ذكر المؤلف بالضبط المذكور، وهي قديمة الاختطاط.

(٤) وظفار هذا هو الذي يسمى ظفار الحبوضي وهو أحد الأسماء التي تعرف بهذا الاسم وأشهرها ظفار

محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي علي القلعي قيل بفتح القاف وسكون اللام نسبة إلى قلعة حلب المدينة المعروفة بالشام[1] وقيل: بفتحهما نسبة إلى قلعة بلدة بالمغرب[2] وقيل: غير ذلك كان فقيهاً كبيراً لم يبدأ ابن سمرة في الفصل الأخير بعده إلا به أثنى عليه وله مصنفات عدة انتفع الناس بها، منها قواعد المهذب ومنها مستعرب ألفاظه ومنها إيضاح الغوامض من علم الفرائض، مجلدان جيدان جمع به بين مذهب الشافعي وغيره وأورد فيه طرفاً من الجبر والمقابلة والوصايا، وله احتراز المهذب الذي شهد له أعيان الفقهاء أنه لم يصنف في اعتزاز له نظير أوله لطائف الأنوار في فصل الصحابة الأخيار وله كنز الحفاظ في غريب الألفاظ أعني ألفاظ المهذب وله تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة وله كتاب أحكام القضاة مختصر، ويقال إن مصنفاته أكثر مما ذكرت وهي توجد بظفار وحضرموت ونواحيهما، وعنه انتشر الفقه بتلك الجهة وأخبرني شيخ قديم من أهل تلك الناحية وأهل الفقه بها قال سمعت قدماء بلادنا يذكرون أن هذا الفقيه قدم عليهم من الحج إلى مرباط في مركب فأرسوا وجعلوا الأبحر[3] في البندر ودخلوا البندر[4] ليشتروا ويبيعوا ثم يترددوا وكان في البلد قاض ذو دين وفقه قليل والوارد إلى تلك الناحية من الفقهاء قليل وكان الفقه بها قليلاً، فبلغ القاضي أنه وصل في المركب رجل من أكابر العلماء فبحث عن ذلك وتحقّقه فحين ثبت عنده خرج بجماعة من البلد وتجارها وكان قد ضرب للقلعي خيمة خارج البحر نزل ليستريح بها من ضنك المركب فقصده القاضي ومعه التجار واستأذنوا حين صاروا ببابها فأدخلوا عليه فرحب بهم وآنسهم فسأله القاضي عن عدة مسائل فأجابه عنها بأبين جواب وأقرب صواب بعبارات مرضية فأعجب القاضي ومن معه بعلمه وحسن خلقه وسأله أن يقف معهم بشرط ألّا يتركوه يحتاج إلى شيء فقال: أريد أن أصل بلدي فلم أخرج منها على هذا العزم، وظن أن ذلك منهم على سبيل

الملك، ظفار الآثار، ظفار يحصب، انظر الاكليل ج١/٦٥ وهو قديم الاختطاط ولا تزال مرباط وظفار الحبوضي عامرتين.

(١) قلعة حلب من أمنع قلاع تلك النواحي ولا تزال إلا أنها متسعثة تحتاج إلى ترميم للبقاء كأثر رائع وحلب آخر عواصم بلاد الشام ولها تاريخ مستقل بل تواريخ.

(٢) قال ياقوت، والقلعة: موضع باليمن ينسب إليها الفقيه القلعي درس بمرباط وصنف «كنز الحفاظ، في غريب الألفاظ» و«المستغرب، من ألفاظ المهذب واحتراز المهذب وأحاديث المهذب» وكتاباً في الفرائض، ومات بمرباط وذكر قلاعاً كثيرة ولم يذكر قلعة بلد المغرب.

(٣) الأبحر كذا في الأصلين مهملان.

(٤) في «ب» البلد.

التجمّل فلم يجزموا على كثرة ملازمته وعادوا البلد وسلطانها يومئذ المعروف بالأكحل فوصل القاضي إليه وأعيان من تحرج معه وأخبروه بقدوم الفقيه وأنه عالم كبير وأنهم مضطرون إلى مثله ينتفع الناس به ويتفقهون عليه قال: وما الغرض قالوا تخرج إليه بنفسك وتلازمه بالوقوف فلعله يقبل منك فأجابهم إلى ذلك وخرج بموكبه حتى أتى خيمة الفقيه وسلم عليه والتزمه في الوقوف معه وشرط له على ذلك أن يفعل له ما أحب فاستحى الفقيه وأجاب إلى ذلك فحمل قماش الفقيه من الفور من المركب إلى البلد وأنزل في دار لائق به ثم أقبل على التدريس ونشر العلم فتسامع الناس به إلى حضرموت ونواحيها فقصدوه وأخذوا عنه الفقه وغيره، بحيث لم ينتشر العلم عن أحد بتلك الناحية كما انتشر عنه وأعيان فقهائها أصحابه وأصحاب أصحابه، فممن تفقه به أحمد بن محمد بن صمع[1] الآتي ذكره ثم أبو مروان وحج من مرباط فأخذ عنه بمكة وزبيد وغيرهما من البلاد التي مر بها، ولما أحدث بهاحمد بن محمد الحبوضي ظفار بعد وفاة السلطان المذكور على حياة هذا الفقيه وأمر أهل مرباط بالانتقال إليها وذلك سنة عشرين وستمائة[2] تقريباً فابتنى الفقيه بيتاً بظفار وكان يتردّد بينها وبين مرباط لئلا ينسب إلى مخالفة السلطان فأخرب أحمد بن محمد بن غالب بيوت مرباط إلا بيت هذا الفقيه إجلالاً له، وعمر طويلاً، وكانت وفاته نحو ثلاثين وستمائة بمرباط وقبر بمقبرتها وإلى جنبه قبر تاجر يقال له: أبافير، بخفض الفا وسكون الياء المثناة من تحت ثم راء، وكان تاجراً من أهل الدين والدنيا يقوم بكفاية الطلبة الذين يصلون على الفقيه وإن كثروا في الغالب وقلما كان يدخل المدينة: مرباط أحد إلّا وكان عليه تفضّل فإنه كان له دار على باب البلد فلا يدخل في الغالب داخل إلا وتكرّم فيها على ما يليق بحاله ولم أتحقق تاريخه وإنما ذكرته لما كان فيه من الخير والفضل وقبره إلى جنب قبر الفقيه، بينهما أذرع قليلة فأخبرني الخبير أنه توجد فأرة تخرج من أحد القبرين وتدخل في الآخر قبر الفقيه وقبر هذا، ويفوح عند خروجها رائحة المسك والواصلون إلى هنالك يتبركون بتربتهما ويقصدونهما للزيارة من بعد.

ثم قد عرض مع ذكر الفقيه ذكر السلطان وقاضيه فقد أوردت ما كان منهما في حق الفقيه لننظر فقهاء زماننا وحكامه كيف لم يداخل القاضي حسد كما هو منظور في غالبهم، أعين القضاة، ولم أعرف اسمه وكذلك السلطان لم يستكبر على أهل بلده

---

(١) وفي «ب» محمد بن أحمد صمع.

(٢) قد تقدم أن ظفار الحبوضي التي تسمى ظفار الساحل قديمة الاختطاط وربما أن الحبوضي جدّدها.

ولا على الفقيه وهو السلطان أبو عبدالله محمد بن أحمد الأكحل لكحل كان به من قوم يقال لهم : المنجويون من بيت يقال لهم آل بلخ : بضم الباء الموحدة واللام وسكون الخاء، ونسبهم في مذحج، كان أوحد زمانه كرماً وحلماً وتواضعاً فانظر كيف فعل للفقيه وخرج إليه وكان ممدحاً، وإليه قدم الشاعر التكريتي ولم يكن يتعانى الشعر، إنما كان تاجراً ولديه فضل فانكسر به المركب على قرب من مرباط فدخلها وليس معه شيء بل غرق جميع قماشه وامتدح هذا الأكحل بقصيدة مشهورة قال فيها أعيان الأدباء شعراً يدرّس يُدرس[1]، إلاّ ما كان من قصيدة التكريتي وقد أحببت إيرادها في كتابي لحسنها وهي ما أنشدني والدي قال: قدم علينا رجل من أهل ظفار فأنشدني إياها.

وأنشدني الفقيه الذي ذكرت أولاً أنه أخبرني ببعض ما ذكرت من أهل هذه الناحية عن جماعة سمعهم يروونها هي :

عُجْ برسم الدار فالطلل | فالكثيب الفرد فالأثل
فبمأوى الشادن الغزل | بين ظل الضال فالجبَل

فإذا ما بان قبا
وبلغت الرمل والكثبا

ناد يا ذا الربع واحرَبا | واسبل العبرات ثم سل

وابك في أثر الدموع دما
هب كأن الدمع قد عدما

واندب الغيد الدُّمَا ندما | واقْفُ أثر الظعن والإبل

آه لو أدركتُ بينهم
كنتُ بين البين بينهم

ليتَ شعري الآنَ أينهم | رب سار ضلَّ في السّبل

كيف أثني عنهم طمعي
وهم في خاطري ومعي

كفَّ عني اللّوم لستُ أعي | ففؤادي عنك في شُغَل

ها أنا في الربع بعدَهُم
أشتكي وجدي وبعدَهم

---

(١) الأول يدرس من الدراسة وهي القراءة والثاني من الاندراس وهو الذهاب وكان الأولى يدرس فيدرس.

أسـلك الأيـام وعـدهـم وأقضّي الـدّهـر بـالأمـل
فـدمـوع العين تُنجـدني
وحمـامُ الأيـك تُسـعـدني
فهـو يـدنيني ويبعـدني بـالبكـا طـوراً وبـالجـدل
خلّفوني في الرسُوم ضحى
أحتسي الـدمـع مصـطبحـا
كـل سكـران وعي وصحـا وأنـا كـالشـاربِ الثمـل
رقّ رسـمُ الـدار لـي وَرَثَـا
وسـقـامي لـلضنـا وَرِثـا
ليس سقمي بعـدهم عبثـا كـل من رام الحسـان بلي
آه لـو جـاد الهـوى وسخـا
أذهب الأقـذار[1] والـوسخـا
والجوى والصبر قـد نسخا وقعتيْ صفّين والجـمـل
مـا لهـذا الـدهر يـطمعنـا
وأكفّ البـين تـقـمـعـنـا
أتـرى الأيـام تـجـمـعـنـا بمنى والخيـف والجبـل
أتـرى بـالمشعـرين يـرى
عيسهم والـركـب قـد نفـرا
ونـزور الحجـر والحجـرا ونـضـمّ الـركـن لـلقـبـل
كـم لنـا بـالمـروتين أسى
مـا لـه غيـر الخضوع أسى
ينجلي عن ربـمـا وعسـى والـورى في غـايـة الـوجـل
يـا أصيحـابي ويـا لـزمي
غيـر خـاف عـنكـم ألـمي
إن أمت لا تـأخـذوا بـدمي غيـر ذات الـدل والكسـل[2]
غـادة في خصـرهـا هيـف
دنـف كـل بـهـا دنـف

(١) وفي «ب» الأكدار.

(٢) وفي (د) والكفل.

فهيام القلب والشغف بين ذاك الخصر والكفل
كبياض الصبح غرتها
وسواد الليل طرتها
دمية كالشمس بهجتها وهي في خمس من الحمل
أصل دائي عنج[1] مقلتها
ودوائي لثم وجنتها
أترى عَمْراً بنظرتها أو أمير المؤمنين علي
ريقها والمبسم الشنبُ
خندريس فوقه حَبَبُ
لؤلؤ رطب هنا العجب بحْرُهُ أحلى من العسل
وصفوا هنداً وما وصفوا
عكسوا المعنى وما عرفوا
قلتُ هذا منكم سرفُ أيقاس الكُحْل بالكَحَل
فعلتْ بي غيرَ ما وجبا
عاقبت ما راقبت رُقبا
صحتُ في الأحياء وآحربا أيحلّ القتلَ في الخجل
كم كرى عن مقلتي منعتْ
حبذا لو أنها قنعتْ
مذ بدت صنعاء وما صنعت جمع ذاك اللحظ بالمقَل
إن يكن بالحب هان دمي
ها صباباتي وها ندمي
قدمي في سالف القدم ورشادي ضل في الأزل
بدرتْ من بدرٍ جاريةُ
ودموع العين جاريةُ
ثم قالت وهي جارية أرفقي يا هند بالرجل
فأجابت وهي معرضة
ومراض اللحظ ممرضة

---

(١) وفي «ب» دعج.

أنت لي يــا سُعْــدُ مبغضــة　　قــد شفيتُ النفس من عـلل
قــالــت الــبــدريــة اتئــدي
وعــدى ذا الـمبـتـلى وعــدي
مــا الــذي ينجي من القــود　　خـلق الإنســان مـن عـجـل
طــالمـا فيــك الهـوى عبــدا
مـا عـدا ممــا لــديــك بــدا
لـيس يـخــفـى قـتله أبـدا　　عن مــروي البيض والأســل
الإمــام الــطاهــر الــنــســب
الــزكي الــطيّـب الـحسب
السحــاب السـاكب، اللجب　　الهتــون الـعــارض الهــطل
الــهــزبــر الـمــنــجــويّ إذا
ألـقت الـحــربُ الـعــوان إذا
هــو تــاج والــمــلوك حــذا　　بــل حضيض وهــو كــالقلل
طــالمــا قــد ضَنَّتِ السـحب
واشــرأب المحــل والـشغـب
وعــوادي كــفــه الـشــهــب　　بــالضحى تهمي وبــالأصــل
لــو همت يــومــاً غـمــائمــه
بـلظى نــاحــت حــمــائـمــه
فهــو مـذ مـيــطت تمــائمــه　　مــولِع بــالخيــل والخُــوَل
يـمنــح الـسؤال قـبــلَ مـتـى
سـأل الـمضــر أو سـكـتــا
لــو أتى بعـد الــرســول فتى　　كــان حقـاً خــاتم الــرُّسُــل
وعــذول بــات[1] يــعــذلــه
ولــديــه الــمــال يــبــذلــه
قـصــده عـن ذاك يـخــذلــه　　وهــو لا يصغي إلى الـعــذل
حــكــت الأنــوا أنــامــله
وهــي تــخــشى أن أقــاتــله

(١) وفي «ب» قام.

فـإذا مـا هـز ذابـلـه قـرّب الأرواح بـالأجـل
مـا لـه مـثـل يـمـاثـلـه
لا ولا شـكـل يـشـاكـلـه
ولـه فـيـمـا يـحـاولـه هِـمّـةٌ تـعـلـو عـلـى زحـل
كف كفً الـدهـر حين سـطـا
ويـداه نـحـونـا بـسـطـا
فـغـدونـا أمّـةً وسـطـا بعـد ذاك الخـوف والـوجـل
كيف نخشى بعـده الـزمـنـا
وأبـو عـبـد الإلـه لـنـا
ارتـدى مـجـداً وألـبـسـنـا حـللاً نـاهـيـك مـن حـلـل
هـو قس فـي فـصـاحـتـه
ولـؤيّ فـي صـبـاحـتـه
وهـو مـعن في سمـاحـتـه وابن عبـاس لـدى الجـدل
إن يـكن فـي نـظـمـهـا خَـلَلُ
يـعـذر الجـانـي ويُحْـتَـمَـلُ
خـاطـر المملـوك مشتغـل عن كتـاب العين والجـمـل
جِدْ جـدً أجُـد قـرلـراع سِمى
زِدْ مُـرْ آنْـهَ اسـلم تَـهِـن دم
صِلْ أو أصـرم صـريب استقمي[1] هـب تـفـضـل أُذْنُ نَـلْ أنـل[2]

وأشار بقوله: أيقاس الكُحْل بالكَحَل إلى ما ذكرنا أنه كان أكحل العينين وكان آخر ملوك مرباط. قـال المخبر[3] فـذكروا أنـه أجاز هـذا الشاعـر بمركب جـاء له من بعض البلاد إذ كان معوّل ملوك المنجويين إنما هو على المواشي لا غير كـالبدو والحبوضيين على التجارة والزراعة لا على الجباية كما هو اليوم منذ دخل الغـز، ولم يزالـوا كذلـك حتى انقضت أيامهم فذكروا أن التاجر وصل من مرباط إلى عـدن وملكها يـومئذ سيف الإسلام وقد نقل إليه الشعر فاستكثر المدح واحتقر الممدوح ولما وقف على قولـه (هو

(١) وفي «ب» أسهمي.
(٢) هذا البيت ليس في هدية الزمن ص٢٨.
(٣) في الأصلين المنجوي فأصلحناه المخبر من لدينا فالمنجوي هو الممدوح.

تاج والملوك حذا) غضب عليه وقال: تمدح بدوياً بمثل هـذا ثم أوصى النائب بعـدن متى قدم التاجر عليه أوصله إليه حيث كان فلما قدم عـدن احتاط على مـا معه وأقـدمه على سيف الإسـلام فلما استحضـره[1] ووقف بين يديـه وقال لـه كيف تقول: هـو تاج والملوك حذا قال: لم أقل بخفض الحاء وإنما فتحتها فـأعجب سيف الإسلام وأعـاده مكرماً، وكان قد عاد الثغر من عدن إلى مربـاط فأخبـروا السلطان المنجوي بمـا جرى على التاجر وأنه مودع في السجن قد حيل بينه وبين ماله فبعث مع السُّفْرِ بمركب آخـر وقال يترك له مع بعض عدول البلد ينفقه منه ويكسوه ما شاء حتى يأتيه الله بـالفرج فلم يصل السُّفْرُ إلى عدن إلا وقد سلم إليه مالـه فسلموا إليـه المركب وشحنـه فكتب نائب سيف الإسلام بعدن إليه يخبره فعجب من ذلك وقال يحق لمادح هذا أن يقـول فيه مـا شـاء، وكانت وفـاتـه، يعني السلطان، على طـريق مـرضٍ من العفـاف والعـدل بعـد ستمائة، وقبره بين مرباط وظفار. ذكر الثقة أنه كثير ما يسمع من قبره قراءة القـرآن ولم يترك عقباً ولا بقي في أهله كـامل، وكـان محمد بن أحمـد الحبوضي يتّجـر له، فقـام بالملك وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله، وبلغني لهذا الملك قصة حسنة فكرهت إهمالهـا لأن المؤرخين يقـولون من ذكـر إنسانـاً وله منقبـة لم يذكـرها ظلمـه، وذلك أنّ الفقيـه المخبر قال: أخبرني من أثق به عن من يثق به أن جماعة من أعيان حضرموت تجهّـزوا من بلدهم لقصد هذا المنجوي بهدايا تليق بأحوالهم فصحبهم فقير فسمعهم يذكرونـه بالكرم والإنسانية ثم ذكر كل منهم ما وُصل به فاجتنى الفقير ضغثاً[2] من أسوكة عددهم سبعة وجعله حزمة فلما دخل أهل الهـدية مـرباط وأذن لهم في الـدخول عليـه فدخلوا والفقيه من جملتهم فسلموا ووضع الفقير الأسوكةَ بين يديه ثم أنشد:

جعلت هـديتي لكـمٍ سُـواكـا ... ولم أقصـد بـهـا أحـداً سِـواكـا
بعثت إليـك ضـغثـاً من أراك ... رجـاءً أن أعـود وأن أراكـا

ثم أمـر السلطان أن[3] تخلى لهم بيوت وللفقيـر مثلهم، وبعث للفقير بجـاريتين ووصيف يخدمونه مدة إقامته، وكذلك كـان يفعل لكـل ضعيف يصله، ثم عزم الفقيـر على السفر فاستأذن وذلك فأذن له بعد أن أمر السلطان من عـد الأسوكـة التي جاء بهـا

---

(١) كذا في «د» وفي «ب» فلما حضره.

(٢) الضغث: بكسر أوله وآخره ثاء مثلثة: القبضـة من حشيش مختلط اليابس والـرطب، ومن المثل «ضغث على إبالة».

(٣) وفي «ب» ثم أن السلطان أمر أن تخلى.

فقيل له سبعة: فقال يعطى مما في خزائننا من كل شيء سبعة أجزاء فقلت للمخبر وكيف ذلك قال: ما كان يوزن بالبهار كالحديد والقار ونحوهما أعطي منه سبعة أبهرة[1] وما كان يوزن بالمَنّ أعطي سبعة أمنان كالمسك والزعفران ونحوهما. وبالجملة مكارم هذا الملك أكثر من أن تحصر، ولو لم تكن من بركته إلاّ ما أبقى الله له جميل الذكر في هذه القصيدة التي ما سمعها أحد إلا أعجب بها وكررها لكفى[2].

ثم نرجع إلى ذكر الفقهاء وتتمته كما ذكر ابن سمرة ولم يذكر بمرباط غير القلعي، وذكر من فقهاء تريم وهي مدينة قديمة بحضرموت وضبطها بفتح التاء المثناة من فوق وخفض الراء ثم ياء مثناة من تحت ثم ميم[3] كان بها جماعة، منهم أبو بكر أبو كدر حاكمهاوكان فقيهاً مقرئاً وله أخ يذكر بالفضل، قتلا جميعاً سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

حكي أن الزنجبيلي لما أمَرَ بقتلهما سبقه أخوه إلى المقتل فقال له أخوه أبو كدر اسبقني إلى الجنة لا بأس عليك وإلى مثلها يكون السِّباق. أخبر الثقة من أهل تلك الناحية أنهما يزاران ومتى عطش أهل حضرموت واشتد بهم الجهد وصلوا قبرهما واستسقوا بهما فما يلبثون أن يسقوا.

ومنهم أبو بكر، قال ابن سمرة: لقيته في عدن بأول مرة وقرأتُ عليه في عدن تفسير الواحدي وكتاب النجم، وقتل شهيداً في غزوة الزنجبيلي أيضاً مع أبي كدر إذ لمّا غزا الزنجبيلي حضرموت قتل من أهلها عالماً كثيراً لا سيما من الفقهاء، وقال ابن سمرة، وهو من أهل ذلك العصر: قتل في غزوة الأمير عثمان التي قتل فيها فقهاء حضرموت وقراؤها قتلاً ذريعاً، ولقد كنت لما قدمت عدن ورأيت ما وقفه هذا الأمير الزنجبيلي على الحرم والمسجد الذي بناه على الخان[4] استعظمت قدره واستكثرت خيره حتى رأيت ما ذكره ابن سمرة من قتله للفقهاء والقراء فصغر وحقر ما فعله من خير في جنب ما عمله من شر[5] وقد يقول قائل ما كان هذا عثمان، فأقول: هو عثمان بن

---

(١) أبهرة جمع بهار بالفتح شيء يوزن به.

(٢) وفي «ب» ولا كررها فملّها.

(٣) تريم كما ضبطها المؤلف ذكرها الهمداني ج٢ ص٣٦٩ من الاكليل وصفة جزيرة العرب ص١٧٤ وما بعدها. ولعله قد سبق ذكرها.

(٤) لا يزال مسجد الزنجبيلي عامراً.

(٥) جاء في الحديث الصحيح «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً» كما جاء «أن أول

علي الزنجبيلي يلقب بعز الدين، كان من جملة الأمراء الذين قدموا مع شمس الدولة توران شاه بن أيوب حين قدم اليمن على ما سيأتي، فلبث توران في اليمن ما لبث ثم عاد واستخلف الزنجبيلي على عدن ونواحيها فأطمعته نفسه لغزو حضرموت أشراً وبطراً بعد أن غزا الجبال والتهائم وأفسد فيها على نواب شمس الدولة في عدة مواضع فأخلى الجند عن أهلها وكانت حروب كثيرة بينه وبين خطاب نائب شمس الدولة على زبيد وذلك بعد أن غزا حضرموت فلم يقم بعد غزو الجند إلا يسيراً حتى قدم سيف الإسلام وعثمان إذ ذاك بعدن وخطّاب بزبيد فأسر خطاباً واستباح أمواله. ثم قتله وهرب عثمان في البحر فأمر السلطان سيف الإسلام بالتقاط مراكبه من سَاحل زبيد فلم يفلت منها غير المركب الذي كان فيه وأخذت بقية المراكب ولم يدر بعد ذلك ما جرى له ولا أي الجراد عاره[1] فظاهر أفعاله الفسق الشنيع وأمره في آخرته إلى الله تعالى.

ونرجع إلى ذكر الفقهاء فمن شبام[2] وهي قرية محدثة بعد تريم، وضبطها بخفض الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة ثم ألف ثم ميم وهي ملك للملوك بخلاف تريم، فإنها لم تزل للعرب، ففي شبام جماعة، فمنهم ابن أبي ذئب فقيه شاعر مجود لم يزد ابن سمرة على ذلك، فلما صرت بعدن وأنا إذ ذاك معتزم لجمع هذا الكتاب سألت جماعة من أهل الناحية عن اسمه وبلده فقيل بلده شبام واسمه محمد بن عبدالله بن عبدالرحمٰن بن أبي ذئب، وكان فاضلاً في الفقه وعلم الأدب نظم التنبيه في شعر وله قصائد عدة منها قوله:

أر رسوم ربوع أم رقم لاحت فدموع عينيك تنسجم
أم وشم معاصم رفشه وتأنق فيه من يشم[3]

وهي قصيدة كبيرة تنيف على مئة بيت منها حكم وأمثال، وله ذرية منهم بقية في

= ما يحاسب به العبد يوم القيامة ما سفك من الدماء الحرام والملوك ومن على شاكلتهم وكذلك وحوش العوام لا يتورعون عن سفك الدماء ولا يحسبون لها حساباً، فما يفعلون من خداع الناس بالمساجد وغيرها تذهب هدراً وعند الله الملتقى.

(١) أصل المثل «فما مناً من عرف قراره، ولا درى أي الجراد عاره» ومعناه لا يعلم مكانه ولا أي الناس أهلكه أو ذهب به، والمثل يضرب لمن يُجْهَل مقره.

(٢) شبام: بكسر الشين المعجمة وفتح الباء الموحدة وألف وميم وهي أحد الأسماء التي تحمل هذا الاسم وقد ذكرناها في صفة جزيرة العرب ص٥٤ وغيرها .والإكليل، ج٢/٣٧٢ وغيره وهي قديمة الاختطاط لا كما ذكر المؤلف.

(٣) هكذا البيتان في الأصلين.

مدينة عدن يتعانون التجارة ويعرفون ببني أبي الذئب.

ومنهم محمد بن داود، كان نظيراً لابن أبي الذئب في الفقه والشعر، ومن الهجرين وهي بلد بأعلى حضرموت على قرب من الشحر: ضبطها بفتح الهاء بعد ألف ولام ثم جيم وراء مفتوحتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم نون[1] خرج منها جماعة منهم أبو زنيج: بضم الزاي وفتح النون ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ثم جيم، كان فقيهاً كبيراً مشهوراً وله هناك ذرية ينسبون إليه ويتسمّون بالفقه استصحاباً للأصل، ومنهم أبو جحوش ومنهم حمد بن أحمد بن النعمان، كان فقيهاً كبير القدر شهير الذكر طاف البلاد ولقي المشائخ، ودخل بعد ذلك ثغر الاسكندرية وأصبهان فأدرك الحافظ السلفي وأخذ عنه بها وهو أحد من عدّه ابن سمرة شيخاً له ولم يذكر له تاريخاً.

ثم عرض مع ذكره ذكرُ السلفي نسبة إلى جده سِلفة بكسر السين المهملة وفتح اللام والفاء ثم هاء. قال ابن خلكان: وذلك لفظ أعجمي معناه بالعربي في ثلاث شفاه وذلك أن شفته الواحدة كانت مشقوقة فصارت شفتين غير الأصلية، مولدُه سنة اثنتين وستين وأربعمائة تقريباً وأصل بلده أصبهان، وهو أحد الحفاظ المكثرين، رحل في طلب الحديث ولقي أعيان المشايخ وكان شافعيّ المذهب وقَدِمَ بغداد فاشتغل بها على أبي الحسن علي الهراس في الفقه وعلى الخطيب التبريزي[2] في اللغة وروى عن أبي محمد جعفر بن السراج وغيره من الأئمة الأماثل، وجاب البلاد، وطاف الآفاق، ودخل ثغر الاسكندرية سنة إحدى عشرة وخمسمائة، وبنى له أبو الحسن علي السلار وزير الظافر أحد الملوك الفاطميين مدرسة بها وهي معروفة به إلى الآن. قال ابن خلكان لم يكن في آخر عمره له نظير في سعة العلم، قصده الناس من الأماكن الشاسعة فسمعوا عليه وانتفعوا به وله أشعار متداولة بين الناس، وأماليه وتعاليقه كثير وله أشعار متقنة منها ما قاله في معاتبة الزمان حال ترحّله من البلاد فمما قاله:

لجَّ الزمان مبالغاً في شاني ... فأزاحني عن موطني ومكاني
وغدا يعاندني معاندةَ العدا ... متعمِّداً حتى لقد أعياني
وحرّ[3] لقيا من أحب بقاؤه ... بالرغم بعد وزيد في أحزاني

وهي كبيرة تزيد على ثلاثين بيتاً، وكانت وفاته ليلة الجمعة وقيل: يومها خامس

---

(١) الهجرين لا زالت عامرة.

(٢) قد تقدم ذكر اسم الحافظ السلفي وكذلك الخطيب التبريزي.

(٣) كذا في الأصلين.

ربيع آخر من سنة ست وسبعين وخمسمائة.

ثم نرجع إلى ذكر فقهاء حضرموت، قال ابن سمرة: ومنهم ابن أبي الحب تفقّه بطاهر بن يحيى وهو الذي مدح طاهراً بالشعر المذكور مع ذكره وفي آل الحب جماعة يسكنون ظفار وعدن لعل الله يسوق إليّ أحداً منهم فأذكره في طبقته إن شاء الله، وهذا آخر من ذكر ابن سمرة من أهل حضرموت ثم قال: ومن أحور[1] محمد بن منصور النصيف، كان فقيهاً مجوداً في علم الفرائض والحساب، إماماً في الحديث وفي ميفعة[2] سعيد بن فرح وراشد بن عبدالله بن أبي جياش العامري.

ومنهم عمر بن محمد الكبيبي: بضم الكاف وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت وخفض الباء الموحدة ثم ياء، لا أدري إلامَ هذه النسبة، تفقّه بشيوخ الحصيب[3] وولي قضاء عدن سنة ثمانين وخمسمائة.

ومنهم محمد بن حوشب العامري من أبين والخطيب محمد بن إسماعيل بن الفقيه عمر بن بيش مقدم الذكر وأنه أحد شيوخ الإمام يحيى. قال ابن سمرة وهو مفتي لحج الآن.

ومن أهل عدن أبو الفتح بن عمرو ولي قضاءها أيام السلطان زريع بن العباس اليامي او أبو الفتح بن أبي السهل الفارسي، ثم بعده القاضي أبو بكر اليافعي، ثم زيد بن عبدالله بن عون الله، ثم ولي قضاء القضاة في اليمن من صنعاء إلى عدن سليمان بن الفضل، عدّه عمارة في كتابه وأثنى عليه[4] قال: عبدالله بن محمد القاضي سليمان بن الفضل شيخ اللغة وصدر الشريعة وجمال الخطباء وتاج الأدباء وظني والله أعلم إنما ولي بعد القاضي أبي بكر وكان له شعر رائق منه قوله:

تسموا بالوصال ترك الوصال ... واعتمدتم قطيعتي وملالي
واعْتَضْتُمُ من التداني بعاداً ... وصدوداً يزيد في بلبالي
ليس من شيمة الوفا أن تلجّوا ... في التجنّي فيشتفي عذالي[5]

---

(١) أحور: صقع كبير شرقي أبين، وأبين شرقي عدن انظر صفة جزيرة العرب.

(٢) ميفعة بفتح الميم وسكون الياء المثناة من تحت ثم فاء وعين مهملة ثم هاء قرية كبيرة من حضرموت وهي اليوم تعتبر مركز بلاد الواحدي وما يحمل الميفعة ذكرناه في المعجم.

(٣) الحصيب وادي زبيد وزبيد نفسها انظر الاكليل ج٢/٤٤.

(٤) الذي في تاريخ عمارة الذي حققنا ونشرناه: ومنهم القاضي سليمان الفضل وولي الحكم في عدن وأورد له شعراً غير هذه الأبيات.

(٥) هذه الأبيات ليست في تاريخ عمارة ص٣٢٣، وقد عانينا في تصحيحها ما عانينا.

وذكر له عمارة عدة أشعار لكن لا يليق بالمختصر غير ذلك، وكان له ولد اسمه حاتم معدوداً في الفضلاء. قال ابن سمرة: وأفضت ولاية القضاء بها، يعني (عدن)، إلى شيخي أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبي سالم القريظي، كان فقيهاً فاضلاً محدثاً نحوياً لغوياً، أخذ عن القاضي الجندي والمقيبعي وعن غيرهما، وعنه أخذ جماعة كثيرون منهم ابن سمرة والفقيه بطال ومحمد بن قاسم المعلم وغيرهم، وامتحن بالقضاء أربعين سنة، هكذا ذكر ابن سمرة وانفصل عنه سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وكانت وفاته بعدن سنة أربع وثمانين وخمسمائة ثم تولى بعده القاضي عبدالوهاب بن علي المالكي من جهة أثير الدين وهو آخر من عدّه ابن سمرة وعجيب كيف لم يَعُد ولد طاهر في القضاة بعدن، وقد ذكر ذلك مع ذكره.

ومنهم إبراهيم بن القاضي[1] أحمد، أخذ عن أبيه وغيره وأخذ عن القاضي الأثير وعن محمد بن سعيد مؤلف المستصفى، وعنه أخذ الشريف أبو الحديث ومحمد بن عمر الزيلعي وحسين العديني وأبو السعود بن الحسن وغيرهم ممن يأتي ذكرهم، وله عدة أولاد منهم ولده إسماعيل، كان فاضلاً ولم تزل خطابة عدن بأيدي ذريته حتى انقرضوا لبضع وسبعمائة، وقد كان فيهم من هو أهل لأن يذكر لكن لم أجد ذلك محققاً، ويأتي إن شاء الله ذكر من التحق بهم في عدن مع أهل الطبقة المتأخرة ممن لم يذكره ابن سمرة على حسب ما ثبت لي من نقل العدل.

وهذا أوان الشروع في ذكر الذين تأخروا عن زمن ابن سمرة إذ يغلب على ظنّي أني قد أتيت على جميع من ذكره مع ما حصل وزيادة من غير الكتب التي تقدم ذكرها أو من نقل العدل من ذكر المناقب، وقد رأيت أن أستفتح من ألحقتُ وأحببت أن أبدأ بذكره رحمة الله عليه فهو[2] أبو الخطاب عمر بن علي بن سمرة الجعدي، مولده قرية أنامر المقدم ذكرها سنة سبع وأربعين وخمسمائة، تفقّه بجماعة أوّلهم علي بن أحمد اليهاقري وزيد بن عبدالله بن أحمد الزبراني ومحمد بن موسى العمراني وطاهر بن يحيى وجماعة كثيرون وهو شيخي في جمع هذا الكتاب. ولولا كتابه لم أهتد إلى تأليف ما ألفت. ولقد أبقى للفقهاء من أهل اليمن ذكراً وشرح لذوي الأفكار صدراً، ولي قضاء أماكن في المخلاف من قبل طاهر بن الإمام يحيى وترأس فيها بالفتوى ثم

(١) في «ب» الفقيه أحمد.

(٢) كذا عبارة «ب» وأما عبارة «د» فهي، وقد رأيت أن أستفتح من ألحقته وأختم من ذكر بذكره رحمه الله، وعبارة «ب» أحب إلي.

صار إلى أبين فولاه القاضي الأثير القضاء في أبين سنة ثمانين وخمسمائة وأظنه توفي هنالك بعد ست وثمانين وخمسمائة[1] وقد تكرر ذكر القاضي الأثير فأحب بيان ما ثبت لي من أحواله، فأبدأ بنسبه: هو أبو عبدالله محمد ذو الرياستين ابن الشيخ ثقة الملك أبي الفضل محمد بن ذي الرياستين محمد بن بنان الأنباري بلداً، ضبط بنان جده: بضم الباء الموحدة وفتح النون ثم ألف ونون، قدم اليمن صحبة سيف الإسلام، وقد خبر علمه وأمانته وعمره يومئذ اثنتان وسبعون سنة وقال: سمعت كتاب الشهاب وأنا ابن ثلاث سنين فسمعه عليه القاضي إبراهيم بن أحمد في جماعة كان إبراهيم في جماعة القارىء لهم وابن سمرة من جملة السامعين، وأخذ عن[2] القاضي إبراهيم سيرة ابن هشام قراءة وهو طريق سماعنا بها في بعض الطرق لشيخنا أبي العباس الحرازي الآتي ذكره، ثم إن سيف الإسلام صرفه عن القضاء سنة إحدى وثمانين وحمّله رسالة إلى بغداد فحملها وعاد من بغداد إلى مكة وكتب منها إلى سيف الإسلام.

وما أنا إلا المسك عند ذوي النُّهى أضوع وعند الجاهلين أضيع

قال ابن سمرة: ولم أدر أيّ الجهات قراره، ولا أي الجراد عاره[3] ثم لم يبق إلا أن أذكر الفقهاء في كل بلد فأبدأ بذكر البلد ثم بمن فيها وحواليها وكنت أحب أن أفعل ذلك في جميع الكتاب، فلم يساعد الزمان لكثرة الامتحان وعدم الإمكان فأبدأ حينئذ بفقهاء الجبال لتحققي لغالبهم نظراً وسماعاً يقوم مقام النظر، فرأيت أن أعظم البلاد إفادة للطلبة وأعظم أهلها صبراً عليهم في الزمان المتأخر[4] وهي مصنعة سير مسافتها من مدينة الجند عند ذكر الشيخ مؤلف البيان نصف مرحلة وكانت هذه القرية قلعة فاشية[5] بأيدي صبهان فاشتراها منهم بنو عمران وابتنوا بها مساكن وذلك في شهر جمادى الآخرة من سنة ست وخمسين وخمسمائةووجدت بخط الفقيه محمد بن موسى أن ابتداء البناء بها في سنة سبع وخمسين وخمسمائة وذلك قبل وفاة الإمام يحيى لسنة

(١) يذكر المؤرخ الشعبي أن لعمر بن علي بن سمرة ذرية.
(٢) وفي «ب» ثم أخذ عنه.
(٣) قدم تقدم هذا المثل قريباً.
(٤) وهي من «ب» وساقطة من «د».
(٥) أي لا عمارة فيها وقد عرفتها وهي مدورة الشكل واسعة وهي خاوية على عروشها وفيها سد عظيم وفي «ب» وهي قرية مصنعة سير وأفضنا القول في المعجم.

أو سنتين فلم تزل منذ ابتداء عمارتها موئلا لطلبة العلم ولا نجد في الجبال غالباً من المدرسين والمفتين والفقهاء والمحققين إلا من كان تفقه بها إن لم يكن جملته أو تفقه على من تفقه بها فقد ذكر فيما تقدم أن الفقهاء من أهلها هم ذرية الفقيه محمد بن موسى وبقي منهم بقية وقد درس معهم فيها جماعة وذلك أنه لما صار إليهم القضاء الأكبر والوزارة فشغلوا بهما عن التدريس فكانوا يجتلبون الفقهاء ليدرسوا لهم أولادهم ومن جاء طالباً حتى تفقّه من أولاد القاضي عبدالله بن محمد وابن عمه محمد بن أبي بكر قائماً بالتدريس كما قدمنا ذلك ولمن كان يفقههم. وأما المدرسون المستدعون إلى المصنعة لأجل التدريس فجمع لا يكاد يحصى. منهم أبو الحسن بن راشد وبه تفقه جماعة منهم القاضي البهاء ومن تفقه من أخوته وكان مسكنه العماقي، وسيأتي ذكره محققاً إن شاء الله. ثم بعده منصور بن محمد بن منصور الأصبحي ثم ابن أخيه محمد بن أبي بكر بن منصور ثم تلميذه شيخي علي بن أحمد الأصبحي ويأتي ذكرهم محققاً مع أهل بلدهم إن شاء الله، ثم محمد بن علي الشعبي ثم عبدالله بن عمران الخولاني وغلبت من أولادهم على التدريس محمد بن عبدالله كان الأكبر من الطلبة يتفقهون به لأن أباه هو الذي يطعم الدرسة وغيرهم بالمصنعة لا يطعم معه أحد ويكبر له أخواه اللذان يسكنان معه في المصنعة وهما أبو بكر ومنصور فإذا غاب في الجند أو تعز قام بأعباء الطلبة والضيف أخوه منصور، فإذا غاب أيضاً قام بذلك أبو بكر مع أن الجامع لم يكن يخلو عن مدرس يأخذ الكيلة من وقف وقفه القاضي أبو بكر بن أحمد بن محمد بن موسى مقدم الذكر بجهة الحيمة[1] وإن لم يدرس ويقتصر على إمامة المسجد وربما قرأ عليه بعض الدرسة على سبيل التوطئة، ويكون تحرير ذلك وتحقيقه في الغالب على الفقيه محمد بن عبدالله، فإنه كان يجتمع عليه نحو من مئة درسي أو زيادة عليهم وتفقه من بني عمران جماعة من أولاد القضاة غير من تقدم، منهم عمران بن القاضي عبدالله الذي ذكرت أولاً تفقه وأخذ النحو وكان به فاضلاً وقعد وزيراً للملك الواثق مدة سنين، ولما أراد يقدم ظفار على ما سيأتي امتنع أهله عليه من السفر معه فلبث مع أعمامه بتعز وتولى قضاءها مكان عمه حسان ثم لما صودر قومه كان من أشد الناس عذاباً هذا، ثم أنزل هو وابن عمه محمد بن حسان إلى زبيد على حبس الرهائن وأقعد تحت الحفظ بدار لهم صغيرة إلى جنب دار عمهم القاضي البهاء حتى توفي بعد أبيه سنة اثنتين وسبعمائة.

---

(١) الحيمة من ملحقات أعمال تعز/ في الشمال الشرقي منها.

ومن أحسن ما بلغني من مكارم بني عمران أن هذا عمـران كان يلعب وهـو فتى مع بعض الدرسة فحذفه بحصاة وقعت بـإحدى عينيـه وأبعدته[1] فخاف الـدرسي خوفـاً شديداً فأمر لـه القاضي بكسـوة وأمره أن يـروح حيث شاء، ولم يغب إلّا أيـاماً قـلائل وكانت له مكارم، يكثر تعدادها لو أنها قرنت بورع لكانت عجباً، وكان لحسان المقدم ذكـره ثلاثـة أولاد هم محمد ويـوسف وعمـر وأمهم وأم الـوزراء بني محمـد بن عمـر أختان[2] إذ هما بنـات القاضي أسعـد بن مسلم الآتي ذكره، ولهـذه القرابـة سلموا من الضـرب ولم يسلموا من القيـد والحبس، بخـلاف أولاد أبي بكـر، فـإنهم سلمـوا من جميع ما وقع بأهلهم من ضرب وحبس وقتل وقبض أرض فدلّ أن نفع الدنيا والمداراة بها أبلغ من نفع النسب كما قال الحريري[3] المرء بنشبه لا بنسبـه، إنما شـاركوهم من الأمور التي وقعت عليهم المؤلمة بالخروج عن المساكن إذ قام بهم الفقيه أبو بكر قياماً مؤزّراً وصدّ عنهم، فسألت عن ذلك فقيل كان والدهم يصحب الفقيه أبا بكـر ويهادنـه بغير علم من أخوته فلم تزل ذريته مجللين مصونين حتى انقـرض محمد وابنـه عبدالله مصوناً إلى الآن، وهذا كلام دخيل.

فلنرجع إلى تتمة أولاد حسان، محمـد أكبرهم كـان به تعبّـد وتعفّف وتفقّه على جماعة من فقهاء تعز وغيرهم وكان فيه صدقـة وافتقاد لجمـاعة من الضعـوف[4] وترتّب سقاية لجامع الجند ثم كان، مسحسها[5]، هذا في قيام حالهم ووزارتهم وسجن بـزبيد دهراً، وكان السجان يذكر عنه كرامات مستغربة ثم أطلقه المؤيد من السجن بعـد وفاة الـوزير علي بن محمـد. وأسكن بيتاً عَمَرَهُ، ثم صار الملك إلى المجـاهـد وقـد كـان المؤيـد نقل إليـه أخويـه من سجن عـدن إلى دار عمّهم بـزبيـد فلبثـوا بـه فـأخـرجهم المجـاهد وجمـع بينهم وبين أهلهم بسهفنة فلبثـوا مجتمعين نحـواً من سنـة، وتـوفي بالتاريخ المتقدم، وأما أخوه يوسف فتفقّه أيضاً بمن تفقّه بـه أخوه كـابن العراف الآتي ذكره وغيره، وفيه مروة وتخلّق وحسن فتـوّة، وهو بـاق إلى عصرنـا سنة ست وعشـرين وسبعمائة، وأما أخوه عمر فتفقّه، ويذكر بالخير والإنسانية أيضاً، ولهم أخ رابع أمّه من الطبريين من أهل مكة، لما امتحن أهله بالسجن ونزل بأبيه إلى عدن هربت به أمه إلى

---

(١) كذا في الأصلين مهمل الحروف ولعله بياضها والحذف معروف.

(٢) كان في الأصلين أختين والتصحيح من عندنا.

(٣) الحريري تقدمت ترجمته وهذه الجملة في مقاماته.

(٤) الضعوف جمع ضعيف لغة دارجة.

(٥) هذه الكلمة من «د» ولم تظهر.

أهلها فنشأ بينهم نشأة حسنة، وتفقّه وذكر بالفضل وقَدِمَ زبيد سنة ثلاث وعشرين فجعل قاضي قضاة من قبل الظاهر، فلما غلب المجاهد على زبيد خرج إلى عدن ولحق بالظاهر إذ كان يومئذ بها ثم طلع الجبال فانتهب بجرانع ثم تقدم جبلة فهو بها إلى الآن في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وسبعمائة. وليس للقاضي البهاء عقب يذكر به ولا لمنصور، وهؤلاء آخر من ينبغي ذكره منهم وآخر ذراري الفقهاء الذين ذكرهم ابن سمرة اللهم إلا رجل بذي السفال اسمه عبدالله بن عبدالرحمٰن بن الفقيه محمد بن أحمد بن الفقيه عمر بن إسماعيل مقدّمي الذكر، مولده سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، أدرك جدّه محمداً وأخذ عنه وكان فاضلاً بالتفسير والحديث والفقه، وكان جميل الخلق مديد القامة كما ذكر عن جده محمد بن أحمد، وكان يحفظ النقاش في التفسير حفظاً جيداً، وكان يتنعم في ملبسه ومطعمه ومشربه، فكان يُدان حتى يبلغ دينه مبلغاً عظيماً فيضيق من ذلك وينزل مدرسةَ الجند المنصورية فيتخلى له مدرسها عن منصبه ليبقى[1] بها مدة، وما يحصل من الكيلة قضى به الدين وهو لا يأكل إلا من بيته، يؤتى بخبز مخبوز ويشتري إدامَه في الجند، ثم إذا انقضى دينه عاد بلده مبادراً، فما أحسن هذا! وأحسنُ منه فعل الفقيه، المدرس الذي يتخلّى له هذا يكاد يكذب به العقل لما نراه من فقهاء زماننا، لكن الذي أخبرني رجل من أهل الدين والعقل وكان من بقي عليه من الطلبة شيء في كتابه لحقه بلده فأتّمه، وكان صاحب كرامات ومكاشفات، أخبرني الثقة من أهل بلده أنه كان يكثر التكرار لزيارة القبور فزارها ذات يوم بجماعة من أصحابه، فحين أشرف عليها تنفّس صعداً، ثم قال: لا إله إلا الله، إن هذه القبور ليست على ما ترون، إنها كبيوت أهل الدنيا منها قصور ومنها دور ومنها بيوت ومنها عشش ومنها ديم، وقد سمع منه هذا جماعة، وأخبر ثقة عنه أنه روى عن جده محمد بن أحمد أنه كان ذات ليلة قائماً يصلي ورده إذ سمع شخصاً يدعو من الشارع يقول: يا مسعودة يا مسعودة من قبالة الطاق الذي له، فأخف الصلاة، ثم أشرف من الطاق فرأى كلباً على جذم[2] حائط يحدث هرة لبيت الفقيه قد خرجت حين دعا فحين لقيته تسالما بكلام يعرفه الفقيه ويسمعه ثم قالت له: من أين جئت؟ قال خرجت من زبيد اليوم، لأنه قتل الملك المعز بها وأريد أبلغ الخبر من فوري صنعاء ولكني جوعان فانظري لي شيئاً آكله، فقالت ليس بالبيت شيء إلا

---

(١) وفي «ب» فيدرس بها مدة.

(٢) في الأصلين مهمل الحروف فجعلناه جذم بالجيم والذال ثم ميم وهو الأصل أو على جدر.

وقد غُطِّي وذكر عليه اسم الله تعالى، قال كما فيه صبي قد أكل شيئاً ونام قبل غسل فيه قالت بلى لكني أخشاك تضرَّه قال إذا أصبح وعلى فيه شيء فأطلوه بطحلة الجرَّة[1] ثم غاب عن نظر الفقيه وإذا به يسمع بكاء الطفل في المهد فاستيقظت أمه وحركته حتى نام وعاد الفقيه إلى ورده ثم لما أصبح الصباح ظهر على فم الصبي بثر فقالت أمه للفقيه: يا سيدي، ما هذا الذي بولدي؟ قال: تطعمينه ولا تغسلين فمه من الطعام، فعرفت وقالت: نعم فقال: هاتي الجرّة فأتته بها فأبعد ماءها وسلت من طحلتها شيئاً[2] فطلى به فم الصبي فلم يلبث أن تعافى، ثم أقبلت الهرة تمشي على سبيل عادتها، فقال الفقيه لها: هكذا يا مسعودة تساعدين علينا، فنظرت إليه ساعة ثم ولّت فقال الفقيه قد ربيْنا هذه الهرة فالله عليها خير حافظاً فنزلت الهرة الدهليز وأرادت أن تخرج من طاقة فيه فحنبت[3] فيها ثم لما كان بعد يومين افتقدت فلم توجد فأمر الفقيه من طلبها وقال: لعلها في الموضع الفلاني فوجدت فيه حانبة فخلصت منه وأتى بها إلى الفقيه فمسح عليها وقال: لا بأس عليك لا تغيري الصحبة، ثم لما استفاضت هذه الرواية صار كل من حصل به حول فمه بثر طلاه بطحلة الجرة فيبرأ، وجرب ذلك وقدم على هذا الفقيه الفقيهان محمد بن أبي بكر الأصبحي ومحمد بن عمر الزيلعي، أخبرني الفقيه صالح بن عمر بذلك وأنه يذكر قدومهما عليه وسمعا عليه كتاب الرقائق لابن المبارك وكنت إذا ذاك صغيراً. ولقد ندمت حيث لم أحضر سماعهما وكان محبوباً عند أهل بلده ونواحيها مسموع القول مقبول الشفاعة، وكان خطيب البلد وإمام الجامع وكانت وفاته نحو ستين وستمائة تقريباً وحضر قبرانه خلق لا يكادون يحصون.

ومن غريب ما جرى يوم موته أنه لما توفي كانت له بقرة غالبُ إدامه من لبنها ودهنها، توفيت يوم توفّي أيضاً فلم يخرج الفقيه حتى أخرجت البقرة وكان معه مؤذن بينه وبينه محبة وربما كانا أتراباً فحين توفي الفقيه خرج من جملة القبار وجعل ابناً له[4]

---

(١) الطحلة بفتح الطاء وسكون الحاء المهملتين ثم فتح اللام آخره هاء هو ما التصق بالجرّة من الطين مع الماء واستمر كثيراً حتى كان لزجاً، والكلمة مستعملة والدواء بذلك مستعمل إلى تاريخنا هذا.

(٢) سلت: قطع منه بطرف الأصابع ومنه سلت الحلبة وهي لغة دارجة وفصحى ومدوّنة.

(٣) حنب: بفتح الحاء وكسر النون آخره باء موحدة نشب وعلق فلا يخرج منه إلا بشدة، ومنه المثل حنب الفاس في الرأس لغة يمانية فصحى في عموم اليمن ومنه (المحنب) بكسر الميم الذي يصاد به الفيران لأنه يجنب فيه ولا يستطيع الخروج منه وهو المقط.

(٤) مثل هذا يقع ولقد حدثت حوادث تشبه هذه القضية كما وقع لأناس شاهدت ذلك. والقبّار: بضم القاف وتشديد الباء الموحدة وهو الذي يحضر لدفن الميت.

على كتفه خوفاً عليه من الزحام فلما انقضى الأمر من الدفن جعل يطلب ولده ثم صاح له فأجابه من كتفه فعجب الناس من اشتغال باطنه كل هذا الانشغال وضرب به المثل فقيل: يفتش على ابنه وهو على كتفه، وكان معه خادم للبقرة يرعاها منفردة ويأتي لهم بالحطب توفي بعد أيام يسيرة، ولم يقم بعده في بني علقمة أحد يستحق الذكر ومن تركته أنه اشترى المظفر كتبهم المهذب الذي نسخه عمر بن إسماعيل وغيره.

ومنهم عثمان بن الفقيه عبدالحكيم بن الفقيه محمد بن أحمد مقدم الذكر، كان هذا عثمان وولده فقيهين فاضلين، دخل عثمان عدن فأخذ عنه عبدالرحمٰن الأبيني المدرس وجماعة من فقهاء عدن جميع كتاب البيان وهو وأبوه مشتهران بالفقه والحفظ ولم أتحقق لأحدهما تاريخاً.

ومن بني المصوع مقدمي الذكر عبدالرحمٰن بن فلان كان زمانه قبل زمان الفقيه عبدالله لكن قدمت عبدالله لأنه اشتهر بالعلم بخلافه، وأما عبدالرحمٰن فكان يغلب عليه الازدراع والاتجار مع إتقان العبادة، أخبرني الفقيه محمد بن عمر صنو الفقيه صالح بن عمر الآتي ذكره عن أبيه وكان ممن طعن بالسن أن عمه قال أخبرني الفقيه عبدالرحمٰن بن المصوع أنه صلى ذات ليلة العشاء مع جماعة بالمسجد ثم تقدم بيته فأتته امرأته وهي متطيّبة فدعاها إلى الفراش فاعتذرت بعذر هيّن فتركها ونام قبل عودها إليه، ثم لم يشعر إلا وهي تكبسه فاستيقظ يُحدثها يريد وقاعها فقالت: نحن الآن قد فرغنا، فتشوّش من ذلك ثم قام وأرّخ ذلك وامتنع عنها تسعة أشهر فوضعت صبياً فلم يكن أكثر شيطنة[1] منه لا سيما في أوقات الصلاة وكثر البول على من حمله قل من حمله إلا وبال عليه وخصوصاً متى كان من أهل الدين والطهارة، ومتى صار بمواضع الصلاة بال فيها وقلما يبول في الأرض، والفقيه قد عرف قلة توفيقه وأنه سبقةُ من الشيطان[2] فلم يتكلم فلما صار على أنه يمشي ويفطم تركته أمه يوماً يلعب بالمجلس والفقيه قائم يصلي الضحى نظر بطرفه والصبي مقابل الطاقة فظهر منها شخص فصاح يا قدّار يا قدّار فأجابه الصبي بكلام فصيح لبيك فقال وكيف أنت قال: بخير وعلى خير يكرمونني ويغذونني غذاء جيداً، فقال لا تكون إلا جيداً فيما تعرف لا تتركهم يصلون ولا تترك لهم موضعاً طاهراً ولا ثوباً طاهراً حسبما أشكرك فقال الصبي سمعاً وطاعة، ثم قال كان الله معك فذهب ولم يره الفقيه بل كان خطابه من خارج الطاقة، فلما فرغ

---

(١) في «ب» أكثر بكاءً منه.

(٢) كثيراً ما يقول الناس للصبي شديد العرامة والشغلة: هذا سبقة شيطان وإلى يوم الناس هذا.

الفقيه من صلاته صاح بالصبي يا قدار اذهب أذهبك الله وإذا بالصبي قد نفر على شبه الطائر وخرج من الطاقة التي حصل منها الكلام كأنه طائر. ثم إن امرأته عادت فلم تجد الصبي فقالت يا سيدي أين ابني قال: أمره عجيب، ثم أخبرها بما كان منه جميعه، فقالت لو قلت لي يوم ولدته كنت قتلته. فقال: قد كفى الله به وقلعه، ثم لبث الفقيه مدة سنتين فتحصل له شيء من القوة من أرضه فعزم أن ينزل به إلى عدن فسافر حتى صار بالمفاليس[1] ولقيه الحرس ونقيبهم يومئذ شاب جميل الخلق فحين رأى الفقيه أقبل يسلم عليه بسلام حسن، سلام عارف مؤالف. فأنزله بمنزلة جيدة وصار يتكرر بحوائجه ويقول لأصحابه: اخدُموا الفقيه فهو رجل صالح، فسأل عنه فقيل هو نقيب العشارين[2] لا نعرف فيه الخير إلا لك فعجب الفقيه ثم سافر إلى عدن فقضى حوائجه وعاد المفاليس فلما صار بها وصله النقيب وتولى خدمته فقال له الفقيه يا هذا بِمَ استحققت منك هذه الموالاة فقال يا سيدي لك عليّ حقوق كثيرة أما تعرفني، قال لا، قال أنا عبدك قدار فقال أنت قدار؟ فقال: نعم يا سيدي لك علي حقوق كثيرة لو علمت أنك تقبل ضيافتي لأضفتك لكنّ معي هذين الزنبيلين وأحضرهما أحب أن تحملهما إلى والدتي في أحدهما كسوة لها وفي الآخر طيب فلم يمكن من الفقيه إلا جبر باطنه وأخذ ما جاء به، ولما وصل بلده أخبر زوجته بما جرى معه فعجبت ثم أخذت حطباً وأوقدت التنور فلما اشتد لهيبه ألقت فيه الأجبين بما فيهما ولم تفتحهما وكان وجود هذا الفقيه في صدر المئة السابعة وهو آخر من تحققت من بني المصوع.

ثم اعلم أن أكثر بلد اليمن من زمن متقدم[3] على زماننا فقهاء ومتفقهين وعلماء محققين مدينة زبيد المتقدم ذكرها على ما تحققته قد مضى ذكره، والمتأخر جماعة منهم أبو الحسن علي بن قاسم بن العليف بن عبس بن سليمان بن عمر بن نافع الشراحيلي الحكمي من حكم[4] حرض قدم زبيد بعد أن تحكّم[5] بقرية الشويري على إبراهيم بن زكريا مقدم الذكر ثم لما قدم زبيد أخذ عن الفقيه عباس بن محمد مقدم الذكر ودخل مدينة ذي أشرق فأدرك القاضي مسعود فأخذ عنه، وكان إماماً كبيراً من أئمة

---

(١) المفاليس زنة مصابيح: بلدة من أسفل الأحكوم والأثاور من المعافر الحجرية جنوب تعز ومنه يسافر المسافر إلى لحج وعدن معروف ومشهور.
(٢) العشارين جمع عشار: بالتشديد قابض العشر أو المكوس وهي ما تسمى: اليوم «الجمارك».
(٣) في «ب» بلاد اليمن وزيادة على زماننا من «ب».
(٤) في «ب» حكما حرض.
(٥) وفي «ب» تفقه.

الدين به تفقّه غالب الطبقة المتأخرة من غالب نواحي اليمن إذ قصده الطلبة من نواح مختلفة وتفقهوا به وعادوا بلدانهم فنشروا بها العلم وكان عالماً مباركاً عظيم القدر وله مصنفات مفيدة منها كتاب الدر في الفرائض وله مختصر سماه الدرر يبين به مشكلات المهذب وله أسئلة غريبة عن مشكل التنبيه سيرها (إلى بغداد على يد الإمام محمد بن الحسن الصغاني وأعاد الجواب من البادراوي من بغداد)[1] وأجاب عليها جماعة من علمائها وأجاب عنها أيضاً محمد بن يوسف الشويري المقدم ذكره وجوابه أرضى الأجوبة عنها وقد ذكرت ذلك.

ومن أعيان أصحابه بزبيد محمد بن الخطاب وابن عاصم وابن القلقل، وربما كان القوقلي وعبدالواحد[2] بن مبارك السحيلي وعمر بن مسعود الأبينيان وحسن الشرعبي وعبيد بن أحمد من السهولة[3] ولقد أخبر الثقة أنه خرج في درسته ستون مدرساً ويأتي إن شاء الله ذكر من تحققته منهم مبيناً في موضعه، وكان يحفظ التنبيه عن ظهر غيب ثم لا يزال حاملاً له، فقيل له فأنت تحفظه فلم تحمله قال أحتج به على أهل المراء، وكان راتبه كل يوم سبع القرآن أخذ ذلك عن شيخه إبراهيم بن زكريا مقدم الذكر، وكان ذا ورع، لوزم على قضاء زبيد فامتنع ولوزم على التدريس فامتنع ورسم عليه أياماً وهو مصمم على الامتناع مع الفقر وعدم ما يقوم به. وبالجملة ففضله أكثر من أن يُحصر، وكانت وفاته خامس رمضان سنة أربعين وستمائة وخلفه ابنه أحمد، وكان فقيهاً فرأس ودرّس إلى أن توفي يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر سنة أربع وستين وستمائة وله ذرية بزبيد يجللون ويحترمون ببركته.

ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن القلقل بقافين مخفوضتين الأولى بعد الألف واللام وبين القافين لام ساكنة وبعد الأخيرة لام أيضاً ساكنة، كان فقيهاً جليل القدر محققاً مدققاً، وله فتاوى تدُل على فقهه وسعة فضله، لوزم على تدريس المنصورية ورسم عليه بذلك فامتنع وأقام أياماً بالترسيم اتصل في أثنائها العلم بموت المنصور صاحب المدرسة، فانظر هؤلاء وورعهم كيف يطلبون ويرسم عليهم في قبول المناصب[4] وأخذ الرزق عليها فيتورعون عن ذلك، وكان غالب أحوالهم الفقر

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

(٢) وفي «ب» عبدالرحمن.

(٣) السهولة لعله تقدم ذكرها وهي بلدة عامرة من مخلاف الشوافي، من عزلة أبي محرم غربي مدينة إب.

(٤) رُسّم ويرسّم عليه إذا جعل عليه حفظة من الجنود يمنعونه من الخروج والدخول والرسّم حفظة الحبس السجن واحده رسمي ورسم عليه بالتشديد جعل عليه حرساً والكلمة عربية فصحى.

وهذا عكس أهل زماننا وكان هذا إبراهيم من أجل الفقهاء قدراً وإليه ينسب المحل الغربي من زبيد المعروف بمحل القلقل وله ذرية يحترمون ببركته إلى عصرنا ولم أتحقق له تاريخاً.

ومنهم الحسن علي بن محمد الحكمي وولده محمد، كانا فقيهين كبيرين وكانا يدرسان بالمدرسة المعزية المعروفة بمدرسة الميلين وذريتهم يتوارثون ذلك إلى عصرنا سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ورأيت إجازة لمحمد في إقرائه لبعض الطلبة لكتاب المهذب أنه كان ذلك في أيام آخرها ثالث عشر جمادى الأولى من سنة خمسين وستمائة وأدركت لمحمد أخاً اسمه أبو بكر درس بعد أخيه وكان رجلاً صالحاً مباركاً ذا مروة وتفضل وعمي في آخره وتوفي آخر المئة السابعة وخلفه ابنان هما علي وعمر، فعلي درّس بالعاصمية إلى أن توفي في المحرم سنة ثلاث وسبعمائة وخلفه ابن اسمه أبو بكر هو الآن مدرس بالمدرسة المعزية وله مروة وخلق درس بها بعد عمه والغالب عليهم الخير والدين ويعرفون بحكماء الميلين تحرزاً من حكماء الجامع.

ومنهم أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أبي الحسين بن عبدالله الزوقري ثم الركبي ويعرف بابن الخطاب فإن أباه كان يسكن قرية النويدرة على باب زبيد القبلي[1] نسبة إلى بيع الحطب مولده آخر المئة السادسة وتفقهه بابن قاسم المقدم ذكره وتضلع من علوم شتى بحيث كان يفضل على فقهاء عصره، أجمع على ذلك المؤالف والمخالف وكان يقرىء القراءات السبع، وكان نحوياً لغوياً فروعياً أصولياً فرضياً حسابياً حديثياً، وكان يقول أنا ابن عشرين علماً ليس أحد لي مناظراً في شيء منها، ذكر الثقة أنه حصل اجتماع لفقهاء زبيد في وليمة وتأخر هذا الفقيه عن المبادرة فلم يتم أمر حتى وصل فأقبل يمشي وعليه ثياب مرتفعة يجر رداءه فقال شيخه ابن قاسم: ما هذا العجب الذي مع هذا الصبي[2] فحين دخل المجلس قصد صدره وقعد فيه غير محتفل بأحد ولا لافتٍ فقال له بعض الحاضرين مُسِرّاً إنك لما أقبلت على الجماعة قالوا كَيت وكَيت ثم قال الفقيه علي بن قاسم كذا وكذا فرفع الفقيه رأسه وقال جهاراً كيف لا أعجب وأنا ابنُ عشرين علماً ليس في الحاضرين من يناظرني في واحد منها، ثم أنشد قول المتنبي:

إن أكن معجباً فعجب عجيب ... لم يجد فوق نفسه من مزيد

---

(١) النويدرة تصغير نادرة هي اليوم خراب لا عين ولا أثر.

(٢) وفي «ب» الفتى.

وحين تفقه صار إلى زبيد من النويدرة ومن قومه بقية بها إلى الآن ولما صار إلى مدينة زبيد حاز مسجد الأشاعر على أصحاب أبي حنيفة وصار يدرس فيه وعندما دخل الوقت يأمر المؤذن بالأذان ثم يبادر إلى أداء الصلاة كما هو مقول في مذهب الشافعي فتعب من ذلك أصحاب أبي حنيفة ولم يحتفل بهم وكان لا يكاد يوجد إلا مدرساً للعلم أو مقبلاً على صلاة وغالب تدريسه في مسجد الأشاعر، ونادرة في مسجد عند بيته يعرف بفخر الدين بن علي رسول[1] الذي جددته الحرة ماء السماء ابنة المظفر وقد تقدم ذكرها، وذكر الثقة أنه أصبح ذات يوم استدعى بأخ له اسمه أبو الحسن وهو جد الموجودين بقرية النويدرة المعروفين ببني الحطاب فلما حضره قال له يا فلان رأيت البارحة ربي تعالى فقال لي يا محمد إنَّا أحبك فقلت يا رب من أحببته ابتليته فقال: استعد للبلاء، وأنت يا أخي فكن بي على حذر، ثم في ذلك اليوم خرج من بيته إلى الأشاعر يريد صلاة العصر فصلاها ثم عاد بيته مسرعاً وكان من عادته القعود والإقراء فلما صار بشيء من الطريق غشي عليه فذكروا أن الفقيه إسماعيل الحضرمي نفع الله به مرّ به وهو في تلك الحال فأكب عليه وقبّل بين عينيه ثم قال: أهلاً بك يا محبوب ثم حمل إلى بيته، وكان ذلك وهو ابن خمس وعشرين سنة وكان متزوجاً بابنة شيخه علي بن قاسم ففسخ عليه نكاحها واشترى له من ماله جارية تقوم به وخطبت زوجته فقالت لا أريد به بدلاً حياً ولا ميتاً وكانت الجارية ترمه وتحفظه وقد أتت له بابنتين إحداهما موجودة عام واحد وعشرين وسبعمائة، وكان من أكثر الناس حفظاً للآثار والأخبار والأشعار وكان مقيداً مربوطاً إلى شيء أكيد، ثم كان الطلبة من أصحابه وأهل عصره يقرؤون عليه في أوقات يكون فيها متعافياً وكل من أعياه مثل أو مسألة وصله وسأله فيزيل عنه الإشكال.

حكي أن الملك المظفر قال يوماً لجلسائه: أذكر بيتين كنت أحفظهما في المعلامة لا أذكر منهما غير حضني أو حضنا، وأريدهما ولو بمال فقال له بعض الحاضرين: يا مولانا هنا فقيه فاضل حصل به جنان يفيق في بعض الأحيان ويسأل عن مسائل فيجيب عنها ولو أمر مولانا بإحضاره في وقت الصحو فربما يجد عنده ما سأل، فقبل السلطان ذلك وأمر إلى الجارية وسألها عن وقت يتسع فيه صفاء ذهن الفقيه فقالت ما بين المغرب والعشاء فأمر إليها بثياب وأمرها أن تغسله وتطيّبه وعرَّفها أنه بعد المغرب يرسل له بمركوب وأنها تصل معه وذلك أنه بلغ السلطان أنها تشد عليه وقد

(١) وفي «ب» بفخر الدين بن أبي بكر بن حسن بن علي بن رسول.

تضربه فهو يخافها خوفاً شديداً، فلما كان بعد المغرب أمر السلطان له بمركوب وغلام يُركبه ويسير معه إلى داره وكانت الجارية قد استعدّت لذلك بما يليق من غسل وتنظيف وسارت معه حتى دخلت معه مقام السلطان الملك المظفر وقد اغتص بالأمراء والحرفاء وأعيان الدولة فأقعد ولما استقر سئل عن أي مكان هو فيه فقال هو مقام السلطان الملك المظفر ثم قال له يا يوسف كان والدك صاحبي فقال السلطان: ونعم الصاحب أنت يا فقيه، ثم أمر من يسأله من الحاضرين شخصاً شخصاً فكلما سئل عن واحد قال هذا فلان قال: هذا فلان بمعرفة شافية حتى قيل له ابن دعاس فقال هذا ابن عم أخيه وكان بينهما مكارهة من طريق المذهب إذ ابن دعاس حنفي فحين تحقق السلطان صفاء ذهنه أمر من يكلمه في طِلْبته فقيل له إن مولانا السلطان كان يحفظ أيام المكتب بيتين وقد نسيهما غير أن في أحدهما حضنى أو حضني فقال الفقيه: هما:

راحة الإنسان حيًّا   بين حضني والديه
فإذا ماتا أحالا   بشقا الدنيا عليه

فقال السلطان: هما والله البيتان وسُرَّ بهما سروراً عظيماً، وأمر[1] أن يخلع عليه ففعل، ثم بدا منه شيء حسن التعقيل فقالت الجارية هذا وقت تغيُّر حاله فأعيدوه إلى البيت فأمر السلطان بذلك في سرعة وأعيد إلى بيته ثم في صباح ذلك اليوم أصبح متأسفاً عليه ولائماً لأبيه كيف حصل له رجل في دولته مثل هذا وغفل عن حديثه ولم يداوه، ثم طلب الطبيب وأمره بمباشرة الفقيه ووعده على عافيته إعطاءه ما سأل فذكروا أنه تقدم ونظره وخرج من عنده وقد استبشر له بالفرج فيقال إن ابن دعاس لقيه بالطريق وقد كان علم ما أمر له فقال: كيف رأيت حال هذا الرجل هل يتداوى؟ قال: نعم فقال والله إن تعافى لا يترك لك ولا لأحد من الفضلاء قدراً، فإنه في كل علم باقعة، والصواب أنك تدفع السلطان عن ذلك لعذر ما فأوقع ذلك في نفس الطبيب ولما صار إلى السلطان قال: والله يا مولانا هذا لا يتداوى إلا في العراق قال له: فلو بعثناه إلى العراق وتداوى ثم عاد إلى البلاد هل يخشى عليه شيء قال: نعم فأعرض السلطان عن ذلك ظناً منه أنه صادق فيما يقول ثم أمر أن يجري على الفقيه كل يوم عشرون درهماً فحسده ابن دعاس ولم يزل بالسلطان حتى نقصها[2] حتى عادت إلى درهمين واستمر ذلك بعد موته على ذريته وكان كثيراً ما يأتيه أصحابه وغيرهم، فمتى لقوه ذاهباً

(١) وفي «ب» ثم أمر.

(٢) وفي «ب» ينقصها

باحثوه في العلم ومتى تغير خرجوا عنه ومن لم يفهم حاله صفّقت الجارية فيعرف فيخرج فتظهر الجارية وتهيب بالضرب وربما ضربته فيسكن إذ كان يخافها. أخبرني والدي يوسف بن يعقوب نور الله حفرته قال كنت أحب هذا الفقيه ابن الحطاب على السماع وأكره أن أراه على ما قد بلغني من الحال، علمت أن رجلاً ممن كنت أصحبه قال لي يوماً اذهب معي إلى الفقيه ابن الحطاب نسلم عليه فاستحييت منه ورافقته فلما صرت معه إليه وسلمنا عليه رد علينا رداً جيداً، ثم قال للرجل يا محمد هل جئتنا بشيء فقال بنفسي، فأنشد الفقيه مرتجلاً:

أتانا أخ من غيبة كان غابها ... وكان إذا ما غاب ننشده الركبا
فقلنا له هل جئتنا بهدية ... فقال بنفسي قلت نطعمها الكلبا

ونحو ذلك ما أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن الشيخ الفاضل منصور بن حسن الكاتب عن أبيه، قال دخلت أنا والمقرىء محمد بن علي الفقيه المذكور فسأله المقرىء عن مسألة في الحيض مشكلة فأبانها له ثم أنشد:

لو علمنا مجيئكم لبذلنا ... مهج النفس أو سواد العيون
وفرشنا على الطريق خدوداً ... ليكون المرور فوق الجفون

وله شعر رائق منه ما وجدته بوصاب عام دخلتها سنة عشرين وسبعمائة مع مقرئها يومئذ وهو محمد بن يوسف الغيثي الآتي ذكره، قال أثبت إلي أن هذا الفقيه يعني ابن الحطاب كان بينه وبين الفقيه موسى بن أحمد شارح اللمع الآتي ذكره صحبة ومكاتبة وأنه كتب إليه شعراً منه لما دخل كتابه شرح اللمع إلى زبيد ما مثاله:

تربي خليلي في ربع والثمل فأرقتهُ ... ويكفيك فضلاً أدمج حطاب
وكل وعذراء بردي

وهذا جملة ما وجدته عند المقرىء المذكور وبالجملة فأوصافه جمة وإني مقصر عن استيعابها وكانت وفاته بزبيد سنة خمس وستين وستمائة.

* * *

إلى هنا تنتهي ترجمة الأديب العلامة أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزوقري
المعروف بابن الحطاب الزّبيدي وبانتهاء هذه الترجمة انصرم
الجزء الأول من كتاب «السلوك في طبقات العلماء
والملوك» للمؤرخ الفاضل بهاء الدين
أبي عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب
الجندي السكسكي الكندي

وذلك بتجزئة المحقق محمد بن علي بن الحسين الأكوع الحوالي لطف الله به، ويبتدىء الجزء الثاني بترجمة أبي عبدالله محمد بن علي بن يحيى بن عبدالله الناسخ الزبيدي.

حررها بتاريخ ٢٧ الاثنين من شهر رجب ١٤٠٣هـ
الموافق ٩ من شهر مايو سنة ١٩٨٣م

فهرس الأعلام

حرف الهمزة (أ)

* * *

حرف الباء (ب)

* * *

حرف التاء (ت)

* * *

حرف الثاء (ث)

* * *

حرف الجيم (ج)

* * *

حرف الحاء (ح)

* * *

حرف الخاء (خ)

* * *

حرف الدال (د)

* * *

حرف الذال (ذ)

* * *

حرف الراء (ر)

* * *

حرف الزاي (ز)

* * *

حرف السين (س)

* * *

حرف الشين (ش)

* * *

حرف الصاد (ص)

* * *

حرف الظاء (ظ)

* * *

حرف العين (ع)

* * *

حرف الغين (غ)

* * *

حرف الفاء (ف)

* * *

حرف القاف (ق)

* * *

حرف الكاف (ك)

* * *

حرف اللام (ل)

* * *

حرف الميم (م)

* * *

حرف النون (ن)

* * *

حرف الهاء (هـ)

* * *

حرف الواو (و)

* * *

حرف الياء (ي)

* * *

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

فهرس الأماكن والبلدان

* * *

حرف الباء (ب)

* * *

حرف التاء (ت)

* * *

حرف الثاء (ث)

* * *

حرف الجيم (ج)

* * *

حرف الحاء (ح)

* * *

حرف الخاء (خ)

* * *

حرف الدال (د)

* * *

حرف الذال (ذ)

حرف الراء (ر)

* * *

حرف الزاي (ز)

* * *

حرف السين (س)

* * *

حرف الشين (ش)

* * *

حرف الصاد (ص)

* * *

حرف الضاد (ض)

* * *

حرف الطاء (ط)

* * *

* * *

حرف الغين (غ)

* * *

حرف الفاء (ف)

* * *

حرف القاف (ق)

* * *

حرف الكاف (ك)

* * *

حرف اللام (ل)

* * *

حرف الميم (م)

* * *

حرف النون (ن)

* * *

حرف الهاء (هـ)

* * *

حرف الواو (و)

* * *

فهرس الجماعات والقبائل والفرق والطوائف

حرف الهمزة (أ)

* * *

حرف الباء (ب)

* * *

حرف التاء (ت)

* * *

حرف الثاء (ث)

* * *

حرف الجيم (ج)

* * *

حرف الحاء (ح)

* * *

* * *

الهاء (هـ)

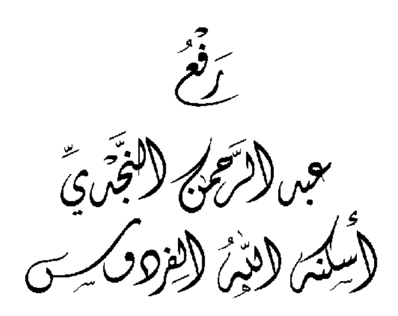
* * *

حرف الواو (و)

* * *

حرف الياء (ي)

* * *



فهرس الموضوعات


رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس



مكتبة الإرشاد

الجمهورية اليمنية - صنعاء - ميدان التحرير
شارع ٢٦ سبتمبر - ص.ب ١٠٠٧٤ - تلفون ٧١٧٧٦